لسان التّعريف
بحال الوليّ الشّريف

سَيِّدي إبراهيم الدّسوقيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

تأليف

الشَّيْخ / جلال الدّين الكَرَكيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

قَدَّم له وعَلَّق عليه

عاطف وفدي

مكتبة الرحمة المهداة
المنصورة - ش الهادي - عزبة عقل
ت: ١٤٢١٤٦٩ / ٠١٠

رقم الإيداع بدار الكتب
١٦٩٣٦ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولي
977 - 5899 - 29 - X

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المُحَقِّق

الحمد لله ربّ العالَمين ، بجميع مَحامِده كُلّها على ألسنة خَلْقه كُلّهم أجمعين ، عَدَد المعلومات والخطرات والحركات والإرادات وأنفاس الأحباب المُقَرَّبين .. اللَّهُمَّ صَلّ على الذّات المحمَّدية اللّطيفة الأحديّة ، شَمْس سماء الأسرار ومَظْهَر الأنوار ، ومَرْكَز مدار الجلال وقُطْب فَلَك الجمال ، اللَّهُمّ بسِرّه لديْك وبسَيْره إليك آمِنْ خوْفي وأَقِلْ عثْرتي وأَذْهِبْ حُزْني وحِرْصي ، وكُنْ لي وخُذْنِي إليْك منّي ، وارْزُقْني الفَنَاء عنّي ، ولا تَجْعَلْني مفتوناً بنَفْسي محجوباً بحِسّي ، واكشف لي عنْ كُلّ سِرٍّ مكتومٍ يا حيّ يا قيّوم .. اللّهُمّ صَلّ على الآل الطَّيِّبين الأطهار ، أهْل الحِمَى والصّفْوة الأخيار ، نجوم الهُدَى السّادة الأئمّة ، سفينة النّجاة وأمان الأُمّة ، وعلى الأصحاب الهداة المهْدِيِّين ، السّابقين الأوّلين ، وارْضَ اللَّهُمّ عن التّابعين لهمْ بإحسان ، وعنْ مشايخنا ذوي الفضل والمنّ والجود والسُّلْطان .. اللَّهُمّ اهدنا بهدايتهم وأَسْعِدْنَا بصحْبتهم واحْشُرْنا في زمْرتهم وأَنِلْنَا رِفْدك بجاه كُلّ ذي جاه عندك .. آمين .. وبَعْدُ ..

فإنّ مِن مِنَن الله تعالى على خَلْقه ومِن رحْمته بهم ورفْقه أنْ أَرْسَل إليهم نبيَّنا سيدنا محمّداً ﷺ إماماً ورحمةً ونعمةً وهادياً ومبشّراً ونذيراً وسراجاً منيراً وقدْ أَنْعَم الكريم جَلّ وعَلاَ على أمّة حبيبه المصطفى المجتبَى بطائفةٍ مِن أوليائه وجملةٍ مِن أصفيائه ، يَحْفَظ الله بهمْ دينه إلى يوْم الدين ، وحَباهم لأجْل ذلك العزّ والتّمكين ، وأيّدهم بالكرامات وحَفِظهم مِن الهفوات ، فَهُمْ على الحقيقة أهْل الله وخاصّته ، وحزْبه وأهْل قُرْبه وصفْوته ..

وإنّ مِن أجَلّ هؤلاء السادة الكرام والأئمّة الأعلام : أقطاب التَّصَوُّف الأربعة الذين بهمْ لأمّة التّوْحيد قدْ عَمَّت المنفعة .. اللَّهُمّ انْفَعْنَا بهمْ ، واحْشُرْنا في حزْبهم بجاه جدّهم الرّءوف الرّحيم نبيّنا طه الكريم صلى الله عليه وعلى آله

وأصحابه وعلى مَن تَعلَّق بأذياله إلى يوْم الدين يوْم يَقوم النّاس لِربّ العالَمين ..

وبَعْدُ ..

فإنّنا بيْن يَدَيْ كتاب يَتَحَدَّث عن إمام جليل وعالِم نحرير وقُطْب كبير ، هو رابِع الأقطاب الأربعة الذين يَنْتَهي إليهم طُرُق أهْل الله ..

يقول عنه الإمام الشّعرانيّ : مِن أجِلاّء مشايخ الفقراء أصحاب الخِرَق ، وكان من صدور المقرَّبين ، وكان صاحِب كرامات ظاهرة ومقامات فاخرة ومآثر ظاهرة وبصائر باهرة ، وأحوال خارقة وأنفاس صادقة وهِمَم عالية ، ورُتَب سَنِيّة ومناظر بهيّة وإشارات نُورانيّة ونفحات رُوحانيّة وأسرار ملكوتيّة ومحاضَرات قدسيّة ، له المعراج الأعلى في المعارف ، والمنهاج الأسنى في الحقائق ، والطّور الأرفع في المعالي ، والقَدَم الرّاسخ في أحوال النِّهايات ، واليد البيضاء في علوم الموارد ، والباع الطَّويل في التَّصْريف النّافذ ، والكشْف الخارق عن حقائق الآيات ، والفَتْح المضاعَف في معنى المشاهَدات ، وهو أحد مَن أظهَره الله عزّ وجلّ إلى الوجود وأبرَزه رحمةً لِلخَلْق ، وأوقَع له القبول التّامّ عند الخاصّ والعامّ ، وصَرَّفه في العالَم ، ومكَّنه في أحكام الولاية ، وقَلَب له الأعيان ، وخَرَق له العادات ، وأنْطَقَه بالمغيَّبات ، وأظْهَر على يَدَيْه العجائب وصَوَّمه في المَهْد ﷺ .. طبقات الشّعرانيّ /٢٨٠

ونَقَل ابن العماد عن المناويّ قوله : صاحِب المحاضَرات القدسيّة والعلوم اللَّدُنِّيَّة والأسرار العرفانيّة .. أحد الأئمّة الذين أظْهَر الله لهم المغيّبات وخَرَق لهم العادات .. ذو الباع الطّويل في التَّصَرُّف النّافذ ، واليد البيضاء في أحكام الولاية ، والقَدَم الرّاسخ في درجات النّهاية .. انتهت إليه رياسة الكلام على خواطر الأنام ، وكان يَتكلَّم بجميع اللُّغات مِن عجميّ وسريانيّ وغيْرهما ، وذُكِر عنه أنّه كان يَعْرِف لُغات الوحْش والطّير ، وأنّه صام في المهد ، وأنّه رأى في اللوح المحفوظ وهو ابن سبع سنين ، وأنّه فَكّ طَلْسَم السَّبْع المثاني ، وأنّ قَدَمه لم تَسَعْه الدُّنْيا ، وأنّه يَنْقِل اسْم مريده مِن الشّقاوة إلى السّعادة ، وأنّ الدُّنْيا جُعِلَت في يده كخاتم .. شذرات الذّهب ٣/٣٥٠

وتَنْقِل الدكتورة سعاد ماهر في " مساجد مصر وأولياؤها الصّالحون " عن الموسوعة الإسلامية ما نَصّه : تَوَلَّى مشيخةَ الإسلام في عَصْره ، فقَبِلها مدّةً ، وما عُرِضَت عليْه إلا لأنّه بَلَغ الغاية في الكمال والرِّفْعة ، ثُمّ تَركها مِن نَفْسه زاهداً في ذلك المنصب الخطير الذي خشي أنْ يَصْرِفه عنْ ربّه ، ولمْ يَقْبَل في أثناء تَوَلِّيه أنْ يَتَقاضَى درهماً واحداً ، وكان ما يُعْرَض عليْه مِن وراء هذا المنصب الخطير يَتنازل عنْه لِلفقراء والمساكين ، ولمْ يُجْدِ إلحاح الظّاهر بيبرس عليْه في البقاء في منصبه شيئا .. ا.هـ .

أقول : وقدْ كان ﷺ شيْخ الإسلام بإجماع علماء عصْره الذين لم يخالِف منْهم أحدٌ في ذلك .

ولَعَلّ بعض مَن لا قَلْب له ولا وجهة يَستنكر علينا أنْ نَتَحَدَّث عن رجل تَوَفّاه الله منذ ما يزيد على سبعة قرون ، ويَتساءل : ما الفائدة العائدة علينا مِن وراء الحديث عن أناس هُمْ بما قَدَّموا في ذمّة ربّهم ، ولا شيء يَرْبطنا بهم ؟!

ولِلإجابة عن ذلك نقول :

أوّلاً : إنّ الحديث عن مِثْل هؤلاء الأكابر أحياءً ومُنْتَقِلين يُعَدّ مُحَفِّزاً ودافعاً لأمثالنا لِلتَّمَسُّك بأخلاقهم والسَّيْر على منهاجهم والاقتداء بأفعالهم ، فيكون ذلك سبباً في النّجاة والفوز في الدّارَيْن ، وقدْ ذَكَر القرآن الكريم في الكثير مِن آياته قصصاً كثيرةً لِلأنبياء والصّالحين وأَمَرَنا بالاقتداء بهداهم وسيَرهم .

ثانياً : أنّنا مأمورون في الكثير مِن الآيات والأحاديث بمحبّة وموالاة المؤمِنين والصّالحين ، وهؤلاء هُمْ أوائل المؤمِنين وأفاضل الصّالِحين ، سواء كانوا أحياءً أو مُنْتَقِلين ، فكيف نواليهم ونُحِبّهم إذا لم نَعْرِفْهم ونَعْرِف سيَرهم وأحوالهم ؟!

ثالثاً : أنّ لِلكلام عن الصّالحين فوائد لا تُحْصَى وفضائل لا تُسْتَقْصَى ، **منها :**

* عن سيدنا معاذ ﷺ أنّ النَّبِيّ ﷺ قال ﴿ **ذِكْرُ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْعِبَادَةِ ، وَذِكْرُ الصَّالِحِينَ كَفَّارَةُ الذُّنُوب** ﴾ أخْرَجه الدّيلميّ .. انظر فيْض القدير ٥٦٤/٣

* قال سفيان بن عيينة ﷺ : عند ذِكْر الصّالحين تَنزل الرحمة .. حلية الأولياء لأبي نُعَيم ٢٨٥/٧ وصفة الصفوة لابن الجوزيّ ٤٥/١ ، وذكَرها الخطيب

البغداديّ (٢٤٩/٣) عن محمد بن منصور الطّوسيّ وصاحِب الشّقائق النّعمانيّة (٤٦٣/١) وصاحِب طبقات الحنفيّة (٤٥٠/١) دون ذِكْر قائلها .

* وقال محمد بن يونس : ما رأيْتُ أنْفَع لِلقَلْب مِن ذِكْر الصّالحين ..

صفة الصّفوة ٤٥/١

* وقال شمْس الدّين السّخاويّ : مِن المعلوم المُقَرَّر عند أُولِي العقول الصّحيحة وثاقب الفهوم أنّه عند ذِكْر الصّالحين تنزل الرّحْمة ، وبتَتَبُّع آثارهم يَنْدَفِع كُلّ بلاء ونقمة ، وأنّ الثّناء على المُدْرَج فيهم مِن الأموات رحمة لِلأحياء مِن أهْل المودّات ، والاشتغال بنشْر أخبار الأخيار ولو بتواريخهم مِن علامات سعادات الدّارَيْن لأُولِي العرفان والاختبار ، بلْ يُرْجَى إسعافهم لِلمُقَصِّر الذّاكر لهم بالشّفاعة وإتحافهم مِن المولى بمرافقة أهْل السُّنّة والجماعة ، إلى غيْر هذا مِمّا يُرَغّب فيه ويُحَبّب لِلتّوَجُّه إليه كُلّ وجيه ..

التّحفة اللّطيفة في تاريخ المدينة الشّريفة ٣/١

* وقال بِشْر الحافي ﷺ : بحسبك أنّ قوماً مَوْتَى تَحْيا القلوب بذِكْرهم ، وأنّ قوماً أحياءً تَقْسو القلوب برؤيتهم ..

طبقات الصّوفيّة لِلسُّلَميّ /٥٠ وصفة الصفوة ٣٣٣/٢

* وقال الشيخ محمد زيتون (مِن مشايخ سَيِّدي أحمد زرّوق) : إذا ذُكِر الصّالحون في مجلس نزلَت الرَّحْمة ، ويَخْلُق الله مِن هذه الرَّحْمة سحابةً لا تُمْطِر إلا في أرْض الكفّار ، كُلّ مَن شَرِب مِن مائها أسْلَم .

* وقال أبو عثمان الحيريّ ﷺ لأبي جعفر بن حمدان :" ألسْتم تَرْوون أنّ عند ذِكْر الصّالحين تنزل الرَّحْمة ؟ " قال :" بلى " قال : فرسول الله ﷺ سَيِّد الصّالحين .. سير أعلام النبلاء ٦٤/١٤

رابعاً : أنّا لا نُسَلِّم بعدم وجود صلة بيْننا وبيْن هؤلاء السّادة المُنْتَقِلين ، بل توجَد صِلات يَعْرِفها أهْل البصائر والعقائد السّليمة الصّحيحة ، وقدْ ثبت في السُّنّة أنّ الميِّت حتى ولو لم يَكُنْ وليّاً يُحِسّ بمَن يَزُوره ويَرُدّ عليه السّلام وتُعْرَض عليه أعمال أهْله ومَعارفه ويَدْعو الله تعالى لِلمسيئ منهم ، وأنّ أعمالنا يراها الله

ورسوله والمؤمنون ، ولولا خشية الإطالة لَذَكَرْنَا من الأدلة على ذلك وعلى أنّ لِلأولياء بصفة خاصّة اتّصالاً ورعايةً لِمريديهم ومحبّيهم ما تَقَرّ به أعيُن المُحِبّين وتخرس به ألسنة المنكِرين ، إلا أنّ ذِكْر مِثْل هذا يُخْرِجنا عن أصل موضوع الكتاب .

خامساً : أنّ لِسَيِّدي إبراهيم الدّسوقيّ خصوصيّةً في هذا الأمر فوْق ذلك ؛ حيث إنّه ﷺ قدْ بَشّر في حياته بأنّ طريقته سوف تَنتشر في آخِر الزمان فقال :

ولا تَنْتَهِي الدُّنْيَا ولا أيّامُها حتّى تَعُمّ الْمَشْرِقَيْن طريقتي

فالكلام عنه وعن طريقته إنّما هو كلام في وقْته وفي حِينه ، وها هي الأيّام تُثْبِت صِدْق مقولته ﷺ ؛ فقد انتشرَت طريقته البرهانيّة في كُلّ بقاع الأرض ، تَهْدِي قلوب الناس وتنير بصائرهم وتَرُدّهم إلى ربّهم ردّاً جميلاً ، وتَجْمعهم على ذِكْر الله ومحبّة رسول الله ﷺ وأهْل بيْته الكرام ، حتّى صار لها أتباع ومريدون في السّودان ومِصْر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وسوريا والأردن والحجاز والإمارات واليمن وباكستان وروسيا وأمريكا وكندا وألمانيا وإيطاليا والنّمسا والسّويد والنّرويج وهولندا وسويسرا وبريطانيا والدّانمارك ولوكسنبرج وغيْرها مِن دُوَل العالَم ، ولا زالت طريقته ـ التي بدأت مسيرتها بالإمام فخْر الدين السيد محمد عثمان عبده البرهانيّ ثُمّ الإمام الشيخ إبراهيم الشيخ محمد عثمان عبده البرهانيّ ثُمّ الإمام الشيخ محمد الشيخ إبراهيم الشيخ محمد عثمان عبده البرهانيّ ﷺ ـ تَنْتَشِر في كُلّ بقاع المعمورة تَذُبّ عن دين الحبيب ﷺ وتَدْعو إليه وتَهْدم بمَعاول التأييد عقائد أهْل الزّيغ والضّلال .

التّراث العِلْميّ لِسَيِّدي إبراهيم الدّسوقيّ ﷺ :

لَرُبّما سأل سائل : إذا كان سَيِّدي إبراهيم الدّسوقيّ إماماً وعالِماً وشيخاً فأيْن مؤلّفاته ؟!

ولِلإجابة عنْ ذلك نقول :

أوّلاً : سُئِل سَيِّدي أبو الحَسَن الشّاذليّ ﷺ عن السّبب في أنّه لم يؤلّف كُتُباً فقال : كُتُبي أصحابي ..

وقدْ كان لِهؤلاء الأكابر في كُلّ زمان تلامذة وأصحاب حَمَـى الله بهم دينه وهَدَى بهم النّاس إليه ، وكان أثرُهم في خدمة دين المصطفى ﷺ أعْظَم وأجَلّ وأكْبَر من تأثير ما ألّفه العلماء على مرّ الأيّام ، وإنْ كُنّا في ذات الوقت لا نُقَلّل من شأن هؤلاء العلماء ومؤلّفاتهم الّتي أرْسَت قواعد الدّين وحَفِظَتْه لِلمُسْلِمين .

ثانياً : إنّ الصّفة الغالبة في أكابر الأولياء أنّهم لا يؤلّفون كُتُباً ؛ إذ أنّ الذي لديْهم من مكْنون العِلْم وفيوضات المَعارف لا تَسْتَوْعِبه إلا صدور السّائرين وقوابل المريدين ، وقدْ جَرَى على ذلك في كُلّ الأزمان الكثير من الأكابر ؛ إلا فيما نَدُر : كالإمام الغزاليّ وسيّدي محيي الدّين بن عربيّ وسيّدي عبد الكريم الجيليّ وسَيّدي عبد الغني النّابلسيّ وغيْرهم ، وهؤلاء إنّما التزموا التّأليف لِظروف واعتبارات خاصّة سَرْدها يُخْرِجنا عَمّا نَحْن بصدده ..

ولِذا فإنّنا نَجِد أنّ الأقطاب الأربعة لم يَتْركوا لنا تراثاً عِلْميّاً يُعَوّل عليه إلا في القليل النّادر ؛ فهذه مؤلّفات السّيّد أحمد الرّفاعيّ ﷺ عبارة عن بعض كُتَيّبات لا يَصِل مجموعها إلى حَجْم مُجَلّد واحد ، وهذا السّيّد عبد القادر الجيلانيّ ﷺ مؤلّفاته لا تزيد على بضع كُتُب هي في مُعْظَمها مَجالس وعظيّة ، وهذا السّيّد أحمد البدويّ ﷺ والسّيّد أبو الحَسَن الشّاذليّ ﷺ لم يُعْرَف لهما تراث عِلْميّ مؤلّف ، وقدْ ذَكَرْنَا منذ قليل أنّ السّيّد إبراهيم الدّسوقيّ ﷺ كان قدْ تَوَلّى مشيخة الإسلام ثُمّ تَرَكها زهداً فيها ، وغيْر خفيّ أنّ هذا المنصب لم يكُنْ يُعْطَاه إلا فحول العلماء في كُلّ عصْر ، وعلى الرّغْم من ذلك فإنّ مؤلّفاته ﷺ لا تَتَعَدّى كتابيْن أو ثلاثة أو أربعة كُتُب على أكْثَر تَقْدير سوْف نَذْكُرها بَعْد قليل .

فإنْ قيل : فإذا كان هؤلاء أهْل الحقائق وأصحاب الهُدَى وأُولِي العِلْم والرّاسخين فيه كيف يَتركون النّاس صَرْعَى جَهْلهم ولا يبيّنون لِلنّاس دينهم ؟!

قُلْنَا : إنّ هؤلاء الأكابر هم الذين بهم تَنْمَحِي ظُلْمَة الجَهْل والشّكّ والضّلال وتَنْبَلِج أنوار العِلْم واليقين والهدى ، وقدْ تَركوا لنا ما هو أعْظَم من ملء الأرض كُتُباً وتآليف ، ألاَ وهي أورادهم التي بها يَسْلُك المريد في طريق الله تعالى حتّى يَصِل إلى الكشف والشهود واليقين بَعْد أنْ يكون قَلْبه قد استنار بذِكْر الله وطُهِّر

من أمراضه ..

ثالثاً : إذا كانت كرامات الأولياء تضاف إلى معجزات النَّبيّ ﷺ - لأنّه لولاه ﷺ لَمَا ظَهَرَت عليهم تلك الكرامات - فإنّ كُتُب مريدي هؤلاء الأقطاب إنّما تضاف إليهم ؛ لأنّهم لولا أنْ فَتَح الله بهم على مريديهم لَمَا أَلَّفوا تلك الكتب ..

فهذا السيد أبو الحَسَن الشّاذليّ يُخْرِج لنا مِن مدرسته العزّ بن عبد السّلام والمنذريّ وابن عطيّة وابن عطاء الله السكندريّ وعبد الله بن أبي جمرة ، وهذا سَيِّدي أحمد البدويّ يُخْرِج لنا مِن مدرسته تقيّ الدّين بن دقيق العيد ونور الدّين الحلبيّ ، وهذا السيد إبراهيم الدّسوقيّ يُخْرِج لنا مِن مدرسته سَيِّدي حَسَن العدويّ والفيروزآباديّ وابن الملقّن والجلال المحلّيّ والجلال السّيوطيّ والشّعرانيّ وابن عجيبة وسَيِّدي أحمد زرّوق والزّبيديّ وشَمْس الدّين اللّقانيّ والشّيخ عليش وعبد المجيد الشّرنوبيّ وسَيِّدي أحمد بن إدريس والسّنوسيّ ، وما الفخر الرّازيّ واليافعيّ وشمْس الدّين الأصفهانيّ والتّقيّ السّبكيّ والتّاج السّبكيّ وعبد العزيز الدّرينيّ والآمديّ وزكريّا الأنصاريّ والعراقيّ وابن الصّلاح وابن ملك وابن حَجَر العسقلانيّ وابن حَجَر الهيتميّ والبلقينيّ وابن العماد والسّخاويّ والمناويّ والصّاويّ والزّرقانيّ والنّبْهانيّ والدكتور عبد الحليم محمود والشّيخ الشّعراويّ وغيْرهم كثير مِمَّن أَلَّفوا في مختلف فروع الدّين - مع جلالة قَدْرهم وغزارة عِلْمهم - إلا مريدون وتلامذة وتابعون لأكابر هُمْ أَجَلّ وأَعْلَم منهم وإنْ لم يؤلِّفوا ، وليس في هذا حطّ مِن شأن هؤلاء السّادة العلماء ، وإنّما هو تقرير لِواقع وإحقاق لِحقّ أَقَرّوا به هُمْ أنفُسهم ، وهو - أيضاً - رفْع لِشأنهم حين يُنْسَبون إلى مِثْل هؤلاء الأكابر ، وقدْ كان هؤلاء العلماء بالفعل يَفْتَخِرون بنسْبتهم إلى هؤلاء السّادة وبلبْسهم الخرقة على أيْديهم .

لِذا .. فإنّني لا أكون مُجافِياً لِلحقيقة حين أقول : إنّ أكْثَر مِن تسعين بالمائة مِن تراث الأُمّة الإسلاميّة إنّما كَتَبه السّادة الصّوفيّة ومريدوهم ، ومَن طَلَب الدّليل فلْيَقرأ تراجم هؤلاء العلماء الذين أَلّفوا تلك الكتب ؛ إذ أنّه سيصل إلى حقيقة مفادها أنّ مُعْظَم هؤلاء كانوا صوفيّةً أو مُحِبّين لِلصّوفيّة ، ولا يَبْقَى بَعْد

ذلك إلا نفر مُعْظَمهم مِن أصحاب العقائد الفاسدة : كابن تيمية وابن عبد الوهاب ومَن سار على نهْجهما .

والسَّيِّد إبراهيم الدَّسوقيّ ﷺ لم يُعْرَف له إلا القليل النّادر مِن المؤلَّفات ، وهي :

* شرْح على متْن أبي شجاع في فقْه الشّافعيّة ، وإنّه مِن فضْل الله تعالى ومنّه أنْ وَفَّقني لِلحصول على نسخة منه ، أُعِدّها الآن لِكيْ تُنْشَر قريباً بعونه تعالى ..

ومِن نافلة القول أنْ أذْكُر أنّ الذي أعارني هذه النّسخة ونسخة " لسان التّعريف " البيروتيّة - والتي أفَدْتُ منْها كثيراً في تصويب نصّ الكتاب - الأخ الفاضل الأستاذ عادل أبو المَجْد ، فجزاه الله خيراً وزاده كَرَماً على كرم وسخاءً على سخاء وأكْرَمه في الدّارين بجاه سيد الكوْنيْن .. آمين .

* كتاب " برهان الحقائق " ، وهذا الكتاب قدْ أكْثَر جلال الدّين الكركيّ مِن النّقْل عنه في كتابه هذا ، ويقال إنّه موجود بألمانيا ، ولَعَلّ الله أنْ يَمُنّ علينا بالحصول على نسْخة منه ؛ لِنَحُوز فضْل نشْره وتيْسيره لِمريديه ومُحِبّيه ﷺ .

* كتاب " الجَوْهَرة المُضيَّة " ..

وهذا الكتاب لنا رؤيتان فيه :

أمّا الأولى فهي : أنّ هذا الكتاب مجموع مِن أقوال سَيِّدي إبراهيم ﷺ وليس مؤلَّفاً له .

وأمّا الثّانية فهي : أنّ نسخة الكتاب الأصليّة لا زالت لم يُكْشَف عنْها النّقاب على الرّغْم مِن طبعة الرّفاعيّ التي اعْتمدَت على المخطوطة اللّندنيّة .

فأمّا أنّ الكتاب ليس تأليفاً لِسَيِّدي إبراهيم ﷺ فلِما يلي :

أوّلاً : أنّ المتّضِح مِن بداية الكتاب ونهايته أنّه قدْ جَمَعه بعض المريدين مِن وصايا سَيِّدي أبي العيْنيْن وكلامه ﷺ ..

ففي طبعة مكتبة الرّفاعيّ نَجِد في بداية الكتاب مقدّمةً لِجامعه الشّيخ محيي الدّين الصّفوريّ .. انظر الجَوْهَرة المُضيَّة /١٧

وفي نهاية كتاب " جَوْهَرة الدّسوقيّ " جاء ما نصّه : وإلى هُنَا قد انتهى ما

أَرَدْنَا جَمْعه مِمّا يفيد ذِكْره ويكْثُر نَفْعه مِن كلام شيْخنا وأستاذنا .. جوهرة الدّسوقيّ /١٢٧

مِمّا يدلّ على أنّ الكتاب في أصلّه ليس إلا جَمْعاً مِن بعض المريدين لِبعض وصايا وأقوال سَيِّدي إبراهيم ﷺ .

ثانياً : وجود عناوين تَفْصِل بيْن كلام سَيِّدي إبراهيم بأسلوب يَتَّضِح منه أنّ واضِع هذه العناوين هو ذات الشّخص الذي جَمَع هذه الأقوال ، **مِثْل** : " مِن كلامه " و" قال عَفَا الله عنه " و" مِن كلام سيدنا وشيْخنا " إلى غيْر ذلك مِن الفواصل التي تَجْزِم بأنّ الكتاب ليس تأليفاً لِسَيِّدي إبراهيم الدّسوقيّ ﷺ .

ثالثاً : سَنَة التّأليف كما جاء في نهاية طبعة الرّفاعيّ هي ٨٠٠ هـ (الجَوْهَرة المُضيَّة /٤١٤) ، وهو في الغالب نَفْس تاريخ " جَوْهَرة الدّسوقيّ " ؛ إذ أنّ النّسختان تَتّفقان في أنّ الخليفة الحيّ لِسَيِّدي إبراهيم ﷺ هو الشّيخ شَمْس الدّين محمد بن ناصر الدّين محمد بن أيّوب بن أبي المَجْد ﷺ (الجَوْهَرة المُضيّة /٣٧٦ وجَوْهَرة الدّسوقيّ /٩١) ، والشّيخ شمْس الدّين ﷺ قدْ تُوُفِّي سَنَة ٨٣٤ هـ ؛ مِمّا يَدُلّ على أنّ سَنَة تأليف الكتاب واحدة في النّسْختيْن ، أيْ أنّ الكتاب قدْ جُمِع بَعْد ما يزيد على ١٠٤ سَنَةً مِن وفاة سَيِّدي إبراهيم ﷺ .

رابعاً : احتواء الكتاب على أخطاء لغويّة ، وركاكة في الأسلوب ، ونقْص في إتمام المعنى المطلوب ، وتكرار مع زيادةٍ هُنَا ونَقْص هناك أو تقديم وتأخير في الجُمَل والعبارات في مَواضع كثيرة مِن الكتاب (سيّما في طبعة الرّفاعيّ على الرّغم مِن أنّها الأكمل) تَرْجع إمّا إلى جامِع الكتاب أو إلى النّسّاخ أو إلى كِلَيْهما الأمرَ الذي لا يُؤَهِّل الكتاب لأنْ يكون مؤلَّفاً يَشْتَمِل على رؤية ونَسَق ونظام أهْل العِلْم الذين دَرَجوا على وضْع فصول وأبواب وتَحاشَوْا التّكرار بغيْر داعٍ وملَكوا ناصية اللّغة بما فيها مِن بلاغة وإيجاز وقوّة في اللّفظ وصحّة في العبارة فما بالك إذا كان المؤلِّف سيداً مِن سادات أهْل العِلْم ووليّاً مِن أكابر أولياء الأُمّة وأوْحَد وقْته وشيْخ الإسلام في عصْره ؟!

خامساً : وجود كلام كثير لِغيْر سَيِّدي إبراهيم ﷺ أثْبَتَه جامِع الكتاب في الجزء

الأخير منه ، ويَظْهَر ذلك جليّاً في القصائد المذكورة في نهاية الكتاب والتي اشْتَمَلَت على قصائد لِسَيِّدي إبراهيم ﷺ كما اشْتَمَلَت على قصائد لِغيْره .

سادساً : وجود تَصَرُّف واضِح لِجامع الكتاب في الجزء الأخير منه ؛ حيث تَكَلَّم عن سَيِّدي إبراهيم ﷺ وعن وفاته وعن خلفائه مِن بَعْده دون وجود فاصِل يُشْعِر القارئ بأنّ كتاب " الجَوْهَرة " قد اخْتُتِم وأنّ هذا الكلام حاشية أو زيادة عليه ؛ مِمّا يدلّ على أنّ الكتاب كُلّه مِن بدايته إنّما هو مِن جَمْع شخْص آخَر غيْر سَيِّدي إبراهيم ﷺ .

سابعاً : الكتاب في مُجْمَله عبارة عن مَجالس وعظيّة ونصائح ووصايا ومكاتَبات ومراسَلات لِبعض الإخوان والمريدين ؛ الأمرَ الذي يَرْجُح معه أنْ يَكون الكتاب عبارةً عن تسجيل لأحد المريدين لِتلك المجالس والوصايا والمكاتَبات والمُراسَلات ، وليس تأليفاً لِسَيِّدي إبراهيم ﷺ .

ثامناً : ذِكْر الجلال الكركيّ لأقوال كثيرة لِسَيِّدي إبراهيم ﷺ وإشارته إلى أنّها موجودة في كتابَي " الحقائق " و" الجَوْهَرة " ، كما أنّ هناك أقوالاً أخرى كثيرةً ذَكَرها الجلال الكركيّ نقلاً عن كتاب " الحقائق " وقدْ أَثْبَتْنَا مَواضعها مِن كتاب " الجَوْهَرة " في هوامش هذا الكتاب ؛ مِمَّا يَدُلّ على أنّ كتاب الجَوْهَرة عبارة عن نقولات مِن أقوال سَيِّدي إبراهيم ﷺ جَمَعَها مؤلِّفه مِن كتاب " الحقائق " وغيْره مِن المصادر (كالمخطوطات أو تَناقُل المريدين لِبعض وصاياه ﷺ) ؛ إذ لا يُعقَل أنْ يُضَمِّن سَيِّدي إبراهيم ﷺ أقوالاً كثيرةً متَّحِدة اللفظ والمعنى في كتابيْن بِلا داعٍ لِذلك سيّما إذا كانت مؤلَّفاته كُلّها لا تَتَعَدَّى ثلاثة أو أربعة كُتُب .

وأمّا أنّ نسخة الكتاب الأصليّة لم يُكْشَف عنْها النِّقاب إلى الآن فلِمَا يلي :

أوّلاً : وجود فروق كثيرة ومتعدِّدة بيْن ما نَقَله الإمام الشّعرانيّ في طبقاته مِن كتاب " الجَوْهَرة " وبيْن نَفْس الفقرات في طبعة الرّفاعيّ وبيْن نَفْس الفقرات في " جوهرة التسوقيّ " ، مِمّا يدلّ على أنّ هناك أصلاً اعْتَمَد عليه الإمام الشّعرانيّ غيْر أصْل الطّبعات الموجودة لدينا .

ثانياً : ذِكْر الإمام الشّعرانيّ لأقوال لم أعْثُر عليها في طبعة الرّفاعيّ التي هي

أكْمَل الطّبعات الموجودة حالياً ، كما أنّ هناك أقوالاً في " جوهرة التسوقيّ " غيْر موجودة في طبعة الرّفاعيّ ؛ الأمرَ الذي يدلّ على أنّ كتاب " الجَوْهَرة " لم تَزَلْ نسْخته الأصليّة مفقودةً لم تُطْبَع .

ثالثاً : وصف الإمام الشّعراني لِكتاب " الجَوْهَرة " بأنّه " مُجَلّد ضخْم " (طبقات الشّعرانيّ /٢٨٦) ؛ فإذا كان الكتاب الذي بيْن أيْدينا لا تَتَعَدّى صفحاته الأربعمائة صفحة بأيّ حالٍ مِن الأحوال فإنّه مِن غيْر المُسْتَبْعَد أنْ يكون هناك كتاب آخَر مِن الجَوْهَرة هو أصْل لِكُلّ النُّسَخ الموجودة حالياً بما فيها طبعة الرّفاعيّ ، وأنّ هذا الأصل هو الذي نَقَل عنه الإمام الشّعرانيّ ووصَفه بأنّه " مُجَلّد ضخْم " ؛ إذ لا أحْسَب أنّ الإمام الشّعرانيّ يصفه بهذا الوصف إلا إذا كان ضِعْف طبعة الرّفاعيّ على الأقلّ التي تزيد على ضِعْف الطّبعات الأخرى لِلكتاب .

رابعاً : أنّ الضّعْف اللّغويّ الموجود في الطّبعات الموجودة حالياً يَرْجع سببه في الغالب إلى أنّ هذا الكتاب قد اشْتَهَر وانْتَشَر بيْن أيْدِي النّاس بَعْد تأليفه وتَنَاقَلَتْه العامّة ، ومِن المعلوم أنّ الوسيلة الوحيدة لاقتناء كتاب آنذاك كانت عن طريق نسْخه بخطّ اليد ، وكان في النّسّاخ الذين يقومون بهذا الأمر علماء أفاضل وكان فيهم ـ أيضاً ـ متوسطو الثّقافة وربّما منعدِموها وكان فيهم ضعفاء اللّغة ؛ الأمرَ الذي مِن أجْله بَعُد الكتاب في نُسَخه المتوفّرة لَدَيْنا عن أصْله ..

وقدْ حَدَث مِثْل هذا التّحْريف والتّصْحيف في كُتُب كثيرة ، نَذْكُر منْها الكتاب الذي بيْن أيْدينا الآن ، وكتاب " الدُّرّة الفاخرة في كشْف علوم الآخرة " لِحُجّة الإسلام الإمام أبي حامد الغزاليّ ﷺ الذي شَكّك البعض في نِسْبته إليه لِكثْرة ما فيه مِن تحريف وتصحيف ، ولكنّ الحافظ السّيوطيّ ﷺ أجاب عن ذلك بقوله : **" وأمّا قول مَن قال " إنّ " الدُّرّة الفاخرة " موضوعة على الغزاليّ " : فليس كما قال ؛ فقدْ نَسَبها إليه الأكابر ، منهم القرطبيّ في " التّذْكرة " ، ويَنْقِل منْها الصّفْحة والورقة بحروفها ، ومنْهم خاتمة الحُفّاظ أبو الفضل بن حَجَر في تخريج أحاديث الشّرْح الكبير .. نَعَم " الدُّرّة " الموجودة الآن مُشْتَمِلة على ألفاظ**

ركيكة وأشياء غيْر مستقيمة الإعراب ، والذي يَظْهَر أنّ ذلك مِن تغيير النُّسّاخ لِكثرة تَداوُل أيدي العامّة عليها ، فزادوا فيها ونَقَصوا وحَرَّفوا وغَيَّروا ، وقدْ نَقَل الحافظ ابن حَجَر في التّخْريج عنْها شيئاً ليس موجوداً فيها الآن ، فكأنّه مِمّا أسقَطه النُّسّاخ .. الحاوي لِلفتاوى ١١٩/٢

لِذا .. فإنّني أرَى أنّ النُّسَخ الموجودة بيْن أيْدينا الآن مِن " الجَوْهَرة " قدْ حَدَث فيها مِثْل الذي حَدَث في " الدُّرَّة الفاخرة " مِن تحريف وتصحيف وركاكة وضَعْف وزيادة ونَقْص ؛ لِكثرة تَداوُل الكِتَاب بيْن العامّة وغيْر أُولِي العِلْم ، وأنّ النُّسْخة الأصليّة التي ليس بها تلك المثالب لا زالت جنيناً في أحشاء الزّمان ، أسأل الله أنْ يَمُنّ علينا بظهورها قريباً بفضله وكَرَمه .

خامساً : أنّه على الرّغْم مِن أنّ الكتاب ليس تأليفاً لِسَيِّدي إبراهيم ﷺ إلا أنّ هناك ما يدلّ على أنّه ﷺ يَعْتمده ككتاب يَحْتوي على بعض أقواله ..

ومِمّا يدلّ على ذلك : ما حكاه السَّيِّد محمّد الشّهاويّ الحسينيّ ﷺ قال : كانت عندي النّسْخة المُبارَكة المُسَمّاة " الجَوْهَرة " لِسَيِّدي الشّريف سَيِّدي إبراهيم ﷺ ، فأَخذْتُها يوماً مِن الأيّام وتَوَجَّهْتُ إلى القاهرة المحروسة فأَرَدْتُ أنْ أحْفَظها وطالَعْتُها فرأيْتُ ورقةً قدْ فُقِدَت منْها ، فاغْتَمَمْتُ لأجْلها وحَصَل عندي ما حَصَل فبيْنَمَا أنَا كذلك في الوقت والسّاعة إذا برَجُل قدْ أَقْبَل عَلَيّ وبيده ورقة فقال لي : " اشْتَرِ منّي هذه الورقة " فأَخَذْتُها منه فرأَيْتُها الورقة المفقودة بعيْنها ، فوضَعْتُها في محلّها فإذا هي كما كانت ، والْتَفَتُّ إلى الرَّجُل فلم أجِدْه ، ولا شَكّ أنّ ذلك هو السَّيِّد إبراهيم .. هامش الجَوْهَرة (مخطوط بدار الكتب) /٧٦

ولا شَكّ أنّ إعادة سَيِّدي إبراهيم ﷺ لِلورقة المفقودة مِن " الجَوْهَرة " يدلّ على اعتماده واعتباره له ﷺ ، ولا أعْتقِد أنّه ﷺ يَعْتَمِد إلا النُّسْخة الأصليّة التي تَحْتوي على أقواله كما قالها دون زيادة أو نقصان ولا تحْريف ولا تصْحيف .

برهانيّة أم برهاميّة ؟! :

إذا كانت الرّفاعيّة تُنْسَب إلى سَيِّدي أحمد الرّفاعيّ ﷺ والقادريّة والجيلانيّة تُنْسَب إلى سَيِّدي عبد القادر الجيلانيّ ﷺ والأحمديّة والسّطوحيّة تُنْسَب إلى

سَيِّدي أحمد البدويّ السّطوحيّ ﷺ والشّاذليّة تُنْسَب إلى سَيِّدي أبي الحَسَن الشّاذليّ ﷺ فإنّ البرهانيّة والدّسوقيّة تُنْسَب إلى سَيِّدي إبراهيم الدّسوقيّ ﷺ الذي يُلَقَّب بـ" برهان الدّين " ويُنْسَب إلى " دسوق " مَسْقَط رأسه والتي عاش فيها طيلة حياته ، إلا أنّه مِن الغريب أنْ يَتَسَمَّى بعض المُنْتَسِبين إليه ﷺ بـ" البرهاميّة " ؛ إذ أنّ أصل نسبة هذه الكلمة إلى " برهام " ، ولمْ يُعْرَف لِسَيِّدي إبراهيم ﷺ اسم آخَر أو كنية أو لقب أو نسبة إلى " برهام " ، والمعروف المشهور عن سَيِّدي إبراهيم الدّسوقيّ ﷺ أنّ اسمه " إبراهيم " ؛ فمَن أراد أنْ يَنْتَسِب إليه كان " إبراهيميّاً " ، ولقبه " برهان الدّين " ؛ فمَن أراد أنْ يَنْتَسِب إليه كان " برهانيّاً " ، وهو " الدّسوقيّ " لأنّ دسوق مَسْقَط رأسِه وعاش حياته كُلّها فيها ؛ فمَن أراد أنْ يَنْتَسِب إليه كان " دسوقيّاً " ..

ولا أدري في الحقيقة ما هو سِرّ نسبة " البرهاميّة " إلى سَيِّدي إبراهيم ﷺ إلا أنْ تَكون النّسْبة الحقيقيّة والتّسْمية الصحيحة قد اخْتُزِنَت واذُخِرَت حتّى يأتي أوان زمان انتشار طريقته كما بَشَّر ﷺ بذلك كما مَرّ سابقاً :

ولا تَنْتَهي الدُّنْيَا ولا أيّامُها حتّى تَعُمّ الْمَشْرِقَيْن طريقتي

بيْن يَدَي الكتاب :

مِمّا يبدو لنا مِن عنوان الكتاب أنّ مؤلّفه يُعَرِّف أو بالأحْرَى يُلْقِي الضّوء على حال الوليّ الشّريف سَيِّدي إبراهيم ﷺ أو بمعنى أصَحّ وأدَقّ على بعض ما خَصّه الله به مِن مواهب ومَكارم وعطايا وهِبات منذ مولده المبارك ﷺ ، كما أنّه يَستَدِلّ لِهذه المناقب والمواهب بما جاء في الكتاب والسُّنّة وما حَصَل لِكثير مِن الأوْلياء مِن منازل وأحوال تُشْبِه إلى حدّ كبير تلك التي أُعْطِيَها ﷺ ..

وعلى الرّغْم مِن أنّ الكتاب لا يُعْتَبَر ترجمةً شاملةً متكاملةً لِسَيِّدي إبراهيم ﷺ إلا أنّه يُلْقِي الضّوء على كثير مِن جوانب ومناقب ومكارم وحياة ذلك القطب الكبير الذي لا نَجِد في كُتُب التّراجم عنه ما يروي الغليل أو يشفي العليل .

لِذا .. فإنّنا نَرَى أنّ لِهذا الكتاب أهميّةً بالغةً مِن خلال هاتيْن الزّاويتيْن السّالف ذِكْرهما .

الجلال الكَركيّ مؤلّف الكتاب :

هو الشّيخ جلال الدّين أحمد بن خيْر الدّين محمد بن أبي الخير الكركيّ الشّافعيّ ﷺ ، ولِد في أواخر القَرْن التّاسع الهجريّ ، شيخ طريقة سَيِّدي إبراهيم ﷺ في وقْته وإمام المسجد الإبراهيميّ بدسوق ، وهو من أُسْرَة تَنْتَسِب كُلّها في سلوكها إلى مدرسة سَيِّدي أبي العيْنين ﷺ ، وتَرْجع أُسْرَته في أصولها إلى مدينة الكَرَك ، وهي مدينة أردنيّةٌ تقع على قمة جبل مرتفع ، وتحيط بها أوديةٌ كثيرة على الطريق الممهّد الذي يصلها بعَمّان والعقبة جنوبًا ، وبمأدبا وعجلون وإربد شمالاً وهي مدينة قديمة مشهورة بحصْنها الذي يَعُود إلى عهد المؤابيّين ، وهي الآن مركز محافظة الكَرَك ..

أَخَذ ﷺ عن أبيه خيْر الدّين الكركيّ وعن فخْر الدّين الدّيميّ والجلال السّيوطيّ والكمال بن أبي شريف ..

مِن مؤلّفاته : الهديّة الدّسوقيّة في توحيد ربّ البريّة ، نور الحدق في لبْس الخِرَق ، الفتْح الذّوقيّ في الكلام على بعض كرامات سَيِّدي إبراهيم الدّسوقيّ ، مَراتب السّلوك إلى مَنازل السّلوك ، مُرْشِد الأُمَم لِشرْح الحِكَم ، طراز القاري يوْم ختْم البخاري ، المُسْعِدة شَرْح المُرْشِدة ، شفاء العليل في التّقْوَى والتّوكُّل على الرّبّ الجليل ، مَقْصِد آمالي بشرْح منظومة بدء الأمالي .

تُوُفِّي ﷺ في أواخر القَرْن العاشر الهجريّ .

عملي في هذا الكتاب

أوّلاً : قُمْتُ بمقابَلة نُسْخَة الكتاب على ثلاث نُسَخ :

أولاها : مخطوطة بدار الكتب المصريّة .

ثانيها : النّسْخة المطبوعة بتحقيق الأستاذ أحمد عزّ الدّين خلف الله سَنَة ١٩٦٩ م ، وقدْ أَفَدْتُ كثيراً مِن التّعليقات والمَلاحق الموجودة عليها سيّما فيما يَخْتَصّ بترجمة الجلال الكركيّ .

وثالثها : النّسخة المطبوعة ببيروت سَنَة ١٩٦٩ م .

ثانياً : قُمْتُ بالرّجوع إلى أصول كتب التّفْسير والحديث والتّصَوُّف التي نَقَل عنها الجلال الكركيّ لِتصويب ما يَلْزمه التّصويب فيما نَقَل وصُحِّف على أيدي النُّسّاخ ..

ويَشْهَد الله تعالى أنّني قدْ بذلتُ في سبيل تصحيح وتصويب نصّ الكتاب جهداً أحتسبه عند الله ورسوله والمؤمنين ، على أنّني لم أُثْبِت ما قُمْتُ بتصويبه في حاشية الكتاب ؛ لِكثْرته بصورة تَقْطَع على القارئ الاسترسال في قراءة نصّ الكتاب دون فائدة كبيرة تَعُود عليه ، وإنْ كان ذلك يخالف أصول التّحقيق المتعارَف عليها ، إلا أنّ نَفْع القارئ وفائدته هو جُلّ ما أصبو إليه ، غيْرَ أنّ مَن قرأ الكتاب قَبْل ذلك سوْف يَشْعُر بمدى ما بُذِل مِن جَهْد في سبيل الوصول إلى نسخة مِن الكتاب أَقْرَب ما تَكون إلى النُّسْخَة التي خَطّها الجلال الكركيّ بيده .

ثالثاً : قُمْتُ بإثبات أرقام الآيات الواردة في الكتاب وأسماء سُوَرها .

رابعاً : قُمْتُ بتخريج الأحاديث الواردة في الكتاب مع ذِكْر الصفحة ورقم المُجَلَّد أو رقْم الحديث ما أَمْكَن ذلك .

خامساً : قُمْتُ بنسبة الأقوال الواردة في الكتاب إلى قائليها إذا أَغْفَل الجلال الكركيّ ذلك ، كما قُمْتُ بإثبات مَواضعها في الكتب التي اعتَمَدْتُ عليها في ذلك وأشير هُنَا إلى أنّني قَدَّمْتُ الكتب التي اعتَمَد عليها الجلال الكركيّ على غيْرها .

على أنّني قد اقْتَصَرْتُ في تخريج الأحاديث والأقوال وغيْر ذلك على ذِكْر اسم الكتاب أو المؤلِّف عند النّقل عن بعض العلماء ، فإذا ذَكَرْتُ المؤلِّف كان المقصود كتاباً بعيْنه ، **وأشْهرها ما يأتي** : البخاريّ في الصّحيح ، مُسْلِم في الصّحيح ، النّسائيّ في السُّنَن ، أبو داود في السُّنَن ، التّرمذيّ في السُّنَن ، ابن ماجة في السُّنَن ، مالك في الموطّأ ، الدّارميّ في السُّنَن ، ابن حبّان في الصّحيح ، أحمد في المُسْنَد ، أبو نُعَيم في الحلية ، هنّاد بن السّريّ في الزُّهْد ، الطّبرانيّ في الكبير ، القضاعيّ في مُسْنَد الشّهاب ، البيهقيّ في السُّنَن الكبرى ، البزار في المُسْنَد ، الحكيم التّرمذيّ في نوادر الأصول ، ابن أبي شيبة في المُصَنَّف ، ابن أبي عاصم في السُّنَّة ، اللاّلكائيّ في اعتقاد أهْل السُّنَّة ، الحميديّ في المُسْنَد ، الدّيلميّ في مُسْنَد الفردوس ، عبْد بن حميد في المُسْنَد ، أبو داود الطّيالسيّ في المُسْنَد ، أبو يَعْلَى في المُسْنَد ، ابن المبارك في الزُّهْد ، ابن عديّ في الكامل ، ابن عبد البرّ في التّمْهيد ، أبو الحَسَن الهيْثميّ في موارد الظّمْآن ، معمر بن راشد في الجامع ، ابن إسحاق في السّيرة ، ابن سعْد في الطّبقات ، الخطيب البغداديّ في تاريخ بغداد ، ابن حَجَر العسقلانيّ في الإصابة ، التّاج السُّبكيّ في طبقات الشّافعيّة الكبْرى ، القشيريّ في الرّسالة ، السُّلَميّ في طبقات الصّوفيّة ، ابن الملقّن في طبقات الأولياء ، ابن الجوزيّ في صفة الصّفوة ، ابن كثير في التّفْسير ، أبو المحاسن الحنفيّ في مُعْتَصر المُخْتَصر .

سادساً : قُمْتُ بعمل تراجم لِلأعلام الواردة في الكتاب ، وقد جَمَعْتُ في هذه التّراجم بيْن التّحقيق العلميّ - الذي يَعْتَمِد على ذِكْر اسم المُتَرْجَم له ونسبِه وكُنْيته ولقبه ومكان المولد وتاريخه ومكان الوفاة وتاريخها وأهمّ شيوخه وأهمّ تلامذته (١) وأهمّ مؤلّفاته إنْ وُجِدَت - وبيْن التّرْجمات الصُّوفيّة التي تَعْتَمِد في الأساس على ذِكْر بعض كراماته ومناقبه وحكاياته وأقواله التي يَسْتَفيد منْها

(١) وقد اقْتَصَرْتُ في ذِكْر الشّيوخ والتّلاميذ على ثلاثة شيوخ وثلاثة تلاميذ ، وقد بدأتُ بشيوخ المُتَرْجَم له وتلامذته في التّصَوُّف ثُمّ ارْتَقَيْتُ بَعْد ذلك بشيوخه وتلامذته في غيْر ذلك مِن الحديث والقراءات والفقه واللُّغة ... إلخ .

السّالكون إلى الله (١) ، وقدْ جَمَعْتُ مِن حكايات وأقوال السّادة المُتَرْجَم لهم دُرراً وجواهر ونفائس بما يَجْعَل مِن الكتاب موسوعةً صوفيّةً مِن الطّراز الأول (٢) .

سابعاً : قُمْتُ بالتّعليق في كثير مِن مَواضع الكتاب ؛ وذلك لِشَرْح معنى قدْ يَكون غامضاً ، أو لإثبات وتأكيد ما ذهب إليه المؤلِّف في المَواضع التي ارتأيْتُ أنّها تحتاج إلى تأكيد ، أو لِمخالَفة ما ذهب إليه المؤلِّف وإثبات عَكْس ما رأى ..

علي أنّني لم أخالف في مواضع كثيرة مِن الكتاب ، وإنْ كان أهمّها موْضعيْن :

الأول : ذهاب الجلال الكركيّ إلى أنّ الأوْلى في الحلاّج ﷺ التّوقُّف في أمْره ، وقدْ قُمْتُ بالتّعليق على هذا الرّأي وإثبات براءة الحلاّج ﷺ مِمّا نُسِب إليه وتفسير ما حَدَثَ له مِن خلال ثلاث رُؤَى مخْتلِفة الزّوايا .

الثّاني : قوله أنّ سَيِّدي أبا الفتْح الواسطيّ ﷺ كان جدّاً لِسَيِّدي إبراهيم الدّسوقيّ ﷺ ، وقدْ قُمْتُ بإثبات أنّ سَيِّدي أبا الفتح الواسطيّ كان خالاً لِسَيِّدي إبراهيم الدّسوقيّ ﷺ وأخاً لِسَيِّدي أبي الحَسَن الشّاذليّ ﷺ والسَّيِّدة فاطمة الشّاذليّة رضي الله عنها ، وهو ما أخَذْناه عن الإمام فخْر الدّين السَّيِّد محمد عثمان عبده البرهانيّ ﷺ .

ثامناً : قُمْتُ بعمل المقدّمة السّابقة ، والتي تناولتُ فيها مسألة مشروعيّة واستحباب الكلام على الصّالحين ، وتكلّمتُ على التّراث العِلْميّ لِسيّدي إبراهيم الدّسوقيّ ﷺ وسبب عدم إكثاره مِن التّأليف .

تاسعاً : قُمْتُ بعمل ترجمة موجَزة لِمؤلِّف الكتاب الجلال الكركيّ .

عاشراً : جَمَعْتُ مجموعةً كبيرةً مِن أقوال سَيِّدي أبي العيْنيْن ﷺ أزْعُم أنّها

(١) ولْيعْذرني القارئ الكريم إنْ كانت تلك التّراجم رُبّما تَقْطَع استرسال القارئ في قراءة نصّ الكتاب بعض الشيء ، إلا أنّ تلك المثلبة تتضاءل أمام الفائدة التي سَيَشْعُر بها القارئ مِن مطالَعته لِتلك التّراجم وما حوته مِن حِكَم ووصايا ونصائح تَلْزَم كُلّ مريد سالك .

(٢) وقدْ بدأتُ بذِكْر الأقوال التي يَتَحَدّث فيها صاحِب التّرجمة عن حاله أو مقامه أو مَنْقَبَة أو خصيصة أو مَكْرُمة مِن الأحوال والمقامات والمناقب والخصائص والمَكارم التي أنْعَم الله بها عليه ، ثُمّ أتْبَعْتُ ذلك بأقواله التي تَحتوي على وصاياه ونصائحه وعلومه وغيْر ذلك .

لم تَجْتَمع في كتاب قَبْل ذلك ، أُورِدها بَعْد هذه المقدِّمة مباشَرةً .

وأخيراً .. فإنّ ما كان مِن توفيق وسداد في تحقيق هذا الكتاب فمِن فضْل الله ورسوله والمؤمِنين ، وما كان غيْر ذلك فمِنْ نَفْسي والشّيطان ، وما أنا إلا كما قال القائل :

أَسِير خَلْف رِكَاب النُّجْبِ ذَا عَرَجٍ ... مُؤَمِّلاً جَبْرَ ما لاقَيْتُ مِن عِوَجِ

فإنْ لَحِقْتُ بهمْ مِن بَعْد ما سبقوا ... فكمْ لِرَبِّ الورى في النّاس مِن فَرَجِ

وإنْ ظَلَلْتُ بِقَاعِ الأرض مُنْقَطِعاً ... فما على أَعْرَجٍ في النّاسِ مِن حَرَجِ

أسأل الله تعالى أنْ يَنْفَع بهذا الكتاب كُلّ مَن قرأه ، وأنْ يَجْعَل ما بُذِل فيه مِن جهْد قُرْبةً إلى الله ورسوله والمؤمِنين ، وأنْ يُخَلِّصنا مِن الرِّياء والعُجْب ورؤية النَّفْس ، وأنْ يَخْتِم لنا بالموْت مُسْلِمين ، وأنْ يَحْشُرَنا تَحْت لواء سيد الخَلْق أجمعين ، وأنْ لا يَحْرِمنا صحبة الصّالحين في الدّارَيْن ، وآخِر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالَمين ..

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آلِه وصَحْبه وسلَّم .

عاطف وفدي

المنصورة في ٢٠٠٤/٣/١

مِـن أقـوالـــه ﷺ

أُلْفِت نظر القارئ الكريم قَبْل ذِكْر أقوال سَيِّدي أبي العيْنيْن ﷺ إلى ما يلي :

أوّلاً : أنّني جَمَعْتُ أقوا ﷺ من الكثير من الكتب ، **وأهمّها** : الجَوْهَرة المُضيَّة جوهرة الدّسوقيّ ، الطّبقات الكبرى لِلإمام الشّعرانيّ ، العهود المحمّديّة لِلإمام الشّعرانيّ ، الكواكب الدّرّيّة لِلإمام المناوي .

ثانياً : أنّ هناك اختلافاً كبيراً في رواية أقواله ﷺ عند تكرارها في كتاب " الجَوْهَرة " أو بيْن ما وَرَد في " الجَوْهَرة " وما وَرَد في غيْره كطبقات الشّعرانيّ ، لِذا فإنّني قدْ قارنْتُ بيْن سائر روايات الأقوال واخْتَرْتُ منْها أكْمَلها وأصحّها لغويّاً وأضَفْتُ إليها ما وَرَد من زيادة في الرّوايات الأخرى .

ثالثاً : أنّني لم أذْكُر الأقوال التي ذَكَرها الجلال الكركيّ في كتابه هذا ؛ فإنّ في ذلك تكراراً بِلا كثير جَدْوَى .

رابعاً : أنّني قدْ رَتَّبْتُ هذه الأقوال على حروف المُعْجَم ؛ حتّى يَسْهُل على القارئ الوصول إلى ما يريد منها بسهولة ويُسْر .

وهذه هي أقواله ﷺ :

- إبليس خالَف في سجدة واحدة فطَرَده وأبْعَده وأبْلَسه ونكّد عليه ومَنَعه لذّة طَعْم الوصال وحقّره ولَعَنه وخَلَع عنْه ثوْب هُدَاه وطَرَح قَدْره بَعْد عُلُوّ أمْره ومَحَاه من رُتْبته ومَحَاه من ديوان الملائكة .

- اتّقوا فراسة المؤمن ؛ فإنّه يَنْظُر بواطنكم بنور الله تعالى فيَجِد فيها ما يُسْخِط الله تعالى .

- أحْبِبْه يحبّك أهْل الأرضين والسّماء ، وأطِعْه يُطِعْ لك الجنّ والإنس ومَن هو في الثَّرَى ، ويجفّ لك البحر والماء ويُعْطِك طريقاً يبساً ، ويُطِعْ لك الهواء ، ويُرِك عجائب صَنْعته ، والأرض تُطْوَى لك .

- أُحِبّ يا ولدي أنْ تكون مُتَنَسِّكاً لا تحيد ، خاشعاً خاضعاً متذلّلاً لِكُلّ هوًى ،

سكران من حب مولاه ، لا التفات له إلى زوجة ولا إلى ولد ولا أخ ولا صاحب ولا وظيفة دنيويّة ، ولا يَلْتَفِت لِسِوَى مولاه .

– احذر البغي والغيّ ، ولا تَتَعَلَّق من الدُّنْيَا بشيء ، واحْذَر من أهْل العبث ، وأَحْسِن الظَّنّ بالله ، واعْبُد الله ، وتَوَكَّل على الله ، وأَقْبِلْ وعِ ، واسْمَع وعْظِي وفِعْلي وما أنَا لك أُحَدِّث ، واقْرَع بابه عسى أنْ تَكون من أحبابه ، واقْرَعْه بتَذَلُّل وخشوع وبكاء على ما صَنَعْتَه ودموع وسجود وركوع وخضوع وقنوع .

– احذر يا هذا أنْ يَمْنَعك حظّ نَفْسك بلوغ الثّناء ، وشؤم رأيك وفِعْلك منازلَ الأولياء ، وقُمْ دائماً واسْجُدْ واركَعْ واخْشَعْ واخْضَعْ تُبْصِرْ بنور البصيرة جَمالاً يريك ما تَحت قَعْر الثَّرَى .

– احفظ فَرْجك ، وأدِّ فَرْضك ، وأَوْفِ عهْدك ، واقْضِ وعْدك ، واحفظ لسانك ، واشتغِل بشانك ، ووبِّخ نَفْسك ، وأَقْلِل في عيْنك عملك ، ولا تَتَحَدَّث حتّى يملأك الله نوراً وبهجةً وسروراً ، ثُمّ بَعْد ذلك فلِلعِلْم تَرِث .

– أَخْلِص لله قَلْبك وعملك ، ولا تَجْعَل بُعْدك عن الله تعالى فيكون فيه هلاكك في دنياك وآخرتك ، واعْبُدْه حتّى يَطَّلِع على قَلْبك ولا يَرَاك تَطْلُب مالاً ولا حياةً ولا بنين ولا نِعماً ، وحينئذٍ يبْتليك ؛ فاصْبر تَنَلْ قصْدك ، واتّقه ما استَطَعْت .

– إدخال السّرور على قلوب المؤمنين من الأعمال الزّكيّة ؛ لأنّ مَن أدْخَل سروراً على قَلْب مؤمن أَدْخَله الله الجَنّة بلا حساب .

– إذا أَخَذْتَ يا ولدي وصيَّتي بالقبول وجَهدْتَ في سِرّك وعَمِلْتَ في جهْرك واتَّبَعْتَ طريق هُدَاك وأَخْلَصْتَ لِمولاك وراقَبْتَه لَتَسْمَعَنّ كلام شَيْخك ولو كُنْتَ بالمَشرِق وهو بالمغرب ، ولَتُبْصِرَنّ شَبَح شَخْصه ، فمَهْمَا وَرَد عليك من مُشْكِلات سِرّك أو شيء تَسْتَخِير فيه ربّك أو أحد يَقْصِدك بأذىً أو رأي تُحِبّ أنْ تَسْتَرْشِد فيه أحداً أو غيْر ذلك فوَجِّهْ وجْهك وصَفِّ سِرّك وأَطْبِقْ عَيْن حِسّك وافتح عَيْن قَلْبك ؛ فإنّك تَرَى شَيْخك وتَسْتَشيره في جميع أمْرك ، وتَطْلُب منه حاجتك ، فمَهْمَا قال لك فاقْبَلْه منه وامْتَثِلْه .

– إذا أَرَدْتَ أنْ تَجْتَمِع على ربّك فطَهِّر باطِنك وضميرك من الخبث والنِّيَّة

الرَّدِيَّة والإضمار بالسّوء لأحد مِن خَلْق الله عَزّ وجَلّ .

– إذا أَرَدْتَ أنْ تَكون مِن المُحْسِنين فاذكر أخاك إذا تَوَارَى عنك بمِثْل الذي تُحِبّ إذا توارَيْتَ عنه تَكُنْ مِن المُحْسِنين ، ولا تَتَشاغَل عمّا فُرِض عليك بما قَدْ ضُمِن لك ؛ فليس بفائتك ما قُسِم لك ، ولستَ بلاحق ما زُوِي عنْك ؛ مكتوب في الـ... :(يَا ابْنَ آدَمَ .. خَلَقْتُكَ وَخَلَقْتُ لَكَ رِزْقَـ... ، فَبالزِّيَادَةِ فِيهِ لا تطْمَعْ ، وبالنقصان مِنْهُ فَلاَ تَجْزَعْ ، وَاطْلُبْنِي تَجِدْنِي ؛ فَإِنْ فُك فقَدْ فَاتَك كُ شَيْءٍ ، وَإِنْ حصلْتُ لَكَ فَقَدْ حَصلَ لَكَ كُلُّ شَيْء) .

– إذا اشْتَغَل المريد بالفصاحة والبلاغة فقدْ تودّع منه في الطّريق ، وما اشْتَغَل أحد بذلك إلا وقُطِع به ، وأمّا حكايات الصّالحين وصفاتهم فمُطالَعتها لِلمريد جنْد مِن أجناد الله تعالى ما لم يَقْنَع بها في الطريق .

– إذا أَطَعْتَ الله حقّ الطّاعة باليقين الصّادق أطاع لك الماء والنّار والأرض ، وأطاع لِكُلّ مَن يَصْدُق مِن الصّادقين الماء والهواء والخطوة والإنس والجنّ .

– إذا امْتَثَلْتَ إشاراتي واتَّبَعْتَ كلماتي رَشُدْتَ وسَعِدْتَ ، فحينئذٍ تأمر النّاس بالمعروف وتنهاهم عن المُنْكَر .

– إذا تَجَلَّى عروس الكلام على رتبة الإلهام في سرائر الأفهام ولاح مِن الغيب لائح العناية الأبديّة والسّعادة الأوليّة طَلَعَت شموس المَعارف وتَجَلَّى البدر المنير في اللّيل البهيم ، فَهُمْ سكْرَى الظّواهر صَحْوَى البواطن والضّمائر والسّرائر ، إذا جَنّ عليهم اللّيل باتوا قائمين متهجّدين ، فإذا هَبّ عليهم نسيم السَّحَر مالوا مُسْتَغْفِرين ، قَطَعوا البيداء في المجاهَدة فأَصْبَحوا واصلين ، فلَمّا رجعوا عند الفجر بالأجر نادَى منادِي الهَجْر : يا خيبة النّائمين .

– إذا تَقَدَّم أحدكم لِلصّلاة فلْيَقُمْ بالنيَّة والخوف والهيبة والإيمان وصِدْق الإسلام والصّفاء والعفاء وحُسْن الإسلام ومعرفة صَلاته والمعرفة بماذا قام وبماذا صلّى ويُحْضِر قَلْبه بيْن يَدَيْ ربّه لَعَلّ أنْ يكون مِن المقبولين .

– إذا حَفِظْتَ يا هذا الشّرائع المحمّديّة والحقائق الإلهيّة والأخبار النّبويّة والعلوم المرضيّة والسُّنّة المحمّديّة كان لك ما هُمْ فيه وشَرِبْتَ مِن بَحْر هُمْ فيه يَعُومون

ويَسْبَحون ، شَرِبوا مِن زُلاَله فَهُمْ شاكرون ، وغرقوا في قَعْره فَهُمْ محقّقون ، لَمّا علِم مولاهم صِدْقهم ووفاءهم ورقّة قلوبهم وما هُمْ عليه سائرون رَزَقهم وأعانهم وأغاثهم .

- إذا حقّق الرَّجُل إسلامَه وأتْقَن إيمانَه فقدْ فاز باليقين ؛ لأنّ المُقِرّ بالشّهادتيْن بلا إتيان فروض الدين فهو مسكين ، فإذا أتَى بالإسلام والشّريعة المطهّرة بالإيمان وأداء الفرائض المفروضات مِن الصّلاة والصّوم والزّكاة والحجّ والحلال وضبْط الدّين في الأعمال والأفعال والأقوال كان هو المُسْلِم المؤمِن ؛ فإنّ رسول الله ﷺ يقول ﴿ المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ ﴾ ، فإنّ الله تعالى قد حَرَّم الْهَمْز واللّمْز والْغَمْز والتّنابُز والغِيبة والنّميمة والكفر والفسوق والعصيان .

- إذا رمَيْتَ مَن يُحِبّه الله تعالى بالبهتان والزُّور وتَجَرَّأْتَ على مَن قَرَّبه الله تعالى أبْغَضَك الله تعالى ومَقَتَك ، فلا تُفْلِح بَعْد ذلك أبداً ولو كُنْتَ على عبادة الثَّقَلَيْن .

- إذا سَلَك السّالك في العِلْم طريق الشّريعة والمحبّة والمعرفة الحسنة أفادته الإخلاص والصِّدْق والعِلْم والعقد واليقين والتّقوى والحقائق والدّقائق والطّريق ، وأفاده ذلك عِلْم اليقين وعيْن اليقين وحقّ اليقين وحقيقة حقّ اليقين .

- إذا سلَكْتَ مَسالك الحلال المأمور به المندوب إليه المفروض عليك كُنْتَ مِمَّن اتَّبَع الهدى ، فتَكون تناجي ربّك ؛ إنْ دعوْتَه أعطاك ، وإنْ سَأَلْتَه لَبّاك ، تَكون غوثاً وغياثاً ورحمةً ، يكْشِف لك عن حجاب نَفْسك لِتَرَى وجود صَنْعته فيك ، ويُحْضِر ذِهْن فِكْرك لِتَرَى ، ويُحْضِر عجائب قُدْرته فيك .

- إذا صَدَق الفقير في الإقبال على الله تعالى انقلبَت له الأضداد ، فعاد مَن كان يبْغضه يُحِبّه ، ومَن كان يقاطِعه يواصِله ، ومَن كان لا يشْتهيه يُثْنِي عليه ، ولا يصير يكْرهه إلا مُجْرِم أو مُنافِق .

- إذا صَفَت المعامَلة وصَدَقَت التَّوْبة وخَلُصَت السّريرة قامت الأعضاء ؛ فلِكُلّ عضْو مجاهَدة ، وعلى كُلّ عضْو حقّ وزكاة .

- إذا صقَلْتَ مرآة قَلْبك أبْصرَتْ عيْن بصيرتك وسطَعَت الأنوار بباطنك وطَلَعَت شموس المَعارف بسِرك ولَمَع ضياء الإشراق في ساحات صفحاتك وساح الفيض في ساحاتك وتلألأ النّور في أرجائك وانْكَشَف عن غوامض الغوامضِ الغطاءُ لك وتَزايَد عطاؤك وانهَلّت سُحُب الغمام وسِجَال الأسجال .. هذا مقام الرِّجال كلّما أخْلَص العبد عمله كلّما هَطَل مِن المدد عليه وابِله وطلّه .

- إذا كان العبد مُدْمِناً لِشيء فيه غضبه تعالى فلْيَتُب ولْيَحْذَر الوقوع في كبائر الذّنوب وصغائرها ؛ فإنّ الله قدْ بيّن في السّالفة عِبَراً وسِيَراً وخبراً وأثراً ؛ فذلك أنّ الله حَذّر وأنْذَر وزَجَر خَلْقه مِمّن مَضَى لَمّا كانوا على المعاصي كيْف فَعَل بهم وأبادهم ، وكانوا أشَدّ منْكم بطشاً وأشَدّ قوّةً ؛ كانت رءوسهم تَحُكّ السّحاب ، فأرْسَل عليهم مِن بلائه ما أرْدَاهم ، فأصبَحوا كأنّهم أعجاز نَخْل خاوية .

- إذا كان المقتدي بالشّرائع والكتاب واقفاً بيْن الأمر والنّهي كان فَتْحُه حقيقيّاً ، حتّى يَفُكّ به كُلّ مُشْكِل ، ويَحُلّ به كُلّ طَلْسَم ، ويَعْرِف بـه كُلّ مُبْهَم ، وأمّا إذا كان فَتْحُه حِفْظ كلام وترتيب وصف مقامات فذلك ليس بفتْح ، إنّما هو حِجَاب له عن إدراك الإدراك وعنْ مشاهَدة علوم الحقّ ، وليس مَن وَصَف كمَن عَرَف وحمل ونَطَق بلِسان العرفان ، وكم مَن حَمَلَتْه العناية حتى شاهَد ومع ذلك فلو سُئِل عنْ وصْف المقامات ما وَصَفَها ، ومقصودي لِجميع أولادي أنْ يكُونُوا ذائقين لا واصفين ، وأنْ يأخذوا العلوم مِن مَعادنها الرّبّانيّة لا مِن الصّدور والطروس ؛ فإنّ القوم إنّما تَكلّموا عمّا ذاقوا وقلوبهم كانت ملآنةً بعطاء الله تعالى ومَواهِبه ، ففاضت منها قطرات مِن ماء الحياة التي فيها فانفجرَت علومهم عنْ عين عيْن عيْن عنْ حاصِل ماء الحياة ، وأمّا الواصف فإنّما هو حاكٍ عن حالِ غيْره ، وعند التّخلّق والفائدة لا يَجِد نقطةً ولا ذرّةً مِن ذَوْق القوم ، ويُنادَى عليه : هذا الذي قَنَع بالقشور في دار الغرور ، ولقدْ أدْرَكْنَا رجالاً وأحدُهم يستحيي أنْ يَذْكُر مقاماً لم يَصِل إليه ، ولو نُشِر بالمناشير لم يَصِفه ..

فيا جميع أولادي .. إذا سألكم أحد عن التّصَوُّف ـ مَثَلاً ـ أو عن المعرفة والمحبّة فلا تجيبوه بلسان قالِكم حتّى يبْرز لكم مِن صِدْق معاملتكم ما برز لِلقوم

فيكون كلامكم عنْ حاصِل وعنْ محصول ، فإذا قام أحدكم بالأوامر الدِّينيّة وصَدَق في العمل تَرْجَم لسانه بالفوائد التي أثْمَرَت مِن صِدْقه ، وكُلّ مَن ادَّعَى الصِّدْق والإخلاص ولم يَحْصُل عنده ثمرة الأدب والتّواضع فهو كاذب ، وعملُه رياء وسمعة لا يُثْمِر له إلا الكِبْر والعُجْب والنِّفَاق وسوء الأخلاق شاء أم أبَى .

- إذا كُنْتَ يا بَطّال بَطّالاً تأمر النّاس بالعمل قالوا :" يُعَدِّل هذا نَفْسه ويَقُوم ويَصُوم ! " ، وإذا كُنْتَ عَمّالاً ولم تَعِظْهُم وَعَظَتْهم أعمالك التي يرونها ؛ فإنّ الأعمال أعْظَم موعظةً مِن الأقوال ، فإذا اجْتَمَعَت فيك فائدة استدامة العمل ووَعَظْتَ أجابك كُلّ أحد ، وإنْ لمْ تَكُنْ عَمّالاً سألْتُك بالله العظيم لا تَعِظْ أحداً ولا تُتَوِّبهم فيَضْحكوا عليك ويَرْجعوا .

- إذا كَمُل العارف في مقام العرفان أوْرَثه الله عِلْماً بِلا واسطة ، وأخَذ العلوم المكتوبة في ألواح المَعاني ، ففَهِم رموزها وعَرَف كنوزها ، وفَكّ طَلْسماتها وعَلِم اسْمَها ورَسْمها ، وأطْلَعَه الله تعالى على العلوم المُودَعة في النُّقَط ، ولولا خوف الإنكار لَنَطَقوا بما يُبْهِر العقول ، وكذلك لهم مِن إشارات العبارات عبارات مُعْجَمة وألْسُن مختلِفة ، وكذلك لهم في مَعاني الحروف والقَطْع والوصْل والهَمْز والشَّكْل والنَّصْب والرَّفْع ما لا يُحْصَر ولا يَطَّلِع عليه إلا هُمْ ، وكذلك لهم الاطِّلاع على ما هو مكتوب على أوراق الشَّجَر والماء والهواء ، وما في البَرّ والبحر ، وما هو مكتوب على صفحة قبّة خيمة السّماء ، وما في جِبَاه الإنس والجانّ مِمّا يقع لهم في الدُّنْيَا والآخرة ، وما تَحْت التّحْت ، ولا عَجَب مِن حكيم يَتَلَقَّى عِلْماً مِن حكيم عليم ؛ فإنّ مواهب السِّرّ اللَّدُنِّيّ قدْ ظَهَر بعضها في قصّة موسى والخَضِر عليهما السلام .

- إذا نامت العيون وتَجَلَّى الحيّ القيّوم فأَحْضِرْ قَلْبك وقُمْ بيْن يَدَيْ ربّك وابْتَهِلْ إلى مولاك تَنْزِل عليك البركات ويَشْمَلك بالسّعادات ويُوَضِّح لك المُشْكِلات ويَكْشِف لك عن المُغَيَّبات .

- إذا وقفْتَ في جُنْح الليل فاعلم لِمَن تَقِف وبيْن يَدَيْ مَن تَقِف ، وحَقِّق العبوديّة بوظائفها ، واخضع خضوع الأرقّاء بِذُلّ وانكسار وتَضَرُّع وبكاء ودموع غِزار

مِن غيْر شعث ولا صراخ ؛ فـإنّ ـ يـا إخوانـي ـ حضـرة الملـوك مـا تَكـون إلا ساكنةً لطيفة الأدب والرّقّة ؛ فلَعلّك تَظفَر بوقت تَنفَتِح الخزائـن وتُفَرّق الأنصبـة وتُوَزَّع الغنائم .

– أسـأل اللـه تعـالى أنْ يُلْحِق بقيّـة أولادي بمَـن خَلُـص معـي ويَجْعَلهـم مِثْلهـم فيُشْفِقون على إخوانهم ويَنْصَحونهم مع تَجَنُّب أموالهم .

– اسْتَعِنْ بالله تعالى في جميع الأمور ، وكُنْ في جميـع أمـورك عـابداً ، وصُـنْ قصْدك وعزْمك .

– اسْلُكْ طريق النُّسُك على كتاب الله تعالى وسُنَّة نَبِيِّه محمـد ﷺ وإقـام الصـلاة وإيتاء الزّكاة وصوْم رمضان وحجّ البيـت إن اسْتَطَعْتَ إليـه سـبيلاً ، وعلـى أنْ تَتَّبِع جميع الأوامر الشَّرْعيّة والسُّنَن الدِّينيّة والأخبار المَرْضيّـة والأفعـال السَّـنِيّة والآثار النّبويّة والمناهج السّديدة الرّشيدة الشّريفة ، وغَضّ البصر وعفّة المَطْعَم وكفّ اليد وعفّ الفَرْج وحِفْظ اللسـان وصِدْق القـول فـي البيـان والذِّكْـر والفِكْـر والشُّكْر والصَّبْر والسّخاء والعفاء والمـروءة والفتـوّة والحيـاء والرّأفـة والرّحمـة والبذْل والعطاء والخروج عن بواعث النّفاق ، والاشتغال بطاعة اللـه عَزّ وجَلّ قولاً وفعلاً واعتقاداً ، ولا تَنْظُر يا ولدي إلى زخارف الدُّنْيَا ومطاياها وملابسـها ورياشها وحظوظها ، واتبع نبيَّك محمداً ﷺ في أخلاقـه ، فـإنْ لـم تسـتطع فـاتبع خُلُق شَيْخك ، فإنْ نزلْتَ عن ذلك هَلَكْتَ يا ولدي ، واعلم أنّ التَّوْبة ما هي بكتابة درج ورق ، ولا هي كلام مِن غيْر عمل ؛ إنّمـا التَّوْبـة العـزم علـى ارتكـاب مـا المو ، دُونه ، صُفّ أقدامك يا ولدي في حندس اللّيل البهيم ، واقْطَـع ليْلـك بكـاءً ونحيبـاً ، ولا تَكُـنْ مِمَّـن يَشـتغِل بالبطالـة ويَزْعُـم أنّـه مِـن أهْـل الطّريقـة ؛ فمَـن استهزأ بالأشياء استهزأت به ، فأهْل الطّريقة إنّما هُمْ على قَـدَم التّفريد والصّيام والقيام والذِّكْر والمداوَمة والدّيانة والخيريّة والمعرفة والمحبة لِله ولِرسوله ﷺ ، واعلم أنّ الأيام تنقضي والآجال تنطوي والأعمال تلتوي .. والسّلام .

– أسْلَم التّفسير ما كان مرويّاً عن السّلف ، وأنْكَره ما فُتِح بـه علـى القلـوب فـي كُلّ عصْر ، ولولا مُحَرِّك يُحَرِّك قلوبَنا لَمَا نَطَقَت إلاّ بما وَرَد عن السَّلَف ، فـإذا

حرّك قلوبَنا وارد استَفْتَحْنَا باب ربّنا واستَأْذَنّاه وسألْناه الفهم في كلامه ، فنتكلّم في ذلك الوقت بقَدْر ما يَفْتَحه على قلوبنا ، فسَلِّموا لنا تَسْلَمُوا ؛ فإنّنا فخّارة فارغة والعِلْم عِلْم الله تعالى .

- اسمع يا عديم العقل والرّشاد يا كثير الجهل والعناد .. أمَا تَعْلَم أنّ ربّك بالمرصاد ؟! يا من يُغْلِق دون خالِقه الأبواب .. يا مَن يَخْطُو بالمعصية والفساد أمَا تَخْشَى مِن العذاب وسوء المُنْقَلَب الحساب وهول المَطْلَع والعِقاب ؟! وتَنْحَدِر مِن هذه الدّار ؛ فإنّها دار ذهاب ومصيرها إلى الخراب .

- اصبِر واصْطَبِر وجاهِد وداوِم على الطّاعة تَسْلَم مِن هول يوْم القيامة .

- أصحاب العطاء كثير ، وأهْل هذا الزّمان ما بقي عندهم إلا المناقَشَة ؛ إمّا يسألون عن معنى الصّفات أو معنى الأسماء أو معنى مُقَطّعات حروف المُعْجَم ، وهذا لا يليق بالمُبْتَدِي السّؤالُ عنه ، وأمّا المُتَمكّن فله أنْ يُلَوِّح بذلك لِمَن يَسْتَحِقّ فإنّ عِلْمها طريق الكشف لا غيْر ، وأمّا مَن اشتغَل بحفظ كلام النّاس أو جَمْع الحقائق ولسان المتكلّمين في الطُّرُق والطّرائق فمتى يعيش عُمُراً آخَر حتّى يَفْرُغ مِن عُمُر الفَناء إلى عُمُر البقاء ؟! فإنّ القوم كانوا مُحِبّين ، وكُلٌّ منهم يَتَكلّم بلسان محبّته وذوقه ، فهو كلام لا يُحْصَر وبَحْرٌ غَرِق فيه خَلْق كثير ولا وصَل أحد إلى قَعْره ولا إلى ساحِله ، وإنّما يَذْكُر العارف كلام غيْره تَستُّراً على نَفْسه أو تنفسياً لِمَا يَجده مِن ضيق الكتمان .. آه آه .. ولقدْ شَهِد الله العظيم أنّي ما أتَكلّم قطّ أو أخُطّ في قرطاس إلا وأتَوَخّى أنْ يكون ذلك شاغلاً أو بياناً لِمعنى غامض على النّاس لا غيْر ؛ فإنّ الصِّدْق قدْ ذهب مِن أكْثَر النّاس .

- اعلم يا ولدي أنّ طريقتنا هي طريق تحقيق وتصديق وجهْد وعمل وتَنَزُّه وغضّ بصر وطهارة يد وفَرْج ولسان ، فمَن ادّعَى الطّريق وخالَف قواعدها وآدابها رفضَتْه طَوْعاً أو كرهاً عليه .

- أقْبِلوا على الله تعالى ؛ فإنّه كريم ، ما أقْبَل مُقْبِل عليه إلا وَجَد كُلّ خيْر لديه ولا أعْرَض مُعْرِض عن طاعته إلا وتَعَثَّر في ثوْب غفْلته .

- أكْل الحلال يُنَوِّر القلب ، وأكْل الحرام يُظْلِمه ويُوقِف العمل ويُوهِن الدِّين ،

وقول الحرام يُفْسِد على الْمُبْتَدِي عَمَله ، والطّعام الحرام يُفْسِد على العـامل عَمَلـه ومُعاشَرة أهْل الأدناس تُورِث الظُّلْمة لِلبصر والبصيرة .

– آكِلو الحرام يأكلون في الآخرة النِّيران وفي الدُّنْيَا لا يُقْبَل لهم دعاء ولا يُسْـمَع لهم كلام ، تاركو الصّلاة يُقَلِّل الله أرزاقهم ويُذْهِب النّور مِن وجوههم ويقْلَـع سيمَا الصّالحين مِن وجوههم ويُقِلّ البَرَكـة مِن أعمـالهم والبَرَكـة مِن أرزاقهم ولا يَقْبَل الله لهمْ دعاءً ، وإنْ مات تاركو الصّلاة يَجِدون قبورهم حفرةً مِن حُفَـر النّار .

– أكْمَل الزّيّ وأحْسَن الزّينة : الخضـوع تَحْت الذِّلّـة ، والخشـوع تَحْت القِلّـة ، والخضوع تَحْت العبوديّة ، واجتماع الباطن تَحْت قَهْر الرّبوبيّة ، وإصلاح الهمّة وحضور الذِّهْن مِن غيْر علّة ، وأنْ يُخْلِص بقلْب ويقف بنيّة صادقة لِخدمـة ربّـه ربّ البريّة ؛ فإنّ الأعمال بالنِّيّات ، ولِكُلّ امرئٍ ما نَوَى .

– الإحسان لِبَنِي آدم والصّدقة بالمال والجاه والكلام الحَسَن وكَشْف الضُّرّ عنْهم وإزالة الظّمأ والنَّصَب يُتَحَفَّظ به المَنازل في الأُولى والأخرى والرُّتَب .

– الأدب مع الشّيْخ سُلَّم لِلأدب مع الحقّ جَلّ وعلا ، فمَن لم يتأدب مـع الوسـائل لا يَشُمّ رائحةً مِن الأدب مع المقاصد .

– الْبَسْ مِن ثوْب التَّوْبـة قميصـاً نقيّـاً أبيض صافيـاً مُصَفّىً مقصـوراً مِن نـور لا فيه كدر ولا قطع ، وما ثوْب البطالة إلا أسْوَد .

– البَطّال مَن ضيَّع زمانه في مَجْلِس الكلام وقَطَع أوقاته في الغفلة عن الاحتشام ولم يُراقب المَلِك العَلاّم ، مَن ضيَّع عُمُره ونَفَد أجَلُه بماذا يَلْقَى ربّه ؟!

– البكاء إذا كان خَلِيّاً مِن النِّفاق نَفَع .

– الجسد ثلاثة أقسام : قَلْب ولسـان وأعضـاء ؛ فاللسـان والأعضـاء وُكِل بهمـا ملائكة ، والقلب تَوَلاّه الله تعالى .

– الحسود لا يَسُود ، والنّمّام في آثام ، والمغتاب في عذاب ، والكذّاب بعيد مِن المَلِك الوهّاب ، والمُرائي بعيد مِن الباري ، والمُدَّعِي مُبْتَلـى ، والزّانـي محـروم بَرَكة العطاء ، واللاّغي مقرون بالباغي ، والبغي مُحَرَّم ، ومَن بَغَى بُغِي عليه ،

ومَن ارتَكَب المَحارم كان في بحْر الهلاك

- الذِّكْر يَعْمُر قَلْب المؤمن ، والحياء نِعْم جلباب المؤمن .

- الذي أُوصي ولدي به أنْ يَنْفَرِد ويَخْتلي ويَشْتَغِل ويَجْتلي ويقوم قياماً على قَدَم الاختصار والشّغل والاعتذار وحضور القلب والأدب بيْن يديْه ، فإذا صَلَّيْتَ فَصَلّ صَلاةً طيِّبةً على وضْعها ؛ فإنّك تقف بيْن يَدَيْ عظيم ، فإذا أَدَّيْتَ الفرائض على مشروعها ومنفوعها ووقَفْتَ فأَحْسَنْتَ وركَعْتَ فأَجْمَلْتَ وسَجَدْتَ فاطْمَأْنَنْتَ وحَضَرْتَ ودَنَوْتَ واعْتَرَفْتَ بالعبوديّة وخَضَعْتَ خضوع المماليك وتَنَصَّلْتَ واعْتَذَرْتَ إلى الله تعالى وخِفْتَ وخَشَعْتَ وخَضَعْتَ وركَعْتَ ونادَيْتَ بذُلّ العبيد ورَفَعْتَ قصّتك إلى الحميد المَجيد وأَقْبَلْتَ بقلبك وسِرّك وقالبك خَلَع عليك خِلَع الإحسان ورَجَعْتَ مِن صَلاتك تُتَوَّج بتيجان الإنعام وتُحَف الإكرام ووُشِّحْتَ بحسنات فوائد القرآن الحَرْف بعشرة إلى مائة إلى ألْف إلى ألْف ألْف إلى ما لا يَعْلَمه إلا الله تعالى .

- الرّاهبون البُتَّل في صوامع الأعمال يَتْلُون المَثاني والذِّكْر ، ويَجْتلون المَعاني بالفكر .

- الرِّجال منهم رجل ونِصْف رجل ورُبْع رجل ، ورجل كامل وبالِغ ومُدْرِك وواصِل .

- الرِّياضات تَنْقَسِم إلى ثلاثة أقسام : القوت مِن الطّعام والغمض في المنام والحاجة في الكلام ؛ فيَتَوَلَّد مِن قلّة الطّعام موْت الشّهوات ، ويَتَوَلَّد مِن قلّة المنام علوّ الدّرجات ، ويَتَوَلَّد مِن قلّة الكلام بلوغ الغايات .

- الشّريعة أصْل ، والحقيقة فرْع ؛ فالشّريعة جامعة لِكُلّ عِلْم مشروع ، والحقيقة جامعة لِكُلّ عِلْم خفيّ ، وجميع المقامات مندرِجة فيهما .

- الشّريعة جامعة لِكلّ عِلْم خَفِيّ مِمَّا ذَكَره أرباب اللّسان وتَدَاوَلَه ذَوُو العرفان مِن اختلاف الأبواب والمقامات والمَعاني والإشارات ، وهذان القولان يُغْنِيان عن كثرة ما ذَكَروه مِن مَعارفهم ؛ لأنّ جميع العلوم في مضمونها مطويّة .

- الشّيخ حكيم المريد ، فإذا لمْ يَعْمَل المريض بقول الحكيم لا يَحْصُل له شفاء .

- الصّادق يُحِبّ مَن يَصدُقه ، والكاذب لا يُحِبّ مَن يَنْصَحه .
- الصّبْر على الطّاعة خيْر مِن أنْ تُلْقَى في النّار ولو ساعة .
- الصّحيح مِن قول العلماء أنّ العقل في القلب ؛ لِحديث ﴿ إنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَة ﴾ ، ولكنْ إذا فكّرْتَ في كُنْه العقل وَجَدْتَ الرّأس يُدَبّر أمْر الدُّنْيَا ووجَدْتَ القلب يُدَبّر أمْر الآخرة .
- الطّريق إلى الله تعالى تُفْنِي الجُلاّد وتُفَتّت الأكباد وتُضْنِي الأجساد وتَدْفَع السّهاد وتُسْقِم البدن وتذيب الفؤاد ، فإذا ارْتَفَع الحِجَاب سَمِع الخطاب وقرأ مِن اللّوح المحفوظِ الرموزَ واطّلَع على مَعانٍ دقّت وشَرِب بأوانٍ رقّت ، فكان مع قَلْبه ثُمّ يكون مع مُقَلِّبه لا مع قَلْبه ؛ لأنّ الله يَحُول بيْن المرء وقَلْبه ، فإذا خرج عن الكُلّ طال لسانه بِلا لسان ، مع شدّة اجتهاده وأعماله الظّاهرة ثُمّ الباطنة ، ثُمّ بَعْد ذلك لا حركة ولا كلام ولا تَسْمَع إلا همساً ، إنّما هو سمْت بِلا حسّ ، ثُمّ يَصقو مِن صفاء الصّفاء ووفاء الوفاء ، ويَخْلُص مِن إخلاص الإخلاص في الإخلاص لِلإخلاص ، ثُمّ يَقْتَرِب بما يَكون به جليساً ؛ فإنّ المُجالَسة لها آداب أُخَرُ خاصّةٌ يَعْرِفها العارفون .
- العارف يَرَى حسناته ذُنوباً ، ولو آخَذه الله تعالى بتقصيره فيها لَكان عدلا .
- العاقل الرّاجح يَفِرّ مِن عمله ، ويَفِرّ مِن وَهْمه . ويَفِرّ مِن فِكْره ، ويَفِرّ مِمَّن يَخْطُر له غيْر ربّه ، ويَكون مع مُقَلِّبه لا مع قَلْبه .
- العاقل من عَقَل نَفْسه عن المَعاصي وأطاع مولاه وخالَف هواه وعَمِل بما يجب عليه في الشّرع وصمَتَ عن الرّفَث واللّغو واعْتَصَم بالله في جميع الأمور وجَدّ واجْتَهَد وراقَب الله في أفعاله وخشي مِن الله وعَمِل بالطّاعة واتّبَع النّبِيّ الأُمّيّ الزّمزميّ القرشيّ المكّيّ المَدَنِيّ التّهاميّ الأبطحيّ ؛ لأنّ مَن تَبِعه سَلِم ، ومَن خالَفه نَدِم .
- العاقل مَن عَمَّر بيْته قَبْل أنْ يَسْكُنه .
- العاقل مَن لم تَسُرّه الدُّنْيَا وما فيها .
- العِلْم المشروع هو كُلّ خيْر مودوع تَكون منه نتائج الحقائق ورقائق الدّقائق

وتنوير المَسالك والطّرائق .

- العِلْم كُلّه مجموع في حَرْفَيْن : أنْ يَعْرِف الله ويَعْبُده ، فمَن فَعَل ذلك فقدْ أدْرك الشّريعة والحقيقة ، وليس في هذا تعطيل العلماء ؛ بل العِلْم أسّ لِلعمل ، وإنّما قُلْنَا ذلك مِن أجْل قول الله تعالى ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْه ﴾ ، ولِكُلّ فِرقة منهاج ، وإلا فقدْ يَجْمَع اللهُ العِلْمَ والعملَ في رجل واحد يفيد النّاس كُلّ الفوائد ؛ فالشّريعة هي الشّجرة ، والحقيقة هي الثّمرة .

- الغِيبة تأكل الحسنات وتَذْهَب بالبركات وتُفْسِد الذِّهْن وتُقَسّي القلب وتُبْعِد عن الرَّبّ ويَعْظُم بها الذّنْب .. الغِيبة تَهْدِم الحسنات وتُتْلِف المعامَلات وتَعْكِس النّتيجات .. حدّ الغِيبة أنْ تقول في أخيك ما هو فيه ، فإذا قُلْتَ ما ليس فيه فذلك البهتان .

- الغِيبة فاكهة القُرّاء وضيافة الفُسّاق وبستان الملوك ومَراتع النِّسوان ومَزابل الأتقياء .

- الفقراء غيْث ، وهُمْ سيْف ؛ فإذا ضَحِك الفقير في وجْه أحدكم فاحذروه ، ولا تخالِطوه إلا بالأدب ؛ فإنّ أهْل الطّريق ربّما مزحوا كما يَمْزَح النّاس ، وهُمْ في ذلك مع الله لا مع النّاس ، وربّما فَعَلوا ذلك تستّراً لأحوالهم أو تجريباً لِظاهرهم ؛ لِيَدْفعوا بذلك مَن يستَحِقّ الطّرد عنْهم ، وربّما أساء بعض أرباب الأحوالِ الأدبَ فسُلِب عنْ حاله مع رسوخ قَدَمه ، فكيف بمَن لا رسوخ له ؟!

- الفقير المُشْتَغِل بالله تعالى لا يَنْظُر إلى الزّخارف ولا إلى اللّهو ولا إلى الدُّنْيَا ولا إلى المَطالب ولا إلى المطايا ولا إلى المراكب ولا إلى القماش ولا إلى الرّئاسة ولا إلى الرِّفْعة ولا إلى أيٍّ مِن الحظوظ الدّنيويّة ، ولا يكون إلا صادقاً صالِحا .

- القلب الخاشع الخائف المُرْتَجِف يَخْرِق سَفْح الحُجُب - يعني حُجُب القلب - ويَخْرِق بقايا التّخايُل والعُجْب ، فيَخْضَع تَحْت الذِّلّة لِلرّبوبيّة ويَخْشَى تَحْت القِلّة ويَنْطوي تَحْت المَسْكَنَة ، ويُصَغِّر نَفْسه حتّى يَرَاها أذَلّ ذليل وأصْغَر صغير وأحْقَر حقير ، عيْناه تَذْرِف دماً على عمله ، وهو خائف لا يَزْعُم أنّ له عملاً ،

مُعْتَذِر مُتَصِلٌ مِن الكِبْر والنَّظَر إلى العمل ، متوسِّلاً بلسان الافتقار والاعتذار أنْ لا يُخْجِله مولاه ولا يَخْذُله ولا يَقْطَعه ولا يَحْرِمه ثَدْي وصال رَضَعَه ولا موطن قريب استَوْطَنه ، ولا يَرَى أنّ له ذرّةً ولا حركةً ولا عملا .

- الله خصْم كُلّ مَن شَهَر نَفْسَه بطريقتنا ولا يقوم بحقّها واستهزأ بنا .

- اللّهُمّ تَحقَّق تقديرك ونَفَذَت إرادتك وبَلَغَت مشيئتك ، فاجعل نصيبنا منْك الأوفر الأوْفَى الأسْنَى الأنْفَع الأسْطَع الأضْحَى الأقْوَى ، خيرةً منْك وخيْراً ، فلولا المنصوص بالدّعاء لَمَا كُنّا حياءً منْك نَدْعُو ؛ فأنتَ قُلْتَ وقولك الحقّ ﴿ **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُم** ﴾ ، فلأجْل ذلك دَعَوْنَا وابْتَهَلْنَا دعاءً يَعُود نَفْعه علينا وعلى والِدينا وعلى جميع المُسْلِمين ، فأنت قُلْتَ يا ربّ وقولك الحقّ ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْما** ﴾ ، فإذا كان حبيبك وخليلك وصَفِيّك ومَن خَلَقْتَ الوجود كُلّه مِن أجْله طَلَب الزِّيادة فكيف بنا ونَحْن مساكين وفي أضْعَف حال وآخِر زمان .

- اللّهُمّ يا مَن هو آمَن مِن كُلّ شيء منْك آمِن أولادي مِمّا يَخافون ويَحْذَرون ، وسَلِّمْهم مِن البلاء الدّنيويّ والأخرويّ ، واسْرِج في قلوبهم النّور المعنويّ والسِّرّ الرّبّانيّ الباهي والعِلْم الحقيقي الإلهيّ والعطاء والشّفاء والتوفيق والوفاء ، وأنْ تَجْعَلهم مِن النّاجين المُحِبّين المحبوبين ، وكذلك مَن قرأ كلامي وحضَر أو سَمِع واستَمَع أو نَظَر .. اغفر اللّهُمّ لِجميع أولادي وارْزُقْهم القبول والنّجاة غداً في اليوم المهول يا الله يا ربّ العالَمين .. آمين آمين .

- المُخْلِص يُخْفِي عمله ويُظْهِر سريرته ويصدق نيّته ، وكُلّما أخفاه أظْهَره الله عليه كما قال ﷺ ﴿ **لَوْ عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً يُرْضِي اللَّهَ وَأَقْفَلَ عَلَيْهِ سَبْعِينَ بَاباً فِي سَبْعِينَ بَاباً لَأَلْبَسَهُ اللَّهُ رِدَاءَ عَمِلِه حَتَّى يَتَحَدَّثَ النَّاسُ بِهِ أَوْ يَزِيدُونَ ، وَلَوْ عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً يُغْضِبُ اللَّهَ فَكَذَلِك** ﴾ .

- المُراقِب لا يَتَفَرَّغ لِطلب المَكاسب ، وكُلّ مَن ادَّعَى الحُبّ ولم يُفْنِه الحُبّ فهو لا شيء .

- المريد مع شيْخه على صورة المَيِّت ؛ لا حركة له ولا كلام ، ولا يَقْدِر أنْ يَتَحَدَّث بيْن يديْه إلا بإذْنه ، ويَكون منطوياً تَحْت أوامره ، ولا يَعْمَل شيئاً إلا

بإذْنه مِن زواج أو سفر أو خروج أو دخول أو عزلة أو مُخالَطة أو اشتغال بعِلْم أو قرآن أو ذِكْر أو خدمة في الزّاوية أو غيْر ذلك ؛ هكذا كانت طريق السَّلَف والخَلَف مع أشياخهم ، هكذا سلوك الأدب والتّواضع وقلّة المخالَفة ؛ فإنّ الشّيخ هو والِد السِّرّ ، ويجب على الولد عدم العقوق لِوالده ، ولا نَعرف لِلعقوق ضابطاً نَضبِطه به ، إنّما الأمر عامّ في سائر الأحوال ، وما جعلوه إلاّ كالميت بيْن يَدَي الغاسل ، فعليْك يا ولدي بطاعة والدك ، وقَدِّمْه على والد الجسم ؛ فإنّ والد السِّرّ أنْفَع مِن والِد الظَّهْر ؛ لأنّه يأخذ الولد قطعة حديد جامد فيسبِكه ويذيبه ويُقَطِّرُه ، ويُلْقِي عليْه مِن سِرّ الصّنعة سِرّاً فيَجْعَله ذهباً إبريزاً ، فاسمع يا ولدي تنتفع ، وكثير مِن الفقراء صَحِبوا أشياخهم حتّى ماتوا ولم يَنْتَفِعوا ؛ لِعدم الأدب وبعضهم مُقِتوا .. آهٍ مِن صدود الرِّجال ومِن صحبة الأضداد ومِن سماع المريد لِلمِحال .

– المؤمِن أخو المؤمِن ؛ إذا استعطاه أرْفَده ، وإذا رآه في ضيق وَسَّع عليه ورَأَف ولَطَف ولان وعَطَف وتَكَرَّم وجَبَر وأَطْعَم وآثَر وآوَى ، فإنْ لم يَنْصُره لا يَخْذُله ، وإنْ لم يَجْبُره لا يَكْسره ، وإنْ لم يَسْتُره لا يُخْجِله ، وإنْ لم يَنْفَعه لا يَضُرّه ، وإنْ لم يُبَصِّره فلا يُعْمِه .

– النَّبِيّ ﷺ أَفْضَل مَن دَبّ ودَرَج ، وأَشْرَف مَن رَقَى وعَرَج ، ما خَلَق الله أَشْرَف ولا أَكْرَم ولا أَعْظَم ولا أَسْخَى ولا أَنْخَى ولا أَنْقَى ولا أَتْقَى ولا أَجْمَل ولا أَكْمَل ولا أَبْهَى ولا أَبْهَج ولا أَمْلَح ولا أَنْجَح ولا أَسْمَح ولا أَشْفَق ولا أَرْفَق ولا أَعْطَى ولا أَسْمَى ولا أَغْنَى ولا أَهْنَى ولا أَعْلَم ولا أَحْلَم ولا أَشْجَع ولا أَوْسَع صدراً ولا أَعْظَم بِرّاً ولا أَكْبَر قَدْراً ولا أَنْفَذ أمراً ولا أَكْتَم سِرّاً مِن الذي أُعْطِي ليلة قَدْر أو ليلة أُسْرِي بالنَّبِيّ المُصْطَفَى المختار المُجْتَبَى المُرْتَضَى العربيّ الزَّمْزميّ القرشيّ التّهاميّ المكّيّ الأبطحيّ المَدَنِيّ .. العَلَم الزّاهر والنّور الظّاهر صاحِب اللِّواء المعقود والحوْض المورود والمقام المحمود والمكان المشهود .. نَبيّ الرَّحْمة وسَيِّد الأُمّة وكاشِف الغُمّة .. سَيِّد الأنبياء والأُمَم والمُرْسَلين والملائكة المُقَرَّبِين والمُجْتَبين ، المختار المصطفَى الأوحد في قُرْب المَلِك

الأعلى القريب ، الذي كان قاب قوسين أو أدنى ، المُتكلِّم على بساط النّور في المقام الأعلى ﷺ .. الماء يَطْفُو مِن بَرَكاته ، والرِّزْق يدرّ مِن تسبّباته .. بَعَثه الله لِخَلْقه بشيراً ونذيراً ، وداعياً إليه بإذْنه وسراجاً منيراً ، وسروراً وخيراً وحبوراً وشمساً وعبيراً ، وقَرَن طاعته بطاعته ، وفَضَّله على جميع خَلْقه وبَرِيَّته .. صاحِب التّاج والبُرَاق ، المُمَشَّى فوْق السَّبْع الطِّبَاق ، العظيم الخَلْق والأخلاق .. هو الباب وهو الجواب وهو البَرَكة وهو القاعدة وهو الهدى وهو النّور .. خَصّه بالمعجزات الخارقات ، والآيات الظّاهرات ، والكرامات والمكرمات ، والهيبة والدّلالات ، والنّصْر والظَّفَر ، والخُطْبة والمنْبر ، والحوض والكوثر ، والشّفاعة في المَحْشَر ، والنّاقة والقضيب والبُرْدة والنّجيب والمغفر ، صلّى الله عليه وعلى وجْهه الأقمر وعلى جبينه الأزهر ، وعلى آله وأصحابه ومَجَّد وسلَّم وكَرَّم ، صلاةً أرجوها ذخيرةً تَنْفَعني غداً في الموقف الأكبر والهول الأعظم والمَحْشَر ؛ فإنّ مَن صلّى عليه صلاةً صلّى الله عليها بها عشراً ، ومَن خَتَم عمله بالصّلاة عليه قَبِل الله ذلك العمل ورَضِي عنه مولاه وأَحَبّه ومنْه شَكَر .

- النّصيحة كانت في السَّلَف مِن الصُّوفيَّة القيام بحقوق الإخوان واحتمال الأذى منْهم ؛ فبذلك يَطْهُر جَوْهَر الفقير .

- النَّمّام يَعْمَل في ساعة ما لم يَعْمَله السّاحر في شَهْر .

- أَمَر الله نوحاً عليه السلام أنْ يَعْمَل سفينةً ، فَحَمَل عليها فوَقَفَت ولم تَجْرِ ، فأَوْحَى الله إليه :(يَا نُوحُ .. اكْتُبْ عَلَيْهَا اسْمَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَأَصْحَابِه) فكَتَب فجَرَت ببَرَكتهم وبَرَكة سَيِّد الأنبياء .

- إنْ أَحْبَبْتَ يا ولدي أنْ تَسْمَع وتُبْصِر وتَعقِل فَع في باطِنك الفوائدَ ولا تَقْنَع ببوس اليد ولا بالرِّياسة ، ولا يَكْمُل الفقير إلا إنْ تَكَلَّم بمَعاني الحقيقة ذوقاً لا نقلاً وفعلاً لا قولاً وتَحَلَّى في باطِنه بحِلْيَة الاصطفاء بالسِّرّ والمَعْنَى فتَغَنَّى وتَكَلَّم بالحِكَم ونَطَق بالمُعْجَم وبالسِّرّ المُكَتَّم واطَّلَع وحقَّق ، فما يَنْطِق إلا صدقاً ، ولا يَتَكَلَّم إلا حقّاً ، وعند ذلك يصحّ له أنْ يَدْعو الخَلْق إلى الله تعالى .

– إنْ أَرَدْتَ يا ولدي أنْ تَفْهَم أسرار القرآن العظيم فاقتل نَفْس دعْواك ، واذبح شَبَح قولِك ، واطرح نَفْس نَفْسك تحْت قَدَم أقدامك ، وعَفِّر خَدَّيْك على الثرى ، واشهد أنّ نَفْسَك قبضة مِن تراب ، واعترِف بكثرة ذُنوبك ، وخَفْ أنْ تُرَدّ عليْك عبادتك ، وقُلْ :" يا تُرَى مِثْلِي يُقْبَل مِنْه عمل ؟! " ، فإذا كُنْتَ على هذا الوصف فيُرْجَى لك أنْ تَشُمّ رائحةً مِن مَعاني كلام ربّك ، وإلا فباب الفهم عنْك مُغْلَق .

– إن استَطَعْتَ ادْفَع الشَّرّ واكْشِف الضُّرّ وسَهِّل العسير وأَجِب السّائل وادْعُ الخَلْق إلى الله تعالى ، وكُنْ مُحِبّاً لِكُلّ النّاس وكُفّ اليد عنهم ، وأَحِبّ المساعَدة لهم على الطّاعة والالتزام بالخيْر ، وهذه وصيّتي لكمْ أجْمعين .

– إنّ السّالك يَسْلُك طريق التّحقيق ، ويَغْسِل أعضاء العبادة بماء حياء اليقين والإخلاص ، ويَجْتَهِد في إصلاح قُدُومه على المَلِك .

– إنّ العبد إذا عامَل اللهَ تعالى أَلْبَسه خِلْعة القبول والرِّضا وكَسَاه وأعطاه وهَنّاه وأَرْضاه وكَفَاه ما يَتَمَنّاه ، وأَقْبَل بالدّنيا عليه ودَرّ رِزْقه إليه ، وأَسْبَغ عليه نِعَمه وفَضْله وكَرَمه وواسِع جودِه وحِلْمه ، وسَقَاه مِن لُطْف ألطافه نِعَم الفضل والجود وكُلّما عَمِل عملاً حَسَناً لِوجْه المعبود كان له درجاتٍ عالياتٍ وثناءً في الأرض والسّماوات وذخيرةً يَجِدها ومكانةً عند الله ؛ فإنّ الأعمال الصّالحة ثمرتُها القبول عند الإله .

– إنّ الله عَزّ وجَلّ يُحِبّ مِن عباده أَخْوَفَهم منه وأَطْهَرَهم قَلْباً وفَرْجاً ولساناً ويداً وأَزْهَدهم وأَحْفَظهم وأَعَفّهم وأعفاهم وأَكْرَمهم وأَدْيَنهم وأَحْسَنهم خُلُقاً وأَشَدّهم توكّلاً وأَكْثَرهم ذِكْراً وأَوْسَعهم صدراً وأَنْفَعهم لِخَلْق الله .

– إنّ الله تعالى يحاسِب العبد على أذيّة النّملة والبعوضة والعصفور ؛ فكيف مَن يجذب سلاحه ويصقل سيْفه ويُفَوِّق سهامه ورُمْحه ويُقَوّم سنانه ويُصْبِح ويُمْسِي في نيّة أذيّة المُسْلِمين ؟! أو يتصفّح بضرباته وجوههم ويَسُلّ عليهم صارماً لو يكون على قتالهم عازماً ولهم مُصارِعاً أو على حرْبهم مصمِّماً ؟! أو ينوي أو يُعِين مَن يَقْصِد المسلِمين بأذيّة أو يُهَيِّش أو يُجَيِّش أو يُطْلِق عنان فَرَسِه في

غارتِهم ؟! أو يَتَكَلّم بكلمة تَكون سبباً لأذيّتهم ؟! أو يجالس سفّاك دماء أو مُصِـرّاً على قتْلهم أو طلب حرْبِهم أو فكّهم أو تَزَلْزُلهم مِن أوطانهم أو خِيفتهم أو صراخ نسوانهم أو عويلهم وبكائهم أو سَـبْي حريمهم أو همّـة فيهم أو وقعـة تُؤذيهـم أو صرخة تنكبهم أو نكبة تضرّهم أو خوْف فزع يفزعهم أو ذعْر يذعرهم أو خوْف يُقْلِقهم أو رجيف يُرجفهم أو جَمْـع يَجْتَمِـع بهـم أو جيْش يسـوء لِفتنـة أو لِتـلاف يَقصدهم ؟! أو طلب ذهاب أرواحهم أو أخْذ أموالهم ؟! أو شَتّتهم أو قَطع آثـارهم أو أخبـارهم ؟! فـإنّ مَـن فَعَـل ذلـك يَلْعَنـه أهْـل السّـماء وتَـوَدّ الأرض أنْ تَبْتَلعـه وتَسْتَغيث مِن مشْيه عليْها .

– إنّ الله تعالى يَطّلِع على قلوب عباده في اليوم واللّيْلـة اثْنتيْن وسبْعين مـرّةً ، فنَظِّفوا يا أولادي محلّ نظرِ ربّكم واجعلوه طاهراً مطهّراً حَسَناً نقيّاً زاهـراً نَـيِّراً صادقاً خالصاً مُخْلَصاً مُحَقَّقاً واثقاً وانقاً وامقاً ناسقاً ناسكاً مُسْكَناً بِسِرّ الله تعـالى لِتَرْتَع في رياض حياض قُدْس القُرْب ويَظْهَر فيها النّور ؛ فإنّ الإناء إنْ لـم يَكُـنْ شَفّافاً لا يَظْهَر لِلفتيلة فيه نور .

– أنا موسى في مناجاته .. أنـا عَلِـيّ فـي حملاتـه .. أنـا كُـلّ ولـيّ فـي الأرض جميعهم .. بيدي خِلَع الفقراء أُلْبِس منهم مَن شئتُ .. أنـا فـي السّماء شـاهدتُه وعلى الكرسيّ خاطَبْتُه .. أنا بيدي أبواب النّار غَلّقْتُها .. أنا بيدي جَنّة الفردوس فَتَحْتُها .. مَنْ زارني وزاره أَسْكَنْتُه جَنّة الفردوس ، واعلم يـا ولـدي أنّ أولياء الله تعالى الذين لا خوْف عليهم ولا هُمْ يَحْزنون مُتّصِلون بالله ، وما كـان ولـيّ مُتّصِلاً بالله تعالى إلا وهو يناجي ربَّه كما كان موسى عليه السلام يناجِي ربّـه ، ومـا مِن وليّ لله إلا ويَحْمِل على الكفّار كما كان عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يَحْمِل على الكفّار ، وقدْ كُنْتُ أنا وأولياء الله تعالى أشياخاً فـي الأزل بيْن يَدَيْ قديم الأزل وبيْن يَدَيْ رسول الله ﷺ ، وإنّ الله عَزّ وجَلّ خَلَقني مِن نُور رسـول اللـه ﷺ ، فنَظَر إليّ رسول الله ﷺ وقال :(يَا إبْرَاهِيمُ .. تَقَدَّم) فتَقَدَّمْتُ فقال لـي :(يَـا إبْرَاهِيمُ .. أَنْـتَ مُقَدَّمٌ عَلَيْهِمْ وَنَقِيبٌ عَلَيْهِم) ، وأَمَرنـي أنْ أَخْلَـع علـى جميـع الأولياء بيدي فقال لي :(يَا إبْرَاهِيمُ .. أَنْـتَ مِن نُـورِي .. اخْلَـعْ عَلَيْهِمْ بِيَدِك)

فخَلَعْتُ عليهم بيدي ، فكُنْتُ أنا ورسول الله ﷺ وأخي عبد القادر خَلْفي وابن الرِّفاعيّ خَلْف عبد القادر ، ثُمّ الْتَفَت إليّ رسول الله ﷺ وقال لي :(يَا إِبْرَاهِيمُ سِرْ إِلَى مَالِك وَقُلْ لَهُ يُغْلِقُ النِّيرَانَ ، وَسِرْ إِلَى رِضْوَانَ وَقُلْ لَهُ يَفْتَحُ الْجِنَان) ، فجِئْتُ إلى مالك وقُلْتُ له :" أَمَرك سَيِّدي أنْ تُغْلِق النِّيران " قال :" ومَن هو سَيِّدك ؟ " قُلْتُ :" الذي خُلِقْتُ مِن نوره " قال لي :" أنت مِن نور مَن خُلِقْتَ ؟ " قُلْتُ :" مِن نور رسول الله ﷺ " قال مالك :" إنّ رسول الله ﷺ لَمّا يَمُرّ على النّار تُغْلَق بغيْر إذْني ؛ فإنْ كُنْتَ مِن نوره فأَشِرْ إليها " فأَشَرْتُ إليها فغُلِّقَت أبوابها ، ثُمّ مَضَيْتُ إلى رضوان وقُلْتُ له :" أَمَرك سَيِّدي أنْ تَفْتَح الجِنان " قال : " ومَن هو سَيِّدك ؟ " قُلْتُ :" الذي خُلِقْتُ مِن نوره " قال لي :" أنت مِن نور مَن خُلِقْتَ ؟ " قُلْتُ :" مِن نور رسول الله ﷺ " قال :" إنّ رسول الله ﷺ إذا أشار إلى الجَنّة تُفْتَح بغيْر إذْني ؛ فإنْ كُنْتَ مِن نوره فأَشِرْ إليها تُفْتَح " فأَشَرْتُ إليها ففُتِحَت أبوابها بقدرة الله عَزّ وجَلّ ، ثُمّ جِئْتُ إلى رسول الله ﷺ ، فسار بنا رسول الله ﷺ إلى الجَنّة .

- إنّ أوّل ما سلّك الله أهل طريقه ومحبّته وأهل تحقيقه خروجهم عن كُلّ شيء إلا الله تعالى ؛ لأنّه غاية المنى والغاية القصوى ، وإنّ الغاية القصوى طلبُه له لا لِغيْره ولا لِشيء مِن الأشياء .

- إنّ شجرة القلوب إذا هُزّت فاح منها شذىً يُغَذّي الرُّوح ، فيَسْتَنْشِق مَن لا عنده زكَمٌ فتَبْدُو له أنوار وعلوم مختلِفة مانعة محجوبة ، معلومة لا معلومة معروفة لا معروفة ، غريبة عجيبة .

- إنْ قال قائل " إنّ الشّيخ مِن مريده بعيد " فالذي قال هو المحجوب المسدول البعيد .

- أَنْقِذْ نَفْسك مِن الضّلال ؛ حتّى تُمْسِي مِن الرّجال الّذين يَنْزِل بهم الغيث ويَنْبُت بهم الشّجر ويُضْرَب بهم الأمثال ، الذين يأتون يوْم القيامة وعلى وجوههم نور بهيج .

- إنْ كُنْتَ يا سامع الوعظ يا أَعْمَى اللّحْظ يا مَن ليس له في صفات القوم

لا وصف ولا حظّ تُريد أنْ تَلْحَق بهم فاتْبَعْ سِيَرهم وافْعل كفِعْلهم ولا تخالِف أمْرهم تَظْفَر بالفلاح .

- إنْ كُنْتَ يا هذا تَسْلُك طريق القوم اخْلَعْ نَفْس الطّمع واطْلُب طريق الاشتغال لِيَتَجَمّع فيك كلامنا وتنال به الدّرجات العُلَى .. إنْ كُنْتَ تريد وصْلَنا بَدِّدْ خَمْرك إنْ كُنْتَ تريد قُرْبَنا اكْسِرْ زَمْرك .. إنْ كُنْتَ تريد حُبّنا صفْ سَرّك .. إنْ كُنْتَ تريد حُبّنا صَلِّحْ أمْرك .

- إنْ كُنْتَ يا هذا قدْ ضَيَّعْتَ عُمُرك وأنت إلى الآن ما تُبْتَ فبالله عليك تُبْ توبةً نصوحاً بقلْب صحيح ؛ لَعَلّ أنْ تُمْحَى زَلّتك وتَبْعُد عنْك خطيئتك وتَنْزِل قبْرك آمناً مأموناً وتَلْقَى ربّك راضياً عنْك ؛ فإنّ الله تعالى إذا تاب إليه العبد تاب عليه وقَبِله وتَقَبّل منه أعماله .

- إنّما احتاج العلماء إلى شيْخ يُرَبّيهم مع ذلك العِلْم العظيم الكثير لِعدم إخلاص نيّتهم فيه ، ودخول الإعجاب فيه ، وطلب أحدهم أنْ تُصْرَف وجوه الناس إليه ، ولو أنّهم سَلِموا مِن الآفات وأَتَوْا حضرة العمل بِلا علّة لَنَارت قلوبهم بالعِلْم وأَشْرَفوا على حضرة الله عَزّ وجَلّ ، ولَهان عليهم بَذْل نفوسهم في مرضاة الله تعالى ، فضلاً عن شيء مِن أعراض الدُّنْيَا .

- إنّما قالوا " حسنات الأبرار سَيِّئات المُقَرَّبين " لأنّ المُقَرَّب يراعِي الخطرات واللّحظات ويَعُدّ ذلك مِن الهفوات ويُفَتِّش على هواجس النّفوس ويراقِب خروج أنفاسه ويَخاف مِن حسناته كما يَخاف المُذْنِب مِن سيّئاته ، والأبرار لا يَقْدرون على هذا الحال ، وأيضاً فالمُقَرَّب لا يقول عند شرابه " أوّاه " ولا " ما أحلاه " ولا يُصَفِّق بكفّ ولا يَصْرُخ ولا يَشُقّ ولا يَضْرِب برأسه الحَجَر ولا يهيم ولا يمشي على الماء ولا يَقْفِز في الهواء ، فلَمّا لم يقع منه شيء مِن ذلك أَثْبَتَه أهْل الطّريق ونَفَوْا مَن فَعَل ذلك لِقلّة ثبوته على الواردات ، مع أنّهم سَلَّموا له حاله لِغلبتِه عليه ، وجَعَلوا حسناته سَيِّئات أهْل الصَّمْت ، مع أنّ المُقَرَّبين ليس لهم سَيِّئات ؛ إنّما هي محاسَبات عاليات نفيسات .

- إنّنا عَبِيد مَساكين ، لكنّ صدقاته علينا وبَرَكاته لَدَيْنَا كثيرة .

- إنّ نور المحبّة ونور المعرفة ونور الإيمان ونور الإسلام ونور اليقين ونور الهدى ونور الصِّدْق ونور الإخلاص ونور المكاشَفات ونور المباشَرات ونور المشاهَدات ونور المجاهَدات ونور العنايات ونور قوارير الزّجاجات ونبات الشَّجَر ؛ اغْرس شجرة الإخلاص في قَلْبك واسْقِها بماء التّقْوى ونَشِّقْها بنسيم ريح الرَّجَا وحُفّها بالشَّرْع وقَلِّمْها بالورع واجْذبْها عن الشّهوات مِن ربّك يكُنْ جميع ما ذَكَرْتُ ثَمَر غرْسك ، وأيقِنْ أنّ شيْخك أُنْسك في سمْعك وذهْنك وطرْفك في طرْفك وحواسّك في جوهرك ، فإن استَعْمَلْتَ أدوية ما أقول لك لَيكونَنّ مقام المشاهَدة لك .

- إنّي وَجَدْتُ العِلْم المُكْتَسَب يَحْصُل مِن الكتب ، فلمْ يكُنْ ذلك أَرَبِي ، غيْر أنّي تَوَكَّلْتُ على ربّي فوَجَدْتُ أَفْضَل العِلْم علماً مِن الحيّ القيّوم .

- أهْل التّمكين والتّقريب الدُّنْيَا كحلقة بيْن أعْيُنهم ، يمشون إلى الأقطار وإلى الأدوار ، وقوْم تأتي إليهم الأقطار والأدوار .

- أهْل السّعادة بعمل أهل السّعادة يَعْملون ، فلَمّا تحرّكَت أشجار المعامَلة بيْن العبد وبيْن ربّه - حَرّكَتْها العناية السّابقة الأزليّة الأوّليّة - قامت الأعضاء طائعةً لِلقلب ، خارجةً عن الذّنْب ، منعكِفةً على طاعة الله ، شِعَارها التّقْوى ، مُتَحَفِّظةً مِن السُّمْعة والعُجْب والرِّياء والكبرياء وحُبّ الدُّنْيَا .

- أهْل الشّريعة يُبْطِلُون الصّلاة باللحن الفاحش ، وأهْل الحقيقة يُبْطِلون الصّلاة بالخُلُق الفاحش ، فإذا كان في باطِنه حِقْد أو حسد أو سوء ظنّ بأحد أو محبّة لِلدنيا فصَلاته باطلة ؛ لأنّ أهْل هذه الأخلاق في حِجَاب عنْ شهود عظمة الله في الصّلاة ، ومَن كان قَلْبه محجوباً فما صَلّى ؛ لأنّ الصّلاة صلة بالله تعالى .

- أهْل الطّريقة أهْل الأدب ، ومَن مَحَى نَفْسه أَثْبَتَها الله تعالى .

- أوصِي أولادي إنْ كان اتّخَذ إخلاص قَلْبه وهو مُسْلِم صادق في حُبّه ، وقد انْجَلَى باطِن سِرّه وصَفَى لُبّه وتَمَهَّد سِرّه بالمكاشَفة تمهيداً ، فيَعْلَم أنّ شيْخه معه وأنّه أمامه وأنّه عنْه لا يَحِيد ، فإنْ صَدَق اللهَ وخاف اللهَ وأَخْلَص لِله وأَحَبّ أهْل الله سَلِم ومُحِي الشِّرْك مِن قَلْبه ؛ لأنّ مشاركة النِّفاق والتَّمْلِيق والمُمَاكَسَة

إنّما هي تذهب بأنوار العطاء وتَختم على القلب الغطاء وتَطْمِس على الذِّهن وتَمْنَع مطالَعات الغيوب .

- أوّل الطّريقِ الخروجُ عن النَّفْس والتّلَف والضّيق والحظّ ؛ فإنّ الفلاح والنّجاح والصّلاح والهدى والأرباح لا تَصِحّ إلا لِمَن تَرك الحظّ وقابَل الأذى والشّرّ بالاحتمال والخير ووَسَّع خُلُقه ، والفقير لا يكون له يد ولا لسان ولا كلام ولا صرف ولا شطْح ولا فِعْل رديء ، ولا يَصْرِفه عن محبوبه صارِف ولا تَرُدّه السّيوف والمَتالف .

- إيّاكم والغِيبة والتّكلُّم بالكلام الفاحش ثُمّ تَتْلون القرآن ، فإنّ حُكْم ذلك حُكْم مَن مَسّ بألفاظ القرآنِ القَذَرَ ، ولا شكّ في كُفْره .

- إيّاك يا ولدي أنْ تَعْتَرِض على أفعالنا ؛ فإنّ أولياء الله متّصِلون بحضرة الله تعالى .

- إيّاك يا ولدي أنْ تَقْبَل فَتْوَى إبليس لك في الرُّخَص فتَعْمَل بها بَعْد عمِلك العزائم ؛ فإنّه إنّما يأمرك بالغيّ والبغي في حُجَّة رخصة الشرع ، فيَنْقِلك مِن رُخَص الشريعة إلى فِعْل مَعاصيها ، لا سيّما إنْ أوْقَعك في محظور ثُمّ قال لك " هذا مقدور .. إيش كُنْتَ أنت تعمل " فإنّك تَهلك بالكُلِّيّة ، واعلم يا ولدي أنّ الله تعالى ما أمَرك إلا باتّباع نَبِيّه ﷺ ، وقدْ نَهاك عن كُلّ شيء يؤذيك في الدُّنْيا والآخرة ، فما بالك تخالِفه ؟! وإنْ كُنْتَ يا ولدي تَقْنَع بورقة تَزْعُم أنّها إجازة فإنّما إجازتك حُسْن سيرتك وإخلاص سريرتك ، وشَرْط المُجَاز أنْ يَكُون أبْعَد النّاس عن الآثام ، كثير القيام والصّيام ، مواظِباً على ذِكْر الله تعالى على الدّوام فإنّ العبد كُلّما خَدَم قَدَّمه سَيِّده على بقيّة العبيد ، فهذه هي الإجازة الحقيقيّة ، وأمّا إذا ادَّعَيْتَ المشيخة وعصيْتَ ربّك قال لك : أُفٌّ لك .. أمَا تَسْتَحْيِي ! أيْن دعْواك القُرْب منّا ! أيْن غَسّلك أثوابَك المُدَنَّسة لِمُجالَستنا ! كم تُوعِي بَطْنك مِن الحرام ! وكم تَنْقِل أقدامك إلى الآثام ! كم تنام وأحبابي قدْ صَفّوا الأقدام ! أنت مُدَّعٍ كذّاب .. والسّلام .

- أيّام الحياة تَنْقَسِم ، وأوقات العمر تَنْصَرِم ، وحياة العبْد لا تَكون طيّبةً إلا إذا

كان حيّاً بالعِلْم والعمل والخوف والوجَل ويَشْرَب مِن الماء ماء الوصْل فيقْرأ كتاب الله تعالى يَجِده شفاءً وعفاء .

- أيّها النّاس .. مَن خالَف اللهَ لا دعاء له يُرْفَع ، ومَن قاطَع مولاه فما معامَلته لِلنّاس تَنْفَع .

- باب ربّكم مفتوح ، وهو صاحِب العطاء والفتوح ، إلا مَن يَنام وقْت الغنائم ، وقْت فتْح الخزائن ، وقْت نشْر العلوم ، وقْت إظهار الرّقوم ، وقْت تَجَلّي الحيّ القيّوم ، وقْت النّاس غافِلون ، وقْت ينادي مَن لا تأخذه سِنَة ولا نوْم ﴿ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرُ لَهُ .. هَلْ مِنْ طَالِبِ حَاجَةٍ فَأَقْضِيهَا لَه ﴾ .

- بالله يا أولادي لا تَتَفَرّقوا ، واجْتَمِعُوا يَحْمِكم الله تعالى مِن الآفات ببَرَكة أستاذكم .

- تأخذ العِلْم بالوصف إنْ لم تَجِدْ إلَيْنا سبيلا .

- تَطْلُب شيئاً بِلا شيء ما يَحْصُل لك شيء .

- توبة الخواصّ محْو لِكُلّ ما سِوَى الله تعالى ، لا يَتَطَلّعون إلى عملٍ ولا قولٍ يَتوبون عنْ أنْ يَخْتَلِج في أسرارهم أنْ " لي " أو يَتَوَهّمون أنْ " عندي " ، ويَخْشَوْن مِن قول " أنا " ، فَهُمْ يراعون الخطرات .

- جَرِّدْ يا هذا عَزْمك وشُدّ وسط حزْمك ، ودَعْنِي مِن خُطَبك ، واذْبَحْ نَفْس نَفْسك بمدية خوْفك وسِكّين قيامك .

- جميع المُعَبّرين والمُبْصِرين والمُؤَوّلين والمُتَكَلّمين في عِلْم التّوْحيد والتّفْسير لم يَصِلوا إلى عُشْر معشار معرفة كُنْه إدراك معرفة معنى حَرْف واحد مِن حروف القرآن العظيم أو معرفة كلمة واحدة مِن كلام الله تعالى .

- حُكِي أنّ بعض الإخوان ابْتُلِي بهوىً ، فأظْهَر أخاه عليه فقال :" ابْتُلِيتُ ، فإنْ بَقِيتَ لنْ تَقْعُد على محبّة الله تعالى " ، فقَعَد أخوه بَيْنه وبيْن الله أنْ لا يأكل ولا يَشرب حتّى يعافيه الله مِن بلائه ، فأقام أربعين يوماً يسأله عن هواه فيقول :" ما زال " ، فبَعْد الأربعين أخْبَره أنّ الهوى زال ، فأكل وشَرِب .

- حُكِي عن عيسى ـ صلّى الله على نبيّنا وعليه ـ أنّه مَرّ بقُلّة عابد ، فقال :" يا

رُوح الله .. اسأل ربّك أنْ يرزقني ذرّةً من المحبّة " فدَعَا لـه ، ثُمّ انطَلَق فأتاه بَعْد قليل فأتَى على الجبل فوَجَد القُلّة قدْ غارت إلى أسْفَل الجبل ، فنزَل عيسى ـ صلّى الله على نبيّنا وعليه ـ في أسْفَل البئر فوجده قائماً داهشاً غائباً ، فسأله فلم يُجِبْه ، وسلّم عليه فلمْ يَرُدّ عليه السّلام ، فدَعَا الله له أنْ يُكلّمه فناداه فأجابه فقال له :" مَا مَنَعَكَ عَنِ الْجَوَاب ؟ " قال :" المحبّة مَنَعَتْني " ، فأوْحَى الله إليه أن :(يَا عِيسَى .. إِنَّ هَذِهِ الْمَحَبَّة مُدَّخَرَةٌ لِأَوْلِيَاءِ أُمَّةِ النَّبِيِّ مُحَمَّد) صلى الله عليه وسلّم ، وهذا معنى ﴿ الْحُبُّ يُعْمِي وَيَصُمّ ﴾ .

– خلوة الفقير سجّادته ، وجلْوتُه سِرّه وسريرته .

– رأس مال المريد المحبّة والتّسْليم وإلقاء عَصَا المُعانَدة والمُخالَفة والسّكونُ تحْت مراد شيْخه وأمْره ، فإذا كان المريد كُلّ يوْم في زيادة محبّة وتسْليم سَلِم من القَطْع ؛ فإنّ عوارض الطّريق وعقبات الالتفاتات والإرادات هي التي تَقْطَع عن الإمداد وتَحْجب عن الوصول .

– رَحِم الله امرأ تَزَوّد لِنَفْسه ومَهّد لِرمْسه واغْتَنَم الآجلة في أيّام العاجلة وعَمّر قبْره قَبْل أنْ يَدْخُله ، ودان نَفْسه قَبْل أن يُدَان .

– رَحِم الاه مَن جَدّ وجاهَد وعَمِل صالحاً ونَجَح وأفْلَح ؛ فإنّ مَن تاجَر في الطّاعة رَبِح ؛ فإنّ الآخرة هي دار الحقّ والفَرَح .

– سألتُكم بالله يا أولادي أنْ تكونوا خائفين من الله تعالى ؛ فإنّكم غَنَم السّكّين وكِيَاش الفَناء وخرفان العلف .. يا مَن تَنُّور شِوَاهم قد أُوهِج ، ويا مَن السّكّين لهم تُحَدّ وتُجْنَب ﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارا ﴾ .

– شراب القوم لا يَشْربه مَن في قَلْبه عكَر دَنَس ولا بقايا غلس ، ولا حظوظ نفسانيّة ولا دعاوى شيطانيّة ، ولا كِبْر تَرَف ، ولا نَفْس ثائرة .

– شرّ الأصدقاء مَن أحْوَجك إلى مداراته أو ألْجَأك إلى اعتذار أو تكلّفْتَ له .

– شُكْر النّعمة ظهورها بالشُّكْر والطّاعة والمحبّة والصّدَقة والمِنّة والرّغْبة والرّحْمة للمساكين والرّفْق بالضّعفاء والتّواضع مع الأقلاّء والجَبْر للمُنْكَسِرين وإقالة عَثْرة العاثرين وإجابة السّائلين والخوف من ربّ العالَمين وكفّ الأذى

عن الخَلْق أجمعين وقلّة البغي ؛ فإنّ الله تعالى إذا ألْبَس عبداً مِن عبيده ثوْب البغي أرْدَاه ، وإذا قلّده بقلادة الطّغي مِن ديوان أحبابه مَحَاه ، وإذا أرْدَاه برِداء الكِبْر صَغّره وأحَطّه .

- شَمِّرْ يا أخي عن ساق الاجتهاد ، واركب على الضّمر الجياد ، واطلب طريقاً تقطّع منها الأكباد ، وأمِتْ فيها نَفْس العنت والعناد ، ولا تَكُنْ مِمَّن غَفَل عن المراد .

- طريقتنا هذه ما هي طريق تزويق ولا تمليق ، بلْ هي طريق تحقيق وصِدْق وتصديق وتدقيق و وْت وكَدّ وجهْد وجدّ وشدّ وحزْم وكدم واجتهاد وسلوك طريق الأجواد الأنجاد واشْتغال والْتزام ونشاط وفكّ عِقال بالعقل وكَسْر نَفْس مِن غيْر دَعْوَى ، واتّضاع وخضوع وذلّة ومعزّة وعِزّة ونيابة وفراسة وعلوم ورقوم وأقمار وأنوار وبدور وشموس وسعود ورقود وقيام وقعود وكنوز وسجود ونجائب وغرائب وجبائب ووسائد ومسائل ورسائل ..

فيا أولادي .. إذا عَمِلْتم بموعظتي وعادت إشارتي كُلّها فيكم كانت إجازتي مُطَهّرةً مُكَمّلةً بالسّرّ والمعنى ؛ فإنّ المقامات ما هي محجوبة عنكم إلا بكُم .

- طَهّرْ لسانك عن فضول الكلام وعن جميع الآثام ؛ فإنّ الكلام يَرْعَى الحسنات كما تَرْعَى النّار الحطب ، وكثرة الكلام تميت القلب وتُبْعِد العبد عن الرّبّ .

- طُوبَى لِمَن كان كلامه ذِكْراً وسكوته فِكْراً ونظرُه عِبراً ؛ فكُلّ كلام ليس بذِكْر فهو لَغْو ، وكُلّ سكوت ليس بفكرة فهو لهْو ، وكُلّ نظر ليس بعِبْرة فهو سَهْو وغفْلة ، وكُلّ نظرٍ لِغيْره فهو شهوة .

- عَزّ مَن أقْبَل ، ونَزّ مَن أدْبَر .

- عطاء الله غيْر ممنوع ؛ يُعْطِي لِعباده في ساعة واحدة في ليلة وفي زمَن وفي أمْر ، ومَن يَعْتَرِض مِن سائر المعترِضين إنّما يَعْتَرِض على الله تعالى في فِعْله ، ونَعُوذ بالله تعالى مِن الاعتراض ، بل إنّا نَحْنُ نَطْرَح أنْفُسنا لِلفقراء كُلّهم ونَحْذَر مَن يعيبهم أو يُنْكِر على أحد منهم حاله على أيّ حال كان .

- على قَدْر خيار الأرض يكون فلاّح الزّرْع .

- علامة المريد الصادق أنْ يكون سائراً في الطّريق ليلاً ونهاراً ، غدوّاً وبكاراً لا مُقيل له ولا هَدْو ، جواده قدْ فَرَغ مِن اللحم وامتلأ مِن الشّجاعة والهمّ ، قدْ شَفّ مطيّتَه السُّرَى وأسقَمَها البرى ، لا يُقَيِّد هِمّتَه مُقَيِّد ، ولا يُهَوِّله مُهْلِك ، ولا تُوجِعه ضربات الصّوارم ، ولا يَشْغَله شيطان غويّ ولا مارد جنّيّ ، كُلّ مَن خاصَمه في محبوبه عاد مخصوماً ، لا يهدأ ولا ينام ولا يَصْحو ، بل الدَّهْر كُلّه له سُرىً حتى يَدْخُل خِيَام ليلَى ويَضَع خدّه على أطناب الخيام ، فإذا سَمِع الخطاب بالتَّرْحيب مِن الأحباب انْتَعَش وطاب ، وسَمِع الخطاب بالترحيب مِن قاب قوسَيْن هناك استراح : يا طالَما قَطَعْتَ براري وقِفَاراً وجبالاً وبِحاراً وظلاماً وناراً ، يا طُول ما تَعِبْتَ وتَعَنَّيْتَ ، ويا طُول ما رَجَع غيْرُك مِن الطريق وجِئْتَ ، فأكْرَم الله تعالى مثواك ولا خَيَّب مسعاك ، أنت اليوم ضيْف عندنا ، ويَوْمُنَا لا انقضاء له أبَد الآبدين ودَهْر الدّاهرين .

- عليك بالعمل بالشّرع ، وإيّاك وشقشقة اللسان بالكلام في طريق القوم دون التَّخَلُّق بأخلاق أهْلها ، وقدْ كان ﷺ يَعصم حتّى شَدّ الحَجَر على بطْنه ، وقام حتّى تَوَرَّمَت قَدَماه ، ثُمّ تَبِعه أكابر الصّحابة ﷺ على ذلك : فكان أبو بكْر الصِّدِّيق ﷺ إذا تَنَهَّد يُشَمّ لِكبِده رائحة الكبد المشويّ ، وأنْفَق ماله كُلّه في سبيل الله ، وكان عُمَر بن الخطّاب ﷺ شديد العمل والكدّ حتى رقّع دلقه بالجلود ولَفّ رأسه بقطعة خيش ، وكان عثمان ﷺ يَخْتم القرآن قائماً كُلّ ليلة على أقدامه ، وكان عَلِيّ ﷺ مِن زُهّاد الصحابة ومُجاهِديهم حتى فتح أكْثَر بلاد الإسلام .. هؤلاء خواصّ الصّحابة ﷺ مع قُرْبهم مِن رسول الله ﷺ .. هذا كان عملُهم .. هذا كان اجتهادهم وزهْدهم وجُوعهم ، فأحْكِموا الحقيقة والشّريعة ولا تُفَرِّطوا إنْ أردتم أنْ تَكُونوا يُقْتَدَى بكم ؛ ومِ سُمِّيَت الحقيقة " حقيقةً " إلاّ لِكونها تُحَقِّق الأمور بالأعمال وتُنْتِج الحقائق مِن بَحْر الشّريعة .

- عليكم بالوصيّة بالنّسوان والتَّفَقُّد لهنّ والتّوسعة عليْهنّ ، وأنْ لا يَضْرِبهنّ أحد عبثاً ولا يُكَلّفهنّ شططاً ولا يَستَعْمِلهنّ كدّاً فيما لا يَحِلّ له ، ولا يُضَيِّق عليْهنّ ، وعليْك بالرّاحة بهنّ ولا تَضْرِبوهنّ ؛ فإنّ هذه أخلاق العتاة ، والرجل راعي

بيته ، والمرأة أنْ لا تَغْلظ ولا تَجُور ولا يَعْلُو صوتها على صوت زوْجها ، ولا تقول لـه :" ما رأيتُ منك خيراً قَطّ " ، ولا تَخْرُج ولا تَدْخل إلا بإذْنه ، ولا تَنْظُر إلى غيْره إلا إلى مَن أحَلّهم لها الشّرع مِن العصب الأقربين ، ومَن عَدَاهم فحرام ثُمّ حرام .

– عليكم بتصديق القوم في كُلّ ما يَدّعون ؛ فقدْ أفْلَح المُصَدّقون وخاب المُسْتَهْزِئون ؛ فإنّ الله تعالى يَقْذِف في سِرّ خواصّ عِبَاده ما لا يَطّلِع عليه مَلَك مُقَرّب ولا نَبِيّ مُرْسَل ولا بَدَل ولا صِدّيق ولا وليّ ، ما أنا قُلْتُ هذا مِن عندي إنّما هو كلام أهْل العِلْم بالله تعالى ، فما لِلعاقل إلا التّسْليم وإلا فاتوه وفاتَهم وحُرِم فوائدهم وخَسِر الدّارين .

– عن ميمون بن مهران قال : قُلْ لي في وجْهي ما أكْرَه ؛ فإنّ الرّجُل لا يَنْصَح أخاه حتّى يقول له في وجْهه ما يكْرَه .

– فيْض الرّبوبيّة إذا فاض أغْنَى مِن الاجتهاد ؛ فإنّ صاحِب الجهد قاصِر ما لم يَقْرأ في لوْح المَعاني سِرّ عطاء القادر ؛ وإلا ما يُوصله عملُه ولا يُقصره وَهَنُه ؛ فقدْ يُعْطِي المولى مَن يكون قاصراً ما لم يُعْطِ أصحاب المَحابر ، وليس مطلوب القوم إلا هو ، فإذا حصلوا على معرفته عرفوا بتعريفه كُلّ شيء مِن غيْر تعب ولا نَصَب ، ثُمّ إذا صَحّت لهم المعرفة فلا حِجَاب له بَعْد ذلك إلا إنْ خُذِل .. نسأل الله السّلامة .

– قال أبو عَلِيّ : الصّوْلة على مَن فَوْقك وقاحة ، وعلى مَن مِثْلك سوء أدب ، وعلى مَن دونك عَجْز .

– قال الله تعالى في بعض كُتُبه :(إنَّ أحَبَّ عِبَادِي إلَيَّ مَنْ يُحَبِّبُ عِبَادِي إلَيَّ وَيُحَبِّبُنِي لِعِبَادِي .. أُولَئِكَ هُمُ الأبْطَالُ حَقّاً ، إذَا أرَدْتُ أنْ أُنْزِلَ بِخَلْقِي بَلاَءً دَفَعْتُ عَنْهُمْ بِهِم) ، وقال ﷺ ﴿ لَرَدُّ شَارِدٍ إلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ عَابِدٍ سَبْعِينَ سَنَةً صِيَامَهَا وَقِيَامَهَا ﴾ ، وقال ﷺ لِعَلِيّ ﴿ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَابَت ﴾ ، إذا أراد الله أنْ يَفْعَل بأهْل الأرض أمراً فيهم يَرْفَع بهم البلاء ، وبهم ينزل الغيث ، وبهم تُطْفَأ أوزار المَعاصي ،

وبهم يَلِين القلب القاسي .

- قال بعضهم : إذا قال الرَّجُل لِصاحِبه :" قُمْ بنا " فقال :" إلى أين ؟ " فلا تَصْحَبْه ..

وقال آخَر : مَن قال لأخيه :" أعطني شيئاً مِن مالك " فقال :" كمْ تريد ؟ " فلا تَصْحَبْه .

- قال جعفر : أَثْقَل إخواني عليّ مَن تكلَّفْتُ له واحْتَفَظْتُ منه ، وأَخَصّهم على قَلْبي مَن أكون معه كما أكون وحْدي .

- قال عُمَر بن الخَطّاب ﷺ : كُنْتُ أَدْخُلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَجِدُهُ وَأَبَا بَكْرٍ يَتَحَدَّثَانِ فِي الْحَقِيقَةِ فَلاَ أَفْهَمُ مَا يَقُولاَن .

- قال عيسى بن مريم على نبيّنا وعليه السّلام :" كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا رَأَيْتُمْ نَائِماً قَدْ كَشَفَتِ الرِّيحُ ثَوْبَه ؟ " قالوا :" نَسْتُرُه " قال : بَلْ تَكْشِفُونَهُ ؛ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ كَمَنْ يَسْتَمِعُ فِي أَخِيهِ الْكَلِمَةَ فَيَزِيدُ عَلَيْهَا وَيُشَنِّعُهَا بِأَعْظَمَ مِنْهَا .

- قدْ أَفْلَح المؤمِنون .. لله دُرّ قوْم جَدّوا في سُرَاهم وعامَلوا مولاهم ليْلهم ونهارهم حتّى أتاهم مِن الله غاية مُنَاهم ، فَهُمْ يوْم القيامة آمنون .. قدْ أَفْلَح المؤمِنون .. سكِروا مِن حُبّه ، وهاموا مِن بُعْده وقُرْبه ، وخافوا مِن وعيده ووعْده ، فتَرَاهم خاشعين .. قدْ أَفْلَح المؤمِنون .. تَجَلَّى في سرائرهم وعَلِم ما في ضمائرهم فقَوَّى عزائمهم ، فَهُمْ مِن شراب الله يَشْرَبون .. قدْ أَفْلَح المؤمِنون بَيَّن لهم الطّريق وأَفْرَدهم فيها بِلا رفيق ، فذهبوا يَسْتَبِقون إلى البيت العتيق ، حفاةً ماشين .. قدْ أَفْلَح المؤمِنون .. أَحَبّهم فأَحَبّوه ، طَلَبهم فطلبوه ، أَمَرهم بذِكْره فَهُمْ له ذاكرون .. قدْ أَفْلح المؤمِنون .. أَوْصَلهم الاتصال ، وأَشْغَلهم به عن قيلٍ وقال ، وأَصْبَح لهم دليل حيث قال ، رجال عاملون .. قدْ أَفْلَح المؤمِنون غابوا عن الدُّنْيا وعَلِموا أنّها تَفْنَى ، فأَفْنَوْا أنْفُسهم لَمّا عَلِموا أنّهم فانون .. قدْ أَفْلَح المؤمِنون .. لَمّا كَمَّل أوصافهم ورَفَع لهم أعرافهم ورَضِي أحوالهم وأقوالهم وقَبِل أعمالهم حينئذٍ ينادي عليهم : يا عبادي .. لا خوْف عليْكم اليوم ولا أنتم تَحْزنون .. قدْ أَفْلَح المؤمِنون .. فكأنّي بهم على نُجُب تَخْرِق بهم

الحُجُب ، أَرْجُلها مِن الذّهب ، وأَزِمّتها مِن الزَّبَرْجَد ، وهُمْ عليْها راكبون .. قدْ أَفْلَح المؤمِنون .. تَلَقّاهم رضوان بالرَّحْب والرّضوان ، وقال : رَضِي عليكم المَنّان ، فهلْ أنتم راضون .. قدْ أَفْلَح المؤمِنون .. تَجَلّى لهم ورَفَع الحجاب ، ولم يحاسبهم حسابا ، وقال :" انظروا " فَهُمْ ناظرون .. قدْ أَفْلَح المؤمِنون . منهم بان ، تطوف عليهم ولدان ، وزَوَّجهم بحور حِسَان ، وأَجْرَى لهم عيْنيْن نضّاختيْن ، وأعطاهم مِن كُلّ فاكهة زوْجيْن ، فَهُمْ على الأرائك مُتّكِئون .. قدْ أَفْلَح المؤمِنون .. فَهُمْ في الدُّنْيَا مسجونون ، أجسادهم عارية ، وأبدانهم ناحفة ، وأَعْيُنهم باكية ، قدْ شاهَدوا مِن عذابِ والنّعيم .. قدْ أَفْلَح المؤمِنون .. فأولئك هُمْ لِكتابه سامعون ، ولأمْر ربّنا طائعون ، وفي الدُّنْيَا زاهدون ، ولِلحرام مُجْتَنِبون ولِذِكْره ذاكرون ، ومِن خَلْقه مُسْتَوْحِشون ، أولئك هم التّائبون العابدون الحامدون السّائحون الرّاكعون السّاجدون الآمرون بالمعروف والنّاهون عن المُنْكَر والحافظون لِحدود الله ، وبَشِّر المؤمِنين .

– قدْ بالغتُ لكم جهدي ونصحتُ لكم نصحي ، فإذا اتَّبَعْتم أَفْلَحْتُم ورَشَدْتُم وارْتَقَيْتُم درجةً في أَعْلَى عِلِّيِّين .

– قَدَمٌ كانت تَسْعى إلى المَعاصي فاجعلها إلى المساجد تَسْعَى .. قَدَمٌ كانت في المُنْكَر تقف فاجعلها في الطّاعة تقف .

– قَسَم عُمُرك ورِزْقك ، فلا بُدّ ما قَسَمه يَصِل إليك على رغْمك .

– قلّة معرفة أخلاق القوم مِن الحرمان ؛ لأنّ خَرْق سياج الأدب معهم يؤدّي إلى العطب ، والباب مفتوح ما أُغْلِق ، إلا أنّ القوم واقفون بباب الله ، والجواب منادَمات في الغيب بالغيب .

– قَلّ مَن يُفْلِح إذا كان مخالِط النّاس .

– قوت المبتدِي الجوع ، ووطنُه الخضوع ، ومطرُه الدّموع ، ووطرُه الرّجوع يصوم حتّى يَرِقّ ويلين وتَدْخل الرِّقّة قَلْبه وتَفْتَح مَسامع لُبّه ويزول الوقر مِن سَمْعه ، فيَسْمَع بأذن وقَلْب كلام القرآن والمَواعظ ، وأمّا مَن أَكَل الطّعام ونام ووَقَف دُون البحر وما عام ولَغَا في الكلام وتَرَخّص وقال :" ليس على فاعِل

ذلك ملام " فإنّه لا يجيء منه شيء .. والسلام .

– قيل : إنّ أحد الإخوان في الله يقال له :" ادْخُلِ الْجَنَّة " فيسأل عن منزلة أخيه فإنْ رآه دونه لمْ يَدْخُل الجَنَّة حتّى يُدْخِله معه ، فإنْ قيل له :" لَمْ يكُنْ يَعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِك " فيقول :" إنّي كُنْتُ أعْمَل لي وله " ، فيُعْطَى جميعَ ما يَسْأل لأخيه ويَرْفَع أخاه إلى منزله .

– كان أبو معاوية الأسْوَد يقول :" إخواني خيْر منّي " فقيل له :" وكيف ذلك ؟! " قال : كُلٌّ منْهم يَرَى لي الفضل عليه ، ومَن فَضَّلني على نَفْسه فهو خيْر منّي .

– كان السَّلَف يَخافون مِن آفات الاجتماع ، فلِذلك آثَروا العزلة إلا في صلاة الجمعة وحضور مَجالس العِلْم التي لا رياء فيها ولا جدال ولا عُجْب ولا مداراة والسّلامة مِن هذه الأمور في زماننا هذا قَلّ أنْ توجَد ، فعليْك بالوحدة بَعْد معرفة ما أوْجَب الله تعالى عليك ؛ فإنّك يا ولدي في القَرْن السّابع الذين أكْثَرُهم يَجْعَلون شريعة السّالك قدحاً في الشّريعة ، وحقيقة المحبّة بِدْعاً في الطّريق ، كأنّهم ما عَلِموا قَطّ عطاء الله ومَواهب مَدَد الله وخوارق عجائب غرائبه ، بلْ رَأوْا مِن سوء حالِهم أنّ باب العطاء قدْ أُغْلِق !! فمَن اعتقَد ذلك فإنّما هو مُعْتَرِض على الله تعالى في فِعْله ، ونَعُوذ بالله مِنَ التَّعَرُّض ؛ فإنّه لا بُدّ لأهْل حضْرته تعالى مِن التَّمَيُّز عن المُعْرِضين عنها لِيَشْتاق المُعْرِضون إليها حين يَرَوْن الخوارق تقَع على يد أوليائه ، فما أجْهَل مَن جَهِل قَدْر الفقراء وما أعماه ! إيش يقال في قوْم كُلّهم طالبون الله تعالى ؟! أيُنْكِر عليْهم مُسْلِم ؟! كلاّ واللهِ ، وَقيل لِلجنيد ﷺ :" نَرَى قوماً يَجْلِسون بِلا عِلْم ؟ " قال :" العِلْم أجْلَسهم " قيل : " فَهُمْ يَتواجدون ويَتمايلون ؟ " قال : دعْهم مع الله تعالى يَفْرَحون ، ولا تُنْكِر إلا على العصيان المُصَرَّح به في الشّريعة ، أمّا هؤلاء القوم فقدْ قطّعَت الطريق أكبادهم ، ومزّق التّعَب والنّصَب أمعاءهم ، وضاقوا ذرعاً ، فلا حَرَج عليهم إذا تَنَفَّسوا مداواةً لِحالهم ، ولو ذُقْتَ يا أخي مذاقهم لَعَذَرْتَهُم في صياحهم وشقّ ثيابهم ، فالله يُلْهِم أولادي سلوك سبيل الرّشاد إليه ؛ إنّه سميع مجيب .

– كُلّ أحد بشرابه على قَدْر شرْبه الذي أسْقَتْه أحبابه : فقوْم شرابهم حُبّهم ،

وقوْم شرابهم صومهم ، وقوْم شرابهم فِكْرهم ، وقوْم شرابهم قُرْبهم ، وقوْم شرابهم كَشْفهم ، وقوْم شرابهم شهادتهم ، وقوْم شرابهم شَهْدهم ، وقوْم شرابهم مشاهَدتهم ، وقوْم شرابهم تَجَلِّي الأنوار الخارقة على قلوبهم ، وقوْم ذَهِلوا فغابوا فحملوا وحَمَل عنْهم كُلّ شيء فلم يُحِسّوا بتعبهم ولا نَصَبهم ولا ألمهم ولا لحقهم شططهم ، وقوْم يَتَلَذَّذون بوقْع الخطاب مِن سِرّهم ، فهذا شراب لا يَشْرَبه مَن في قَلْبه عكَر ولا بقايا عكس ولا التفات طبعيّ ولا حظّ نفسانيّ ولا دَعْوَى شيطانيّ ولا كِبْر تَرَف ولا صلف ولا وجود عمل ولا نَفْس ثائرة .

- كلام العبد كُلّه عليه لا له إلا ذِكْر الله أو أمْر بالمعروف أو نهْي عن مُنْكَر أو إصلاح بيْن النّاس .

- كُلّ مَن تَحْجبه أعماله وأقواله عن دَرْك ما شاء فهو محجوب عن جميع التَّوْحيد ومقام التَّفْريد ، ولا يُزَفّ الوليّ إلى ربّه حتّى يَتْرُك الوقوف مع سِوَاه مِن مقام أو درجة .

- كُلّ مَن قام بحقوق الله تعالى رَزَقه عِلْماً بمعرفة النَّفْس ومَحاسن الأخلاق ، ويُعَرِّفه مَحاسن الأدب ، ويقيه مِن الأذى ، ويُوَفِّقه في ذلك كُلّه ، ولا يَفُوته شيء مِمَّا يَحْتاج إليه فيما يرْجع إليه مِن حقوق الحقّ وحقوق الخَلْق .

- كُلّ واقِف على كتابي هذا يَتَحَقَّق أنّ أوّل الطُّرُق الْتزام البواعث الدِّينيّة في الرِّياضات ، والصَّمْت ، وصِدْق اللِّسان ، وحُسْن الإيمان ، والتَّوْبة النَّصوح ، والتَّواضع

- كم مِن عِلْم يَسْمَعه مَن لا يَفْهَمه فيُتْلِفه ، ولِذلك أُخِذَت العهود على العلماء أنْ لا يُودِعوا العِلْم إلا عند مَن له عقْل عاقِل وفَهْم ثاقب أو مَن يكون مِن أهْل الوصول .

- كم مِن واقِف في الماء وهو عطشان لهفان ، أعني إذا لم يَحْصُل له الصِّدْق في طلب مولاه ، بلْ عَبَد ربَّه على علّة ، فاعملوا بالإخلاص لِتُرْوَوْا مِن ظمأ العطش ؛ فإنّ طريق الله تعالى لا تُنال إلا بقتل الأنفُس وذبْحِها بسيْف المجاهَدة والمخالَفة .

- كم مَن يتلو الاسم الأعظم ولا يدريه وما فَهِم معناه ، وما لَمَس الأولياءُ الشّجرةَ فأثْمَرَت إلا به ، ولا سال الماء مِن صخرة إلا به ، ولا سُخِّرَت الوحوش لِوليّ إلا به ، ولا سأل وليٌّ القَطْر فنَزل إلا به ، ولا أحيا الموتى إلا به .

- كُنْ ذا رحمة بخَلْق الله وشفقة على جميع خَلْقه ؛ فإنّ الله يُحِبّ مِن عباده الرُّحماء .

- كيف تطْلُبون أنّ الله تعالى يُنْبِت لكم الزَّرْع أو يُدِرّ لكم الضَّرْع وأنتم تَسُلّون السّيوف على أحد مِن هذه الأُمّة المحمَّديّة وتُلَطِّخون الحِرَاب مِن دمائهم ؟!

- كيف يَدَّعِي أحدكم أنّه مريد طريق الله عزّ وجَلّ وهو ينام وقْت الغنائم ووقْت فتوح الخزائن ووقْت نَشْر العلوم وإشهار الرّقوم ووقْت تَجَلِّي الحيّ القيوم يا كذّابون .. مَا تَستَحْيون مِن الدّعاوى الكاذبة ؟!! هِمَمُكم راقدة ، وعزائمكم خامدة ، ما هكذا دَرَج أهْل الطريق .

- كيف يَدَّعِي أحدكم أنّه مِن الصّالحين وهو يقع في الأفعال الرَّدِيَّة ويأكل طعام المكّاسين وأهْل الرِّشَا والرِّبَا والظَّلَمة وأعوانهم ؟! وكيف يَدَّعِي أنّه مِن الصّالحين وهو يقع في الكذب والغِيبة والوقيعة في النّاس وفي أعراضهم ؟! وكيف يَطْلُب أنْ يُكْتَب عند الله صادقاً أو وليّاً أو حبيباً أو زكيّاً أو رضيّاً وهو يقع في شيء مِن المَنَاهي ؟! ولَعَمْرِي هذا الآن لم يَتُبْ فكيف يَدَّعِي الطّريق أو يُتَوِّب غيْره ؟!!

- لا أُحِبّ مِن أولادي إلاّ مَن أراه يَتَرَقّى في كُلّ ساعة مِن مقام إلى مقام ، فهناك تَقَرّ عيني ، وهناك يصير يُنْتَفَع به .

- لا تَبْرُز ليلَى لِمَن يَطْلُب على الوقوف بيْن يديْها عوضاً منها ، وإنّما تَبْرُز لِمَن يَرَى الفضل والمنّة لها إذْ أَذِنَت له في الوقوف بيْن يديْها .

- لا تُشْهِر نَفْسك بطريقنا ثُمّ تجيء لنا وأنت مسيء فيكون الله خصْمك وخصْم مَن استهزأ بنا ولم يَتُبْ ويَسْلك طريقنا ولَعِب وكَذَب ، وإذا كان أحدكم لا يَتّعِظ ولا يَنْفَع فيه الوعظ فلا يُلِمّ بنا ولا يَمْشِ في رِكَابنا ، بلْ يكون منفرِداً عنّا ، فإنْ كان قد أتانا وقَصَد جنابنا فما نُحِبّه يكون إلا شاطراً ، ولا نُودِعه السِّرّ إلا أنْ

يكون مليح الشمائل .

- لا تَصْحَب إلا مَن يُقَوِّيك على طاعة ربّك ويزيدك من الخير .

- لا تفيد الخلوة إلا إنْ كانت بإشارة شيْخ ، وإلا ففسادها أكْثَر من صَلاَحها .

- لا تُنْكِروا على فقيرٍ حاله ولا لباسه ولا طعامه ولا على أيّ حالٍ كان ولا على أيّ ثوْبٍ يلْبس ، ولا إنكار على أحد إلا إن ارْتَكَب محظوراً صَرَّحَت به الشّريعة ؛ وذلك أنّ الإنكار يُورِث الوحشة ، والوحشة سبب لانقطاع العبد عن ربّه عَزّ وجلّ ؛ فإنّ النّاس خاصّ وخاصّ الخاصّ ومبتدئ ومُنْتَهٍ ومتشبّه ومتحقّق ، ويَرْحَم الله تعالى البعضَ بالبعض ، والقويّ ما يَقْدِر أنْ يَمْشِي مع الضّعيف وعكْسه .

- لا خيْر لك في صحبة مَن لا يَرَى لك كما يَرَى لِنَفْسه .

- لا مال أنْفَع من العِلْم ، ولا تجارة أرْبَح من الحِلْم ، ولا قرين أزْيَن من العقل ولا رفيق أشَرّ من الجَهْل ، ولا حَسَب أحْسَن من الأدب ، ولا كَنْز أعَزّ من التُّقَى ، ولا عقْل كالتَّبَصُّر ، ولا وَرَع كالعفّة ، ولا بضاعة مِثْل القناعة ، ولا غائب أقْرَب من الموت ، ولا شفيع أصْدَق من التَّوْبة ، ولا عيْش إلا عيْش الآخرة ، ولا نعيم إلا النّظر إلى وجْه الكريم ، ولا مُلْك إلا مُلْك الله ، ولا لباس إلا خِلَع رضا الله ، ولا رفعة إلا لِمَن رَفَعه الله غداً في الآخرة .

- لا يَحِقّ لك أنْ تأمر غيْرك إلا إنْ كانت الشّريعة تُزَكِّيك بوقوفك على حدودها .

- لا يعصي أحدكم ربّه عَزّ وجَلّ ويَمُرّ على الهوَامّ الضّعيفة إلا وتَوَدّ أنّ الله تعالى يعطيها قُوَّةً لِتَبْطِش به ؛ غيرةً على جناب الحقّ تعالى ، ولا يَمُرّ على الطُّيور والوحوش إلا ويَسْتَعيذون بالله تعالى من رؤيته ، ولا يَرِد ماءً إلا ويَوَدّ أنْ لا يَشْرَبه ، ولا يَمُرّ في الهواء إلاّ ويَوَدّ أنْ لا يكُون مَرّ به .

- لا يَكْمُل الفقير حتّى يكون مُحِبّاً لِجميع النّاس مُشْفِقاً عليهم ساتراً لِعوراتهم ، فإن ادَّعَى الكمال وهو على خلاف ما ذَكَرْناه فهو كاذِب .

- لا يكون الرّجل غوّاصاً في الطّريق حتّى يَفِرّ من قَلْبه وسِرّه وعمله وهمّه وفِكْره وكُلّ ما يَخْطُر بباله غيْر ربّه ، فآهٍ آه لو كشف الحجاب عن الأثواب

وأبْصَر الأعمى الحَرْف الذي ليس بحَرْف ولا ظَرْف وفَكّ ما خفي مِن الغمض وفَتَح قفْل القفْل وفَكّ أزرار المزرور .

- لسانك أسد إنْ أطْلَقْتَه أكَلَك ، وهو أعْظَم عليْك مِن فَرْجك ؛ فإنّ لسانك إنْ أطْلَقْتَه أوْقَعَك في هلاك لم تَجِدْ منه نجاةً أبدا .

- لِلباصر في العين بصر ولِلقلْب لسان يدقّ عن الإدراك .

- لو شَرَحْنَا معنى مكّة - حَرَسَها الله تعالى - والبيت الحرام المُشَرَّف المُكَرَّم وما فيه وما حوْله وما ينزل إليه وما فيه مِن الرَّحْمة والمِنّة والنِّعْمة لَضاعت العقول ، لكنّ العلماء بأمر الله تعالى - رضوان الله عليهم أجمعين - ذَكَروْا الشّرائع والسُّنَن والمفروض والحجّ والعمرة والفضل والأجر الجزيل ، وحذفوا ما يُذْهِل العقول .

- لو فَتَح الحقّ تعالى عن قلوبكم أقفال السّدد لاطَّلَعْتم على ما في القرآن مِن العجائب والحِكَم والمَعاني والعلوم واستَغْنَيْتُم عن النّظر في سِوَاه ؛ فإنّ فيه جميع ما رُقِم في صفحات الوجود ؛ قال تعالى ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ ، ومَن فَهَّمه الله تعالى في كتابه أعطاه تأويل كُلّ حَرْف منْه ، وما هو ، وما معناه ، وما سبب كُلّ حَرْف ، وما صفة كُلّ حَرْف ، وعِلْم المكتوب مِن الحروف في العلويّ والسُّفْليّ والعرش والكرسيّ والسّماء والماء والفلك والهواء والأرض والثّرى .

- ليس أحد مِن القوم مبتدِعاً ؛ إنّما هُمْ مُتَّبِعون في الأدب لِسَيِّد الأمم ، وقدْ قال تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا ﴾ ؛ فلقد كان أحدهم بَعْد نزولها إذا وقَف يقول " نعم " ثلاث مرّات ، فإنْ أُذِن له وإلا رَجَع مِن حيْث أتَى .

- ليس أحدهم يُقَدَّم في الطّريق بكِبَر سِنّه وتَقادُم عهْده ؛ إنّما يُقَدَّم بفتْحه ، ومع هذا فمَن فُتِح عليه منكم فلا يَرَ نَفْسَه على مَن لم يُفْتَح عليه ، وتأمَّلْ يا ولدي إبليس اللعين لَمَّا رأى نَفْسَه على آدم عليه السلام وقال " أنا أقْدَم منْه وأكْثَر عبادةً ونوراً " كيف لَعَنه الله وطَرَده .

- ليس التَّصوُّف لِبْس الصُّوف ؛ إنّما الصُّوف مِن بعض شِعَار التَّصـوُّف ؛ فـإنّ دقيق التَّصوُّف رقيق صفاته ورونق بهجة تَرَقِّيه لا يَحْصُل إلا بالتَّدَرُّج ، فإذا وصَل الصّوفيّ إلى حقيقة التَّصوُّف المعنويّ لا يَرْضَى بلبْس ما خشن ؛ لأنّه وصَل إلى مقامات اللّطافة وخرَج مِن مقامات الرّعونة ، وعاد ظاهِره الحِسِّيّ في باطِنه الإلّيّ ، واجْتَمَع بَعْد فُرقة ، وقُذِف فيه جذوة نار الاحتراق ، فعاد الماء يَحْرِقه ، والثَّلْج والبرد يُقَوِّي ضِرَامه ، والقميص الرّقيق لا يَسْتطيع حَمْله ؛ لِلطافة سِرّه وزوال كثافته ، بخلاف المريد في بدايته يَلْبس الخَشِن ويأكل الخَشِن لِيُؤَدِّب نَفْسه وتَخْضَع لِمولاها ويَحْصُل لِصاحِبها تمهيد لِلمقامات التي يَتَرَقَّى إليها فكُلّما رَقّ الحِجَاب ثَقُلَت الثِّياب .

- ليس الزُّهْد خروج العبد عن الشّيء ؛ إنّما الزّاهد أنْ يكون داخلاً في إمارته أو صنْعته وقَلْبُه خارج حائل ذاكِر فاكِر حائر مُجاهِد مُرابِط مخمول الذِّكْر مشتغلاً بذِكْر الله عَزّ وجَلّ .

- ليس العوض منه في الدّارَيْن بشيء إلا هو ، وليس الغرض كرامات ولا مَنْقَبَات ولا آيات ولا مقامات ولا نعات ولا حال ولا قال ولا بال ولا مناجات إلا صمْت سمْت ، وكُلّ ما دُون عَرَض ، وكما قال بعضهم : ألاَ كُلُّ شيءٍ ما خَلاَ الله باطل .

- ليس كُلّ مَن تَزَيَّا بزِيّ القوم يَنْفَعه زيّه أو درجُه أو خِرْقته ؛ فإنّ هذه أمور ظاهرة ، فإيّاكم أنْ تَقْنَعوا بالظّواهر دون البواطن ؛ فإنّ القوم إنّما تَرَقّوْا بالعمارة الجوّانيّة ؛ عملوا بالقلب والقالب والسِّرّ والمعنى والأعضاء ، وما رأيْنا أحداً لَبِس جبّةً وكُتِب له إجازة وأُرْخِى له عذبةً وجلس على سجّادة فبلَغ بذلك مَبْلَغ الرجال ، بل يقف عن السّيْر أوْ يرجع مِن حيث جاء ، إنّما القوم جَعَلوا نَعْتهم ديانتهم ، وعِزّتهم طاعتهم ، وغِنَاهم قناعتهم ، وكنْزهم ذِكْرهم ، وبضاعتهم مجاهَدتهم ، ومعامَلتهم لِربّهم ، وربْحهم بِعِلْمهم ، وصلاحهم فلاَحهم ، وفِكْرهم شُكْرهم ، والصّبْر مُعْتَمَدهم ، والتَّوكُّل دأْبهم ، والخَوْف سجْنهم ، والرّجاء أَمَلُهم والرِّضا طلبُهم ، والإخلاص خلاصة خلاصتهم ، والصِّدْق مُعْتَمَدهم ، والسّخاء

دأبهم ، والعفاء مرادهم ، والتّسليم أدبُهم ، والإقبال في طاعة الله بضاعتهم ، والاشتغال بالعمل لِليوم الآخِر عُمْدتهم ، قومٌ سَكِروا بحُبّ الله تعالى فتَرَاهم دُهْشاً سكارى باكين مولّهين ذاكرين شاكرين متبتّلين لِعبادة مولاهم .

- ما ابتلى الله عَزّ وجَلّ الفقير بأمر إلا وهو يريد أنْ يُرَقّيه إلى مَنازل الرِّجال فإنْ صبر وكَظَم الغيظ وحَلُم وعَفَا وتَكَرَّم رقّاه إلى الدّرجات ، وإلا أوْقفه وطَرَده .

- ما أعَزّ الطريق ! وما أعَزّ مَن يَطْلبها ! وما أعَزّ مَن يَصْدُق في طلبِها ! وما أعَزّ مَن يجد مَن يدلّه عليْها ! وما أعَزّ مَن يَصْبِر تحْت تربية شيْخه حتى يَفْطم .

- ما أنِس أحد بالله تعالى قَطّ ؛ لِعدم المجانَسة بيْنه وبيْن عبْده بوجهٍ مِن الوجوه ، وما أنِس مَن أنِس إلا بما مَنّ الله تعالى مِن التّقْريب الإلهيّ لا بالله تعالى .

- ما حصلَت الدّرجات العُلَى إلا بصدق النيّة وإخلاص السّريرة ، فَجِدّوا وجَرّدوا النّفْس لِيَحْصُل لكم مقام الصّدْق وتَظْهَر لكم بَرَكات وكمالات وكرامات كفَلَق الفجر ، فاعملوا واحملوا وتَحَمّلوا جملةً في الطّريق تنالوا مَقاصدكم .

- ما بُنِيَت طريقتنا هذه إلا على التّيّار والنّار والبحر الهدّار والجوع والاصفرار ما هي بمشدقتك ولا بالفشار ، دَعْني فما وَجَدْتُ مِن أولادي واحداً اقْتَفَى آثار الرجال ولا صلُح أنْ يَكون محلاً لِلأسرار ، فلا حوْل ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم مِن هذا الزّمان الغدّار .

- ما ثَمّ عمل أزْكَى ولا أنْوَر ولا أكْثَر فائدةً مِن عِلْم أهْل الله عَزّ وجَلّ ؛ فإنّ الذّرّة منْه ترجح على جبال مِن عمل غيْرِهم ؛ لِخُلُوّه مِن العِلَل ، وأيضاً فإنّ عَمَل القوم بقلوبِهم وأبدانِهم ، وعمل غيْرِهم بأبدانهم دون قلوبهم ، ولِذلك لا يَزْدادون بكثرة الطّاعات إلاّ كِبْراً وعُجْبا .

- ما دام أنا وأنت فلا محبّة ؛ إنّما المحبّة مُمَازَجة الأرواح بالأجساد .

- ما دام لسانك يذوق الحرام فلا تَطْمَع أنْ تَذُوق شيئاً مِن الحِكَم والمعارف .

- ما قَطَع مريدٌ وِرْده يوماً إلا قَطَع الله عنه الإمداد ذلك اليوم .

- ما كُلّ مَن وَقَف يَعْرف لذّة الوقوف ، ولا كُلّ مَن خَدَم يَعْرِف آداب الخدمة ، ولِذلك قُطِع بكثير مِن النّاس مع شدّة اجتهادهم ، فإذا وَقَفْتَ بيْن يَدَي الباري جَلّ

وعَلاَ فَقِفْ كالميِّت مُراقِباً خائفاً وَجِلاً ساكناً تحْت القدرة ، متضرِّعاً متوسِّلاً خاضعاً ، واضعاً يدك على صدْرك ، غاضّاً طَرْفك بالتَّسْبيل ، ناظراً إلى موضع سجودك بالتَّسْجيل ، داعياً لِربِّك مستجيراً ، باكياً خائفاً متَّصِلاً بكاؤك دمعاً غزيراً ، فلَعَلّ إذا رآك مولاك الذي خَلَقك وسَوّاك خَضَعْتَ له وخَشَعْتَ وخِفْتَ وذَهِلْتَ وتَضَرَّعْتَ واعْتَرَفْتَ بذنوبك وبكَيْتَ مَحَا عنْك سيِّئاتك وغَفَر لك ذنوبك وزَلاّتك .

- ما قَلّ الأمر بالمعروف في قوْمٍ إلا كَثُر فيهم الظُّلْم والقتل وقلّة البَركة مِن ضرْعهم وربوعهم .

- ما كُلّ مَن زار الحِمَى سَمِع النِّداء مِن أهْله " أهلاً بهذا الزّائر " ، ولا كُلّ مَن سَلَك الحقيقة نال كشْف العَمَى عن الغطاء .

- ما كُلّ مَن وقَف يَعْلَم لذّة الوقوف ، ولا كُلّ مَن خَدَم يدري أداء الخدمة ، فإذا وَقَفْتَ بيْن يَدَي الباري جَلّ وعَلاَ فَقِفْ كالميِّت مراقِباً خائفاً وَجِلاً ساكناً تَحْت القدرة متضرِّعاً متوسِّلاً واضعاً طرف طرفِك ناظراً إلى موضع سجودك داعياً لِربِّك مستجيراً متَّصلاً باكياً خائفاً ؛ فلَعَلّ إذا رآك مولاك خَشَعْتَ وخَضَعْتَ وخِفْتَ وذَهِلْتَ واعْتَرَفْتَ بذنوبك مَحَى عنْك سيِّئاتك وزَلاّتك .

- ما هي واللهِ بالكلام ولا بالمُدَام ؛ إنّما هي خمرة مَن شَربها لا يَشْرَب ابنة العنب ولا ابنة الكَرْم ولا صَفْو الجرار ، مَن شَرِب خمرة الزَّهْرة فهي جمرة ، ومَن شَرِب خمرة المحبّة فهي قُرَّة تُورِث نعيماً ونضرةً ، فشراب الأحباب خوْف وقُرْب وآداب ، وشراب الآخَرين رِجْس الشَّيْطان وعذاب ونكال ووبال .

- ما يَعْلَم ما قُلْتهُ إلا مَن انْخَلَع مِن كثافة حُجُبه وصار مُرَوْحَناً كالملائكة .

- ما يَقْدِر أحد يَطْلع درجةً إلا بسُلَّمها ، ولا مكانةً إلا بتَسَبّبها ورقْيتها .

- مَدّ عُمَر ﷺ يده فقَلَع عيْن مَلِك القسطنطينيّة العظيمة مِن مدينة المصطفى ﷺ وفَتَح حصون الأعداء .

- مُذْ صَرَفْنَا هِمَمَنا إليه أغنانا عَمّا سِوَاه ؛ إنّا لا نَعْرِف قَطّ إبليس اللّعين .

- مَن أجاب السّائل وقَبِل المسائل وجَبَر قَلْب أخيه المؤمِن فله بذلك ذخائر

مُدَّخَرَة وحُلَل نفيسة باهرة وإستبرق ، وله قصور مِن الذَّهب الأحمر ، وفُرُش وطيئة مِن السُّندس الأخضر ، وبيوت مِن اللُّؤلُؤ والعنبر ، وأَسِرّة مِن الياقوت الأحمر ، ومصابيح مِن نور تُزْهِر ، وجواهر منظومة وحُلَل مرقومة ، وأنهار مِن الخمر واللَّبَن والعسل ، وقطوف التّداني وشريف الأواني ، والنّعيم المُقِيم ، وحُور وولدان حِسَان ، وتوقيع الأمان ، وخواتم مِن الذَّهب والفضّة وعبقريّ حِسَان ، وجَنَى الجَنَّتَيْن دان ، وعِذَار وأبكار ، وعُرُب أتراب ، ومِسك منشور ، ونعيم وسرور ، وفُرُش وستور ، وأَسِرّة مُرَصَّعة بالدُّرّ والجَوْهَر ، وحصباء اللُّؤلُؤ ، وأشجار المَرْجان ، وعنبريّ العبير العابق ، ونسيم رِيح الجنوب مِن المُحِبّ إلى الأحباب إلى القرب والأطناب ، وجوار الدَّيّان ، والنّظر إلى وجْه ذي الجلال والإكرام ، وركوب الخَيْل المنوَّعة المنوّرة ؛ خيْل أزِمّتها الزَّبَرْجَد ومَعارفها اللؤلؤ الرَّطب وعباها الياقوت وجوانبها مِسْك أزْفَر وعبير وعنبر ، تمشي على صفحة صفيحة تراب الجَنّة ، بلاطها وظِلّها في ظِلّ ظلال أقطافها ، ويندفق بإزائها مطرَّزة بألوانها واختلافها ، أترابها مكنونة ، وحُلَلها منسوجة مُصمخة موضوعة بعضها فوْق بعض ، لا نَسَجها ناسِج ، ولا بها اعوجاج ، وليس لها خياطة ، إنّما قال لها الجليل :(كُونِي) فكانت ، مَن شَرِب مِن شرابها ثَمِل وتمايَل وطَرِب ، لا بؤس فيها ولا هَمّ ولا تَعَب ولا نَصَب ولا قتم ولا أقتم ولا شطر ولا شطط ولا شظف ولا عنف ولا كدّ ولا تدّ ولا عِلَل ولا عمل ولا حَذَر ولا جهْد ولا جِدّ ولا نوْم ولا سهر إلا راحةً واستراحةً وطِيب خاطِر وانشراح باطِن وظاهِر وزوال التَّعَب والنَّصَب والوَصَب ، والتَّمَتُّع والنَّظَر إلى وجْه مَن خَلَق الخَلْق والبَشَر ، وخلود نعمة ودوام أمان ، وحُلَل ونعيم مقيم وخيْر عميم ونظر مديم وأنواع خيْر وفنون .. لِمِثْل هذا فلْيَعْمَل العاملون ..

هذا لِمَن لَبِث في الأيّام مُداوِماً ومُسافِراً ؛ فله القصور وله الأزواج مِن الحُور العِين التي لو أَبْدَت واحدة منْهنّ زِنْدها لأضاء منه ما بيْن الخافقيْن المَشْرِق والمَغْرِب ، قال رسول الله ﷺ ﴿ فِي الْجَنَّةِ جَارِيَةٌ يُقَالُ لَهَا " لُعْبَةٌ " لَوْ بَصَقَتْ فِي الْبَحْرِ لَعَذُبَ مَاءُ الْبَحْرِ مِنْ رِيقِهَا ، مَكْتُوبٌ عَلَى نَحْرِهَا سَطْرَانِ مِنْ نُورٍ :

مَنْ أَرَادَ مِثْلِي فَلْيَعْمَلْ بِطَاعَةِ رَبِّي ﴾ .

- مَن أَحَبَّ أَنْ يكون مِن أولادي حقّاً فلْيَقُم قياماً دائماً ، ولْيُجاهِد نَفْسَه جهاداً مُلازِماً ، ولا يملّ ولا يولّي ، ولا يُرَخِّص لِنَفْسه في تَرْك الاشتغال بالعبادة في حُجّة خوْف المَلَل ؛ فإنّ الناقد بصير ، والنَّفْس مِن شأنها التَّلْبيس على صاحِبها .

- مِن آداب الفقراء في الصُّحْبة : التّغافل عن زَلَل الإخوان ، والنّصيحة فيما تَجِب فيه النّصيحة ، وكَتْم عيْب صاحِبه وإصلاحه .

- مَن أُدْخِلَ دار الفردانيّة وكُشِف له سن الجلال والعظمة بقي هو بِلا هو ، فحينئذٍ يَبْقَى زماناً فانياً ، ثُمّ يَعُود في حِفْظ الله تعالى وكلاءته سواء حَضَر أو غاب ، ولا يَبْقَى له حظّ في كرامات ولا كلام ولا نظام نفسانيّ ، وخَلُص لِجانِب العبوديّة المحضة .

- مَن أراد السّلامة يوْم القيامة فلْيَتَحَرّ ما انْطَوَى عليْه جَنانه ولْيُحْسِن عمله ولْيُقْصِر أمله .

- مَن أراد سلوك الطّريق وبلوغ الحقيقة فلْيَرْكَب جواد العزم ويَحْتَزِم بالصَّبْر ويَعْتَصِم في السِّرّ ويُصقِل قَلْبه بأنواع المجاهَدة ويَشْرَب شربة الحبّ لِكَيْ يَنَال القُرْب .

- مَن أغاث ملهوفاً أغاثه الله في الدُّنْيَا والآخرة .. مَن فَرَّج عن مكروب فَرَّج الله عنه كُرَب الدُّنْيَا والآخرة .. مَن نَصَر مظلوماً نَصَره الله يوْم القيامة .. مَن أقال عثرة أخ مُسْلِم أقال الله عثْرته في الدُّنْيَا والآخرة .. مَن أَمَّن خائفاً أَمَّنه الله يوْم انفزع الأكبر .. مَن أَطْلَق أسيراً أَطْلَق الله سراحه مِن النّار .. مَن دَفَع ثوْبه إلى مسكين كان له عند الله توبةً .. مَن تَصَدَّق ولو بشِقّ تمرة أَرْبَى الله خيْره كجبال عظيمة .. مَن سَقَى مؤمِناً شربةً مِن ماء أَسْقَاه الله مِن شراب الآخرة .. مَن سَعَى في نَفْع المُسْلِمين كان جزاؤه الجنّة والنّعيم .. مَن فَرَّج على مُعْسِر فَرَّج الله عُسْره .. مَن رَأَف رَأَف الله به .. مَن حَلُم حَلُم الله عليه .. مَن عَفَا عافاه الله .. مَن كَفّ كَفّه الله .. مَن فَعَل المعروف وداوَم عليه أَقْبَل بكُلّ الخير والمزيد إليه .. مَن تَواضَع لله رَفَعه .. مَن تَكَبَّر على خَلْق الله وَضَعه الله ..

مَن غفَل عن مناقَشة نَفْسه تَلَف .. مَن لم يسارِع إلى المناقَشة كُشِف .. مَن كَفّ أذاه عن أخيه وجاره أسكَنه الله في جواره .. مَن حقَّق سِرّه كَفَاه الله شرّ العذاب ومُرّه .. مَن بادَر بالإقلاع عن الذّنوب أقْبَل عليه عَلاّم الغيوب .. مَنْ رَجَع عن مُحَرَّم كان الله له مُكْرِم .. مَن لَطَف بغريب أو مسكين أو فقير أو حقير أو صغير أو كبير أو ضعيف لَطَف الله به وكان له يوْم القيامة .. مَن داوَم على الأعمال سلِم مِن الأهوال .. مَن بَكَى مِن خشْية الله غفَر الله له ولِملأ كان فيه مَن عامَله بالسَّرائر جَعَله الله تعالى على الأسِرّة والحظائر .. مَن خلص نظره مِن الاعتكاس سلِم مِن الالتباس .. مَن طَهَّر قَدَمه وحَسُنَت خِدْمته وصَدَقَت نِيّته وصَفَت سريرته وواظَب على طاعة الله وخَرّ ساجداً على الجباه ورَطّب مِنْه الألسُن بالذِّكْر والشّفاه عافاه الله وكَفَاه وفَتَح له طريقاً إلى الجَنَّة وبالتُّحَف أتْحَفه وبخِلَع نِعَمه أعْطاه .. مَن جَبَر كسيراً جَبَره الله .

- مِن الأولياء مَن لا يَدْري الخطاب ولا الجواب ، فهو كالحجارة ؛ مُودَعَة أسراراً ناطقةً بلِسان حال ، صامتةً عن الكلام ، مُودَعَةً مِن غوامض الأسرار ، والعطاء مُفَرَّق : فمنهم عارف ومُحِبّ ومشغوف وذاكِر ومُذَكّر ومُعْتَبِر وناطق وصامت ومُسْتَغْرِق وصائم وقائم وهائم ومُفْطِر ، وصائم صائن وصائم صائم وقائم دائم ونائم واصل وواصل سهران وواقف ذاهل وداهِش واهِن وواهِم وباكٍ باسم ومقبوض وضاحِك وخائف ومُخْتَلِط ومُخْتَبِط ومُتَوَلِّه وصائح ونائح ومجموع بجميعه وجَمْعه إنْ خَرَج عن إيّاهما انْتَفَع ، ومنْهم مَن مَزّق الثِّياب حين حقَّق وتاب وغلَب عليه الحال ، ويَرْحَم الله البعض بالبعض .

- مَن انْقَطَع إلى الله كَفَاه ، ومَن انْقَطَع إلى الدُّنْيا وكَلَه الله إليها ، ومَن حاوَل أمراً بمعصية الله كان الله له أبْعَد مِمّا رَجَى وأقْرَب مِمّا اتَّقَى ، ومَن طَلَب مَحامد النّاس بمَعاصي الله عاد حامِده ذامّاً له ، ومَن أرْضَى النّاس بسخط الله وكَلَه الله إليهم ، ومَن أرْضَى الله بسخط النّاس كَفَاه الله شرورهم ، ومَن أصْلَح ما بَيْنه وبيْن الله أصْلَح ما بيْنه وبيْن النّاس ، ومَن أصْلَح سريرته أصْلَح الله علانيته ، ومَن عَمِل لآخرته كَفَاه الله أمْر دنياه .

- مَن جاهَد شاهَد ، ومَن رَقَد تَباعَد ، ومَن جَدّ وجَد ، ومَن حصلَت له العنايات الرّبّانيّة أغناه الله من فضله الجزيل .

- مَن حقّق وتَحقّق كلام الله كُشِف له عن كُلّ غريبة واتّضح له مِن ذلك كُلّ عجيبة .

- مَن خان لا كار ، ومَن لم يَتّعِظ بكلامنا فلا يَمْشِ في ركابنا ولا يُلِم بنا ، ولا نُحِبّ مِن أولادنا إلا الشّاطر المَليح الشّمائل ، وذلك يَصلُح لِوضْع السِّرّ فيه ، فيا أولادي .. ناشدتُكم الله تعالى لا تسوءوا طريقي ، ولا تَلْعَبوا في تحقيقي ، ولا تُدَلِّسوا ولا تُلَبِّسوا ، وأَخْلِصوا تَتَخَلَّصوا ، فكما أحْبَبْناكم واخْتَرْناكم فلا تُكَدِّروا علينا ولا تَرْموا طريقنا بالكلام ، وكما وفَّيْنا لكم حقّكم في التّربية والنُّصْح فوَفُّوا لنا بالاستماع والاتّعاظ ، وإنّما أَمَرْتُكم بما أَمَرَكُم به ربّكم ، فهو أمْر الله لا أمْري ، فإنْ نَقَضْتُم العهد فإنّما هو عهْد الله ، وإنْ كُنْتُم لا تأخذون منّا إلا أوراقاً فلا حاجة لنا بكم .

- مَن خُلِق مِن الصّفاء صلُح لِلمصافاة ، ومَن خُلِق مِن الكدر لا يَصلُح لِلقُرْب ولا لِلمناجاة ؛ خُلِق إبليس مِن أصل غيْر طاهِر فكانت خِلْعة العبادة عليه عاريةً وخُلِق عُمَر مِن أصل نقيّ فكانت أعمال الشّرْك عليه عاريةً ، وكُلٌّ إلى أصله عائد وإنْ صَدّه الصّدّ عنْ قصْده كما الماء مِن بَعْد إسخانه يَعُود سريعاً إلى بردِه .

- مَن ذاق طَعْم الوصل وشَرِب مِن ماء الحُبّ وأَبْصَر بعيْن الاطّلاع أماكن بواطن القُرْب وتَأَنَّس بنور القَبَس مَن آنَس مِن جانِب الطّور ناراً وكُسِي حُلَل البهجة والإقبال والشّرَف كان مختارا .

- مَن رأى له عملاً سقَط مِن عيْن ربّه وحُرِم مِن ملاحَظة الأسرار ولم يُعْطَ مفاتيح الإلهام والإدراك ومعنى سِرّ الأسرار ، بلْ يَكون المُشْتَغِل داعياً مُتَنَصِّلاً مُعْتَرِفاً بذنْبه لا يَرَى الحسنات إلا ذُنُوبا .

- مَن سكِر بحُبّ الله أو خاف مِن الله أَشَدّ الخوْف تَمَزَّق وتَقَطَّع .

- مَن سقَى شربةً مِن ماء في مكان صَعْب لم يَجِدُوا فيه الماء كَتَب الله له ألْف ألْف حَسَنَة ومَحَى عنه ألْف ألْف سيِّئة ورَفَع له ألْف ألْف درجة ؛ كُلّ درجة بيْنها

وبيْن الأخرى مسيرة خمسمائة عام مِن أعوام الآخرة ، ومَن سقاه في مكان لا يَجِدُون فيه الماء أعطاه الله تعالى مِن الحسنات أضعافاً مضاعَفةً ، ومَن أطْعَم لقمةً وسقى شربةً كانت له كحَجّة وعمرة ؛ لأنّ الله تعالى ما خَلَق أعَزّ مِن ابن آدم ، فتَصدّقوا وآثِروا واسقوا وأطْعِموا الطّعام .

- مِن شأن الفقير أنْ لا يكون عنده حسد ولا غِيبة ولا بَغْي ولا مُخادَعة ولا مُكابَرة ولا مُماراة ولا مُمالَقة ولا مُكابَنة ولا كِبْر ولا عُجْب ولا تَرَف ولا افتخار ولا شَطْح ولا حظوظ نَفْس ولا تَصَدُّر في المَجالس ولا رؤية نَفْس على أخيه ولا جدال ولا امتحان ولا تنقيص ولا سوء ظنّ بأحد مِن أهْل الطّريق ولا مِمّن تَزَيَّق بالزّيق ، ولا يَقْدَح قَطّ في صاحِب خرقة إلا إنْ خالَف صريح الكتاب والسُّنّة اختيارا .

- مِن شَرْط الفقير أنْ لا يكون عنده الْتفات إلى مراعاة المخلوقين له في الحرمة والجاه والقيام والقعود والقبول والإعراض وغيْر ذلك مِن الأحوال الظّاهرة ؛ لأنّه لا يُراعِي إلا الله تعالى .

- مَن طَلَب رضا الله كان عليه أنْ لا يَمْلأ جوْفه حراماً وألاّ يَلْبس عليه حراماً وأنْ يكون طاهراً سالماً مِن الرِّياء والسّمعة والتَّكلُّف .

- مَن عاش مات ، ومَن مات فات ، وكُلّ ما هو آتٍ آت ، فيا أهْل المروءات عليْكم بالمهمّات لِلأعمال الصّالحات والدّرجات العاليات ؛ فإنّ أزْكَى الأعمال وأحْسَنها أخْلَصها وأصْدَقها .

- مَن غاب بقَلْبه في حضرة ربّه لا يُكَلَّف في غَيْبته ، فإذا خرَج إلى عالَم الشّهادة قَضَى ما فاته ، وهذا حال المبتدِئين ، أمّا حال الكُمّل فلا يجري عليهم هذا الحُكْم ، بلْ يُرَدّون لأداء فَرْضهم وسُنَنهم .

- مَن غَفَل عن مناقَشة نَفْسه تلف ، وإنْ لم يسارِع إلى المناقَشة كُشِف .

- مَن فَنَى في الفناء بقي في البقاء ، والفَناء مِن الحُجُب إلا أنْ يكون فَناء الباطل كما قال بعضهم : أفْنَى موسى عنْ موسى حتّى عاد هو المكلّم .

- مَن قام في الأسحار ولَزِم فيها الاستغفار كَشَف الله له عن الأنوار وأسْقِي مِن

دَنّ الدُّنُوّ مِن خَمْر الخمار وأُطْلِعَت في قَلْبه شموس المَعـاني والأقمـار ، فيـا ولـد قَلْبي .. اعمل بما قُلْتُه لك تَكُنْ مِن المُفْلِحِين .

– مَن كان الباعث له على حُبّ القيام بيْن يَدَي الله تعالى في الظّلام لذّتـه بمناجاتـه فهو في حظّ نَفْسه ما بَرِح ، لأنّه لولا الأنس الذي يجده في مناجاته ما تَرَك فِراشـه وقام بيْن يديه ، فكأنّ هذا قام محبّةً في سِوَاه ، وهـو لا يُحِبّ مَـن أَحَـبّ سِوَاه إلا بإذنه ؛ فإنّ الأنس الذي يجده في قَلْبه سِوَاه بيقين .

– مَن كان في الحضرة نظر الدُّنْيَا والآخرة .

– مَن لا يُدْرِك إشاراتنا لم يَفْهَم عباراتنا .

– من لمْ تُزكّه الشّريعة بوقوفه عند حدودها لا يَصلُح أنْ يَتَصَدّر لإرشاد غيْره .

– مَن لمْ يزْعُم أنّ هَلَكَته في طاعته فهو هالك ؛ فإنّ طاعتنا مِن جملـة فضلـه ، وما لنا في الوسط شيء .

– مَن لمْ يَكُنْ عنده شفقة على خَلْق اللـه لا يَرْقَـى مراقـي أهْل اللـه ، وقدْ وَرَد أنّ موسى عليه السلام لَمّا رَعَى الغَنَم لـمْ يَضرِب واحدةً منهنّ بعصـاه ولا جَوّعهنّ ولا آذاهنّ أبداً ، وقيل إنّه تَفَقّد نعجةً منهنّ فلم يَجِدْهـا ، فـأَتَى لهـا فوَجَدهـا فـي وسط ذئاب وكانت تَرْتَع وتَبِيت بيْنهم ، فقال لها :" ضَيَّعْتُكِ وَاللَّهِ لأَحْمِلَنَّكِ عَلَـى عُنُقِي حَتَّى أُلْحِقَكِ بِأَصْحَابِك " فحَمَلها على عاتِقه حتّـى أَلْحَقَهـا بأصحابهـا ، فلَمّـا عَلِم الله قوّة شفقتِه على غَنَمه بَعَثه نبيّاً وجَعَله كليماً راعياً لِبني إسرائيل وناجـاه على طور سيناء ، والخَلْق عند الله عِزَاز ؛ فمَن أَعَزّ الخَلْق وأَشْفَق عليهم أَعَـزّه الله وتَرَقّى إلى مَراتب الرّجال .

– مَن لمْ يَكُنْ متشرّعاً متحقّقاً نظيفاً عفيفاً شريفاً فليس مِن أولادي ولو كان ابْنـي لِصُلْبي ، وكُلّ مَن كان مِن المريدين مُلازِماً لِلشّريعة والحقيقة والطّريقة والدّيانـة والصّيانة والزُّهْد والورع وقلّة الطّمَع والاشتغال بالله تعـالى والتّعَفُّف ومُلازَمـة الذِّكْر والحِلْم والأذكـار بالأسـحار والاسـتغفار والتّذْكـار ورضـاء المَلِك الغفّـار واتّباع المختار بالأخبار والاقتداء بالعلماء الأخيار والخروج عَمّا نَهَـى اللـه عنـه في الخبر والأثر فهو ولدي وإنْ كان مِن أَقْصَى البلاد .

– مَن لمْ يَكُنْ مُجتَهِداً في بدايته لا يُفْلِح له مريد ؛ فإنّه إنْ نام نام مريده ، وإنْ قام قام مريده ، وإنْ أمَر النّاسَ بالعبادة وهو بَطّال أو تَوَّبهم عن الباطل وهو يَفْعَله ضَحِكوا عليه ولم يَسْمعوا منه .

– مَن لمْ يَنْخَلِع مِن طورِه ويَخْرُج مِن نَفْسه ويأتي هو بِلا هو لا يَجِد عند ذلك هو ، وقدْ بالَغْتُ لكم جَهْدي في النُّصْح ، فإن اتَّبَعْتُم أَفْلَحْتُم .

– مَن نَطَق بالحقّ في الطّريق وكان محامياً عن خِرقته نال العُلاَ والمَعالي وأَحبّه المولى المتعالي ، فجَزَى الله مَن حَمَى عن خِرقته خيرا .

– نِعْم الواعظ كلام الله ، ونِعْم الدّواء كتاب الله .. مَن لا يشفيه القرآن لا شفاه الله .

– نَعُوذ بالله مِن الكِبْر والبغي والعدوان والخِزْي والعُجْب والمخالَفة والمعصية والدَّعْوَى والفتنة والبَلِيَّة والكبرياء ؛ فإنّ إبليس كَبُر قَدْره وكَبُر سِنّه وتَقادَم عهْده وكَثُرَت طاعته وشدّة عبادته فَزَعم أنّ الأمر بالسِّنين وأنّ العطاء بكثرة الخدمة والحنين والأنين وأنّ مَن كان أَقْدَم كانت له منزلة يَتضاهى بها ويَتباهَى وأنْ يكون له مرتبة على غيْره ، وما عَلِم عِلْم الآداب ولا سَلَك ولا فَهِم معنى سلوك التّسليم لِقدرة المَلِك الوهّاب ، ولا عَلِم أنّ الله تعالى أمْره بيْن كافٍ ونون يقول لِلشيء :(كُن) فيكون في لحظة وأَقَلّ مِن لحظة ، لا يُسْأل عَمَّا يَفْعَل وهُمْ يُسْألون ، وما فَقِه في معنى الكتاب ولا أَحْسَن رَدّ الجواب ولا أَدْرَك حقيقة العتاب .

– نَعُوذ بالله مِن النَّفْس ودَعْواها وفشلِها وشرّها وبلواها وآفاتها ومكْرِها وخِيَلِها وخِدَعها وبأسها وبؤسها وتَعلّقها ونَجْواها ، فمَن أَحَبّ أنْ يكون ولدي فلْيَحْبس نَفْسَه في قمقم الشّريعة ، ولْيَخْتِم عليها بخاتم الحقيقة ، ولْيَقْتُلْها بسيف المجاهَدة وتَجرُّع المرارات ، ولْيأمرْها بأنواع الرِّياضات ، ولْيَسْقِها بلجام الجوع ويُحَنِّكها بكثرة الصَّوْم والخضوع .

– وا عَجَبَاه ! إنّك تَقْدُم على مخلوق يكون له هَيْبَة أو رِفْعَة أو سَطْوَة أو سَيْف مُطْلَق أو أمْر فتَصطَكّ فرائصك وترْعد حواسّك وتغيب عن حسّك ؛ كُلّ ذلك مِمّا

بداخِلك ، فكيف خدمة المولى العظيم الحليم ، فلو خَشَع قَلْبك يا ولدي في صَلاتك لاختَلَط عقْلك وذهب لُبّك ولم تَقْدِر أنْ تَقْرَأ سورةً واحدةً مِن كتاب الله تعالى في تلك الحضرة ؛ فإنّ موسى عليه السلام خرّ صَعِقاً يَتَخَبَّط كالطّيْر المذبوح حين تَجَلّى له مقدار جزء واحد مِن تسعة وتسعين جزءاً مِن سَمّ الخِيَاط ، وهذا التَّجَلّي واقِع لِكُلّ مُصَلٍّ لو عَقَل كما عَقِل موسى عليه السلام ، وفيما سَمِعْنَا مِن ثقات عن ثقات مِن الأنجاد أنّ بعضهم كان يُكَرِّر الفاتحة مِن العِشاء إلى بكرة فلا يستطيع أنْ يُكْمِلها هَيْبَةً وخَوْفاً وتَوقِيراً ، وكما حُكِي عن رابعة العدويّة أنّ بعضهم كان بحضرتها يقول :" قرأتُ البارحة ختمةً مِن القرآن " فتقول رابعة : يا هذا .. ما كان في كتاب الله تعالى شيء يَرُدّك أو يَرْدَعك ؟! واللهِ إنّي أُكَرِّر في ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ البارحة مِن العِشاء إلى الصبح ما استَطَعْتُ أنْ أُكْمِلها .

– وا غوثاه مِن أهْل هذا الزّمان ، واللهِ لو كان في العمر مهلة لَسَكَنْتُ في أكم الجبال وبطون أودية الوحوش ؛ فإنّ الرَّجُل الآن بيْن هؤلاء النّاس في أشدّ جهاد قلوب شاردة ، وأحوال مائلة ، وشهوات غالبة ، قدْ عَدِموا الصِّدْق في الأحوال ، وكيف يَقْدِر الضَّعيف على صَوْن الرُّوح مِن عِشْرتهم والودّ لهم وغضّ بصرِه عن رؤية عوراتهم ليلاً ونهاراً ويَصْبِر معهم على كُلّ فتنة وشهوة وأذىً مِن غيْر أنْ يقابِلهم بمِثْله ؟! هذا لا يطيقه إلا الصّالحون .

– واللهِ لو هاجَر النّاس مُهاجَرةً صحيحةً ودخلوا تَحْت الأوامر لاسْتَغْنَوْا عن الأشياخ ، ولكنْ جاءوا إلى الطّريق بعِلَل وأمراض فاحتاجوا إلى حكيم .

– واللهِ لو وَجَدْنَا إلى الخلوة سبيلاً أو وَجَدْنَا إلى الانقطاع عن أعْيُن النّاس مِن سبيل حتّى لا نَنْظرهم ولا يَنْظرونا لَفَعَلْنَا ؛ فإنّ القلب في هذا الزّمان متعوب ، والكبد كُلّ وقْتٍ يَذوب ، فأيْن الملجأ وأيْن المفرّ مِن أهْل هذا الزّمان ؟! زمان كَثُر فيه القال والمقال ورهج النّاس وكَثُر الاختباط ، فلا قوّة إلا بالله العليّ العظيم ، الذي بَلاَنا بأهْله يُدَبِّرنا ويعيننا ولا يُفْسِد علينا ديننا ولا يُسَلِّط علينا مَن يَشْغَلنا عنه طرفة عيْن ؛ فإنّا به مُسْتَجيرون ، وإليه مُسْتَصْرِخون ، وعليه مُتَوَكِّلون ، وبعِزّه مُعْتَرِفون ، وبما عنده مِن الجود والنِّعَم والكَرَم واثقون ،

وبحبْل عصمته معتصِمون ، وبجنابه لائذون ، وتحْت كنفِه داخلون ؛ فإنّ مَن التجأ إليه نَجّاه ، ومَن توكّل عليه كَفَاه ، ومَن وَثَق بلُطْفه وقاه .

– واللهِ ما أرْضَى اللَّعِب لأحد منِ خَلْق الله ، فكيف أرضاه لأحد مِن أولادي ؟!

– وَرَد الخبر عن سيد البَشَر أنّ الأجر المُدَّخَر لِكاتب القرآن ما دام رسمه في المُصْحَف مُسَطَّر .

– وظائف العبوديّة إقرار بالمعبود ورضاً بالموجود وخروج عن المفقود ومُلازَمة الذِّكْر والفِكْر والصَّبْر والسّخاء والعفاء والوفاء والصِّدْق والإخلاص والشُّكْر والعزلة حين البداية .

– وعِزّة ربّي إنّ كُلّ حَرْف مِن القرآن العظيم يَعْجَز عنْ تفسيره الثَّقَلان ، ولو اجْتَمَعَت الخَلْق بأجْمعهم في معنى " ب " لَعَجَزوا عن الباء وما معنى " ب " وما تكميلها في الأرض والسّماء ، بالله تَنْقَطِع قلوب العارفين وتميل وتَهْتَزّ أرجاء الواصلين وتَرْتَعِد وتَتحيَّر آلات المُحِبّين أنْ يَتَحقَّقوا معنى لفظة الباء ، والمُفَسِّرون والمُكْتَسِبون علوم الرّقوم مِن الكتب والكسب والتّأويل والتّفْسير ونقْلهم عن بعضهم بعضاً نَعْتهم ، وأمّا تأويل لسان أهْل الطّريق والرِّجال التّابعين المُحَقِّقين فإنّه يُفْتَح لهم سرّ مكنون أسرار نفيسات لا في التّأويل ولا في التّفْسير ولا غيْرهما ، وما لأحد مِن ذات نَفْسه شيء قَلّ أو جَلّ ، وإنْ لم يَكُن الله تعالى يُعَلِّم العبد وإلا فهو عائم في البحر مزكوم محجوب لا شمّ ولا لمّ ولا عِلْم ولا حِسّ ، ومَن لمْ يَذُق مقام القوم ويَرَى ويشاهِد لم يُحْسِن أنْ يَصِف بحراً لا قرار له ، أو يُتَرْجِم عن ساحِل لا آخِر له ، أو يَعُوم في قَعْر التّخوم ، أو يَصِل إلى النون ، أو يُدْرِك مَعاني السِّرّ المصون ، وأمّا إذا أُعْطِي عبْدٌ عِلْم ذلك فلا مانِع .

– ولد القلب خيْر مِن ولد الصُّلْب ؛ فالأوّل يرث الباطن مِن السِّرّ ، والثّاني يرث الظّاهر مِن الميراث .

– يا أولاد قَلْبي .. إنْ أردتم أنْ تُنَادَوْا يوْم القيامة بـ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ فلْيَكُنْ طعامكم الذِّكْر وقولكم الفِكْر وخلْوتكم الأنس واشتغالكم بالله لا خوْف عِقاب ولا رجاء ثواب ، فتَعُود النَّفْس رياضتها العِلْم ونديمها الحِلْم ووزيرها

التُّقَى ومرآتها المراقَبة وسراجها الحكمة وبستانها الخلوة وشجرها الخوف وآدابها الفراسة .

- يا أولاد قَلْبي .. عليكم بشراب القهوة القرقفيّة واستعمالها ؛ فوعَزِتّه وجلاله مَن صَدَق منكم وأَخْلَص لا يمسّ أحداً إلا نَبَعَت فيه الحكمة وحَصَل عنده الشّراب والسُّكْر عن هذه الدِّيار .

- يا أولاد قَلْبي .. لا تُجالِسوا أرباب المِحال وزخْرف الأقوال ولَقْلَقَة اللِّسَان ، وجالِسوا مَن هو مُقْبِل على ربّه حتّى أَخَذَت منْه الطريق ودقّه التَّمْزيق وتَفَرَّق عنْه كُلّ صَدِيق ، حتى عاد كالخلال وذاب جِسْمه مِن تَجَرُّع شراب سُمُوم الطّريق ، وصار نوْمه أَفْضَل مِن عبادة غيْره ؛ لأنّه في نوْمه في حضرة ربّه ، وربَّما كان العابد في عبادته مع نَفْسه .

- يا أولادي .. إذا طلبْتُم أنْ تَغْتابوا أحداً فاغتابوا والدَيْكم ؛ فإنّهما أَحَقّ بحسناتكم مِن غيْرهما .

- يا أولادي .. إذا لم يُحْسِن أحدكم أنْ يعامِل مولاه فلا يَقَع في أحوال لا يدْريها ولا حديث ما سَلَكَه ولا مارَسه ؛ فإنّ القوم تارةً يَتَكَلَّمون بلسان التَّمْزيق وتارةً بلسان التَّحقيق بحسب الحضرات التي يَدْخُلونها ، وأنت يا ولدي لم تَذُقْ حالهم ولا تَمَزَّقْتَ ولا دَخَلْتَ حضراتهم ، فمِن أين لك أنّهم على الضّلال ؟! أفَتَعُوم يا ولدي البحر ولَسْتَ بعَوّام ؟! ثُمّ إذا غَرِقْتَ فقدْ مِتَّ ميتةً جاهليّةً ؛ لأنّك أَلْقَيْتَ نَفْسك لِلْمَهالِك ، والحقّ قدْ حَرَّم عليك ذلك ، بل الواجب عليك يا ولدي أنْ تَطْلُب دعاء القوم وتَلْتَمِس بَرَكاتهم ، هذا إذا لم تَجِدْ قدرةً على عملِهم ، فإنْ وَجَدْتَ قدرةً على ذلك سَعِدْتَ أبد الآبدين ، واعلم يا ولدي أنّ ألْسُن القوم إذا دخلوا الحضرات مختلِفة ، وفي إشاراتهم وكلماتهم ما يُفْهَم ومنها ما لا يُفْهَم ، وكذلك مِن أحوالهم ما يُعَبَّر عنه ومنه ما لا يُعَبَّر ، وكذلك في أسرارهم ما لا يَصِل إليه مؤوِّل ولا مُعَبِّر ولا مُطَّلِع ولا مُفَسِّر ؛ لأنّ أسرارهم مَوْضِع سِرّ الله تعالى ، وقدْ عَجَز القوم عن معرفة أسرار الله تعالى في أنْفُسهم فكيف في غيْرهم ؟! فيجب عليك يا ولدي التَّسْليم لله في أمْر القوم وحَسِّن الظّنّ بهم لا غيْر ؛ فإنّي

ناصِح لك يا ولدي ، وإذا رَمَيْتَ مَنْ يُحِبّه الله تعالى بالبهتان والزُّور وتَجَرَّأتَ على مَن قَرَّبه الله تعالى أبْغَضَك الله تعالى ومقَتَك فلا تُفْلِح أبداً ولو كُنْتَ على عبادة الثَّقَلَيْن .

- يا أولادِي .. اطلبوا العِلْم ولا تَقِفوا ولا تَسْأموا ؛ فإنّ الله تعالى قال لِسيِّد المُرْسَلين ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْما ﴾ ، فكيف بنا ونَحْن مساكين في أضْعَف حال وآخِر زمان ؟! ، وسبب طلب الزِّيادة مِن العِلْم إنّما هي لِلأدب ، يعني : اطلب الزِّيادة مِن العِلْم لِتَزداد معي أدباً على أدبِك ، ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِه ﴾ .

- يا أولادي .. الفقراء كُلّهم عندي مِلاَح ، لِيَكُونُوا عندكم كذلك .

- يا أولادي .. طُوبَى لِمَن وَصَل إلى حال تُقَرِّب العباد مِن الله تعالى ثُمّ وقَف يَدْعُوهم إليه ، فكُونوا داعِين إلى الله تعالى بإذْن الله .

- يا أولادي .. عُمُرُكم في انتهاب ، وأجَلُكم في اقتراب ، وقدْ طُوِيَت الدُّنْيَا وجَثَا أوّلها عند آخِرها ، فالسّعادة كُلّ السّعادة لِمَن طَوَى منْكم صحيفتَه كُلّ يوْم مُضْمَخةً مُعْتَبَرةً مُمَسَّكَةً مُعَطَّرة بأعماله الزَّكِيّة وشِيَمِه المَرْضِيّة ، والشّقاوة كُلّ الشّقاوة لِمَن طوَى منْكم صحيفته كُلّ يوْم على زلاّت وقبائح عظيمات .

- يا أولادي .. كم غرور ! كم لَهْو ! كم زَهْو ! كم لَعِب ! كم غيّ ! كم هوىً ! كم افتراء ! كم نَكَد ! كم غدْر ! كم سهْو ! كم نسيان ! كم غفلة ! كم زَلّة ! كم إجرام ! كم تَعَدٍّ ! كم زُور ! كم فتور ! كم وعْظ ! تَسْمَعون ولا تَتَّعِظون ! ما أنتم إلا كالأموات .

- يا أولادي .. لا تَصْحَبوا غيْر شيْخكم ، واصبروا على جفاه ؛ فإنّه ربّما امْتَحَنكم لِيريد بكم الخير وأنْ تَكونوا محلاً لأسراره ومَطْلَعاً لأنواره لِيُرَقِّيكم بذلك إلى معرفة الله عَزّ وجَلّ ، فمَن أشْغَل قَلْبَه بمحبّة شيْخه رَقّاه الله عَزّ وجَلّ ، ولولا أنّ الشّيخ سُلَّم لِترقية المريدين لَمَقَت الله تعالى كُلّ قَلْب وَجَد فيه محبّةً لِسِوَاه ؛ فإنّ الله تعالى غيور .

- يا أولادي .. لا يُسِرّ أحدُكم سريرةً سَيِّئةً ؛ فإنّ الله تعالى سيُظْهِر ما كُنْتم تَكْتُمون وما كُنْتُم تُخْفُون وما كُنْتُم تَسْتُرون ، وينادي عليكم بالصَّرِيح والتَّوْبِيخ :

" فلان عَمِل كذا وكذا وكان يَستَتِر من النّاس ولا يَستَتِر من الله تعالى .. فلان كان يَرتَكِب المَحارم والقبائح ويُظْهِر لِلنّاسِ الصّلاحَ زُوراً وبهتاناً .. فلان كان يُطْلِق بصرَه إلى النّساء ويَدَّعِي أنّها نظرة فجأة وهو يَعْطِف طَرْفَه ويُمِيل كأنّه لِصّ سارِق " ، فيا فضيحة مَن تَزَيَّا بزِيّ الفقراء وخالَف طريقَهم ، فيا أولادي جميعكم .. إنّما كلامي مَواعظ وتَذْكير وتَحْذير وتَرْغيب لِمَن يَتأدّب .

- يا حامِلِ القرآن .. لا تَفْرَح بحَمْله حتّى تَنْظُر هل عَمِلْتَ له أم لا ؛ فإنّ الله عزّ وجلّ يقول ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ ، ولا تخرج عن كونك حِمَاراً إلا إنْ عَمِلْتَ بجميع ما فيه ولمْ يَكُنْ منه حَرْف واحد يَشْهَد عليك .

- يا شباب .. اغْتَنِموا صحّة الأبدان والعافية واخْدموا الرّحمن قَبْل أنْ تَتَقَلَّص الشّقتان ، قَبْل أنْ يخْرس اللّسان ، قَبْل أنْ يُعَلَّق الميزان ، قَبْل أنْ يُخْرَج الدّيوان قَبْل أنْ يرجف الثّقَلان ، قَبْل أنْ يُحْضَر الإنس والجانّ ، قَبْل تبيين فضائح الإنسان ، فما السِّتْر فيه إلا مكشوف ، وما المسكين العاصي فيه إلا مرجوف .

- يا كُلّ أولادي .. اعلموا أنّ الفلاح والنّجاح والصّلاح والهدى والأرباح لا يَصِحّ إلا لِمَن تَرَك الحظّ وقابَل الأذى بالخيْرِ والشّرّ بالبِرّ ووَسَّع خُلُقه ولا يَزُول ولا يَبْرح ينادي الله ومع أولياء الله .

- يا مساكين .. اجْتَهِدوا ولا تَغْفُلوا ، وعن العُلا لا تَرْقُدوا ؛ فالأمر عظيم ، والخَطْب جسيم .

- يا مسكين .. ألمْ تَعْلَم أنّ أصل القاعدة أنّ عَدُوّك أصْعَب يوْم عليه يوْم يَعْلَم أنّك تَصْحَب فيه مؤمِنا ؟!

- يا مَعْشَر الفقراء .. احذروا أنْ يَرَاكم حيْث نَهَاكم أو يَفْقدكم حيْث أمَركم .

- يا هذا .. تُبْ ولا تُخَلِّ مَن تَوَلَّيْتَ عليهم يَتَعَلَّقون بك غداً في عرصات القيامة ويأخذون حسناتك - إنْ كان لك حسنات - ثُمّ تُطْرَح في النّار ، وانْتَبِهْ من رَقْدتك واسْتَيْقِظْ من سِنَة غفْلتك ، وحاسِبْ نَفْسك في ساعتك ووقْتك .

- يا هذا .. فاز القوم بالغنائم وأنت يا مسكين نائم ؟! ركِبوا سُفُن النّجاة وقَطَعوا

المَراحل وتَركوا علو المَنازل في سموّ المَصاعد ، فإنْ كُنْتَ تخبر شيئاً مِن خبر لَيْلَى فأنت تَصِل إلينا ، وإنْ كُنْتَ مع عُذّالها ولُوّامها وسُؤّالها والمُنكِرين على أهْل حضْرتها والمُعْتَرِضين عليهم مِن أيْن تَبْرُز لك بجَمالها أو تُتْحِفك بمالها أو تُستقِر لك عن حُلِيّها وحُلَلها وجلبابها وتَتَبَرَّج أو تَتَحَلّى لك وتُبْهِج أو تسقيك مِن شراب مُدَامها أو تُرِيك حُسْن جلالها أو تأمَن لك يا خائن عهْدها وقابِل عذْل عُذّالها ؟! إنّما تَبْرُز لَيْلَى لِمَن تَهَنَّك فيها ولمْ يَقْبَل عَذْل عُذّالها ولم يَسْمَع لِكلام المُنْكِرين على أهْل حضْرتها ولمْ يَرْجِع إلى مَن يَرُدّه عنْها ؛ فإنّ لَيْلَى لا تُحِبّ مَن يُقْحِم غيْرها أو يَخْطُر في سِرّه محبّة لِسِوَاها أو يَرَى أحداً في العالَم شبيه شكْلها ، إنّما تُحِبّ مَن كان أوحداً في طلبِه صادقاً في حُبّه مجنوناً بودّه مخموراً بشرْبه ثَمْلاَن بقُرْبه ولَهْان بوِرْده ذَهْلاَن بنظره لهفان بحرقه غرقان في أرقه حيران في سِرْبه نشوان في طلبِه هَيْمان بولاية في مطلوبه ، أوْحَد في إخلاص قصْده ، لا يَرْجع إلى اللُّوّام ، ولا يَقْبَل كلام العُذّال ، بلْ يكون حُبّه لِحبّه عهداً صحيحاً معقوداً في صميم لُبّه داخلاً في سويداء قَلْبه ، باطنه ملآن بربّه ، وظاهِره مسكون بالإيمان ، حتى لو اجْتَمَع الثَّقَلان على أنْ يَلْوُوا قَلْبَه عنْها وأنْ يَحُلّوا عقدة عهْدها معَه ما استطاعوا ، فانظر حالَك يا ولدي .

– يا هذا .. لو رأيْتَ القوم وقْت نسمات الأسحار وتَجَلّي الأنوار لَرَأيْتَهم كأنّهم الكواكب والبدور وعلى وجوههم تلألؤ النّور .

– يا هذا .. لو رأيْتَ المُحِبّين وقدْ شَدّوا مطاياهم وخدموا مولاهم ووقفوا ببابِ الرّجاء يَرْتَجُون ويَتَرَنّمون ويَدْعون ويتناجون ، تَسْمَع لأصواتهم حنيناً ولِقلوبهم وجيباً ، وولهاً ونحيباً ، ولأجسادهم صراخاً وضجيجاً ، تَرَاءَوْا معنى الكلام ، وبرز لهم مِن معنى صِرْف الكتاب ، فَهُمْ أولو الألباب ، عَرَّفهم الإفهام ، وأفادهم الإلهام ، فتَدَبَّروا القرآن وفَهِموا معنى الخِطَاب ، فاعْتَبِروا يا أولي الألباب ، فأكبادهم مُقَطَّعة مِن كلام الله قِطَعاً ، وقلوبهم صُدِّعَت صدعاً ، كُشِف لهم عن غرائب ما يَكون ، فاصْحَبْهُم بالأدب تَنَلْ منهم العَجَب وتتفرّج على ميادينهم وفي معنى إشراقهم ، وهي مَطالع أنوارهم بَعْد احتراقهم ، فتَشْمَلك

سعادتهم ، وتبْهج عليك أنوارهم بَعْد احتراقهم ، وتَشْملك روائح طِيبهم .

- يا ولد قَلْبي .. اجمَع همّـة العزم وقوّة شدّة الحزم ؛ لِتَعْرِف معنى الطّريق بالإدراك لا بالوصف ؛ فأيّ مقام وَقَفْتَ فيه حَجَبَك عن مولاك ، بل ارفض كُلّ ما يَحْجُبُك عن مولاك ؛ وكُلّ ما دُون اللـه تعالى ورسوله ﷺ والصّحابة والتّابعين وكتابه العزيز باطِل ، وذلك لأنّ الأغراض تُورِث الإعراض .

- يا ولد قَلْبي .. اركَبْ طريق الاستقامة ، وتَجَنَّبْ مُعاشَرة أُولي الأقوال والجدال ولا تَتَّخِذ أحداً منهم صاحباً ، وجالِس مَن جَمَع بيْن الشّرِيعة والحقيقة ؛ فإنّه أعْوَن لك على سلوكك .

- يا ولد قلبي .. تَجَرَّدْ مِن قالبِك إلى قَلْبك ، والْزم الصَّمْت عن الاشتغال بما لا فائدة لك فيه مِن الجدال والنّقل وزخرف القول ، وصَمِّم العزم ، واركب جواد الطريق ، واحْتَمِ حميةً قَبْل الشّرْبة تَكون باطناً ، ولا تَشْرَب إلا شراباً يَكون فيه محْو وسُكْر .. آهٍ آه ما أحْلَى هذه الطّريق ! ما أسْنَاها ! ما أبْهَاها ! ما أمَرّها ! ما أقْتَلها ! ما أحْيَاها ! ما أجَلّها ! ما أشَدّها ! ما أحَدّها ! ما أقَدّها ! ما أهْدَاها ! ما أجَدّها ! ما أصْعَبها ! ما أكْبَدها ! ما أعْجَبها ما أغْرَبها ! ما أكْثَر مَصايدها ! ما أصْعَب مَواردها ! ما أعْجَب واردها ! ما أشَطّ شَطّها ! ما أقْوَى شطّها ! ما أعْمَق عُمْقها ! ما أغْمَق غمْقها ! ما أكْثَر أسْدها ! ما أكْثَر مَدَدها ! ما أكْثَر عقاربها وحيّاتها ! وما أجَلّ شَمْسها ! فيها أسر .. فيها مَدَد .. فيها عَدَد .. فيها آلام .. فيها أسقام .. فيها سَمَر .. فيها نَهَر .. فيها تَعَب .. فيها نَصَب .. فيها كَدّ .. فيها جهْد .. فيها تَقَطّع الأكباد .. فيها ذهاب الرُّوح والجِلاَد .. فيها مَغابِر فيها مَصائد .. فيها مكائد .. فيها مَحاسد .. فيها مَعاند .. فيها مَعابد .. فيها مَزايد .. فيها مَساجد .. فيها مَحامد .. فيها فَلَك .. فيها حَلَك .. فيها عِلَل .. فيها أسل .. فيها غسل .. فيها سلاح .. فيها رماح .. فيها كفاح .. فيها صِفاح .. فيها قطاع .. فيها أوجاع .. فيها حيّات .. فيها عقارب .. فيها لادغات .. فيها أفاعي .. فيها أُمَم .. فيها هِمَم .. فيها جُوع .. فيها خضوع .. فيها ضِرَام .. فيها سجام .. فيها قتام .. فيها مَهالك .. فيها مَسالك .. فيها غرائب .. فيها

عجائب .. فيها تقشيف .. فيها تعفيف .. فيها مرارة .. فيها مرارة .. فيها عطش .. فيها ظماء .. فيها عناء .. فيها بكاء .. فيها غرام .. فيها جواء .. فيها مشقّة .. فيها موْت .. فيها حياة .. فيها شطط .. فيها شطف .. فيها تُحَف فيها قشف .. فيها عراء .. فيها أذى .. فيها الماء مِن القرب .. فيها غرائب .. فيها عجائب .. فيها قطاع .. فيها مودّة .. فيها أهوال .. فيها أقوال .. فيها مجال فيها أحوال .. فيها سَهَر .. فيها ضرَر .. فيها نَفْع .. فيها أذى .. فيها شمْس .. فيها قَمَر .. فيها حجّ .. فيها عمرة .. فيها جمعة .. فيها هلاك .. فيها فكاك .. فيها نجاح .. فيها صلاح .. فيها ألم .. فيها سلم .. فيها غناء .. فيها بقاء .. فيها عفاء .. فيها وفاء .. فيها سخاء .. فيها خبل .. فيها وجل .. فيها حَزْم .. فيها عزْم .. فيها صبْر .. فيها مُرّ .. فيها عَسَل .. فيها أسد .. فيها نور .. فيها سرور .. فيها خير .. فيها أشراف .. فيها بهاء .. فيها ضياء .. فيها هدى .. فيها خوْف .. فيها أمْن .. فيها سفر .. فيها طرائق .. فيها عوائق فيها عمائق .. فيها علائق .. فيها غوامق .. فيها أنْهُر .. فيها أبْحُر .. فيها أشْهُر .. فيها سنين .. فيها حتّ .. فيها رتّ .. فيها حنين .. فيها أنين .

– يا ولد قَلْبي .. جِدّ تَجِدْ ، ولا تَكُنْ مِمَّن خالَف مولاه وطمع في البطالة أنْ تَكون مِن النّاجين .

– يا ولد قَلْبي .. كُنْ على حذر مِن الدُّخَلاء والدّخيل السّوء ، وإنْ عايَنْتَ مِن أخيك عنفاً أو حسداً فعاشِرْه بالمعروف واحفظ نَفْسك عنه ، وأمّا صَدِيقك فإنْ صَدَقك فاحفظه ، وما لِلمرء يا ولدي إلا أنْ يَكون على حذر مِن جميع البشر ؛ فإنّا في آخِر زمان ، وقدْ قَلّ النُصْح حتّى لا تَكاد تَنْظُر ناصحاً ، وعاد مَن تُولِيه سروراً يُولِيك نكداً وشروراً ، ومَن تَرْفَعه يَسْعَى في أنْ يَضَعَك ، ومَن لمْ تُحْسِن إليه يسيء إليك ، بلْ ثَمّ مَن تُحْسِن إليه يسيء إليك ، ومَن تُشْفِق عليه يودّ لو على الرِّماح رَمَاك أو على الشَوك داسك ، ومَن تَنْفَعه يضرّك ، ومَن تُولِيه معروفاً يُولِيك جفاءً ويُقْلِق مَسْعَاك ، ومَن تَصِله يَقْطَعك ، ومَن تُطْعِمه يَحْرِمك ، ومَن تُقَدِّمه إن استطاع أخَّرك ، ومَن تُزَيِّنه يقول :" أنا الذي زَيَّنْتُك " ، ومَن

تُخلِص له يَغُشّك ، ومَن تَهشّ لـه يَكِشّ ، فـوا عَجَبـاً لِلدُّنيَـا ولأهلِهـا ! وإذا كـان النِّفاق داخلاً في أيّام الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام فكيف يَخلُو في قرْن سابِع ؟! فاستَعْمِل يا ولدي الوحدة عنْ أهْل السّوءِ والكسْبَ مِن أهْل الخيْر ، وإن استَطَعْتَ أنْ لا تَصْحَب مَن تَتْعَب في صُحْبته فافعل ؛ فإنّك إنْ صَحِبْتَه نَدِمْتَ على صُحْبته وقدْ نَصَحْتُك يا ولدي ، وأمّـا أهْل التّمكين فـي هذا الزّمـان فقدْ تَركـوا أخـلاق الأراذل مِن النّاس وغفَروا لهم أفعالهم وغَضّوا أبصارهم عن نقائصهم وصَمّوا آذانهم عنْ سماع أقوالهم وتَركوا الكُلّ للـه ، وطلبـوا مِن اللـه تعـالى لأهْل هذا الزّمان عفواً شاملاً ، وقابَلوا سيّئاتهم بالحسنات ومضرّاتهم بالمَسَرّات والمَبَرّات .

– يا ولدي .. لا تَنْظُر إلـى نَفْسك ، واحذر أنْ تَقول " أنـا " ؛ فـإنّ اللـه يُعْجِز المُدَّعين ويُبِيد المتنافِسين ، ولا تَكُنْ إلا عبداً عارفـاً أنّـك بمحلّ تقصير وعليك ذنْب كبير ، فإذا اشْتَغَلْتَ لإصـلاح شـأنك لِوقت زمـانك حَلَلْتَ محلّ الارتقـاء ، ومتـى قُلْتَ " أنـا " عَجَّزك مـولاك ، ولـوْ كُنْتَ علـى عمـل الثَّقَلَيْـن هَبَطْـتَ ، أو صاحِبَ منزلة سَقَطْت ؛ فمَن أنت ومَن أنا ؟! فوَعِزّته ما لنـا شـيء إلا منـه ؛ إذ المملوك مملوكه ، والرُّوح بيده ، فإنْ هَدَانَا فذلك منه ومِن رحْمته ، وإنْ وَفَّقَنَا لِلصّلاة والصّيام فذلك منه ومِن رحْمتـه ، فـإذا كـان الكُلّ منـه فمـا لنـا شـيء ، ومَن زَعَم أنّ له شيء فقدْ سَقَط مِن عيْن الله تعالى ولا يكون مِن الأولياء .

– يا ولدي .. إذا كُنْتَ تصوم الدَّهْر وتقوم اللّيْل أو لك سريرة ظاهرة أو معامَلـة خالصة أو جِدّ في الطّلب أو لك كدّ في النَّصَب فلا تَـدَّعِ ولا تَجُلْ وتَقُلْ إلا أنّـك عاصٍ مُفْلِس لا غيْر ، ووبِّخْ نَفْسك واحذر مِن غرورها وزُورِها ولا تَسْمَع منْهـا فكمْ تلف مِن ذلك فقير ؛ فإنّ في الحقيقـة والطّريـق لـو صـام أحدكم حتّـى يَعُود كالشّنّ البالي أو قام حتّى يَعُود كالوتر ما قام بضوء البصر ، وفـي الجملـة اعلـم أنّك إنْ صُمْتَ فهو الذي صَوَّمك ، وإنْ قُمْتَ فهو الذي أقامك ، وإنْ عَمِلْـتَ فهـو الذي استَعْمَلك ، وإنْ رأيْتَ فهو الذي أراك ، وإنْ شَرِبْتَ شراب القوم فهو الذي أسقاك ، وإن اتَّقَيْتَ فهو الـذي وقّـاك ، وإن ارْتَفَعْتَ فهـو الـذي رقّـى منزلتك ، وإنْ نِلْتَ فهو الـذي نَوّلـك ، وليـس لـك فـي الوسـط شـيء إلا أنْ تَعْتَرِف بـأنّك

عاصٍ ما لك حسنة واحدة قَطّ ، وهو صحيح ؛ مِن أين لك حسنة وهو الذي أَحْسَن إليك ؟! وهو المولى ، وهو الحاكم فيك : إنْ شاء قَبِلَك ، وإنْ شاء رَدَّك .

- يا ولدي .. البس قميص الفقر النَّظيف الظَّريف ، فما الأمر بلبْس الثِّياب ولا بسُكْنَى القِباب والخانقاوات ولا الزّوايا ولا بلبْس العبايات ولا بلبس القباء الأزرق ولا حفّ الشّوارب ولا بلبْس الصُّوف ولا بالنَّعْل المَخْصوف ، إنّما الفقر أنْ تُخْلِص عملَك كُلّه في قلْبك وتَلْبس ثوْب صِدْق عزْمك وتَحْتَزِم بحزام إيمانك فإذا كان عملُك كُلّه في قَلْبك كان لك فائدةً وربحاً وأضْرم نار القلب واحْترَق الحَشَا وامتلأ القلب خوفاً مِن الله تعالى ومحبّةً له ، فما رقيق الثِّياب حينئذٍ وما خَشِنها ؟! فإذا قَوِيَت في القلب الأنوار لم يُطِق صاحبه حَمْل ثوْب رقيق ولا إزار ، فإنْ تَهَنَّك هذا فلا يُلام ، وإنْ صاح أو باح فقدْ حلّ عنه الملام ، وإنْ رُشّ عليه الماء في ليالي الأربعينيّات فلا يزيده إلا ضراماً ، وكُلّ شيء نزل باطِنه مِن الطّعام نار واستنار .

- يا ولدي .. التّلَبُّس في الأمور ما هو جَيِّد ، لا يَصلُح لِبْس الخرقة إلا لِمَن دَرَسَته الأيام وقَطَعَته الطّريق بجهدها وأَخْلَص في معامَلته وقرأ مَعاني رموز القوم ونظر في أخبارهم وعَرَف مقصودهم في سائر حركاتهم وسكناتهم وأسفارهم وخلواتهم ، فإنْ كُنْتَ صادقاً فلا تَكُنْ مَجّاناً ولا لَعّاباً ولا صَبِيّ العقل فما الأمر بقول العبد " تُبْتُ إلى الله تعالى " باللّفْظ دون القلب ولا بكتابة الورق والدّرج ، وإنّما الأمر توبة العبد عنْ أنْ يَلْحَظ الأكوان بعَيْنَيْ قَلْبه أو يراعي غيْر مولاه ، فإذا صَحّ لِلفقير هذا الأمر فهناك يَصلُح لِلرُّقِيّ في مقامات الرجال .

- يا ولدي .. الْزم أوّلاً طريق النُّسك على كتاب الله تعالى وسُنّة رسوله ﷺ المَرْضيّة الزّاهرة الباهرة التي نُورُها جلا الظُّلَم وأنار بِطَاح مكّة والمدينة والشّام ومِصْر والعراق واليمن والمَشْرِق والمَغْرِب والأفق العلويّ والسُّفْليّ ، فإذا عَمِلْتَ بها انْقَدَح لك منْها عِلْم الحقائق والأسرار ، فاسلك يا أخي كما قُلْتُ لك على التّدريج شيئاً بَعْد شيء ، والله يَحْفَظك إنْ صَدَقْت .

- يا ولدي .. إنْ أردْتَ أنْ يُسْمَع دعاؤك فاحفظ لسانك عن الكلام في النّاس

وعن تَناوُل الشّبهات .

- يا ولدي .. إنْ شَكَكْتَ في قول فاعمل بما أقول لك وجَرِّبْ نَفْسك شيئاً بَعْد شيء تَعْرِف صِدْق قولي ، فمَن ثبت ثُبِّت ، ومَن أطاع أطيع ، فإذا أطَعْتَ مولاك أطاع لك الماء والنّار والهواء والخطوة والإنس والجنّ .

- يا ولدي .. إنّ صحّة هذه الطّريق وقاعدتها ومَجْلاها ومحكمها الجوع ؛ فإنْ أرَدْتَ السّعادة فعليك بالجوع ولا تأكل إلا على فاقة ؛ فإنّ الجوع يَتَخَطّى التّدْليس والتّلْبيس ويَغْسِل مِن لجسد موضع إبليس ..

فيا ولدي .. تريد شربةً بِلا حمية ؟! هذا لا يَكون .

- يا ولدي .. إنْ صحّ عهْدك معي فأنَا منْك قريب غيْر بعيد ، وأنا في ذهْنك ، وأنَا في سَمْعك ، وأنا في طَرْفك ، وأنا في جميع حواسّك الظّاهرة والباطنة ، وإنْ لم يَصِحّ لك عهْد لا تَشْهد منّي إلاّ البُعْد .

- يا ولدي .. انقش على صفحة صحيفة صفحة لوْح خدّك توراة دَرْسك وإنجيل فَهْمك ومزامير ذِكْرك وزبور صفاتك وفرقان تفريقك ومجموع جَمْعك ، واشْتَغِلْ بأفنان حضورك ومراقَبة رقيبك ، واشْتَغِلْ بنَفْسك عن القيل والقال ، ولا تَلْتفِتْ قَطّ إلى صُحْبَة مَن يَتَكَرّم بضَيَاع أوقاته أو أنفاسه في الغفلات ؛ فإنّ صُحْبَته هلاك لك ، ودَعْ بطالة تَسْويفك ، واعقل عقْلك .

- يا ولدي .. صَحِّحْ عزمات عزْمك ، واترك تَخَيُّلات وَهْمك ، ولِج بَحْر الحقائق ، وسَلِّم الأمر لله ، واقْتَدِ واقْتَفِ أوامر شيْخك ، وأَلْقِ عَصاك ، ولا تَطْلُب خيْر نَفْسك مِن غيْرك ، بل اعمل حتّى تَنْكَشِف لك حقائقك .

- يا ولدي .. عليك بالتّخَلُّق بأخلاق الأولياء لِتَنال السّعادة ، وأمّا إذا أخَذْتَ ورقة الإجازة وصار كُلّ مَن نازَعك تقول " هذه إجازتي بالمشيخة " دون التّخَلُّق فإنّ ذلك لا شيء ؛ إنّما هو حظّ نَفْس ، لكن اقرأ الإجازة واعمل بما فيها مِن الوصايا ، وهناك تَحْصُل على الفائدة ويَحْصُل لك الاصطفاء ، وهذه طريق مَدارج الأولياء قَرْناً بَعْد قَرْن وجيلاً بَعْد جيل إلى آخِر الدُّنْيا .

- يا ولدي .. لا تُودِعَنّ كلامي إلاّ عند مَن كان مِنّا وأَحَبّ أنْ يَسْلُك طريقنا ،

ولا تُلْقِه إلا لِمُحِبّ مُحَقِّق يَدْخُل تحت طَيْنَا ويَنْقَاد لنا ؛ فإنّ ذِكْر الكلام لِغَيْر أهْلـه عَوْرَة .

- يجب على المريد أنْ يأخذ مِن العِلْم ما يجب عليه في تأديته فَرْضه ونَفْله ، ولا يَشْتَغِل بالفصاحة والبلاغة ؛ فإنّ ذلك شُغْل له عن مراده ، بل يَفْحَص عن آثار الصّالحين في العمل ويواظِب على الذِّكْر .

- يجب على المريد أنْ يُطَهِّر أعضاءه عن الغفلات والفتور عن ذِكْر الله كما يجب تطهيرها عن المعاصي مِن باب : حسنات الأبرار سَيِّئات المُقَرَّبين .

- يجب على المريد مع شيْخه الأدب وحُسْن الطّلب والتَّسْليم له ، وأنْ لا يَتَكَلَّم قَطّ إلا بدستور شيْخه إنْ كان جسْمه حاضراً ، وإنْ كان غائباً يستأذنه بالقلب ؛ وذلك حتّى يَتَرَقّى إلى الوصول إلى هذا المقام في حقّ ربّه عزّ وجلّ ؛ فإنّ الشَّيْخ إذا رأى المريدَ يراعيه هذه المراعاة وعلى هذه الحالة والرِّضا والتَّسْليم رَبّاه بلطيف الشّراب وأسقاه مِن ماء التّربية ولاحَظه بالسِّرّ المعنويّ الإلهيّ ، فيا سعادة مَن أحْسَن الأدب مع مُرَبِّيه ، ويا شقاوة من أساء .

- يجب على تالي القرآن أنْ يُطَهِّر فمه لِلتِّلاوة مِن اللَّغط والنُّطْق الفاحش ، ولا يأكل إلا حلالاً صِرْفاً قوت الوقت مِن غيْر سَرَف ؛ فإنْ أكَل حراماً أساء الأدب ، ويُعَطِّر ثيابه وبَدَنه ، وقد كان ﷺ يَتَعَطَّر لِذلك حتّى كان إذا لمس شيئاً يَمْكُث يَفُوح الطِّيب منه زماناً ، وكان وبيص المِسْك يَلْمَع مِن مَفْرقه ﷺ .

وأخيراً .. فبَعْد هذه النّفحات العطرات والكلمات الطَّيِّبات التي جَمَعْناها مِن أقوال سَيِّدي أبي العَيْنَيْن الدّسوقيّ ﷺ لا يسعني إلا أنْ أسأل الله تعالى أنْ يَنْفَع بها كُلّ مَن قرأها وأنْ يَعُمّ بنَفْعها المُسْلِمين بجاه سَيِّد الأوّلين والآخِرين وآلِه الطَّيِّبين الطّاهرين ..

وهذا أوان البدء في كتاب " لسان التَّعْريف " .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلَّى اللَّهُ على سيِّدِنا محمَّدٍ وعلى آلِهِ وسلَّم

الحمدُ لِلَّهِ الَّذي أَشْرَقَ نُورَهُ في قلوبِ أوليائِهِ فَقَدَّسُوهُ عنْ مشابَهةِ الأمثالِ بذاتِهِ وعنْ مشاكَلةِ الأندادِ بصفاتِهِ ، وجلاَّ عرائسَ المعشوقِ في مرآةِ دسوقِ لأوليائِهِ تحتَ قبابِهِ ، وخَصَّ منهمْ بمزيدِ ودِّهِ مَنْ صامَ مِنْهُمْ في مهْدِهِ شكراً لهُ على نعمائِهِ ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لهُ فاطرُ أرْضِهِ وسمائِهِ ، وأشهدُ أنَّ سَيِّدَنا محمَّداً عبدُهُ ورسولُهُ المصطفى مِنْ أنبيائِهِ ، صلَّى اللَّهُ عليْهِ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ المختارينَ مِنْ أوليائِهِ .

قالَ اللَّهُ العظيمُ ـ بَعْدَ " أعُوذُ باللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم " ـ **﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الْأَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم ﴾** (١) ..

اعلَمُوا ـ جَعَلَنا اللَّهُ وإيَّاكُمْ مِنْ خاصَّةِ عبادِهِ ، وعَرَّفَنا وإيَّاكُمْ لَطائِفَ ودادِهِ ، ورَحِمَنا وأنْتُمْ بِورودِ عواطِفِهِ وفَهَّمَ كِلَيْنَا لطائفَ عوارِفِهِ ـ أنَّ العبدَ لوْ أُعْطِي بِكُلِّ حَرْفٍ مِنَ القرآنِ أَلْفَ فهْمٍ لمْ يَبْلُغْ نهايةَ ما أَوْدَعَ اللَّهُ في آيةٍ مِنْ كتابِهِ ؛ لأنَّهُ كلامُ اللهِ ، وكلامُهُ صِفَتُهُ ، وكما أنَّهُ ليسَ لهُ نهايةٌ فكذا لا نهايةَ لِفَهْمِ كلامِهِ فَكُلٌّ يَفْهَمُ بِقَدْرِ ما يَفْتَحُ اللَّهُ على قَلْبِه ، وأيضاً فكلامُ مولانا عَزَّ وجَلَّ غيْرُ مخلوقٍ ؛ فلاَ يَبْلُغُ إلى نهايةِ فَهْمِهِ فهومٌ مُحْدَثَةٌ مخلوقةٌ .

إذا عُلِمَ ذلكَ فَلْنُوردِ الكلامَ مِنْ وجوهٍ لطيفةٍ فيما يَتَعَلَّقُ بهذهِ الآياتِ الشَّريفةِ معَ التَّعَرُّضِ بِلِسانِ التَّعْريفِ لِحالِ أستاذِنا الوليِّ الشَّريفِ على وجْهٍ لطيفٍ ومنهجٍ مُنيف ..

فنقولُ سائلينَ الْمَدَدَ مِنْ واهبِ الْمَدَدِ :

الوجْهُ الأوَّلُ : مناسبةُ هذهِ الآياتِ لِمَا قَبْلَها

إنَّ الحقَّ سُبْحَانَهُ لَمَّا أَخْبَرَ بأنَّهُ شامِلُ العِلْمِ في قولِهِ سُبْحَانَه **﴿ وَمَا تَكُونُ فِي**

(١) سورة يونس الآيات ٦٢ - ٦٤

شَأنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ (١) وعُلِمَ مِنْ وضْعِ أحوال مَنْ لا يَسَعُ مُجَرَّدُ أسمائِهِمْ إلاَّ الكتابُ المُبِينُ ، أيْ ومَهْمَا كشفَ مِنْهُ وجدَ مِنْ غيْرِ خفاءٍ ، ولا احتياجَ إلى تفتيشِ أنَّهُ كاملُ القدرة ، وبَعْدَ أنْ قَدَّمَ أنَّ الْخَلْقَ فريقانِ : صادقٌ في أمْرِهِ ومُفْتَرٍ عليهِ ، وأنَّهُ مُتَفَضِّلٌ على النَّاسِ بعدمِ المُعَاجَلَةِ ، والتَّأخيرِ إلى يومِ القيامةِ (٢) ، وخَوَّفَ المفتريَ عواقبَ أمْرِهِ عاجلاً وآجلاً ؛ كانَ موضعُ أنْ يُقالَ : لِمَ تُعَرِّضُ نفسَكَ .. ماذا يكونُ تفصيلُ حالِ الفريقَيْنِ في الدَّارَيْنِ على الجزْمِ ؟

فأُجِيبُ : بأنَّ الأولياءَ فائزُونَ ، والأعداءَ هالِكُونَ ؛ لِقولِهِ سُبْحَانَهُ وتعالى ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ إلى أنْ قال ﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ (٣) .

الوجْهُ الثَّاني : إعرابُها

﴿ أَلَا ﴾ : حَرْفُ تنبيهٍ واستفتاحٍ ، وليستْ مُرَكَّبةً مِنْ همزةِ الاستفهامِ و" لا " النَّافيةِ ، بلْ هيَ بسيطةٌ ، ولها أحكامٌ مشهورةٌ في العربيَّةِ لَسْنا بِصَدَدِ ذِكْرِها .

و﴿ إِنَّ ﴾ : حَرْفُ تأكيدٍ يَنْصِبُ الاسمَ ويَرْفَعُ الْخَبَرَ .

و﴿ أَوْلِيَاءَ ﴾ : اسْمُها ، والاسْمُ الكريمُ (٤) مضافٌ إليها .

وقولُه ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ : يَجوزُ في الأُولَى أنْ تكونَ عاملةً عَمَلَ " ليسَ " فيكون﴿ خَوْفٌ ﴾ اسمَها و﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ في محلِّ نَصْبِ خَبَرِها ويَجوزُ أنْ تكونَ غيْرَ عاملةٍ فيكون﴿ خَوْفٌ ﴾ مبتدأً و﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ في محلِّ رَفْعِ خَبَرِه ، **وهذا أولَى مِمَّا قَبْلَهُ لِوَجْهَيْنِ :**

أحدُهما : أنَّ عملَ " ليسَ " قليل .

والثَّاني : أنَّ الجملةَ التي بَعْدَها - وهي ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ - يَتَعَيَّنُ أنْ تكون

---

(١) سورة يونس من الآية ٦١

(٢) إكراماً لِحبيبه المصطفى ﷺ .

(٣) سورة يونس الآية ٦٩

(٤) أي الاسم " الله " .

﴿ لَا ﴾ فيها غيرَ عاملةٍ لأنَّها لا تَعْمَلُ في المَعارِفِ ؛ فَجَعَلُها غيرَ عاملةٍ مشاكَلَةً لِمَا بَعْدَها أوْلَى ، وجملة ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِم ﴾ خبر ﴿ إِنَّ ﴾ في محلِّ رفْعٍ وجملة ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُون ﴾ عطفٌ على الخَبَرِ فتكونُ في محلِّ رفْعٍ أيضا .

وفي هذهِ الجملةِ ضُرُوبٌ مِنَ التَّأكيدِ ؛ مِنْها : الاستفتاحُ ، والتَّنْبِيهُ ، والتَّأكيدُ بِـ﴿ إِنَّ ﴾ .

وقولُه ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُون ﴾ (١) : فيهِ ثلاثةُ أوْجُهٍ :

أحدُها : أنَّهُ مرفوعٌ إمَّا على أنَّهُ خَبَرُ مبتدأٍ حذوفٍ ، والمعنى : همُ الَّذينَ آمَنُوا أوْ على أنَّهُ خَبَرٌ ثانٍ لِـ﴿ إِنَّ ﴾ ، أوْ على الابتداءِ ، والخبرُ الجملةُ مِنْ قولِه ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ﴾ ، أوْ على النَّعتِ لِلأولياءِ على المحلِّ ؛ لأنَّ محلَّهُ رفْعٌ بالابتداءِ قَبْلَ دخول ﴿ إِنَّ ﴾ ، أوْ على البدلِ مِنَ المحلِّ أيضاً .. ذَكَرَ هذَيْنِ الأخيرَيْنِ مَكِّيٌّ وهوَ على مذهبِ الكوفِيِّينَ ؛ لأنَّهُمْ يُجْرُونَ التَّوابعَ كُلَّها مَجْرَى عطفِ النَّسَقِ " لا " في اعتبارِ المحلِّ .

الوجْهُ الثَّاني : محلُّهُ نَصْبٌ نعتاً لِـ﴿ أَوْلِيَاء ﴾ ، أوْ بدلٌ على اللَّفظِ ، أوْ على المدحِ بإضمارِ فِعْلٍ لائقٍ ، والمعنى : أَمْدَحُ الَّذينَ آمَنُوا .

والوجْهُ الثَّالثُ : محلُّهُ جَرٌّ بدلاً مِنَ الضَّميرِ في قولِه ﴿ عَلَيْهِم ﴾ .

فقدْ تَحَصَّلَ مِنْ هذهِ الأوجُهِ الثَّلاثةِ تسعةُ أوجهٍ : الرَّفْعُ مِنْ خمسةٍ ، والنَّصْبُ مِنْ ثلاثةٍ ، والجرُّ مِنْ وجْهٍ واحد .

وقولُه ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ﴾ مبتدأٌ وخبرٌ : وفي هذهِ الجملةِ أوجُهٌ :

أحدُها : أنْ تَكونَ خبراً لِـ﴿ الَّذِين ﴾ في بعضِ أوْجُهِها المتقدِّمة .

ثانيها : أنْ تَكونَ مستأنَفة .

وثالِثُها : أنْ تَكونَ خبراً آخَرَ لِـ﴿ إِنَّ ﴾ .

وقولُه ﴿ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾ : الأظْهَرُ أنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بالبشرى ؛ أيْ أنَّ البشرى تَقَعُ في الدُّنْيَا .

وقولُه ﴿ وَفِي الْآخِرَة ﴾ : عطفٌ على ﴿ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾ .

وقولُه ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ اللَّه ﴾ : ﴿ لَا ﴾ نافيةٌ لِلجِنْسِ ، محمولةٌ في العملِ

على نقيضتِها " إنّ " ، واسْمُهَا مُعْرَبٌ ومبنيٌّ : فَيُبْنَى إذا كانَ مُفْرَداً نَكِرَةً على ما كانَ يُنْصَبُ بهِ ، وسببُ بنائِهِ تَضَمُّنُهُ معنى الحَرْفِ وهوَ مِنْ الاستغراقيَّةِ ؛ **يَدُلُّ على ذلكَ** : ظهورُها في قولِهِ : ألاَ لاَ مِنْ سَبِيلٍ إلى هند .

وقيلَ : بُنِيَ لِتَرْكِيبِهِ معَ " لاَ " تركيبَ " خمسةَ عشرَ " ، فإنْ لمْ يَكُنْ اسْمُهَا مُفْرَداً ـ أعني بهِ المضافَ والشَّبيهَ بهِ ـ أُعْرِبَ نَصْبا ، والمرادُ بالشَّبيهِ : ما اتَّصلَ بهِ شيءٌ مِنْ تمامِ مَعْنَاهُ ، نَحْوَ : " لا خَيْراً مِنْ زَيْد " .

ولا عَمَلَ لهَا في المعرفةِ الْبَتَّة .

و﴿ **تَبْدِيل** ﴾ اسْمُهَا ، وخبرُها يَجوزُ أنْ يَكونَ الجارَّ والمجرورَ وهو ﴿ **لِكَلِمَاتِ اللَّه** ﴾ ، إلاَّ أنَّ بَنِي تميمٍ لا تَكادُ تَذْكُرُ خَبَرَها ؛ فالأوْلَى أنْ يَكونَ محذوفاً تقديرُهُ " لا تبديلَ كائن " .

ومذهبُ سيبويه (١) أنَّها واسْمَهَا في محلِّ رفْعٍ بالابتداءِ ولا عَمَلَ لها في الخبر ، ومذهبُ الأخفشِ (٢) أنَّ اسْمَهَا في محلِّ رَفْعٍ وهيَ عاملةٌ في الخبر .

وقولُه ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم ﴾ : ﴿ **ذَٰلِك** ﴾ مبتدأ ، و﴿ **هُو** ﴾ مبتدأ ثانٍ ، و﴿ **الْفَوْز** ﴾ خبرٌ ثانٍ ، والمبتدأ الثّاني وخبرُهُ خبرُ الأوّلِ ، و﴿ **الْعَظِيم** ﴾ صفةٌ لـ﴿ **الْفَوْز** ﴾ .

ويَجوزُ أنْ يكونَ لفْظ ﴿ **هُو** ﴾ فصلاً أوْ بدلاً ، و﴿ **الْفَوْز** ﴾ الخبرُ ، وفائدةُ الفَصْلِ الفَرْقُ بيْنَ الخبرِ والتّابعِ ؛ ولِهذا سُمِّيَ " فصلاً " ، ويُفيدُ التَّأكيدَ أيضا .

---

(١) هو أبو بِشْر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسيّ البصريّ ، أخَذ عن حمّاد بن سلمة والخليل ابن أحمد وأبي الخطّاب الأخفش ، وأخَذ عنه ابن عائشة .

من مؤلّفاته : الكتاب في النّحو ..

قال المازنيّ : مَن أراد أنْ يَعْمَل كتاباً كبيراً في النّحو بَعْد كتاب سيبويه فلْيَستَحْي .

تُوُفِّي رحمه الله بشيراز سنَة ١٨٠ هـ عن ٣٢ سنَة .

(٢) هو أبو الحَسَن سعيد بن مَسْعَدة المُجَاشِعيّ الأخفش الأوسط البلخيّ البصريّ النّحويّ ، وهو غيْر الأخفش الكبير ـ أستاذ سيبويه ـ والأخفش الصغير ، أخَذ عن سيبويه .

من مؤلّفاته : تفسير معاني القرآن ، الأوسط في النّحو ، المقاييس في النّحو ، العَرُوض .

تُوُفِّي رحمه الله سنَة ٢٢١ هـ .

الوجْهُ الثّالثُ : في تفسيرِها

" الأولياءُ " جَمْعُ " وليٍّ " على وَزْنِ " فَعيلٍ " ، و" فَعِيلٌ " تارةً يكونُ مبالَغةً مِنَ الفاعلِ : كـ"عليمٍ " ، وتارةً بمعنى " مفعولٍ " : كـ" جَريحٍ " (١) .

فالوليُّ على سِتّةِ : وليٌّ تَوَلَّى اللّهَ بالطّاعةِ ، ومِنْهُ قولُهُ تعالى ﴿ **وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَٰلِبُونَ** ﴾ (٢) ، والقِسْمُ الثّاني وليٌّ تَوَلاّهُ اللّهُ ، ومِنْهُ قولُهُ تعالى ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا** ﴾ (٣) (٤) .

وقدْ أَفرَدْتُ الكلامَ على هاتَيْنِ الآيَتَيْنِ بتأليفٍ سَمَّيْتُهُ (الدُّرَّةَ لِبَيانِ الولايةِ الكُبْرى والصُّغْرَى) .

ومِنْ ثَمَّ .. قالَ جَمْعٌ مِنْ علماءِ التَّفْسيرِ : إنَّ قولَهُ تعالى ﴿ **الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾ (٥) بيانٌ لِتَوَلِّيهِمْ إيّاهُ ، وقولُهُ عَزَّ وجَلَّ ﴿ **لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الْأَخِرَةِ** ﴾ (٦) بيانٌ لِتَوَلِّيهِ لهمْ .

ومِنْهُمْ مَنْ قالَ : إنَّ قولَهُ تعالى ﴿ **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ (٧) مُجْمَلٌ فَسَّرَهُ قولُهُ تعالى ﴿ **الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾ (٨) الآية .

وبالجملةِ .. فقدِ اختَلَفَتْ عباراتُ ساداتِنا الصُّوفيَّةِ ﷺ في تعريفِ الوليِّ كما اختلَفَتْ في تعريفِ التَّصَوُّفِ (٩) ، وأنتَ إذا تأمَّلْتَها ظَهَرَ لَكَ أنَّ كثيراً منها ناظرٌ إلى وصفٍ مِنْ أوصافِ الوليِّ غَلَبَ على قائلِهِ النَّظَرُ إليهِ فَعَرَّفَهُ بهِ ورآهُ

---

(١) انظر الرّسالة القشيريّة /٢٠٠ ، ٢٧٦

(٢) سورة المائدة الآية ٥٦

(٣) سورة البقرة من الآية ٢٥٧

(٤) انظر : الرّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٠٠ ، ٢٠١ ولطائف المنن /٢٧

(٥) سورة يونس الآية ٦٣

(٦) سورة يونس من الآية ٦٤

(٧) سورة يونس الآية ٦٢

(٨) سورة يونس الآية ٦٣

(٩) وسوف تَجِد في تراجم السّادة أعلام التّصَوُّف في هوامش هذا الكتاب تعاريف كثيرةً لِلتّصَوُّف تَتكامل كلُّها وتتآلف في نسيج واحد لِتُعْطي صورةً واضحةً عن التّصَوُّف من خلال منابعه وأهله .

الرُّكْنَ الأَعْظَمَ فأَطْلَقَهُ عليْهِ على مِنْوالِ قولِهِ ﷺ ﴿ الْحَجُّ عَرَفَة ﴾ (١) (٢) .

فمِنْ أوصافِهِمُ العَلِيَّةِ : ما أَخْبَرَ بِهِ ربُّ البَرِيَّةِ أنَّه ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِم ﴾ أيْ مِنْ لحوقِ مكروه ، ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُون ﴾ أيْ بِفَواتِ مأمولٍ ..

كيفَ وقدْ صفَّى عارفِيهِ مِنْ كدوراتِ الْبَشَرِيَّةِ ، ورَقَّاهمْ إلى مَجَالِي (٣) المُشاهَداتِ بما تَجَلَّى لهمْ مِنْ حقائِقِ الأحَدِيَّةِ ، ووَفَّقَهم لِلقيامِ بآدابِ العبوديَّةِ ، وأَشْهَدَهُمْ مَجاريَ أحْكامِ الرُّبوبيَّةِ ، فقامُوا بأداءِ ما عليْهِمْ مِنْ واجباتِ التَّكْليفِ ، وتَحَقَّقُوا بما مَنَّهُ سُبْحَانَهُ عليْهِمْ مِنَ التَّقْليبِ والتَّصْريفِ ، ثُمَّ رَجَعُوا إليهِ بِصِدْقِ الافْتِقارِ ونَعْتِ الانْكِسارِ ، ولمْ يَتَّكِلُوا على ما حَصَلَ مِنْهُمْ مِنَ الأعمالِ أوْ صَفَى لَهُمْ مِنَ الأحوالِ ؛ عِلْماً منهمْ بأنَّهُ جلَّ وعَلاَ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ ، ويَختارُ مَنْ يَشاءُ مِنَ العَبِيدِ .. لاَ يَحْكُمُ عليْهِ خَلْقٌ ، ولاَ يَتَوَجَّهُ عليْهِ لِمخلوقٍ حقٌّ .. ثوابُهُ ابتداءُ فضلٍ وعذابُهُ حُكْمٌ بعَدْلٍ ، وأمْرُهُ قضاءٌ فَصْلٌ (٤) ، ولِهذا جَعَلَهُمْ صَفْوةَ أوْلِيائِهِ وفَضَّلَهُمْ على الكافَّةِ مِنْ عبادِهِ بَعْدَ رُسُلِهِ وأنبيائِهِ كما صَرَّحَ بِهِ الإمامُ أبُو القاسمِ الْقُشَيْرِيُّ (٥)

(١) أخْرَجَه التِّرْمذيّ ٢٣٧/٣ والنَّسائيّ ٤٢٤/٢ وابن ماجة ١٠٠٣/٢ والحاكم ٦٣٥/١ والبخاريّ في التاريخ ١١١/٢ والبيهقيّ ١٧٣/٥ والدّارقطنيّ ٢٤٠/٢ وابن أبي شيبة ٢٢٦/٣ وأحمد ٣٠٩/٤ وأبو داود الطّيالسيّ /١٨٥ والدّيلميّ ١٤٨/٢ عن سيّدنا عبد الرحمن بن يَعْمَر الدّيليّ ﷺ .

(٢) أيْ أنّه كما أنّ لِلْحجّ أركاناً غيْر الوقوف بعرفة إلا أنّ النّبيّ ﷺ أشار بقوله ﴿ الْحَجُّ عَرَفَة ﴾ إلى أنّه الرُّكْن الأساس في الحجّ ؛ فإنّ السّادة الصّوفيّة عَرَّفوا الوليّ بتعاريف كثيرة تَعكِس رؤية كُلّ واحد منْهم إلى أهمّ ما يُمَيِّز الوليّ أو ما يجب أنْ يَتوافر فيه مِن صفات وسمات .

(٣) **المجالي** : هي مَظاهر مفاتيح الغيوب التي انْفَتَحَت بها مَغالِق الأبواب المسدودة بيْن ظاهِر الوجود وباطِنه .. اصْطلاحات الصُّوفِيَّة لِلكاشاني /٩٣

(٤) انظر الرِّسالة القشيريّة /٣ ، ٤

(٥) هو الإمام زين الدين أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيريّ الخراسانيّ النّيسابوريّ الشّافعيّ ﷺ ، وُلِد في أُسْتُوا مِن نيسابور سَنَة ٣٧٦ هـ ، أخَذ عن أبي عَلِيّ الدّقّاق وأبي عبد الرّحمن السُّلَميّ والاسْتِرابِينيّ ، وأخَذ عنه أبو المظفر الميهنيّ وابن عساكر والخطيب البغداديّ .

قال أبو الحسن الباخَرْزيّ في " دمية العقد " : لو قَرَع الصَّخْرَ بِسَوْط تَحْنِيرِه لَذاب ، ولو رُبِط إبليس في مجلسِه لَتاب ..

وقال : خارجٌ في إحاطته بالعلوم عن الحدّ البشريّ ، كلماته لِلمستفيدين فرائد ، وعتبات منبره =

في أوّلِ رسالتِه (١) .

وفي " إحياءِ علومِ الدّينِ " ما يُوافِقُهُ في مقالتِهِ ؛ حيثُ قالَ :" والرُّتْبَةُ العُلْيا في ذلكَ لِلأنبياءِ ثُمَّ الأولياءِ العارفِينَ ثُمَّ العلماءِ الرّاسخِينَ في العِلْمِ ثُمَّ لِلصّالحِينَ على تَفاوُتِ درجاتِهم " (٢) .

= لِلعارفين وسائد ، وله نَظْم تُتَوَّج به رءوس معاليه إذا خُتِمَت به أذناب أماليه .

من مؤلّفاته : التّيسير في عِلْم التّفسير ، لطائف الإشارات ، نَحْو القلوب الكبير ، الرّسالة ، أحكام السّماع ، الجواهر .

من أقواله ﷺ :

– قبول قَلْب المشايخ لِلمريد أصدَق شاهِد لِسعادته ، ومَن رَدّه قَلْب شيْخ مِن الشيوخ فلا محالة يرى غِبّ ذلك ولو بَعْد حين .

– مَن خُذِل بتَرْك حرمة الشّيوخ فقدْ أظْهَر رقْم شقاوته ، وذلك لا يخطئ .

– مِن آفات المريد : ما يتداخل النّفْسَ مِن خَفِيّ الحسد لِلإخوانِ والتّأثُّرُ بما يُفْرِد الله عَزّ وجَلّ به أشكاله مِن هذه الطريقة وحرمانه إيّاه .

– لو لم يكنْ في فضل ذِكْر الله تبارك وتعالى إلا قوله ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُم ﴾ لَكَفَت النّاسَ ألاّ يشتغلوا بغيْرها ، ولو فَهِم العلماء قوله تعالى ﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُون ﴾ لَمَا لجأوا إلى غيْرهم ، ولو فَهِم الغافلون معنى قوله تعالى ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُ قَرِين ﴾ لَمَا لَبِثوا على غَفْلتهم .

– بناء هذا الأمر ومِلاكه على : حِفْظ آداب الشّريعة ، وصوْن اليد عن المدّ إلى الحرام والشُّبْهة ، وحِفْظ الحواسّ عن المحظورات ، وعَدّ الأنفاس مع الله تعالى عن الغفلات ، وأنْ لا يَسْتَحِلّ سمسمةً ـ مَثَلاً ـ فيها شبهة في أوان الضّرورات ، فكيف عند الاختيار ووقْت الراحات ؟!

– أقْبَح الخصال بالمريد رجوعه إلى شهوة تَرَكها لله تعالى .

– مِن شأن المريد قِصَر الأمل ؛ فإنّ الفقير ابن وقْته ، فإذا كان له تدبير في المُسْتَقْبَل وتَطَلُّع لِغَيْر ما هو فيه مِن الوقت وأمل فيما يَسْتَأْنِفه لا يجيء منه شيء .

– مِن شأن المريد التّباعد عن أبناء الدنيا ؛ فإنّ صُحْبتهم سمّ مُجَرّب ؛ لأنّهم يَنتفعون به ، وهو يَنتقص بهم .

تُوُفِّي ﷺ بنيسابور سَنَة ٤٦٥ هـ .

(١) قال الإمام القشيريّ ﷺ : فقدْ جَعَل الله هذه الطّائفة صفوة أوليائه ، وفَضّلهم على الكافّة مِن عِبَاده بَعْد رُسُله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليْهم .. الرّسالة القُشَيْرِيّة /٣

(٢) إحياء علوم الدين ٥٣/١

وقدْ سُئِلَ سلطانُ العلماءِ العِزُّ بنُ عبدِ السَّلامِ (١) عنْ هذا المحلِّ :" كيْفَ

(١) هو سلطان العلماء عزّ الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السُّلَميّ الدّمشقيّ الشّافعيّ ﷺ ، وُلِد في دمشق سَنَة ٥٧٧ هـ ونشأ بها ، وأقام بمِصْر أكْثر مِن عشرين سَنَةً ، أخَذ عن الشّيْخ أبي الحَسَن الشّاذليّ وشهاب الدين السُّهْرَورديّ والآمديّ ، وأخَذ عنه تقيّ الدين بن دقيق العيد وابن الفركاح وأبو شامة .

قال الإمام الشّاذليّ : قيل لي :(مَا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مَجْلِسٌ فِي فِقْهِ أَبْهَى مِنْ مَجْلِسِ الشَّيْخِ عِزِّ الدِّينِ بْنِ عَبْدِ السَّلاَمِ) .

وقال التّاج السُّبكيّ : لم يَرَ مِثْل نَفْسه ، ولا رأى مَن رآه مِثْله عِلْماً ووَرَعاً وقياماً في الحقّ وشجاعةً وقوّة جَنَان وسلاطة لسان .

مِن مآثره ﷺ : قوْمته الكبرى في أمراء مِصْر وقوله لهم :" أنتم أرقّاء يجري عليكم حُكْم العبيد " فلم يَستَطِع أحد منهم أنْ يَرُدّ جواباً ، سِوَى أنّ نائب السلطنة استشاط غضباً وقال :" كيف يقول هذا ونحن ملوك الأرض ؟! واللهِ لأضْرِبَنّه بسيفي هذا " وسَلّ سيفه وركِب في محفله وجاء لِلشّيْخ والسيف مسلول فدَقّ الباب ، فخَرَج ولده وعاد فأخْبَره فما اكترَث ، ثُمّ خرج كأنّه قضاء الله نزل على ذلك الرجل ، فحين عايَنه يبسَت يده وسقط السيف ، فبكي وسأل الشّيْخ أنْ يَصفَح عنه ، فقال :" بشرط أنْ أنادي عليكم وأبيعكم وأصْرِف الثّمَن في المصالح " ، فنادى على أولئك الأمراء واحداً واحداً ولم يَبِعْهم إلا بالثّمَن البالغ ، ولم يَنتَطِح فيها عنزان ، وهذا لم يقع نظيره لأحد ..

انظر : طبقات الشّافعيّة الكبرى ٨/٢١٦ وجامع كرامات الأولياء ٢/١٧١ ، ١٧٢

قال التّاج السُّبكيّ : طلَع شيْخنا عِزّ الدين مرّةً إلى السلطان في يوْم عيد إلى القلعة فشاهَد العساكر مصطفّين بيْن يديْه ومجلس المملكة وما السلطان فيه يوْم العيد مِن الأبّهة وقدْ خَرَج على قوْمه في زينتِه على عادة سلاطين الدّيار المصريّة وأخذَت الأمراء تُقَبِّل الأرض بيْن يَدَي السلطان ، فالتفت الشّيْخ إلى السّلطان وناداه :" يا أيّوب .. ما حُجّتك عند الله إذا قال لك : ألم أبوّئ لك مُلْك مصر ثُمّ تبيح الخمور ؟ " فقال :" هَلْ جرى هذا ؟! " فقال :" نَعَم .. الحانة الفلانيّة يباع فيها الخمور وغيْرها مِن المنكَرات ، وأنت تتقلّب في نعمة هذه المملكة " يناديه كذلك بأعلى صوتِه والعساكر واقفون ، فقال :" يا سيّدي .. هذا أنا ما عَمِلْتُه ؛ هذا مِن زمان أبي " فقال :" أنت مِن الذين يقولون : إنّا وَجَدْنَا آباءنا على أُمّة ؟! " فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة ...

قال الباجي : سألتُ الشّيْخ لَمّا جاء مِن عند السلطان وقدْ شاع هذا الخبر :" يا سيّدي .. كيف الحال ؟ " فقال :" يا بُنَيّ .. رأيْتُه في تلك العظمة فأردتُ أنْ أهينه لئلاّ تَكْبُر نَفْسه فتؤذيه " فقلتُ :" يا سيّدي .. أمَا خِفْتَه ؟ " فقال : واللهِ يا بُنَيّ استحضرتُ هيبة الله تعالى فصار السلطان قُدّامي كالقطّ ..

طبقات الشّافعيّة الكبرى ٨/٢١١

ويقول عن مُشَاركة العزّ بن عبد السلام في الحرْب ضدّ الصليبيين : وكانوا قبْل ذلك وصلوا =

= إلى المنصورة في المراكب واستظهَروا على المسلِمين ، وكان الشَّيْخ مـع العسكر وقويَت الريـح ، فلَمّا رأى الشَّيْخ حال المسلِمين نادى بأعلى صوتِه مشيراً بيده إلى الريح :" يا ريح خذيهم " عدّة مـرات فعادت الريح على مراكب الفرنج فكسرَتْها وكان الفتح وغرق أكْثَر الفرنـج ، وصـرخ مِن بيْن يَدَي المسلِمين صارِخ : الحمد لله الذي أرانا في أُمّة محمد رجلاً سخَّر له الريح ..

طبقات الشّافعيّة الكبرى ٨/٢١٦ وانظر جامع كرامات الأولياء ٢/١٧١

وأفْتَى ﷺ مرّةً بشيء ثُمّ ظَهَر له أنّه خطأ فنادى في مِصْر والقاهرة على نَفْسه : مَن أفْتَى له فلان بكذا فلا يَعْمَل به ؛ فإنّه خطأ .. طبقات الشافعية الكبرى ٨/٢١٤

مِن مؤلّفاته : شجرة المعارف ، بداية السّول في تفضيل الرّسول ، مسـائل الطريقـة ، الفَرق بيْن الإيمان والإسلام .

مِن أقواله ﷺ :

- أحْسَن النّاس مَن أسْلَم ، وأسْلَمُهم مَن سلّم ، وأحَبّهم إلى الله مَن استَسْلَم .
- أيّهـا المُرائـي باللّبـاس المُسـاوِي بيْن الحقّ والباطل بالالتبـاس .. أتَظُنّ أنّ التّكَحُّـل كـالكَحَل فـي القياس ؟! أو تَعتقد أنّ مَن أسّس بنيانه على تَقْوى مِن الله ورضوان كمَن بَنَى بِلا أساس ؟!
- كُلّ مَن أجْلَسه الله على مائدة معرفته وتَناوَل مِن كؤوس محبّته رَفَع سيماها على وجْهه وتَبيّن أثَرُها في حركاته وسكناته .
- اعلم أنّ الخَلْق كُلّهم أطفال في حِجْر تربيـة الحقّ سبحانه ؛ يُغَذّي كُلّ واحد مِن خَلْقه علـى قَدْر احتمال معرفته ، فغذاء الرجال لا يَصلُح لِلأطفال ، ومَراكب الأبطال لا تَصلُح لِلبَطّال .
- أيّها الغائب عن حضرة الحبائب .. لو طَلَبْتَ مـا طلبوا وَجَدْتَ مـا وجدوا ، ولِنْ وَرَدْتَ مـا وَرَدوا شَهِدْتَ ما شَهِدوا ؛ فالباب مفتوح لِلطّلاّب لا حاجِب عليه ولا بَوّاب ، وإنّما المحجوب عن السّبب مَن وقف مع الأسباب ، وعلى قدْمة الخطاب يَرِد الجواب .
- مَن أنِس بمَن سِواه فهو مُستَوْحِش منه ، ومَن ذَكَر غيْرَه فهو غافِل عنه ، ومَن عَوّل على سِواه فهـو مُشْرِك به .
- لا يَقْبَل فقْرك إنْ لم تَكُنْ تَركَن إليه ، ولا يَرفَع قَدْرك إنْ لـم تَتّضِع لديـه .. لا يَرتَفِع الحِجَاب لِمَن يَخْطُر فـي بـاب الإعجاب .. لا يَثْبُت المقام إلا لِمن استقام ، ولا يصحّ الحال المُدّعِي المحَال .. لا تصحّ الإرادة إلا بتَرْك العادة ، ولا يُعْرَف المعروف إلا بتَرْك المألوف .. لا تَظْهَر الكشوف لِمَن أعماله زيوف .. لا تَصْدُق الفراسة لِمَن طَلَب الرياسة .
- لا يوصَل إلى معرفة الله تعالى إلا بالعجز عن معرفته ؛ لأنّ كُلّ إشارة يشير بها الخَلْـق إلـى الحقّ سبحانه مردودة ؛ لأنّها مِن جِنْسهم مخلوقة مِثْلهم .
- اعلم أنّه يستحيل الوصـول إلى معرفة شيء مِن معرفة الله بغيْر الله ، ولا سبيل إلى معرفة الله =

قَدَّمَ (١) الأولياءَ على العلماءِ وفَضَّلَهُمْ عليهِمْ وقدْ ثَبَتَ أنَّ العِلْمَ أفضلُ مِنَ العملِ لأنَّهُ مُتَعَدٍّ (٢) والعملُ قاصرٌ ، والْمُتَعَدِّي خيرٌ مِنَ القاصرِ ؛ فثوابُهُ أكْبَرُ ، فصاحبُهُ أفْضَلُ ؟ " فأجابَ عنْ ذلكَ بِما لَخَّصْتُهُ بِـ" مقصد آمالي بِشَرْحِ منظومةِ بدءِ الأمالي " ، وذِكْرُهُ يُخْرِجُنا عنِ المقصود (٣) .

وبالجملةِ .. فقدْ رُوِيَ في الخبرِ عنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ ﷺ أنَّهُ سُئِلَ عنْ أولياءِ اللَّهِ فقال ﴿ الَّذِينَ يُذْكَرُ اللَّهُ بِرُؤْيَتِهِم ﴾ (٤) يَعني لِمَا غَلَبَ عليْهِمْ مِنْ حُبِّ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ .

وفي حديثٍ آخَرَ أنَّهُ ﷺ قال ﴿ إنَّ لِلَّهِ عِبَاداً لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِمَكَانَتِهِمْ مِنَ اللَّه ﴾ قِيل :" يَا رَسُولَ اللَّهِ .. حَدِّثْنَا

= إلا بالله ؛ فإنّ الأفهام والأوهام والعقول والخواطر عاجزة قاصرة عن إدراك صُوَرها وعِلَلها ، فكيف تطيق إدراك مُصَوِّرها ومُعِيدها ؟! وإنّما الحقّ سبحانه خَلَق الخَلْق كما شاء ، ووفّق مَن شاء لِمَا شاء ، وعَرَّف مَن شاء بما شاء .

- كيف يَصِل إلى الأعتاب مَن هو إلى الآن ما تاب ؟!

- المَعاني جواهر والألفاظ أصدافها ، والحِكَم مَعادن والقلوب أهدافها .

- ما كُلّ قَلْب يَصلُح لِلسِّرّ ، ولا كُلّ صدف يَنْطَبِق على الدُّرّ ، ولِكُلّ مقام مقال ، وما كُلّ ما يُعلَم يقال .

- كُلّ شريعة لا حقيقة لها فهي عاطلة ، وكُلّ حقيقة لا شريعة لها فهي باطلة .

- الشّريعة القيام بالأوامر ، والحقيقة مشاهَدة الآمر .

تُوُفِّي ﷺ بمِصر سَنَة ٦٦٠ هـ ودُفِن بالقرافة ..

ولَمّا مات شَهِد الظاهر بيبرس جنازته وقال : لم يَستَقِرّ مُلْكي إلا الآن

(١) أي الإمام الغزاليّ .

(٢) أيْ أنّ نَفْعه لا يَقْتَصِر عليْك فقط ؛ وإنّما يَتَعَدّاك إلى غيْرك مِمَّن يَنْتَفِع به .

(٣) قال العزّ بن عبد السلام : مِمّا يدلُّك على أنّ القوم قَعَدوا على قواعد الشريعة وقَعَد غيرهم على الرسوم : ما يقع على يد أحدهم مِن الكرامات والخوارق ، ولا يقع ذلك على يد فقيه قَطّ ولو بَلَغ الغاية في العِلْم إلا إنْ سَلَك طريقهم واعْتَقَد صحّتها ..

انظر : العهود المحمّديّة /٢٣٨ وجامع كرامات الأولياء ١٧٢/٢

(٤) أخْرَجه الطّبرانيّ ١٣/١٢ ومحمد بن عبد الواحد المقدسيّ ١٠٧/١٠ عن سيّدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

مَنْ هُمْ ؟ ومَا أعْمَالُهُمْ ؟ فلَعلَّنَا نُحِبُّهُم " قال ﴿ هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا فِي اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلاَ أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَ بِهَا .. فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ ، وَإِنَّهُمْ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ ، لاَ يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ ، وَلاَ يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ ﴾ ثُمَّ تَلاَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١) .

ومِنْ أوصافِهِمُ الَّتي بها يَتَّصِفُونَ : قولُ مَنْ يَقولُ لِلشَّيءِ " كُن " فَيَكون ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ .

والكلامُ على حقيقةِ الإسلامِ والإيمانِ وهلْ هُمَا مترادِفَانِ أوْ متغايِرَانِ ؟ وهلِ الإيمانُ يَزيدُ وينقُصُ أمْ لاَ ؟ وهلِ الأعمالُ داخلةٌ في مُسَمَّاهُ أمْ لا ؟ قَدْ بَيَّنَ ذلكَ الأئِمَّةُ الأعلامُ ؛ فلاَ نُطيلُ بِذِكْرِهِ الكلام .

لكنْ هنا دقيقةٌ ، هيَ أنَّ العبادَ صنْفانِ : عبادٌ آمَنُوا باللَّهِ على التَّصْديقِ والإذعانِ ، وعبادٌ آمَنُوا باللَّهِ على الشُّهودِ والعيانِ ، وهذا الإيمانُ الثَّاني تارةً يُسَمَّى " إيماناً " وتارةً يُسَمَّى " إيقاناً " ؛ لأنَّهُ إيمانٌ انْبَسَطَتْ أنوارُهُ وظَهَرَتْ آثارُهُ واسْتَمْكَنَ في القلبِ عمودُهُ وداوَمَ السِّرُّ شهودَهُ ، وعنْهُ يكونُ خالِصُ الولايةِ كما عنِ القِسْمِ الآخَرِ يكونُ ظاهرُ الولايةِ ، وليسَ يَسْتَوِي إيمانُ مُؤْمِنٍ يَغْلِبُ الهوى وإيمانُ مُؤْمِنٍ يَغْلِبُهُ الهوى ، ولا إيمانُ مُؤْمِنٍ تَعْرِضُ لهُ العَوارِضُ فيُدافِعُها بإيمانِهِ وإيمانُ مُؤْمِنٍ غَسَلَ قَلْبَهُ مِنَ العوارِضِ فلاَ تَرِدُ عليهِ ؛ لِشُهودِهِ وعيانِه .

ولأجْلِ هذا اخْتَلَفَ أهْلُ الطَّريقِ في عَبْدَيْنِ : أحَدُهُمَا يَرِدُ عليهِ خاطرُ الذَّنْبِ فَيُجاهِدُ نفْسَهُ حتَّى يَذْهَبَ عنْهُ ذلكَ ، والآخَرُ لا يَخْطُرُ لهُ هذا الخاطرُ أصلاً : أيُّهُمَا أتَمُّ ؟

والَّذي لا شَكَّ فيهِ تَفْضيلُ هذا القِسْمِ الثاني ؛ فإنَّهُ أقْرَبُ لأحوالِ أهْلِ المعرفةِ

(١) أخْرَجه الإمام أحمد ٣٤٣/٥ والبيهقيّ في شعب الإيمان ٤٨٦/٦ والطّبرانيّ ٢٩١/٣ وعبد الله ابن المبارك ٢٤٩/١ عن سيّدنا أبي مالك الأشعريّ ﷺ ، وأبو داود ٢٨٨/٣ وأبو نعيم ٥/١ والبيهقيّ في الشّعب ٤٨٦/٦ وابن عبْد البرّ ٤٣٦/١٧ وهنّاد بن السّريّ ٢٧٢/١ عن سيّدنا عُمَر بن الخطّاب ﷺ ، وابن حبّان ٣٢٢/٢ والبيهقيّ ٣٦٢/٦ وفي الشّعب ٤٨٥/٦ وأبو يَعْلَى ٤٩٥/١٠ عن سيّدنا أبي هريرة ﷺ .

والأوّلُ هوَ حالُ أهلِ المجاهَدةِ ، ولأنَّهُ لاَ يكونُ القلبُ على هذهِ الصّفةِ إلاَّ والنُّورُ قدْ مَلأَ زواياهُ ؛ فلأجْلِ ذلكَ لمْ يَجِدْ خاطِرُ الذَّنْبِ مَساعا (١) .

وأمّا التَّقْوَى : فالكلامُ عليها مِنْ ثلاثةِ أوْجُهٍ مبسوطةٍ بتأليفِ سَمَيْنَاهُ " شفاءَ العليلِ في التَّقْوَى والتَّوكُّلِ على الرَّبِّ الجليلِ " .

رَوَى حُجَّةُ الإسلامِ الغزاليُّ (٢) رحمةُ اللَّهِ عليْهِ أنَّ عُمَرَ بنَ الخطّابِ

---

(١) أيْ لا يَجِد خاطِر الذَّنْب مُتَّسعاً في قَلْب مملوء بالنّور وعامِر بالذِّكْر

(٢) هو الإمام حُجّة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزاليّ الطّوسيّ الشّافعيّ ﷺ ، وُلِد في الطّابران بخراسان سنَة ٤٥٠ هـ ، أخَذ عن أبي عليّ الفارمذيّ وإمام الحرمَيْن الجوينيّ ونصْر بن إبراهيم ، وأخذ عنه أبو بكْر بن العربيّ ومحمد بن يحيى وأسعد المهينيّ .

عَدّه الحافظ السّيوطيّ مُجَدِّد القَرْن الخامس الهجريّ دون منازع .

قال عنه ابن السّبكيّ : كان ضرغاماً إلا أنّ الأُسُود تتضاءل بيْن يديْه وتتوارى ، وبدراً تماماً إلا أنّ هذا لا يُشْرِق إلا نهاراً ، وبشرٌ مِن الخَلْق إلا أنّه الطَّوْد العظيم ، وبعض الخَلْق ولكنْ مِثْل ما بعض الحجر الدُّرّ النّظيم .

وقال المناويّ : بحْرٌ ليس لِلبحر ما عنده مِن الجواهر ، وحبْرٌ سَمَا على السّماء ، وأين لِلسّماء مِثْل ما له مِن الزّواهر ، وروضة عِلْمٍ تستقلّ الرِّياض ، فنَشْرُها أنْ تحكي ما لديْه مِن الأزاهر ، انتظمَتْ بقدْره العظيم عقود المِلّة الإسلاميّة ، وابتَسَمَتْ بِدُرّه النّظيم ثغور الشّريعة المحمّديّة .

وقال محبّ الدين بن النّجّار الحنبليّ : إمام الفقهاء على الإطلاق ، وربّانيّ الأُمّة بالاتّفاق ، ومُجْتَهِد زمانه ، وعيْن وقْته وأوانه .

مِن مؤلّفاته : إحياء علوم الدين ، المُنْقِذ مِن الضّلال ، مكاشفة القلوب ، كيمياء السّعادة .

مِن أقواله ﷺ :

- السّعادة كلّها في أنْ يَملِك الرَّجُلُ نَفْسه ، والشّقاوة في أن تَملِكه نَفْسه .
- الكِبْر دليل الأمن ، والأمن مُهْلِك ، والتّواضع دليل الخوف ، وهو مُسْعِد .
- أشدّ النّاس حماقةً أقواهم اعتقاداً في فَضْل نَفْسه ، وأثْبَت النّاس عقلاً أشدّهم اتّهاماً لِنَفْسه .
- وَضَع الله تعالى خمسة أشياء في خمسة مواضع : العِزّة في الطاعة ، والذّلّ في المعصية ، والهيبة في قيام الليل ، والحكمة في البطن الخالي ، والغِنَى في القناعة .
- النّفْس إذا لمْ تُمَتّع بعض المباحات طَمِعَتْ في المحظورات .
- الوعظ زكاة نِصَابه الاتّعاظ ، فمَن لا نِصَاب له كيف يخرج الزّكاة ؟! وفاقد الثّوْب كيف يَسْتُر به غيْره ؟! ومتى يستقيم الظّلّ والعُود أعْوج ؟! وقدْ أوْحَى الله تعالى إلى عيسى بن مريم عليه السلام :(عِظْ نَفْسَكَ ، فَإِنِ اتَّعَظَتْ فَعِظِ النَّاسَ وَإِلاَّ فَاسْتَحِ مِنِّي) .

= – حدّ المراء كُلّ اعتراض على كلام الغير بإظهار خَلَلٍ فيه ، والمُجادلة قصد إفحام الغير ، وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونِسْبته إلى القصور والجهل .

– أعظَم أنواع المعامَلة الوقوف على خِدَع النَّفْس ومكائد الشيطان ، وذلك فرْض عيْن على كلّ جسد ، وقدْ أهمَله الخَلْق واستقلّوا بعلوم تَجُرّ إليْهم الوسواس وتُسلِّط عليْهم الشَّيْطان .

تُوُفّي ﷺ بطوس سنة ٥٠٥ هـ ودُفِن بمقبرة الطابران .

(٣) هو الصّحابيّ الجليل الفاروق أبو حفْص سيّدنا عُمَر بن الخطّاب بن نفيل المخزوميّ ﷺ ، ثاني الخلفاء الراشدين ، وأول مَن سُمّي بـ" أمير المؤمنين " .

روى التِّرْمذيّ وأبو داود وأحمد والطّبرانيّ أنّ النّبيّ ﷺ قال ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ ﴾ ، وروى البزار وأبو نعيم وابن عساكر أنّه ﷺ قال ﴿ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ سِرَاجُ أَهْلِ الْجَنَّـةِ ﴾ ، وروى البخاريّ ومسلِم وأحمد والتِّرْمذيّ والنّسائيّ والحميديّ أنّه ﷺ قال ﴿ إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ ، وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّـاب ﴾ ، وروى البخـاريّ ومسلِم وأحمد وابن أبي عاصم أنّه ﷺ قال لِسيّدنا عُمَر ﷺ ﴿ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَـا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَـطُّ سَـالِكًا فَجًّا إِلاَّ سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ ﴾ .

روى الحاكم وابن عساكر والدّارقطنيّ في " الأفراد " والطّبرانيّ وابن سَعْد وأبو نعيم أنّه لَمّا أسْلَم سيّدنا عُمَر ﷺ نَزَل سيّدنا جبريل عليه السلام فقال : يَا مُحَمَّدُ .. اسْتَبْشَرَ أَهْلُ السَّمَاءِ بِإِسْلاَمِ عُمَرَ .

وروى ابن سعد والخطيب البغداديّ أنّ كعب الأحبار قال له ﷺ : يـا أمير المؤمنين .. والـذي نَفْسي بيده إنّا لَنَجِدُك في كتاب الله على باب من أبـواب جهنّـم تَمْنَـع النّـاسَ أنْ يقَعوا فيهـا ، فـإذا مِتّ لمْ يزالوا يَقْتَحِمون فيها إلى يوْم القيامة .

وقالت الشفاء بنت عبد اللـه تصفـه : كـان واللـهِ عُمَـر إذا تَكلّـم أسْمَع ، وإذا مشـى أسْرَع ، وإذا ضَرَب أوْجَع ، وهو النّاسك حقّا .

وعنْ زهْده ﷺ يقول يسار بن نمير : واللهِ ما نَخَلْتُ لِعُمَر الدّقيق قَطّ إلا وأنا له عاص .

يُحكَى أنّه لَمّا جاءه البشير بالنّصر سأله ﷺ :" كَمْ لَبِثْتُمْ أمَامَ الأعْدَاء ؟ " فقال البشير :" مِن غداة إلـى عشيّة " فبكـى ﷺ ، فاسْتَغْرَب البشيرُ بكـاءه وقـال :" أبُشّرك بـالنّصر وتبكي ؟! " فقـال ﷺ : لاَ يَقِفُ الْكُفْرُ أَمَامَ الإِيمَانِ مِنْ غَدَاةٍ إِلَى عَشِيَّةٍ إِلاَّ بِذَنْبٍ أَحْدَثْتُمُوهُ أَنْتُمْ أَوْ أَنَا .

وروى ابن سَعْد أنّ سيّدنا عبد الله بن عُمَر رضي الله عنْهما قال لأبيه :" فَرَضْتَ لِـي ثَلاَثَـةَ آلاَفٍ دِرْهَمٍ ، وَفَرَضْتَ لِأُسَامَةَ أَرْبَعَةَ آلاَفٍ ، وَقَدْ شَهِدْتُ مَا لَمْ يَشْهَدْ أُسَامَةُ ! " فقـال ﷺ : زِدْتُـهُ لِأَنَّـهُ كَـانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكَ ، وَكَانَ أَبُوهُ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَبِيكَ .

وكَتَب ﷺ إلى سيّدنا أبي موسى الأشعريّ ﷺ : مُرْ ذَوِي الْقَرَابَاتِ أَنْ يَتَزَاوَرُوا وَلاَ يَتَجَاوَرُوا . =

- ورقى ﷺ المنبر وجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :" أيها الناس .. لقد رأيتني ومما لي من أكال يأكله الناس ، إلا أن لي خالات من بني مخزوم ؛ فكنت أستعذب لهن الماء فيقبضن لي القبضات من الزبيب " ثم نزل ، فقيل له :" ما أردت إلى هذا يا أمير المؤمنين ؟! " قال : إني وجدت في نفسي شيئاً فأردت أن أطأطئ منها .

من أقواله ﷺ :

- لو مات جمل ضياعاً على شط الفرات لخشيت أن يسألني الله عنه .
- ما لي وللنوم ؛ فلو نمت بالنهار ضيعت المسلمين ، ولو نمت بالليل ضيعت نفسي .
- إني أنزلت نفسي من مال الله منزلة مال اليتيم : إن استغنيت استعففت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، فإن أيسرت قضيت .
- لو نادى منادٍ من السماء :" أيها الناس .. إنكم داخلون الجنة كلكم إلا واحداً " لخفت أن أكون هو ، ولو نادى منادٍ من السماء :" أيها الناس .. إنكم داخلون النار كلكم إلا واحداً " لرجوت أن أكون هو .
- ما أبالي أصبحت على عسر أو يسر ؛ لأني لا أدري أيهما خير لي .
- كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام .
- لو كان الصبر والشكر بعيرين لم أبال أيهما ركبت .
- والله لقد لان قلبي في الله حتى لهو ألين من الزبد ، ولقد اشتد قلبي في الله حتى لهو أشد من الحجر .
- رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي .
- حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ؛ فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم .
- من خاف من الله تعالى لم يشف غيظه ، ومن يتق الله لم يضيع ما يريد .
- إذا رأيتم العالم محباً للدنيا فاتهموه على دينكم ؛ فإن كل محب يخوض فيما أحب .
- لو أن رجلاً صام النهار وقام الليل وتصدق وجاهد ولم يحب في الله ولم يبغض فيه ما نفعه ذلك .
- لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفا .
- اجلسوا إلى التوابين ؛ فإنهم أرق أفئدة .
- أضروا بالفانية خير لكم من أن تضروا بالباقية .
- البر شيء هين : وجه طليق وكلام لين .
- الرعية مؤدية إلى الإمام ما أدى الإمام إلى الله ، فإذا رتع الإمام رتعوا .
- إذا سمعت الكلمة تؤذيك فطأطئ لها حتى تتخطاك .
- تعلموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة والحلم .

- مَنْ كَثُرَ ضَحِكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ ، وَمَنْ مَزَحَ اسْتُخِفَّ بِهِ ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ ، وَمَنْ كَثُرَ كَلاَمُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُه .

- ثَلاَثٌ يُثَبِّتْنَ لَكَ الْوُدَّ فِي صَدْرِ أَخِيكَ : أَنْ تَبْدَأَهُ بِالسَّلاَمِ ، وَتُوَسِّعَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ ، وَتَدْعُوَهُ بِأَحَبِّ الأَسْمَاءِ إِلَيْه .

- دَارٌ أَسْمَتْ عَلَى الْبَلْوَ لَوَى مُحَال .

- إِنَّ الطَّمَعَ فَقْرٌ ، وَإِنَّ الْيَأْسَ غِنىً ، وَإِنَّهُ مَنْ يَيْأَسْ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ اسْتَغْنَى عَنْهُمْ .

- خَالِطُوا النَّاسَ بِالأَخْلاَقِ ، وَزَايِلُوهُمْ بِالأَعْمَال .

- مَنِ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ ، وَمَنِ اتَّكَلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ ، وَمَنْ شَكَرَ لَهُ زَادَهُ ، فَاجْعَلِ التَّقْوَى عِمَارَةَ قَلْبِكَ وَجِلاَءَ بَصَرِكَ ؛ فَإِنَّهُ لاَ عَمَلَ لِمَنْ لاَ نِيَّةَ لَهُ ، وَلاَ خَيْرَ لِمَنْ لاَ خَشْيَةَ لَهُ ، وَلاَ جَدِيدَ لِمَنْ لاَ خَلَقَ لَه .

- مَنْ دَخَلَ عَلَى الْمُلُوكِ خَرَجَ وَهُوَ سَاخِطٌ عَلَى اللَّه .

- لاَ تَكَلَّمْ فِيمَا لاَ يَعْنِيكَ ، وَاعْرِفْ عَدُوَّكَ ، وَاحْذَرْ صَدِيقَكَ إِلاَّ الأَمِينَ ، وَلاَ أَمِينَ إِلاَّ مَنْ يَخْشَى اللَّهَ ، وَلاَ تَمْشِ مَعَ الْفَاجِرِ فَيُعَلِّمَكَ مِنْ فُجُورِهِ ، وَلاَ تُطْلِعْهُ عَلَى سِرِّكَ ، وَلاَ تُشَاوِرْ فِي أَمْرِكَ إِلاَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ .

- مَنْ حَدَّثَ حَدِيثاً فَعُمِلَ بِهِ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ ذَلِكَ الْعَمَل .

- لَؤْمٌ بِالرَّجُلِ أَنْ يَرْفَعَ يَدَهُ مِنَ الطَّعَامِ قَبْلَ أَصْحَابِه .

- الزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا رَاحَةُ الْقَلْبِ وَالْجَسَد .

- مَنْ خَلُصَتْ نِيَّتُهُ كَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاس .

- كُونُوا أَوْعِيَةَ الْكِتَابِ وَيَنَابِيعَ الْعِلْمِ ، وَسَلُوا اللَّهَ رِزْقَ يَوْمٍ بِيَوْم .

- لاَ تَظُنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِن فِيِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ شَرّاً وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمَلا .

- مَنْ قَلَّ وَرَعُهُ قَلَّ خَيْرُهُ ، وَمَنْ كَثُرَ أَكْلُهُ لَمْ يَجِدْ لِذِكْرِ اللَّهِ لَذَّةً ، وَمَنْ كَثُرَ نَوْمُهُ لَمْ يَجِدْ فِي عُمُرِهِ بَرَكَةً ، وَمَنْ كَثُرَ كَلاَمُهُ فِي النَّاسِ سَقَطَ حَقُّهُ عِنْدَ اللَّهِ وَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى غَيْرِ الاسْتِقَامَة .

تُوُفِّي ﷺ بالمدينة سَنَة ٢٣ هـ ودُفن إلى جوار النَّبيّ ﷺ والصِّدِّيق ﷺ ..

روى ابن سعد أنّ سيِّدنا عبد الله بن مسعود ﷺ قال : وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمُ عُمَرَ كَانَ يُحِبُّ كَلْباً لأَحْبَبْتُهُ ، وَاللَّهِ إِنِّي أَحْسِبُ الْعِضَاةَ قَدْ وَجَدَ فَقْدَ عُمَر .. الطبقات الكبرى ٣/٣٧٢

وروى أنّ كعباً قال :" كان في بني إسرائيل مَلِك إذا ذَكَرْناه ذَكَرْنا عُمَر ، وإذا ذَكَرْنا عُمَر ذَكَرْناه وكان إلى جَنْبه نَبِيّ يُوحَى إليْه ، فأَوْحَى الله إلى النَّبِيّ أنْ يقول له :(أَعْهِدْ عَهْدَكَ ، وَاكْتُبْ وَصِيَّتَكَ ؛ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ إِلَى ثَلاَثَةِ أَيَّام) ، فأَخْبَره النَّبِيّ بذلك ، فلَمّا كان في اليوم الثالث وقَع بيْن الْجَدْر وبيْن السَّرير ، ثُمّ جأر إلى ربّه فقال :" اللَّهُمّ إنْ كُنْتَ تَعْلَم أنّي أَعْدِل في الحُكْم وإذا اختلفَت الأمور اتَّبَعْتُ هواك وكُنْتُ وكُنْتُ فزِدْني في عُمُري حتى يَكْبُر طِفْلي وتَرْبُو أُمَّتي " فأَوْحَى الله إلى النَّبِيّ أنّه قدْ قال =

وأُبَيٌّ بنَ كعبٍ (١) وأبَا هريرةَ (٢) ﷺ دَخَلُوا على رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالُوا :" يَا

- كذا وكذا (وقَدْ صَدَقَ ، وقَدْ زِدتُهُ فِي عُمُرِهِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً ، فَفِي ذَلِكَ مَا يَكْبُرُ طِفْلُهُ وتَرْبُو أُمَّتُـه)"

ثُم لَمَّا طُعِن عُمَر قال كعب :" لئنْ سأل عُمَر ربَّه لَيُبَقِيَنَّه اللَّه " فأُخْبِرَ بذلك عُمَر فقال : اللَّهُمَّ اقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ عَاجِزٍ وَلاَ مَلُوم .. الطبقات الكبرى ٣/٣٥٤

(١) هو الصَّحابيّ الجليل أبو المنذر سيِّدنا أُبَيّ بن كعب بن قيس بن عُبَيْد الخزرجيّ الأنصاريّ ﷺ ، شَهِد العقبة مع السَّبْعين ، كان من القُرَّاء ، وكان يكتب الوحي لرسول اللهِ ﷺ .

قال ﷺ ﴿ أَقْرَأُ أُمَّتِي أُبَيُّ بْنُ كَعْب ﴾ ، وقال له ﴿ أُمِرْتُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ الْقُرْآن ﴾ .

قال عنه سيِّدنا عُمَر ﷺ : هَذَا سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ أُبَيُّ بْنُ كَعْب .

سأله مسروق عن مسألة فقال ﷺ :" يَا ابْنَ أَخِي .. أَكَانَ هَذَا ؟ " قال :" لا " قال ﷺ : فَأَحْمِنَا حَتَّى يَكُونَ ، فَإِذَا كَانَ اجْتَهَدْنَا لَكَ رَأْيَنَا .

من أقواله ﷺ :

- مَا مِنْ عَبْدٍ تَرَكَ شَيْئاً لِلَّهِ إِلاَّ أَبْدَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ، وَمَا تَهَاوَنَ بِهِ عَبْدٌ فَأَخَذَهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَصْلُحُ إِلاَّ آتَاهُ اللَّهُ مَا هُوَ أَشَدُّ عَلَيْهِ مِنْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِب .

- عَلَيْكُمْ بِالسَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ عَلَى سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ الرَّحْمَنَ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ فَتَمَسُّهُ النَّارُ ، وَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ عَلَى سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ الرَّحْمَنَ فَاقْشَعَرَّ جِلْدُهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ إِلاَّ كَانَ مَثَلُهُ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ يَبِسَ وَرَقُهَا فَبَيْنَمَا هِيَ كَذَلِكَ إِذْ أَصَابَتْهَا الرِّيحُ فَتَحَاتَّ عَنْهَا وَرَقُهَا إِلاَّ تَحَاتَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحَاتَّ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَرَقُهَا ، وَإِنْ اقْتِصَاداً فِي سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ خَيْرٌ مِنِ اجْتِهَادٍ فِي خِلاَفٍ مِنْ سَبِيلٍ وَسُنَّة .

- اتَّخِذْ كِتَابَ اللَّهِ إِمَاماً وَارْضَ بِهِ قَاضِياً وَحَكَماً ؛ فَإِنَّهُ الَّذِي اسْتَخْلَفَ فِيكُمْ رَسُولُكُمْ ، شَفِيعٌ مُطَاعٌ ، وَشَاهِدٌ لاَ يُتَّهَمُ ، فِيهِ ذِكْرُكُمْ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلَكُمْ ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ ، وَخَبَرُكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُم .

- الْمُؤْمِنُ بَيْنَ أَرْبَعٍ : إِنِ ابْتُلِي صَبَرَ ، وَإِنْ أُعْطِي شَكَرَ ، وَإِنْ قَالَ صَدَقَ ، وَإِنْ حَكَمَ عَدَلَ .

تُوُفِّي ﷺ بالمدينة سنة ٣٠ هـ .

(٢) هو الصَّحابيّ الجليل أبو هريرة سيِّدنا عبد الرحمن بن صخر الدَّوسيّ اليمانيّ ﷺ ، كَنَّاه النَّبيّ ﷺ بكُنْيَته هذه ، لمْ يحجّ ﷺ حتى ماتت أُمّه ؛ لِقيامه برعيها .

كان ﷺ يُسَبِّح كُلّ يوم اثْنَتَيْ عشرة ألف تسبيحة ويقول : أُسَبِّحُ عَلَى قَدْرِ ذَنْبِي .

يحكي ﷺ فيقول : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿ ابْسُطْ ثَوْبَكَ ﴾ فَبَسَطْتُهُ ، فَحَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَّةَ النَّهَارِ ، ثُمَّ تَفَلَ فِي ثَوْبِي ، ثُمَّ ضَمَمْتُ ثَوْبِي إِلَى بَطْنِي ، فَمَا نَسِيتُ شَيْئاً بَعْد .

رفع ﷺ على جاريته سوطاً ثُمّ قال : لَوْلاَ خَوْفُ الْقِصَاصِ لأَوْجَعْتُكِ ، وَلَكِنْ سَأَبِيعُكِ لِمَنْ يُوَفِّينِي ثَمَنَكِ ؛ اذْهَبِي فَأَنْتِ حُرَّةٌ لِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى .

رَسُولَ اللَّهِ .. مَنْ أَعْلَمُ النَّاس ؟ " ، فقال ﴿ الْعَاقِل ﴾ ، قالُوا :" فَمَنْ أَعْبَدُ النَّاس ؟ " فقال ﴿ الْعَاقِل ﴾ ، قالُوا :" فَمَنْ أَفْضَلُ النَّاس ؟ " قال ﴿ الْعَاقِل ﴾ ، قالوا :" أَلَيْسَ الْعَاقِلُ مَنْ تَمَّتْ مُرُوءَتُهُ وَظَهَرَتْ فَصَاحَتُهُ وَجَادَتْ كَفُّهُ وَعَظُمَتْ مَنْزِلَتُه ؟ " ، فقالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام ﴿ إِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِين ﴾ (١) ، إِنَّ الْعَاقِلَ هُوَ الْمُتَّقِي وَإِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا خَسِيساً وَدَنِيًّا ﴾ (٢) .

فَمِنْ ثَمَّ مَدَحَ أولِياءَهُ بالتَّقْوَى ، فَكُلُّ مَنْ كانَ تَقِيّاً كانَ لِلَّهِ وَلِيًّا .

ومِنْ أوصافِهِمُ الفاخرةِ : قولُ مالكِ الدُّنْيا والآخِرَة ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِى الْآخِرَةِ ﴾ ..

والبشرى أَخَصُّ مِنَ الْخَبَرِ ؛ لأنَّها الْخَبَرُ بِما يَسُرُّ ، ولِهذا يَظْهَرُ سرورُهُ في بَشْرَةِ وجْهِه ، ومِنْ ثَمَّ قالَ علماؤُنا ﷺ : البشارةُ هيَ الْخَبَرُ الأوَّلُ السَّارُّ ، حتَّى لوْ قالَ لِعَبِيدِهِ :" مَنْ بَشَّرَنِي بِقُدُومِ ولَدِي فهوَ حُرٌّ " فأَخْبَرُوهُ فُرَادَى أَعْتَقَ أوَّلَهُمْ ، ولوْ قالَ :" مَنْ أَخْبَرَنِي " أُعْتِقُوا كُلُّهُمْ .

وبُشْرَى أولياءِ اللَّهِ في الدُّنْيا على أقوالٍ : قالَ علماءُ التَّفْسيرِ : لا مُنافاةَ بَيْنَها ولِهذا جَمَعَ بعضُ الْمُحَقِّقِينَ بيْنَ غالِبِها فأشارَ إلى أنَّ المرادَ بالبُشْرَى في الدُّنْيا : ما بَشَّرَهُمْ بِهِ في كتابِهِ على لسانِ نَبِيِّهِ ﷺ ، وما يُرِيهِمْ مِنَ الرُّؤيا الصَّالحةِ ، وما مَنَحَهُمْ مِنَ المكاشَفاتِ ، ونزولُ الملائكةِ بالبشارةِ مِنَ اللَّهِ تعالى عندَ الموتِ والثَّناءِ الحَسَن ..

- مِن أقواله ﷺ :

- مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أُتِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلْجَماً بِلِجَامٍ مِنْ نَار .
- إِنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ لَيَتَرَاءَوْنَ بُيُوتَ أَهْلِ الْأَرْضِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا تَتَرَاءَى النُّجُوم .
- مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاة :(مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهِي فَقَلِيلُهُ كَثِيرٌ ، وَمَا أُرِيدَ بِهِ غَيْرِي فَكَثِيرُهُ قَلِيل).

تُوُفِّي ﷺ بالمدينة سَنَة ٥٧ هـ عنْ ٧٨ سَنَة .

(١) سورة الزخرف من الآية ٣٥

(٢) إحياء علوم الدين ٨٦/١ وأخرَجه الحارث بن أبي أسامة في مُسْنَده ٨١٠/٢ عن سعيد بن المسيّب وقال العراقيّ : أخرَجه ابن المجبر عن سعيد بن المسيّب .. تخريج أحاديث الإحياء هامش ٨٦/١

رُوِيَ الأَوَّلُ عنِ ابنِ عبّاسٍ رضيَ اللَّهُ عنهما (١) ؛ قالَ تعالى ﴿ وَبَشِّرِ

(١) هوَ الصّحابيّ الجليل حَبْر الأُمّة أبو العباس سيّدنا عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ﷺ ، ابن عمّ رسول الله ﷺ ، وُلِد بمكة في شِعْب بني هاشم قَبْل الهجرة بثلاث سنين .

دعا له ﷺ فقال ﴿ اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ ﴾ .

قال عنه سيّدنا عُمَر ﷺ : ذَاكُمْ فَتَى الْكُهُولِ ، لَهُ لِسَانٌ سَؤُولٌ وَقَلْبٌ عَقُول .

وقال سيّدنا عَلِيّ ﷺ : لِلَّهِ دَرُّ ابْنِ عبّاسٍ ! إِنْ كَانَ لَيَنْظُرُ إِلَى الْغَيْبِ مِنْ سِتْرٍ رَقِيق .

وقال سيّدنا عبد الله بن مسعود ﷺ : نِعْمَ تَرْجُمَانُ الْقُرْآنِ ابْنُ عبّاس .

وقال سيّدنا سَعْد بن أبي وقّاص ﷺ : مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَحْضَرَ فَهْماً وَلاَ أَلَبَّ لُبّاً وَلاَ أَكْثَرَ عِلْماً وَلاَ أَوْسَعَ حِلْماً مِن ابْنِ عبّاس ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ يَدْعُوهُ لِلْمُعْضِلاَتِ ثُمَّ لاَ نُجَاوِزُ قَوْلَهُ وَإِنَّ حَوْلَهُ لأَهْلَ بَدْرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَار .

روى صاحِب " العقد الفريد " قال : كَتَب قيصر إلى معاوية :" أَخْبِرْني عمَّنْ لا قِبْلَةَ له ، وعمَّنْ لا أب له ، وعمَّنْ لا عشيرة له ، وعمَّنْ سار به قبْره ، وعنْ ثلاثة أشياء لمْ تُخْلَق مِن رَحِم ، وَعنْ شيء ونِصْفِ شيء ولا شيء ، وابعثْ إِلَيّ في هذه القارورة بِبَزْر كُلّ شيء " ، فبَعَث معاوية بالكتاب والقارورة إلى ابن عباس ، فقال :" أَمَّا مَنْ لاَ قِبْلَةَ لَهُ فَالْكَعْبَةُ ، وَأَمَّا مَنْ لاَ أَبَ لَهُ فَعِيسَى ، وَأَمَّا مَنْ لاَ عَشِيرَةَ لَهُ فَآدَمُ ، وَأَمَّا مَنْ سَارَ بِهِ قَبْرُهُ فَيُونُسُ ، وَأَمَّا ثَلاَثَةُ أَشْيَاءٍ لَمْ تُخْلَقْ فِي رَحِمٍ فَكَبْشُ إِبْرَاهِيمَ وَنَاقَةُ ثَمُودَ وَحَيَّةُ مُوسَى ، وَأَمَّا شَيْءٌ فَالرَّجُلُ لَهُ عَقْلٌ يَعْمَلُ بِعَقْلِهِ ، وَأَمَّا نِصْفُ شَيْءٍ فَالرَّجُلُ لَيْسَ لَهُ عَقْلٌ وَيَعْمَلُ بِرَأْيِ ذَوِي الْعُقُولِ ، وَأَمَّا لاَ شَيْءَ فَالَّذِي لَيْسَ لَهُ عَقْلٌ يَعْمَلُ بِهِ وَلاَ يَسْتَعِينُ بِعَقْلِ غَيْرِه " ، وملأ القارورة ماءً وقال : هَذَا بَزْرُ كُلِّ شَيْء .

من أقواله ﷺ :

- مَا بَلَغَنِي عَنْ أَخٍ مَكْرُوهٌ قَطُّ إِلاَّ أَنْزَلْتُهُ إِحْدَى ثَلاَثِ مَنَازِلَ : إِنْ كَانَ فَوْقِي عَرَفْتُ لَهُ قَدْرَهُ ، وَإِنْ كَانَ نَظِيرِي تَفَضَّلْتُ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ دُونِي لَمْ أُحَقِّلْ بِهِ ، هَذِهِ سِيرَتِي فِي نَفْسِي ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْهَا فَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَة .

- لَوْ قَالَ لِي فِرْعَوْنُ :" بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ " لَقُلْتُ : وَفِيك .

- الْقَرَابَةُ تُقْطَعُ ، وَالْمَعْرُوفُ يُكْفَرُ ، وَمَا رَأَيْتُ كَتَقَارُبِ الْقُلُوب .

- لأَنْ أَعُولَ أَهْلَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ شَهْراً أَوْ جُمُعَةً أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِن حَجَّةٍ بَعْدَ حَجَّةٍ ، وَلَطَبَقٌ بِدَانِقٍ أُهْدِيهِ إِلَى أَخٍ لِي فِي اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ دِينَارٍ أُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلّ .

- إِذَا دَعَوْتَ اللَّهَ فَاجْعَلْ فِي دُعَائِكَ الصَّلاَةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ؛ فَإِنَّ الصَّلاَةَ عَلَيْهِ مَقْبُولَةٌ ، وَاللَّهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَقْبَلَ بَعْضَ دُعَائِكَ وَيَرُدَّ بَعْض .

- الْقَنَاعَةُ مَالٌ لاَ نَفَادَ لَه .

الْمُؤْمِنِين ﴾ (١) ، وقال ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (٢) ، وقال ﴿ وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ ﴾ (٣) وقال ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ ﴾ (٤) (٥) ..

والثّاني عنْ أبي الدَّرْداءَ ﷺ (٦) ؛ قال :" سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْبُشْرَى

= - لِكُلِّ بُنْيَانٍ أَسَاسٌ ، وَأَسَاسُ الإِسْلاَمِ حُسْنُ الأَخْلاَقِ .

- مَنْ لَمْ يَجْلِسْ فِي الصِّغَرِ حَيْثُ كُرِهَ لَمْ يَجْلِسْ فِي الْكِبَرِ حَيْثُ يُحِبّ .

- لَوْ بَغَى جَبَلٌ عَلَى جَبَلٍ لَدُكَّ الْبَاغِي .

- خُذِ الْحِكْمَةَ مِمَّنْ سَمِعْتَ ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْحِكْمَةِ وَلَيْسَ بِحَكِيمٍ فَتَكُونُ كَالرَّمْيَةِ خَرَجَتْ مِنْ غَيْرِ رَامٍ .

- مَلْعُونٌ مَنْ أَكْرَمَ بِالْغِنَى وَأَهَانَ بِالْفَقْرِ .

- تَذَاكُرُ الْعِلْمِ بَعْضَ لَيْلَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِحْيَائِهَا .

- مُعَلِّمُ النَّاسِ الْخَيْرَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحُوتُ فِي الْبَحْرِ .

- مَا مِنْ مُؤْمِنٍ وَلاَ فَاجِرٍ إِلاَّ وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ رِزْقَهُ مِنَ الْحَلاَلِ ، فَإِنْ صَبَرَ حَتَّى يَأْتِيَهُ آتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَإِنْ جَزِعَ فَتَنَاوَلَ شَيْئاً مِنَ الْحَرَامِ نَقَصَهُ اللَّهُ مِنْ رِزْقِهِ الْحَلاَلِ .

- لاَ كَبِيرَةَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ ، وَلاَ صَغِيرَةَ مَعَ إِصْرَارٍ .

- يَا صَاحِبَ الذَّنْبِ .. لاَ تَأْمَنْ شَرَّ عَاقِبَتِهِ ؛ فَإِنَّ ضَحِكَكَ وَأَنْتَ لاَ تَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ بِكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ ، وَفَرَحَكَ بِالذَّنْبِ إِذَا ظَفِرْتَ بِهِ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ ، وَحُزْنَكَ عَلَى الذَّنْبِ إِذَا فَاتَكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ وَخَوْفَكَ مِنَ الرِّيحِ إِذَا حَرَّكَتْ سِتْرَ بَابِكَ وَعَدَمَ اضْطِرَابِ قَلْبِكَ مِنْ نَظَرِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْكَ وَأَنْتَ عَلَى الذَّنْبِ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ .

تُوُفِّي ﷺ بالطائف سنَة ٦٨ هـ ..

ولَمّا بَلَغَ سيدَنا جابراً ﷺ خبرُ موتِه قال : مَاتَ أَعْلَمُ النَّاسِ وَأَحْلَمُهُمْ ، وَلَقَدْ أُصِيبَتْ بِهِ هَذِهِ الأُمَّةُ مُصِيبَةً لاَ تُرْتَق .

وقال سيِّدنا محمد بن الحنفيّة ﷺ : اليوم مات رَبَّانِيّ هذه الأُمّة .

(١) سورة البقرة من الآية ٢٢٤ ، سورة التَّوْبة من الآية ١١٢ ، سورة يونس من الآية ٨٧ ، سورة الأحزاب من الآية ٤٧ ، سورة الصَّفّ من الآية ١٣

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٥ ، سورة يونس من الآية ٢

(٣) سورة فُصِّلَت من الآية ٣٠

(٤) سورة التَّوْبة من الآية ٢١

(٥) أخرَج ذلك ابن جرير وابن المنذر .. انظر الدُّرّ المنثور ٣٧٨/٤

(٦) هو الصّحابيّ الجليل أبو الدرداء سيِّدنا عويمر بن مالك بن قيس الأنصاريّ الخزرجيّ ﷺ . =

فِي الدُّنْيَا ، فَقَال ﴿ مَا سَأَلَنِي عَنْهَا أَحَدٌ غَيْرُكَ مُنْذُ نَزَلَتْ ، هَذِهِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ

- قيل له :" ادع الله لنا " فقال ﷺ : لاَ أُحْسِنُ السَّبَاحَةَ وَأَخَافُ الْغَرَق .

من أقواله ﷺ :

- إِنِّي لأَدْعُو لِسَبْعِينَ مِنْ إِخْوَانِي فِي سُجُودِي أُسَمِّيهِمْ بِأَسْمَائِهِم .
- وَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ مَا آمِنَ أَحَدٌ عَلَى إِيمَانِهِ أَنْ يُسْلَبَ إِلاَّ سُلِب .
- مُعَاتَبَةُ الأَخِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ فَقْدِهِ ، وَمَنْ لَكَ بِأَخِيكَ كُلِّهِ ، أَعْطِ أَخَاكَ وَلِنْ لَهُ ، وَلاَ تُطِعْ فِيهِ حَاسِداً فَتَكُونَ مِثْلَه .
- إِذَا تَغَيَّرَ أَخُوكَ وَاعْوَجَّ فَلاَ تَتْرُكْهُ لأَجْلِ ذَلِكَ ؛ فَإِنَّ الأَخَ يَعْوَجُّ مَرَّةً وَيَسْتَقِيمُ أُخْرَى .
- مَا لَكُمْ تَبْنُونَ مَا لاَ تَسْكُنُونَ وَتَأْمُلُونَ مَا لاَ تُدْرِكُونَ وَتَجْمَعُونَ مَا لاَ تَأْكُلُونَ ؟!! هَذِهِ عَادٌ وَثَمُودُ قَدْ مَلَأُوا مَا بَيْنَ بُصْرَى وَعَدَنَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَداً ؛ فَمَنْ يَشْتَرِي مِنِّي مَا تَرَكُوا بِدِرْهَمَيْن ؟!!
- تَبْنُونَ شَدِيداً وَتَأْمُلُونَ بَعِيداً وَتَمُوتُونَ قَرِيبا .
- وَيْلٌ لِكُلِّ جَمَّاعٍ فَاغِرٍ فَاهُ كَأَنَّهُ مَجْنُونٌ ، يَرَى مَا عِنْدَ النَّاسِ وَلاَ يَرَى مَا عِنْدَهُ ، وَلَوْ يَسْتَطِيعُ لَوَصَلَ اللَّيْلَ بِالنَّهَارِ ، وَيْلَهُ مِنْ حِسَابٍ غَلِيظٍ وَعَذَابٍ شَدِيد .
- وَيْحَ ابنِ آدَمَ ! مَا يَنْفَعُ مَالٌ يَزِيدُ وَعُمُرٌ يَنْقُص .
- إِنَّكَ لاَ تَفْقَهُ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى تَرَى لِلْقُرْآنِ وُجُوها .
- إِنْ نَاقَشْتَ النَّاسَ نَاقَشُوكَ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُمْ لَمْ يَتْرُكُوكَ ، وَإِنْ هَرَبْتَ مِنْهُمْ أَدْرَكُوكَ ، فَهَبُوا أَعْرَاضَكُمْ لِيَوْمِ فَقْرِكُم ، وَمَا تَجَرَّعَ مُؤْمِنٌ جَرْعَةً أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ غَيْظٍ كَظَمَهُ ؛ فَاعْفُوا يُعِزَّكُمُ اللَّه .
- أَنْصِفْ أُذُنَيْكَ مِنْ فِيكَ ؛ إِنَّمَا جُعِلَ لَكَ أُذُنَانِ وَفَمٌ وَاحِدٌ لِتَسْمَعَ أَكْثَرَ مِمَّا تَتَكَلَّم .
- مَا فِي الْمُؤْمِنِ بِضْعَةٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ لِسَانِهِ ؛ فَلْيَحْفَظْهُ لِئَلاَّ يُدْخِلَهُ النَّار .
- أَدْرَكْتُ النَّاسَ وَرَقاً لاَ شَوْكَ فِيهِ ، فَأَصْبَحُوا شَوْكاً لاَ وَرَقَ فِيه .
- نِعْمَ صَوْمَعَةُ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ بَيْتُهُ ؛ يَكُفُّ لِسَانَهُ وَفَرْجَهُ وَبَصَرَه .
- اذْكُرِ اللَّهَ فِي السَّرَّاءِ يَذْكُرْكَ فِي الضَّرَّاءِ ، فَإِذَا أَشْرَفْتَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا فَانْظُرْ إِلَى مَاذَا يَصِير .
- اطْلُبُوا الْعِلْمَ ، فَإِنْ عَجَزْتُمْ فَأَحِبُّوا أَهْلَهُ ، فَإِنْ لَمْ تُحِبُّوهُمْ فَلاَ تُبْغِضُوهُمْ .
- ابْنَ آدَمَ .. طَأِ الأَرْضَ بِقَدَمِكَ ؛ فَإِنَّهَا عَنْ قَلِيلٍ تَكُونُ قَبْرَكَ ، ابْنَ آدَمَ .. أَنْتَ أَيَّامٌ ، فَكُلَّمَا ذَهَبَ يَوْمٌ ذَهَبَ بَعْضُكَ ، ابْنَ آدَمَ .. لَمْ تَزَلْ فِي هَدْمِ عُمُرِكَ مُنْ يَوْمِ وَلَدَتْكَ أُمُّك .
- اعْبُدُوا اللَّهَ كَأَنَّكُمْ تَرَوْنَهُ ، وَعُدُّوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ الْمَوْتَى ، وَاعْلَمُوا أَنَّ قَلِيلاً يُغْنِيكُمْ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يُلْهِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ الْبِرَّ لاَ يَبْلَى وَالذَّنْبَ لاَ يُنْسَى .
- لأَنْ أَتَعَلَّمَ مَسْأَلَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قِيَامِ لَيْلَة .
- تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَة .

يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَه ﴾ " .. أَخْرَجَهُ التِّرْمذيُّ (١) في جامعِهِ (٢) ، وهوَ قولُ أَكْثرِ الْمُفَسِّرِين (٣) .

والثَّالثُ عنْ قتادةَ (٤) والزُّهْريِّ (٥) وعطاءٍ (٦) ؛ قالَ تعالى ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ

- ثَلاَثٌ مِلاَكُ أَمْرِ ابْنِ آدَمَ : لاَ تَشْكُ مُصِيبَتَكَ ، وَلاَ تُحَدِّثْ بِوَجَعِكَ ، وَلاَ تُزَكِّ نَفْسَكَ بِلِسَانِك .
- عَلاَمَةُ الْجَاهِلِ ثَلاَثٌ : الْعُجْبُ ، وَكَثْرَةُ الْمَنْطِقِ ، وَأَنْ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ وَيَأْتِيَه .

تُوُفِّي ﷺ بدمشق سَنَة ٣٢ هـ .

(١) هو أبو عيسى محمد بن سورة السُّلَميّ التِّرْمذيّ ﷺ ، وُلِد سَنَة ٢١٠ هـ ، أَخَذ عن البخاريّ وقتيبة بن سعيد وإسحاق بن راهويه ، وأَخَذ عنه أبو العباس بن محبوب والهيثم بن كليب الشّاشيّ وأبو بكْر السَّمَرْقَنْديّ .

من مؤلَّفاته : الجامع الصّحيح (سُنَن التِّرْمذيّ) ، الشّمائل المحمّديّة ، العِلَل .

تُوفِّي ﷺ بتِرْمِذ سَنَة ٢٧٩ هـ .

(٢) سُنَن التِّرْمذيّ ٥٣٤/٤ ، كما أَخْرَجه أحمد ٤٤٥/٦ والحاكم ٤٣٣/٤ وسعيد بن منصور ٣١٨/٥ وابن أبي شيبة ١٧٣/٦ والحميدي ١٩٣/١ وأبو داود الطّيالسيّ /١٣١ والقشيريّ في الرِّسالة /٣٠٤ والبيهقيّ في الشّعب ١٨٥/٤ وابن عبد البرّ في التّمْهيد ٥٨/٥

(٣) انظر تفسير الطّبريّ ١٦٣/١١ وتفسير القرطبيّ ٣٥٨/٨ وتفسير ابن كثير ٤٢٤/٢ وتفسير الألوسيّ ١٥٠/١١ وزاد المسير ٤٤/٤ وتفسير البغوي ٣٦٠/٢ وتفسير البيضاويّ ٢٠٦/٣ وتفسير الثّعالبيّ ١٨٤/٢ وفتْح القدير لِلشّوكانيّ ٤٥٨/٢ وتفسير الصّنعانيّ ٢٩٦/٢

(٤) هو أبو الخطّاب قتادة بن دعامة السّدوسيّ ﷺ ، وُلِد سَنَة ٦٠ هـ ، أَخَذ عنْ سَيِّدنا أنس وأبي الطُّفَيل وابن سيرين ، وأَخَذ عنه أبو حنيفة والأوزاعي وحمّاد بن سلمة .

من أقواله ﷺ :

- مَن يَتَّق الله يَكُن الله معه ، ومَن يَكُن الله عَزّ وجَلّ معه فمعه الفئة التي لا تُغْلَب والحارس الذي لا ينام والهادي الذي لا يضلّ والعالِم الذي لا يَنسى .
- كفى بالرَّهْبة عِلْما .
- قَلَّما ساهِر الليل مُنافِق .
- الحِفْظ في الصِّغَر كالنَّقْش على الحَجَر .
- يُستَحَبّ أنْ لا تُقْرَأ أحاديث رسول الله ﷺ إلا على طهارة .
- لو كان يُكْتَفى مِن العِلْم بشيء لاكْتَفى موسى عليه السلام بما عنده ، ولكنّه طلب الزيادة .
- كان المؤمن لا يُعْرَف إلا في ثلاثة مَوَاطن : بيْت يَسْتُره ، أو مسجد يَعْمُره ، أو حاجة مِن الدنيا ليس بها بأس .

= – باب من العِلْم يَحفَظه الرَّجُل يطلب به صلاح نَفْسه وصلاح النّاس أفضل من عبادة حَوْل كامل .

– مَن أُعطِي مالاً أو جَمالاً أو ثياباً أو عِلْماً ثُمّ لمْ يتواضع فيه كان عليْه وبالاً يوم القيامة .

تُوُفِّي ﷺ بواسط سَنَة ١١٧ هـ .

(٥) هو أبو بكر محمد بن مسلِم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشيّ الزُّهْريّ ﷺ ، من التّابعين ، وُلِد سَنَة ٥٨ هـ ، أخَذ عن ابن عُمَر وأنس بن مالك وأبي أمامة ﷺ ، وأخَذ عنه مالك واللّيْث بن سعْد وعُمَر بن عبد العزيز ﷺ .

كَتَب عُمَر بن عبد العزيز الى الآفاق : عليكم بابن شهاب ؛ فإنّكم لا تَجِدُون أحداً أعلَم بالسُّنّة الماضية منه .

وقال عمرو بن دينار : ما رأيْتُ أحداً أهْوَن عليْه الدِّينار والدِّرْهم من ابن شهاب ، وما كانت عنده إلا مِثْل البعر .

جَلَس إسحاق بن عبد الله في مجلس الزُّهْريّ فجَعَل يقول :" قال رسول الله ﷺ " فقال الزُّهْريّ : ما لك قاتَلَك الله يا ابن أبي فروة ؟! وما أجْرَأك على الله !! أسنِدْ حديثك ، تُحَدِّثوننا بأحاديث ليس لها خطمٌ ولا أزِمّة ؟!

من أقواله ﷺ :

– كُنّا نأتي العالِمَ ؛ فما نتعلم من أدبه أحَبّ إلَيْنا من العِلْم .

– حقيق على مَن أوْرَق بوعد أنْ يُثْمِر بفِعْل .

– العِلْم خزائن ، وتفتحها المسائل .

– وَجَدْنا السَّخِيّ لا تَنْفَعه التِّجارة .

– قال أبو الدرداء لامرأته :" إذَا رَأيْتِنِي غَضِبْتُ فَتَرَضّيْنِي ، وَإنْ رَأيْتُكِ غَضِبْتِ تَرَضّيْتُكِ ، وَإلاّ لَمْ نَصْطَحِب " ، وهكذا تكون الإخوان .

– إذا طال المجلس كان لِلشيطان فيه نصيب .

– لا تُحَقِّروا أنفُسكم لحداثة أسنانكم ؛ فإنّ عُمَر بن الخطّاب ﷺ كان إذا نَزَل به الأمر المُعْضِل دعا الشباب فاستشارهم يَبْتَغِي حدّة عقولهم .

– إنّ هذا العِلْم إنْ أخَذْتَه بالمُكاثَرة غَلَبك ولم تَظْفَر منه بشيء ، ولكنْ خُذْه مع الأيّام واللّيالي أخذاً رفيقاً تَظْفَرْ به .

تُوُفِّي ﷺ بأدامى بيْن فلسطين والحجاز سَنَة ١٢٤ هـ .

(٦) هو أبو محمد عطاء بن أبي رباح أسْلَم ﷺ ، من التّابعين ، أخَذ عن ابن عُمَر وأبي سعيد الخدريّ وأبي هريرة ﷺ ، وأخَذ عنه الزُّهْريّ وقتادة وعمرو بن دينار ﷺ .

قال إسماعيل بن أميّة : كان عطاء يطيل الصّمْت ، فإذا تَكَلّم يُخَيّل إلينا أنّه يُؤَيّد . =

الْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (١) (٢) .

وقالَ محمدُ بنُ كعبِ القرظيُّ (٣) :" إذا انتُزِعَتْ نفسُ المؤمنِ (أيْ إذا

- من أقواله ﷺ :

- مَن جلَس مَجلِس ذِكْر كفَّر الله عنه عشرةً من مَجالِس الباطل .
- مَجلِس علْم يُكفِّر سبعين مجلساً من مَجالس اللَّهْو .
- النَّظَر إلى العابد عبادة .
- ما ارتَفَع مَن ارتَفَع إلا بالخُلُق الحَسَن .
- إنّ مَن كان قَبْلَكم كانوا يكْرهون فضول الكلام ، وكانوا يَعُدّون فضوله ما عَدَا كتاب الله عَزّ وجَلّ أنْ تقرأه وتأمر بمعروف أو تنهى عنْ مُنْكَر أو تَنْطق بحاجتك في معيشتك التي لا بُدّ لك منْها .

تُوُفِّي ﷺ بمكّة سنَة ١١٥ هـ عنْ ٨٨ سنَة .

(١) سورة فُصِّلَت من الآية ٣٠

(٢) أخْرَجه عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم .. انظر الدّرّ المنثور ٣٧٨/٤

(٣) هو أبو حمزة محمد بن كعب بن حبان بن سليم بن أسد القُرَظِيّ ﷺ ، من التّابعين ، أخَذ عن أبي هريرة وابن عباس وأبي أيوب ﷺ ، وأخَذ عنه أبو جعفر الخطميّ وأبو سبرة النّخعيّ وابن عجلان .

يُحكَى أنّه ﷺ أصاب مالاً كثيراً فقيل له :" لو ادّخَرْتَه لِولدك مِن بَعْدك ؟ " فقال : لا ، ولكنْ أدّخِره لِنَفْسي عند ربّي ، وأدّخِر ربّي لِولدي .

من أقواله ﷺ :

- لا تنزل الحكمة في قَلْب فيه عزْم على المعصية .
- مَن قرأ القرآن مُتِّع بعقْله ولو بلَغ مائتَيْ سنَة .
- مَن بلَغه القرآن فكأنّما كلّمه الله .
- إذا أراد الله بعبد خيراً جعَل فيه ثلاث خصال : فقهاً في الدّين ، وزهادةً في الدُّنيا ، وتبصرةً في عيوبه .
- لا يَغلِبَنّ جهْل القوم بك معرفتك بنَفْسك ، فإنّ ناساً خدَعهم الثّناء وغرّهم شُكْر النّاس فهلَكوا .
- إنّ الله عَزّ وجَلّ ابتدأ خلْق إبليس على الكفر وعمل بعمل الملائكة فرَدّه إلى ما ابتدأ خلْقه عليه ، وبدأ خلْق السّحَرة على السّعادة وعملوا بعمل السّحَرَة فرَدّهم إلى ما ابتدأ خلْقهم عليْه من السّعادة حتّى توفّاهم على السّعادة .
- إنّ الأرض لتَبكي من رَجُل وتَبكي على رَجُل : تَبكي لِمَن كان يعمل على ظَهْرها بطاعة الله تعالى وتَبكي مِمّن يعمل على ظَهْرها بمعصية الله تعالى ؛ قدْ أثْقَلها ، ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾ .

احتَضَرَ) جاءَهُ مَلَكُ الموتِ فقالَ :" السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ اللَّهِ .. اللَّهُ يُقْرِئُكَ السَّلامَ " ، ثُمَّ قَرَأَ هذهِ الآيةَ ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ﴾ (١) (٢) .

والرَّابِعُ عَنْ أبي ذَرٍّ ﷺ (٣) ؛ قال :" يَا رَسُولَ اللَّهِ .. الرَّجُلُ يَعْمَلُ لِنَفْسِهِ وَيُحِبُّهُ

= - لو رُخِّص لأحد في تَرْك الذِّكْر لَرُخِّص لِزكريّا عليه السلام ؛ قال الله تعالى ﴿ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا ﴾ ، فقدْ حبس لسانَه عنْ كُلِّ كلام إلا عنْ ذِكْره ، ولَرُخِّص للذين يقاتلون في سبيل الله ؛ قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ .

تُوُفِّي ﷺ بالمدينة سنَة ١١٨ هـ .

(١) سورة النَّحل من الآية ٣٢

(٢) أخْرَجه ابن مالك وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشَّيْخ في العظمة وأبو القاسم ابن منده في كتاب " الأحوال " والبيهقيّ في شعب الإيمان .. انظر الدّرّ المنثور ١٢٨/٥

(٣) هو الصّحابيّ الجليل سيّدنا أبو ذرّ جُنْدَب بن جُنَادة بن سفيان بن عُبَيْد الغفاريّ ﷺ ، أحَد الذين بادَروا إلى الإسلام ، وهو أول مَن حيّا رسولَ الله ﷺ بتحيّة الإسلام .

قال ﷺ ﴿ مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ وَلاَ أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ ﴾ .

من أقواله ﷺ :

- اجْعَلِ الدُّنْيَا مَجْلِسَيْنِ : مَجْلِساً فِي طَلَبِ الْحَلاَلِ ، وَمَجْلِساً فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ ، ثُمَّ الثَّالِثُ يَضُرُّ وَلاَ يَنْفَع .

- اجْعَلِ الْمَالَ دِرْهَمَيْنِ : دِرْهَماً تُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِكَ ، وَدِرْهَماً تُقَدِّمُهُ لِآخِرَتِكَ ، ثُمَّ الثَّالِثُ يَضُرُّ وَلاَ يَنْفَع .

- إِنَّمَا الدُّنْيَا سَاعَتَانِ : سَاعَةٌ مَاضِيَةٌ وَسَاعَةٌ بَاقِيَةٌ : فَأَمَّا الْمَاضِيَةُ فَذَهَبَتْ لَذَّتُهَا ، وَأَمَّا الْبَاقِيَةُ فَهِيَ تَخْدَعُكَ حَتَّى يَقِلَّ صَبْرُكَ فِيهَا ، تَأْخُذُ حَلاَلَهَا وَحَرَامَهَا : فَإِنْ أَخَذْتَهَا بِحَلاَلِهَا فَأَنْتَ أَنْتَ ، وَإِنْ أَخَذْتَهَا بِحَرَامِهَا فَمَا أَدْرِي مَا أَصِفُ مِنْ سُوءِ حَالِكَ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ نِعَمِكَ وَمَعْرُوفِك .

- فِي الْمَالِ ثَلاَثَةُ شُرَكَاء : الْقَدَرُ لا يَسْتَأْمِرُكَ أَنْ يَذْهَبَ بِخَيْرِهَا أَوْ شَرِّهَا مِنْ هَلاَكٍ أَوْ مَوْتٍ ، وَالْوَارِثُ يَنْتَظِرُ أَنْ تَضَعَ رَأْسَكَ ثُمَّ يَسْتَاقُهَا وَأَنْتَ ذَمِيمٌ ، وَأَنْتَ الثَّالِثُ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ تَكُونَ أَعْجَزَ الثَّلاَثَةِ فَلاَ تَكُونَنَّ ؛ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُول ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ .

- يَكْفِي مِنَ الدُّعَاءِ مَعَ الْبِرِّ مَا يَكْفِي الطَّعَامَ مِنَ الْمِلْح .

- الصَّاحِبُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ ، وَالْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ صَاحِبِ السُّوءِ ، وَمُمْلِي الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنَ الصَّامِتِ ، وَالصَّامِتُ خَيْرٌ مِنْ مُمْلِي الشَّرّ .

تُوُفِّي ﷺ بالربذة بالشّام سنَة ٣٢ هـ .

النّاسُ ؟ " قال ﴿ ذَلِكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِين ﴾ (١) .

وأمّا البُشرَى في الآخِرةِ : فبِتَلَقِّي الملائكةِ إيّاهُمْ مُسلِّمِينَ عَلَيْهِم مُبَشِّرِينَ لَهُمْ بالفَوْزِ والكرامة .

ولَمَّا كانَ الغالِبُ عَلَى أحْوالِ أهْلِ اللهِ في الدُّنْيا الضِّيقَ ـ لا سِيَّما في أوّلِ الإسلامِ ـ كانَ السّامِعُ لِذلكَ بِمَعْرِضِ أنْ يقولَ : يا لَيْتَ شِعْرِي .. هلْ يَتِمُّ هذا السُّرورُ ؟ فقيلَ : نَعَم ؛ ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّه ﴾ ، أيْ لا تَغْيِيرَ لِقَوْلِهِ ولا خُلْفَ لِوَعْدِهِ ، بَل هوَ مُقَرَّرٌ مُثْبَتٌ كائنٌ لا مَحالة .

فإنْ قُلْتَ : أَلَمْ يُبَدِّلْ قَولُهُ تعالَى بالنَّسْخِ ؟

أجيبُ : **بأنَّ المُرادَ** : لا يُبَدِّلُ إخبارُهُ ـ كإخبارِهِ بأنَّ ثوابَ الخَمْسِ صلواتٍ خمسُونَ ـ لا التَّكْليفاتِ ، ولا يُبَدِّلُ القضاءُ المُبْرَمُ لا القضاءَ المُعَلَّقَ الذي يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ ويُثْبِتُ مِنْه ..

أو المُرادُ : لا يُبَدِّلُ القَوْلُ بَعْدَ ذلك .

وقَولُه ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ : الإشارةُ بذلكَ إلى كَوْنِ أوليائِهِ مُبَشَّرِينَ في الدّارَيْنِ ، وهذهِ الجُملةُ والتي قَبْلَها اعتِراضٌ لِتحقيقِ هاتَيْنِ البِشارَتَيْنِ وتعظيمِ شأنِهِما .

و﴿ الْفَوْز ﴾ هوَ نَيْلُ المرغوبِ والظَّفَرُ بالمَطلوبِ ، خُصوصاً عِندَ تَجَلِّي المحبوبِ ، وإنَّما وَصَفَ هذا الفَوْزَ بأنَّهُ " عظيمٌ " ولَمْ يَصِفْهُ بأنَّهُ كبيرٌ لأنَّ العَظيمَ نقيضُ الحقيرِ ، والكبيرَ نقيضُ الصَّغيرِ ، فالعظيمُ فَوْقَ الكبيرِ .

الوَجْهُ الرّابِعُ : في ذِكْرِ فوائد

الأولى : ما قَدَّمْنَاهُ مِنْ أنَّ الوليَّ على قِسْمَيْنِ : وليٌّ تَوَلَّى اللهَ ، ووليٌّ تَوَلاَّهُ الله ..

قالَ الإمامُ أبو القاسِمِ القُشَيْرِيُّ رحمةُ اللهِ عليْهِ :" كِلاَ الوَصْفَيْنِ واجِبٌ ؛ حتّى يَكونُ الوَليُّ وليّاً يجبُ قِيامُهُ بحقوقِ اللهِ تعالى على الاستِقصاءِ والاستيفاءِ

(١) أخرجه مسلم ٤/٢٠٣٤ وابن ماجة ٢/١٤١٢ وأحمد ٥/١٥٦ وابن حبّان ٢/٨٧ وأبو داود الطّيالسيّ ١/٦١ والبزار ٩/٣٧٥ والبيهقيّ في الشّعب ٥/٣٧٣ وابن المبارك في الزّهد ١/٢٥٠

هذا معَ دوامِ حِفْظِ اللهِ تعالى إيَّاهُ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاء " (١) ..

قال :" ومِنْ شَرْطِ الوَلِيِّ أنْ يَكونَ محفوظاً كما أنَّ مِنْ شَرطِ النبـيِّ أنْ يكـونَ معصوماً ، فكُلُّ مَنْ كانَ للشَّرْعِ عليْهِ اعتِراضٌ فهُوَ مغرورٌ مخدوع " (٢) ..

ثُمَّ حكَى أنَّ أبَا يَزيـدِ (٣) قَصَدَ بَعْضَ مَنْ وُصِفَ بالولايـةِ ، فخَـرَجَ الرَّجُـلُ

(١) الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٠١

(٢) الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٠١

(٣) هو أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان البسطاميّ ﷺ ، وُلِد ببسطام سَنَة ١٨٨ هـ ، أخَذ عنـه ذو النّون المصريّ والجنيد وي... بن معاذ .

قال عنه الإمام الجنيد : أبو يزيـ مِنّا بمنزلة جبريل مِن الملائكة .

وقال : كُلّ الخَلْق يَركضون ، فإذا بَلَغوا ميدان أبي يزيد هَمْلَجوا .

أرْسَل إليْه ذو النون المصريّ يقول :" إلى متى النَّوْم والرّاحة وقدْ جازت القافلة ؟ " فقال :" الرَّجُل مَن ينام اللَّيْل كُلّه ثُمّ يُصبْح في المنزل قَبْل القافلة ! " ، فقال ذو النون : هنيئاً لـه ! هذا كـلام لا تَبْلُغـه أحوالنا .

وكَتَب إليه يحيى بن معاذ :" هَا هُنَا مَن شَرِب كأساً مِن المحبـة لـم يظمأ بَعْده " فكتـب إليْـه ﷺ : عجبْتُ مِن ضَعْف حالِك ! هَا هُنَا مَن يحتسي بِحَار الكون وهو فاغِرٌ فاه يتزيَّد .

ورأى أحمد بن خضرويه ربّ العزّة في المنام فقال :(يَا أَحْمَدُ .. كُلُّ النَّـاسِ يَطْلُبُونَ مِنِّـي إلاَّ أَبَـا يَزِيدٍ ؛ فَإِنَّهُ يَطْلُبُنِي) .

يَحكي ﷺ فيقول :" أوقَفَني الحقّ بيْن يديْه وقال :(بِأَيِّ شَيْءٍ جِئْتَنِي) قُلْتُ :" بـالزُّهْد فـي الدُّنْيـا " قال :(إِنَّمَا مِقْدَارُ الدُّنْيَا عِنْدِي جَنَاحُ بَعُوضَةٍ ؛ فَمِيمَ زَهِدْت !) ، قُلْتُ :" إلهي .. أسْتَغْفِرك مِن ذلـك ، جِئْتُ بالتَّوَكُّل عليْك " قال :(أَلَمْ أَكُنْ ثِقَةً فِيمَا ضَمِنْتُ لَك !) ، قُلْتُ :" أسْتَغْفِرك ، جِئْتُك بالافتقار إليْك " فقال :(عِنْدَ ذَلِكَ قَبِلْنَاك) .

وحُكِي عنه ﷺ أنّه قال :" النّاس كلّهم يَهْرُبون مِن الحساب ويتجافون عنْه ، وأنا أسأل اللـه تعـالى أنْ يحاسبني ؛ لَعَلّه أنْ يقول لي فيما بيْن ذلك (يَا عَبْدِي) فأقول :" لَبَّيْك "، فقوله لي (عَبْدِي) أعْجَبَ إليّ مِن الدُّنْيا وما فيها ، ثُمّ بَعْد ذلك يَفْعَل بي ما شاء .. صفة الصفوة ١١١/٤

سُئِل ﷺ :" بماذا يُستَعان على العبادة ؟ " فقال : بالله إنْ كُنْتَ تَعْرِفه .

من أقواله ﷺ :

- دَعَوْتُ نَفْسي إلى الله فأَبَتْ عليّ واستَعْصَتْ ، فتَرَكْتُها ومضيْتُ إلى الله عَزّ وجَلّ .
- نوديتُ في سِرّي فقيل لي :(خَزَائِنُنَا مَمْلُوءَةٌ مِنَ الْخِدْمَةِ ، فَإِنْ أَرَدْتَنَا فَعَلَيْكَ بِالذِّلَّةِ وَالافْتِقَار) .
- خَلّع الله على العَبيد النِّعَم لِيَرْجِعوا بها إليْه ، فاشْتَغَلوا بها عنْه .

- اسم الله الأعظم ليس له حدّ محدود ، إنّما هو فراغ قَلْبك لِوحدانيّته ، فإذا كنْتَ كذلك فارفع إلى أيّ اسم شئْتَ ؛ فإنّك تَصير به إلى المشرق والمغرب ثُمّ تجيء وتَصِف .

- أَحْبِبْ أولياء الله تعالى ليحبّوك ؛ فإنّ الله تعالى ينظر إلى قلوب أوليائه ، فلَعلّه أنْ ينظر إلى اسمك في قَلْب وليّه فيغفر لك .

- اختلاف العلماء رحمة إلا في تجْريد التّوْحيد .

- العارف فوْق ما يقول ، والعالِم دون ما يقول .

- إنّ لِله تعالى عباداً لوْ حَجَبَهم في الجَنّة عنْ رؤيته ساعةً لاستغاثوا من الجَنّة ونعيمها كما يستغيث أهْل النار من النار وعذابها .

- صفة العارف صفة أهْل النّار ؛ لا يموت فيها ولا يَحْيا .

- إذا وقفْتَ بيْن يَدَي الله فاجعل نَفْسك كأنّك مجوسيّ تريد أنْ تَقْطَع الزّنّار بيْن يديْه .

- إنّ في الطّاعات من الآفات ما لا يَحتاج إلى أنْ تَطْلُبوا المعاصي .

- إنّما نالوا المعرفة بتضييع ما لهم والوقوف مع ما له .

- النِّعْمة أزليّة يجب أنْ يكون لها شُكْر أزليّ .

- المحبّة استقلال الكثير من نَفْسك واستكثار القليل من حبيبك .

- إذا رأيْتَ مؤمِناً مُصدّقاً بكلام أهْل هذه الطريقة فاسألْه الدعاء ؛ فإنّه مُجاب الدعاء .

- أشَدّ المحجوبين عن الله ثلاثة بثلاثة : أوّلهم الزّاهد بزُهْده ، والثّاني العابد بعبادته ، والثّالث العالِم بعِلْمه ..

مسكينٌ الزّاهد ؛ لو علِم أنّ الله عَزّ وجَلّ سمّى الدُّنْيا كُلّها " قليلاً " ، فكمْ مَلَك من الدُّنْيا ؟! وفي كمْ زَهِد ممّا يملك ؟!

وأمّا العابدُ فلو رأى منّة الله عليْه في العبادة عَرَّفه عبادته في المنّة .

وأمّا العالِم فلو علِم أنّ جميع ما أبْدَى الله عَزّ وجَلّ من العِلْم سَطْر واحد من اللّوْح المحفوظ ، فكمْ علِم هذا العالِم من ذلك السطر ؟! وكمْ عَمِل ممّا علِم ؟!

- مَن سَمِع الكلام لِيَتَكَلّمَ مع النّاس رزَقه الله فهماً يُكلِّم به النّاس ، ومَن سَمِعه لِيعامِل اللهَ رزَقه الله فهماً يناجي به ربّه .

- الذي يمشي على الماء ليس بعَجَب ؛ لله خَلْق كثير يمشون على الماء ليس لهم عند الله قيمة .

- إنّ الله تعالى خَلَق الخَلْق ولم يَحْجُبْهُمْ عنْه ، وإنّما جاءهم الحِجَاب من تدبيرهم واختيارهم على المولى سبحانه ، وذلك هو الذي كدّر على الخَلْق معيشتهم .

- طوبى لِمَن كان همّه همّاً واحداً ولم يَشْغَل قَلْبه بما رأت عيناه وسَمِعَت أذناه .

- ليس العَجَب من حُبّي لك وأنا عبْد فقير ، بلْ إنّما العَجَب من حُبّك لي وأنت مَلِك قدير .

وتَنَخَّمَ في المَسجِدِ ، فانْصَرَفَ أبُو يزيدٍ ولَمْ يُسَلِّمْ عليْهِ ، وقالَ :" هذا رجُلٌ غيْرُ مأمونٍ على أدَبٍ مِنْ آدابِ الشَّريعةِ ؛ فكيْفَ يكونُ أميناً على أسرارِ الحَقّ ؟!! " (١) .

لكِنْ في أمالي ابنِ عبدِ السلامِ : أنَّ الولِيَّ إذا قالَ :" أنَا اللهُ " عُزِّرَ (٢) ولاَ يُنافِي الولايةَ ؛ لأنَّهُمْ غيْرُ معصومين ..

قالَ الكَمالُ الدَّمِيرِيُّ (٣) :" وهذا يُنافيهِ كلامُ القُشَيْرِيُّ " يعني السَّابقَ .

قُلْتُ : لا مُنافاةَ ؛ فإنَّ مُرادَ القُشَيْرِيِّ باشتِراطِ حِفْظِهِ أنْ لا يُصِرَّ على الذّنوبِ وإنْ حَصَلَتْ هَنَّاتٌ أو آفاتٌ أو زلاَّتٌ كما صَرَّحَ القُشَيْرِيُّ بذلكَ في بابِ إثباتِ الكراماتِ (٤) (٥) .

= – هذا فرحي بك وأنا أخافك ، فكيف فرحي بك إذا أمِنْتُك ؟!

تُوُفِّي ﷺ ببسطام سَنَةَ ٢٦١ هـ ..

ورؤي ﷺ بَعْد موتِه في النوم فقيل له :"ما فَعَل الله بك يا أبا يزيد ؟ " فقال : أوْقَفَني بيْن يديْه وقال لي :(بِمَ جِئْتَني يَا أبَا يَزِيد) فقُلْتُ :" يا ربّ .. جِئْتُك بما ليس في خزائنك منه شيء " فقال : (وَمَا هُوَ الَّذِي لَيْسَ فِي خَزَائِنِي مِنْهُ شَيْءٌ) قُلْتُ :" يا ربّ .. الفقر والإفلاس " فقال :(يَا أبَا يَزِيدِ .. جِئْتَنِي بِكُلِّ شَيْءٍ) .

(١) الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٠١ وانظر : عوارف المَعارف /٨٠ ولطائف المنن /١٢٥

(٢) التَّعْزِير هو : التَّأديب بالضَّرْب دُون الحَدّ على ذَنْب لا حَدّ فيه لِمَنْع الجاني مِن المُعاوَدة ورَدْعه عن المعصية .

(٣) هو كمال الدين أبو البقاء محمد بن موسى بن عيسى بن عَلِيّ الدَّمِيرِيّ الشافعيّ ﷺ ، وُلِد سَنَة ٧٤٢ هـ ونشأ بالقاهرة ، أخَذ عن ابن المُلَقّن وبهاء الدِّين السُّبكيّ والجَمَال الإسنويّ ، وأخَذ عنه تقيّ الدِّين البلقينيّ ونور الدين الرِّبعيّ وتاج الدِّين بن أبي بكر المقرئ .

قال ابن العماد : ويُذْكَر عنه كرامات كان يُخْفِيها ، وربّما أظْهَرها وأحالها على غيْره .

مِن مؤلَّفاته : شَرْح سُنَن ابن ماجة ، شَرْح المنهاج ، أرجوزة في الفقه ، حياة الحيوان .

تُوُفِّي ﷺ سَنَة ٨٠٨ هـ .

(٤) انظر الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٧٦

(٥) قُلْتُ : ليس مقصود العزّ بن عبد السّلام أنّ مَن قال " أنَا الله " قدْ وقَع في الذَّنْب أو هَفَا أو زَلّ ، وإنّما مقصوده أنّ الوليّ قدْ يَغْلِبه حال فيَتَكلّم بما لا يجوز الكلام به حال الصَّحْو ؛ على عكْس الأنبياء الذين عَصَمهم الله من غلبة الأحوال عليهم فلا يَنْطِقون إلا عن صَحْو وتَمكين .. =

= وقد أشار إلى هذا أشْهَر مَن قال " أنَا الله " (الحلاّج) بقوله : إنّ الأنبياء سُلِّطوا على الأحوال فملَكوها ، فَهُمْ يُصرِّفونها ، لا الأحوال تُصرِّفهم ، وغيْرهم سُلِّطَت عليهم الأحوال ، فالأحوال تُصرِّفهم لا هُمْ يُصرِّفون الأحوال .

ويؤكّد ما ذَهَبْنَا إليه : أنّ العزّ بن عبد السلام نَفْسه قال في شرْح حديث ﴿ وَلاَ يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعاً وَبَصَراً وَفُؤَادا ﴾ : ففَهِمْنَا مِن ذلك أنّ علاقة وصلة المحبّة لَمّا اتّصلَت بها لطافة وصلة المحبوبيّ واستمسك بعروة ﴿ حَتَّى أُحِبَّه ﴾ قَوِي سلطان المحبوبيّة على سلطان المحبّة فأفناه عنْ ذاته ونَفَاه عن صفاته ، ثُمّ أقام ببقائه عن فَنائه ، وخَيَّم بصفاته على فِنائه ، تَبَدّلَت الصّفات بالصّفات ، وقام الوجود بالوجود ، فجاءت خِلَع الجود على يد ﴿ فَبِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِر ﴾ فمَحَتْ هنالك الآنيّة وذهبَت الاثْنَيْنِيّة ، واستحال تقدير البَيْن في البَيْن ، وتَعَذّر أنْ يصير الواحد اثْنَيْن ؛ وذلك لاستحالة رؤية المُحِبّ مع المحبوب ، وإلى هذا المعنى أشار مَن غَلَب عليه سُكْره فقال في شطحاته " أنا الله " ؛ وذلك لأنّه مُتَكلِّم لا بلسانه ، ناظِر لا بعيْنه ، سامِع لا بأُذنه بلْ هو مُتَكلِّم بلسان الحقّ ، سامِع بسمْعه ، ناظِر ببصره .. حلّ الرّموز ومفاتيح الكنوز /٢٥

أقول : وأمّا وقوع الذّنب أو الزّلّة مِن الوليّ فإنّه لا خلاف في إمكانيّة حدوثه ، وإنْ كُنّا نَرَى بأنّ هناك صِنْفاً مِن الأولياء الذين تَوَلّوْا إرشاد الخَلْق وهدايتهم ودعْوتهم إلى سبيل الله تعالى ـ وهُمْ مَن يُسَمّوْن بـ" المشايخ " ـ نَرَى أنّ هؤلاء لهم نوْع حِفْظ خاصّ مِن الوقوع في تلك الزّلاّت والهَنَات سيّما فيما يَتَعلّق بالذّنوب التي يُمكِن أنْ يَكون لِلنّاس عليها اطّلاع ؛ إذ أنّ لِهؤلاء المشايخ أتباعاً ومريدين ومُحِبّين ، فإذا حَدَث منْهم ذَنْب : فإمّا أنْ تسوء عقيدة أتباعهم ومريديهم ومُحِبّيهم فيهم فلا يستطع هؤلاء المشايخ أداء دَوْرهم الذي أنيط بهم مِن إرشاد الخَلْق وهدايتهم ، وإمّا أنْ يَعْتَقِد أتباعهم ومريدوهم ومُحِبّوهم بأنّ الذي ارتَكَبه هؤلاء المشايخ مِن ذَنْب أو هفْوة أو زَلّة لا يَتنافى أو يَتناقض مع التّشَرّع ـ إذ لو كان كذلك ما فعلوه ـ فيؤدّي ذلك إلى وقوع كثير مِن النّاس في التزيّغ والضّلال ..

لِذا .. فإنّا نَرَى بأنّ الحِفْظ الممنوح لِلمشايخ هو حِفْظ عن الوقوع في الذّنوب والهفوات الظّاهرة والباطنة ـ وهو ما نميل إليه ـ أو فيما يَتَعلّق بالذّنوب والهفوات التي لِلنّاس عليْها اطّلاع كما مَرّ .

فإنْ قيل : فإنّ ذلك أشْبَه ما يكون بالعصمة ، وهي لا تكون إلا لِلأنبياء ؟

قُلْتُ : نَعَمْ ذلك الحِفْظ يُشْبِه العصمة مِن وجوه ، ولكنّه ـ أيضاً ـ يَخْتَلِف عنه مِن وجوه :

أحدها : الفَرْق الاصطلاحيّ ، فكمَا أنّ الفَرْق الأساس بيْن المعجزة والكرامة أنّ المعجزة خاصّة بالأنبياء والكرامة خاصّة بالأولياء ـ وإنْ كان كِلاَهُما يَتّفِقان في أنّهما أمْر خارِق لِلعادة ـ فكذلك العِصْمة خاصّة بالأنبياء والحِفْظ خاصّ بالأولياء والمشايخ .

ثانيها : أنّه مِن المُتّفَق عليْه بيْن العلماء أنّ العصمة تُعْطَى لِلأنبياء منذ ولادتهم ، وهذا على عَكْس =

ثُمَّ قالَ :" ولَقَدْ قِيلَ لِلْجُنَيْدِ (١) :" إنَّ العارِفَ يَزْنِي يا أبَا القاسِمِ ؟ " فأطْرَقَ

= الحِفْظ الممنوح لِلمشايخ الذين ربّمَا لا يُعْطَوْنه إلا عند تَصَدِّيهم لإرشاد الخَلْق وهدايتهم .

ثالثها : أنّ الأنبياء آمنون من المكْر والاستدراج ، على عكْس المشايخ ؛ فإنّهم على الرَّغْم ـ من عُلُو مكانتهم وسُمُوّ منزلتهم ـ إلا أنّهم لا يُعْطَوْن ذلك الأمن إلا فيما نَدُر ، لِذا فإنّهم ـ على الرَّغْم من ذلك الحِفْظ ـ يراقبون الله في الأنفاس والخطرات والحركات والسكنات .

رابعها : أنّه وإنْ كان هناك أوْجُه كثيرة من الشَّبَه بيْن الأنبياء والأولياء ـ إذ أنّ كِلَيْهما صفوة الخَلْق وأهْل الله وأحبابه ـ إلا أن هناك أوْجُهاً كثيرةً من لاختلاف ، أهمّها : أنّ الأنبياء قد اختُصّوا بالوحي إليْهم ، وأنّ المُكَذِّب بهم من أهْل النّار لا مَحالة ، وأنّ أدناهم رتبةً أفْضَل من أعْلَى الأولياء رتبةً ، إلى غيْر ذلك من أوْجُه الاخْتلاف التي تَحفَظ لِلأنبياء رُتْبَتهم وفضْلهم وتَمَيُّزهم عن الأولياء .

(١) هو سَيِّد الطائفة أبو القاسم الجُنَيْد بن محمد بن الجُنَيْد الزّجّاج ﷺ ، وُلِد في نهاوند ونشأ بالعراق ، أخَذ عن السَّرِيّ السَّقطيّ والحارث المحاسبيّ وأبي جعفر الحدّاد ، وأخَذ عنه أبو بكْر الشّبليّ وبنان الحمّال وإبراهيم بن فاتك .

قال الشّيْخ محمد عثمان عبده البرهانيّ ﷺ أنّ الإمام الجنيد ﷺ يُسَمَّى " مُلْتَقَى البَحْرَيْنِ " ؛ لأنّه اجْتَمَع عنده الخَلْوَتِيّة التي أصلها سَيِّدنا أبو بكْر الصِّدّيق ﷺ والنَّقْشَبَنْدِيّة التي أصلها سَيِّدنا عَلِيّ ﷺ .

اجْتاز أبو العباس بن سريج الفقيه بمجلس الجنيد ، فسَمِع كلامه فقيل له :" ما تقول في هذا الكلام ؟ " فقال : لا أدري ما يقول ، ولكنّي أرى لِهذا الكلام صولةً ليست بصولة مُبْطِل ..

الرِّسالة القُشَيْرِيّة /٣١٤ وروْض الرّياحين /٢٤ وطبقات الشّعرانيّ /٩

قال خيْر النَّسّاج : كُنْتُ يوماً جالساً في بيتي فخطر لي خاطر أنّ " أبا القاسم جنيداً بالباب .. اخْرُج إليه " ، فنَفَيْتُ ذلك عن قلبي وقُلْتُ :" وسوسة " ، فوقَع لي خاطِر ثانٍ يقتضي منّي الخروج " إنّ جنيداً على الباب فاخرج إليه " فنَفَيْتُ ذلك عنْ سِرّي ، فوقَع لي خاطِر ثالث فعَلِمْتُ أنّه حقّ وليس وسوسةً ، ففَتَحْتُ الباب فإذا أنا بالجنيد قائم ، فسلّم عَلَيّ وقال : يا خيْر .. ألاَ خَرَجْتَ مع الخاطر الأول ؟!

قيل له :" ما بال الإنسان يكون هادئاً فيضطرب عند السماع ؟ " فقال ﷺ : إنّ الله تعالى لَمّا خاطَب الذَّرّ بـ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ استَغْرَقَت عذوبةُ الكلام الأرواحَ ، فإذا سمعوا السّماع حرّكهم ذِكْر ذلك .

وقيل له :" أين نَطْلب الرِّزْق ؟ " فقال ﷺ :" إنْ عَلِمْتم في أيّ موضع هو فاطلبوه " ، قالوا : " فنَسْأل الله تعالى ذلك ؟ " فقال :" إنْ عَلِمْتُم أنّه ينساكم فذَكِّروه " ، قالوا :" نَدْخُل البيت فنَتَوَكّل ؟ " فقال :" التَّجْربة شكّ " ، قالوا :" فما الحيلة ؟ " فقال : تَرْك الحيلة .

وسُئِل عمّن لم يَبْقَ عليْه من الدُّنيا إلا مقدار مَصّ نواة فقال ﷺ : المكاتب عبْد ما بقي عليْه درهم .

وقيل له :" من أهْل المعرفة أقوام يقولون أنّ تَرْك الحركات من باب البِرّ والتَّقْوَى ؟ " فقال ﷺ : هذا قول قوم تَكَلّموا بإسقاط الأعمال ، وهو عندي عظيم ، والذي يسرق ويزني أحْسَن حالاً من الذي =

- يقول هذا ؛ فإنّ العارفين بالله أخذوا الأعمال من الله تعالى ، وإلى الله تعالى رجعوا فيها ، ولو بقيتُ ألف عام لمْ أنقص من أعمال البرّ ذرّة .

من مؤلّفاته : أمثال القرآن ، معالي الهمم ، المقصد إلى الله تعالى .

من أقواله ﷺ :

- مَن فتَح على نفْسه باب نيّة حسنة فتَح الله عليْه سبعين باباً من التّوفيق ، ومَن فتَح على نفْسه باب نيّة سيّئة فتح الله عليْه سبعين باباً من الخذلان من حيث لا يَشْعُر .
- مَن طلب عزّاً بباطل أورثه الله ذُلاً بحقّ .
- تفرّد الحقّ بعِلْم الغيوب ، فعلِم ما كان وما يكون أنْ لو كان كيف كان يكون .
- لو علِمْتُ أنّ على وجْه الأرض ما يُقرّب إلى الله أكثَر من عِلْمنَا هذا لَطلَبْتُه ولو حَبْوا .
- التّصديق بعِلْمنا هذا ولاية ، وإذا فاتتك المنّة في نفْسك فلا يَفُتْك أنْ تُصدّق بها في غيْرك ؛ ﴿ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾ .
- الزّهْد خُلُوّ القلب عمّا خلَت منْه اليد .
- يُستَعان على غضّ البصر بعِلْمِك أنّ نَظَر الله إليْك أسْبَق من نظرِك إلى المنظور إليْه .
- يقول الله عزّ وجلّ لرسوله ﷺ :(وَعِزّتِي وَجَلاَلِي لَوْ أَتَوْنِي مِنْ كُلّ طَرِيقٍ أَوِ اسْتَفْتَحُوا مِنْ كُلّ بَابٍ لَمَا فَتَحْتُ لَهُمْ حَتّى يَدْخُلُوا خَلْفَك) .
- إنْ أرَدْتَ أخاً يكفيك مؤنتك ويَتَحمّل أذاك فهذا لَعَمْري قليل ، وإنْ أرَدْتَ أخاً في الله تَحْمِل أنت مؤنتَه وتَصْبِر على أذاه فعندي جماعة أعْرِفهم لك .
- مؤاكَلة الإخوان رضاع ، فانظروا مَن تؤاكِلونه .
- لا يكون العارف عارفاً حتّى يكون كالأرض ؛ يطؤه البَرّ والفاجر .
- التّوْحيد الخالص أنْ يرْجع آخِر العبد إلى أوّله فيَكون كما كان قَبْل أنْ يكون .
- لو أقْبل صادق على الله ألْف ألْف سَنَة ثُمّ أعْرَض عنْه لحظةً كان ما فاتَه أكْثَر ممّا ناله .
- إذا رأيْتَ الفقير فلا تبدأه بالعِلْم ، وابدأه بالرّفْق ؛ فإنّ العِلْم يوحِشه والرّفْق يؤنِسه .
- المحبّة دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المُحِبّ .
- الإخلاص سرّ بيْن العبد وربّه ، لا يَعْلَمُه مَلَك فيكْتُبه ولا شيطان فيُفْسِده ولا هوىً فيُميله .
- التّصَوُّف : ذِكْر مع اجتماع ، ووجْد مع استماع ، وعمل مع اتّباع .
- التّصَوُّف : تصفية القلب عن مُوافقة البريّة ، ومُفارقة الأخلاق الطّبيعيّة ، وإخماد الصّفات البشريّة ومُجانَبة الدّعاوى النّفْسيّة ، ومُنازلة الصّفات الرُّوحانيّة ، والتّعلّق بالعلوم الحقيقيّة ، واستِعْمال ما هو أوْلَى على الأبديّة ، والنُّصْح لِجَميع الأُمّة ، والوفاء لله على الحقيقة ، واتّباع الرّسول ﷺ في الشّريعة .
- مَذْهبنا هذا مُقَيّد بأصول الكتاب والسُّنّة .

مليّاً ثُمَّ رَفَعَ رأسَهُ وقال :" ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورا ﴾ (١) " (٢) .

وقدْ كُنْتُ قديماً أَحْمِلُ كلامَ القُشَيْرِيِّ على حِفْظِ الوَلِيِّ في حالِ صَحْوِهِ لا في حالِ غَيْبَتِهِ ، ولهذا تُغْفَرُ الشَّطَحاتُ الصَّادِرةُ مِنَ الأولياءِ في غَيْبَتِهِمْ .

ومِنْ هُنَا يَظْهَرُ لَكَ أَنَّهُ لا التِفاتَ لِمَنْ رَمَى قَوْماً مِنْ أصحابِ الجُنَيْدِ في جُمْلَةِ الصُّوفِيَّةِ بالزَّنْدَقَةِ عِنْدَ الخليفةِ جَعْفَرَ المُقْتَدِرِ (٣) حتّى أَمَرَ بضَرْبِ أعناقِهِمْ ،

= – صفاء القلوب على حسب صفاء الذِّكْر وخلوصه مِن الشوائب .

– ما أَخَذْنا التَصَوُّف عن القيل والقال ، لكنْ عن الجوع وتَرْك الدُّنيا وقَطْع المألوفات والمُستَحْسَنات .

– بُنِي الطريق على أَرْبَع : لا تَتَكَلَّم إلا عن وجود ، ولا تأكل إلا عن فاقة ، ولا تَنَمْ إلا عن غَلَبَة ، ولا تَسكُت إلا عن خشية .

– مَعاشرَ الفقراء .. إنّما عُرِفْتم بالله وتُكْرَمون له ، فإذا خلوتم به فانظروا كيف تَكونون معه .

– لِكُلّ أُمّة صَفْوة ، وصَفْوة هذه الأُمّة الصُّوفِيّة .

– ما رأيْتُ أحداً عَظَّم الدُّنيا فَقَرّت عينُه فيها أبداً ، إنّما تَقَرّ فيها عينُ مَن حَقَّرها وأعْرَض عنها .

– علامة إعراض الله عن العبد أنْ يَشْغَله بما لا يَعْنِيه .

– لقد مشى رجال باليقين على الماء ، ومات بالعطش أفضل منْهم يقينا .

– لو بَدَت عينٌ مِن الكَرَم لأَلْحقَت المسيئين بالمُحْسِنين وبقيَت أعمال العامِلين فضلاً لهم .

– المروءة احتمال زَلّل الإخوان .

– القناعة ألاّ تتجاوز إرادتُك ما هو لك في وقْتك .

– التَّواضع عند أهْل التَّوْحيد تَكَبُّر .

– لا تيأس مِن نَفْسك وأنت تُشْفِق مِن ذَنْبك وتندم عليْه بَعْد فِعْلك .

ومِن نَظْمه ﷺ :

نون الهوان مِن الهوى مسروقةٌ وصريع كُلّ هوىً صريع هوانِ

تُوُفِّي ﷺ ببغداد سَنَة ٢٩٧ هـ .

(١) سورة الأحزاب مِن الآية ٣٨

(٢) الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٧٧ وانظر : حلّ الرّموز ومفاتيح الكنوز /١٠٢ ولطائف المنن /٨٧ وطبقات الشّافعيّة الكبرى ٣١٨/١ والكواكب الدُّرِّيّة ١٢/١

(٣) هو الخليفة العبّاسيّ المُقْتَدِر بالله أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن المتوكّل على اللهِ العبّاسيّ الهاشميّ ، وُلِد سَنَة ٢٨٢ هـ ، بُويِع بالخلافة سَنَة ٢٩٥ هـ وهو في الثالثة عشرة مِن عُمُره .. **وخُلِعَ في خلافته مرّتَيْن :**

الأولى : بَعْد جلوسه بأربعة أشهر وأيّام بابن المعتزّ ، وبطل الأمر مِن يوْمه .

فأمْسِكُوا إلاَّ الجُنَيْدُ ؛ فإنَّهُ تَسَتَّرَ بالفِقْهِ وكانَ يُفْتِي على مَذْهَبِ شيْخِهِ أبـي ثَـوْرٍ (١) وبُسِطَ لهُمُ النَّطْـعُ (٢) ، فتَقَدَّمَ مِن آخِرِهِمْ أبـو الحُسَيْنِ النُّـوريُّ (٣) ، فقـالَ لـهُ

= والثانية : بَعْد إحدى وعشرين سَنَةً وشَهْرَيْن ويَوْمَيْن من خلافته ، وخَلَع نَفْسَه وأشهَدَ عليْه ، وأجْلَسَ القاهرَ يَوْمَيْن وبعض اليوم الثّالث ، ووقَع الخُلْف بيْن العَسكَرَيْن ، وعاد المُقْتَدِر إلى حاله .

قُتِل بالشّماسيّة سَنَة ٣٢٠ هـ .

(١) هو أبو ثور إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبيّ البغداديّ ﷺ ، وُلِد سَنَة ١٧٠ هـ ، أخَذ عن سفيان بن عيينة وابن مهديّ ووكيع بن الجرّاح ، وأخَذ عنه أبو داود ومُسْلِم والبغويّ .

وقد أخَذ عن الإمام الشّـافعيّ وروى عنْـه ، وخالَفـه فـي أشياء ، وأحْدَثَ لِنَفْسه مذهباً اشْتَقّه مِن مذهب الإمام الشّافعيّ ، وأكثر أهل أذربيجان وأرمينية يتفقّهون على مذْهبه .

يروي الخطيب البغداديّ أنّ امـرأةً وَقَفَت علـى مجلس فيـه يحيـى بـن معين وأبـو خيثمـة وخلـف ابـن سـالم فـي جماعـة يتذاكـرون الحديـث ، فسمعَتْهم يقولـون " قـال رسـول اللـه ﷺ ، ورواه فـلان ، وما حدّث به غيْر فلان " فسألَتْهم عن الحائض تُغَسِّل الموتى ـ وكـانت غاسلةً ـ فلـم يُجِبْهـا أحد منهم وكانوا جماعةً ، وجَعَل بعضهم ينظر إلى بعض ، فأقْبَل أبو ثور فقالوا لها :" عليكِ بالمُقْبِل " ، فـالتفتت إليه وقدْ دَنَا منها فسألَته فقال :" نَعَمْ تُغَسِّل الميِّت ؛ لِحديث القاسم عن عائشـة أنّ النَّبـيّ ﷺ قـال لهـا ﴿ أَمَا إِنَّ حَيْضَتَكِ لَيْسَتْ فِي يَدِكِ ﴾ ، ولِقولها :" كُنْتُ أفْرِقُ رَأْسَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَاءِ وَأَنَا حَـائِض " ، فـإذا فَرَقَت رأس الحيّ فالميِّت أوْلَى به " ، فقالوا :" نعمْ رواه فلان وحدّثناه فلان وتعرفونـه بـه مِن طريـق كذا " وخاضوا في الطُّرُق والروايات ، فقالت المرأة : وأين كنتم الى الآن ؟!

مِن مؤلَّفاته : مبسوط على ترتيب كُتُب الإمام الشّافعيّ .

تُوُفِّي ﷺ ببغداد سَنَة ٢٤٠ هـ .

(٢) النَّطْع : بساط مِن الجِلْد يوضَع عليه رأس الرَّجُل لِتُقْطَع عُنُقه بالسَّيْف .

(٣) هو أبو الحسين أحمد بن محمد النّوريّ ﷺ ، يُعْرَف بـ" ابن البغويّ " نسبةً إلى أصوله التي كـانت قاطنةً في بلدة تُسَمَّى " بغشور " ، وُلِد ببغـداد ، أخَذ عن السّريّ السّقطيّ وابـن أبـي الحـواريّ وابـن القصّاب ، وأخَذ عنه عبد الله بن محمد الرّازيّ ومحمد بن عيسى الدّهقان وأبو أحمد المغازليّ .

قال الخطيب البغداديّ : هو أعلَم العراقيّين بِلطائف القوم .

وقالَ التّفليسيّ : كان النّوريّ إذا دخل مسجد الشونيزيه انْقَطَع ضـوء السِّرَاج مِن ضيـاء وجْهـه ، فلِذلك سُمِّي " النّوريّ " ، وكان إذا حضر معنا لا تؤذينا البراغيث .

دخل ﷺ يوماً الماء فجاء لِصّ فأخَذ ثيابه فبقي فـي وسط المـاء ، فلـم يلبـث إلا قليـلاً حتّـى رجـع إليه اللِّصّ معه ثيابه فوضعها بيْن يديْه وقدْ جَفَّـت يمينـه ، فقـال النّـوريّ :" رَبِّ .. قـدْ رَدَّ عَلَـيَّ ثيـابي فرُدَّ عليه يمينه " فرَدَّ الله عليه يده ومضى .

- وقال عَلِيّ بن عبد الرحيم : دخلْتُ على النّوريّ ذاتَ يوم فرأيْتُ رِجْلَيْه مُنْتَفِخَتَيْن ، فسألْتُه عنْ أمْره فقال : طالبَتْني نَفْسي بأكل التمر ، فجعلْتُ أدافعها فتَأبَى عليّ ، فخرجْتُ فاشتَرَيْتُ ، فلمّا أنْ أكَلْتُ قُلْتُ لها :" قُومي حتّى تُصَلّي " فأبَتْ ، فقُلْتُ :" لِله عليّ وعليّ إنْ قَعَدْتِ على الأرض أربعين يوماً " ، فما قَعَدَت .

وروى ابن عساكر أنّه ﷺ اجتاز بزورق فيه خَمْر مع مَلاّح فقال :" ما هذا ؟! ولِمَن هذا ؟! " فقال له :" هذه خَمْر لِلمُعْتَضِد " ، فصعد أبو الحسين إليها فجَعَل يَضْرِب الدِّنان بعمود في يده حتّى كَسَرها كُلّها إلا دنّاً واحداً تَرَكَه ، واسْتغاث المَلاّح فجاءت الشّرطة فأخَذوا أبا الحسين فأوقَفوه بيْن يَدَي المُعْتَضِد فقال له :" ما أنت ؟! " فقال :" أنا المُحْتَسِب " فقال :" ومَن ولاّك الحِسْبَة ؟! " فقال :" الذي ولاّك الخلافة يا أمير المؤمنين " فأطْرَق رأسه ثُمّ رَفَعها فقال :" ما الذي حَمَلك على ما فَعَلْتَ ؟ " فقال :" شفقة عليك ؛ لِدَفْع الضّرر عنك " ، فأطْرَق رأسه ثُمّ رَفَعها فقال :" ولأيّ شيء تَرَكْتَ منْها دنّاً واحداً لم تَكْسِرْه ؟ " فقال :" لأنّي إنّما أقْدَمْتُ عليها فكسرتُها إجلالاً لله تعالى فلم أُبَالِ أحداً ، حتّى انْتَهَيْتُ إلى هذا الدّنّ دَخَل نَفْسي إعجاب مِن قِبيل أنّي قدْ أقْدَمْتُ على مِثْلك ، فتَرَكْتُه " ، فقال له المُعْتَضِد :" اذْهَبْ فقدْ أطْلَقْتُ يدك ؛ فغيِّرْ ما أحْبَبْتَ أنْ تُغَيِّره مِن المُنْكَر " فقال له النُّوريّ :" الآن انْتَقَض عَزْمي عن التّغْيير " فقال :" ولِمَ ؟! " فقال :" لأنّي كُنْتُ أُغَيِّر عن الله ، وأنا الآن أُغَيِّر عن شرطيّ " ، فقال :" سَلْ حاجتك " فقال :" أُحِبّ أنْ تُخْرِجني مِن بيْن يديْك سالماً " فأمَر فأُخْرِج ، فصار إلى البصرة فأقام بها مختفياً خشية أنْ يَشُقّ عليه أحد في حاجة عند المُعْتَضِد ..

البداية والنّهاية ٨٩/١١ وسيَر أعلام النُّبَلاء ٧٦/١٤

سُئِل ﷺ عن الحبيب والخليل فقال : ليس مَن طُولِب بالتّسليم كمَن بادَر بالتّسليم .

مِن أقواله ﷺ :

- ليس التّصَوُّف رسوماً ولا علوماً ، وإنّما هو أخلاق .
- التّصَوُّف تَرْك كُلّ حظّ لِلنّفْس .
- مَن رأيْتَه يَرْضَى عنْ نَفْسه ويَسكُن إلى وقْته فاعلم أنّه مخدوع ، فاحْذَرْه أشَدّ الحذر .
- مَن رأيْتَه مُسْتَغْنياً بعِلْمه فلا تأمن جَهْله .
- نَعْت الفقير : السّكون عند العدم ، والبذل والإيثار عند الوجدان .
- شاهَد الحقُّ القلوبَ فلم يَرَ قلباً أشْوَق إليْه مِن قَلْب محمد ﷺ فأكْرَمه بالمعراج تعجيلاً لِلرؤية والمكالَمة .
- أعَزّ الأشياء في زماننا هذا شَيْئان : عالِم يَعْمَل بعِلْمه ، وعارف يَنْطِق عن حقيقة .
- مَن رأيْتَه يَدّعي مع الله حالةً تُخْرِجه عَن حَدّ العِلْم الشّرْعيّ فلا تَقْرَبَنّ منْه .
- مَن رأيْتَه مُدّعياً حالةً باطنةً لا يَدُلّ عليْها ولا يَشْهَد عليْها حِفْظُ ظاهره فاتّهِمْه على دينه .

السَّيَّافُ :" لِمَ تَقَدَّمْتَ ؟! " فقالَ :" أُوثِرُ أصحابِي بحَيَاةٍ ساعةٍ " ، فبُهِتَ وأَنْهَى الخَبَرَ إلى الخليفةِ ، فردَّهُمْ إلى القاضي إسماعيلَ بنِ إسحاقَ المالِكيِّ (١) ، فسألَ النُّوريَّ عَن مسائلَ فِقهيَّةٍ ، فأجابَهُ عَنْها ثُمَّ قالَ :" وبَعْدُ .. فإنَّ للهِ عِباداً إذَا قامُوا قامُوا باللهِ ، وإذَا نَطَقُوا نَطَقُوا باللهِ ... " إلى آخِرِ كلامِهِ ، فبكى القاضي وأَرْسَلَ يقولُ لِلخليفةِ :" إنْ كانَ هؤلاءِ زنادِقةً فمَا على وَجْهِ الأرْضِ مُسْلِمٌ " ، فخَلَّى سبيلَهُمْ (٢) .

وقدْ سُئِلَ القاضي أبو العبّاس بنُ سُرَيْجٍ (٣) عنِ الحُسَيْنِ بن منصور

= المحبّة هَتْك الأستار وكَشْف الأسْرار .

تُوُفِّيَ ﷺ سنَة ٢٩٥ هـ ..

قال الإمام الجنيد ﷺ : ذهب نِصف العِلْم بموته .

(١) هو أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حمّاد الأزديّ المالكيّ ﷺ ، قاضي القضاة ببغداد ، وُلِد سنَة ١٩٩ هـ في بيْت مشهور بالعِلْم والفضل والجلالة والسُّؤدد ، تَرَدَّد العِلْم في بيْتهم مدّةً تزيد على ثلاثمائة سَنَةً ، أخَذ عن ابن المدينيّ وابن المعدل وابن أبي يونس ، وأخَذ عنه أبو القاسم البغويّ والنّسائيّ وعبد الله بن أحمد بن حنبل .

مَرّ ﷺ بالمبرّد فوثب إليه وقبّل يدَه وأنْشَده :

فلَمّا بَصُرْتَا به مُقْبِلاً ... حَلَلْنَا الحبَى وابْتَدَرْتَا القِيَامَا

فلا تُنْكِرَنّ قيامي لهُ ... فإنّ الكريم يُجِلّ الكِرَامَا

تاريخ بغداد ٦/٢٨٩

مِن مؤلّفاته : أحكام القرآن ، أهوال القيامة ، المبسوط ، شواهد مالك ، الأصول ، الشّفاعة .

تُوُفِّي ﷺ ببغداد سنَة ٢٨٢ هـ .

(٢) انظر الرِّسالة القشيريّة /١٩٣ وحلية الأولياء ١٠/٢٥٠ وتاريخ بغداد ٥/١٣٤ وسِيَر أعلام النُّبَلاء ١٤/٧١ وروض الرّياحين /٢٥ وطبقات الأولياء /٧٤

(٣) هو شيْخ الإسلام القاضي أبو العباس أحمد بن عُمَر بن سريج البغداديّ الشّافعيّ ﷺ ، كان يقال له " الباز الأشهب " ، وقيل بأنّه مُجَدِّد القَرْن الثّالث ، أخَذ عن الجنيد وأبي القاسم الأنماطيّ والحَسَن بن محمد الزّعفرانيّ ، وأخَذ عنه أبو القاسم الطّبرانيّ وأبو إسحاق المروزيّ وأبو بكْر الصّيرفيّ .

قال ابن خفيف : سألْنا يوماً أبو العباس بن سريج بشيراز ونحن نَحْضُر مَجْلِسه لِلفقه فقال :" أمحبّة الله فرْض أو لا ؟ " فقُلْنَا :" فرْض " قال :" ما الدّليل ؟ " فما فينا مَن أجاب بشيء ، فسألناه فقال : قوله تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ -

الحلاّج (١) لَمّا قالَ :" أنَا الحَقُّ " فتوَقَّفَ فيهِ وقالَ :" هذا رَجُلٌ خَفِيَ عَلَـيَّ حالُـهُ ، وما أقولُ فيهِ شيئا " (٢) .

وأفتَى بكُفْرِهِ بذلكَ وبغَيْرِهِ القاضي أبو عُمَرَ (٣) والجُنَيْدُ وعُلَماءُ عَصْرِهِ (٤) ،

- تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَٰسِقِينَ ﴾ فتوَعّدهم الله على تَفْضيل محبّتهم لِغيْره على محبّته ومحبّة رسوله ، والوعيد لا يقع إلا على فرْض لازم .

قال أبو الحسين ابنُ المُنادي : حَضَرْتُ مجلس أبي العباس بن سريج فتكلّم في الفروع والأصول بكلام حَسَن أعْجبَنِي منه ، فلَمّا رأى إعجابي قال :" أتدري من أين هذا ؟ هذا من بَرَكة مُجالَستي أبـي القاسم الجنيد .. الرّسالة القُشَيْرِيّة /٣٢ وتاريخ بغداد ٢٤٣/٧ وروْض الرّياحين /٢٥ وطبقات الأولياء /١١٣

من مؤلّفاته : التّقْريب بيْن المزنيّ والشّافعيّ ، جواب القاشانيّ ، مُخْتَصَر في الفقه .

تُوُفّي ﷺ ببغداد سنَة ٣٠٦ هـ .

(١) هو أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاّج ﷺ ، ولِد سنَة ٢٤٤ هـ بالبيضاء - إحدى مدن فارس - ونشأ بواسط العراق ، أخَذ عن الإمام الجنيد وأبي الحسين النّوريّ وعمـرو بـن عثمـان المكّـيّ ، وأخَذ عنه نَصْر القشوريّ وأبو العباس بن عطاء ومحمد بن عفيف .

قال محمد بن سعْد : خدمتُ أبا المغيث عشرين سنَةً فما رأيْتُه أسِف على شيء فاته أو طلَـب شيئاً فقَده .

من مؤلّفاته : الأحرف المُحْدَثة والأزليّة ، الظّلّ الممدود ، الأبد والمأبود ، قران القرآن والفرقـان الأصول والفروع ، عِلْم البقاء والفناء ، مَدْحُ النّبيّ والمثَل الأعلى .

أمّا أقواله ﷺ : فسوف نُوردها بَعْد قليل عند الحديث في تبرئته ممّا ذَكَره المُبْطِلون .

قُتِل ﷺ بباب الطّاق ببغداد سنَة ٣٠٩ هـ .

(٢) انظر وفيات الأعيان ١٤٤/٢

(٣) هو القاضي أبو عُمَر محمد بن يوسف بن يعقوب بـن إسماعيل الأزديّ البغداديّ المـالكيّ ، ولِد بالبصرة سنَة ٢٤٣ هـ ، أخَذ عن ابن داود الظّاهريّ ومحمد بن الوليد البسريّ والحسن بن أبي الرّبيع وأخَذ عنه أبو بكْر الأبهريّ والدّارقطنيّ وأبو بكْر بن المقرئ .

تُوُفّي رحمه الله سنَة ٣٢٠ هـ .

(٤) قُلْتُ : لا نُسلّم بأنّ الإمام الجنيد وعلماء عَصْره أفْتَوْا بكُفْر الحلاّج ..

أمّا موقف علماء عصْره : فنُرْجِئ الكلام عنه لِحين الكلام عن تَبْرِئة الحلاّج ممّا أُلْصِق به .

وأمّا الإمام الجنيد : فإنّ إفتاءه بكفْر الحلاّج لم يَرِدْ في أيّ كتاب من الكُتُب التـي تَعَرّضَـت لِقصّـة الحلاّج أو لِموقف الجنيد منه ، وإنّما كُلّ الذي وَرَد إنّما هو عبارة عن خلاف في المَنْهَج بيْن الإمـام -

= الجنيد ﷺ الذي كان يُمثِّل الإمام الذي يَملِك حاله ـ كما سيأتي في ثنايا هذا الكتاب ـ كما يُمثِّل التَّصوُّف الذي يَتَقَيَّد بأحكام الشَّريعة ظاهراً وباطناً ، وبيْن الحلاّج ﷺ ذلك الرَّجُل الذي غَلَبه حاله فباح بما لا يجوز البوح به كما سيأتي بَعْد قليل ، وقدْ كان هذا هو السَّبب الجوهريّ في الخلاف الذي كان بيْنهما الذي جَعَل الإمام الجنيد ﷺ يَتَنَبَّأ بأنّ الحلاّج ﷺ سيُصلَب ..

ولَعَلّه مِمّا يؤكِّد ما ذَهَبْنَا إليه : أنّ الإمام الشِّبْليّ ﷺ ـ وهو أخلَص وأعظَم وأنْجَب تلامذة الإمام الجنيد ـ كان على علاقة قويّة بالحلاّج حتّى رمقه الأخير ، ولو أنّ الإمام الجنيد كان يَقول بكفْر الحلاّج ﷺ لَمَنع تلامذته سيّما أنْجَبهم مِن إتيان الحلاّج فضلاً عن التَّحَدُّث معه والتَّعلُّم منه ..

فهذا الشِّبْليّ يَسْأل الحلاّج :" يا شيْخ .. كيف الطَّريق إلى الله تعالى ؟ " فيَرُدّ : خطْوتيْن وقدْ وَصَلْتَ : اضرب بالدُّنْيا وجْه عُشّاقها ، وسَلِّم الآخرة إلى أربابها .. أخبار الحلاّج (٧٣) .

وها هو يقصده وقدْ قُطِعَت يداه ورِجْلاه وصُلِب على جذْع سائلاً إيّاه :" ما التَّصوُّف ؟ " فيَرُدّ الحلاّج :" أهْوَن مرقاة منه ما تَرَى " ، فسأل :" ما أعلاه ؟ " فيَرُدّ الحلاّج : ليس لك إليه سبيل ، ولكنْ ستَرَى غداً ؛ فإنّ في الغيب ما شَهِدتُه وغاب عنك .. أخبار الحلاّج (١٧) وبداية حال الحلاّج (١) .

بل إنّ الشِّبْليّ يُعَلِّل ما حَدَث لِلحلاّج بقوله : كنتُ أنا والحلاّج شيئاً واحداً إلا أنّه أظهَر وكَتَمْت .. تاريخ بغداد ١١٢/٨

بل إنّ هناك مِن الرِّوايات ما يشير إلى علاقة خاصّة تَرْبط بيْن الجنيد والحلاّج :

فهذا الحلاّج يقول لِلجنيد يوماً وهو يَتَكَلّم على المنبر :" يا أبا القاسم .. إنّ الله لا يرضى مِن العالِم بالعِلْم حتّى يَجِده في العِلْم ، فإنْ كُنْتَ في العِلْم فالزم مكانك وإلا فانزل " فنزل الجنيد ولم يَتَكَلّم على النّاس شَهْرا .

وهذا الإمام محيي الدِّين بن عربيّ يقول : كان لِلحلاّج بيْت أسماه بيْت العظمة ؛ لأنّ جسده كان يَتعاظم فيه حتّى يملأه عنْ آخِره ، ولَمّا ذهب رجال الشرطة لِيأتوا به لِقتْله لمْ يستطيعوا إخراجه لِضيق الأبواب ، ولمْ يُخْرِجْه منْه إلا الجنيد (انظر بعض هذه القصّة في : تاريخ بغداد ١٣٧/٨ ووفيات الأعيان ١٤٢/٢ والبداية والنّهاية ١٤٠/١١) .

لكنْ مع ذلك فلا بُدّ مِن تقرير أنّه مِن غيْر المُستَبْعَد أنْ يَكون هناك كثير مِن الأولياء قدْ أنْكَروا على الحلاّج ؛ وما ذلك إلا لأنّهم لم يَصِلوا إلى ما وَصَل إليه ولم يكابِدوا ما كابَده ، إلا أنّنا لا نَعتقد أنّ الإمام الجنيد كان أحد هؤلاء ؛ إذ أنّه ﷺ كان مِن أكابر الأولياء المُتَمَكِّنين في الولاية .

على أنّنا إذا سلّمْنَا جدلاً بأنّ الإمام الجنيد ﷺ قدْ قال في الحلاّج ﷺ شيئاً مِن ذلك فإنّ مَرَدّه ـ مع عدم تسليمنا بصحّته ـ إلى تَخَوُّف الإمام الجنيد مِن افتتان العامّة به وحَمْلهم كلامه على غيْر مَحْمَله ..

ومِمّا يدلّ على ذلك : أنّ أبا العباس بن عطاء سُئِل عن الحلاّج فقال :" ذاك مخدوم مِن الجنّ " ، فلَمّا كان بَعْد سَنَة سأله نَفْس السّائل عنه فقال :" ذاك مِن حقّ " فقال السائل :" قد سألْتُك عنه قَبْل هذا =

فأمَرَ المُقتَدِرُ بِضَرْبِهِ أَلْفَ سَوْطٍ ، فإنْ ماتَ وإلاَّ ضُرِبَ أَلفاً أُخْرَى ، فإنْ لَمْ يَمُتْ بذلكَ قُطِعَتْ يداهُ ورِجْلاهُ ثُمَّ يُضْرَبُ عُنُقُهُ ، فَفُعِلَ بِهِ جميعُ ذلك (١) .

والعُلَمَاءُ مُختَلِفُونَ في أَمْرِهِ : فمِنْهُمْ مَنْ يُكَفِّرُهُ ، ومِنْهُمْ مَنْ يُبالِغُ في تَعْظيمِهِ والأَوْلَى التَّوَقُّفُ في أَمْرِه (٢) .

- فقُلْتَ " مخدوم من الجنّ " وأنت الآن تقول : هذا حقّ ؟! " فقال ابن عطاء : نَعَمْ .. ليس كُلّ مَن صَحِبْنَا يَبْقَى معنا فيُمكِننا أن نُشْرِفه على الأحوال ، وسَأَلْتَ عنه وأنت في بدء أمْرك ، وأمّا الآن وقدْ تأكّد الحال بيْننا فالأمر فيه ما سَمِعْت .. المُستَدرك على أخبار الحلاّج (٢) .

وأيضاً : ذُكِر أنّ سلطان العلماء عزّ الدّين بن عبد السّلام كان يُنْكِر على سَيِّدي محيي الدّين ابن عربيّ ، ولَمّا سأله خادمه عن القُطْب أشار إلى سَيِّدي محيي الدّين وقال :" ذاك القُطْب " فقال له : " يا سَيِّدي .. فأنت تقول فيه ما تقول ؟! " فقال : هو القُطْب ..

قال الشّيخ عبد الغفّار القوصيّ : لا مُعارَضة في قول الشّيخ عزّ الدّين ؛ لأنّه إنّما يَحكُم عليه بما يَبْدو من أمور الظّاهر وحِفْظ سياج الشّرْع ، والسّرائر أمْرها إلى الله تعالى يَفْعَل فيها ما يشاء ، فقدْ يُطلِع على محلّه ورُتْبته فلا يُنْكِرها ، وإذا بَدَا في الظّاهر شيء ممّا لا يَعْهَده النّاس في الظّاهر أَنْكَره ؛ حفظاً لِقلوب الضّعفاء ، ووقوفاً مع ظاهِر الشّرْع وما كُلِّف به ، فيُعْطي هذا المقام حقّه وهذا حقّه ..

انظر تنبيه الغبي في تخطئة ابن عربيّ /٥٣

فإذا كان هناك ثمّة إنكار من الإمام الجنيد على الحلاّج فإنّه لنْ يَخْرُج عن كونه حفظاً لِسياج الشّريعة كما مَرّ ، وأمّا أنّه ﷺ كان يَرَى أنّ الحلاّج كافر أو مُدّعٍ أو ساحر أو غيْر ذلك فهذا ما نَجْزِم بأنّه لم يَثْبُت ولم يَحْدُث البتّة .

(١) انظر : تاريخ بغداد ١٢٧/٨ وتكملة تاريخ الطّبَريّ ٢٥/١ والمُنْتَظِم ٣٨/١٢ وسِيَر أعلام النُّبَلاء ٣٤٠/١٤ ووفيات الأعيان ١٤٥/٢ والبداية والنّهاية ١٣٨/١١ والنُّجوم الزّاهرة ٢٠٣/٣ وشذرات الذّهَب ٢٥٥/١ والدّيباج المُذَهَّب ٢٤٢/١ والعِبَر في خبر مَن غَبَر ١٤٨/٢ والكامل ٥/٧

(٢) قُلْتُ : إنّما يُتَوَقَّف في أمْر مَن لمْ يَقُم الدّليل والبرهان على براءته ممّا اتُّهِم به ، وفي حالة الحلاّج فإنّا نَجْزِم بأنّه ﷺ كان أحد أكابر الأولياء ، وأنّه لم يُقْتَلْ بسَيْف الشّريعة كما يظنّ البعض ..

وإنّما قُتِل ﷺ لأسباب عدّة نوجزها في سببيْن رئيسيْن :

الأول : سبب ظاهِر يَتَمَثَّل في مجاهَرته بمحاربة الفساد والمُفْسِدين .

الثاني : سبب باطِن يَتَمَثَّل في عامِلَيْن : أولهما : بَوْحه بما يجب أنْ يُكْتَم ، ثانيهما : تَمَنِّيه لِلقَتْل .

أوّلاً : السبب الأول :

كانت ثوْرته ﷺ على الفساد الذي ضرب بأطنابه على قصْر الخلافة بدءاً من الخليفة العبّاسيّ المُقْتَدِر وانتهاءً بالكثير من سَدَنة حُكْمه ، وعلى رأسهم الوزير حامد بن العباس الذي تَوَلَّى كِبْر =

= التّحريض ثُمّ الإشراف على صلْب وقتْل الحلاّج ..

أمّا عن الخليفة المُقْتَدِر :

فيقول عنه الطّبريّ : رقيق ركيك لاهٍ بما هو فيه من اللّعب والسّرَف والتّبْذير .

ويقول ابن الأثير : كان المُقْتَدِر الطِّفْل الخليفة لا هَمّ لـه إلا أنْ يَلْهو في قصْره بيْن عشرة آلاف خصيّ من الصّقالبة والجواري والغلمان .

ويقول : وقَبَض (صاحِب شرطة المُقْتَدِر) على القاضي المُثَنّى أحمد بن يعقوب فقتله لأنّه قيل له :" بايِع المُقْتَدِر " فقال :" لا أبايع صبيّاً " ، فذُبِح .. الكامل ٤٤٣/٦

وكان عُمُر المُقْتَدِر ١٣ عاماً عندما وُلّي الخلافة أوّل مرّة .

ويقول الذّهبيّ : انْخَرَم نظام الإمامة في أيّامه وصَغُر منصب الخلافة ..

سيَر أعلام النُّبَلاء ٤٣/١٥

ويقول : كان منهوماً باللّعِب والجواري ، لا يلتفت إلى أعباء الأمور .. سيَر أعلام النُّبَلاء ٤٣/١٥

ويقول : كان سَمْحاً متلافاً لِلأموال ، مَحَق ما لا يُعَدّ ولا يُحْصَى .. سيَر أعلام النُّبَلاء ٤٤/١٥

هذا حال الخليفة الذي أمَر بتنفيذ الحُكْم بجَلْد الحلاّج وصلْبه وقَطْع يديْه ورِجْلَيْه باسم الشّريعة كما يقولون !!

وأمّا عن الوزير حامد بن العباس :

فحَدِّثْ ولا حَرَج .. إنّه نموذج لأولئك الظّلَمة المُتَجبِّرين المُتَسَلِّقين الجشعين الذين لا هَمّ لهم إلا الإثراء ولو بمصّ دم الكادحين وتجويعهم وترهيبهم من أجْل الوصول إلى مآربهم وأطماعهم الدّنيّة ، فكان يزيد الضّرائب ويُشَدِّد على جبايتها ، وكان يُغْرِي المُقْتَدِر باحتكار المخزون من القمح والمضاربَة فيه .

يقول ابن العماد : ظَهَر اختلال الدّوْلة العباسيّة وجُيِّشَت الغوغاء ببغداد فركب الجند ، وسبب ذلك كثرة الظُّلْم من الوزير حامد بن العباس ، فقَصَدَت العامّة داره فحاربَتْهم غلمانه ـ وكان له مماليك كثيرة ـ فدام القتال أيّاماً وقُتِل عَدَد كثير ، ثُمّ استَفْحَل البلاء ووقَع النّهْب في بغداد ..

شذرات الذهب ٢٥٢/١ وانظر : النُّجوم الزّاهرة ١٩٨/٣ والعِبَر في خبر مَن غبر ١٤٢/٢

ويقول ابن الأثير : ضَمِن حامد بن العباس أعمال الخراج والضّياع الخاصّة والعامّة والمُسْتَحْدَثة والفراتيّة سواد بغداد والكوفة وواسط والبصرة والأهواز وأصبهان ، وسبب ذلك : أنّه لمّا رأى أنّه قد تَعَطّل عن الأمر والنّهْي وتَفَرّد به عَلِيّ بن عيسى شَرَع في هذا ليصير له حديث وأمْر ونهْي ، واستَأْذَن المُقْتَدِرَ في الانحدار إلى واسط ليُدَبِّر أمْر ضمانه الأول فأذِن له في ذلك ، فانْحَدَر إليها واسم الوزارة عليه وعليّ بن عيسى يُدَبِّر الأمور ، وأظْهَر حامد زيادةً ظاهرةً في الأموال وزاد زيادةً متوفِّرةً ، فسُرّ المُقْتَدِر بذلك وبَسَط يد حامد في الأعمال حتّى خافه عَلِيّ بن عيسى ، ثُمّ إنّ السِّعْر =

- تَحَرَّك ببغداد (أيْ غَلَت الأسعار نتيجةً لِسياسات حامد التي لا يرجو من ورائها إلا مصالح نفسه) فثارَت العامّة والخاصّة لِذلك واستغاثوا وكسروا المنابر ، وكان حامد يخزن الغِلال وكذلك غيْره مِن القُوّاد (وبالطبع تحْت نظر ورعاية ومباركة حامد) ونُهِبَت عِدّة مِن دكاكين الطحّانين ، فأمَر المُقْتَدِر بإحضار حامد بن العباس ، فحَضَر مِن الأهواز فعاد النّاس إلى شغبهم ، فأنْفَذ حامد لِمنعهم فقاتَلوهم وأحْرَقوا الجسْرَيْن وأخْرَجوا المحبوسين مِن السّجون ونَهَبوا دار صاحِب الشّرطة ولم يتركوا له شيئاً ، فأنْفَذ المُقْتَدِر جيشاً مع غريب الخال فقاتَل العامّة فهربوا مِن بيْن يديْه ودخلوا الجامع باب الطاق فوكل بأبواب الجامع وأخَذ كُلّ مَن فيه فحَبَس وضَرَب بعضهم وقطع أيدي مَن يُعْرَف بالفساد ، ثُمّ أمَر المُقْتَدِر مِن الغد فنودي في النّاس بالأمان فسكَنَت الفتنة ، ثُمّ إنّ حامداً ذهب إلى دار المُقْتَدِر في الطيار فرَجَمه العامّة (ولعلّهم كانوا يرجمونه بالورود لِسيْره فيهم بالعدل والقسطاس وإقامة الشّرْع وحِفْظه لِلحدود !!) ثُمّ أمَر المُقْتَدِر بتسكينهم فسكَنوا ، وأمَر المُقْتَدِر بفتْح مَخازن الحنطة والشعير التي لِحامد ولأمّ المُقْتَدِر وغيْرهما وبيْع ما فيهما فرَخُصَت الأسعار (وبذلك يتّضح أنّ سبب غلاء الأسعار تلك المخازن التي يَمْلِكها أولو الأمر والتي كان على رأسها مخازن حامد) وسكَن النّاس ، فقال عَلِيّ ابن عيسى لِلمقتدر :" إنّ سبب غلاء الأسعار إنّما هو ضمان حامد ؛ لأنّه مَنَع مِن بيْع الغلال في البيادر وخَزّنها " فأمَر بفسخ الضّمان عن حامد وصَرَف عمّاله عن السّواد وأمَر عَلِيّ بن عيسى أنْ يَتَوَلّى ذلك ، فسكَن النّاس واطمأنّوا .. الكامل ٦/٥٠٣ ، ٥٠٤

ويروي ابن الأثير أنّ ابن الفرات (أحد سَدَنَة الحُكْم آنذاك) قال لِشفيع اللّؤلؤيّ :" قُلْ لأمير المؤمنين عنّي : إنّ حامداً إنّما حَمَله على الدّخول في الوزارة وليس مِن أهْلها أنّني أوْجَبْتُ عليْه أكْثر مِن ألْفَيْ ألْف دينار مِن فضْل ضمانه وألْحَحْتُ في مطالَبته بها ، فظَنّ أنّه تَندَفِع عنه بدخوله في الوزارة وأنّه يُضيف إلَيْه غيْرها " ، فاستشاط حامد وبالَغ في شتْمه .. الكامل ٦/ ٥٠

ويقول الطّبريّ : وخَلا ابن الفرات بحامد وقال :" إنْ أخْبَرْتَ بأموالك صَنْتُك عن مكاره السّلطان وولّيْتُك فارساً " وحلَف له على ذلك ، فأقَرّ بدفائنه في بلاليع بواسط ، وقدْرها : خمسمائة ألْف دينار وثلاثمائة ألْف عند قوم مِن العدول ، وأقَرّ بقماش له عند ابن شابدة وابن المنتاب وإسحاق بن أيوب وعَلِيّ بن فرج بثلاثمائة ألْف دينار .. تكملة تاريخ الطّبَريّ ١/٣٦

ويقول ابن الجوزيّ : إنّ حامداً كان عَمِل حجرةً وجَعَل فيها مُسْتَراحاً (دورة مياه) وكان يَتَقَدّم إلى كيّله أنْ يجيء بالدّنانير ، فكُلّما حصل له كيس أخَذه تحْت ثيابه وقام كأنّه يبول فدَخَل ذلك المُسْتَراح فألْقَى الكيس في البئر وخَرَج مِن غيْر أنْ يَصُبّ فيها ماءً ولا يبول ، ويُوهِم الفراش أنّه فَعَل ذلك ، فإذا خَرَج قَفَل المُسْتَراح ولم يَدْخُله غيْره على رسْم مُسْتَراحات الملوك ، فإذا أراد الدّخول فَتَحه له الخادم المرسوم بالوضوء ، وذلك الخادم المرسوم بالوضوء لا يَعْلَم السِّرّ في ذلك ، فلمّا تكامل المال قال :" هذا المُسْتَراح فَسَد ؛ فسُدّوها " ! فسُدّ وعُطِّل ، فلمّا اشْتَدّت به المُطالَبة دَلّ عليه فأُخْرِج -

ما فيه .. المُنتَظِم ١٨٣/٦ وانظر سيَر أعلام النُبَلاء ٣٥٧/١٤

ويقول ابن كثير : كان قدْ جَمَع شيئاً كثيراً ، وُجِد له في مطمورة ألوف من الذَّهَب ، كان كُلّ يوم إذا دَخَلها أُلقِي فيها ألف دينار ، فلَمّا امتلأت طَمّها ، فلَمّا صُودِر دَلّ عليها فاستَخْرَجوا منها مالاً كثيراً جداً .. البداية والنِّهاية ١٤٩/١١

ويقول الذّهبيّ : قال المسعوديّ : كان في حامد طَيْش ؛ كلّمه إنسان فقلّب حامد ثيابه على كتفه وصاح : ويلّكم علَيّ به !!

قال : ودَخَلت عليه أمّ موسى القهرمانة ـ وكانت عظيمة المحلّ ـ فخاطَبَته في طلب المال فقال : " اضْرطي والْتقطي واحْسبي لا تغْلطي " !! فخجلها ، وسَمِع المُقْتَدِر فضَحِك وأمَر قيانه فغنّيْن بذلك !! سيَر أعلام النُبَلاء ٣٥٧/١٤ ، ٣٥٨

أمّا الإمام القُشَيْريّ فيَحكِي عن سبب موت ابن عطاء ـ أحد المناصِرين لِلحلاّج والمُعْتَقِدين فيه ـ فيقول : أنّه دَخَل على الوزير فكلّمه الوزير بكلام غليظ ، فقال ابن عطاء :" اهدأ يا رجل " ، فأمَر فضُرِب بخُفّه على رأسه فمات منه .. الرِّسالة القشيريّة /٢٣٨

ويروي نَفْس هذه الواقعة ابن كثير فيقول : ... فعاقَبه الوزير حامد بن العباس بالضَّرْب البليغ على شدقيْه وأمَر بنزْع خُفَّيْه وضَرْبه بهما على رأسه حتّى سال الدّم مِن منْخريْه ، ومات بَعْد سبعة أيّام من ذلك ، وكان قدْ دَعَا على الوزير أنْ تُقْطَع يَدَاه ورِجْلاه ويُقْتَل شرّ قتلة ، فمات الوزير بَعْد مدة كذلك .. البداية والنِّهاية ١٤٤/١١ وانظر تاريخ بغداد ١٢٨/٨

هذا هو حال الوزير حامد بن العباس الذي تَوَلّى كِبْر متابَعة محاكَمة الحلاّج إلى أنْ فُعِل به ما فُعِل ولكنّ الله دائماً بالمرصاد ؛ فها هو حامد يُعْزَل مِن الوزراة ويُسَلّم إلى المُحْسِن بن الفرات فيُعَذّبه بألوان العذاب ، وكان إذا شَرِب أخْرَجه وألْبَسه جِلْد قِرْد ويرقص فيُصفَع ، وفُعِل به ما يُسْتَحْيَا مِن ذِكْره !! (هكذا روى الذّهبيّ في سيَر أعلام النُبَلاء ٣٥٩/١٤) ، وسبحان المنتقِم الجبّار ؛ حيث فُعِل به مَا فعَله هو بالحلاّج مِن الصّلْب والحَلْد والقَتْل ، بل وأُهِين وفُعِل به ما لا يُفْعَل بالحيوانات ، فسُبْحَان مَن يُمْهِل ولا يُهْمِل .

أمّا عن القاضي أبي عُمَر :

فقدْ كان معروفاً بتَمَلّقه لِلقائمين بالأمر وعدم اكتراثه بالنّاس ولا بما يعانونه من الوقوف على بابه انتظاراً لِتَنازُله وتَعَطُّفه لِيَفْصِل بيْنهم في قضاياهم ومشاكلهم ..

فهذا ابن كثير يروي أنّ أبا عَلِيّ بن خيران الشّافعيّ مَرّ يوماً على القاضي أبي عُمَر والخصوم عكوف على بابه والشمس قد ارتفعَت عليهم ، فبَعَث حاجبَه إليه يقول له : إمّا أنْ تَخْرُج فتَفْصِل بيْن الخصوم وإمّا أنْ تَبْعَث فتَعْتَذِر إليهم إنْ كان لك عذْر حتّى يَعُودوا إليك بَعْد هذا الوقت !! ..

البداية والنِّهاية ١٧١/١١ =

- أمّا ابن السّبكيّ فيقول : قال أبو حفص المطوعيّ : كان عليّ بن عيسى الوزير مُنْحَرِفاً عن أبي العبّاس (أي ابن سريج) لِفَضْل تَرَفُّعه وتَقاعُده عن زيارته ، مُنْصَبّاً بالمَيْل إلى أبي عُمَر المالكيّ القاضي لِمواظَبَته على خِدْمته ، ولِذلك كان ما قلّده من القضاء !! .. طبقات الشّافعيّة الكبرى ٣/٣٠

إذَنْ .. فقدْ كانت فضيلة أبي عُمَر التي أهّلَته لِمنصب القضاء إنّما هي تَمَلُّقه وخِدْمته لِلقائمين بالأمر ، في حين يُستَبْعَد رجل كأبي العباس بن سريج - وهو أحد المُعْتَقِدين في الحلاّج - أنّه لمْ يَكُنْ من ذلك النّوْع الذي يَتَمَلّق أو يَمْسَح الجوخ كما يقولون !

بل إنّ الأمر يَصِل إلى ما هو أسوأ وأعْجَب من ذلك ؛ فهذا أبو عُمَر لا يكتفي بتَوَلّيه القضاء حتّى يُوَرِّث تلك التّركة على أهله ؛ فهذا الذّهبيّ يقول : استَخْلَف (أبو عُمَر) ولدَه على قضاء الجانب الشّرقيّ .. سِيَر أعلام النُّبَلاء ١٤/٥٥٦

وأمّا الطّبريّ فيروي لنا كيف أنّ القاضي أبا عُمَر حَمَل كتاب أمان مِن المُكْتَفي إلى بدر (خادم المُعْتَضِد وصاحِب جيْشه) على أنْ يدخل بغداد سامعاً مطيعاً ، ثمّ إنّ المُكْتَفي غَدَر ببدر وقَطَع رأسه ، فلم يُحَرِّك القاضي أبو عُمَر - الذي اشْتَرَك أو أُشْرِك ، بإرادته أو بغيْر إرادته ؛ فلا فَرْق كبير بيْنهما - ساكناً ولم يُنْكِر ذلك على المُكْتَفي ، ولم نَرَه اعْتَزَل القضاء احتجاجاً وتَوَرُّعاً عن أنْ يُزَجّ به في مِثْل هذه المؤامَرات القذرة ..

يقول الطّبريّ : وتَكَلّم النّاس فيه (أي في القاضي أبي عُمَر) وقالوا : هو كان السّبب في قَتْل بدر وقالوا فيه أشعاراً ، فمِمّا قيل فيه منها :

قُلْ لِقاضي مدينة المنصورِ ... بِمَ أحْلَلْتَ أخْذ رأس الأميرِ ؟
بَعْد إعطائه المواثيقَ والعهـ ... ـدَ وعقْد الأيمان في منشورِ
أين أيمانك التي شَهِد اللـ ... ـه عليها أيمانَ فجورِ
أنّ كفّيْك لا تفارق كفّيْـ ... ـه إلى أنْ ترى مليك السريرِ ؟!
يا قليل الحياء يا كُذَب الأُ ... مّة يا شاهداً شهادة زورِ
ليس هذا فِعْل القضاة ولا يحـ ... ـسن أمثالُه ولاة الجسورِ
أيّ أمْرٍ ركِبْتَ في الجمعة الزّهْـ ... ـراء مِن شَهْر خيْر خيْر الشّهورِ
قدْ مَضَى مَن قَتَلْتَ في رمضان صائماً بَعْد سجدة التّعْقِيرِ
يا بَني يوسف بن يعقوب أضْحَى ... أهْل بغداد منكم في غرورِ
بَدّد اللّه شَمْلَكم وأراني ... ذلكم في حياة هذا الوزيرِ
فأعِدّ الجواب لِلحَكَم العا ... دلِ مِن بَعْد مُنْكَرٍ ونكيرِ

والمقصود ببني يوسف بن يعقوب القاضي أبو عُمَر ؛ حيث إنّ اسمه محمد بن يوسف بن يعقوب .

هذا هو حال القاضي أبي عُمَر الذي أفْتَى بحِلّ دم الحلاّج تحْت ضغْط وإحراج من الوزير حامد -

- ابن العباس كما سيأتي بَعْد قليل .

وأمّا محمد بن داود الظّاهريّ :

فإنّه كان حامِل لواء المذهب الظّاهريّ في عصرِه ، وهو الذي رَفَع أمْر الحلاّج إلى القضاء ، ويَكْفي أن نَذْكُر عنه أنّه رَفَع أمْر الحلاّج إلى القضاء لِسبب عجيب ؛ فهو ـ سامَحه الله ـ يَرَى أنّ الحُبّ مقصور على العلاقة الزّوْجيّة التي ليس لها غاية سِوَى الإبقاء على الجِنْس البشريّ ، وأنّ إطلاق العَنان لِمفهوم الحُبّ يؤدّي إلى الضّلال ، مِمّا حَدَا به إلى رَفْع أمْر الحلاّج إلى القضاء !

أمّا لِمَاذا تَمالأ هؤلاء على قَتْله ؟

فلأنّ الحلاّج ﷺ لَمّا كان يجاهِر بمحارَبة الفساد والمُفْسِدين مِن أمثال حامد بن العباس لَمْ يَكُنْ أمامهم إلا أنْ يحاوِلوا إزاحته مِن طريقهم بشتّى السُّبُل والوسائل المشروعة وغيْر المشروعة ؛ حيث إنّه شكّل تهديداً لهم خصوصاً عندما خَرَج إلى الحجّ في أربعمائة مِن أتباعه ، فرَصَد هؤلاء تَحرُّكاته وأغْرَوْا به الخليفة مُدّعين تارةً أنّه مِن دعاة القرامطة ، وتارةً أنّه مِن دعاة الإسماعيليّة ، وأنّه يَسْعَى لِلانقضاض على قصْر الخلافة والقيام بثورة تُزَعْزِع أركان الحُكْم ..

ثُمّ إنّهم لِكَيْ يُسْخِطوا العامّة عليه ويُفَرِّقوهم مِن حوْله نسبوه مرّةً إلى ادّعاء النُّبُوّة ، ومرّةً ثانيةً إلى ادّعاء الرّبوبيّة والقول بالحلول ، وثالثةً إلى السِّحْر والشّعْوذة والدّجَل ، ورابعةً إلى القَرْمَطَة .

بل إنّ بعض مُدّعِي التّصَوُّف في عصرِه شاركوا في ذلك ..

يقول ابن خلدون في تاريخه : لَمّا دَخَل الحلاّج مكّة ومعه أربعمائة تلميذ حقَد عليه صوفيُّو عصرِه حتّى وصَفوه بممارسة أعمال السِّحْر والاتصال بالجنّ .. ا.هـ .

ووقَع له عند النّاس قبول عظيم ، حتّى حَسَده جميع مَن في وقْته .. بداية حال الحلاّج (١)

ن سامي مكارم : إنّ خروج الحلاّج إلى مكّة برفقة أربعمائة مِن أتباعه يُعَدّ تظاهرةً مِن المؤمنين به النّاقمين على الفساد ، وأنّ الحلاّج استطاع أنْ يُدْخِل في قلوب مريديه مفهوماً اجتماعيّاً يعني بإصلاح المُجْتَمَع عنايته بإصلاح الفَرْد ، وهذا ما جَعَل السُّلْطة الحاكمة تَنْظُر نظرة خوْف على مَصالحها مِن الحلاّج وأتباعه .. الحلاّج فيما وراء المعنى والخطّ واللّوْن /٢٩

ولولا أنّ سَرْد هذه الاتّهامات جميعها والرّدّ عليها يُخْرِجنا عن موضوع الكتاب لَكان لنا مع هذه الاتّهامات وقفات ووقفات ، بَيْد أنّنا نُؤكّد على أنّ هذا الكمّ الهائل مِن الاتّهامات مع التّباين والتّناقض الواسع الكبير بيْنها ـ ما بيْن اتّهام بالدّجَل والشّعْوَذة إلى اتّهام بالقَرْمَطَة أو التّشَيُّع الإسماعيليّ أو ادّعاء النُّبُوّة أو ادّعاء الرّبوبيّة والحلول ـ لَهُو أكْبَر دليل على تَهافُت كُلّ هذه التُّهَم التي لا يَصِحّ في ميزان العقول أنْ تَجْتَمِع كُلّها في إنسان واحد ؛ وإلا فأخْبِرونا هل الحلاّج دَجّال أم ساحِر أم مُشَعْوِذ أم قُرْمطيّ أم حلوليّ أم مُدّعٍ لِلنُّبُوّة أم مُدّعٍ لِلرّبوبيّة ؟ وأيّ هذه التُّهَم نُصَدّق وأيّها نُكَذّب ؟! وبأيّ هذه التُّهَم حُوكِم وصُلِب وجُلِد وقُتِل وقُطِعَت رأسه وأُحْرِقَت جُثّته ؟! على اليقين أتَحَدّى أنْ يَعْرِف أحد . -

= فهذه كُتُب التّراجم تَنْقِل لنا هذه التُّهَم وغالبيتها مرويّة عن أشخاص مجهولين حاقدين أصحاب مصلحة في قتْل الحلاّج ، أو أشخاص لم يَحْضُروا تلك الوقائع مِن الأصل ، أو أشخاص لا يُعْرِف المؤرّخون عنْهم إلا أسماءهم ، أو أشخاص أُتي بهم إلى منصّة الحُكْم لِكَيْ يَشْهَدوا بما أُمْلِيَ عليْهم تحْت إغراء المال وتَهْديد السّيْف ..

فعنْ محمد بن زنجي الكاتب عن أبيه قال : حَضَرْتُ مجلس حامد الوزير وقد أُحْضِر السّمريّ صاحِب الحلاّج وسأله عن أشياء مِن أمْر الحلاّج وقال له :" حَدِّثْني بما شاهدْتَ منه " فقال :" إنْ رأى الوزير أنْ يعفيني فَعَل " فألَحّ عليه ، فقال : أعْلَم أنّي إنْ حَدَّثْتُك كَذَبْتَني ولم آمَنْ عقوبةَ " فأمّنه ، قال :" كُنْتُ معه بفارس فخَرَجْنا إلى إصطخر في الشّتاء فاشْتَهَيْتُ عليه حيارى فقال لي :" في مِثْل هذا المكان والزّمان ؟! " قُلْتُ :" هو شيء عَرَض لي " ، فلمّا كان بَعْد ساعة قال " أنت على شهْوتك ؟ " قُلْتُ :" نَعَمْ " ، فسِرْنا إلى جبل ثلج فأدْخَل يده فيه وأخْرَج إليّ خيارةً خضراءَ فأكَلْتُها " ، فقال حامد : " كَذَبْتَ يا ابن مائة ألْف زانية !! أوْجِعوا فَكّه " ، فأسْرَع إليه الغلمان وهو يصيح : أليس مِن هذا خِفْنا ؟! .. تاريخ بغداد ١٣٦/٨ وسِيَر أعلام النُبَلاء ٣٢١/١٤

إنّها إحدى هوايات حامد في الإتيان بالشّهود وتَرْهيبهم حتّى يقولوا ما يُمْلِيه عليهم ، وإلا فالضّرْب والجَلْد والتّعْذيب وربّما القتل سيكون مِن نصيب كُلّ مَن لا يطيع أمْره ، ولا حَرَج على حامد في أنْ يَصِم - أمام قضاة الشّريعة الذين حكَموا بإباحة دم الحلاج غيرةً عليْها !! - الذي يَشْهَد على غيْر هواه بأنّه ابن زِنا فإنّ أحداً مِن هؤلاء القضاة لم تأخذه الحميّة والغيرة على دين الله أنْ يُنْكِر على حامد ما قال أو أنْ يُذَكِّره بأنّ الذي قاله طَعْن في النّسَب وقَذْف لِلمُحْصَنات وذَنْب يُجْلَد مُرْتَكِبه ثمانين جَلْدةً كما نَصّت شريعة الله التي يُمَثّلونها ويَحْكمون بها !!

وتلك الحكاية السّابقة ما هي إلا نموذج مِن نماذج لِشهود كثيرين أتَى بهم حامد لِيَدّعوا على الحلاّج وقائع مِن نَسْج خيالهم ، أو لِيُزَيّفوا ما رأوْا مِن كراماته فيَنْسِبوها إلى السِّحْر والدَّجَل والشّعْوَذة !!

وفي مَشْهَد آخَر مِن المحاكَمة تَرْوِيه لنا مُعْظَم كُتُب التّراجم نَرَى القاضي أبا عُمَر في أثناء استجواب الإمام الحلاّج يَتَسَرّع فيقول له :" كَذَبْتَ يا حلال الدّم " ، لِيَتَلَقّفها الوزير حامد ويُرْغِم القاضي على الإفتاء بإباحة دم الحلاّج بناءً على تلك الكلمة التي خَرَجَت منه دون قصْد ، فيضْطَرّ القاضي أبو عُمَر إلى موافقة حامد في ذلك حرجاً أو خوفاً أو طمعاً أو كُلّ ذلك جميعاً ، لاَيُهِمّ !! انظر : سِيَر أعلام النُبَلاء ٣٤٠/١٤ وتكملة تاريخ الطّبريّ ٢٤/١ والبداية والنّهاية ١٤١/١١ وتاريخ بغداد ١٣٨/٨ والمُنْتَظِم ١٦٣/٦ والكامل ٥/٧

ولْنَرْوِي ذلك المَشْهَد مِن نهايته مُخْتَصَراً كما أوْرَده الذّهبيّ حيْث يقول : قال (أيْ أبو عُمَر) : " كَذَبْتَ يا حلال الدم ؛ قد سَمِعْنا كتاب " الإخلاص " وما فيه هذا " ، فلمّا قال أبو عُمَر :" كَذَبْتَ يا حلال الدّم " قال له حامد :" اكتب بهذا " فتَشاغَل أبو عُمَر بخطاب الحلاّج ، فألَحّ عليه حامد وقَدّم له =

= الدّواة ، فكتَب بإحلال دمه وكتَب بَعْده مَن حَضَر المَجْلِس ، فقال الحلاّج :" ظَهْري حِمىً ودمي حرام ، وما يَحِلّ لكم أن تتأوّلوا عَلَيّ ما يبيحه واعتقادي الإسلام ومذهبي السُّنّة ، فاللهَ اللهَ في دمي " ولم يَزَلْ يُرَدّد هذا القول وهُمْ يكتبون خطوطهم ، ثُمّ نهضوا ورُدّ الحلاّج إلى الحبس ، وكتب إلى المُقْتَدِر بخبر المجلس فأبطأ الجواب يوْمَيْن ، فغلظ ذلك على حامد ونَدِم وتَخَوّف ، فكتَب رقعةً إلى المُقْتَدِر في ذلك ويقول :" إنّ ما جرى في المَجْلِس قدْ شاع ، ومتى لم تُتْبِعه قَتْل هذا افْتَتَن به النّاس ولم يَختلف عليه اثْنان " فعاد الجواب مِن الغدِ مِن جهة مُفْلِح :" إذا كان القضاةِ قدْ أباحوا دمه فلْيحْضر محمد بن عبد الصّمد صاحِب الشّرطة ويَتَقَدّم بتسليمه وضَرْبه ألْف سوْط ، فإنْ هَلَك وإلا ضُرِبَت عُنُقه " ، فسُرّ حامد وأحْضَر صاحِب الشّرطة وأقرأه ذلك وتَقَدّم إليه بتسليم الحلاّج فامْتَنَع وذَكَر أنّه يَتَخَوّف أنْ يُنْتَزَع منه ، فبَعَث معه غلمانه حتّى يُصَيّروه إلى مَجْلِسه ، ووقَع الاتّفاق على أنْ يحضر بَعْد عِشاء الآخرة ومعه جماعة مِن أصحابه وقوْم على بغال موكفة مع سياس فيُحْمَل على واحد منها ويُدْخَل في غمار القوم .. سيَر أعلام النُّبَلاء ٣٤٠/١٤

إنّ هذه الرّواية تَدُلّ - إضافةً إلى بيان عقيدة الحلاّج كما ذَكَر هو نَفْسه - على ما كان لِلحلاّج مِن مكانة ومنزلة وتأثير عند النّاس ؛ وإلا فلِمَ كُلّ هذه الإجراءات الأمنيّة المُشَدّدة التي استُخْدِمَت لِنَقْل الحلاّج إلى مكان تنفيذ الحُكْم فيه ؟! وإذا كان الحلاّج قد ادّعَى النُّبُوّة أو الرّبوبيّة أو ثَبَت عنه أنّه قرمطيّ أو ساحِر أو مُشَعْوِذ فبماذا نُفَسّر هذا التّأييد الجارف مِن النّاس الذي أخاف السُّلْطة مِن أنْ يَنْقَضّوا عليْهم ويُخَلّصوا الحلاّج مِن بيْن أيْديهم ؟! أحْسَب أنّ هذا التأييد وهذه المكانة وهذا الحُبّ لِلحلاّج يَتَضادّ ويَتناقض ويَتعارَض تماماً مع كُلّ ما نُسِب إليه مِن تُهَم تَتهافت كُلّها أمام ما كان له مِن مكانة عند النّاس .

أمّا ابن كثير فيقول : ... فأقْبَل الوزير على القاضي فقال له :" قدْ قُلْتَ " يا حلال الدم " فاكتب ذلك في هذه الورقة " وألَحّ عليه وقَدّم له الدّواة ، فكتَب ذلك في تلك الورقة وكتَب مَن حَضَر خطوطهم فيها وأنْفَذها الوزير إلى المقتدر ، وجَعَل الحلاّج يقول لهم :" ظَهْرِي حِمىً ودمي حرام ، وما يَحِلّ لكم أنْ تتأوّلوا عَلَيّ ما يبيحه واعتقادي الإسلام ومذهبي السُّنّة وتَفْضيل أبي بكر وعُمَر وعثمان وعَلِيّ وطلحة والزّ وسَعْد وسعيد وعبد الرّحْمن بن عوف وأبي عبيدة بن الجرّاح ، ولي كُتُب في السُّنّة موجودة في الورّاقين .. فاللهَ اللهَ في دمي " فلا يلتفتون إليه ولا إلى شيء مِمّا يقول ، وجَعَل يُكَرّر ذلك وهُمْ يكتبون خطوطهم بما كان مِن الأمر .. البداية والنّهاية ١٤١/١١ وانظر وفيّات الأعيان ١٤٤/٢

وهكذا فقدْ ألَحّ حامد على القضاة حتّى اسْتَكْتَبَهم فَتْوَى بإباحة دم مَن يقول أنّ الإسلام اعتقاده والسُّنّة مذهبه ، ثمّ ألَحّ على الخليفة حتّى يُصْدِر أمراً بتنفيذ الفتوى بدَعْوَى أنّه إنْ لم يُقْتَل استَفْحَل أمْره وصار مَصْدَر إزعاج لِقصْر الخلافة .

وفي رواية أخرى لِلذّهبيّ يقول : ... فتَعَلّق بذلك عليه الوزير واسْتَفْتَى القاضيين أبا جَعْفَر أحمد -

= ابن البهلول وأبا عُمَر محمد بن يوسف ، فقال أبو عُمَر :" هذه زندقة يجب بها القتل " وقال أبو جعفر :" لا يجب بهذا قتل إلا أنْ يُقِرّ أنّه يعتقده ؛ لأنّ النّاس قد يَرْوُون الكُفْر ولا يَعْتَقدونه ، وإنْ أخْبَر أنّه يَعْتَقده استُتِيب منه : فإنْ تاب فلا شيء عليه ، وإلا قُتِل " ، فعمل الوزير على فَتْوَى أبي عُمَر .

سِيَر أعلام النُبَلاء ٣٣٢/١٤

وإذا كان الحلاّج قدْ أعلَن أمام محاكِميه عقيدته التي تتّفق مع ما أجْمَع عليه المُسْلِمون سلفاً وخَلَفاً ـ كما ذَكَرْنَا منذ قليل ـ فلا نَدْري لأيّ شيء حُكِم بقتْله ؟! ثُمّ إنّه إذا سلّمْنَا جدلاً أنّه أعلَن عقيدةً تُخالِف عقيدة المُسْلِمين فإنّ حُكْم الشّرْع فيه أنْ يُستَتاب ـ كما قال أبو جَعْفَر قَبْل قليل ـ أو يُعَزّر كما قال عزّ الدّين بن عبد السّلام في أماليه (انظر صفحة ١٠٣ من هذا الكتاب) ، أمّا ما حَدَث في هذه المحاكَمة فلا صلة له بشرْع ولا بَعْدل ولا بدين ، وإنّما هي أهواء أبناء الدُنْيا وفساد ذوي السُلْطان وإفسادهم .

ثُمّ نأتي إلى قمّة المأساة والمهزلة في تنفيذ حُكْم الإعدام في الحلاّج بطريقة من الوحشيّة والهمجيّة يَنْدَى لها جبين مَن كان يَنْتَسِب إلى بني الإنسان فضلاً عن أنْ يكون ذا دين فضلاً عن أنْ يكون ذلك الدّين هو دين الإسلام ، فهؤلاء السّفلة قدْ علّقوه من قَدَمَيْه في السّقْف وضربوه بالسّياط ، ثُمّ قطعوا يَدَيْه ورِجْلَيْه ، ثُمّ ضُرِبَت رقبته ولُفّتْ جثّته في بارية وصُبّ عليها النّفْط وأُحْرِقَت وذُرّي رماده على رأس المنارة لِتسقيه الرّياح (أخبار الحلاّج (١٧)) ، ونُصِبَت رأسه وعُلّقَت يداه ورِجْلاه إلى جانبيها يَوْمَيْن على جِسْر بغداد ، ثُمّ طيف به في خراسان ، وأحْرَقوا داره ، واستَغْرَق قتْله ثلاثة أيّام ..

ولا نَدْري إذا كان سيف الشّريعة قدْ أمَر بتعذيب مَن يقام عليه الحدّ ـ إذا سلّمْنَا جدلاً بوجود ذنْب أُقيم لأجْله ذلك الحدّ ـ إلى هذه الدرجة التي بَلَغَت الغاية في الإجرام الذي وصَل إلى تنفيذ حُكْم الإعدام في الحلاّج في ثلاثة أيّام يَتَخَلّلها الضّرْب بالسّياط وتقطيع الأعضاء ، ثُمّ لا يُكْتَفَى بذلك بل تُحْرَق جثّته ويُذَرّى رمادها ، ثُمّ تُنْصَب رأسه يَوْمَيْن على جِسْر بغداد ثُمّ يطاف به في خراسان !! في أيّ كتاب ذلك وفي أيّة سُنّة ؟! اللّهُمّ إلا كتاب البَغْي والإجْرام وسُنّة التّجبّر والطُغْيان وشريعة الظُلْم والفساد .

وإنّني لأجْزِم بأنّ ذلك الأسلوب في القتل والتعذيب والتنكيل لا يُمكِن أنْ يكون له مُبَرّر أو هَدَف إلا إخضاع الرّقاب وإخراس الألسنة ؛ فلا تَنْطق ولا تَهْمس إلا بما يوافِق هوى سَدَنَة الحُكْم الجبّارين الأوغاد الذين أفْسَدوا وظَلَموا وطَغَوْا في البلاد .

ولقدْ صَدَق نيكلسون حين قال : لقد اشتَرَك في المعركة ضدّ الحلاّج مزيج عجيب من المُرتَشين والقوّادين والزّنادقة ومُستَغِلّو النّفوذ .. ا.هـ .

لِذا فإنّ أبا العبّاس المُرْسيّ (انظر لطائف المنن لِلشعرانيّ /٤٩٧) وابن خِلّكان (انظر طبقات الشّعرانيّ /٢٩) يقرّران واقعاً ويُقِرّان حقيقةً حين يؤكّدون بأنّ الحلاّج لمْ يَثْبُت عنْه ما يُوجب القتل .

على أنّا لا نُطْلِق العنان لإساءة الظّنّ في كُلّ مَن أفْتَى بكفر الحلاّج أو بتخطئته ؛ فلَرُبّما كان داعي بعضهم إلى ذلك حميّتهم لِدين الله تعالى مع قلّة الفهم وضيق الأفق ومحدوديّة الإدراك ، ولَعلّ القاضي =

- أبا عُمَر يكون أحد هؤلاء إذا أطلَقْنَا العنان لِحُسْن الظَّنّ ، وإنْ كان هذا لا يُعفي أحداً شارَك في تلك المَهْزَلة والكارثة التي أوْدَت بحياة الحلاّج .

إلا أنّه وفي الجهة الأخرى نَجِد الكثيرين قدْ أنْصَفوا الإمام الحلاّج ﷺ وقالوا فيه قولة حقّ ، منهم على سبيل المثال لا الحصر : **وزراء عصرِه** : عَلِيّ بن عيسى وحمد بن عليّ القنائيّ والدّولابيّ ونعمان ومحمد بن عبد الحميد ، **والأمراء** : الحسين بن حمدان ونصْر القشوريّ ، **وولاة عصرِه** : أبو بكْر المارَائيّ ونجح الطّولونيّ ، **والعلماء** : أبو العباس بن عطاء ومحمد بن جعفر الشّيرازيّ وأبو القاسم النّصْرآباذي وأبو القاسم القُشَيْرِيّ وحُجّة الإسلام الغزاليّ وفريد الدين العطّار وشهاب الدين بن الغزاليّ وأبو القاسم القُشَيْرِيّ والسيّد أحمد البدوي وأبي أبو العبّاس المُرْسيّ .

وهذه بعض أقوالهم لِمَن أراد الاستزادة :

* **نصْر الحاجب** : إنّه مظلوم ، وإنّه رجل من العُبّاد .. سِيَر أعلام النُبَلاء ١٤/٤٤١
* **ابن خفيف** : الحسين بن منصور عالِم ربّانيّ .. تاريخ بغداد ٨/١١٢

: إنْ كان الذي رَأيتُه منه في الحبس لم يَكُنْ توحيداً فليس في الدُّنْيا توحيد ..

بداية حال الحلاّج (١١) .

* **النّصْرآباذي** : إنْ كان بَعْد النّبيّين والصدّيقين مُوَحِّد فهو الحلاّج .. تاريخ بغداد ٨/١٢١
* **أمّا الإمام الغزاليّ** : فيروي قصّةً في إحيائه تدلّ على مَدَى تَمَكُّن الحلاّج في ميادين التّوْحيد ؛ حيْث يقول : ... وهذه المشاهَدة التي لا يَظْهَر فيها إلا الواحد الحقّ تارةً تدوم وتارةً تَطْرَأ كالبَرْق الخاطف وهو الأكثر ، والدّوام نادر عزيز ، وإلى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاّج ؛ حيث رأى الخوّاص يَدُور في الأسفار فقال :" في ماذا أنت ؟ " فقال :" أدُور في الأسفار لأُصَحِّح حالتي في التّوَكُّل " وقد كان من المتوكّلين ، فقال الحسين :" قدْ أفْنَيْتَ عُمُرَك في عمران باطِنك ، فأين الفَناء في التّوْحيد ؟! " فكأنّ الخوّاص كان في تصحيح المقام الثّالث في التّوْحيد فطالَبه بالمقام الرّابع ..

إحياء علوم الدين ٤/٢٤٧

* **أمّا أبو العباس بن سريج** : فهو أحَد القضاة الذين حَضَروا محاكَمة الحلاّج الأولى وكان حَجَر العثرة في سبيل وصول مَدَنة الحُكْم إلى مأربهم من الإفتاء بحِلّ دمه عندما رَفَض أنْ يمالئ في قبول الحُكْم بحِلّ دم الحلاّج ..

وإليك بعضاً مِمّا وَرَد عنه ﷺ :

عنْ إبراهيم بن شيبان قال : دَخَلْتُ على ابن سُرَيْج يوْم قُتِل الحلاّج فقُلْتُ :" يا أبا العبّاس .. ما تقول في فتوى هؤلاء في قتْل هذا الرّجُل ؟ " قال : لعلّهم نَسَوْا قول الله تعالى ﴿ **أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّه** ﴾ !! .. أخبار الحلاّج رقم (٧١) .

وقال الواسطيّ : قُلْتُ لابن سُرَيْج :" ما تقول في الحلاّج ؟ " قال : أمّا أنا فأراه حافظاً للقرآن -

= عالِماً به ، ماهراً في الفقه ، عالِماً بالحديث والأخبار والسُّنَن ، صائماً الدَّهر قائماً اللَّيْل ، يعظ ويبكي ، ويَتَكلَّم بكلام لا أفْهَمه ، فلا أحكُم بكفره .. أخبار الحلاّج رقم (٧٢) .

وسُئِل عن قول الحلاّج :" أنَا الحَقّ " فقال :" هذا رَجُل خَفِي عَلَيّ حاله ، وما أقول فيه شيئا ..

وفيات الأعيان ٢/١٤٤

أمّا عن عقيدة الإمام الحلاّج ﷺ :

فها هو يجاهِر - كما سَبَق بيانه - أمام الذين أفْتَوْا بكُفْرِه وحِلّ دمه بأنّ معتقَده الإسلام ومذهبه السُّنَّة وأنّه يقول بتفضيل أبي بكْر وعُمَر وعثمان وعَلِيّ وطلحة والزُّبَيْر وسَعْد وسعيد وعبد الرَّحْمن ابن عوف وأبي عبيدة بن الجرّاح ، فأين هذا مِن ادّعائهم نِسْبته إلى القَرْمَطَة والتَّشَيُّع ؟!

بل إنّ ابن كثير يَرْوِي لنا - أيضاً - إنكار واستنكار الحلاّج لِمَا نُسِب إليه مِن ادّعَاء النُّبُوّة أو الرّبوبيّة فيقول : قال :" أعوذ بالله أنْ أدّعِي الرُّبوبيّة أو النُّبُوّة ، وإنّما أنا رجل أعبد الله وأُكْثِر له الصَّوْم والصّلاة وفِعْل الخير لا أعْرِف غيْر ذلك " ، وجَعَل لا يزيد على الشّهادتيْن والتَّوْحِيد ويُكْثِر أنْ يقول " سبحانك لا إله إلا أنت .. عَمِلْتُ سوءاً وظَلَمْتُ نَفْسي ، فاغْفِرْ لي إنّه لا يَغْفِر الذّنوب إلا أنت " وكانت عليه مدرعة سوداء وفي رِجْلَيْه ثلاثة عَشَر قيداً ، والمدرعة واصلة إلى رُكْبَتَيْه ، والقيود واصلة إلى رُكْبَتَيْه أيضاً ، وكان مع ذلك يصلّي في كُلّ يوْم وليلة ألْف ركعة ..

البداية والنّهاية ١١/١٤٠

وهذه بعض كلمات الحلاّج في التَّوْحيد الّتي تَنْفِي عنْه أيّ شبهة لادّعاء الرّبوبيّة أو الحلول وتَتقاصر عقول هؤلاء الذين أفْتَوْا بكفْره وتابِعوهم عن إدراك مَعانيها وفَهْم مَغازيها ، فضلاً عن أنْ يَستَطِيعوا أنْ يأتوا بمِثْلها ..

وإليك بعضاً مِن أقواله هذه والتي نُذَيِّلها ببعض حِكَمه ونصائحه لِسالكي طريق الحقّ :

- إنّ الله تَبارك وتعالى وله الحمد ذات واحد قائم بنَفْسه ، مُنْفَرِد عن غيْره بقِدَمه ، مُتَوحِّد عَمّنْ سِوَاه بربوبيّته ، لا يمازِجه شيء ، ولا يخالِطه غيْر ، ولا يَحْوِيه مكان ، ولا يُدْرِكه زمان ، ولا تُقَدِّره فكرة ولا تُصَوِّره خطرة ، ولا تُدْرِكه نظرة ، ولا تعتريه فترة .. أخبار الحلاّج (١٢) .

- أَلْزِم الكُلّ الحدثَ ؛ لأنّ القِدَم له ، فالذي بالجسم ظهورُه فالعَرَضُ يَلْزَمه ، والذي بالإرادة اجتماعُه فقُوَاها تُمْسِكُه ، والذي يُؤَلِّفه وقْت يُفَرِّقه وقْت ، والذي يُقِيمه غيْرُه فالضّرورة تَمَسُّه ، والذي يَظْفَر به الوهم فالتَّصْوير يَرْتَقِي إليْه ، ومَن آواه مَحَلّ أدْرَكَه أينٌ ، ومَن كان له جِنْس طاله كيْف .. إنّه تعالى لا يُظِلّه فوْق ، ولا يُقِلّه تَحْت ، ولا يقابِله حدّ ، ولا يزاحِمه عنْد ، ولا يأخذه خَلْف ، ولا يَحُدّه أمام ، ولا يظْهره قَبْل ، ولا يُفْنِيه بَعْد ، ولا يَجْمعه كُلّ ، ولا يوجِده مكان ، ولا يُفْقِده ليس .. وصفه لا صفة له ، وفِعْله لا علّة له ، وكوْنه لا أمَد له .. تَنَزَّه عن أحوال خَلْقه ، ليس له مِن خَلْقه مِزاج ولا في فِعْله علاج ، بايَنهم بقِدَمه كما بايَنوه بحدوثهم .. إنْ قُلْتَ :" متى ؟ " فقدْ سَبَق الوقتَ كَوْنُه ، وإنْ قُلْتَ =

= " هو " فالهاء والواو خَلْقه ، وإنْ قُلْتَ :" أين ؟ " فقدْ تَقَدَّم المكانَ وجودُه .. فالحروف آياتـه ، ووجوده إثباته ، ومعرفته توحيده ، وتوحيده تمييزه من خَلْقه ، ما تُصُوِّر في الأوهام فهو بخلافه .. كيف يحلّ به ما منه بدأ ؟! أو يَعُود إليه ما هو أنشأه ؟! لا تُماثِله العيون ، ولا تُقابِله الظّنون قُرْبه كرامته ، وبُعْده إهانته .. [illegible] من غير تَوَقُّل ، ومجيئه من غير تَنَقُّل ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِن ﴾ القريب البعيد ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير ﴾ .. أخبار الحلاّج (١٣) .

– مَن ظنّ أنّ الإلهيّة تمتزج بالبشريّة والبشريّةُ بالإلهيّة فقدْ كَفَر ؛ فإنّ الله تعالى تَفَرَّد بذاته وصفاته عنْ ذوات الخَلْق وصفاتهم ، فلا يُشْبِههم بوجه من الوجوه ولا يُشْبِهونه بشيء من الأشياء ، وكيف يُتَصَوَّر الشَّبَه بيْن القديم والمُحْدَث ؟! ومَن زَعَم أنّ البارئ في مكان أو على مكان أو متّصِل بمكان أو يُتَصَوَّر على الضّمير أو يُتخايَل في الأوهام أو يدْخل تَحْت الصِّفة والنّعْت فقدْ أشْرَك .. أخبار الحلاّج (٢٥) .

– صفات البشريّة لسان الحُجّة على ثبوت صفات الصّمديّة ، وصِفات الصّمديّة لسان الإشارة إلى فَنَاء صفات البشريّة ، وهُمَا طريقان إلى معرفة الأصل الذي هو قوام التّوْحيد .. أخبار الحلاّج (٢٩) .

– مَن لاحَظ الأزليّة والأبديّة وغمض عيْنيْه عمّا بيْنهما فقدْ أثْبَت التّوْحيد ، ومَن غمض عيْنيْه عن الأزليّة والأبديّة ولاحَظ ما بيْنهما فقدْ أتَى بالعبادة ، ومَن أعْرَض عن البيْن والطّرفيْن فقدْ تَمَسَّك بعروة الحقيقة .. أخبار الحلاّج (٣١) .

– يا مَن أسْكَرني بحُبّه وحيّرَني في ميادين قُرْبه .. أنت المُنْفَرِد بـالقِدَم ، والمُتَوَحِّد بالقيام على مَقْعَد الصِّدْق .. قيامك بالعدل لا بالاعتدال ، وبُعْدك بالعزل لا بالاعتزال ، وحضورك بـالعِلْم لا بالانتقال ، وغيْبتك بالاحتجاب لا بالارتجال ، فلا شيء فوقك فيُظلّك ، ولا شيء تحتك فيُقِلّك ، ولا أمامك شيء فيَحُدّك ، ولا وراءك شيء فيُدركك .. أسألك بحرمة هذه الرُّتَب المقبولة والمراتب المسئولة ألاّ تَرُدّني إليّ بَعْدما اخْتَطَفْتَني منّي ، و[illegible] بريبي نفْسي بَعْدما حَجَبْتَها عنّي .. اخبار الحلاّج (٥) .

– لا يَعْرِف الحقّ إلا مَن يُعَرِّفُهُ لا يَعْرِف القِدَميّ المُحْدَثُ الفانِي
لا يُستَدَلّ على الباري بصَنْعَتِهِ رأيْتُمُ حَدَثاً يُنْبِي عن ازْمانِ ؟!

ديوان الحلاّج /١٨٨

– إنّ الله تعالى لا تحيط به القلوب ولا تُدركه الأبصار ، ولا تُمْسِكه الأماكن ولا تحويه الجهات ، ولا يُتَصَوَّر في الأوهام ولا يُتخايَل لِلفكر ، ولا يدْخل تحْت كيْف ولا يُنْعَت بالشَّرْح والوصْف ، ولا تَتَحَرّك ولا تَسْكُن ولا تَتنفّس إلا وهو معك .. فانظر كيف تعيش ، وهذا لسان العوامّ ، وأمّا لسان الخواصّ فلا نُطْق له ، والحقّ حقّ ، والعبد باطِل ، وإذا اجتمَع الحقّ والباطل فيُضْرَب بالحقّ على الباطل فيَدْمغه فإذا هو زاهق ، ولكم الويْل ممّا تصفون .. أخبار الحلاّج (٣٧) .

– مَن قال " عَرَفْتُه بفقدي " فالمفقود كيف يَعْرِف الموجود ؟! ، ومَن قال " عَرَفْتُه بوجودي " فقديمان لا يكونان ، ومَن قال " عَرَفْتُه حين جَهِلْتُه " فالجهل حِجَاب ، والمعرفة وراء الحجاب لا حقيقة لها ، =

= ومَن قال " عَرَفتُه بالاسم " فالاسم لا يفارق المسمَّى ؛ لأنّه ليس بمخلوق ، ومَن قال " عَرَفتُه به " فقدْ أشار إلى معروفيْن ، ومَن قال " عَرَفتُه بصنْعه " فقد اكْتَفَى بالصُّنْع دون الصّانع ، ومَن قال " عَرَفتُه بالعجز عن معرفته " فالعاجز مُنْقَطِع ، والمُنْقَطِع كيف يُدْرِك المَعارف ؟! ، ومَن قال " كما عَرَّفني عَرَفتُه " فقدْ أشار إلى العِلْم فرجع إلى المعلوم ، والمعلوم يفارق الذّات ، ومَن فارَق الذّات كيف يُدْرِك الذّات ؟! ، ومَن قال " عَرَفتُه كما وصَف نَفْسه " فقدْ قنع بالخبر دون الأثر ، ومَن قال " عَرَفتُه على حدّيْن " فالمعروف شيء واحد لا يَتَجَزّأ ولا يتبعّض ، ومَن قال " المعروف عرّف نَفْسه " فقدْ أقَرّ بأنّ العارف في البيْن مُتَكلِّف به ؛ لأنّ المعروف لم يَزَلْ كان عارفاً بنَفْسه .. يا عَجَباً مِمَّن لا يَعْرِف شَعْرَةً مِن بَدَنه كيف تَنْبُت سوداء أم بيضاء كيف يَعرف مُكَوِّن الأشياء ؟! .. مَن لا يَعْرِف المُجْمَل ولا المُفَصَّل ولا يَعْرِف الآخِر والأوّل والتّصاريف والعِلَل والحقائق والحيَل لا تصحّ له معرفة مَن لم يزل .. سبحان مَن حَجَبهم بالاسْم والرَّسْم والوَسْم .. حَجَبهم بالقال والحال والكمال والجلال عن الذي لم يَزَلْ ولا يَزال .. القلب مضغة جوفانيّة ، فالمعرفة لا تَسْتَقِرّ فيها ؛ لأنّها ربّانيّة .. الفهم طولٌ وعَرْضٌ ، والمطالَعات سُنَن وفَرْض ، والخَلْق كُلّهم في السّماء والأرض ، وليس لِلمعرفة طولٌ ولا عَرْض ، ولا تَسْكُن في السّماء ولا الأرض ، ولا تَسْتَقِرّ في الظّواهر والبواطن مِثْل السُّنَن والفَرْض .. ومَن قال " عَرَفتُه على الحقيقة " فقدْ جَعَل وجوده أعظَم مِن وجود المعروف ؛ لأنّ مَن عرف شيئاً على الحقيقة فقدْ صار أقْوَى مِن معروفه حين عَرَفه .. يا هذا ما في الكون أقَلّ مِن الذَّرّة ، وأنت لا تُدْرِكها ، فمَن لا يَعْرِف الذَّرّة كيف يَعْرِف ما هو أدَقّ منها بتحقيق ؟! .. الطّواسين (١١) .

– اعلم أنّ العبد إذا وحّد ربّه فقدْ أثْبَت نَفْسه ، ومَن أثْبَت نَفْسه فقدْ أتَى بالشِّرْك الخفيّ ، وإنّما الله تعالى هو الذي وَحّد نَفْسه على لسان مَن شاء مِن خَلْقه ، فلو وَحّد نَفْسه على لساني فهو وشأنه ؛ ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ ..

مَن رامه بالعقل مُسْتَرْشِداً أسْرَحَه في حيرةٍ يَلْهُو
قدْ شاب بالتّدْليس أسْرَارَهُ يقول في حيرتِهِ : هلْ هُو ؟!

أخبار الحلاّج (٦٣) .

– التّوْحيد تمييز الحدث عن القِدَم ثُمّ الإعراض عن الحدث والإقبال على القِدَم ، وهذا حشْو التّوْحيد ، وأمّا مَحْضه فالفَناء بالقِدَم عن الحدث ، وأمّا حقيقة التّوْحيد فليس لأحد إليه سبيل إلا لرسول الله ﷺ .

أخبار الحلاّج (٦٣) .

– ما انْفَصلَت البشريّة عنْه ولا اتّصلَت به .. سيَر أعلام النُّبلاء ٣٢٦/١٤

– الفكرة في ذاته والخطرة في صفاته والنُّطْق في إثباته من الذّنْب العظيم والتّكَبُّر الكبير .

أخبار الحلاّج (١٢) .

– دَعْوَى العِلْم جَهْل .. تَوالي الخدمة سقوط الحرمة .. الاحتراز مِن حَرْبه جنون .. الاغترار بصَلْحه =

- حماقة .. النُطق في صفاته هَوَس .. السّكوت عن إثباته خَرَس .. طلبُ القُرْب منه جسارة ، والرِّضا ببُعْده من دناءة الهمّة .. أخبار الحلاّج (١٤) .

- الحقّ تعالى عن الأين والمكان ، وتَفَرّد عن الوقت والزمان ، وتَنَزّه عن القلب والجَنان ، واحتَجَب عن الكشف والبيان ، وتَقَدّس عن إدراك العيون وعمّا تحيط به أوهام الظّنون ، تَفَرّد عن الخَلْق بالقِدَم كما تَفَرّدوا عنه بالحدوث ، فمَن كانت هذه صفته كيف يُطلَب السّبيل إليه ؟!

فقُلْتُ : أخلاّئي هي الشّمْس ضوؤها قريب ولكنْ في تَناوُلها بُعْدُ

أخبار الحلاّج (٥١) .

- أمَر بشهادة وحدانيّته ، ونهى عن وصف كُنْه هويّته ، وحرّم على القلوب الخَوْضَ في كيفيّته ، وأفْحَم الخواطر عن إدراك لاهوتيّته ، فليس منه يَبْدو لِلخَلْق إلا الخبر ، والخبر يَحتَمِل الصّدْق والكذب فسبحانه من عزيز يَتَجَلّى لأحد من غير عِلّة ، ويَستَتر عن أحد من غير سبب .. أخبار الحلاّج (٥٣) .

- ما وَحّد اللهَ غيرُ الله ، وما عَرَف حقيقة التّوْحيد غير رسول الله ﷺ .. أخبار الحلاّج (٥٧) .

- مَن التَمَس الحقّ بنور الإيمان كان كمَنْ طَلَب الشّمْس بنور الكواكب .. سيَر أعلام النُبَلاء ٣٢٦/١٤

- المعرفة وراء الوراء ، ووراء المدى ، ووراء الهمّة ، ووراء الأسرار ، ووراء الأخبار ، ووراء الإدراك .. هذه كلّها شيء لم يَكُنْ فكان ، والذي لم يَكُنْ ثُمّ كان لا يَحْصُل إلا في مكان ، والذي لم يَزَلْ كان قَبْل الجهات والعلاّت والآلات كيف تَتضمّنه الجهات وكيف تَلْحقه النّهايات ؟! ..

الطّواسين (١١) .

- كما كان الله أوْجد الأجسام بلا علّة كذلك أوْجَد فيها صفاتها بلا علّة ، كما لا يَملك العبد أصل فِعْله كذلك لا يَملك فِعْله .. مُلْحَق أخبار الحلاّج (١) .

- إنّ لله عباداً اختارهم من خَلْقه واصْطَفاهم لِنَفْسه وانْتَخَبهم لِسِرّه ، وأطْلَعهم على لطيف حكْمته ومَخزون عِلْمه .. أفناهم عن أوصافهم النّاشئة عن طبائعهم ، ولم يَرُدّهم إلى علومهم المُستَخْرَجة بحُكْم عقولهم ، ولم يُخرِجهم إلى المرسوم من حكمة الحكماء ، بلْ كان هو لسانهم الذي به يَنْطِقون وبصرهم الذي به يُبصرون وأسماعهم التي بها يسمَعون وأيْديهم التي بها يَبْطِشون وقلوبهم التي بها يَتَفَكّرون ، بان عنْ حلول في ذواتهم ، فأبْدَى الأشياء فيما بينه وبينهم .. قَهَر كُلّ موجود وغَمَر كُلّ محدود وأفْنَى كُلّ معهود .. ظَهَر لأهْل صفوته ، ولم يَجْعَل لِلعِلْم إلى كيفيّة ذلك سبيلاً ولا إلى بحْث ذلك تمثيلا .

- الطّريق بيْن اثْنَيْن ، وليس مع الله أحد .. أخبار الحلاّج (٥٠) .

- مَن خاف من شيء سوَى الله أو رجا سِوَاه أغْلَق عليه أبواب كُلّ شيء وسلّط عليه المخافة وحَجَبه بسبعين حجاباً أيْسَرها الشّكّ .. الرّسالة القُشَيْرِيّة /١٠٣

- مَن لاحَظ الأعمالَ حُجِب عن المعمول له ، ومَن لاحَظ المعمولَ له حُجِب عنْ رؤية الأعمال .

مُلْحَق أخبار الحلاّج (١) .-

= - التَّوْبة مِمَّا لا تَعْلَم تَبْعَثُك على التَّوْبة مِمَّا تَعْلَم ، والشُّكْر على ما لا تَعْلَم يَبْعَثُك علـى الشُّكْر على ما تَعْلَم .

- سَمَّاه الحقّ " أُمِّيّاً " لِجَمْع هِمَّته ، و" حَرَمِيّاً " لِعِظَم نِعْمته ، و" مَكِّيّاً " لِتمكينه عند قُرْبَته .

الطّواسين (١) .

- الحقّ هو المقصود إليه بالعبادات والمصمود إليه بالطّاعات ، لا يُشْهَد بغيْره ولا يُدْرَك بِسِواه ، بروائح مراعاته تقوم الصِّفات ، وبالجَمْع إليه تُدْرَك الدّرجات .. مُلْحَق أخبار الحلاّج (١) .

- مَن أراد الحريّة فلْيَصِل لِلعبوديّة .

- إنْ لم تَشْغَل نَفْسك بالخير شغلَتْك بالشرّ ؛ لأنّها لا تَتْرُك نَفْسَها مُهْمَلَةً طرفة عيْن مِن حين كُلِّفَت .

أخبار الحلاّج (٦٥) .

- لا يَجُوز لِمَن يَرَى أحداً أو يَذْكُر أحداً أنْ يقول : إنّي عَرَفْتُ الأحد الذي ظَهَرَت منه الآحاد ..

مُلْحَق أخبار الحلاّج (١) .

- علامة العارف أنْ يكون فارغاً مِن الدُّنْيا والآخرة .. مُلْحَق أخبار الحلاّج (١) .

- خاطِر الحقّ هو الذي لا يعارِضه شيء .. مُلْحَق أخبار الحلاّج (١) .

- انْفَرَد موسى لِلحقّ فانْفَرَد الحقّ به في جميع مَعانيـه ، وصـار الحـقّ مُواجِهَـه فـي كُلّ منظور إليه ومُقابِله دون كُلّ محضور لديه على الكشف الظّاهر عليه لا على الغيب .. مُلْحَق أخبار الحلاّج (١) .

- ألْسنة مُسْتَنْطَقات تَحْت نُطْقها مُسْتَهْلَكات ، وأنْفُس مُسْتَعْمَلات تَحْت استِعْمالها مُسْتَهْلَكات .

مُلْحَق أخبار الحلاّج (١) .

- المريد هو الرامي بأول قَصْده إلى الله تعالى ، فلا يعرج حتّى يَصِل .. مُلْحَق أخبار الحلاّج (١) .

- المريد : الخارج عن أسباب الدّارَيْن أَثَرَةً بذلك على أهْلها .. مُلْحَق أخبار الحلاّج (١) .

- الصّوفيّ وحدانيّ الذّات ؛ لا يَقْبَله أحد ، ولا يَقْبَل أحدا .

- الحقّ مُعِلّ الأنام ولا يَعْتَلّ .. الرّسالة القُشَيْرِيّة /٢٣٤

- حقيقة المحبّة قيامك مع محبوبك بخَلْع أوصافك .. الرّسالة القُشَيْرِيّة /٢٥٠

- حُسْن الخُلُق هو أنْ لا يُؤَثِّر فيك جفاء الخَلْق بَعْد مطالعتك لِلحقّ .

- إنّ الأنبياء سُلِّطوا على الأحوال فملَكوها ، فَهُمْ يُصَرِّفونها لا الأحوال تُصَرِّفهم ، وغيْرهم سُلِّطَت عليهم الأحوال ، فالأحوال تُصَرِّفهم لا هُمْ يُصَرِّفون الأحوال .. مُلْحَق أخبار الحلاّج (١) .

- مَن ظَنّ أنّه يُرْضيه بالخدمة فقَدْ جَعَل لِرِضاه ثَمَنا .

- المتوكّل الحقّ لا يأكل وفي البلد مَن هو أحقّ منه بذلك الأكل .

- إلهي .. أنت تَعْلَم عجزي عن مواضع شُكْرك ، فاشكُرْ نَفْسك عنّي ؛ فإنّه الشّكْر لا غيْر ..

مُلْحَق أخبار الحلاّج (١) .=

إذا دَهَمَتْـك خيـول البِعَـادِ ونـادَى الإيـاسُ بقَطْـع الرَجَـا
فَخُذْ في شمالك تِرْس الخضـو ع وشُـدَّ اليمينَ بسـيف البُكَـا
ونَفْسَـك نَفْسَـك كُـنْ خائفـاً علـى حـذرٍ مِـن كميـن الجَفَـا
فإنْ جـاءك الهجرُ في ظُلْمَـةٍ فَسِرْ في مَشـاعِل نـور الصَّفَـا
وقُلْ لِلحبيـب : تَـرَى ذِلَّتِـي فَجُـدْ لـي بعفـوك قَبْـل اللِّقَـا
فوالحبِّ لا تَنْثَنِي راجِعـاً عن الحُبِّ إلا بِعَوْض المُنَـى

ديوان الحلاّج /١٦٩

ثانياً : السّبب الثاني :

العامل الأول : بوْحه بما يلزم فيه الكتمان :

لقدْ كان الحلاّج ﷺ واحداً مِن أكابر أهْل العرفان في عصْره ، وكانت له مشاهَدات ومنازَلات يَقْصُر عن فهْمها خواصّ النّاس فضلاً عن عامّتهم ، ولقدْ كانت هذه العرفانيّات حِمْلاً ثقيلاً تنوء عن حَمْله الجبال الرّاسيات ..

ولا عَجَب في ذلك ؛ فالله تعالى يخاطِب النّبيّ الكريم ﷺ قائلا ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ .

وهذا الإمام الشّبْليّ يقول : مَن أُطْلِع على ذرّة مِن التّوْحيد ضَعُف عن حَمْل نَبْقَة ؛ لِثِقَل ما حُمِّله ..

الرّسالة القُشَيْريّة /٢٣٤

وقدْ كان الحلاّج أحد الذين غَلَبَتهم أحوالهم ، لِذا فإنّا نَجِده ﷺ يُشير إلى ذلك بقوله : لـو أُلْقِي مِمّا في قلبي ذرّة على جبال الأرض لَذابت .. أخبار الحلاّج (١١) وحَلّ الرّموز /٩٣

إلا أنّ ذلك الحِمْل الثّقيل وتلك التّجليات الرّبّانيّة والمشاهَدات العرفانيّة تَكون أغْلَب ما تَكون مشروطةً بعدم البوح بها إلا لِمَن كان مأذوناً بذلك ؛ ربّما كان ذلك حتّى لا يُحْسَد كما فَعَل إخوة سَيِّدنا يوسف معه عندما قَصّ عليهم رؤياه ، وربّما حتّى لا يَفْتِنّ بهذه العبارات مَن ليس مِن أهْل التّصَوُّف ولا يَعْرِف إشاراتهم ورموزهم ، وربّما مراعاةً لِعامِل الزّمَن الذي لم يَكُنْ أهْله قد اسْتَوْعَبوا فيه إشارات الصّوفيّة واصطلاحاتهم ، وربّما لِضيق العبارة عن احتواء فيوضات المَعاني سيّما إذا كان القائل غيْر مأذون له ..

وها هو الحلاّج يقول : مَن لمْ يَقِف على إشاراتنا لم تُرْشِدْه عباراتنا .

وأنْشَد مرّةً أبياتاً غامضة المعنى فلمّا سُئِل عن معناها قال : لا يُسَلَّم لأحد معناها إلا لِرسول الله ﷺ استحقاقاً ولي تبعا .. أخبار الحلاّج (٥٠) .

فإذا ما باح الوليّ بما يَلْزَم كتمانه عُوقِب ، ولله دَرّ قائلهم :

وفي السِّرّ أسرار دقاقٌ لطيفةٌ تُرَاق دمانا جَهْرةً لو بها بُحْنَا

- ويُقَرِّر السُّهْرَوَرْدِيّ هذا بقوله :

بالسِّرّ إنْ باحوا تُباح دماؤهمْ وكذا دماء البائحين تُبَاحُ

لطائف المنن /١٥٧

وهذا الشِّبْلِيّ يقول : المُحِبّ إذا سكت هلك ، والعارف إذا لم يَسكُت هلك ..

الرِّسالة القُشَيْرِيّة /٢٥١

لِذا .. فإنّ الإمام الجُنَيْد ﷺ كان لا يَتَكَلَّم قطّ في عِلْم التَّوْحيد إلا في قَعْر بيته بَعْد أنْ يُغْلِق أبواب داره ويأخذ مفاتيحها تَحْت وِركه ، ويقول : أتُحِبّون أنْ يُكَذِّب النّاس أولياء الله تعالى وخاصّته ويَرْمونهم بالزَّنْدقة والكفْر ؟! .. طبقات الشّعْرانيّ /٢٠

وها هو يَنْصَح الشِّبْلِيّ فيقول : لا تُفْشِ سرّ الله تعالى بيْن المحجوبين .. طبقات الشّعرانيّ /٢٠

لِذا فلا عَجَب حين يُقَرِّر الشِّبْلِيّ أنّ الحلاّج قدْ باح بما يجب أنْ يُكْتَم حين يقول : كُنْتُ أنا والحلاّج شيئاً واحداً إلا أنّه أظْهَر وكتمْت .. تاريخ بغداد ١١٢/٨

كما يُقَرِّر ذلك سلطان العلماء العزّ بن عبد السلام بقوله : فأمّا أهْل التّمكين : فإنّهم لَمّا عَلِموا وكتموا ما عَلِموا ؛ لِمَا يَعْلَمون من ضَعْف احتِمَال عقول أطفال العقول ، لِهذا فإنّ الحلاّج لَمّا عَلِم شيئاً من هذا العِلْم وتَفَوّه به فمه أبيح دمه ، وكان خطأه من حيث إظهاره ما يُكْتَم وإعلانه بما يُسَرّ ، فكان حُكْم مَن باح أنّ دمه يباح .. حلّ الرّموز ومفاتيح الكنوز /٩٢

ثُمّ يُفَسِّر ﷺ ما حَدَث لِلحلاّج من غلبة الحال بقوله في شرْح حديث التَّقَرُّب بالنّوافل : فجاءت خِلَع الجود على يد ﴿ فَبِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِر ﴾ فمَحَتْ هنالك الآنيّة وذهبَت الاثْنَيْنِيّة ، واسْتَحال تقدير البيْن في البيْن ، وتَعَذّر أنْ يصير الواحد اثْنيْن ؛ وذلك لاستحالة رؤية المُحِبّ مع المحبوب ، وإلى هذا المعنى أشار مَن غَلَب عليه سُكْره فقال في شطحاته " أنا الله " ؛ وذلك لأنّه مُتَكَلِّم لا بلسانه ، ناظِر لا بعيْنه ، سامع لا بأُذنه ، بلْ هو متكلِّم بلسان الحقّ ، سامِع بسمْعه ، ناظِر ببصره . حلّ الرّموز /٢٥

ويَنْقِل العزّ بن عبد السلام عن الإمام الغزاليّ قوله : هؤلاء قوْم غَلَبَت عليهم الأحوال حتّى قال الواحد " سبحاني " ، وقال الآخَر " ما أعْظَم شاني " ، وقال الآخَر " أنا الله " ، وقال الآخَر " ما في الجبّة إلا الله " ، فهؤلاء قوْم سكارى ، ومَجالس السكارى تُطْوَى ولا تُحْكَى .. انظر حلّ الرّموز /٩٩

لِذا يقول سيِّدي إبراهيم الدّسوقيّ ﷺ : يا أولادي .. إذا لم يُحْسِن أحدكم أنْ يعامِل مولاه فلا يَقَع في أحوال لا يَدْريها ؛ فإنّ القوم تارةً يَتَكَلّمون بلسان التّمْزيق وتارةً بلسان التّحْقيق بحسب الحضرات التي يَدْخُلونها ، وأنت يا ولدي لم تَذُقْ حالهم ولا تَمَزّقْتَ ولا دَخَلْتَ حضراتهم ، فمِن أين لك أنّهم على الضّلال ؟! أفَتَعُوم يا ولدي البحر ولَسْتَ بعَوّام ؟! ثُمّ إذا غَرِقْتَ فقدْ مِتّ ميتةً جاهليّةً ؛ لأنّك أَلْقَيْتَ نَفْسك لِلْمَهالك ، والحقّ قدْ حَرّم عليك ذلك .. الجَوْهَرَة المُضيّة /١١٥ وانظر طبقات الشّعرانيّ /٢٨٨

ثُمّ يقول : واعلم يا ولدي أنّ ألْسُن القوم إذا دخلوا الحضرات مختلِفة ، وفي إشاراتهم وكلماتهم -

= ما يُفْهَم ومنها ما لا يُفْهَم ، وكذلك من أحوالهم ما يُعَبَّر عنه ومنه ما لا يُعَبَّر ، وكذلك في أسرارهم ما لا يَصِل إليه مؤوِّل ولا مُعَبِّر ولا مُطَّلِع ولا مُفَسِّر ؛ لأنّ أسرارهم مَوْضِع سِرّ الله تعالى ، وقد عَجَز القوم عن معرفة أسرار الله تعالى في أنفُسهم فكيف في غيْرهم ؟! فيجب عليك يا ولدي التَّسْليم لله في أمْر القوم وحَسِّن الظّنّ بهم لا غيْر ؛ فإنّي ناصِح لك يا ولدي ، وإذا رَمَيْتَ مَنْ يُحِبّه الله تعالى بالبهتان والزّور وتَجَرَّأْتَ على مَن قَرَّبه الله تعالى أبْغَضَك الله تعالى ومَقَتَك فلا تُفْلِح أبداً ولو كُنْتَ على عبادة الثَّقَلَيْن .. الجَوْهَرَة المُضيّة /١١٦ وانظر طبقات الشّعراني /٢٨٨

ويَنقل الشّعرانيّ عن صاحِب كتاب " الوحيد " قوله : لَمّا وشَوْا بذي النّون المصريّ ﷺ إلى بعض الخلفاء قال له الخليفة :" ما هذا الكلام الذي يقال فيك ؟ " فقال :" ما هو ؟ " قال :" قالوا : إنّك تقول كما يقول الحسين الحلاّج ؟ " فقال : لا أعْرِف ذلك إلا عند السّماع .. طبقات الشّعرانيّ /٢٧٢

أقول : وفي هذا إشارة إلى أنّ ذا النّون المصريّ ﷺ كان أمْلَك لِحاله من الحلاّج ﷺ .

ومِن نافلة القول أنْ نَذْكُر : أنّ الإنكار على الأولياء وإيذاءهم ومحارَبتهم كان - ولا زال - دَيْدَن الكثيرين من أصحاب العقائد الفاسدة والقلوب الجامدة ؛ فقدْ كَفَّر وقَتَل أبو بكْر النّابلسيّ وأبو القاسم ابن قسيّ وابن برجان والخوليّ والمرجانيّ ، ونَفى أبو يزيد البسطاميّ والحكيم التِّرْمذيّ ومحمد ابن الفضيل البلخيّ وأبو الحَسَن البوشنجيّ وأبو عثمان المغربيّ وأبو مَدْيَن المغربيّ وأبو القاسم النّصْرآباذيّ وأبو عبد الله الشّحريّ وأبو الحَسَن الشّاذليّ ، وكَفَّر أبو القاسم الجنيد وأبو الحسيْن النّوريّ وأبو سعيد الخرّاز وذو النّون المصريّ وتقيّ الدّين السّبكيّ وأبو الحَسَن الحصريّ وأبو حامد الغزاليّ ، ولولا وجود بعض أهْل الإنصاف لَحَدَثَت كوارث لا تَقِلّ فداحةً عن تلك التي حَدَثَت لِلحلاّج فبوجود قاضٍ مُنْصِفٍ عادلٍ كالقاضي إسماعيل بن إسحاق كُتِبَت النّجاة لِمجموعة كبيرة من الصُّوفيّة - وعلى رأسهم أبو الحسيْن النّوريّ - وكان قدْ بُسِط لهم النِّطْع وأُتِي بالسّيّاف لِيَقْطَع رءوسهم بدَعْوَى أنّهم زنادقة ، فلَمّا امْتَحَنَهم القاضي إسماعيل وعَرَف عقيدتهم وعلوّ علومهم قال : لو أنّ هؤلاء زنادقة فما على وجْه الأرْض مُسْلِم (راجِع هذا الكتاب من ١٠٧ - ١١٠ لِتَعْرِف القصّة كاملة) ..

ومِمّا يؤكّد أنّ الحلاج قدْ باح بما يجب أن يُكْتَم تصريحه بذلك في كثير من نَظْمه ، ومِن ذلك :

- الحُبّ ما دام مكتوماً على خَطَرِ ... وغاية الأمن أنْ تَنْتُو مِن الحَذَرِ
وأطْيَبُ الحُبّ ما نَمّ الحديث بهِ ... كالنّار لا تأتي نفعاً وهي في الحَجَرِ
مِن بَعْد ما حَضَرَ السّجّان واجتمع ... الأعوان واختَطّ اسمي صاحِب الخَبَرِ
أرْجو لِنَفْسي براءً مِن محبّتكمْ ... إذا تبرّأتُ مِن سمعي ومِن بَصَري

ديوان الحلاّج /١٣٦

- **وقال يوم قَتْله عندما اقتادوه وهو يَضْحَك ويَتَبَخْتَر في قيوده :**

نديمي غيْر منسوبٍ ... إلى شيءٍ مِن الْحَيْفِ =

- سَـــقَاني مِثْلَمَـــا يَشْـــرَ ... ب فعْـلَ الضَّيْـف بـــالضَّيْفِ
فلَمَّـــا دارت الـكـــأسُ ... دَعَـا بالـنِّـطْـعِ والـسِّـيْـفِ

أخبار الحلاّج (١٦) .

- وقال وقد أخذه وجْد وهو يرقص ورِجْلاه مرفوعتان عن الأرض :

مَـن لم يَصُنْ سِرّ مولاه وسَيِّدِهِ ... لم يأمنوه على الأسْرار مـن عاشَـا
وعاقَبوه على ما كان مِن زَلَلٍ ... وأبْدَلـوه كـان الأُنْـس إيحاشَـا
وجـانَبوه فلـم يَصْلُـح لِقُرْبِهِـمُ ... لَمّـا رَأَوْه علـى الأسـرار نَبّاشَـا
مَن أطْلَعوه على سِرٍّ فنَمّ بهِ ... فذاك مِثْلي بيْن النّاس قدْ طاشَا

ديوان الحلاّج /١٤٣

- سكِرْتُ مِن المعنى الذي هو طَيِّبُ ... ولكـنّ سُـكْرِي بالمحبّـة أعْجَـبُ
وما كُلّ السّكارَى يُحَدّ بواجـبٍ ... ففـي الحُـبّ سـكرانٌ ولا يَتَـأدّبُ
تَقُوم السّكارَى عن ثمانين جَلْدَةً ... صُحَاةً وسَكْـران المحبّة يُصْـلَبُ

ديوان الحلاّج /١٧٢

- أباحت دمـي إذ بـاح قلبـي بحُبّهـا ... وحَـلّ لهـا فـي حُكْمهـا مـا اسْـتَحَلّتِ
ومـا كُنْـتُ مِمّن يُظْهِر السِّـرّ إنّمـا ... عروس هواهـا فـي ضميري تَجَلّـتِ
وشـاهَدْتُها فاسْـتَغْرَقَتْني فكـرةً ... فغِبْـتُ بهـا عـنْ كُـلّ كلّـي وجُمْلَتِـي
وحَلّـت مَحَـلّ الكُـلّ منّـي بكُلّهـا ... فإيّـاي إيّاهـا إذا مـا تَبَـدّتِ
وألقت علـى سِـرّي أشـعّة نورِهـا ... فلاحـت لِجُلاّسـي خفايـا طويّتـي
ونَمّت على سِرّي فكـانت هـي التـي ... عليْهـا بهـا بيْـن البَرِيّـة نَمّـتِ
فإنْ أكُ فـي سُكْري شَطَحْتُ فإنّني ... حَكَـمْتُ بتَمْزيـق الفـؤاد المُفَتّـتِ
فـلا غَرْوَ أنْ أصْلِيتُ نـارَ تَحَرُّقِـي ... ونـار الهـوى لِلعاشـقين أُعِـدّتِ
ومِـن عَجَـبٍ أنّ الذيـن أُحِبّهـمْ ... وقـدْ عَلِقَـت أيـدي الهـوى بـأعِنّتي
سقوني وقالوا لا تُغَنّ ولـو سَـقَوْا ... جبـال حُنَيْـنٍ مـا سُـقِيتُ لَغَنّـتِ
تَمَنّت سُلَيْمَـى أنْ أمُـوت صبابةً ... وأهْـوَن شـيء عـندنـا مـا تَمَنّـتِ

حلّ الرّموز /٩٤ وديوان الحلاّج /١٧٤

- بالسِّرّ إنْ باحوا تُبَاح دماؤُهُمْ ... وكذا دماء البائحين تُبَاحُ

ديوان الحلاّج /١٧٥

- إنّي لَرَاضٍ بما يُرْضيك مِن تلفي ... يا قاتلي ولِمَا تَختار أختارُ

ديوان الحلاّج /١٧٨ -

- إنّ الحبيب الذي يرضيه سفْك دمي ... دمي حلالٌ له في الحِلّ والحَرَمِ
إنْ كان سَفْك دمي أقْصَى مرادِكُمُ ... فلا عَدَتْ نظرةٌ منكم بسَفْك دَمِي
واللهِ لو علِمَتْ رُوحِي بمَن عَلِقَتْ ... قامت على رأسها فضلاً عن القَدَمِ
يا لائمِي لا تُلمْنِي في هواه فلوْ ... عايَنْتَ منه الذي عايَنْتُ لم تَلُمِ
يَطُوف بالبيت قومٌ لا بجارحةٍ ... باللهِ طافوا فأغناهم عن الحَرَمِ
ضَحَّى الحبيب بنَفْسٍ يومَ عِيدِهِمُ ... والنّاس ضَحَّوْا بمِثْل الشّاءِ والنَّعَمِ
لِلنّاس حجٌّ ولي حجٌّ إلى سَكَنِي ... تُهْدَى الأضاحي وأُهْدي مهجتي ودمي

ديوان الحلاّج /١٨٦

- أمَا والذي لِدمي حَلَّلاَ ... ومَن خَصّ أهْلَ الولا بالبلاَ
لَئِنْ ذُقْتُ فيك كؤوس الحِمَامِ ... لَمَا قال قلبي لِساقيْه : لاَ
وما كُنْتُ مِمّا تَشاكَى الهوى ... ولو قَدَّني مَقْصَلاً مَقْصَلاَ
رضيتُ وحقِّك كُلّ الرِّضا ... إذا كان يُرْضيك أنْ أُقْتَلاَ
فلا عيْب إنْ مِتُّ موْت الكرامِ ... كما مات في الحُبّ مَن قَدْ خَلاَ

ديوان الحلاّج /١٩١

• وها هو ﷺ يقول قَبْل أمد مِن الحُكْم عليه وضرْبه بالسياط : ربّما أغفو غفوةً وأنادَى :(أنَامُ عَنّي !! إنْ نِمْتَ عَنّي لأَضْرِبَنّكَ بالسّيَاط) .

• ويقول : مَن أسكَرَتْه أنوار التّوْحيد حَجَبَتْه عن عبارة التجريد ، بلْ مَن أسكَرَتْه أنوار التّجْريد نَطَق عن حقائق التّوْحيد ؛ لأنّ السكران هو الذي يَنْطِق بكُلّ مكتوم .. مُلْحَق أخبار الحلاّج (١) .

على أنّ هناك سبباً آخَر ذَكَره البعض ـ أهْمَلْناه لِعدم قَناعتنا به ـ هو : أنّ الحلاّج أخَذ كتاباً يخصّ شيخه عمرو بن عثمان المكّيّ ﷺ ـ فيه علوم الخاصّة مِن القوم ـ دون أنْ يسْتأذِنه ، فدَعَا عمرو بن عثمان على مَن أخَذ الكتاب دون إذْنه بأنْ تُقْطَع يدَاه ورِجْلاه فكان كذلك ..

يقول الشّعرانيّ : وإنّما كان القول بتكفيره تستّراً على دعوة عمرو .. طبقات الشّعرانيّ /٢٧

أمّا العامل الثاني وهو : تَمَنّيه لأنْ يُقْتَل :

فإنّه ﷺ كان يَتَمَنّى ذلك ويَطلبه لأنّه كان في موطن يُعْرَف بموطن " الحيرة " .. ذلكم الموطن الذي لا يسعني عند الحديث عنه إلا تَرْك الكلام لِذوي الشأن وأهْل الاختصاص الذين لولاهم لَمَا عَرَفْنَا عن ذلك شيئاً ؛ فلا يُنَبّئك مِثْل خبير ، ولَعَلّنا نَكون مِن ذوي الفضل عَرَفْنَا الفضل لأهْله ورَدَدْنَا الفَرْع إلى أصْله ونَسَبْنَا الماء إلى نهْره والدُّرّ إلى بحْره ..

وعلى رأس هؤلاء السادة الأفاضل والأئمّة الأكابر الذين كان لنا شرف التّعلُّم منهم : مولانا الإمام فخر الدين السيّد محمد عثمان عبده البرهاني ﷺ ؛ فإنّ له عند كُلّ عقدة حَلاًّ ولِكُلّ غريبةٍ أصلاً وفي -

= كُلّ كريمةٍ فضلا .

يقول ﷺ في شرْح مراتب السَّيْر : ... وهكذا يَستَمِرّ فى التَّرَحُّل مِن اسم إلى آخَر حتّى يَصِل إلى الاسم " الصّبور " فيَعْرِف مفهومات الأسْماء الإلهيّة وتصاريفها ومُقْتضياتها وخواصّها ومَدْلولاتها ووجْه الله مِن كُلّ اسم ، وهذا هو الإحصاء المقصود ، وقد قيل :

وَمَنْ يُحْصِهِ حَالاً يَكُونُ مُؤَيَّدَا وَمَنْ يُحْصِهِ قَالاً يَكُونُ مُوَحِّداً

أيْ أنّ الإحصاء لا يُقْصَد به الحِفْظ كما يَفْعَل الصِّبْيَة الصِّغار فى الخلاوى والمدارس ، ثُمّ بَعْد ذلك يرجع المريد مِن الله بَعْد أنْ أصبَح عالِماً ، وبذلك يصير مُرْشِداً يجوز له إرشاد النّاس والسَّيْر بهم كما قال جَلّ وعلا ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ * يَوْمَ هُم بَارِزُونَ ﴾ ، وهذه هي حالة السَّيْر في الله .

وبيْن كُلّ موطن وموطن أو مرحلة ومرحلة حيرة ، وهي التى يشير إليها ساداتنا الصّوفيّة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ في قصائدهم ..

ومِن ذلك : ما قاله الشَّيْخ ابن الفارض عليه رضوان الله تعالى :

زِدْني بفَرْطِ الحُبِّ فِيكَ تَحَيُّرَا وارْحَمْ حَشىً بِلَظَى هَوَاكَ تَسَعُّرَا

وقصّة الشَّيْخ أبي المغيث الحسين بن منصور الحلاّج ـ رضوان الله تعالى عليه ـ تُوَضِّح موضع الحيرة فى أظْهَر معانيها ؛ فلقد رُوِي عنه أنّه كان يقول دائما :" يا أيّها المُسْلِمون .. اقتلونى تُؤْجَروا وأستَرِحْ " ويلومه النّاس ويعنّفونه ويقولون له :" أنت إمام جليل تَحَفَّظ الكتاب والحديث وتَعْرِف التّفْسير والنّفِيس مِن العلوم وعلوم الشّريعة واللُّغة وغيْرها مِن العلوم الجمّة ، فكيف يصحّ قتْلك ؟! " ، ولكنّه كان يُرَدِّد قوله هذا ، ويشاء الله أنْ يستجيب له فيُؤْمَر به إلى السِّجْن في قصّته المشهورة وقولته المعروفة " ما في الجبّة إلا الله " ، وقدْ حُكِم عليه بالشَّنْق لاتّهامه زوراً وبهتاناً بالكفر ، وسنُورِد في نهاية هذا المقال تبرئته مِن ذلك ، وقد ارتاح هو لِذلك الحُكْم ؛ إذْ كان ذلك مَقْصِده ومُنَاه ...

تبرئة الذِّمّة /٢٧٤

ثُمّ يقول الإمام فخْر الدِّين ﷺ : ... ثُمّ مَرّ (أي الحلاّج) بحيّ يُطْلَق عليه اسم " حارة اليهود " فسأل السَّجّان عن اسم ذلك الحيّ فرَدّ عليْه السَّجّان قائلاً :" حارة اليهود " بقفل التّاء ، ولِحيرة الشَّيْخ الحلاّج ـ رضوان الله تعالى عليه ـ أخَذ الموضوع لِموطن الحيرة وفَهِم مِن كلام السَّجّان أنْ يكون قال له " حارَت اليهود " بفتح الرّاء وسكون التّاء ، فقال لِلسَّجّان :" حارت اليهود .. حارت النّصارى .. حار المسلِمون .. حار المُرْسَلون .. حار الأنبياء .. حار الأولياء .. بل قُلْ : حار رسول الله ﷺ " ثُمّ أنْشَد قائلا :

حَيْرةٌ في حَيْرةٍ فِي حَيْرَةٍ حَـيْـرَتِـى دُومِـى عَـلَـيّ

والحيرة ضروريّة ، وهي أمْر لا بُدّ منه ، ولولاها لَصار العابد كالمعبود . =

- ولَمّا سُئِل كُلّ مِن الخلفاء الرّاشدين الأربعة - رضي الله تعالى عنهم - إنْ كان قدْ رأى ربّه قال سيّدنا أبو بكْر الصدّيق رضى الله تعالى عنه :" الْعَجْزُ عَنْ دَرْكِ الإدْرَاكِ إدْرَاك " ، وقال سيّدنا عُمَر ابن الخطّاب رضى الله تعالى عنه :" مَا رَأَيْتُ شَيْئاً إلاّ وَرَأَيْتُ اللّهَ قَبْلَه " ، وقال سيّدنا عثمان رضى الله تعالى عنه :" مَا رَأَيْتُ شَيْئاً إلاّ وَرَأَيْتُ اللّهَ عِنْدَه " ، وقال سيّدنا عليّ كرّم الله وجْهه :" إنْ غِبْتُ بَدَا ، وَإنْ بَدَا غَيَّبَني " ، وكذلك قال كُمّل العارفين عليهم رضوان الله تعالى .

ومِن ذلك يتّضح لنا أنّ رؤية المولى تبارك وتعالى جائزة ، كما وأنّه جلّ وعلاَ تحار فيه الألباب وتَنْدَهِش العقول ؛ لِعدم تقييده فى الإطلاق وعدم إطلاقه فى التقييد ، ومِن ذلك فقدْ قال رسول الله ﷺ عندما سُئِل عن رؤية ربّه جلّ وعلا ﴿ نُورٌ أَنَّى أَرَاه ﴾ وفي رواية أخرى ﴿ نُورَانِيّاً أَرَاه ﴾ .

هذه هي حالة التّرقّي والسّيْر في الله ، وكما سبق فإنّ السالك يَعُود بَعْد الإحصاء إلى الكوْن بلسان الإرشاد والإنذار .

ويُعلّق ساداتنا الصوفية - رضوان الله تعالى عليهم - أهميّةً كبرى على كَتْم الواردات الإلهيّة والرُّؤَى وأسماء السّيْر والأوراد السرّيّة ، ويَستَدلّون بأنّ الضّرَر الذى يَعُود مِن الإفشاء يُقاس بما حَدَث فى قصّة سيّدنا يوسف عندما أمَره أبوه سيّدنا يعقوب - عليهما وعلى نبيّنا أفْضل الصّلاة والسّلام - بألاّ يَقْصُص رؤياه على إخوته فيكيدوا له كيداً ، وقد كان ؛ لأنّ الشّيْطان لِلإنسان عدوّ مُبين .

أمّا قصّة الشّيْخ الحلاّج رضوان الله تعالى عليه : فقدْ كان يسير يوماً وكان في فَصْل الشّتاء فقابَلَته هِرّة صغيرة تَتَلوّى مِن البَرْد فأخَذها ووضَعها فى كُمّ جبّته ، وعندما سُئِل عَمّا فى الجبّة قال : " ما فى الجبّة إلا الله " ، وعندما رأى الحاضرون الهرّة حكَموا - لِجَهْلهم - بكفره ، وحاشاه - رضوان الله تعالى عليه - مِن ذلك .

ومِثْل ذلك حَدَث لِلشّيْخ الجليل والوليّ الشّهير محيى الدّين بن عربيّ عندما قال لِلنّاس :" معبودكم تحْت قَدَمَيّ " يَقْصِد الكَنْز الذى كان واقفاً عليْه والذى ظَهَر بَعْد تنفيذ حُكْم الإعدام فيه ، وقدْ أشار لِلنّاس أنّه عندما يدْخُل " السّين " في " الشّين " يَظْهَر كلام محيى الدّين ، فكان أنْ دَخَل فيما بَعْد السّلْطان سليم الشّامَ وفَتَحَها ووضّح لِلنّاس ما كان يرمي إليه الشّيْخ محيى الدّين ، عليْهم رضوان الله تعالى أجمعين .

وإنّي أرى أنّ الشّيْخ الحلاّج - عليه رضوان الله تعالى - لم يأتِ ببدعة عندما قال " ما فى الجبّة إلا الله " ، والله تعالى يقول ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّه ﴾ ويقول جلّ من قائل ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُم ﴾ ففي مِثْلك مَن يا ترى تَكون جبّة الحلاّج رضوان الله تعالى عليه وما يُوجَد فيها ؟!

الرّدّ متْروك لِلمُنْكِرين الذين أشْعَلوها حرباً مع الله تعالى بإيذاء أوليائه وخواصّه رضوان الله تعالى عليهم كما قال تعالى فى الحديث القدسيّ ﴿ مَنْ آذَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْب ﴾ ، وحسْبهم أنْ -

- يكونوا في حالة حرب مع الله ورسوله .. تبرئة الذمّة /٢٧٥ ، ٢٧٦

أقول : ومِمّا يؤكّد أنّ الحلاّج ﷺ كان في ذلك الموطن الذي يُسمّى بـ " الحيرة " :

• أنّه كان يُسمّى بـ" المُحَيّر " و" المُصْطَلِم " .. بداية حال الحلاّج (١) وانظر : تاريخ بغداد ١١٤/٨ وسيَر أعلام النُبَلاء ٣١٥/١٤ وشذرات الذهب ٢٥٤/٢

• قوله ﷺ : وقـدْ حَـيّـرني حُـبٌ وطَـرْفٌ فـيـه تـقْـويـسُ

أخبار الحلاّج (١٢) .

• وقوله : مَن حار في دهشة التّلاقي أبْصَـرتْـهُ مَيّتاً كَحَـيّ

ديوان الحلاّج /١٧٠

على أنّ موطن الحيرة هذا قد تَكلّم عنه الكثير مِن العارفين ، ومِن ذلك نَذْكُر :

- قال أبو يعقوب النّهرجوريّ ﷺ : أعْرَفُ النّاس بالله تعالى أشدّهم تَحَيُّراً فيه ..

طبقات الصُوفيّة /٢٨٨ وطبقات الشّعرانيّ /١٩٠

- وقال الشّبْليّ ﷺ : المعرفة دوام الحيرة .. كشف المحجوب لِلهجويريّ /٣٢٧

- وقال ابن عبد السّلام : إذا رَسَخ قَدَمك وتَمكّن سيرك وحار سُكْرك قُلْتَ " هو " ، وإنْ غاب وجْدك وتَجاوَز بك سُكْرك عن حدّ الثّبوت قُلْتَ " أنا " .. حَلّ الرّموز /٢٠

- وقال الهجويريّ : **والحيرة على نوْعيْن** : حيرة في الذّات ، وحيرة في الصّفات ، فالأولى كفْر وشِرك ؛ لأنّ العارف لا يُمكِنه أنْ يشُكّ أبداً في وجود الذّات الإلهيّة ، أمّا الحيرة الثّانية فهي المعرفة ؛ لأنّ صفات الله تعالى بعيدة عنْ تَصوُّر العقول ، لِذلك فقدْ قال بعضهم :" يا دليل المتحيّرين زِدْني تحيُّراً " ، ففي البداية أثْبَتَ وجود الله تعالى وكمالَ صفاته ، ووضح أنّه هو مَقْصِد النّاس مجيب الدّعوات ، وأنّه ليس لِلمتحيّرين تَحَيُّر إلا فيه ، حينَذاك طلب منْه زيادة الحيرة .. كشف المحجوب /٣٢٧

وهذا الإمام الجيلانيّ ﷺ يقول:" عَثَر الحسين الحلاّج فلم يكُنْ في زمنه من يأخذ بيده ، وأنا لِكُلّ مَن عَثَر مركوبه مِن أصحابي ومريديّ ومُحِبّي إلى يوْم القيامة آخُذ بيده " (طبقات الشّعرانيّ ٢١٠) وفي هذا إشارة إلى ما أنْعَم الله به على الأُمّة بوجود الأقطاب الأربعة الذين نَظّموا ورسموا وأرْشَدوا إلى طُرُق السّيْر إلى الله تعالى مع قَطْع كُلّ العقبات والعوائق التي تَعُوق هذا السّيْر ..

وها هُنا لطيفة ذَكَرها أحد العارفين ، وهي : أنّ الذي حَدَث لِلحلاّج ﷺ حَدَث لأبي يزيد البسطاميّ إلا أنّ أبا يزيد ﷺ اتّصل بأحد وزراء سيّدي إبراهيم الدّسوقيّ ﷺ القَبْلِيّين فتجاوز به تلك المرحلة مِن السّيْر ، فكانت بَرَكة سيّدي أبي العَيْنَيْن ﷺ على الوجود مِن قَبْل نشْأته ..

وقدْ أشار إلى ذلك سيّدي إبراهيم ﷺ بقوله :

أنا شيعتي في الكوْن مِن قَبْل نشأتي وسَيْري بأمر الله يُبْدي سرائري

الجَوْهَرَة المُضيّة /٤١٠ =

ولَمّا لم يكُن الحلاّج ﷺ في زمن هؤلاء الأقطاب فقدْ طلّب أنْ يموت أو يُقتَل حتّى يتَسَنّى له السَيْر و[illegible]ي في منازل السائرين ..

ولِهذا فإنّنا نَجده ﷺ يطلب ذلك ويتمنّاه في كثير من أقواله وأفعاله ، منها :

- كيف أنت يا إبراهيم (أي ابن فاتك) حين تَراني وقدْ صُلِبْتُ وقُتِلْتُ وأُحْرِقْتُ ؟! وذلك أسْعَد يوْم من أيّام عُمُري جميعه .. أخبار الحلاّج (٣) .

- اللّهُمّ أكْثِر أعدائي في بلادك والقائمين لِقَتْلي من عبادك ..

أخبار الحلاّج (٥) وتاريخ بغداد ١١٩/٨

- يا أهْل الإسلام .. أغيثوني ؛ فليس يَتْرُكْني ونَفْسي فآنَس بها ، وليس يأخذني من نَفْسي فأستريح منْها ، وهذا دلال لا أطيقه .. أخبار الحلاّج (١٠) .

- أيّها النّاس .. أغيثوني عن الله ؛ فإنّه اختَطَفَني منّي ، وليس يَرُدّني عَلَيّ ، ولا أطيق مراعاة تلك الحضرة ، وأخاف الهجران فأكون غائباً محروماً ، والويل لِمَن يُغَيّب بَعْد الحضور ويُهْجَر بَعْد الوصل .. أخبار الحلاّج (٣٨) .

- قال أحمد بن فاتك : كُنّا بنهاوند مع الحلاّج ، وكان يوْم النّيروز ، فسَمِعْنَا صوْت البَوق فقال الحلاّج : " أيّ شيء هذا ؟ " فقُلْتُ :" يوْم النّيروز " فتأوّه وقال :" متى نُنَوْرَز ؟! " فقُلْتَ :" ماذا تَعْنِي ؟! " قال :" يوْم أُصلَب " ، فلَمّا كان يوْم صلْبه بَعْد ثلاث عشرة سَنَةً نَظَر إليّ من رأس الجذع وقال : " يا أحمد .. نُورِزْنَا " فقُلْتُ :" أيّها الشّيْخ .. هل أُتْحِفْتَ ؟ " قال : أُتْحِفْتُ بالكشف واليقين ، وأنا ممّا أُتْحِفْتُ به خَجِلٌ ، غيْرَ أنّي تَعَجّلْتُ الفرح .. أخبار الحلاّج (٢٢) .

- اعلَموا أنّ الله تعالى أباح لكم دمي ، فاقْتُلوني .. اقْتُلوني تؤجَروا وأسْتَرِحْ .. ليس في الدُّنْيا لِلمُسْلِمين شُغْل أهَمّ من قتْلي .. أخبار الحلاّج رقم (٥٠) وابن خلدون في تاريخه .

- أريـدك لا أريـدك لِلثّـوابِ ... ولكنّـي أريـدك لِلعِقـابِ
فكُـلّ مآربي قـدْ نِلْـتُ منْهـا ... سِوَى ملـذوذ وَجْـدي بالعـذابِ

ديوان الحلاّج /١٧٢

- إذا هَجَـرْتَ فمَـن لـي ؟ ... ومَـن يُجَمِّـل كُلّـي ؟
ومَـن لِرُوحـي وراحـي ... يـا أكْـثَري وأقَلّـي
أحَبّـك البعـض منّـي ... وقـدْ ذَهَبْـتَ بِكُلّـي
يـا كُـلّ كُلّـي فكُـنْ لـي ... إنْ لـم تَكُـنْ لـي فمَـن لـي ؟!
يـا كُـلّ كُلّـي وأهْلِـي ... عنـد انقطـاعي وذُلّـي
ما لي سِوَى الرُّوح خُذْهَـا ... والـرُّوح جهْـد المُـقِـلّ

ديوان الحلاّج /١٨٤ =

- اقتلوني يا ثقاتي ... إنّ في قتلي حياتي
وممماتي في حياتي ... وحياتي في مماتي
إنّ عندي محو ذاتي ... من أجلّ المكرُماتِ
وبقائي في صفاتي ... من قبيح السّيئاتِ
فاقتلوني واحرقوني ... بعظامي الفانياتِ
ثُمّ مُروا برُفاتي ... في القبور الدّارساتِ
تجدوا سِرّ حبيبي ... في طوايا الباقياتِ

أخبار الحلاّج (٥٤) .

- حويتَ بكُلّي كُلّ حُبّك يا قدسي ... تُكاشِفني حتّى كأنّك نَفْسي
أُقلّب قلبي في سِوَاك فلا أرَى ... سِوَى وحْشتي منه ومنك به أُنسي
فها أنا في حَبْس الحياة مُمَنّعٌ ... من الأُنس فاقبضني إليك من الحبسِ

أخبار الحلاّج (٣٨) .

- أنا الذي نَفْسُهُ تُشَوّقُهُ ... لِحَتْفِهِ عنْوةً وقدْ عَلِقَتْ

ديوان الحلاّج /١٤٧

- أنا سقيمٌ عليلٌ ... فداوني بِدَوَاكْ
أجْرِي حُشَاشَة نَفْسي ... في سُفْن بَحْر رِضاكْ
أنا حبيسٌ فَقُلْ لي ... متى يكون الفَكَاكْ ؟
حتّى يظاهِر رُوحي ... ما مَضّها من جَفَاكْ
طوبى لِعَيْن مُحِبٍّ ... حَبَوتَها من رُؤَاكْ

ديوان الحلاّج /١٤٩

- لي نَفْسٌ ستُتْلِف لو سترقَى ... لَعَمْرُك بي إلى أمْرٍ جسيم

تاريخ بغداد ١١٧/٨

- عن الحَسَن بن حمدان قال : سمعتُ الحلاّج يقول في سوق بغداد :

ألاَ أبْلِغْ أحبّائي بأنّي ... ركِبْتُ البَحْر وانْكَسَر السّفينة
على دين الصّليب يكون موتي ... ولا البطحا أريد ولا المدينة

فتبِعتُه ، فلمّا دَخَل داره كَبّر يُصلّي فقرأ الفاتحة والشعراء إلى سورة الروم ، فلمّا بلَغ إلى قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ ... ﴾ الآية كَرّرها وبكى ، فلمّا سلّم قُلْتُ :" يا شَيْخ .. تكلّمْتَ في السّوق بكلمة من الكفر ، ثُمّ أقَمْتَ القيامة ها هُنَا في الصلاة .. فما قَصْدك ؟! " قال :" لَنْ تُقْتَل هذه -

- الملعونة " وأشار إلى نَفْسه ، فقُلْتُ :" يجوز إغراء النّاس على الباطل ؟! " قال : لا ، ولكنّي أُغْرِيهم على الحقّ ؛ لأنّ عندي قَتْل هذه من الواجبات ، وهُمْ إذا تَعَصَّبوا لِدِينهم يُؤْجَرون ..

أخبار الحلاّج (٥٢) ..

أقول : وقوله (على دين الصّلِيب) إنّما يشير به إلى موته مصلوبا ، وهو يقصد بالصليب نَفْسه أيْ : على دين الصّلِيب الذي هو الحلاّج الذي دينه الإسلام يكون موته .

- عن عمران بن موسى قال : سَمِعْتُ بعض البصريّين يقول : كُنْتُ أُنكِر على الحلاّج وأقْدَح فيه ، حتّى مَرِض لي أخ وكِدْتُ أموت أسفاً عليه ، فهِمْتُ على وجْهي مِمّا داخَلَني مِن الحسرة عليه حتّى وَقَفْتُ على باب الحلاّج فدَخَلْتُ وقُلْتُ :" يا شَيْخ .. فلان أخي أشْرَف على الموت ؛ ادْعُ له " فضَحِك وقال :" أنجيه بشرط تفي لي به " قُلْتُ :" وما هو ؟ " قال :" لا تَرْجِع عن الإنكار عليّ ، بل تزيد وتَشْهَد عليّ بالكفر وتُعين على قَتْلي " ، فبقيتُ مبهوتاً ، فقال :" لا ينفعك إلا قبول الشّرْط " قُلْتُ :" نَعَم أفْعَل " ، فصَبّ شيئاً مِن الماء في سكرجة وبَصَق فيها وقال لي :" مُرّ واجْعَلْ مِن هذا الماء في فيه " فذَهَبْتُ وفَعَلْتُ ذلك فقام أخي في الوقت كأنّه لم يَمْرَضْ أو نائم فانتبَه ، فرَجَعْتُ بأخي إليه وشكَرْتُه ..

أخبار الحلاّج (٥٤) .

ولِذا فلا عَجَب حين يَذْكُر المناوي في " الكواكب الدّرّيّة " عن الحلوانيّ قال : قُدِّم الحلاّج لِلْقَتْل وهو يَضْحَك ، فقُلْتُ :" يا سَيِّدي .. ما هذا الحال ؟! " قال : دلال الجَمال الجالب إليه أهْل الوصال .

وحين يقول الشّعرانيّ : دخل ابن خفيف على أبي مغيث الحسين بن منصور الحلاّج وهو في السجن يَنْتَظِر الإعدام ، فقال :" كيف تجدك ؟ " قال :" نِعَمُ الله عليّ ظاهرة وباطنة " ، قال :" ما الصّبْر ؟ " قال الحلاّج :" انْظُرْ " فانْفَكّت الأغلال وانْشَقّ الجدار وخَرَجا مِن السّجن إلى شاطئ دجلة ، فقال الحلاّج :" أليس هذا هو الصّبْر ؟! " قال ابن خفيف :" نَعَمْ " ، ثُمّ سأل :" ما الفقر ؟ " فأمْسَك الحلاّج حجارةً فانْقَلَبَتْ ذهباً وقال :" هذا رَغْم أنّي كُنْتُ أتَحَصّل على قُوتي بصعوبة ، أليس هذا هو الفقر ؟ " قال : نعم .. لطائف المِنَن لِلشّعرانيّ /٤٩٧

وحين يقول أحمد بن فاتك : لَمّا حُبِس الحلاّج ببغداد كُنْتُ معه ، فأوّل ليلة جاء السّجّان وقْت العتمة فقَيّده ووَضَع في عنقه سلسلةً وأدْخَله بيتاً ضيّقاً ، فقال له الحسين :" لِمَ فَعَلْتَ بي هذا ؟ " قال : " كذا أُمِرْتُ " فقال الحلاّج :" الآن أمِنْتَ منّي ؟! " قال :" نعم " ، فتَحَرّك الحلاّج فتَناثَر الحديد عنه كالعجين ، وأشار بيده إلى الحائط فانْفَتَح فيه باب ، فرأى السّجّان فضاءً واسعاً فعَجِب مِن ذلك ، ثُمّ مَدّ الشّيْخ يده وقال :" افْعَلْ ما أُمِرْتَ به " ، فأعاده كما فَعَل أوّل مرة .. أخبار الحلاّج (٦٠) .

فإنْ قيل : فإذا كان الحلاّج قد باح بأسرار البائح بها جزاؤه القتل بسيف القدرة الإلهيّة ؛ وإذا كان هو نفسه يَتَمَنّى أنْ يُقْتَل ويَسْعَى إلى ذلك بتَكَلُّمه بأشياء ظاهرها الكفر أو بطلبه مِن بعض النّاس أنْ يَشْهَدوا عليه بالكفر والزّنْدَقَة فلا ذَنْب لِلّذين قتلوه ، وليس في الأمر أيّ ظُلْم تمالؤ أو فساد .. -

= **قُلْتُ** : إنّ الذي ذَكَرْنا لا يَنْفي التّمالؤ والفساد والظُّلْم عن قَتَلة الحلاّج ؛ **لأمور** :

الأول : أنّ الحلاّج وإنْ كان قدْ باح بما يجب أنْ يُكْتَم إلا أنّ الله تعالى لم يأمر هؤلاء الذين قَتلوه بأنْ يَقْتَصّوا منه لأجْل ذلك ، كما أنّهم لم يَدّعوا لأنْفُسهم ذلك ، ولو ادّعوه لَمَا قُبِل منْهم .

الثّاني : أنّ الحلاّج وإنْ كان يَتَمَنّى أنْ يَمُوت أو يُقْتَل إلا أنّ ذلك لا يُبَرّر لأيّ أحد أنْ يَقُوم بقتْله تحقيقاً لِرغْبته تلك ، كما أنّ الذين قتلوه لمْ يَدّعوا ذلك أيضاً .

الثّالث : أنّ الحلاّج وإنْ كان قدْ تَكلّم بأشياء قدْ يَغْمُض معناها عن الكثيرين إلا أنّ هذه الأشياء لمْ يَتَكلّم بها أمام هؤلاء الذين قتلوه ، ولو سألوه عنها لأجابهم بما يزيل الغموض واللّبْس فيها ..

والدّليل على ذلك : أنّ هذه الأشياء التي تَكلّم بها أمام مريديه وبعض العامّة لم تَكُنْ في صحيفة الدّعْوَى أمام الذين حاكَموه ولمْ يَتَحَدّث بها لا هو ولا غيْره في أثناء المحاكمة .

الرّابع : أنّ الحلاّج وإنْ كان قدْ حَثّ بعض النّاس على أنْ يَشْهَدوا ضدّه لِكَيْ يُقْتَل إلا أنّ أحداً مِن هؤلاء لمْ يَشْهَد عليه بشيء مِن هذا ، بلْ ولمْ يَحْضُر أحد منْهم المحاكمة مِن الأساس .

الخامس : أنّ الذي جَرَى في أثناء المحاكَمة مِن ترهيب الشّهود وتعذيبهم واستصدار الفتوى بإباحة دمه بأسلوب مُلْتَوٍ ومُتَعَسّف وانْتِهازيّ - كما مَرّ - يؤكّد بما لا يَدَع مجالاً لِلشّكّ بأنّ كُلّ الّذين شاركوا في هذه الفاجعة مُذْنِبون ومُدانون بصَرْف النّظَر عن أيّ أسباب أو عوامل أخرى أدّت إلى قتْل الحلاّج .

السّادس : أنّ الحلاّج قدْ أنْكَر عليْهم الحُكْم بقتْله وأبان لهم عقيدته الصّحيحة السّليمة ، ولو أنّهم كانوا سليمي الضّمائر لَبَرّأوه مِن كُلّ تهمة تُخالِف ما شَهِد به على نَفْسه أمامَهم مِن عقيدة تتّفِق مع ما أجْمَع عليه المُسْلِمون سلفاً وخَلَفا .

السّابع : أنّ الإمام الغزاليّ قال :" إنّ استباحة دماء المُصَلّين المُقِرّين بالتّوْحيد خطأ ، والخطأ في تَرْك ألْف كافر في الحياة أهْوَن مِن الخطأ في سَفْك دم لِمُسْلِم واحد " (التّفْرِقة بيْن الإيمان والزّنْدقة /٩ وانظر : فتْح الباري ٣٠٠/١٢ وفيْض القدير ١٢٧/٤) ، وقال إمام الحرميْن الجوينيّ :" لأنْ أُدْخِل ألْف كافرٍ الإسلام بشبهة واحدة خيْر مِن أنْ أُكَفّر مُسْلِماً واحداً بألْف شبهة " (انظر تفسير البحر المديد لابن عجيبة ٢٠٢/١) ، وقد اتّفَق على ذلك علماء المُسْلِمين ، إلا أنّنا نَجِد أنّ هؤلاء الذين حكَموا بإباحة دم الحلاّج قدْ فَعَلوا ذلك بشبهة واحدة إنْ صَحّت على أحْسَن تقدير .

وقال السُّبْكيّ : ... ثُمّ إنّ تلك المَسائل التي يُفْتَى فيها بتكفير هؤلاء القوم في غاية الدّقّة والغموض لِكثْرة شُبَهها واختلاف قرائنها وتَفاوُت دواعيها والاستقصاء في معرفة الخطأ مِن سائر صنوف وجوهه والاطّلاع على حقائق التّأْويل وشرائطه في الأماكن ومعرفة الألفاظ المُحْتَمِلة لِلتّأويل وغيْر المُحْتَمِلة ، وذلك يَسْتَدْعي معرفة جميع طُرُق أهْل اللّسان مِن سائر قبائل العَرَب في حقائقها ومَجازاتها واستعاراتها ومعرفة دقائق التّوْحيد وغوامضه ، إلى غيْر ذلك مِمّا هو مُتَعَذّر جدّاً على أكابر علماء عصْرنا فضلاً عن غيْرهم ، وإذا كان الإنسان يَعْجز عن تحرير مُعْتَقَده في عبارة فكيف يُحَرّر اعتقاد =

= غيْره مِن عِبَارته ؟! فما بقي الحُكْم بالتَّكفير إلا لِمَـن صَرَّح بـالكفر واختـاره دِينـاً وجَحَد الشّـهادتيْن وخَرَج عن دين الإسلام جملةً ، وهذا نادر وقوعه .. انظر طبقات الشّعرانيّ /٢٣

الثّامن : أنّ الله إذا عاقَب أحداً مِن خَلْقه على فِعْلٍ فَعَله أو ذَنْب أذْنَبه بتسليط ظالِم أو جبّار فظَلَمه أو آذاه أو قَتَله فإنّ ذلك التّسليط مِن الله لا يَنْفي عن الظّالم ظُلْمه ولا عن الجبّار بَطْشه وبَغْيه ؛ فسوف يحاسِب الله كُلّ ظالِم وجبّار وباغٍ علـى مـا فَعَلوا وإنْ كـانت الإرادة الإلهيّة قدْ عـاقَبَت أو جـازت أو أدّبَت المظلوم والمبغيّ عليه بذلك .

وأخيراً .. فلْيَعذرني القارئ الكريم في الاستطراد بعض الشيء في هذا الأمر ، وإنْ كُنْتُ لم أُفْـرِغ كُلّ ما في جعبتي في تبرئة الحلاّج ﷺ ، ولَعَلّ الله تعالى يَمُنّ علَـيّ بـإفراد كتـاب عن هـذا الرّجُل المظلوم حيّاً وميتاً ..

ولكنّني قَبْل أنْ أُنْهي الكلام عن الحلاّج في تلك العجالة أُورِد بعض الرّوايات التي تَكْشِف لنا عن بعض مِن جوانب شخصيّة هذا الرجل وعلوّ درجته وعِظَم منزلته ..

أمّا الرواية الأولى : فهي بعض مِن نظْمه الذي يُعَبّر عن عُلوّ روحه وقـوّة يقينـه وفَنائـه عن كُـلّ ما سِوَى الله تعالى ؛ حيث يقول ﷺ :

واللهِ مـا طلعَت شمْس ولا غربَت	إلا وحُبّـــك مقـــرون بأنفاســـي
ولا جَلَسْـتُ إلـى قـــوْمٍ أُحَدّثهـــمْ	إلا وأنـت حديثـي بيْـــن جُلاّســـي
ولا ذَكَرتُـك محزونـاً ولا فَرِحـاً	إلا وأنـت بقلبـي بيْـــن وسواســـي
ولا هَمَمْتُ بشُرْب الماء مِن عطـشٍ	إلا رَأَيْـتُ خيـالاً منـك فـي الكـاسِ
ولـو قَـدَرْتُ علـى الإتيـان جئتُكـمُ	سعياً على الوجه أو مشياً على الرّاسِ
ما لي وللنّـاس كم يَلْحُونني سَفَهـاً	دِينـي لِنَفْسـي ودِين النّـاس لِلنّاسِ

ديوان الحلاّج /١٨٠

وأمّا الرّوايةُ الثّانية : فهي مناجاة قالها عند قتْله تَكْشِف لنا عن أشياء ، **منها :** براءتـه مِمّـا نُسِب إليه مِن القول بالحلول أو ادّعاء الرّبوبيّة ، وأنّه ﷺ كان موصولاً بربّه قريباً منه ، وأنّـه علـى الرّغْم مِن الظُّلْم الواقع عليه إلا أنّه دَعَا بالغفران لِكُلّ مَن اجْتَمَع لِقتْله تعصُّباً لِدين اللـه ، وهـو يَقْصِد بـالطبع هؤلاء الذين ضَلّلوا وأخْبروا كذباً بأنّه ﷺ يَدّعِي الرّبوبيّـة أو النُّبُـوّة أو غيْر ذلـك مِـن تلـك الاتّهامـات المُفْتَراة المُفْتَأتة عليه ..

يقول ﷺ : اللّهُمّ إنّك المُتَجَلّي عن كُلّ جهة المُتَخَلّي مِن كُلّ جهة .. بحقّ قِدَمـك علـى حدَثـي وحـقّ حدَثي تحْت مَلابس قِدَمك أنْ تَرْزُقني شُكْر هذه النِّعْمة التي أنْعَمْتَ بها عَلَيّ ؛ حيث غَيَّبْتَ أغياري عمّـا كَشَفْتَ لي مِن مَطالع وجْهك وحَرَمْتَ بها غيْري ما أبَحْتَ لي مِن النّظَر في مكنونات سِرّك .. هـؤلاء عبادك قد اجْتَمَعوا لِقَتْلي تَعَصُّباً لِدينك وتَقَرُّباً إليْك .. فاغفِرْ لهم ؛ فإنّك لو كَشَفْتَ لهم ما كَشَفْتَ لي لَمَا =

= فعلوا ما فعلوا ، ولو سَتَرْتَ عنّي ما سَتَرْتَ عنهم لَمَا ابتُليتُ بما ابتُليتُ .. فلك الحمد فيما تَفْعَل ، ولك الحمد فيما تريد .. أخبار الحلاّج (١) وحلّ الرّموز /٩٢

ولِذا فلا غرابة في أنْ يجيب ابنَ خفيف لَمّا سأله عن الفتوّة بقوله :" غداً تراها " ، فلَمّا كان الليل رأى ابن خفيف كأنّ القيامة قدْ قامت ومنادياً ينادي :" أين الحسين بن منصور الحلاّج ؟ " فأُوقِف بيْن يَدَي الله عزّ وجلّ ، فقيل له :(مَنْ أَحَبَّكَ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ أَبْغَضَكَ دَخَلَ النَّار) فقال الحلاّج :" بل اغفِرْ يا ربّ لِلجميع " ، ثُمّ التفت إليّ وقال لي : هذه الفتوّة ..

لطائف المِنَن لِلشّعرانيّ /٤٩٧ وجامع كرامات الأولياء ٤٥/٢

وهذا الحلاّج يؤكّد ذلك ـ أيضاً ـ بقوله :

أنت في حِلٍّ وفي سعةٍ من دَمي يا مَن أراق دَمي

ديوان الحلاّج /١٨٧

ولِذا فلا عَجَب في أنّه لَمّا وقَع دمه على الأرض كَتَب " الله الله " إشارةً لِتَوْحيده ..

انظر : سيَر أعلام النُبَلاء ٣٤٧/١٤ ، ٣٨٨/٢١ وتاريخ بغداد ١٣٠/٨

قال المناويّ في " الكواكب الدّرّيّة " : وإنّما لم يكْتُب دم الحسين بن عليّ ـ رضي الله عنهما ـ ذلك لأنّه لا يَحْتَاج لِتبرئة ، بخلاف الحلاّج .

وقال أحمد بن فاتك : لَمّا قُطِعَت يَدَا الحلاّج ورِجْلاه قال : إلهي .. أصْبَحْتُ في دار الرّغائب أَنْظُر إلى العجائب ، إلهي .. إنّك تَتَوَدّد إلى مَن يُؤْذيك ، فكيف لا تَتَوَدّد إلى مَن يُؤْذَى فيك ..

أخبار الحلاّج (٢٠) وسيَر أعلام النُبَلاء ٣٤٥/١٤

وقال الحلاّج :

وحرمة الودّ الذي لم يَكُنْ يَطْمَع في إفساده الدّهرُ
ما نالني عند هجوم البلاَ بأسٌ ولا مَسّني الضُرُّ
ما قُدّ لي عضوٌ ولا مَفْصِلٌ إلا وفيه لكمْ ذِكْرُ

ديوان الحلاّج /١٣٣

ولَمّا قُتِل الحلاّج ﷺ ظلّت أخته تبكي عليه أمداً ، ثُمّ نامت ذات ليلة فرأت في المنام أخاها حسيناً وهو يقول لها :" يا أختي .. إلى كم تبكين عليّ ؟! " فقالت له :" كيف لا أبكي وقد جرى عليك الذي جرى ؟! " فقال لها : يا أختي .. لَمّا قطعوا يَدَيّ ورِجْلَيّ كان قلبي مشغولاً بالمحبة فلم أدْرِ إلا هي طيّبة ، فلَمّا صلبوني كُنْتُ مُشاهِداً ربّي فلم أدْرِ ما فَعَلوا بي ، فلَمّا أحْرَقوني نَزَلَت عَلَيّ ملائكة ربّي من السّماء صيّاح الوجوه فاخْتَطَفوني إلى تحْت العرش ، وإذا بالنّداء من العليّ الأعلى :(يَا حُسَيْنُ .. رَحِمَ اللّهُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ وكَتَمَ سِرّهُ وَحَفِظَ أَمْرَه) فقُلْتُ :" أَرَدْتُ التّعْجيل إلى رؤيتك " فقال :(تَمَلَّ بِالنّظَرِ ؛ فَإِنّي لاَ أَحْتَجِبُ عَنْك) .. مخطوطات صوفيّة (نشْر ماسينيون) .

الفائدةُ الثّانيةُ : اختَلفَ مشايخُ الطّريقةِ في الوَليِّ : هَلْ يَجُوزُ أنْ يَعْلَمَ أنّهُ ولـيٌّ أمْ لاَ ؟

حكَى القُشَيْرِيُّ رَأْيَيْنِ في ذلكَ (١) ، واختَارَ في بابِ إثباتِ كراماتِهِمُ القَولَ بجوازِ ذلكَ ، كَمَا يَجُوزُ أنْ لاَ يَعْلَمَ بعضُهم (٢) .

(١) الرّأي الأوّل : عدم جواز ذلك ؛ لأنّه يَسلُبه الخوف ويوجِب له الأمن .

وإليْه ذهب أبو بكر بن فورك .

الرّأي الثّاني : جواز ذلك ..

قال القُشَيْرِيّ : وليس من شرْط تحقيق الولاية في الحال الوفاء في المآل ، ثُمّ إنْ كان ذلك مِن شرْطه أيضاً فيَجوز أنْ يَكون هذا الوليّ خُصّ بكرامة هي تعريف الحقّ إيّاه أنّه مأمون العاقبة ؛ إذ القول بجواز كرامات الأولياء واجب ، وهو وإنْ فارقه خوْف العاقبة فما هو عليه مِن الهيبة والتّعْظيم والإجلال في الحال أتَمّ وأشَدّ ؛ فإنّ اليسير مِن التّعْظيم والهيبة أهْدَى لِلقلوب مِن كثير مِن الخوف ، ولَمّا قال ﷺ أنّ عشرةً في الجَنّة من أصحابه فالعشرة لا محالة صَدّقوا الرسول ﷺ وعَرَفوا سلامة عاقِبتهم ثُمّ لمْ يَقْدَح ذلك في حالهم ، ولأنّ مِن شرْط صحّة المعرفة بالنُّبُوّة الوقوف على حدّ المعجزة ، ويدْخل في جمْلته العِلْم بحقيقة الكرامات ، فإذا رَأى الكرامات ظاهرةً عليه لا يُمكِنه أنْ لا يُمَيّز بيْنها وبيْن غيْرها ، فإذا رَأى شيئاً مِن ذلك عَلِم في الحال أنّه على الحقّ ، ثُمّ يجوز أنّه يَعرف أنّه في المآل يَبْقَى على هذه الحالة ويكون هذا التعريف كرامةً له ، والقول بكرامات الأولياء صحيح ، وكثير من حكايات القوم تدلّ على ذلك كما نَذْكُر طرفاً مِن ذلك في باب كرامات الأولياء إنْ شاء الله تعالى ..

وإلى هذا القول كان يَذْهَب مِن شيوخنا الذين لقيناهم الأستاذ أبو عَلِيّ الدّقّاق ..

الرّسالة القُشَيْرِيّة /٢٠١

(٢) قال القُشَيْرِيّ : وكان الأستاذ أبو عَلِيّ الدّقّاق رحمه الله يقول بجوازه ، وهو الذي نؤثِره ونقول به وليس ذلك واجباً في جميع الأولياء حتّى يكون كُلّ وليّ يَعْلَم أنّه وليّ واجباً ، ولكنْ يجوز أنْ يَعْلَم بعضهم كما يجوز أنْ لا يَعْلَم بعضهم ، فإذا عَلِم بعضهم أنّه وليّ كانت معرفته تلك كرامةً له انفَرَد بها وليس كُلّ كرامة لِوليّ يجب أنْ تَكون بعيْنها لِجميع الأولياء ، بل لو لم يَكُنْ لِلوليّ كرامة ظاهرة عليه في الدُّنْيَا لم يَقْدَح عدمُها في كونه وليّاً ، بخلاف الأنبياء ؛ فإنّه يجب أنْ تَكون لهم معجزات ؛ لأنّ النّبيّ مبعوث إلى الخَلْق ، فبالنّاس حاجة إلى معرفة صِدْقه ، ولا يُعْرَف إلا بالمعجزة ، وبعكس ذلك حال الوليّ ؛ لأنّه ليس بواجب على الخَلْق ولا على الوليّ ـ أيضاً ـ العِلْم بأنّه وليّ ، والعشرة مِن الصحابة صدّقوا الرّسول ﷺ فيما أخْبَرهم به أنّهم مِن أهْل الجَنّة ..

وقول مَن قال " لا يجوز ذلك ؛ لأنّه يُخْرِجهم مِن الخوف " فلا بأس أنْ يَخافوا تغيير العاقبة ، =

الفائدةُ الثّالثةُ : هَلْ يَسقُطُ الخَوْفُ عنِ الأولياءِ ؟

قالَ القُشَيْرِيُّ في بابِ الولايةِ :" ويُقالُ : مِنْ صِفةِ الوَلِيِّ أنْ لا يَكونَ لهُ خَوْفٌ ؛ لأنَّ الخَوْفَ تَرَقُّبُ مكروهٍ يَحِلُّ في المُسْتَقْبَلِ أوِ انتظارُ محبوبٍ يفوتُ في المُسْتَأْنَفِ ، والوَلِيُّ ابْنُ وَقْتِهِ ؛ ليسَ لهُ مُسْتَقْبَلٌ فيخافُ شيئاً ..

وكما لا خوْفَ لَهُ لا رجاءَ لهُ ؛ لأنَّ الرَّجاءَ انتِظارُ محبوبٍ يحصُلُ أو مكروهٍ يُكْشَفُ ، وذلكَ في الثّاني مِن الوقْت ..

وكذلكَ لا حُزْنَ لهُ ؛ لأنَّ الحُزْنَ مِنْ حُزونَةِ الوَقْتِ ، ومَنْ كانَ في ضِياءِ الرِّضَا وبَرَدِ المُوافَقةِ فأنَّى أنْ يَكونَ لهُ حُزْنٌ ؟! قالَ اللهُ تعالى ﴿ **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ " (١) .

ثُمَّ قالَ في بابِ كراماتِهِمْ :" **فإنْ قيلَ** : هلْ يَسقُطُ الخوفُ عنِ الأولياءِ ؟

قيلَ : الغالِبُ على الأكابِرِ الخَوْفُ ، وذلكَ الذي قُلْنَا فيما تَقَدَّمَ على جِهةِ النُّدْرةِ غيْرُ مُمْتَنِع " (٢) ..

قالَ :" وهذَا السَّرِيُّ السَّقَطِيُّ (٣) يقولُ : لوْ أنَّ واحداً دَخَلَ بُستاناً فيهِ أشجارٌ

= والذي يجدونه في قلوبهم مِن الهيبة والتَّعْظيم والإجلال لِلحقّ سبحانه يزيد ويَرْبو على كثير مِن الخوف .. الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٧٥

وقال سلطان العلماء العزّ بن عبد السّلام : **وأمّا الذي يُؤثِره أهْل التّحقيق وهو الحقّ** : أنّه يجوز وليس بواجب أنْ يَعلَم أنّه وليّ ، فإذا عَلِم أنّه وليّ كانت له كرامةٌ في حقّه إذا أطْلَعه الله على ما وَهَبه وكَشَف له ما كان حَجَبه ، ومَن قال " إنّ ذلك يَسْلُبه الخوف " فهذا ضعيف ؛ لأنّ مَن كان بالله أعْرَف كان مِن الله أخْوَف ، فمَن عَرَّفه الله نَفْسه اشْتَدّت مهابته وتعظيمه لله سبحانه ، وتلك الهيبة مِن معروفه تزيد على أضعاف مِن مخافات الخائفين ، ومِن شرْط الوليّ ـ وإنْ عَلِم نَفْسه أنّه وليّ ـ أنْ يَستَصْحِب الخوف ولا يفارقه ولا يَسكُن إلى تلك الكرامات ولا يلاحِظها ولا يساكِنها بقَلْبه ؛ مخافة أنْ يكون ذلك استدراجاً ، فهو في سائر حالاته يكون خائفاً راجيا .. حلّ الرّموز /١٠١

(١) الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٠٣

(٢) الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٧٧

(٣) هو أبو الحسن السّريّ بن المغلس السقطيّ ﷺ ، وُلِد ببغداد سَنَة ١٦٠ هـ ، أخَذ عن معروف الكرخيّ والفضيل بن عياض ، وأخَذ عنه ابن أخته الإمام الجنيد وأبو الحسين النّوريّ وأبو حمزة الصّوفيّ .. =

- يقول السّخاويّ : غزَا ﷺ الرّوم غزواتٍ متعدّدةً ، وجال في الثّغور والعواصم ..

بغية الطّلب في تاريخ حلب ٤٢١٢/٩

كان ﷺ يتّجر بالسّلع الصّغيرة في سوق بغداد ، فلمّا احْتَرَق السّوق قيل له :" إنّ حانوتك قد احتَرَق " فقال :" إذَنْ فقدْ تَخلّصْتُ من الاشتغال به " ، وبَعْد ذلك وُجِد أنّ كُلّ الحوانيت المجاورة لِحانوته احتَرَقَت إلا حانوته ، فخرج عنه لِلفقراء ، " ..ساكين ..

من أقواله ﷺ :

- رأيْتُ كأنّي قدْ وَقَفْتُ بيْن يَدَي الله تعالى فقال لي :(يَا سَرِيُّ .. خَلَقْتُ الْخَلْقَ فَكُلُّهُمْ ادَّعَى مَحَبَّتِي ، وَخَلَقْتُ الدُّنْيَا فَهَرَبَ مِنِّي تِسْعَةُ أَعْشَارِهِمْ وَبَقِيَ مَعِيَ الْعُشْرُ ، وَخَلَقْتُ الْجَنَّةَ فَهَرَبَ مِنِّي تِسْعَةُ أَعْشَارِ الْعُشْرِ وَبَقِيَ مَعِي عُشْرُ الْعُشْرِ ، فَسَلَّطْتُ عَلَيْهِمْ ذَرَّةً مِنَ الْبَلاَءِ فَهَرَبَ مِنِّي تِسْعَةُ أَعْشَارِ عُشْرِ الْعُشْرِ ، فَقُلْتُ لِلْبَاقِينَ مَعِي :" لاَ الدُّنْيَا أَرَدتُمْ ، وَلاَ الْجَنَّةَ أَخَذْتُمْ ، وَلاَ مِنَ النَّارِ هَرَبْتُمْ .. فَمَاذَا تُرِيدُون " قَالُوا : " إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُرِيدُ " ، فَقُلْتُ لَهُمْ :" فَإِنِّي مُسَلِّطٌ عَلَيْكُمْ مِنَ الْبَلاَءِ بِعَدَدِ أَنْفَاسِكُمْ مَا لاَ تَقُومُ لَهُ الْجِبَالُ الرَّوَاسِي .. أَتَصْبِرُونَ " قَالُوا :" إِذَا كُنْتَ أَنْتَ الْمُبْتَلِي لَنَا فَافْعَلْ مَا شِئْتَ " ، فَهَؤُلاَءِ عِبَادِي حَقًا) .

- أَقْوَى القوّة أنْ تَغْلِب نَفْسك ، ومَن عَجَز عن أدب نَفْسه كان عن أدب غيْره أعْجَز .

- مِن علامة الاستدراج لِلعبدِ عَمَاه عن عيْبه واطّلاعُه على عيوب النّاس .

- لا تصحّ المحبة بيْن اثْنيْن حتّى يقول أحدهما لِلآخَر : يا أنا .

- عجَباً لِضعيف كيف يعصي قويّا ؟!

- مَن تَزَيَّن لِلنّاس بما ليس فيه سقط مِن عيْن الله عَزّ وجَلّ .

- الدّهْر ثلاثة أيّام : يوْم مضى بؤسه وشدّته وغمّه لمْ يَبْقَ منه شيء ، واليوم الذي أنت فيه صَدِيق مُوَدِّع لك طويل الغيبة عنك سريع الرّحْلة عنك ، وغدا في يديْك تأميله ولعلّك مِن غيْر أهْله .

- كُلّ الدُّنْيَا فضول إلا خَمْس خصال : خبْز يُشْبِعه ، وماء يرْويه ، وثوْب يَسْتُره ، وبيْت يُكِنّه ، وعِلْم يَسْتَعْمِله .

- تَرَى أنّك تَرْجُو ، ولو رَجَوْتَ لَطَلَبْتَ ! تَرَى أنّك تَخاف ، ولو خِفْتَ لَهَرَبْتَ !

- احْذَرْ أنْ تكون ثناءً منشوراً وعيْباً مستوراً .

- قدْ يَبلغ العبد إلى حدّ لو ضُرِب وجْهه بالسّيْف لم يَشْعُر به .

- مَن أحْسَن ظنّه بالله استَرَاح قلْبه .

- مَن حاسَب نَفْسه استَحْيَا الله مِن حسابه .

- تصفية العمل مِن الآفات أشدّ مِن العمل .

- أَوْحَى الله تعالى إلى داود عليه السلام :(بِي فَافْرَحُوا ، وَبِذِكْرِي فَتَنَعَّمُوا) .

كثيرةٌ وعلى كُلِّ شَجَرةٍ طيْرٌ يقولُ لهُ بلِسانٍ فصيحٍ :" السّلامُ عليْكَ يا وليَّ اللهِ " فلَوْ لَمْ يَخَفْ أنَّهُ مكْرٌ لَكانَ ممكوراً بهِ " ، وأمثالُ هذا مِنْ حكاياتِهِمْ كثيرة " (١) .

وقَوْلُ القُشَيْرِيِّ :" وذلكَ الذي قُلْنَاهُ فيمَا تَقَدَّمَ على جِهةِ النُّدْرَةِ غَيْرُ مَمتَنِعٍ " الظّاهِرُ أنَّهُ لَمْ يَعْنِ بهِ تَعْريفَ الحَقِّ إيَّاهُ أنَّهُ مأمونُ العاقِبة (٢) .

إلى أنْ قالَ :" ويكونُ هذا التَّعْريفُ لهُ كرامة " (٣) .

= - إن اغتَمَمْتَ بما ينقص من مالِك فابْكِ على ما ينقص من عُمُرك .

- اجْعَلْ قَبْرك خزانتك وقَدِّمْ إليها أحْسَن ما تَقْدِر عليه ؛ حتّى إذا دَخَلْتَ إلى الخزانة سَرَّك ما قَدَّمْتَ إليها .

- أحْسَن الأشياء خمسة : البكاء على الذّنوب ، وإصلاح العيوب ، وطاعة علاّم الغيوب ، وجلاء الرّان من القلوب ، وألاّ تكون لِكُلّ ما تَهْوى رَكُوب .

- مَن لم يَعرف قَدْر النِّعَم سُلِبها من حيث لا يَعْلَم ، ومَن هانت عليه المصائب أحْرَز ثوابها .

- لا تَصْرِم أخاك على ارتياب ، ولا تَدَعْه دُون استعتاب .

- لا تَرْكَن إلى الدُّنْيَا فيَنْقَطِع من الله حَبْلك ، ولا تَمْشِ في الأرض مرحاً ؛ فإنّها عن قليل قبْرك .

- من النّذالةِ أنْ يأكل العبد بدِينه .

ومِن دعائه ﷺ :

- اللّهُمّ مهْمَا عذّبْتَني بشيء فلا تُعَذِّبْني بِذُلّ الحجاب .

- اللّهُمّ اشْغَلْ مَن يَشْغَلني عنْك بك .

تُوفِّي ﷺ ببغداد سَنَة ٢٥١ هـ .

(١) الرّسالة القُشَيْرِيّة /٢٧٧ وانظر : حِلْيَة الأوْلِياء ١١٨/١٠ وصفة الصّفْوَة ٣٨٢/٢ وحلّ الرّموز ومفاتيح الكنوز/١٠١

(٢) قُلْتُ : بلْ يَحْمَل كلام القُشَيْرِيّ على أنّه يعني تعريف الحقّ لِوليّه أنّه مأمون العاقبة ؛ إذ أنّه ﷺ قدْ صرّح بهذا المعنى (راجِع كلامه في هامِش صفحة ١٤٢ من هذا الكتاب) ، كما أنّه ليس هناك ما يَمْنَع في الشّرْع من أنْ يُعَرِّف الحقّ بعض أوليائه بأنّهم مأمونو العاقبة ، وقدْ قال تعالى في حقّ سيّدنا أبي بكْر ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ ، ووَرَد في دواوين السُّنّة أنّ رسول الله ﷺ أمّن مَن حَضَر بيعة الرّضوان ومَن حَضَر بدراً وبَشّر بالجَنّة السّيِّدة خديجة والسّيِّدة فاطمة وسيّدنا الحَسَن وسيّدنا الحُسَيْن والعشرة المُبَشّرين وسيّدنا عُكّاشة بن مُحْصن ﷺ وكثيرين غيْرهم ، والتّبْشير بالجَنّة يَعْني بالتّالي الأمن من سوء العاقبة والخاتمة ، فإذا جاز ذلك في الصّحابة ﷺ جاز فيمَن غيْرهم ؛ إذ لا مُخَصِّص ولا مُقَيِّد ، وإنّما هو فَضْل الله يؤتيه مَن يَشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

(٣) انظر الرّسالة القُشَيْرِيّة /٢٠١

لكنْ أفادَ القُشَيْرِيُّ ـ رحمةُ اللهِ عليْهِ ـ في بابِ الكراماتِ بَعْدَ ما سَبَقَ بقليلٍ أنَّهُ :" هَلْ يُزايلُ الوليَّ خَوْفُ المكْرِ ؟

قيلَ : إنْ كانَ مُصْطَلِماً (١) عنْ شاهدِهِ مُخْتَطَفاً عَنْ إحساسِهِ بِحالِهِ فهوَ مُسْتَهْلَكٌ عَنهُ فيما استَوْلَى عليْهِ ، والخَوْفُ مِنْ صِفاتِ الحاضِرِينَ بهمْ " (٢) .

وأنتَ إذا تأمَّلْتَ هذهِ المواضِعَ مِنْ كلامِهِ أَنْتَجَ لكَ التَّأمُّلُ أنَّهُ لا تَناقُضَ بيْنَهُما .

الفائدةُ الرّابعةُ : قَلَّ أنْ تَجِدَ في الخَلْقِ مَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ للتَّصْديقِ بوَلِيٍّ مُعَيَّنٍ خصوصاً أهْلَ العِلْمِ الظّاهِرِ ، فيقولُونَ : نَعَمْ .. نَعْلَمُ أنَّ الأولياءَ موجودونَ ؛ ولَكِنْ أيْنَ هُمْ (٣) ؟!

ولاَ يُذْكَرُ لَهُمْ أحدٌ إلاَّ أخَذُوا يَقَعُونَ خصوصيَّةَ اللهِ فيهِ ؛ مُتَمَسِّكِينَ بظاهِرِ الحديثِ القُدسيِّ أنَّ اللهَ قال ﴿ **أَوْلِيَائِي تَحْتَ قِبَابِي لاَ يَعْرِفُهُمْ سِوَايَ** ﴾ وقولِ الأستاذِ أبي يَزيدٍ :" أولياءُ اللهِ عرائسُ ، ولا يَرَى العَرائسَ المُجْرِمُونَ " (٤) .

والجَوابُ عَنْ ذلكَ : أنَّ مَبْنَى أمْرِهِم في بِداياتِهِمُ الفِرارُ مِنَ الخَلْقِ والانْفِرادُ بالمَلِكِ الحَقِّ ، وإخفاءُ الأعمالِ وكَتْمُ الأحوالِ ؛ تحقيقاً لِفَنائِهِمْ ، وتثبيتاً لِزُهْدِهِمْ ، وعَمَلاً على سلامَةِ قلوبِهِمْ ، وحُبّاً في إخْلاصِ عَمَلِهِمْ لِسَيِّدِهِمْ ، حتَّى إذا تَمكَّنَ

(١) **الاصطلام** : نَعْت وَلَهٍ يَرِد على القَلْب فيَسْكُن تَحْت سلطانه .. اصطلاحات الصُّوفيّة لابن عربيّ /١٩

(٢) الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٧٧

(٣) وفي مثْل هؤلاء يقول سيِّدي إبراهيم التَّسوقيّ ﷺ : أكْثَرُهم يَجْعَلون شريعة السّالك قدحاً في الشّريعة ، وحقيقة المحبّة بِدْعاً في الطّريق ، كأنّهم ما عَلِموا قَطّ عطاء الله ومَواهب مَدَد الله وخوارق عجائب غرائبه ، بلْ رَأَوْا مِن سوء حالِهم أنّ باب العطاء قدْ أُغْلِق !! فمَن اعتقَد ذلك فإنّما هو مُعْتَرِض على الله تعالى في فِعْله ، ونَعُوذ بالله مِن التَّعَرُّض ؛ فإنّه لا بُدّ لأهْل حضْرته تعالى مِن التَّحَرُّز عن المُعْرِضين عنها لِيَشْتاق المُعْرِضون إليها حين يَرَوْن الخوارق تَقَع على يد أوليائه ، فما أجْهَل مَن جَهِل قَدْر الفقراء وما أعماه ! الجَوْهَرة المُضيّة /١٩٩ وانظر طبقات الشّعرانيّ /٢٩٤

ويقول اليافعيّ ﷺ : ومنْهم مَن يُكَذِّب بكرامات أولياء زمانه ويُصَدِّق بكرامات الأولياء الذين ليسوا في زمانه : كمعروف وسهل والجنيد وأشباههم رضي الله تعالى عنهم ، فهؤلاء كما قال الشَّيْخ أبو الحَسَن الشّاذليّ رضي الله تعالى عنه : واللهِ ما هي إلا إسرائيليّة ؛ صَدّقوا بموسى وكَذّبوا بمحمّد ﷺ لأنّهم أدْركوا زمنَه .. رَوْض الرِّياحين /٣٢ وانظر : لطائف المِنَن /٤٨ والفتاوى الحديثيّة /٢١٩

(٤) انظر : الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٠٢ ولطائف المِنَن /١٨ وطبقات الشّعرانيّ /١٣٢

اليقينُ وأُيِّدُوا بالرّسوخِ والتَّمكينِ وتَحقَّقُوا بحقيقةِ الفَناءِ ورُدُّوا إلى وجودِ البَقاءِ فهُنالِكَ إنْ شاءَ الحقُّ أظْهَرَهم هادِينَ لِعِبادِهِ ، وإنْ شاءَ سَتَرَهُمْ فاقْتَطَعَهُمْ عَنْ كُلِّ شيءٍ إليْه (١) .

وظهورُ الوَلِيِّ ليْسَ بإرادتِهِ ، بَلْ بإرادةِ اللهِ لهُ ، ومَنْ تحقَّقَ مِنْهُمْ بالعبوديَّةِ للهِ لَمْ يَطلُبْ ظهوراً ولا خَفاءً ، بَلْ إرادتُهُ وَقْفٌ على اختيارِ سَيِّدِه (١) ..

ولِهذا قالَ أبو العَبّاسِ المُرْسِيُّ (٢) :" مَنْ أحَبَّ الظُّهورَ فهُوَ عَبْدُ الظُّهورِ ،

(١) من كلام سَيِّدي ابن عطاء الله السكندريّ ﷺ .. انظر لطائف المِنَن /٣٧ ، ٤١

(٢) هو أبو العبّاس أحمد بن عُمَر بن محمد الأنصاريّ المُرْسِيّ المالكيّ ﷺ ، تلميذ الإمام الشّاذليّ ﷺ ، وُلِد سَنَة ٦١٦ هـ ، أخَذ عنه ابن عطاء الله السكندريّ وياقوت العرشيّ وعَلِيّ البدويّ الشّاذليّ .

قال له الإمام الشّاذليّ ﷺ : يا أبا العباس .. ما صَحِبْتُك إلا لِتَكُون أنت أنا وأنا أنت .

قال الإمام فخْر الدين السيد محمد عثمان عبده البرهانيّ ﷺ أنّ سَيِّدي أبا العباس المُرْسِيّ ﷺ كان خليفةً للإمام الشّاذليّ في الظّاهر ، أمّا خليفته في المدد فهو السَّيِّد إبراهيم الدّسوقيّ ﷺ ، فيكون بهذا المنوال أيّ شاذليّ برهانيّ ، وأيّ برهانيّ شاذليّ .

كان ﷺ يقول كثيراً " قال الشّيْخ .. قال الشّيْخ " كُلّما يَنْقِل كلاماً ، فقيل له :" لا نراك قطّ تُسْنِد لِنَفْسك كلاماً ؟ " فقال : لوْ أردتُ عَدَد الأنفاس أنْ أقول " قال الله " لَقُلْتُ ، ولوْ أردتُ عَدَد الأنفاس أنْ أقول :" قال رسول الله ﷺ " لَقُلْتُ ، ولوْ شِئْتُ أنْ أقول على عَدَد الأنفاس :" قُلْتُ أنا " لَقُلْتُ ، ولكنْ أقول " قال الشّيْخ " وأتْرُك ذِكْر نَفْسي أدبا .

قال ابن السّبكيّ : مَرّ أبو العباس المُرْسِيّ ﷺ في القاهرة بأناس يزدحمون على دكّان الخَبّاز في سَنَة الغلاء فَرَقّ عليهم ، فوقَع في نَفْسه " لو كان معي دراهم لأثَرْتُ هؤلاء بها " فأحَسّ بِثِقَل في جيْبه فأدْخَل يديْه فوجد دراهم جملةً فدَفَعها إلى الخَبّاز وأخَذ بها خبزاً فَرّقه عليهم ، فلَمّا انْصَرَف وَجَد الخَبّازُ الدّراهم زيوفاً فاستغاث به فعاد ، ووقَع في نَفْسه أنّ " ما وقَع في نَفْسي أوّلاً من الرِّقّة اعتراض على الله ، وأنا أستَغْفِر الله منه " ، فلَمّا عاد وَجَد الخَبّازُ الدّراهمَ جيّدةً ، فانْصَرَف أبو العباس وجاء إلى الشّيْخ تقيّ الدين بن دقيق العيد وحَكَى له الحكاية ، فقال ابن دقيق العيد له : يا أستاذ .. أنتم إذا رَفَقْتُم على أحد تَزَنْدَقْتُم ، ونحن إذا لم نَرِقّ على النّاس تَزَنْدَقْنا .. طبقات الشّافعيّة الكُبْرَى ٢١٣/٩

من أقواله ﷺ :

- واللهِ ما سارت الأبدال من قاف إلى قاف إلا ليصادفوا رَجُلاً مِثْلي يُرَبِّيهم ويُرَقِّيهم إلى مقامات الرِّجال .

- واللهِ لوْ عَلِمَت علماء العراق والشّام ما تَحْت هذه الشّعرات (وأمْسَك على لِحْيته) لأتَوْها ولوْ حَبْواً على وجوههم .

ومَنْ أَحَبَّ الخَفاءَ فهُوَ عَبْدُ الخَفاءِ ، ومَنْ كانَ عَبداً للهِ فسواءٌ عليْهِ أَظْهَرَهُ أَمْ أَخْفَاه " (١) .

= - نحن بحمد الله أوقاتنا كلّها ليلة قَدْر .

- الفقيه هو مَن انْفَقَأَ الحجاب عنْ عَيْنَيْ قَلْبه .

- قليل العمل مع شهود المنّة من الله خيْر من كثير العمل مع رؤية التّقْصير من النّفْس .

- علوم هذه الطّائفة علوم تحقيق ، وعلوم التّحقيق لا تَتَحَمّلها عقول عموم الخَلْق .

- جميع الأنبياء عليْهم الصّلاة والسّلام خُلِقوا من الرّحْمة ، ونبيّنا ﷺ هو عَيْن الرّحْمة .

- رجال اللّيْل هم الرّجال ، وكُلّما أَظْلَم الوقْت قَوِي نور الوليّ ضرورة .

- كلام المأذون له يَخْرُج وعليْه كسوة وطلاوة ، وكلام الذي لمْ يُؤذَن له يَخْرُج مكسوف الأنوار .

- مَن اشْتاق إلى لقاء ظالِم فهو ظالِم .

- الوليّ لا يَزال مضطرّا .

- الطّيّ طيّان : طيّ أَصْغَر ، وطيّ أَكْبَر ، فالطّيّ الأصغر لِعامّة هذه الطّائفة أنْ تُطْوَى لهم الأرض من مَشْرِقها إلى مَغْرِبها في نَفَس واحد ، والطّيّ الأكبر طيّ أوصاف النّفوس .

- علامة حُبّ الدُّنْيَا خوف المذمّة وحُبّ الثّناء ، فلوْ زَهِد لَمَا خاف ولا أَحَبّ .

- لا تطالبوا الشّيْخ بأنْ تَكونوا في خاطِره ، بلْ طالِبوا أَنْفُسَكم أنْ يكون الشّيْخ في خاطركم ، فعلى مقدار ما يَكون عندكم تَكونون عنده .

- شارَكْنا الفقهاء فيما هُمْ فيه ، ولمْ يشارِكونا فيما نحن فيه .

- لولا ضَعْف العقول لأَخْبَرْتُ بما يَكون من رحمة الله تعالى .

- إذا هَبّت عواصف اليقين يَكون المريد هو الخارج عن الدُّنْيا بنَفْسه .

- إذا ضاق الوليّ هلك مَن يؤذيه في الوقْت ، وإذا اتّسَعَت معرفته احتمل أذى الثّقَلَيْن ولمْ يَحْصُل لأحد منْهم ضرر بسببه .

- الهالك بهذه الطّائفة أَكْثَر من النّاجي منْها .

- لنْ يَصِلَ الوليّ إلى الله تعالى حتّى تَنْقَطِع عنْه شهوة الوصول إلى الله تعالى .

- كُلّ مريد رَأَى له عورةً مع شيخه فهو أجنبيّ عنْه لمْ يَتّحِدْ به .

- ليس العَجَب مِمّن تاه في نِصْف ميل أربعين سَنَةً ، إنّما العَجَب مِمّن تاه في مقدار شِبْر السّتّين والسّبْعين والثّمانين سَنَةً ، وهي البطن !

- مَن لمْ يَتَغَلْغَلْ في هذه العلوم مات مُصِرّاً على الكبائر وهو لا يَعْلَم .

- إذا وصلْتم إلى البيت فلْيَكُنْ همّكم ربّ البيت لا البيت ، ولا تَكونوا مِمّن يَعْبُد الأصنام والأوثان .

تُوُفّي ﷺ بالإسكندرية سَنَة ٦٨٦ هـ ودُفِن بها .

(١) انظر : لطائف المِنَن /٤١ وطبقات الشّعرانيّ /٣٧٩

فمِنْ هُنَا يَظْهَرُ لَكَ مَعْنَى قَولِهِ سُبْحَانَه ﴿ لاَ يَعْرِفُهُمْ سِوَايَ ﴾ أنَّهُ مخصوصٌ بِمَنْ لَمْ يُرِدِ اللهُ إظهارَهُ مِنْهُمْ .

أوِ المَعْنَى واللهُ أعْلَمُ : لا يَعْرِفُهُم بجميعِ خصوصيّاتِهِمْ أحدٌ غَيْرُهُ ولوْ كانُوا ظاهِرِينَ لَنَا .

وأمّا كلامُ أبِي يزيدٍ فمَعْنَاهُ واللهُ أعْلَمُ : أنَّ الأولياءَ أخَذَتِ المَحبَّةُ قلوبَهُمْ مِمَّا سِواهُ ، فنفوسُهُمْ مائلةٌ لِطاعَتِهِ ، وقلوبُهُمْ مُتَحصِّنَةٌ بمَعْرِفَتِهِ ، وأرْواحُهُمْ مأخوذةٌ في حَضْرَتِهِ ، وأسْرارُهُمْ مغمورةٌ في مُشاهَدَتِهِ ، وهُمْ يَسْتَزِيدونَ فيُزَادُونَ ، ويُفاتَحُونَ بِمَا هوَ أعْذَبُ مِنْ لذيذِ مُناجاتِهِ ، فيَكْسِرُونَ حُلَلَ التَّقْرِيبِ على بِساطِ القُرْبَةِ ، ويَمَسُّونَ أبْكارَ الحقائقِ وثَيِّباتِ العُلُومِ ، فهُمْ عرائسُ مُخَدَّرُونَ عِنْدَهُ في حالِ الأُنْسِ مُكْرَمُونَ ، ولا يَرَى العرائسَ المُجْرِمُون (١) .

والتَّحقيقُ .. أنَّ الوَلِيَّ لِغزارةِ عَقْلِهِ وقَدْرِهِ عِندَ اللهِ لَمْ يَجْعَلْهُ إلاَّ محجوباً عَنْ خَلْقِهِ وإنْ ظَهَرَ بَيْنَهُمْ ؛ لأنَّهُ ظَهَرَ لَهُمْ مِنْ حيثُ ظاهِرِ عِلْمِهِ ووجودِ دِلالتِهِ ، وبَطُنَ سِرُّ ولايتِهِ ، وقَدْ يُطْلِعُ عليهِ مَنْ شاءَ كما قالَ المُرْسِيُّ :" إذا أرادَ اللهُ أنْ يُعَرِّفَكَ بوَلِيٍّ لهُ طَوَى عَنْكَ شُهودَ بشَرِيَّتِه وأشْهَدَكَ وجودَ خصوصيَّتِه " (٢) .

ويؤيِّدُ هذا التَّحْقِيقَ : قولُ الشَّيْخِ أبِي الحَسَنِ الشّاذُلِيِّ (٣) :" لِكُلِّ ولِيٍّ

---

(١) مِن كلام سَيِّدي أبي الحَسَن الشّاذليّ ﷺ .. انظر لطائف المِنَن /٣٨

(٢) انظر لطائف المِنَن /١٥٤

(٣) هو أبو الحَسَن عَلِيّ بن عبد الله بن عبد الجبار الشّاذليّ ﷺ ، وُلِد بقرية غمارة بالقُرْب من سبتة بالمغرب سنَة ٥٩٣هـ ، أخَذ عن الشَّيْخ عبد السلام بن بشيش وعبد الله بن حرازم ، وأخَذ عنه الشَّيْخ أبو العباس المُرْسِيّ وأبو العزائم ماضي بن سلطان والعِزّ بن عبد السلام .

قال ابن عبد السلام : ما عرفْتُ الإسلام الكامل إلا بَعْد اجتماعي على الشَّيْخ أبي الحَسَن الشّاذليّ .

وقال ابن عطاء الله السّكندريّ : قُطْب الزّمان ، والحامل في وقْته لواء أهْل العيان ، حُجّة الصّوفيّة ، عَلَم المهتدين ، زين العارفين ، أستاذ الأكابر ، زمزم الأسرار ومعدن الأنوار .

يَحكِي ابن فارس في " المِنَح الإلهيّة " أنّ سَيِّدي أبا الحسن الشّاذليّ ﷺ لَمّا تَوَجّه لِلحجّ أرْسَى مَرْكِبَه التي هو فيها على ساحِل البحر المقابِل لِسنهور ، فجاء سَيِّدي محمد بن هارون ﷺ بأصحابه قاصداً زيارة سَيِّدي أبي الحسن ﷺ ، فوجَده قدْ نَصَب له خيمةً وهو بها ، فاغْتَسَل ﷺ وقَصَد سَيِّدي أبا الحسن ﷺ ومكَث أسبوعاً يَطُوف حوْل خيامه ولا يَدْخُل - يَنْتَظِر الإذن بالدخول - حتّى أذِن له ، =

- فدَخَل وأقام عنده قليلاً ، ثُمّ خَرَج ، فأنْكَر عليْه أصحابه ذلك ، فقال ﷺ :" لَمّا دَخَلْتُ عليه حَصَل لي في هذه اللّحْظة ما حَصَل في صحبة الشّيْخ أبي السعود في خَمْس وعشرين سَنَةً " ، ثُمّ دعاه إلى بيْته وأضافه ، ورَفَع له عَلَماً على رأسِه ، وصار يقول : بسم الله يا مَلِك الأولياء .

أرْسَل السّلْطان إلى الإمام الشّاذليّ ﷺ جاسوساً لِيَتَعَلّم منه الكيمياء بعد أنْ أُشيع عنْه ذلك ، فمكث الجاسوس أربعين يوماً ، وفي اليوم الحادي والأربعين طلب الإمام الشّاذليّ ﷺ منْه أنْ يملأ الأباريق من البئر ، فكان كُلّما ملأ الدّلْو وأخْرَجَه يجده مليئاً بالذّهَب فيلقيه ثانيةً في البئر ، وظَلّ هكذا حتّى تَعِبَتْ يداه ، فذهب إلى الإمام الشّاذليّ وأخْبَرَه الخبر ، فقال له ﷺ :" إنّك جِئْتَ لأجْل الذّهَب ؛ فاحمِلْ منْه " فقال له : واللهِ يا مولاي ما فيّ شَعْرة تَحِنّ إلى الذّهَب " ، فقال له ﷺ : اذْهَبْ إلى السُّلْطان فأخْبِرْه بذلك .

يقال إنّ له مؤلّفات هي : رسالة الأمين ، ونزهة القلوب وبغية المطلوب .

من أقواله ﷺ :

- قيل لي :(مَا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مَجْلِسٌ فِي عِلْمِ الْحَقَائِقِ أَبْهَى مِنْ مَجْلِسِك) .
- مَن أراد عِزّ الدّارَيْن فلْيَدْخُل في مَذْهَبنا يَوْمَيْن .
- لولا لجام الشّريعة على لساني لأخْبَرْتُكم بما يَحْدُث في غدٍ وما بَعْده إلى يوْم القيامة .
- إذا كانت السّلحفاة تُرَبّي أولادها بالنّظَر فنحن أوْلى بذلك .
- كيف يُعْرَف بالمعارف مَن به عُرِفَت المعارف ؟! أم كيف يُعْرَف بشيء مَن سَبَق وجودُه وجود كُلّ شيء ؟! وكيف يأمن مع الفضل مَن عَرَف عَدْله ؟! أم كيف ييأس مع الشّرّ مَن عَرَف فضْله ؟!
- إذا عارَض كَشْفُك الكتابَ والسُّنّةَ فتَمَسّكْ بالكتاب والسُّنّة ودَع الكَشْف ، وقُلْ لِنَفْسك : إنّ الله تعالى قدْ ضَمِن لي العصمة في الكتاب والسُّنّة ، ولمْ يَضْمَنْها لي في جانِب الكَشْف ولا الإلهام ولا المشاهَدة .
- ارْجِعْ عنْ مُنازَعة ربّك تَكُنْ مُوَحّداً ، واعْمَلْ بأركان الشّرْع تَكُنْ سُنّيّاً ، واجْمَعْ بَيْنهما تَكُنْ مُحَقّقاً .
- هَبْ أنّ الدُّنْيا كُلّها في يدَيْك فانْظُرْ ما في يَدَيْك منْها عند الموت !
- يُوصَف بالبخل والذّمّ مَن مَنَع لأجْل شيء مِن هذه الأوصاف : خوْف الفقر ، وسوء الظّنّ ، والاحتقار لِحرمة المؤمنين ، وإيثار النّفْس والهوى .
- لا تَنْشُر عِلْمك لِيُصَدّقك النّاس ، وانْشُرْ عِلْمك لِيُصَدّقك الله ، وإنْ كانت لام العلّة موجودةً فعلّة تَكون بيْنك وبيْن الله من حيث أمْرك خيْر لك من علّة تَكون بيْنك وبيْن النّاس من حيث نَهْاك .
- لا تشمّ رائحة الولاية وأنت غيْر زاهد في الدُّنْيا وأهْلها .
- لا يَكْمُل عالِم في مقام العِلْم حتّى يُبْتَلى بأربع : شماتة الأعداء ، وملامة الأصدقاء ، وطَعْن الجُهّال وحَسَد العلماء .
- ذرّة من أعمال القلوب خيْر من مثاقيل الجبال من أعمال الأبدان . -

- يا بُنَيّ .. طالِبْ نَفْسك بإكرامك لِلنّاس ، ولا تطالِب النّاس بإكرامهم لك .
- إذا عارَضك عارِض يَصُدّك عن الله فاثْبُتْ ؛ قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .
- واللهِ ما أفْلَح مَن أفْلَح إلا بصحبة مَن أفْلَح .
- إذا جاذَبَتْك هواتف الحقّ فإيّاك أنْ تَستَشْهِد بالمحسوسات على الحقائق الغيبيّات وتَرُدّها فتكون مِن الجاهلين ، واحْذَرْ أنْ تَدْخُل في شيء مِن ذلك بالعقل .
- أسباب القبض ثلاثة : ذَنْب أحْدَثْتَه ، أوْ دُنْيا ذَهَبَتْ عنْك ، أوْ شخْص يؤذيك في نَفْسك أو عِرْضك ، فإنْ كُنْتَ أذْنَبْتَ فاستَغْفِرْ ، وإنْ كُنْتَ ذَهَبَتْ عنْك الدُّنْيا فارْجِعْ إلى ربّك ، وإنْ كُنْتَ ظُلِمْتَ فاصْبِرْ واحتَمِلْ ، وإنْ لمْ يُطْلِعك الله على سبب القبض فاسكُنْ تحْت جريان الأقدار ؛ فإنّها سحابة سائرة .
- الصّادق المُوقِن لوْ كَذّبه أهْل الأرض لمْ يزدد إلا تمكينا .
- إذا لمْ يواظِب الفقير على حضور الصّلوات الخَمْس في الجماعة فلا تعبأنّ به .
- كُلّ كرامةٍ لا يَصْحَبها الرّضا مِن الله وعن الله والمحبّة لله ومِن الله فصاحبُها مُستَدْرَج مَغْرُور أوْ ناقص هالك مثبور .
- كُلْ مِنْ طعام فسقة المُسْلِمِين ، ولا تأكلْ مِنْ طعام رهبان المُشْرِكِين ، وانْظُرْ إلى الحَجَر الأسود ؛ فإنّه ما اسْوَدّ إلاّ مِنْ مسّ أيدي المُشْرِكِين دون المُسْلِمِين .
- مَنْ لمْ يَزْدَدْ بعِلْمه وعمله افتقاراً لِربّه وتواضعاً لِخَلْقه فهو هالك .
- مَن دعا إلى الله تعالى بغيْر ما دعا به رسول الله ﷺ فهو بدعيّ .
- إذا انْتَصَر الفقير لِنَفْسه فهو والتّراب سواء .
- رأيْتُ رسول الله ﷺ فقُلْتُ :" يا رسول الله .. ما حقيقة المتابَعة ؟ " فقال :(رُؤْيَةُ الْمَتْبُوعِ عِنْدَ كُلّ شَيْءٍ وَمَعَ كُلّ شَيْءٍ وَفِي كُلّ شَيْء) .
- لا يَتِمّ لِلعالِم سلوك طريق القوم إلا بصحبة أخ صالح أو شَيْخ ناصح .
- التّصَوُّف تدريب النّفْس على العبوديّة وردّها لأحكام الربوبيّة .
- كُلّ شَيْخ لم تُصيبك منه الفوائد مِن وراء حِجَاب فليس بشَيْخ .
- أثْبِتْ أفعال العباد بإثبات الله تعالى ، ولا يضرّك ذلك ، وإنّما يضرّك الإثبات بهم ومنْهم .
- حرام عليك أنْ تتّصِل بالمحبوب وبقي لك في العالَمين مصحوب .
- مَن آمَن بالقسمة حرام عليه أنْ يُنازِع في الحكمة .
- لا يَكُنْ حظّك مِن دعائك الفرح بقضاء حاجتك دون الفرح بمناجاة محبوبك فتكون مِن المحجوبين .
- بالسّعادة وُسِم عبْد عَلِم الحقّ فتَواضَع لأهْله ، ووُسِم بالشّقاوة عبْد عَلِم الحقّ وتَكَبّر على أهْله وإنْ عَمِل ما عَمِل .

= – إذا منَعك ما تحبّ ورَدّك إلى ما يحِبّ فهي علامة محبّته لك .

– لَعدوّ تَرْجِع به إلى مولاك خيْر من حبيب يَشْغَلك عن مولاك .

– مَن استَغْنَى بماله فهو فقير ، ومَن استَغْنَى بجاهه فهو حقير ، ومَن استَغْنَى بعشيرته فهو ذليل ، ومَن استَغْنَى بحسناته فهو مُفْلِس ، ومَن استَغْنَى بالله فهو الغنيّ على الحقيقة .

– علامة التَّفْويض عدم الاضْطراب عند نزول المكاره .

– إنْ كان ولا بُدّ أنْ تُدبِّرُوا فدبِّرُوا أنْ لا تُدبِّرُوا .

– العلوم على القلوب كالدّراهم والدّنانير في الأيدي ؛ إنْ شاء الله تعالى نَفَعك بها ، وإنْ شاء ضَرّك .

– لوْ علِم نوح عليْه الصّلاة والسّلام أنّ في أصلاب قوْمه مَن يأتي يُوَحِّد الله عَزّ وجَلّ ما دعا عليْهم ولَكان قال ﴿ اللّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي ؛ فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُون ﴾ كما قال رسول الله ﷺ ، فكُلّ منْهما على عِلْم وبَيِّنة من الله تعالى .

– أحَلّ الحلال : ما لم يَخْطُر لك على بال ولا سألْتَ فيه أحداً من النِّساء والرِّجال .

– حقيقة زوال الهوى من القَلْب حُبّ لقاء الله في كُلّ نَفَسٍ من غير اختيار حالة يكون المرء عليْها .

– إذا جالَسْتَ العلماء فجالِسْهم بالعلوم المنقولة والرّواية الصّحيحة ؛ إمّا تفيدهم أو تستفيد منهم ، وذلك غاية الرِّبْح ، وإذا جالسْتَ العُبّاد والزُّهّاد فجالِسْهم على بِساط الزُّهْد والعبادة ؛ حلّ لهم ما اسْتَمْرَأوه ، وسَهُلَ عليهم ما استَوْعَروه ، وذُوقْ لهم من المعرفة ما لم يَذُوقوه ، وإذا جالَسْتَ الصِّدِّيقين ففارِقْ ما تَعْلَم ولا تَنْتَسِبْ لِمَا لا تَعْلَم ؛ فتَظْفَر بالعِلْم المكنون وببصائر أبْرَها غيْر ممنون .

– لا تَرْقَ قَبْل أنْ يُرْقَى بك فتَزِلّ قَدَمُك .

– لا كبيرة عندَنا أكْبَر من اثْنَتَيْن : حُبّ الدُّنْيَا بالإيثار ، والمُقام على الجهل بالرِّضا ؛ لأنّ حُبّ الدُّنْيَا رأس كُلّ خطيئة ، والمُقام على الجهل أصْل كُلّ معصية .

– إنّا لا نرى مع الحوْ أحداً .. إنْ كان ولا بُدّ فكالهباء في الهواء ؛ إنْ نَبَشْتَه لمْ تَجِدْه شيئا .

– أرْبَع لا يَنْفَع معهم عِلْم : حُبّ الدُّنْيَا ، ونسيان الآخرة ، وخوْف الفقر ، وخوْف النّاس .

– إذا تدايَن أحدكم فلْيَتوجه بقَلْبه إلى الله تعالى ويتداين على الله تعالى ؛ فإنّ كُلّ ما تَدَايَنه العبد على الله تعالى فعلى الله أداؤه ؛ كان ﷺ يقول إذا تَدايَن ﴿ اللّهُمَّ عَلَيْكَ تَدَايَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَمْرِي فَوَّضْت ﴾ .

– لا يوصَف العبد بأنّه قدْ هَجَر المعاصي إلا إنْ كانت لمْ تَخْطُرْ له على بال ؛ فإنّ حقيقة الهَجْر نسيان المهجور ، هذا في حقّ الكاملين ، فإنْ لمْ يَكُنْ كذلك فلْيَهْجُر على المكابَدة والمجاهَدة .

– حسنتان لا يضرّ معهما كثرة السّيِّئات : الرِّضا بقضاء الله ، والصّفْح عنْ عباد الله .

– مَن اعترض على أحوال الرِّجال فلا بُدّ أنْ يموت قَبْل أجَله ثلاث موتات أخَر : موْت بالذّلّ ، وموْت بالفقر ، وموْت بالحاجة إلى النّاس ، ثُمّ لا يَجِد مَن يرحمه منْهم . =

حِجاب " (١) ، ولَنا رجوعٌ بَعْدُ لِمَعْنَى هذا الكلام .

ويَفْتَقِرُ المُقْتَدِي لِشهودِ خصوصيَّةِ الأستاذِ (٢) ؛ لأنَّ الاقتِداءَ لا يَكونُ بِوَلِيٍّ مجهولِ العَيْنِ ، بَل بوَلِيٍّ دَلَّكَ اللهُ عليْهِ وأَطْلَعَكَ على ما أَوْدَعَهُ مِنَ الخصوصيَّةِ لَدَيْهِ ، فطَوَى عَنْكَ شهودَ بَشَرِيَّتِهِ في وجودِ خصوصيَّتِهِ ، فألْقَيْتَ إلَيْهِ القِيادَ فسلَكَ بِكَ سبيلَ الرَّشادِ ، يُعَرِّفُكَ برعوناتِ نَفْسِكَ وكمائنِها ودَفائنِها ، ويدُلُّكَ على الجَمْعِ على اللهِ ، ويُعَلِّمُكَ الفِرارَ عمّا سِوَى اللهِ ، ويَسايِرُكَ في طريقِكَ حتّى تَصِلَ إلى اللهِ ، يُوقِفُكَ على إساءةِ نَفْسِكَ ، ويُعَرِّفُكَ بإحسانِ اللهِ إلَيْكَ ، فتُفيدُكَ مَعْرِفةُ إساءةِ نَفْسِكَ الهَرَبَ مِنْها وعَدَمَ الرُّكونِ إلَيْها ، ويُفيدُكَ العِلْمُ بإحسانِ اللهِ إلَيْكَ الإقبالَ عليْهِ بالشُّكْرِ والقِيامِ والدَّوامِ على مَرِّ السّاعاتِ بَيْنَ يَدَيْه (٣) .

= – مَن شفع طلباً لِلجاه والمنزلة أوْ لِعَرَض الدُّنْيا عَذَّبه الله على ذلك ، ويتوب الله على مَن يشاء .

– كُلّ عِلْم يَسْبِق إليك فيه الخواطر وتميل إليْه النَّفْس وتلذّ به الطّبيعة فارْمِ به وإنْ كان حقّاً ، وخُذْ بعِلْم الله الذي أنْزَله على رسوله ، واقْتَدِ به وبالخلفاء والصّحابة والتّابعين مِن بَعْده وبالأئمّة الهداة المُبَرَّئين عن الهوى ومتابَعته تَسْلَمْ مِن الشكوك والظّنون والأوهام والدّعاوى الكاذبة المُضِلّة عن الهدى وحقائقه وماذا عليْك أنْك تَكون عبْد الله ولا عِلْم ولا عمل ؟ وحَسْبُك مِن العِلْمِ العِلْمُ بالوحدانيّة ، ومِن العمل محبّة الله ومحبّة رسوله ﷺ ومحبة الصّحابة واعتقاد الحقّ لِلجماعة ؛ قال رجل :" مَتَى السّاعَةُ يَا رَسُولَ اللّه ؟ " قال ﴿ مَا أَعْدَدْتَ لَهَا ﴾ قال :" لاَ شَيْءَ إلاّ أَنِّي أُحِبُّ اللّهَ وَرَسُولَه " فقال ﴿ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبّ ﴾ .

– لا يَكْمُل شُكْر العبد حتّى يَرَى نعمة ملوك الدُّنْيا دُون نِعْمته هو ؛ مِن حيث إنّهم مُسَخَّرون له .

– لوْ كُشِف عنْ نور المؤمن العاصي لَطَبّق ما بيْن السّماء والأرض .

– قيل لي :(لاَ تَأْمَنْ مكْرِي فِي شَيْءٍ وَإِنْ أَمِّنْتُك ؛ فَإِنّ عِلْمِي لا يُحيط بِه مُحيط) .

– عليْك بالاستغفار ؛ فإنّه أَحْصَن الحصون مِن وقوع البلاء والمعاصي .

– اللّهُمّ إنّ حسناتي مِن عطائك ، وسَيِّئاتي مِن قضائك ، فَجُد اللّهُمّ بما أَعْطيْتَ على ما به قَضَيْتَ حتّى تَمْحو ذلك بذلك ، لا لِمَن أطاعك فيما أطاعك فيه له الشكر ، ولا لِمَن عصاك فيما عصاك فيه له العذر ؛ لأنّك قُلْتَ وقولك الحقّ ﴿ لاَ يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُون ﴾ .

تُوُفِّي ﷺ بحميثرة بصحراء عيذاب بصعيد مصر سَنَة ٦٥٦ هـ .

(١) انظر : لطائف المِنَن /١٥١ وطبقات الشّعرانيّ /١٥

(٢) أيْ أنّه يَلْزَم المريد أنْ يكون لديْه معرفة ببعض ما اخْتَصّ به شيْخه مِن فضائل ومناقب ومكارم .

(٣) انظر : لطائف المِنَن /٤٨ وطبقات الشّعرانيّ /١٧

فإنْ قُلْتَ : أينَ مَنْ هذا وَصفُهُ ؟

أجيبُ : بأنَّهُ لاَ يُعْوِزُكَ وجْدانُ الدَّالِّينَ ، وإنَّما قَدْ يُعْوِزُكَ وجودُ الصِّدْقِ في طَلَبِهِمْ ، جِدْ صِدْقاً تَجِدْ مُرْشِداً ، وتَجِدُ ذلكَ في قَوْلِهِ تعالى ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاه** ﴾ (١) ، فلَوِ اضْطُرِرْنَا إلى مَنْ يوصِّلُنا إلى اللهِ اضْطِرارَ الظَّمْآنِ إلى الماءِ والخائفِ إلى الأمانِ لَوَجَدْنَا ذلكَ أَقْرَبَ إلَيْنا مِنْ وجودِ طَلَبِنا ، ولَوِ اضْطُرِرْنَا إلى اللهِ اضْطِرارَ الرَّضيعِ لأُمِّهِ إذَنْ لَوَجَدْنَا الحقَّ مِنَّا قريباً ولَنَا مُجيباً ولَوَجدْنَا الوصولَ غَيْرَ مُتَعَذِّرٍ علَيْنَا ، ولَتَوَجَّهَ الحقُّ بتَيْسيرِ ذلكَ عَلَيْنَا (٢) .

فنَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ مُرْشِداً إلَيْكَ يَدُلُّنا عَلَى الطَّريقِ إلَيْكَ باضْطِرارِنَا إليْكَ (٣) .

---

(١) سورة النَّمل من الآية ٦٢

(٢) من كلام سيِّدي ابن عطاء الله السكندريّ ﷺ .. انظر لطائف المِنَن /٤٨

(٣) من عجائب الزّمان أنْ يَدَّعِي البعض عدم ضرورة وجود شيْخ مُرْشِد ؛ زاعماً أنّ الكتاب والسُّنَّة موجودان ، وأنّ مَن عَمِل بهما وَصَل إلى ما وَصَل إليْه هؤلاء الأولياء بل وربّما فاقهم !!

وهي دَعْوَى يُعْوِزها الدّليل والبرهان ، ولا أحْسَب أنّ أحداً مِمَّن يقول بهذا قدْ عَمِل فعلاً بالكتاب والسُّنَّة حتّى وَصَل إلى ما وَصَل إليه أولياء الله ، وإنّما هو الكِبْر وتَمْويه النَّفْس وخداع الشّيْطان .

ولِهؤلاء أقول : إذا كانت سائر العلوم ـ نفيسها وخسيسها ، غثّها وسمينها ـ تَحْتاج إلى أستاذ ومُعَلِّم فلا يَصِحّ في ميزان العقول أنْ تَتَعَلَّم الهندسة إلا على يد مهندس والطِّبّ إلا على يد طبيب والنِّجارة إلا على يد نَجّار والكيمياء إلا على يد كيميائيّ وهكذا في سائر العلوم والمِهَن ، فإذا تَعَلَّق الأمر بأشْرَف العلوم ـ لِتَعَلُّقه بأشْرَف معلوم ـ كيف نَدَّعِي أو نَزْعُم أنّنا يُمْكِننا أنْ نَتَعلَّمه دون مُعَلِّم أو مُرْشِد ؟!

وإذا كان الله تعالى قدْ ذَكَر في القرآن أنّه يُضِلّ به كثيراً ؛ وإذا كان النَّبِيّ ﷺ قدْ ذَكَر أنّ الأُمّة ستَفْتَرِق على ثلاث وسبعين فِرقةً فمِن أين لك أنّك لنْ تَضِلّ وتصير إلى إحدى هذه الفِرَق الضّالّة ؟!

وإذا كان الله تعالى قدْ أمَرَنا أنْ نَتْلو سورة الفاتحة سبع عشرة مرّةً على الأقلّ يوميّاً وقدْ جاء فيها ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم** ﴾ وقدْ بيّن الله تعالى أنّ هؤلاء المُنْعَم عليهم هم النَّبِيّون والصِّدِّيقون والشّهداء والصّالحون ؛ ألاَ يَكْفِي هذا دليلاً لِكَيْ نَبْحَث عن هؤلاء الصِّدِّيقين والشّهداء والصّالحين لِنَسير على صراطهم ونَتَّبعهم لِنَهْتَدي كما اهْتَدَوْا ؟!

وإذا كان الله تعالى قدْ قال ﴿ **فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُون** ﴾ وقال ﴿ **الرَّحْمَـنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيرا** ﴾ أليس في هذا دلالةً بلْ دليلاً على أنّنا مأمورون بسؤال واتّباع أهل الذِّكْر الدّالّين على الله ؟!

وإذا كان الله تعالى قدْ قال ﴿ **وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدا** ﴾ أليس في هذا دليلاً ـ بمفهوم المخالَفة ـ أنّ مَن لا يُضِلّ الله يَجِد رسول الله ﷺ له وليّاً مُرْشِداً أيْ شيخا يُرْشِده ؟!

وأمّا مقالةُ التّعْريفِ لأستاذِنا الوليِّ الشّريفِ :

سُلطانِ الأولياءِ وسكردانِ الأصفياءِ ، علاّمةِ الزّمانِ ، فريدِ الوقتِ والأوانِ ، بُرْهانِ الدِّينِ ، جَوْهَرةِ سِلْكِ الصّالِحِينَ ، واسِطةِ عِقْدِ المُخْلصِينَ ، لسانِ حالِ المُتَكلِّمِينَ ، الخائضِ في بَحْرِ العلومِ بأقْوَى قواعِدِ التّمكِينِ ، هِدايةِ العارفِينَ ، مَنهَجِ المُحِبِّينَ ، حُجَّةِ البالِغِينَ ، مَحَجَّةِ المُتَوَرِّعِينَ ، مِفتاحِ أقفالِ غوامِضِ عجائبِ مَعنويَّاتِ مَعاني إشاراتِ المُحقِّقِينَ ، مُعَبِّرِ رموزِ مُجْمَلاتِ المُتَّقِينَ ، أبي العَيْنَيْنِ إبراهيمِ بنِ أبي المَجدِ عبدِ العزيزِ الدُّسوقيِّ القُرَشيِّ الشّافعيِّ ، الذي أظهَرَ اللهُ عليْهِ حالَ حياتِهِ وبَعْدَ وفاتِهِ بُرهانَهُ المَصونَ ، واستَخْرَجَتْهُ العِنايةُ مِنْ بيْنِ الكافِ والنُّونِ ، وسقاهُ مِنْ شَرابِ الذينَ يخِرُّونَ لِلأذقانِ يَبْكونَ (١) ، وكَتَبَهُ في توقيعِ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (٢) ، وأجْلَسَهُ بَيْنَ جُلساءِ ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ (٣) ، وآواهُ إلى حَرَمِ قَوْمٍ ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٤) ، أسْكَنَهُ اللهُ في حظيرةِ قُدسِهِ ، ومَتَّعَهُ على مرِّ الأيّامِ بموارِدِ أُنسِهِ ، فهوَ ـ قدَّسَ اللهُ سِرَّهُ ـ مِمَّنْ عُرِفَ بولايةِ نَفْسِهِ وعَلِمَ النّاسُ بذلكَ ، وكراماتُهُ مُستمِرَّةٌ بَعْدَ مَوْتِهِ ، تُنْسَبُ إليْهِ المُنازَلاتُ الجليلةُ والعلومُ الكثيرة ..

ولْنَذْكُرْ نَبْذةً يسيرةً مِنْ أمورِهِ الشّهيرةِ ؛ لِنَكونَ في طريقَتِهِ على بصيرةٍ ، وهوَ بَحْرٌ عظيمٌ لا يَجِدُهُ إلاَّ مَنْ سَلَكَهُ وعَلِمَ بدورَهُ ونولَهُ ، ودرَجاتُ الأولياءِ ما يَشْهَدُها ولا يَكْشِفُها إلاَّ مَنْ أطْلَعَهُ اللهُ عليْها ، ومَنْ تَكلَّمَ فيمَا لاَ يَعْنِيهِ أوْ ما لاَ يُدْرِكُهُ فقدِ استَهْلَكَ نَفْسَهُ وغَرِقَ ، نَسْألُهُ العَفْوَ والعافِية .

---

(١) إشارةً إلى قوله تعالى ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا * قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ .. سورة الإسراء الآيات ١٠٥ - ١٠٩

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠١

(٣) سورة الذّاريات الآية ١٧

(٤) سورة يونس من الآية ٦٢

فنَقُولُ مُستَمِدِّينَ العَوْنَ مِنْ مُوجِدِ الكَوْنِ :

قيلَ : إنَّ العارِفَ باللهِ تعالى محمَّدَ بنَ هارونَ (١) ـ صاحِبَ الوَقْتِ بسنهورِ بالقُرْبِ مِنْ دسوقٍ مَنْشَأَ الأُسْتَاذِ ـ كِلاَهُمَا بالغَربيَّةِ (٢) مِنَ القُرَى المصريّة ـ كانَ إذا رَأَى والِدَ الأُسْتَاذِ ـ أَعْنِي أبا المَجْدِ (٣) ـ قَامَ لهُ ، ثُمَّ تَركَ ذلكَ ، فسُئِلَ فقالَ :" ما كانَ القِيامُ لهُ ، بَل كانَ لِبَحْرٍ في ظَهْرِهِ ، وقدِ انْتَقَلَ إلى زَوْجَتِه " (٤) .

فلمَّا وَضَعتْهُ في اللَّبْنَةِ التَّاليةِ لِلتَّاسِعِ والعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ شعبانَ سَنَةَ ثلاثٍ وخمسينَ وستِّمائةٍ اتَّفَقَ وقوعُ الشَّكِّ في هِلالِ رَمَضانَ ، فقالَ ابنُ هارونَ : " انْظُرُوا هذا الصَّغيرَ هَلْ رَضَعَ في هذا اليَوْمِ ؟ " ، فأَخْبَرَتْ والِدتُهُ أنَّهُ مِنَ الأذانِ قَدْ فارَقَ ثَدْيَهَا ولَمْ يَرْضَعْ (٥) .

ولَقَدْ أَخْبَرَنِي مَنْ أَثِقُ بهِ مِنْ عُلَماءِ العَصْرِ أنَّ والِدَةَ أستاذِنا هيَ السَّيِّدةُ فاطِمةُ ابنةُ وليِّ اللهِ تَعَالَى أبي الفَتْحِ الواسِطيِّ (٦) قَدَّسَ اللهُ سِرَّه (٧) .

(١) هو سيِّدي محمد بن هارون السَّنْهُوريّ ﷺ ، تَتَلْمَذ على يد سيِّدي أبي السعود بن أبي العشائر ﷺ ثُمّ على يد سيِّدي أبي الحسن الشّاذليّ ﷺ ..

قال عنه المناوي في " الكواكب الدُّرِّيَّة : إمام جليل وصوفيّ نبيل فاق الأقران .

(٢) وهُمَا تابعتان الآن لِمحافَظة كفْر الشّيخ .

(٣) تُوُفِّي ﷺ سَنَة ٦٧٦ هـ .

(٤) وذَكَر الإمام المناويّ أنّ سيِّدي محمد بن هارون كان يشير إلى سيِّدي عبد العزيز ويقول : في ظَهْر هذا وليّ يَبْلُغ صيته المَشْرِقَيْن ..

الكواكب الدُّرِّيَّة ٢٦٨/١ وانظر : العهود المُحَمَّديّة /٢٢١ وجامع كرامات الأولياء ٢١٠/١

(٥) انظر : طبقات الشّعرانيّ /٢٨٠ والكواكب الدُّرِّيَّة ١٣٠/١ وشذرات الذّهب ٣٥٠/٣

(٦) هو نَجْم الدّين أبو الفتح محمد بن عبد الله بن عبد الجبّار الواسطيّ ﷺ ، شيْخ مشايخ الإسلام بالدِّيار المِصْرِيّة ، أَخَذ عن الشّيْخ أحمد الرّفاعيّ وأبي الحَسَن الشّاذليّ ، وأَخَذ عنه عبد العزيز الدّرينيّ وعبد السلام القليبيّ وعبد الله البلتاجيّ .

قال عنه الصّفديّ بن أبي المنصور : ما رأيْنَا مِمَّن جاء مِن جهة العراقيْن مِثْله .

وقال : إنّ جماعة الشّيْخ أبي الفتح الواسطيّ بمدينة الإسكندرية الذين كانوا يَحْضُرون وِرْده كُلّ يوم خمسة آلاف .. رسالة الصّفديّ بن أبي المنصور /١١٣

وقال سيِّدي عبد العزيز الدّرينيّ :

شيخي أبو الفتح الوليّ الواسطي منه إلى أهْل الرِّواق تَوَصُّلي

- كان ﷺ إذا تَكلَّم يقول : اسْمَعُوا هذا الكلام الذي له خمسة آلاف سَنَةً ما تَكلَّم به غيْري ..

لطائف المِنَن لِلشعرانيّ /٤٨٨

تُوُفِّي ﷺ بالإسكندريّة بَعْد سَنَة ٦٥٦ هـ .

(٧) **قُلْتُ** : الحقّ أنّ السيِّدة فاطمة الشّاذليّة أخت سيِّدي أبي الفتح الواسطيّ ﷺ وليست ابنته ..

وقدْ حَدَث الخَلْط في هذا الأمر لأسباب عدّة ، منها :

أوّلاً : تاريخ وفاة سيِّدي أبي الفتح الواسطيّ (وهو سَنَة ٥٨٠ هـ) والذي ذَكَره الإمام الشّعرانيّ ؛ الأمرَ الذي حَدَا بكثيرين أنْ يَحْصُروا الصِّلة بيْن سيِّدي أبي الفتح والسيِّدة فاطمة في كوْنها ابنته وليست أخته ؛ نظراً لِلمساحة الزّمنيّة الواسعة بيْنهما - انطلاقاً مِن أنّ وفاته ﷺ كانت سَنَة ٥٨٠ هـ - الأمرَ الذي لا يتأتّى معه أنْ تَكون أخته ..

إلا أنّنا إذا أمْعَنّا النَّظَر في ذلك التاريخ وجدناه ينافي الحقيقة والواقع وأنّه أقْرَب إلى أنْ يكون تاريخ مولده وليس تاريخ وفاته ؛ إذ أنّ سيِّدي أبا الفتح ﷺ حَضَر مولد سيِّدي إبراهيم الدّسوقيّ ﷺ ورافَق أخاه سيِّدي أبا الحَسَن الشّاذليّ ﷺ في رحلته الأخيرة إلى الحجّ حيث تُوُفِّي في حميثرا كما ذَكَر ذلك الإمام فخْر الدّين السيِّد محمد عثمان عبده البرهانيّ ﷺ ..

ولِلتّدْليل على ذلك نقول :

* يقول الشّيْخ حسن شمّه الفوّيّ في " مسرّة العيْنيْن " : وهناك شكّ في كوْن السيِّدة فاطمة بنتاً لِلواسطيّ سواء بطريقة مباشرة أو غيْر مباشرة كأنْ تَكون حفيدته .. لماذا ؟

المرويّ في الكتب أنّ وفاة الشّيْخ الواسطيّ كانت في سَنَة ٥٨٠ هـ ، وهناك شكّ في ذلك التاريخ ؛ لأنّ جميع تلامذته هُمْ مِن كبار رجال القَرْن السّابع الهِجْريّ ، مِثْل : عبد السلام القليبيّ ، جامع الفضْليْن الدّنوشريّ ، عليّ المليجيّ ، عبدالعزيز الدّرينيّ ، ولا يَصِحّ لِهؤلاء الأخذ عنه مِن الناحية الزّمنيّة إلا إذا كانت وفاته في النِّصْف الأول مِن القَرْن السّابع الهِجْريّ .. ا.هـ .

أقول : وقدْ وُلِد سيِّدي عبد العزيز الدّرينيّ سَنَة ٦١٢ أو ٦١٣ هـ (انظر : طبقات الشّافعيّة الكبرى ١٩٩/٨ وطبقات المُفَسِّرين لِلسّيوطيّ /٢٥٦) ، وهو ما يعني أنّه أخَذ عن سيِّدي أبي الفتح في أواخر العقد الثّالث مِن القرن السابع بلْ في أوائل العقْد الرّابع ؛ إذ أنّ سيِّدي أبا الفتح لم يأتِ إلى الإسكندريّة إلا سَنَة ٦٣٠ هـ كما يَذْكُر الدكتور جمال الدين الشّيّال (أعلام الإسكندريّة /١٢٥) ، وقدْ صَحِبه سيِّدي عبد العزيز الدّرينيّ ثلاثة عَشَر عاماً كما ذَكَر هو نَفْسه في قصيدة له قال فيها :

وشيْخُنا الشّيْخ أبو الفتح الأسدْ ... لنا به إلى الرِّفاعيّ السَّنَدْ
له كراماتٌ وفضْلٌ بادِي ... كَثْرتُها جَلَّتْ عن التّعْداد
صَحِبْتُهُ نحْو ثلاث عَشْرا ... مِن السِّنِين إذ وَجَدْتُ السِّرّا

انظر طبقات الأولياء لابن المُلقّن /٣٣٨ -

= • ثبت أنّ سيّدي أبا الحَسَن الشّاذليّ التّقي بسيّدي أبي الفتح الواسطيّ في رحلته إلى العراق (انظر درّة الأسرار /٢٢ والمفاخر العليّة /١٢) ، وكان هذا اللّقاء سنة ٦١٨ هـ (انظر : المواهب السّنيّة /١٥ وأعلام الإسكندريّة /١٢٦) ؛ الأمرُ الذي لا يَصِحّ معه أنْ تكون وفاته سنة ٥٨٠ هـ .

فإنْ قيل : إذا كان سيّدي عبد العزيز الدّرينيّ قدْ صَحِب سيّدي أبا الفتح ثلاثة عَشَر عاماً تبدأ مِن أوائل العقد الرّابع من القَرْن السّابع الهِجْريّ فإنّ هذا لا يُثْبِت ما ذَهَبْتم إليه من وفاة سيّدي أبي الفتح في تاريخ لاحق على وفاة سيّدي أبي الحَسَن الشّاذليّ (أيْ بَعْد سنة ٦٥٦ هـ) ؛ لأنّا إذا أضَفْنا هذه الأعوام الثلاثة عَشَر إلى تاريخ وصول سيّدي أبي الفتح إلى الإسكندريّة أو حتّى بَعْد وصوله بخمسة أعوام - على فرْض أنّ سيّدي عبد العزيز الدّرينيّ لم يَلْتَقِ سيّدي أبا الفتح إلا بَعْد مدّة من وصوله إلى الإسكندريّة - أنْتَج لنا ذلك أنّ وفاة سيّدي أبي الفتح لا يُمْكِن أنْ تَتجاوَز بأيّ حال مِن الأحوال سنة ٦٥٠ هـ ، وهو يخالِف ما ذهبتم إليه ..

قُلْتُ : بلْ نقول بأنّ سيّدي عبد العزيز قدْ صَحِب سيّدي أبا الفتح منذ وصوله إلى الإسكندريّة ؛ لأنّه صَحِبه أيّام صِباه ، وقدْ وُلِد سنة ٦١٢ أو ٦١٣ كما مَرّ ؛ يقول سيدي عبد العزيز ﷺ :

بايَعْتُهُ عُمُراً على شَرْط الوفا عقداً على التّحقيق غيْر مبدّلِ
وقَطَعْتُ في أيّامه زمَن الصِّبَا حتّى قَضَى وعَلَيّ مَوْثِقه ولِي

انظر طبقات الأولياء /٣٣٥

ولكنّا لا نُسَلِّم أنّ صحبة سيّدي عبد العزيز لِسيّدي أبي الفتح كانت مُنْحَصِرةً في تلك الثلاثة عشَر عاماً فقط ؛ لِسببٍ مِن اثْنَيْن أو لِكِلا السّببيْن :

الأول : أنّ هذه الثلاثة عَشَر عاماً قدْ خَصّها سيّدي عبد العزيز ﷺ بالذِّكْر لأنّها كانت صحبة ملازَمة وانقطاع ومرافَقة لِسيّدي أبي الفتح ﷺ .

الثّاني : أنّه بَعْد انقضاء هذه الثلاثة عَشَر عاماً تَمّ الفتح لِسيّدي عبد العزيز ، وهو ما يؤكّده قوله ﷺ :

صَحِبْتُهُ نَحْوَ ثلاث عَشْرَا مِن السّنين إذ وَجَدْتُ السِّرّا

انظر : طبقات الأولياء /٣٣٨

فإنْ قيل : فإنّ قول سيّدي عبد العزيز :

وقَطَعْتُ في أيّامه زمَن الصِّبَا حتّى قَضَى وعَلَيّ مَوْثِقه ولِي

يدلّ على وفاة سيّدي أبي الفتح في زمن صِبَا سيّدي عبد العزيز أو بَعْدها مباشَرَةً ..

قُلْتُ : ليس الأمر كذلك ؛ لِسببيْن :

الأول : أنّا إذا أضَفْنا الثلاثة عَشَر عاماً التي صَحِب فيها سيّدي عبد العزيز سيّدي أبا الفتح صحبة ملازَمة إلى سنة ٦٣٠ هـ لأنْتَج لنا ذلك سنة ٦٤٣ هـ ، وفي هذه السّنة كان سِنّ سيّدي عبد العزيز يزيد على ثلاثين عاماً ، وهي سنّ لا يصحّ معها أنْ يَصِف نَفْسه بالصِّبَا ، ولا نُسَلِّم بأنّ وفاة سيّدي =

= أبي الفتح كانت بَعْد زمن صبَا سَيِّدي عبد العزيز مباشَرةً ؛ إذ لا دليل يَقْطَع بذلك .

الثّاني : أنّ الأمر لا يَخْلو عن تأويل :

إمّا لِكلمة " الصِّبَا " : على أنّها إشارة لِمرحلة من مراحل السَّيْر والسّلوك إلى الله ، أو أنّها بمعنى الشّوق (لسان العرب ٤٥١/١٤ ومختار الصّحّاح /١٤٩) أي الفترة التي تَسْبِق الفتح والوصول إلى المَنَازل والدّيار ، وحينئذٍ فلا دليل في كلمة على وفاة سَيِّدي أبي الفتح الواسطيّ في أو بَعْد فترة صِبَا سَيِّدي عبد العزيز مباشَرةً .

أو لِكلمة " حتّى " : التي تأتي كثيراً في اللّغة على معنى العطف بمعنى " و " أو " ثُمّ " ، وحينئذٍ يكون الشّطْر الثّاني لِلبيْت ابتداءً لِلكلام وليس تكملةً لِمعنى الشّطْر الأول ، ويكون المعنى أنّ سَيِّدي عبد العزيز صَحِب سَيِّدي أبا الفتح صحبة مرافَقه طول فترة صِبَاه ، وأنّ سَيِّدي أبا الفتح انْتَقل إلى جوار ربّه وهو راضٍ ومُعْطٍ العهد والوصيّة والموثق لِسَيِّدي عبد العزيز .

أو لِكلمة " قضى " : التي قدْ تَعْني أنّ سَيِّدي أبا الفتح قضى له بالفتح والولاية .

إلى غير ذلك من التّأويلات التي تَقْبَلها اللّغة وتتماشى مع أقوال أهْل البصائر والرّوايات التّاريخيّة الصّحيحة .

فإنْ قيل : فلِماذا تُكلّفون أنْفُسكم هذا العناء إذا كان هناك حلّ آخَر لِهذا الأمر يَتَمَثّل في أنّ كثيراً من كُتُب التّراجم ذَكَرَت أنّ وفاة سَيِّدي إبراهيم ﷺ كانت سَنَة ٦٧٦ هـ ، والمعروف المُشْتَهِر المُتّفَق عليه أنّه ﷺ عاش ثلاثةً وأربعين عاماً (وإنْ كانت هناك بعض الرّوايات تقول بأنّه عاش ثلاثةً وستّين عاماً ، والبعض الآخَر يقول بأنّه عاش أربعين عاماً) ، وبالتّالي يكون قدْ وُلِد سَنَة ٦٣٣ هـ ، وهو تاريخ يُمكِن أنْ يكون سَيِّدي أبو الفتح فيه حيّاً يُرْزَق كما أثْبَتّم ؟!

قُلْتُ : إنّما لم نَعْتَمِد هذه التّواريخ لأمور :

أوّلها : أنّ هذه التّواريخ ذَكَرها الإمام الشّعرانيّ (طبقات الشّعرانيّ /٣٠٦) وتَبِعه على ذلك مُعْظَم مَن قال بها ، وقدْ نَقَلها الإمام الشّعرانيّ ضِمْن ما نَقَل من كتاب " الجَوْهَرة " ، وقدْ أثْبَتُّ في مقدمة الكتاب أنّ كتاب الجَوْهَرة قدْ حَدَث فيه تحريف وتصحيف وزيادة ونقصان ، فلا يُعَوّل عليه كمَصْدَر يُعْتَمد عليه ، سيّما إذا عَلِمْتَ أنّ تاريخ وفاة سَيِّدي إبراهيم ﷺ المذكور في " جوهرة الدّسوقي " (/٩٠) هو ٦٩٦ هـ ، أمّا في " الجوهرة المُضيّة " (/٣٧٥) فإنّ التّاريخ المذكور هو ٦٧٦ هـ .

ثانيها : أنّنا إذا أخَذْنا بأنّ تاريخ مولد سَيِّدي إبراهيم ﷺ سَنَة ٦٣٣ هـ وقَعْنا في إشكاليّة أنّ سَيِّدي أبا الحَسَن الشّاذليّ ﷺ تُوُفّي وعُمُر سَيِّدي إبراهيم ﷺ لم يَتَعَدّ السّنَتَيْن أو الثّلاث ، والمعروف المُشْتَهِر أنّ سَيِّدي أبا الحَسَن الشّاذليّ تُوُفّي سَنَة ٦٥٦ هـ (سِيَر أعلام النُّبَلاء ٣٢٣/٢٣ ودُرّة الأسرار /٢٢٣ وطبقات الأولياء /٣٠٦ وتاريخ الخلفاء /٤٧٧ وطبقات الشّعرانيّ /٣٦٣ وشذرات الذّهب ٢٧٨/٣ والمفاخر العليّة /٤٧ ونور الأبصار /٤٠٦) ، فلا يَسْتَقيم هذا التّاريخ مع كوْن مولد سَيِّدي إبراهيم =

= الدّسوقيّ ﷺ سنَة ٦٣٣ هـ .

ثالثها : أنّه قدْ ثَبَت أنّ السلطان الأشرف خليل بن قلاوون كانت له وقائع ومكاتَبات أُثْبِت بعضها الجلال الكركيّ في كتابه هذا ، ومعلوم أنّ خليل بن قلاوون قدْ تَسَلْطَن ما بيْن سَنَتَيْ ٦٨٩ - ٦٩٣ هـ فلا يَصِحّ أنْ تَكون وفاة سَيِّدي إبراهيم الدّسوقيّ ﷺ قَبْل سَنَة ٦٨٩ هـ ، وبالتّالي لا يَصِحّ أنْ يَكون ﷺ قدْ تُوُفّي سَنَة ٦٧٦ هـ .

رابعها : أنّ مولد سَيِّدي موسى أبي العمران سَنَة ٦٥٩ هـ ، وهو الشّقيق الأصغر لِسَيِّدي إبراهيم ﷺ والذي يَقْبَله العقل أنْ يَكون مولد سَيِّدي إبراهيم ﷺ سَنَة ٦٥٦ هـ لِيَكون فارِق السِّنّ بيْنهما ثلاث سنوات ؛ إذ أنّه مِن المُسْتَبْعَد أنْ يَكون فارِق السّنّ بيْنهما ثلاثٌ وعشرين سَنَة .

فعُلِم مِن ذلك كُلّه أنّ التّاريخ المُعْتَمَد لِولادة سَيِّدي إبراهيم ﷺ هو سَنَة ٦٥٣ هـ .

• مولد سَيِّدي أبي السعود بن أبي العشائر كان سَنَة ٥٧٧ هـ (انظر طبقات الأولياء /٢٨٤) ، وهو أحد تلامذة سَيِّدي أبي الفتح الواسطيّ ، فلا يصحّ له الأخذ عنه إلا في أوائل العقد الأول مِن القَرْن السّابع .

الأمرَ الذي يؤكّد ما ذَهَبْنَا إليه - بل ما أكّده الإمام فخر الدين البرهانيّ - مِن أنّ سَيِّدي أبا الفتح الواسطيّ كان أخاً لِلسَّيِّدة فاطمة الشّاذليّة وليس أباً لها ؛ حيث إنّ المساحة الزّمَنِيّة بيْنهما تُرَجِّح كونَه أخاها لا أباها .

ثانياً : الاختلاف في النِّسْبة بيْن سَيِّدي أبي الفتح وسَيِّدي أبي الحَسَن ؛ فنسبة سَيِّدي أبي الفتح ﷺ " الواسطيّ " ونسبة سَيِّدي أبي الحَسَن ﷺ " الشّاذليّ " ؛ مِمّا جَعَل الكثيرين يَسْتَبْعِدون وجود أيّ صلة بيْنهما .

ولكنّنا إذا دَقّقْنَا النّظَر في تلك النِّسَب لَوجَدْنَا أنّ كُتّاب التّراجم كانوا يَذْكُرون نِسَباً عديدةً لِلعَلَم المُتَرْجَم له ما بيْن : مولده ، ونشأته ، وأصل أسْرته ، وإقامته ، ومذهبه ، ومشربه ، وغيْر ذلك ، وربّمَا عُرِف واشْتُهِر بإحدى هذه النِّسَب دون غيْرها ، الأمرَ الذي قد يُحْدِث لبساً عند البعض ، ولا أدَلّ على ذلك مِن أنّ الحافظ العراقيّ " مصريّ المولد والنّشْأة على الرّغْم " مِن نسْبته إلى " العراق " ، والحافظ ابن حَجَر العسقلانيّ مصريّ المولد والنّشْأة على الرّغْم مِن نسْبته إلى " عسقلان " التي هي أصل أسْرته ، وإذا قرأنا كُتُب التّراجم وَجَدْنَا كثيرين يَنْتَهي اسمهم بـ" الواسطيّ " - كأبي عمران الواسطيّ وأبي بكْر الواسطيّ وأبي العلاء الواسطيّ وأبي الحَسَن الواسطيّ - ولا علاقة بيْنهم إلا أنّهم يُنْسَبون إلى بلدة " واسط " بالعراق ، وهكذا في " الرّفاعيّ " و" الدّسوقيّ " و" الشّرقاويّ " و" البخاريّ " و" النّسائيّ " و" الطّبريّ " إلى غيْر ذلك مِن الأمثلة التي تُوَضّح بجلاء أنّه يجب معرفة سبب النِّسْبَة حتّى لا نَقَع في خطأ تَوَهُّم غيْر الحقيقة ..

إذا عَلِمْنَا هذا فإنّ نسبة " الواسطيّ " إنّما كانت لأنّ أوّل ظهور سَيِّدي أبي الفتح كان بواسِط مِن =

= أرض العراق ، كما أنّ نسبة الشّاذليّ إنّما كانت لأنّ أول ظهوره كان بشـاذلة كما يقول الإسكندريّ (لطائف المِنَن /٥١) وابن الصبّاغ (درّة الأسرار /٢٣) ولم يكُنْ مولده بها ، وإنّما وُلِد بغمارة بالقُرْب مِن سبتة كما قال الإسكندريّ (لطائف المِنَن /٥١) وابن الصبّاغ (درّة الأسرار /٢٣) وابن عبّاد المحلّيّ (المفاخر العليّة /١١) ..

على أنّه مِن نافلة القول أنّ نَذْكُر هنا سبباً آخَر لِتسمية سيّدي أبي الحَسَن بـ" الشّاذليّ " هو أنّه قيل له :(أنْتَ الشّاذُّ لِي) أي المُتَفَرِّد .. انظر : درّة الأسرار /٢٩ والمفاخر العليّة /٢٥

فإذا عَلِمْنَا ذلك لم نَستَغْرِب كونَ سيّدي أبي الحَسَن أخاً لِسيّدي أبي الفتح ، سيّما إذا ثبت أنّ سَيّدي أبا الحَسَن هو أخو السيّدة فاطمة الشّاذليّة وخال سيّدي إبراهيم الدّسوقيّ كما نصّ سيّدي إبراهيم ﷺ على ذلك في قوله الذي ذَكَره صاحِب " طبقات الشّاذليّة الكبرى " (/٦٧) :" أنا فَكَكْتُ طلاسم سورة الأنعام التي لم يَقْدِر على فكّها الشّاذليّ خالي " ، وكما وَرَد في الكثير مِن كُتُب التّصَوُّف والتّراجم والتي منها مخطوط في دار الكتب عنوانه " وِرْد الدّسوقيّ الذي تَلَقّاه عن خاله الشّاذليّ " ..

وقدْ نَقَلَت الدّكتورة سعاد في ماهر في كتاب " مساجد مصر وأولياؤها الصّالحون " عن الموسوعة الإسلاميّة ما نصّه :" أمّا أُمّه فهي السّيّدة فاطمة بنت عبد الله بن عبد الجبّار ، أخت الصّوفيّ المعروف أبي الحَسَن الشّاذليّ " .. ا.هـ .

كما أنّ نسبة السّيّدة فاطمة إلى " الشّاذليّة " يدلّ على صلة القرابة هذه ؛ إذ لا يُمكِن أنْ نَتَصَوّر أنّ السّيّدة فاطمة نُسِبَت إلى " الشّاذليّة " لأخْذها طريق الشّاذليّة دون أنْ يكون هناك صلة دم بيْنها وبيْن سيّدي أبي الحَسَن الشّاذليّ ؛ لِسببيْن :

الأول : أنّه لا يُتَصَوّر أنْ تَتَلَمَذ سيّدة لِشَيْخ وتَشْتَهِر بالنِّسْبَة إليه مِن دون أنْ يكون زوجها تلميذاً لِهذا الشّيْخ ومُشْتَهِراً بنفْس النِّسْبة ، فإذا لم يَشْتَهِر سيّدي عبد العزيز بأنّه " الشّاذليّ " كما اشْتَهَرَت زوْجته السّيّدة فاطمة دلّنا ذلك على أنّ اشْتِهارها بـ" الشّاذليّة " لِوجود صِلَة دم بيْن السّيّدة فاطمة وسيّدي أبي الحَسَن علاوةً على صلّة النّسب الرّوحيّ .

الثاني : بُعْد المسافة بيْن دسوق مستقَرّ السّيّدة فاطمة والإسكندريّة مستقَرّ سيّدي أبي الحَسَن ، حيث إنّها حوالي ثمانين كيلو متراً ؛ الأمرَ الذي يُستَبْعَد معه وجود اتّصال روحيّ دون وجود صلة دم بيْن سيّدي أبي الحَسَن والسّيّدة فاطمة التي لا تَسْتَطِيع أنْ تسافِر إلا بإذْن زوْجها ، فضلاً عن كوْنها لا تَسْتَطِيع أنْ تَتَحَمّل ما يَتَحَمّله الرّجال مِن مشقّة السّفَر سيّمَا في هذه الأيّام .

فإذا كان سيّدي أبو الحَسَن أخاً لِلسّيّدة فاطمة الشّاذليّة وكانت هناك رابطة بيْن السّيّدة فاطمة وسيّدي أبي الفتح الواسطيّ فلا يصحّ أنْ تكون ابنته ؛ وإلا كان سيّدي أبو الفتح ـ أيضاً ـ أباً لِسيّدي أبي الحَسَن الشّاذليّ ، وهو ما لم يَقُلْ به أحد ، فلم يَبْقَ إلا أنْ يكون أخاً لهما .

على أنّ هناك شاهداً آخَر يُؤَكِّد وجود صلة الدّم هذه وهو : زواج سيّدي موسى أبي العمران ﷺ =

فأرْسَلَ ابنُ هارونَ يقولُ لَهَا :" لاَ تَحْزَنِي ؛ فإنَّهُ إذا غَرَبَتِ الشَّمْسُ شَرِبَ " ، وأمَرَ النَّاسَ عِندَ ذلكَ بالصَّوْم .

فإنْ قُلْتَ : هذا الأمرُ مِنَ الشَّيْخِ ابنِ هارونَ رُبَّما لاَ يَتَمَشَّى على القاعِدةِ الشَّرْعِيَّةِ ؛ فمِنَ المُقرَّرِ عِندَ علمائنا ﷺ أنَّهُ لوْ رَأى شَخْصٌ في مَنامِهِ المُصْطَفَى ﷺ فأخْبَرَهُ أنَّ الليلةَ أوَّلُ رمَضانَ لَمْ يَصِحَّ صَوْمُهُ ، لاَ لِخلَلٍ في رؤيَتِهِ الشَّريفةِ ﷺ ؛ فإنَّهُ قال﴿ مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَآنِي حَقًّا ﴾ (١) ، بَلْ لاختلالِ ضَبْطِ الرَّائي ؟!

- أخي سَيِّدي إبراهيم من ابنة خاله سَيِّدي أبي الحَسَن الشّاذليّ ؛ فإنّ صلة النَّسَب هذه تُقَوِّي وتُؤكِّد على وجود صلة دم بين سَيِّدي أبي الحَسَن والسَّيِّدة فاطمة الشّاذليّة التي زارته حاملةً معها وليدها سَيِّدي إبراهيم قبل سفره الأخير قاصداً الحجّ كما ذَكَر ذلك ابن فارس في المِنَح الإلهيّة ، لِذا فإنّا نَجِد سَيِّدي إبراهيم ﷺ يقول في حقائقه :" أخَذْتُ الطّريقة عن رسول الله ﷺ وعهْد البيعة عن القُطْب أبي الحَسَن الشّاذليّ " (انظر : نور الحدق /٦٨ وتبيان وسائل الحقائق ٨٧/١) ..

ومِمَّن نَصّ على أخْذ سَيِّدي إبراهيم عن سَيِّدي أبي الحَسَن : السَّيِّد محمد توفيق البكريّ وجلال الدّين الكركيّ وكمال الدّين الحريريّ والسَّيِّد عبد القادر بن محمد الطّبريّ الحسينيّ وغيْرهم .

ثالثاً : أنّ سَيِّدي أبا الفتح الواسطيّ يُصنَّف في كُتُب التّراجم على أنّه مِمَّن اشْتُهِر بكُنْيَته ؛ إذ أنّه لا يُعْرَف اسمه ولا نَسَبه على الحقيقة ، وإنّما يُعْرَف بأنّه نَجْم الدّين أبو الفتح محمد بن أبي الغنائم الواسطيّ ؛ الأمرَ الذي لأجْله لم يَتَصَوّر أحد وجود صلة قرابة بيْنه وبيْن سَيِّدي أبي الحَسَن الشّاذليّ وتَصَوّروا أنّ السَّيِّدة فاطمة الشّاذليّة ابنة سَيِّدي أبي الفتح وليست أخْته .

فإنْ قيل : فإنّ كُنْيَة أبي سَيِّدي أبي الفتح هي أبو الغنائم ، وهي ليست كُنْيَةً لأبي سَيِّدي أبي الحَسَن الشّاذليّ ؛ مِمّا يدلّ على أنّ أبويْهما لَيْسَا شخصاً واحدا ؟

قُلْتُ : ليس في ذلك دلالة على أنّ الأبويْن مُخْتَلِفان ؛ **لأحد أمْرَيْن** :

أحدهما : أنْ تَكون كُنْيَة أبي سَيِّدي أبي الحَسَن وسَيِّدي أبي الفتح هي " أبو الغنائم " ، واسْمه " عبد الله " ، ولَمّا ذُكِر نسب سَيِّدي أبي الحَسَن ذُكِر اسم أبيه دُون كُنْيته ، ولَمّا ذُكِر نسب سَيِّدي أبي الفتح ذُكِرَت كُنْيَة أبيه دُون اسْمه .

والآخَر : أنّه ربّما كانت هذه الكُنْيَة مِن الخطأ الذي تَنَاقَله الرّواة والمؤرّخون دون تَثَبُّت صحيح .

أقول : على أنّ هناك دليلاً قويّاً - يضاف إلى الأدلة التي ذكرناها - على أنّ السَّيِّدة فاطمة أخت سَيِّدي أبي الفتح الواسطيّ ، وهو : النّصّ المكتوب على ضريح السَّيِّدة فاطمة الشّاذليّة بالإسكندريّة الذي يؤكّد على أنّها أخت سَيِّدي أبي الفتح ، وهذا الدّليل يُعْتَبَر بمثابة رواية صحيحة منقولة إلينا بالتّواتر منذ وفاتها رضي الله عنها إلى الآن .

(١) لهذا الحديث روايات كثيرة ومتعددة في دواوين السُّنَّة ، ولِكُلّ رواية منها معنى بل مَعاني عالية -

- وحِكَم غالية ، وقدْ رأيْتُ أنْ أُورِد بعض هذه الروايات بتخريجاتها دون تعليقٍ ؛ تاركاً القارئ الكريم يَنْهَل من مَعِين كلام المصطفى ﷺ الذي لا يَنْضَب ، وهي :

• ﴿ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي ﴾ أخْرَجه البخاريّ ٥٢/١ و٢٢٩٠/٥ وابن أبي شيبة ١٧٤/٦ عن سَيِّدنا أبي هريرة ﷺ ، وابن أبي شيبة ١٧٤/٦ عن سَيِّدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَكَوَّنُ فِي صُورَتِي ﴾ أخْرَجه البزار ٤٣٧/٥ عن سَيِّدنا عبد الله بن مسعود ﷺ ، وأبو يعلى ٤٠٥/١١ عن سَيِّدنا أبي هريرة ﷺ .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فِي النَّوْمِ فَقَدْ رَآنِي ؛ إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَتَمَثَّلَ فِي صُورَتِي ﴾ أخْرَجه الإمام مسلم ١٧٧٦/٤ والنّسائيّ ٣٨٤/٤ وابن ماجة ١٢٨٤/٢ وأحمد ٣٥٠/٣ وأبو يعلى ١٨٠/٤ وعبد ابن حميد /٣١٩ عن سَيِّدنا جابر ﷺ .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَآنِي ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَبَدَّى فِي صُورَتِي ﴾ أخْرَجه ابن عديّ ٣٣٩/٣ عن سَيِّدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَخَيَّلُ بِي ﴾ أخْرَجه البخاريّ ٢٥٦٨/٦ عن سَيِّدنا أنس ﷺ ، وأحمد /٢٣٢/٢ عن سَيِّدنا أبي هريرة ﷺ .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَإِيَّايَ رَأَى ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَخَيَّلُ بِي ﴾ وفي رواية ﴿ لاَ يَتَخَيَّلُنِي ﴾ أخْرَجه الإمام أحمد ٢٧٩/١ عن سَيِّدنا عبد الله بن مسعود ﷺ .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَهُوَ ﴾ أخْرَجه مَعْمَر بن راشد ٢١٥/١١ مُرْسَلاً عن الزُّهْريّ .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الْحَقّ ﴾ أخْرَجه البخاريّ ٢٥٦٨/٦ ومسلم ١٧٧٦/٤ والدّارميّ ١٦٦/٢ واللاّلكائيّ ٣٦٣/٢ عن سَيِّدنا أبي قتادة ﷺ .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى الْحَقّ ﴾ أخْرَجه الدّارميّ ١٦٦/٢ عن سَيِّدنا أبي قتادة ﷺ ، وابن حبّان ٤١٦/١٣ عن سَيِّدنا أبي هريرة ﷺ .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَكَوَّنُ بِي ﴾ أخْرَجه الإمام أحمد ٥٥/٣ والخطيب البغداديّ ١٧٧/٧ عن سَيِّدنا أبي سعيد الخدريّ ﷺ .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَكَوَّنُنِي ﴾ أخْرَجه البخاري ٢٥٦٨/٦ عن سَيِّدنا أبي سعيد الخدريّ ﷺ .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ ؛ إِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَشَبَّهُ بِي ﴾ أخْرَجه الإمام أحمد ٢٦١/٢ عن سَيِّدنا أبي هريرة ﷺ .

- • ﴿ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِيَ الْحَقَّ ؛ إِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِي ﴾ أخرجه الإمام أحمد ٤٢٥/٢ عن سيّدنا أبي هريرة ﷺ .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِيَ الْحَقَّ ﴾ أخرجه أحمد ٣٠٦/٥ عن سيّدنا أبي قتادة ﷺ .

قال في مجمع الزوائد ١٨١/٧ : رجاله رجال الصحيح .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَآنِي ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَكَوَّنُنِي ﴾ أخرجه ابن عديّ ٢٣٦/٤ عن سيّدنا أبي سعيد الخدريّ ﷺ .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَآنِي ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِي ﴾ أخرجه الطّبرانيّ ١١١/٢٢ عن سيّدنا أبي جحيفة ﷺ .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي ﴾ أخرجه أحمد ٤٧٢/٣ و٣٩٤/٦ والبخاريّ في التّاريخ ٣٥٢/٤ ومحمد بن عبد الواحد المقدسيّ ٩٩/٨ و١٠٠/٨ والخطيب البغداديّ ٤٥٤/١٠ وابن أبي شيبة ١٧٤/٦ وأبو بكْر الشّيبانيّ ٢١/٣ وأبو الحَجّاج المزّيّ ٣٣٦/١٣ وأبو الحسين بن قانع ٤٧/٢ عن سيّدنا طارق ابن أشيم الأشجعيّ ﷺ ، والطّبرانيّ ٣١٦/٨ وفي الأوسط ٧٤/٨ عن سيّدنا أبي هريرة ﷺ .

قال في مجمع الزوائد ١٨١/٧ : رجاله رجال الصّحيح .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَمَثَّلَ بِي ﴾ أخرجه الحكيم التِّرْمذيّ ٣٨٦/١ عن سيّدنا أبي هريرة ﷺ ، ومَعْمَر بن راشد ٢١٥/١١ عن قتادة .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فِي مَنَامِهِ فَقَدْ رَآنِي ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّلُ بِي وَلاَ بِالْكَعْبَةِ ﴾ أخرجه الطّبرانيّ في الأوسط ٢٣٨/٣ والصّغير ١٧٥/١ عن سيّدنا أبي سعيد الخدريّ ﷺ .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّلُ بِي ﴾ أخرجه مسلم ١٧٧٥/٤ وابن ماجة ١٢٨٤/٢ وأحمد ٢٣٢/٢ و٣٤٢/٢ والحاكم ٤٣٥/٤ وابن أبي شيبة ١٧٤/٦ والطّبرانيّ في الأوسط ٢٩١/١ وإسحاق بن راهويه ٢٨٧/١ عن سيّدنا أبي هريرة ﷺ ، ومحمد بن عبد الواحد المقدسيّ ١٠٠/٨ والخطيب البغداديّ ٣٤/١٠ عن سيّدنا طارق بن أشيم الأشجعيّ ﷺ ، والتِّرْمذيّ ٥٣٥/٤ والطّبرانيّ في الأوسط ٥٦/٢ وأبو يعلى ١٦١/٩ وأبو نُعَيم ٢٤٦/٧ عن سيّدنا عبد الله بن مسعود ﷺ ، وابن ماجة ١٢٨٤/٢ وأبو بكْر الكنانيّ ١٥٤/٤ وابن أبي شيبة ١٧٥/٦ عن سيّدنا أبي سعيد الخدريّ ﷺ ، وابن ماجة ١٢٨٥/٢ والطّبرانيّ ٣٨/١٢ و٢١٣/١٢ وأبو بكْر الكنانيّ ١٥٤/٤ عن سيّدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وأحمد ٢٦٩/٣ والطّبرانيّ في الأوسط ١١٥/٤ وابن عبد البرّ ٢٨٢/١ وأبو يَعْلَى ٤١/٦ وأبو نُعَيم ٣٣٠/٢ عن سيّدنا أنس بن أنس ﷺ ، والخطيب البغداديّ ٣٣٣/٨ والدَّيْلَميّ ٦٣٥/٣ عن سيّدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما . -

- • ﴿ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّلُ بِي ، وَمَنْ رَأى أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآهُ ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّلُ به ﴾ أخرجه الخطيب البغداديّ ٣٣٣/٨ والدّيلَميّ ٦٣٥/٣ عن سيّدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّلُ مَكَانِي ﴾ أخرجه أبو يعلى ٣٧٢/١١ عن سيّدنا أبي هريرة ﷺ .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فِي النَّوْمِ فَقَدْ رَآنِي ؛ فَإِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِي ﴾ أخرجه مسلم ١٧٧٦/٤ عن سيّدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَكَأَنَّمَا رَآنِي فِي الْيَقَظَةِ ؛ إِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَمَثَّلَ بِي ﴾ أخرجه ابن ماجة ١٢٨٤/٢ و الطّبرانيّ ١١١/٢٢ وأبو بكر الكنانيّ ١٥٤/٤ والبخاريّ في التاريخ ٢٩٤/٤ عن سيّدنا أبي جحيفة ﷺ .

• ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِي ، فَمَنْ رَآنِي فِي النَّوْمِ فَقَدْ رَآنِي ﴾ أخرجه أحمد ٣٦١/١ وابن أبي شيبة ١٧٤/٦ وابن سعد ٤١٧/١ عن سيّدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَمَثَّلَ بِمِثْلِي ﴾ أخرجه أحمد ٣٧٥/١ عن سيّدنا عبد الله بن مسعود ﷺ .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّلُ بِمِثْلِي ﴾ أخرجه الإمام أحمد ٤٤٠/١ والدارمي ١٦٦/٢ عن سيّدنا عبد الله بن مسعود ﷺ ، والإمام أحمد ٤٦٣/٢ واللاّلكائيّ ٣٦٤/٢ عن سيّدنا أبي هريرة ﷺ .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَأَنَا الَّذِي رَآنِي ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَخَيَّلُ بِي ﴾ أخرجه أحمد ٤٥٠/١ عن سيّدنا عبد الله بن مسعود ﷺ .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَأَنَا الَّذِي رَأى ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّلُ بِي ﴾ أخرجه أبو نعيم ٣٤٨/٤ عن سيّدنا عبد الله بن مسعود ﷺ .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فَإِنِّي أَنَا هُوَ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَتَمَثَّلَ بِي ﴾ أخرجه التِّرْمِذيّ ٥٣٧/٤ عن سيّدنا أبي هريرة ﷺ .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي ؛ إِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَصَوَّرُ بِي ﴾ أو قال ﴿ لاَ يَتَشَبَّهُ بِي ﴾ أخرجه الإمام أحمد ٤١٠/٢ و٤١١/٢ و٤٦٩/٢عن سيّدنا أبي هريرة ﷺ ، والرّوياني ٢٩١/١ وأبو الحَجّاج المزّيّ ٤٤٦/٦ عن سيّدنا البراء بن عازب ﷺ .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي ؛ إِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَشَبَّهُ بِي ﴾ أخرجه الإمام أحمد ٤٧٢/٢ عن سيّدنا -

قُلْتُ : يُحْتَمَلُ أَنَّهُ اطَّلَعَ على ما يدُلُّ على ذلكَ يقيناً : كأنْ رأى في اللَّوْحِ المَحْفُوظِ أنَّ هذا الأستَاذَ يَصُومُ أوَّلَ رمضانَ ذلكَ العام .

كما قيلَ لِلشَّيْخِ أبِي الحَسَنِ الشَّاذُلِيِّ :" لِمَ لاَ تَأْخُذُ العَهْدَ على المَرِيدِينَ ؟ " فقالَ :" أصحابي عَرَفْتُهُم مِنَ اللَّوْحِ المَحْفُوظ " (١) (٢) .

- أبي هريرة ﷺ .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَكَأَنَّمَا رَآنِي فِي الْيَقَظَةِ ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَشَبَّهُ بِي ﴾ أخرجه أبو الحسن الهيثميّ /٤٤٥ والطّبرانيّ ١١٨/٢٢ عن سيّدنا أبي جحيفة ﷺ .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَكَأَنَّمَا رَآنِي مُسْتَيْقِظاً ؛ إِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَمَثَّلَ بِي ﴾ أخرجه أبو يعلى ١٨٤/٢ عن سيّدنا أبي جحيفة ﷺ .

• ﴿ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَرَاءَى بِي ﴾ أخرجه الطّبرانيّ في الأوسط ٣١٠/٨ عن سيّدنا أبي قتادة ﷺ ..

قال في مجمع الزوائد ١٨١/٧ : إسناده حسَن .

• ﴿ مَنْ زَارَنِي فِي الْمَنَامِ فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي الْيَقَظَةِ ؛ إِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّلُ بِي ﴾ أخرجه الطّبرانيّ في الأوسط ١٩٢/١ عن سيّدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

• ﴿ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي ؛ فَإِنِّي أُرَى فِي كُلِّ صُورَة ﴾ أخرجه الدّيلميّ ٦٣٦/٣ عن سيّدنا أبي هريرة ﷺ ..

قال ابن حَجَر : أخرجه ابن أبي عاصم عن سيّدنا أبي هريرة ﷺ .. فتح الباري ٣٤٨/١٢

• ﴿ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَإِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ النَّار ﴾ أخرجه ابن عديّ ٣٨٧/٣ عن سيّدنا أنس ﷺ .

• قال ابن مسعود ﷺ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لاَ يُخَيَّلُ عَلَى مَنْ رَآه .. أخرجه الطّبرانيّ ٢١٤/١٠

قال في مجمع الزّوائد ١٨١/٧ : ورجاله ثقات .

(١) انظر النّفحات الشّاذليّة /٣٣

(٢) أقول : ذكَر ابن العماد في مناقب الشّيْخ أبي الحَسَن بن الصبّاغ تلميذ الشّيْخ عبد الرحيم القناويّ : قال ابن الأهدل : وكان لا يَصْحب إلا مَن رآه مكتوبا في اللّوْح "مَحفُوظ من أصحابه ..

شذرات الذّهَب ٥٢/٣

وقال ابن المُلَقّن : وكان إنْ جاءه أحد يريد الانقطاع إليه أطْرَق ملياً : فإنْ رآه في اللّوْح المَحفُوظ قَبِله ، وإلا تَركه .. طبقات الأولياء /٣٠٥

وذَكَر عن جاكير الزّاهد أنّه قال : ما أخَذْتُ العَهْد على أحد حتّى رأيْتُ اسمه مرقوماً في اللّوْح المَحفُوظ من جملة مريديّ .. طبقات الأولياء /٢٩١

وقال الإمام الشّعْرانيّ نقلاً عن " الفتوحات المكّيّة "لِسيّدي محيي الدّين بن عربيّ : وقد كان سَهْل -

وكما قالَ أستاذُنا الدسوقيُّ ـ قدَّسَ اللهُ رُوحَهُ ـ بكِتابِهِ الجليلِ الفائقِ الموسومِ بـ" الحقائقِ " المُشْتَمِلِ على تَصَوُّفٍ ورقائقَ ومَواعِظَ وكراماتٍ وحقائقَ :" إنَّ الشَّيْخَ يَنْظُرُ في اللَّوْحِ المَحْفُوظِ في اليَوْمِ واللَّيْلَةِ مائةَ مرَّةٍ فيَمْحُو ما يشاءُ ويُثْبِتُ بإذْنِ اللهِ تعالى " .

وكَمَا قالَ المُرْسِيُّ :" قَرَأْتُ مَرَّة ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُون ﴾ (١) حتَّى انْتَهَيْتُ إلى قَولِهِ تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِين ﴾ (٢) فتَفَكَّرْتُ في مَعنى هذهِ الآيةِ ، فكُشِفَ لي عَنِ اللَّوْحِ المَحْفُوظِ ، فإذا هُوَ مكتوبٌ فيه :(﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ رُوحاً وَعَقْلا ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِين ﴾ نَفْساً وَهَوَى) " (٣) .

قالَ الأستاذُ في " الحقائقِ " :" إنَّ الفقيرَ (يَعْنِي نَفْسَهُ) مَنَّ اللهُ عليْهِ مِنْ ظَهْرِ أبيهِ ولَطَفَ بهِ في الأحشاءِ ، فحِينَ وَضَعَتْنِي أُمِّي كُنْتُ مُبَشِّراً في ذلكَ العامِ بالصِّيامِ إذْ لَمْ يُرَ الهِلالُ ، وإنَّ ذلكَ أوَّلُ كرامَتي مِنَ الله " .

وسيأتي ذِكْرُ اللَّوْحِ المَحْفُوظِ .

فإنْ قُلْتَ : شَرْطُ صِحَّةِ الصَّوْمِ التَّمْيِيزُ ، والطِّفْلُ لاَ تَمْيِيزَ لهُ كَمَا صَرَّحَ بهِ العلماء ؟!

قُلْتُ : لا مانِعَ أنَّ اللهَ جَعَلَ لهُ تَمْيِيزاً أدْرَكَ بهِ الصَّوْمَ بشروطِهِ التي مِنها النِّيَّةُ المُعْتَبَرةُ ـ بدليلِ ما سيأتي مِنْ أنَّ مُؤَدِّبَ الأطفالِ لَمَّا سألَهُ :" هَلْ شَعَرْتَ بصَوْمِكَ في المَهْدِ ؟ " فقالَ الأستَاذُ :" وهَلْ يُتَقَبَّلُ مِمَّنْ يَعْبُدُ اللهَ على جَهْل ؟! " ـ كَمَا خَلَقَ اللهُ التَّمْيِيزَ لِعيسى عقِبَ ولادتِهِ فنادَى أُمَّهُ مَرْيَم ﴿ أَلَّا تَحْزَنِي ﴾ (٤) إلى

ـ ابن عبد الله التُستَريّ ﷺ يقول : أعرِف تلامذتي من يوم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُم ﴾ ، وأعرِف مَن كان في ذلك الوقت عن يميني ومَن كان عن شمالي ، ولم أزَلْ من ذلك اليَوْم أُربِّي تلامذتي وهُمْ في الأصلاب لم يُحْجَبوا عنِّي إلى وقْتي هذا .. طبقات الشعْرانيّ /٣٠٨

(١) سورة التِّين الآية ١

(٢) سورة التِّين الآيتان ٤ ، ٥

(٣) انظر لطائف المِنَن /١٠٧

(٤) سورة مريم من الآية ٢٤

إلى آخرِ ما قَصَّ اللهُ عَلَيْنَا (١) .

ومِمَّنْ حكَى صَوْمَ الأستاذِ في مَهْدِهِ على نَحْوِ ما قُلْنَاهُ وأنَّهُ شَريفٌ : صاحِبُ كتابِ " التَّذْكارِ وكَنْزِ الأخيارِ " في كتابِهِ " مَراسِمِ الطَّريقةِ في فضائلِ أهْلِ الشَّريعةِ والحقيقةِ " ، وفي الكتابِ المذكورِ أنَّ الشَّيْخَ لهُ كراماتٌ كثيرةٌ ، وأنَّهُ كانَ مجذوباً مِنْ صِغَرِهِ ، وليسَ المُرادُ بالجَذْبةِ لأستاذِنَا غَيْبَتَهُ عَنِ التَّدْبيرِ بالعَقْلِ لأنَّهُ كانَ لهُ استِنْباطٌ وتآليفُ لِمُصَنَّفاتٍ كما سيأتي ، بلِ المُرادُ - واللهُ أعْلَمُ - أنَّهُ سُبْحَانَهُ جَذَبَهُ إليْهِ مِنْ صِغَرِهِ حتَّى بَلَغَ حالةَ الكمالِ في رُتْبةِ المَشْيَخَةِ ، فصارَ مجذوباً مُتَداركاً بالسُّلوكِ ، فإنَّ الشَّيْخَ الذي يَكْتُبُ بطريقةِ الأحوالِ قَدْ يَكونُ مأخوذاً في ابتِدائِهِ في طريقِ المُحِبِّينَ ، وقَدْ يَكونُ مأخوذاً في طريقِ المَحْبُوبِينَ وذلكَ أنَّ أمْرَ الصَّالِحِينَ والسَّالِكِينَ يَنْقَسِمُ إلى أربعةِ أقسامٍ : سالِكٍ مُجَرَّدٍ ، ومجذوبٍ مُجَرَّدٍ ، وسالكٍ مُتَداركٍ بالجَذْبةِ ، ومجذوبٍ مُتَداركٍ بالسُّلوك ..

وقَدْ بَسَطَ الكلامَ على هذهِ الأقسامِ السُّهْرَوَرْدِيُّ (٢) في البابِ العاشِرِ شَرْحِ

(١) وسوف يأتي الحديث في حواشي هذا الكتاب عمَّنْ وَرَدَ أنهم تَكَلَّموا في المَهْد .

(٢) هو شهاب الدين أبو حفص عُمَر بن محمد بن عبد الله السُّهْرَوَرْدِيّ البغداديّ الشّافعيّ ﷺ ، وُلِد بسُهْرَوَرْد سَنَة ٥٣٩ هـ ، أخَذ عن عمّه أبي النجيب السُّهْرَوَرْدِيّ والشَّيْخ عبد القادر الجيلانيّ ، وأخَذ عنه رشيد الدين الفرغانيّ وابن نقطة وابن النجار .

قال عنه ابن كثير : شَيْخ الصُّوفِيّة ببغداد ، كان من كبار الصّالحين وسادات المُسْلِمين ..

البداية والنِّهاية ١٣٨/١٣

وقال ابن النّجّار : كان شيْخ وقْته في عِلْم الحقيقة ، وانْتَهَتْ إليه الرِّياسة في تربية المريدين ودعاء الخَلْق إلى الله تعالى .. انظر شذرات الذَّهَب ١٥٣/٣

كتب إليه بعضهم :" يا سيِّدي .. إنِّي إنْ تَرَكْتُ العمل أخْلَدْتُ إلى البطالة ، وإنْ عَمِلْتُ داخَلَني العُجْب ، فأيّهما أوْلَى ؟ " فكَتَب جوابه : اعْمَلْ واسْتَغْفِرْ الله من العُجْب .

من مؤلَّفاته : عوارف المَعارف ، السِّيَر والطِّيَر .

من نَظْمه ﷺ :

لا تَسْقِني وحْدي فما عوَّدْتَني ... أنِّي أشحّ بها على جُلاّسِي

أنت الكريم ولا يليق تَكَرُّماً ... أنْ يَصْبِر النُّدماء دون الكاسِ

تُوُفِّي ﷺ سَنَة ٦٣٢ هـ ..

قال الذَّهَبيّ : لم يخلف بَعْده مِثْله .

رُتبةِ المَشْيَخَةِ مِنْ عوارفِ معارِفِهِ (١) ، وذَكَرَ فيهِ أنَّ المقامَ الأكْمَلَ في المَشْيَخَةِ القِسْمُ الرَّابِعُ ، وهوَ : المجذوبُ المُتَدارَكُ بالسُّلوكِ ؛ يُبادِئُهُ الحَقُّ بالكشوفِ وأنوارِ اليقينِ ، ويَرْفَعُ عَنْ قَلْبِهِ الحُجُبَ ، ويَسْتَنيرُ بأنوارِ المُشاهَدةِ ، ويَنْشَرِحُ ويَنْفَسِحُ صَدْرُهُ وقَلْبُهُ ، ويَتَجافَى عَنْ دارِ الغُرورِ ، ويُنيبُ إلى دارِ الخلودِ ، ويَرْتَوي مِنْ بَحْرِ الحالِ ، ويَتَخَلَّصُ مِنَ الأغلالِ والأعلالِ ، ويقولُ مُعلِناً : " لاَ أَعْبُدُ ربّاً لَمْ أَرَهُ " (يَعْنِي بالقَلْبِ) ، ثُمَّ يُفيضُ مِنْ باطِنِهِ على ظاهِرِهِ ، ويُجْرِي عليهِ صورةَ المجاهَدةِ والمُعامَلةِ مِنْ غَيْرِ مُكابَدةٍ وعَناءٍ ، بَل بلَذاذةٍ وهَنَاءٍ ، ويصيرُ قَالَبُهُ بصفةِ قَلْبِهِ ؛ لامتِلاءِ قَلْبِهِ بحُبِّ ربِّهِ ، ويَلِينُ جِلْدُهُ كَمَا لانَ قَلْبُه (٢) ..

وذَكَرَ علامةَ لِينِ جِلْدِهِ ، إلى أنْ قالَ :" ولا يكونُ هذا إلاَّ حالَ المحبوبِ

---

(١) قال ﷺ : **فالسّالك المُجَرَّد** : لا يُؤَهِّل لِلمَشْيَخَة ولا يَبْلُغها ؛ لِبقاء صفات نَفْسه عليه ، فيَقِف عند حظّه مِن رحمة الله تعالى في مقام المعامَلة والرِّياضة ، ولا يَرْتَقِي إلى حالٍ يُرَوِّح بها مِن وَهَج المكابَدة .

والمجذوب المُجَرَّد مِن غَيْر سلوك : يبادئه الحقّ بآيات اليقين ، ويَرْفَع عن قَلْبه شيئاً مِن الحِجَاب ولا يؤخَذ في طريق المعاملة ...

قال ﷺ : وهذا ـ أيضاً ـ لا يُؤَهِّل لِلمَشْيَخَة ، ويَقِف عند حظّه مِن الله مُرَوِّحاً بحاله غيْر مأخوذ في طريق أعماله ما عَدَا الفريضة .

والسّالك الذي تُدُورِك بالجذبة : هو الذي كانت بدايته بالمجاهَدة والمكابَدة والمعامَلة بالإخلاص والوفاء بالشّروط ، ثُمّ أُخْرِج مِن وَهَج المكابَدة إلى رَوْح الحال ، فوَجَد العسل بَعْد العَلْقَم ، وتَرَوَّح بنسمات الفضل ، وبَرَز مِن مَضيق المكابَدة إلى مُتَّسَع المساهَلة ، وأُونِس بنفحات القُرْب ، وفُتِح له باب مِن المشاهَدة ، فوَجَد دواءه وفاض وعاؤه ، وصَدَرَت منه كلمات الحكمة ، ومالت إليه القلوب ، وتَوَالَى عليه فتوح الغيوب ، وصار ظاهِره مُسْتَدّاً وباطنه مشاهداً ، وصَلَح لِلْجَلْوة ، وصار له في خَلْوته خلوة ، فيغلب ولا يغلب ، ويفترس ولا يفترس ، يُؤَهِّل مِثْل هذا لِلمَشْيَخَة ؛ لأنّه أُخِذ في طريق المُحِبِّين ومُنِح حالاً مِن أحوال المُقَرَّبين بَعْدَمَا دَخَل مِن طريق أعمال الأبرار الصّالحين ، ويكون له أتباع يَنْتَقِل منْه إليْهم علوم ، ويَظْهَر بطريقه بَرَكة ، ولكنْ قدْ يكون محبوساً في حالِه مُحَكّماً حاله فيه ؛ لا يُطلّق مِن وثاق الحال ولا يَبْلُغ كمال النّوال ، يَقِف عند حظّه ، وهو حظّ وافِر سَنِيّ ، والذين أوتوا العِلْم درجات .. عوارف المَعارف /٩٧

(٢) عوارف المَعارف /٩٨

المُراد " (١) ..

ثُمَّ قالَ :" فالمحبوبُ المُرادُ الذي أُهِّلَ لِلْمَشْيَخَةِ سلِمَ قَلْبُهُ وانْشَرَحَ صَدْرُهُ ولانَ جِلْدُهُ ، فصارَ قَلْبُهُ بطَبْعِ الرُّوحِ ، ونَفْسُهُ بِطَبْعِ القَلْبِ ، ولانَتِ النَّفْسُ بَعْدَ أنْ كانت أمَّارةً بالسُّوءِ مُسْتَعْصِيةً ، ولانَ الجِلْدُ لِلِينِ النَّفْسِ ، ورُدَّ إلى صورةِ الأعمالِ بَعْدَ وجْدانِ الحالِ ، ولاَ تَزالُ رُوحُهُ تَنْجَذِبُ إلى الحَضْرَةِ الإلهيَّةِ ، فيَسْتَتْبِعُ الرُّوحَ القَلْبُ ، وتَسْتَتْبِعُ القَلْبَ النَّفْسُ ، ويَسْتَتْبِعُ النَّفْسَ القالَبُ ، فامْتَزَجَتِ الأعمالُ القَلْبِيَّةُ والقالَبِيَّةُ ، وانْخَرَقَ الظَّاهِرُ إلى الباطِنِ ، والباطِنُ إلى الظَّاهِرِ ، والقُدْرَةِ إلى الحِكمَةِ ، والحِكْمَةُ إلى القُدْرَةِ ، والدُّنْيا إلى الآخِرةِ ، والآخِرةُ إلى الدُّنْيا ، ويَصِحُّ لَهُ أنْ يقولَ :" لَوْ كُشِفَ الغِطاءُ مَا ازْدَدْتُ يقيناً " (٢) ، فعِنْدَ ذلكَ يُطْلَقُ مِنْ وَثاقِ الحالِ ، ويَكونُ مُسَيْطِراً على الحالِ ، لاَ الحالُ مُسَيْطِراً عليْهِ ، ويصيرُ حُرّاً مِنْ كُلِّ وَجْه " (٣) ..

ثُمَّ قالَ آخِرَ البابِ :" ومَنْ صَحَّ في المقامِ الذي وَصَفْنَاهُ (يَعْنِي هذا الرَّابعَ) هوَ الشَّيْخُ المُطْلَقُ والعارِفُ المُحَقَّقُ والمَحْبُوبُ المُعْتَقُ ، نَظَرُهُ دواءٌ ، وكلامُهُ شِفاءٌ ، باللهِ يَنْطِقُ ، وباللهِ يَسْكُتُ ؛ كما وَرَد ﴿ **لاَ يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعاً وَبَصَراً وَيَداً وَمُؤَيِّداً ، بِي يَنْطِقُ ، وَبِي يُبْصِرُ** ﴾ (٤) ، فالشَّيْخُ يُعْطِي باللهِ ويَمْنَعُ باللهِ ، فلاَ رَغْبَةَ لهُ في عَطاءٍ ومَنْعٍ

(١) قال ﷺ :" وعَلامَةُ لِينِ جِلْده : إجابة قالبه لِلعمل كإجابة قَلْبه ، فيزيده الله تعالى إرادةً خاصّةً ، ويَرُزّقه محبّة خاصّة المحبوبين المرادين ، يَنْقَطِع فيُواصِل ، ويُعْرِض عنه فيراسِل ، يُذْهِب عنه جمود النَّفْس ، ويَصْطَلِي بحرارة الرُّوح ، وتَتَكَمَّش عن قَلْبه عروق النَّفْس ؛ قال الله تعالى ﴿ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ** ﴾ أخبَر أنّ الجلود تَلِين كما أنّ القلوب تَلِين ، ولا يكون هذا إلا حال المحبوب المراد ..

عوارف المَعارف /٩٨

(٢) من أقوال سيّدنا عليّ كَرَّم الله وجْهه .. انظر : إحياء علوم الدّين ١٧١/١ وحَلّ الرّموز /٩٠ ولطائف المِنَن /١٣٧ وطبقات الشّافعيّة الكبرى ٦١/٦

(٣) عوارف المَعارف /٩٨

(٤) أخْرَجه البخاريّ ٢٣٨٤/٥ وابن حبّان ٥٨/٢ وأبو نُعَيم الأصفهانيّ ١٤/١ والبَيْهَقيّ ٣٤٦/٣ وفي الزُّهْد الكبير ٢٦٩/٢ عن سيّدنا أبي هريرة ﷺ ، والطّبرانيّ في الأوسط ١٣٩/٩ والبَيْهَقيّ في الزُّهْد -

لِعَيْنِهِ ، بَلْ هُوَ مُرادُ الحَقِّ ، والحَقُّ يُعَرِّفُهُ مُرادَهُ ، فيكونُ في الأشياءِ بمُرادِ اللهِ لاَ بِمُرادِ نَفْسِهِ ، فإنْ عَلِمَ أنَّ اللهَ يُرِيدُ مِنْهُ الدّخولَ في صورةٍ محمودةٍ دَخَلَ فيها لِمُرادِ اللهِ تعالى لاَ لِكَوْنِ الصُّورةِ محمودة " (١) ..

ثُمَّ إنَّ الأستاذَ ـ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ ـ حكَى بِجَوْهَرَتِهِ أنَّهُ لَمّا بَلَغَ مِنَ العُمُرِ سَنَةً أَمْسَكَ مَنْ تَحْمِلُهُمُ الرِّيحُ ـ وهُمْ أولياءُ اللهِ الطَّيَّارةُ ـ وأَقْعَدَهمُ الأرْضَ ، ولَمّا بَلَغَ سَنَتَيْنِ أَقْرَأَ مُؤْمِنِي الجِنِّ القُرْآنَ (٢) ..

ولَمّا بَلَغَ ثلاثَ سِنِينَ دَفَعَهُ والِدُهُ لِمؤدِّبٍ لِمَا تَوَسَّمَ فيهِ مِنَ الخَيْرِ وخَشِيَ أنْ يَفُوتَهُ تدبيرُ السُّلوكِ بِعَدَمِ القِراءةِ ، فلَمّا لَقَّنَهُ المُؤَدِّبُ كعادَتِهِ معَ الأولادِ أجابَ مُؤَدِّبَهُ بِما أَضْمَرَهُ (٣) ، ثُمَّ سألَ مُؤَدِّبَهُ عَنْ مَسَائلَ فَلَمْ يُجِبْ عَنْها ، فأجابَ هوَ عَنْها ، فتَعَجَّبَ المُؤَدِّبُ مِنْ ذلكَ ، فحُدِّثَ المُؤَدِّبُ أنَّهُ صامَ في القِماطِ فقالَ لهُ : " يا سَيِّدي .. هَلْ شَعَرْتَ بِصَوْمِكَ في المَهْدِ كَمَا أخْبَرَ بِهِ الأهْلُ ؟ " فقالَ : " يا مُؤَدِّبُ .. وَهَلْ يُتَقَبَّلُ مِمَّنْ يَعْبُدُ اللهَ على جَهْلٍ ؟! لَقَدْ أَخَذَني حبيبِي مِنْ إيّايَ وسَلَبَنِي عَنْ مَعْنَايَ وأَفْنَانِي عَنْ فَنَايَ ، فتَلَقَّيْتُهُ لاَ مِنْ تِلْقَايَ ، واسْتَجْلَيْتُهُ لاَ بِمَرْآيَ ، وخَاطَبْتُهُ لاَ بإيمَايَ ، وناجَيْتُهُ لاَ بإصْغَايَ ، وأَجْلَسَنِي على سريرِ الصَّفَا ، وسَقَانِي بكأسِ الوَفَا ، وعَقَدَ لي لواءَ الوَلاَ ، فاسْتَعْذَبْتُ فيهِ أليمَ العذابِ والبَلاَ ، ورَضِيتُ مِنْهُ بقديمِ القَضَا ، فَلَوْ جَرَّعَنِي كؤوسَ المَنِيَّةِ لَشَرِبْتُها ، ولَوْ عَذَّبَنِي بفنونِ الرَزِيَّةِ لاسْتَعْذَبْتُهَا ، ولَوْ أَوْرَدَنِي مَوارِدَ الهَلَكَةِ لَوَرَدْتُهَا ، فأنَا مَعَهُ كَمَا يُرِيدُ لاَ كَمَا أُرِيدُ ، فهوَ المُرادُ وأنَا المُرِيدُ " ، فعِنْدَ ذلكَ بُنِيَتْ لهُ خلوةٌ ببلدةِ دُسوقٍ ، فدَخَلَها فأقامَ بها عِشْرِينَ سَنَة .

ولَمّا بَلَغَ أَرْبَعَ سِنِينَ صَحَّ لهُ مِنَ العِنايةِ قَدْرُ خُرْمِ إبرةٍ ، فرَأَى مِنَ المَشْرِقِ

= الكبير ٢/٢٧٠ عن السَّيِّدة عائشة رضي الله عنها ، والطَّبرانيّ ٨/٢٠٦ والبَيْهَقِيّ في الزُّهد الكبير ٢/٢٧٣ عن سَيِّدنا أبي أمامة ﷺ ، والحكيم التِّرْمِذيّ ٢/٢٣٢ والدَّيْلَمِيّ ٣/١٦٨ عن سَيِّدنا أنَس ﷺ ، وأبو يعلى ١٢/٥٢٠ عن السَّيِّدة ميمونة رضي الله عنها .

(١) عوارف المعارف /٩٩

(٢) انظر الجَوْهَرة المُضيَّة /٤١٠

(٣) أيْ أنّ سَيِّدي إبراهيم ﷺ تكلَّم بما أراد المُؤَدِّب أنْ يُلَقِّنه إيّاه قبل أنْ يتكلَّم به المؤدِّب .

إلى المَغْرِبِ ، فبَيْنَمَا هوَ على وُضوءِ خِتامِ الأَرْبَعِ وإذا بتُفّاحةٍ نَزَلَتْ بحِجْرِهِ ، فَرَمَاهَا خَوْفَ أنْ تَكونَ لُقَطَةً (١) ، فنُودِيَ في سِرِّه :(كُلْهَا يَا إِبْرَاهِيمُ ؛ فَإِنَّهَا هَدِيَّةُ اللَّهِ إِلَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ) ، فلَمَّا أَكَلَ نِصفَها نُودِيَ في سِرِّه :(ارْمِهَا يَا إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّهَا حُرِّمَتْ عَلَيْكَ) فرَمَاها ، ثُمَّ نُودِي :(انْظُرْ يَا إِبْرَاهِيمُ) فجالَتْ رُوحُهُ في المَلَكوتِ ، فإذا هوَ واقِفٌ بَيْنَ يَدَيِ الله (٢) .

فتَقَطَّبَ وهُوَ ابْنُ خَمْسٍ ، وشاهَدَ ما في العُلاَ وهُوَ ابْنُ سِتٍّ ، وجاوَزَ مراتِبَ كُلِّ الأولياءِ ـ إلاَّ الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ الكيلانيِّ (٣) ؛ فإنَّهما صَارَا في الفَضْلِ سَوَاءً ـ

---

(١) **اللُّقَطَة** : ما يُعثَر عليه من مال ونَحوه من غير قصد ولا طَلَب .

(٢) انظر الجَوْهَرة المُضيَّة /٤١٠ ، ٤١١

(٣) هو أبو صالح عبد القادر بن موسى بن عبد الله الحَسَنِيّ الجيلانيّ ﷺ ، أحد الأقطاب الأربعة ، وُلِد بجيلان سَنَة ٤٧٠ هـ ، أخَذ عن أبي سَعْد المبارَك بن عليّ المخرميّ ، وأخَذ عنه ابن قدامة .

رُفِع إليه ﷺ سؤال في رجل حَلَف بالطّلاق الثلاث إنّه لا بُدّ أنْ يَعْبُد الله عَزّ وجَلّ عبادةً ينفرد بها دون جميع النّاس في وقْتٍ تَلْبَسه بها ، فماذا يفعل ؟ فأجاب على الفور :" يأتي مكة ويُخَلّى له المطاف ويَطُوف سبعاً وحْده ، ويَنْحَلّ يمينه " فأعْجَب علماءَ العراق ، وكانوا قدْ عجزوا عن الجواب عنْها .

وكان رجل يَصْرُخ في قَبْره ويصيح حتّى آذى النّاس ، فأخْبَروه به فقال ﷺ :" إنّه رآني مرّةً ، ولا بُدّ أنّ الله تعالى يَرْحَمُه لأجْل ذلك " فمِن ذلك الوقْت ما سمع له أحد صراخا ..

انظر طبقات الشّعرانيّ /٢١٧

من أقواله ﷺ :

- دَعَوْتُ نَفْسيَ مرّةً إلى قيام الليل فأبت ، فمَنَعْتُها شُرْب الماء سَنَة .
- أيّما امرئ مُسلِم عَبَر على باب مَدْرَسَتِي خَفّف الله عنْه العذاب يوْم القيامة .
- ما وُلِد لي قَطّ مولود إلا أخَذْتُه على يَدَيّ وقُلْتُ :" هذا ميت " فأُخْرِجه من قلبي أول ما يولَد .
- متى ذَكَرْتَه فأنت مُحِبّ ، ومتى سَمِعْتَ ذِكْرَه لك فأنت محبوب ، وما دُمْتَ ترى نَفْسَك لا ترى ربّك .
- إذا مِتّ عن الْخَلْق قيل لك " رَحِمَك الله وأماتك عنْ هواك " ، فإذا مِتّ عنْ هواك قيل لك " رَحِمَك الله وأماتك عنْ إرادتك ومُنَاك " ، فإذا مِتّ عنْ إرادتك ومُنَاك قيل لك " رَحِمَك الله وأحياك " فحينئذٍ تَحْيَا حياةً طَيِّبَةً لا مَوْت بَعْدها ، وتغنى غنىً بِلا فَقْر بَعْده ، وتُعْطَى عطاءً لا مَنْع بَعْده ، وتَعَلَّم عِلْماً لا جَهْل بَعْده ، وتأمن أمناً لا خَوْف بَعْده ، وتَكون كبريتاً أحمر لا يكاد يُرَى .
- جميع الأنبياء أُرْسِلوا لأممهم عطيّةً ، والحبيب ﷺ أُرْسِل إلى أمّته هديّةً ، والعطيّة للمحتاجين ، والهديّة للمحبوبين ؛ ﴿ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاة ﴾ .

وهُوَ ابْنُ سَبْعٍ ، والفَخْرُ لِرسولِ اللهِ ﷺ ، ونَظَرَ في اللَّوْحِ المَحْفُوظِ وهُوَ ابْنُ ثمانٍ (١) ، وفكَّ طَلْسَمَ السَّماءِ وهُوَ ابْنُ تِسْعٍ ، ورأى في السَّبْعِ المثاني حَرْفاً مُعْجَماً حارَ فيهِ الثَّقَلانِ ففهِمَهُ (٢) ، وحَمِدَ مَنْ لهُ الحَمْدُ على مَعرفةِ الحَمْدِ وهوَ ابْنُ عَشْرِ سنينَ ، ووَضَعَ قَدَمَهُ في الدُّنْيا فَلَمْ تَسَعْها ، فَرَفَعَها فَلَمْ تَسَعْها إلاَّ رحمةُ أَرْحَمِ الرَّاحمينَ وهُوَ ابْنُ إحدى عَشرةَ سَنَةً (٣) ، ونَقَلَ مريدَهُ مِنَ الشَّقاوةِ إلى السَّعادةِ ـ أيْ مِنَ النَّارِ إلى الجَنَّةِ ـ بإذْنِ اللهِ وهوَ ابْنُ اثْنَتَيْ عَشرةَ سَنَةً (٤) ، وجُعِلَتِ الدُّنْيا في يَدِهِ كأُكرَةِ الخاتِمِ يُقَلِّبُها كيفَ شاءَ بإذنِ العَلِيِّ الأعلى وهوَ ابنُ ثلاثَ عشرةَ سَنَةً (٥) ، وحَرَّكَ ما سكَنَ في الكوْنِ وسكَّنَ ما تَحَرَّكَ بإذْنِ القادرِ المُقْتَدِرِ وهُوَ ابْنُ أَرْبَعَ عَشرةَ سَنَةً ، وخاطَبَ جِبْرِيلَ وهوَ ابْنُ خَمْسَ عشرةَ سَنَةً (٦) ، وجاوَزَ سِدْرَةَ المُنْتَهَى وهُوَ ابْنُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً ، ورأى وهوَ على

= – نور المُصْطَفَى ﷺ باقٍ وخَيْرُه شامل وبَرَكتُه عامّة إلى يوْم القيامة .

– ابْكِ له وابْكِ مِنْه وابْك عليْه ولا حَرَج .

– العبد يَصِل بطاعته إلى الجَنّة ، ويَصِل بأدبه في طاعته إلى الله .

– مَن أراد الآخرة فَعَلَيْه بالزُّهْد في الدُّنْيا ، ومَن أراد اللهَ فَعَلَيْه بالزُّهْد في الآخرة .

– اخرج عنْ نَفْسك وتَنَحَّ عنْها ، وانْعَزِلْ عنْ ملكِك ، وسَلِّم الكُلّ إلى مولاك ، وكُنْ بَوّابَه على باب قَلْبك ؛ فلْتَدْخُلْ ما يأمرك بإدخاله ، ولْتَخْرُجْ ما يأمرك بإخراجه ، ولا تُدْخِل الهوى قَلْبَك فتَهْلِك .

– كُلّ مُؤْمِن مُكَلَّف بالتَّوَقُّف والتَّفْتِيش عند حضور ما قُسِم له ، فلا يتناوله ولا يأخذه حتّى يَشْهَد له الحُكْم بالإباحة والعِلْم بالقسم كما قال عليْه الصّلاة والسّلام ﴿ الْمُؤْمِنُ فَتَّاشٌ ، وَالْمُنَافِقُ لَفَّاف ﴾ .

– لولا أخْذ الملائكة لأسرار أسماء الله الحسنى مِن الأوراق أو الموادّ الملقاة على الأرض لَهَلَك النّاس قَبْل أنْ يطؤوها .

– يا ربّ .. كيف أُهْدِي إليْك رُوحي وقدْ صَحّ بالبرهان أنّ الكُلّ لك ؟!

تُوُفِّي ﷺ ببغداد سَنَة ٥٦١ هـ .

(١) انظر : الكواكب الدُّرِّيّة ١/١٣٠ وشذرات الذَّهَب ٣/٣٥٠ ونور الأبصار /٣٩٩

(٢) انظر : الكواكب الدُّرِّيّة ١/١٣٠ وشذرات الذَّهَب ٣/٣٥٠ ونور الأبصار /٣٩٩

(٣) انظر : الكواكب الدُّرِّيّة ١/١٣٠ وشذرات الذَّهَب ٣/٣٥٠ ونور الأبصار /٣٩٩

(٤) انظر : الكواكب الدُّرِّيّة ١/١٣٠ وشذرات الذَّهَب ٣/٣٥٠ ونور الأبصار /٣٩٩

(٥) انظر : الكواكب الدُّرِّيّة ١/١٣٠ وشذرات الذَّهَب ٣/٣٥٠ ونور الأبصار /٣٩٩

(٦) انظر : الكواكب الدُّرِّيّة ١/١٣٠ وشذرات الذَّهَب ٣/٣٥٠ ونور الأبصار /٣٩٩

الثَّرَى مَا يَخُطُّهُ القَلَمُ في اللَّوْحِ المَحْفُوظِ كرؤيةِ أحَدِنا لإناءٍ في يَدِهِ وهوَ ابنُ سَبْعَ عَشْرةَ سَنَةً .. انتَهَى ما حكَى مِنْ ذلكَ (١) .

ويَنْبَغِي لنا فَتْحُ شيءٍ مِنْ كنوزِ ذلكَ يَنْجَلِي بهِ صَدَى القَلْبِ مِمَّا وَقَرَ فيهِ مِنْ الاسْتِشْكالِ عِنْدَ سَماعِ ذلكَ ، ضارِعِينَ إليْهِ تعالى في إبدائِهِ على اللِّسانِ موزوناً بالمُسْتَقِيمِ في الميزان ..

فنقولُ واللهُ المُسْتَعَانُ :

الأوَّلُ مِنْ كنوزِ ذلك

فقَوْلُ شَيْخِنَا في صَوْمِهِ في مَهْدِهِ :" إنَّ ذلكَ أوَّلَ كرامَتِي مِنَ اللهِ تَعَالَى "

إنْ قُلْتَ : قَدِ اعْتَبَرَ القُشَيْرِيُّ وقوعَ الكَرامةِ في زَمَنِ التَّكْليفِ (٢) ، وجَرَى على ذلكَ في " العُمْدةِ " بالنِّسْبَةِ لِلْمُعْجِزَةِ ، فكَيْفَ يُعَدُّ الصَّوْمُ في المَهْدِ كرامة ؟!

قُلْتُ : تَقْيِيدُهُم بأيَّامِ التَّكْليفِ المُرادُ بهِ أيَّامُ الدُّنْيَا (٣) ؛ لِلاحْتِرازِ عَمَّا يَقَعُ في الآخِرةِ ، وكذا ما يَقَعُ قَبْلَها مِنْ أشْراطِ السَّاعةِ حِينَ لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها ؛ لأنَّهُ وَقْتُ نَقْضِ العاداتِ وتَغْيِيرِ الرُّسوم .

ولوْ سُلِّمَ اعتبارُ الأمْرِ الخارِقِ زَمَنَ التَّكْليفِ لِمَنْ ظَهَرَ ذلكَ على يَدِهِ فَمَعْنَى كلامِ الشَّيْخِ : أوَّلُ ظهورِ إكرامِي بَعْدَ إبرازِي إلى الوجود .

فإنْ قُلْتَ : ما السِّرُّ في خصوصيَّةِ صَوْمِهِ دونَ غيْرِ الصَّوْمِ مِنَ العِباداتِ ؟ ولِمَ اشْتُهِرَ ذلكَ عَنِ الأستاذِ خاصَّةً مَعَ أنَّ العارِفِيْنَ باللهِ تعالى : سَيِّدِي عبدَ القادِرِ الكيلانيَّ (٤) وقُطْبَ الوجودِ أبَا السُّعودِ بنَ أبي العشائرِ (٥) (٦) كِلاهُما صامَ

(١) الجَوْهَرة المُضيَّة /٤١١

(٢) انظر الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٧٤

(٣) أيْ أنَّ مراد الإمام القُشَيْرِيّ بزمن التَّكْليف هو كُلّ عُمُر الإنسان مِنذ مولده إلى أنْ يَمُوت ، وليس مراده التَّكْليف في المُصْطَلَح الفِقْهِيّ الذي تُحَدَّد بدايته ببلوغ الإنسان ووصوله إلى سِنّ الحُلُم ؛ حيث تُطْلَب منه كُلّ التَّكاليف الشَّرْعِيَّة المأمور بها .

(٤) انظر : طبقات الشّعرانيّ /٢١٦ و/٢٧٤ ونور الأبصار /٣٨٥ وجامع كرامات الأولياء ٢٠٣/٢

(٥) انظر : طبقات الشّعرانيّ /٢٧٤ وجامع كرامات الأولياء ٤٥٦/١

(٦) هو أبو السُّعود بن أبي العشائر بن شعبان بن الطَّيِّب البانبينيّ ﷺ ، وُلِد ببانبين بالعراق -

في مَهْدِه ؟

قُلْتُ : لَعَلَّ السِّرَّ في إكْرامِهِم بالصِّيامِ أنَّ لِلأولياءِ قَدَماً راسِخاً في التَّقَلُّلِ مِنَ الطَّعامِ ؛ إذِ الجُوعُ مِنْ حِلْيةِ الأبْدالِ ؛ فكأنَّهُ أُشِيرَ إليْهِمْ بالتَّحَلِّي بِحلاهم مِنْ جُوعٍ وسَهَرٍ وصَمْتٍ واعْتِزالٍ ، وقَدْ جَمَعَها بعضُ العارِفينَ بِقَولِهِ :

يـا مَـنْ أرادَ مَنـازِلَ الأبـدالِ ... مِنْ غَـيْرِ قَصْـدٍ مِنْـهُ لِلأعمـالِ

لاَ تَطْمَعَنَّ بِها فلَسْتَ مِنَ اهْلِها ... إنْ لَـمْ تُزاحِمْهُـمْ علـى الأحـوالِ

بَيْـتُ الولايـةِ قُسِّـمَتْ أركانُـهُ ... سـاداتُنَا فيـهِ مِـنَ الأبـدالِ

مـا بَيْنَ صَمْـتٍ واعْـتِزالَ دائـمٍ ... والجُوعِ والسَّهَرِ النَّزيهِ العـالِي

فاصْمُتْ بقَلْبِكَ واعتَزِلْ عَنْ كُلِّ مَنْ ... يُدْنِيكَ مِنْ غَيْرِ المُحِبِّ الوالِـي

وإذَا سَهِرْتَ وجُعْتَ نِلْتَ مقامَهُمْ ... وصَحِبْتَهُمْ في الحِلِّ والتَّرْحالِ (١)

- سَنَة ٥٧٧ هـ ، أخَذ عن الشَّيْخ أبي الفتح الواسطيّ ، وأخَذ عنه محمد بـن هـارون السَّنْهوريّ وداود المغربيّ وخضر الكرديّ .

يُحكَى عنه ﷺ أنّه كان إذا خَلَع نَعْلَيْه يُسْمَع لِنَعْلَيْه أنين كأنين المريض ، فقيل لـه في ذلك فقال : نَفْسي أخلعها عند النِّعَال فتئنّ عند زوال تَكَبُّرها ورياستها .

من أقواله ﷺ :

- لا يَنْصَحك مَن لا يَنْصَح نَفْسَه ، ولا تأمن الغشّ مِمَّن غشّ نَفْسَه .
- إذا لمْ تَعْنَ بنَفْسك فغيْرك أحْرَى أنْ يُضَيِّع نَفْسك .
- مَن كان سبباً لِغَفْلَتك عن مولاك فأعْرِضْ عنه .
- لم يَصِل أولياء الله تعالى إلى ما وصلوا إليه بكثرة الأعمال ؛ وإنّما وصلوا إليه بالأدب .
- يَنْبَغي للسّالك الصّادق في سلوكه أنْ يَجْعَل كتابَه قَلْبه .
- المراقبة لله تعالى هي المفتاح لِكُلّ سعادة ، وهي طريق الرّاحة المُخْتَصَرَة ، وبها يَطْهُر القَلْب وتَنْدَحِض النَّفْس ويَقْوَى الأُنْس ، فيَنْزِل الحُبّ ويَحْصُل الصِّدْق ، وهـو الحـارس الـذي لا ينـام والقيّوم الذي لا يَغْفل .
- كُلّ مَن بقي له عدوّ يَخاف أنْ يَشْمت به فإنّما هو لِبقاء نَفْسه ولِبقاء حُبّ الدُّنْيا في قَلْبه .
- كُلّ ما أغْفَلَ القلوب عنْ ذِكْر الله تعالى وكُلّ ما أوْقَفَ القلوب عنْ طلبِه تعالى وكُلّ ما أنْزَلَ الهمّ في القلوب فهو دُنْيا .

تُوفِّي ﷺ بالقاهرة سَنَة ٦٤٤ هـ ودُفن بسفح جبل المُقَطَّم .

(١) من نَظْم سيِّدي محيي الدّين بن عربيّ ﷺ .. انظر حِلْيَة الأبدال (ضِمْن رسائله) /٥٠١

وأيضاً .. لَمْ يُعْبَدْ غَيْرُ اللـهِ بالصِّيامِ ، والاسْتِغْنَاءُ عَنِ الطَّعامِ صِفَةُ المَلِكِ العَلاَّمِ ؛ فإنَّهُ يُطْعِمُ ولاَ يُطْعَمُ ، فكأنَّ الصَّائمَ يَتَقَرَّبُ إليْهِ بأمْرٍ مُتَعَلِّقٍ بصِفَةٍ مِنْ صِفاتِهِ وإنْ كانَتْ صِفاتُهُ سُبْحَانَهُ لاَ يَتَّصِفُ بِها أحدٌ مِنَ الأنامِ ، ومِنْ ثَمَّ أضَافَهُ إلى نَفْسِهِ بقَوْلِه ﴿ الصَّوْمُ لِي ، وَأَنَا أَجْزِي به ﴾ (١) (٢) .

وأمَّا اشْتِهارُ أستاذِنا بهذِهِ الكرامةِ والتَّكْرِمةِ دونَ الوَلِيَّيْنِ المُشارِ إلَيْهِما مِنَ العبادِ : فلأنَّ أُستاذَنا نَشَأَ بهذهِ البِلادِ فاشْتُهِرَ بها في بلادِهِ ، ولَعَلَّ كِلاَهُمَا اشْتُهِرَ بها في بلادِه (٣) .

وأمَّا تَعْرِيفُ الكَرَامَةِ بِما أَشَرْنَا إليْهِ : فإنْ أَرَدْتَ مَعْنَى الخوارِقِ لِلعادةِ والفَرْقَ بَيْنَ الكَرامَةِ والمُعْجِزَةِ (٤) فعَلَيْكَ بِـ" شَرْحِ بَدْءِ الأمالي " .

---

(١) أخْرَجه البخاري ٦٧٠/٢ والتِّرْمذيّ ١٣٦/٣ والنّسائيّ ٩٠/٢ ومالك /٣١٠ وابن حبّان ٢١٠/٨ وأحمد ٣٩٣/٢ والبَيْهَقِيّ ٢٣٥/٤ والطّبرانيّ ٤٥/٢ وفي الأوسط ٢٩٠/١ وعبد بن حميد /٢٨٨ وابن عبد البرّ ٥٧/١٩ وأبو نُعَيم في المُسْتَد المُسْتَخْرَج على صحيح الإمام مسلم ٢٢٩/٣ عن سَيِّدنا أبي هريرة ﷺ ، والنّسائيّ ٩٠/٢ وأبو نُعَيم ٣٤٩/٤ والبزار ١٢٩/٣ والدَّيْلَمِيّ ١٧٧/٣ عن سَيِّدنا عَلِيّ كَرَّم الله وجْهه ، والنّسائيّ ٩٠/٢ وأحمد ٤٤٦/١ والخطيب البغداديّ ٢١٣/٧ والطّبرانيّ ٩٨/١٠ عن سَيِّدنا عبد الله بن مسعود ﷺ ، والنّسائيّ ٩٠/٢ وأحمد ٤٠/٣ وعبد بن حميد /٢٨٨ عن سَيِّدنا أبي سعيد الخدريّ ﷺ ، والطّبرانيّ ١٣٣/٨ عن سَيِّدنا أبي أمامة ﷺ .

(٢) **أقول : أمّا السِّرّ في اختصاصه ﷺ بالصَّوْم دُون غيْره مِن العبادات فأرَى أنّه لاعتبارَيْن :**

أوّلهما : أنّ تلك الكرامة كانت رحمةً وبَرَكةً على النّاس باستبيانهم أنّ ذلك اليوم هو أوّل أيّام شَهْر رمضان ، فصاموه لأجْل ذلك ، هذا فضلاً عن معرفتهم بأنّ هذا المولود وليّ مِن أكابر الأولياء .

ثانيهما : أنّ صوْمه ﷺ في المَهْد ربّما كان إشارةً إلى انْقِطاعه عن الدُّنْيَا ، حتّى إنّه ﷺ لم يَتزوَّج لِيتَفَرَّغ لِعبادة ربّه وتَرْبِيَة وتَسْلِيك المريدين .

(٣) **أقول** : إنّما اشْتُهِر سَيِّدي إبراهيم ﷺ بهذه الكرامة دُون سَيِّدي عبد القادر الجيلانيّ ﷺ وسَيِّدي أبي السّعود بن أبي العشائر ﷺ لأنّ هذَيْن القُطْبَيْنِ وإنْ صامَا في المَهْد إلا أنّ صَوْمهما كان كرامةً خاصّةً بهما أظْهَرَت كوْنهما وليّيْن لله تعالى ، أمّا صَوْم سَيِّدي إبراهيم ﷺ في مَهْده فإنّه - إضافةً إلى إظهار كوْنه ﷺ وليّاً - قدْ أبان الله به لِلنّاس أنّ هذا اليوم هو أوّل أيّام شَهْر رَمَضَان المُعَظَّم فصاموه بِبَرَكة صوْمه ﷺ ، لِذا اشْتُهِر ﷺ بهذه الكرامة دُون غيْره مِمَّن صام في المَهْد .

(٤) **أقول : الفَرْق الأساس بيْن المُعْجِزة والكرامة** : أنّ الأولى تَقَع على يد الأنبياء وتَكون لِلتَّحَدِّي ، أمّا الثّانية فتقع على يد الأولياء ، وكلاهما يَتَّفِقان في كَوْنهما أمراً خارقاً لِلعادة .

فإنْ قُلْتَ : هَلْ تَنْتَهِي الكَرَامَةُ إلى نَحْوِ حصولِ ولَدٍ لاَ مِنْ أبَوَيْنِ ، وقَلْبِ جَمادٍ حَيَواناً ؟

قُلْتُ : هذهِ المسألةُ ذاتُ خِلاف ..

فمِمَّنْ جَوَّزَ ذلكَ : الإمامُ النَّوَوِيُّ (١) في " شَرْحِ مُسْلِم " ـ في كتابِ البِرِّ

(١) هو محيي الدِّينِ أبو زكريّا يَحيَى بن شرف بن مريّ الحزاميّ النّوويّ الدّمشقيّ الشّافعيّ ﷺ ، وُلِد في نوى مِن أعمال دمشق سَنَة ٦٣١ هـ ، أخَذ عن سَلاّر الكمال الإربَليّ والرّضي بن البرهان وعبد العزيز الحمويّ ، وأخَذ عنه ابن العطّار ويوسف بن حرب وشمس الدِّين بن النّقيب .

قال التّاج السّبكيّ : شَيْخ الإسلام ، أستاذ المتأخّرين ، وحُجّة الله على اللاّحقين ، والدّاعي إلى سبيل السّالفين ، كان يَحيَى ـ رحمه الله ـ سَيِّداً وحَصُوراً ، وليثا على النّفْس هصوراً ، وزاهداً لم يبالِ بخراب الدُّنيَا إذا صيّر دينه رَبْعاً معموراً ، له الزُّهد والقناعة ، ومُتابَعة السّالفين مِن أهْل السُّنّة والجماعة ، والمصابَرة على أنواع الخَيْر ، لا يَصْرِف ساعةً في غيْر طاعة ، هذا مع التّفنّن في أصناف العلوم فقهاً ومتون وأحاديث وأسماء رجال ولغةً وتصوّفاً وغيْر ذلك ..

وأنا إذا أرَدْتُ أنْ أُجْمِل تفاصيل فضلِه وأدُلّ الخَلْق على مَبْلَغ مقداره بمُختَصَر القول وفَصْله لم أزِدْ على بَيْتَيْن أنْشَدَنيهِمَا مِن لفْظه لِنَفْسه الشّيْخ الإمام (يعني والده التّقي السّبكيّ) وكان مِن حديثهما أنّه ـ أعني الوالد رحمه الله ـ لَمّا سكن في قاعة دار الحديث الأشرفيّة في سَنَة اثْنَتَيْن وأربعين وسبعمائة كان يَخرُج في اللّيْل إلى إيوانها لِيَتَهَجّد تِجَاه الأثر الشّريف ويُمَرِّغ وجْهه على البساط ، وهذا البساط مِن زمان الأشرف الواقف وعليْه اسمه ، وكان النّوويّ يجلس عليه وقْت الدرس ، فأنْشَدَني الوالد لِنَفْسه :

وفي دار الحديث لطيفُ معنى ... على بُسُطٍ لها أصْبُو وآوِيْ

عسى أنّي أمَسّ بِحرّ وجْهي ... مكاناً مَسّه قَدَم النّواويْ

طبقات الشّافعيّة الكُبْرَى ٣٩٥/٨

قال اليافعيّ : بَلَغَني أنّ الشّيْخ الإمام محيي الدِّين النّوويّ ﷺ خَطف سارِقٌ عمامتَه وهَرَب ، فتبِعه الشّيْخ وصار يَعْدُو خَلْفه ويقول له :" مَلّكْتُك إيّاها ، قُلْ : قَبِلْت " والسّارق ما عنده خبرٌ مِن ذلك .

وحكَى الشّبْرَخيتيّ في " الفتوحات الوهبيّة بشرْح الأربعين النّوويّة " قال : وُجِد في مجموع بخطّ الشّيْخ شَمْس الدِّين النّوويّ أنّ بَوّاب الرّواحيّة حكَى وقال : ذهب الشّيْخ في اللّيْل فتبِعْته ، فانْفَتَح الباب بغيْر مفتاح ، فخرج ومَشَيْتُ معه خطوات فإذا نحن بمكّة ، فأحْرَمَ الشّيْخ وطاف وسعى ثُمّ طاف وسعى إلى أثناء اللّيْل ، ورجع فمَشَيْتُ خَلْفه فإذا نحن بالرّواحيّة .

مِن مؤلّفاته : بستان العارفين ، رياض الصّالحين ، الأذكار ، منهاج الطّالبين .

تُوُفّي ﷺ بـ" نوى " سَنَة ٦٧٦ هـ .

والصلّةِ ـ مُصَوِّباً له (١) .

ومِمَّنْ قَطَعَ بالمَنْعِ : الإمامُ القُشَيْرِيُّ (٢) ، وصَوَّبَهُ التَّاجُ بنُ السُّبكيِّ (٣) ، وقالَ :" إنَّهُ حَقٌّ ، يُخَصِّصُ قَوْلَ مَنْ قالَ : ما جازَ مُعْجِزَةً لِنَبيٍّ جازَ أنْ يكونَ كَرامَةً لِوَلِيٍّ لا فارِقَ بَيْنَهما إلاَّ التَّحَدِّي " (٤) .

والظَّاهِرُ : أنَّ الجوازَ أَقْوَى ؛ فَقَدْ قالَ بِهِ ـ أيضاً ـ وَلَدُ الإمامِ القُشَيْرِيِّ وهوَ أبو نَصْرٍ (٥) ، مُعَبِّراً عَنهُ بـ" الصَّحيح " (٦) .

(١) انظر شَرْح النَّوويّ على صحيح مسلم ١٠٨/١٦

أقول : قدْ حَدَثَت لِلإمام النَّوويّ ﷺ كرامة قريبة من ذلك ؛ فقدْ حكَى السّخاويّ في مناقبه ﷺ أنّه أنْكَر على نائب الشّام لَمّا أراد أنْ يَنْقِل كُتُب العِلْم التي في خزانة الجامع الأمويّ إلى بلاد العجم وأغْلَظ عليه القول ، فأراد نائب الشّام أنْ يَبْطِش به ، وكان في فرش نائب الشّام جلود نمار وسِبَاع ، فأشار الإمام النّوويّ إليها فقامت سِبَاعاً ونماراً بقدرة الله عَزّ وجَلّ وكَشَّرَت بأنيابها على نائب الشّام ، فخَرَج منْها هارباً هو وجماعته ، ثُمّ صالَح الشّيْخَ وقَبّل رِجْله .. لطائف المِنَن /٢٣٠ .

(٢) انظر الرِّسالة القُشَيْرِيّة /٢٧٦

(٣) هو قاضي القضاة تاج الدّين أبو نصر عبد الوهاب بن شَيْخ الإسلام تقيّ الدّين عَلِيّ بن عبد الكافي السّبكيّ ﷺ ، وُلِد بالقاهرة سَنَة ٧٢٧ هـ ، أخَذ عن أبيه وعن يحيى بن يوسف بن المصريّ وأحمد ابن علي الجزريّ ، وأخَذ عنه ناصر الدّين بن عشائر وشَمْس الدّين بن الركن وأبو الحسين الحمويّ .

مِن مؤلّفاته : طبقات الشّافعيّة الكبرى ، جَمْع الجوامع في أصول الفقه .

تُوُفِّي ﷺ بدمشقَ سَنَة ٧٧١ هـ .

(٤) انظر شَرْح زُبَد ابن رسلان /١٥

أقول : قال الزَّرْكَشيّ : إنّه مذهب ضعيف ، والجمهور على خلافه ..

انظر شَرْح زُبَد ابن رسلان /١٥

(٥) هو أبو نَصْر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القُشَيْرِيّ النّيسابوريّ الشّافعيّ ﷺ ، الابن الرّابع لِلإمام القُشَيْرِيّ أخَذ عن أبيه وعن إمام الحرمين وأبي بكْر البَيْهَقيّ ، وأخَذ عنه أبو الفَضْل الطّوسيّ وأبو سعْد بن الصفّار وأبو الفتوح الطّائيّ .

قال المناويّ : **مِن كراماته** : أنّه اعتُقِل لسانه آخِر عُمُره إلا عن الذِّكْر خاصّة ..

انظر جامع كرامات الأولياء ١٦٥/٢

مِن مؤلّفاته : تفسير القرآن ، الموضّح في الفروع .

تُوُفِّي ﷺ بنيسابور سَنَة ٥١٤ هـ .

(٦) المُرْشِد لابن القُشَيْرِيّ /٧٠ وانظر شَرْح زُبَد ابن رسلان /١٥

الكَنْزُ الثَّاني

في إمساكِ أستاذِنا الأولياءَ الطَّيَّارةَ وإقعادِهِمْ بالأرضِ

إشارةٌ إلى أنَّ الشَّأنَ يُعلَى بِطَيِّ أوصافِ النُّفوسِ لاَ بِقَطْعِ الأجرامِ بالطُّولِ والعَرْضِ ، فكأنَّهُ يقولُ : لَيْسَ الشَّأنُ في طَيَرانِكُمْ ، بَلِ الشَّأنُ في إمساكِكُمْ وإقْعادِكُمْ ..

كما قالَ أبو العبَّاسِ المُرْسِيُّ :" كُنْتُ ليلَةً مِنَ اللَّيالي جالِساً بالإسكَندريَّةِ أكْتُبُ لِبَعْضِ أصحابِنَا ، وإذَا بالشَّيْخِ خليلٍ (يَعْنِي النَّشيليَّ) (١) في الهَوَاءِ ، فقُلْتُ : " إلى أينَ انْتَهَتْ سياحتُكُمْ هذهِ اللَّيْلَةَ ؟ " فقالَ :" خَرَجْتُ مِنْ " نشيلٍ " وانْتَهَيْتُ إلى جبالِ الزَّيْتُونِ بالمَغْرِبِ الأقْصَى ، وأنَا أُريدُ أنْ أذْهَبَ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ وأعُودَ إلى بَلْدَتِي ، ولَوْ بُسِطَتْ لي أكْثَرَ مِنْ ذلكَ لانْبَسَطْتُ " ، فقُلْتُ :" لَيْسَ الشَّأنُ أنْ تَذْهَبَ إلى جبالِ الزَّيْتُونِ وتَعُودَ مِنْ لَيْلَتِكَ ، ولَكِنْ أنَا السَّاعةَ لَوْ أرَدْتُ أنْ آخُذَ بيَدِكَ وأضَعَكَ على قافٍ وأنَا هَهُنا لَفَعَلْتُ " (٢) .

وقيلَ لأبي يزيدٍ :" فُلانٌ يَمْشِي في لَيْلَةٍ إلى مكَّةَ ! " فقالَ :" الشَّيْطانُ يَمْشِي في ساعةٍ مِنَ المَشْرِقِ إلى المَغْرِبِ! " (٣) ..

وقالَ :" لَوْ نَظَرْتُمْ إلى رَجُلٍ أُعْطِيَ مِنَ الكراماتِ حتَّى يَرْتَفِعَ في الهَواءِ فلاَ تَغْتَرُّوا بِهِ حتَّى تَنْظُرُوا كيْفَ تَجِدُونَهُ عِندَ الأمْرِ والنَّهْيِ وحِفْظِ الحدودِ وأداءِ الشَّريعةِ " (٤) .

لكِنْ قَدْ يكونُ في الأولياءِ الطَّيَّارةِ مَنْ تَرَكَ هَوَى النَّفْسِ الأمَّارةِ (٥) : كما

---

(١) وهو ﷺ مدفون ببلدته نشيل القناطر .

(٢) انظر لطائف المِنَن /٦٧

(٣) انظر : الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٨٤ وجامع كرامات الأولياء ٦٧/١

أقول : وقال رجُل لأبي يزيد ﷺ :" بَلَغَني أنَّك تَمُرّ في الهواء ؟ " فقال : أيّ عَجَب فيه ؟! طير يأكل الميتة يمُرّ في الهواء ، والمؤمن أشرَف من ذلك .. انظر جامع كرامات الأولياء ١٣٤/٢

(٤) انظر : حِلْيَة الأولياء ٤٠/١٠ والرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٥ ووفيات الأعيان ٥٣١/٢ والبداية والنِّهاية ٣٥/١١ والدارس ١٦٨/٢ والعِبَر في خبر مَن غَبَر ٢٩/٢ وشذرات الذَّهَب ١٤٣/١

(٥) قُلْتُ : لا يكون الوليّ وليّاً حتّى يَتَجاوَزَ النَّفْس الأمّارة بلْ واللَّوّامة والمُلْهَمَة .

حُكِي عَنْ أَبِي عِمرانَ الواسطيِّ (١) قالَ :" انْكَسَرَتْ بنَا السَّفينةُ وبَقِيتُ أَنَا وامرأتي على لَوْحٍ وقَدْ ولَدَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فقالَتْ :" يَقْتُلُنِي العَطَشُ " ، فرَفَعْتُ رأسِي فإذَا بِرَجُلٍ في الهَوَاءِ جالِسٍ وبيَدِهِ سِلْسِلَةٌ مِنْ ذَهَبٍ فيها كوزٌ مِنْ ياقوتٍ أَحْمَرَ ، وقالَ :" هاكُمَا اشْرَبَا " ، فشَرِبْنا فإذا هوَ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ وأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ وأَحْلَى مِنَ العَسَلِ ، فقُلْتُ :" مَنْ أَنتَ ؟! " قالَ :" عَبْدٌ لِمَوْلاكَ " ، قُلْتُ :" بِمَ وَصَلْتَ إلى هَذَا ؟! " قالَ :" تَرَكْتُ هَوَايَ لِمَرْضاتِهِ فأَجْلَسَنِي في الهَوَاءِ " (٢) .

وكانَ لإبراهيمَ بنِ أَدْهَمَ (٣) صاحِبٌ يَتَعَبَّدُ في غُرْفَةٍ لَيْسَ لَها سُلَّمٌ ، فكانَ إذَا

(١) يَحكي ﷺ عن نَفْسه فيقول : خَرَجْتُ من مكة أريد زيارة قَبْر النَّبيِّ ﷺ ، فلَمّا خَرَجْتُ من الحَرَم أصابني عطش شديد حتّى أيسْتُ من نَفْسي ، فجَلَسْتُ تحْت شجرة أمّ غيلان آيساً من نَفْسي ، فإذا فارس قدْ أقْبَل على فَرَس أخْضَر وسرْجه ولجامه وثيابه وآلته خُضْر ، وفي يده قَدَح أخْضَر فيه شراب أخضر ، فدَفَعه إليّ وقال لي :" اشْرَب " فشربْتُ ثلاث مرّات لم ينقص مِمّا في القَدَح شيء ، ثُمّ قال لي :" إلَى أيْنَ تُرِيد ؟ " فقُلْتُ :" المدينة ؛ لأُسَلِّم على النَّبيِّ ﷺ وعلى أصحابه رضوان الله عليهم " فقال : إذَا فَعَلْتَ فَقُلْ لَهُمْ : رِضْوَانُ يُقْرِئُكُمُ السَّلاَم .. انظر رَوْض الرّياحين /٣٠٣

(٢) انظر : الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٨٦ وروض الرّياحين /٢١٢ وجامع كرامات الأولياء ٤٦٨/١

(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أدْهَم بن منصور بن يزيد البلخيّ ﷺ ، كان مِن أبناء الملوك ، أخَذ عن الفضيل بن عياض وسفيان الثَّوْريّ وسليمان الأعمش ، وأخَذ عنه شقيق البلخيّ وحذيفة المرعشيّ والأوزاعيّ .

قال عنه الإمام الجنيد : إبراهيم مفتاح العلوم .

يَحكي ﷺ فيقول : بِتُّ لَيْلَةً تحْت الصَّخْرة ببَيْت المَقْدِس ، فلَمّا كان بعض اللَّيْل نَزَل مَلَكان فقال أحدهما لِصاحبه :" مَن ها هُنَا ؟ " فقال الآخَر :" إبراهيم بن أدهم " فقال :" ذاك الذي حَطّ الله درجةً من درجاته " فقال :" لِمَ ؟ " قال :" لأنّه اشْتَرَى بالبصرة التَّمْر فوَقَعَتْ تَمْرَة على تَمْرِه مِنْ تَمْر البقّال فلَمْ يَرُدّها على صاحِبها " ، فمَضَيْتُ إلى البصرة واشْتَرَيْتُ التَّمْر من ذلك الرَّجُل ولَوَقَعَتْ تَمْرَةٌ على تَمْره ، ورجعْتُ إلى بيْت المقدس وبِتُّ في الصَّخْرة ، فلَمّا كان بعض اللَّيْل إذا أنا بمَلَكَيْن نَزَلاَ مِن السَّماء ، فقال أحدهما لِصاحبه :" مَن ها هُنَا ؟ " فقال الآخَر :" إبراهيم بن أدهم " فقال : ذاك الذي رَدّ الله مكانَه ورُفِعَت درجتُه .

وحُكي أنّه ﷺ خَرَج إلى بعض البراري فاسْتَقْبَله جنديّ فقال :" أيْن العمران ؟ " فأشار ﷺ إلى المَقْبَرة ، فضَرَب الجنديّ رأسَه ﷺ ، فلَمّا جاوَزَه قيل له :" إنّه إبراهيم بن أدهم زاهد خراسان ! " فجاء يَعْتَذِر إليْه ، فقال ﷺ :" إنّك لَمّا ضَرَبْتَني سألْتُ الله تعالى لك الجَنَّة " فقال :" لِمَ ؟! " قال ﷺ : عَلِمْتُ أنّي لَوْجَر عليْه ، فلَمْ أُرِدْ أنْ يكون نصيبي منْك الخَيْر ، ونَصيبك مِنّي الشَّرّ .

- وخَرَج ﷺ إلى الحجّ ماشياً ، فرآه رَجُل على ناقته فقال له :" إلى أين يا إبراهيم ؟ " قال :" أريد الحجّ " ، فقال الرجل :" أين الراحلة ؟! فإنّ الطّريق طويلة " فقال ﷺ :" لي مراكب كثيرة لا تراها " قال :" وما هي ؟! " فقال ﷺ :" إذا نَزَلَتْ بي مصيبة ركِبْتُ مَركِب الصّبْر ، وإذا نَزَلَتْ بي نعمة ركِبْتُ مَركِب الشُّكْر ، وإذا نَزل بي القضاء ركِبْتُ مَركِب الرِّضا " فقال له الرّجُل : سِرْ على بَرَكَة الله ؛ فأنت الرّاكب وأنا الماشي !!

وكان ﷺ في البَحْر فعَصَفَت الرِّيح واشتَدّت وهو ملفوف في كسائه ، فجَعَل أهل السّفينة يَنْظُرون إليه فقال له رَجُل منهم :" يا هذا .. ما ترى ما نحن فيه من هذا الهول وأنت نائم في كسائك ؟! " ، فكَشَف إبراهيم رأسه فأخْرَجه من الكساء ثُمّ رَفَع رأسه إلى السّماء فقال :" اللّهُمّ قَدْ أرَيْتَنَا قُدْرَتك فأرِنَا عَفْوك " فسكَن البَحْر حتّى صار كالدُّهن .

وقال رجل له :" إنّي أريد أنْ أواسيك من مالي " فقال ﷺ :" وكم تَملك ؟ " قال :" مائة ألْف أو زاد " ، قال :" فأنت في طلب غيْره ؟ " قال :" نَعَمْ " فقال ﷺ : لا حاجة لي إلى ذلك ؛ أنت فقير .. إنّا لم نؤمَر أنْ نأخذ من الفقراء شيئا .

ورأى ﷺ في المنام كأنّ جبريل عليه السلام قدْ نَزَل إلى الأرض فقال لـه :" لِمَ نَزَلْتَ إلى الأرض ؟ " قال :" لأكتب المُحِبّين " قال :" مِثْل مَن ؟ " قال :" مِثْل مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ وَثَابِتٍ الْبُنَانِيّ وَأيُّوبِ السُّخْتِيَانِيّ " وعَدّ جماعات ، قال :" أنا منهم ؟ " قال :" لاَ " ، فقال :" فإذا كَتَبْتَهم فاكتُبْ تحتَهم : مُحِبّ لِلمُحِبّين " فنزل الوحي :(اكْتُبْهُ أوّلَهُم) .. حِلْيَة الأولياء ٣٤/٨

وقيل له :" إنّ فلاناً يَتَعَلّم النّحْو " فقال : هو إلى أنْ يَتَعَلّم الصّمْت أحْوَج .

وشكَى إليه رَجُل كَثْرَة عياله ، فقال :" ابْعَثْ إليّ مِنْهم مَن ليس رِزْقه على الله " فسكت الرّجُل .

مِن أقواله ﷺ :

- نحن واللهِ ملوك الأغنياء ؛ تَعَجّلْنَا الرّاحة في الدُّنْيا والآخرة ، لا نَغْتَمّ ولا نَحْزَن ، ولا نبالي على أيّ حال أصْبَحْنَا أو أمْسَيْنَا إذا أطَعْنَا الله تعالى .

- لو عَلِم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النّعيم والسُّرور لَجالَدونا عليْه بالسّيوف أيّام الحياة .

- لَمّا رأى القوم أنّي لا أنافسهم في دنياهم أقْبَلوا ينظرون إليّ كأنّي دابّة من الأرض أو كأنّي آية عندهم ، ولو قَبِلْتُ منهم لأبْغَضوني ، ولقدْ أدْرَكْتُ أقواماً ما كانوا يُحْمَدون على تَرْك هذه الفضول ، فصار عند أهل ذا الزّمان مَن تَرَك شيئاً من الدُّنْيا فكأنّما تَرَك شيئا !

- إنّك إذا أدَمْتَ النّظَر في مرآة التّوبة بان لك شَيْن قُبْح المعصية .

- اكْتَسِبْ ؛ فإنْ لم تَفْعَل احتَجْتَ فداهَنْتَ النّاس لِلطّمع والحاجة ، فتُخالِف حينئذٍ الحقّ وأهلَه .

- بَلَغَني أنّ الله تعالى أوْحَى إلى نبيّ من أنبيائه أن :(ارْضَ بِالْقَلِيلِ مِنَ الدُّنْيَا لِسَلاَمَةِ دِينِكَ كَمَا أنّ صَاحِبَ الدُّنْيَا يَرْضَى بِالْقَلِيلِ مِنْ دِينِهِ لِسَلاَمَةِ دُنْيَاه) .

- كُنْ ذَنَباً ، ولا تَكُنْ رأساً ؛ فإنّ الذّنَب يَنْجُو والرّأس يَذْهَب .
- اتّخِذ الله صاحباً ، وذَر النّاس جانباً .
- مكتوب في بعض كُتُب الله :(مَنْ أصبَحَ حَزِيناً عَلَى الدُّنيَا فَقَدْ أصبَحَ سَاخِطاً عَلَى اللّهِ ، وَمَنْ أصبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ أصبَحَ يَشكُو رَبَّهُ ، وَأيُّمَا فَقِيرٍ جَلَسَ إلَى غَنِيٍّ فَتَضَعْضَعَ لَهُ لِدُنْيَاهُ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ ، وَمَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَاتَّخَذَ آيَاتِ اللّهِ هُزُواً أُدْخِلَ النّار) .
- بَلَغَني أنّه إذا وَقَف الرّجُل مَوقف مَذلّة في طلب الحلال وَجَبَت له الجَنّة .
- مَن عَرَف ما يَطْلُب هان عليه ما يَبْذل ، ومَن أطْلَق بصره طال أسفه ، ومَن أطْلَق أمله ساء عمله ، ومَن أطْلَق لسانه قَتَل نَفْسه .
- إنّما الوَرَع بتسوية كُلّ الخَلْق في قَلْبك والاشتغال عن عيوبهم بذنْبك .
- ليس من أعلام الحُبّ أنْ تُحِبّ ما يبغض حبيبك .. ذَمّ مولانا الدُّنْيَا فمَدَحْنَاهَا ، وأبْغَضها فأحْبَبْنَاهَا ، وزَهّدَنا فيها فآثَرْنَاهَا ورَغّبَنَا في طلبِها ، وعدّكم خراب الدُّنْيَا فحَصّنْتُمُوها ، ونُهيتم عن طلبِها فطَلَبْتُمُوها وأُنْذِرتم الكنوز فكَنَزْتُموها ، دَعَتْكم إلى هذه الغرّارة دواعيها فأجَبْتم مُسْرِعين مناديها ، خَدَعَتْكم بغرورها ومَنّتْكم فأنْفَذتم خاضعين لأمْنيتها ، تتمرّغون في زهواتها ، وتتمتّعون في لذّاتها ، وتتقلّبون في شهواتها ، وتتلوّثون بتبعاتها ، تنبشون بمخالب الحرص عن خزائنها ، وتحفرون بمَعَاول الطّمَع في معادنها ، وتبنون بالغفلة في أماكنها ، وتُحَصّنون بالجهل في مساكنها ، تريدون أنْ تجاوروا الله في داره وتَحُطّوا رحالكم بقُرْبه بيْن أوليائه وأصفيائه وأهْل ولايته وأنتم غَرْقَى في بحار الدُّنْيَا حيارى ترتعون في زهواتها وتتمتّعون في لذّاتها وتتنافسون في غمراتها ، فمِن جَمْعها ما تشبعون ، ومِن التّنافس فيها ما تملّون ، كَذَبَتْكُم واللهِ أنفُسكم وغَرّتْكم ومَنّتْكم الأماني وعَلّلَتْكم بالتّواني حتّى لا تُعْطُوا اليقين من قلوبكم والصّدْق من نيّاتكم ، وتتنصّلون إليه من مَسَاوي ذنوبكم وتَعْتُوه في بقيّة أعماركم .
- أطِبْ مَطْعَمك ولا حرج عليك أنْ لا تقوم اللّيْل ولا تصوم النّهار .
- لم يَنْبُلْ عندنا مَن نَبُل بالحجّ ولا بالجهاد ، وإنّما نَبُل عندنا مَن نَبُل مَن كان يَعقِل ما يدْخل جوْفه .
- ثلاثة لا يُعْرَفون إلا في ثلاثة مواطن : لا يُعْرَف الحليم إلا عند الغضب ، ولا الشّجاع إلا في الحرب إذا لقي الأقران ، ولا أخوك إلا عند حاجتك اليه .
- حُبّ لقاء النّاس من حُبّ الدُّنْيَا ، وتَركهم من تَرْك الدُّنْيَا .
- مُحال أنْ تواليه ولا يواليك .
- إنّ الحُرّ الكريم يَخْرُج من الدُّنْيَا قَبْل أنْ يُخْرَج منْها .
- قال لقمان لابنه : إنّ الرّجُل لَيَتَكلّم حتّى يقال " أحمق " وما هو بأحمق ، وإنّ الرجل لَيَسْكُت حتّى يقال " حليم " وما هو بحليم .
- كثرة النّظَر إلى الباطل تَذْهَب بمعرفة الحقّ من القَلْب .

أرادَ أنْ يَتَطَهَّرَ يأتي بابَ الغُرفةِ ويقولُ :" لاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إلاَّ باللـهِ " ويمُرُّ في الهَواءِ كأنَّهُ طَيْرٌ ويَتَطَهَّرُ ، ثُمَّ يقولُ :" لاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إلاَّ باللـهِ " ويَعُودُ إلى غُرْفَتِهِ .

ومَناقِبُهُمْ في ذلكَ كثيرة .

والأصلُ أنَّ الطَّيَّ على قِسْمَيْن :

طَيٌّ أصغَرُ : وهوَ لِعامَّةِ هذهِ الطَّائفةِ ؛ أنْ تُطْوَى لَهُمُ الأرضُ مِنْ مَشْرِقِها إلى مَغْرِبِها في نَفَسٍ واحدٍ .

وطيٌّ أكْبَرُ : طَيُّ أوصافِ النُّفوسِ (١) ؛ إذ طَيُّ الأرْضِ لوْ أعْجَزَكَ اللهُ عَنْهُ وأفْقَدَكَ إيَّاهُ مَا نَقَصَ ذلكَ مِنْ رُتْبَتِكَ عِنْدَهُ إذا قُمْتَ لَهُ بالوَفَاءِ في العبوديَّةِ ، وطَيُّ أوْصافِ النُّفوسِ لَوْ لَمْ تُقدِمْ عَلَيْهِ لَكُنْتَ مِنَ المَغْبُونِينَ وحُشِرْتَ في زُمْرَةِ الغافِلِين (٢) .

وأمَّا فِراسَةُ الشَّيْخِ لِمَا قُلْنَاهُ وهوَ ابنُ سَنَةٍ : فلاَ يكْثُرُ عَلَى أمثالِهِ : كَمَا اتَّفَقَ لأبي العَبَاسِ المُرْسِيِّ وهوَ صَبِيٌّ عِنْدَ المُؤَدِّبِ وهوَ يَكْتُبُ في لَوْحِهِ ، فقالَ لَهُ رَجُلٌ :" الصُّوفيُّ لاَ يُسَوِّدُ بياضاً ! " فقالَ لَهُ :" لَيْسَ الأمْرُ كَمَا زَعَمْتَ ؛ ولَكِنْ لاَ يُسَوِّدُ بياضَ الصَّحائفِ بِسَوادِ الذُّنوب " (٣) .

= – إذا خَلَوْتَ بأنيسك فشُقّ قميصك .

– قلّة الحِرْص والطَّمَع تُورِث الصِّدْق والورع ، وكثرة الحِرْص والطَّمَع تُورِث كثرة الغمّ والجزع .

– على القَلْب ثلاثة أغطية : الفرح والحزن والسرور ، فإذا فَرِحْتَ بالموجود فأنت حريص ، والحريص محروم ، وإذا حَزِنْتَ على المفقود فأنت ساخِط ، والسّاخط مُعَذَّب ، وإذا سُرِرْتَ بالمَدْح فأنت مُعْجَب ، والعُجْب يُحْبِط العمل .

– خَرَج رجل في طلب العِلْم فاستَقْبَل حَجَراً فإذا فيه :" اقْلِبْني تَعْتَبِر " ، فبقي الرجل لا يدري ما يَصنع به ، فمضى ثُمّ رجع فقَلَبَه فإذا هو منقور :" أنت لا تَعْمَل بما تَعْلَم ، فكيف تَطْلُب عِلْم ما لا تَعْلَم ؟! " ، فانْصَرَف الرَّجُل إلى منزله .

تُوُفِّي ﷺ بجزيرة مِن جزائر الروم وهو مُرابِط سَنَة ١٦٢ هـ فحُمِل إلى صور فدُفِن فيها .

(١) مِن كلام سيِّدي أبي العبّاس المُرْسيّ ﷺ .. انظر لطائف المِنَن /٤٤

(٢) مِن كلام سيِّدي ابن عطاء الله السكندريّ ﷺ .. انظر لطائف المِنَن /٤٤

(٣) انظر لطائف المِنَن /٧٤

الكَنْزُ الثَّالِثُ

إقْراءُ أُسْتَاذِنَا القُرآنَ لِلْجانّ

لَهُ مَأْخَذٌ مِنَ المُعْجِزاتِ المُحَمَّدِيَّةِ والباهِراتِ النَّبَوِيَّةِ ؛ إذ قَدْ نَقَلَ في كِتابِ " الشِّفَا بِتَعْرِيفِ حقوقِ المُصْطَفَى " أَنَّهُ ﷺ أَقْبَلَ عَلَيْهِ شَيْخٌ بِيَدِهِ عَصاً فسَلَّمَ عَلَيْهِ ﷺ فرَدَّ عَلَيْهِ وقال ﴿ نَغْمَةُ الْجِنِّ ، مَنْ أَنْت ﴾ فقال :" أَنَا الْهَامَةُ بْنُ الْهِيمَ ابنِ لاقِسَ بْنِ إبْلِيس " ، فذَكَرَ أَنَّهُ لَقِيَ نوحاً عليه السلام (١) وَمَنْ بَعْدَهُ ، وأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلَّمَهُ سُوَراً مِنَ القُرآن (٢) .

---

(١) هو سيِّدنا نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ عليه السلام ، من أولي العزم من الرُّسل ، بُعِث عليه السلام وهو ابن خمسين سَنَةً أو ثلاثمائة وخمسين سَنَةً أوْ أربعمائة وثمانين سَنَةً ، وظَلَّ يَدْعو قَوْمه تسعمائة وخمسين سَنَة حتّى أغْرَقهم الله تعالى بالطّوفان ، ولم يَنْجُ منهم إلا مَن آمَن .

(٢) الشِّفَا /٢٦٨ وقدْ ذَكَر القاضي عياض رواية سيِّدنا عُمَر رضي الله عنه ..

أقول : رُوِي عن سيِّدنا عُمَر رضي الله عنه أنه قال : بَيْنَمَا نَحْنُ قُعُودٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى جَبَلٍ مِنْ جِبَالِ تُهَامَةَ إِذْ أَقْبَلَ شَيْخٌ فِي يَدِهِ عَصاً ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ ثُمَّ قَالَ ﴿ نَغْمَةُ الْجِنِّ وَغُنْثُهُمْ مَنْ أَنْت ﴾ قَالَ :" أَنَا هَامَةُ بْنُ هِيمَ بْنِ لاَقِسَ بْنِ إِبْلِيسَ " ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ إِبْلِيسَ إِلاَّ أَبَوَانِ .. فَكَمْ أَتَى عَلَيْكَ مِنَ الدَّهْرِ ﴾ قَالَ :" قَدْ أَفْنَيْتُ الدُّنْيَا عُمُرَهَا إِلاَّ قَلِيلاً ، لَيَالِيَ قَتَلَ قَابِيلُ هَابِيلَ كُنْتُ غُلاَماً ابْنَ أَعْوَامٍ أَفْهَمُ الْكَلاَمَ وأَمُرُّ بِالآكَامِ وَآمُرُ بِإِفْسَادِ الطَّعَامِ وَقَطِيعَةِ الأَرْحَامِ " فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿ بِئْسَ عَمَلُ الشَّيْخِ الْمُتَوَسِّمِ وَالشَّابُّ الْمُتَلَوِّمِ ﴾ ، قَالَ :" ذَرْنِي ؛ إِنِّي تَائِبٌ إِلَى اللَّهِ .. إِنِّي كُنْتُ مَعَ نُوحٍ فِي مَسْجِدِهِ مَعَ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ ...

قال : قُلْتُ :" يَا نُوحُ .. إِنِّي مِمَّنْ أُشْرِكَ فِي دَمِ السَّعِيدِ الشَّهِيدِ هَابِيلَ بْنِ آدَمَ ، فَهَلْ تَجِدُ لِي عِنْدَ رَبِّكَ تَوْبَةً ؟ " قَالَ :" يَا هَامَةُ .. هِمَّ بِالْخَيْرِ وَافْعَلْهُ قَبْلَ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ ، إِنِّي قَرَأْتُ فِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ تَابَ إِلَى اللَّهِ بَالِغاً ذَنْبُهُ مَا بَلَغَ إِلاَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَقُمْ فَتَوَضَّأْ وَاسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ " فَفَعَلْتُ مِنْ سَاعَتِي مَا أَمَرَنِي بِهِ ، فَنَادَانِي :" ارْفَعْ رَأْسَكَ ؛ فَقَدْ نَزَلَتْ تَوْبَتُكَ مِنَ السَّمَاءِ " فَخَرَرْتُ لِلَّهِ سَاجِداً حَوْلاً ، وكُنْتُ مَعَ هُودٍ فِي مَسْجِدِهِ مَعَ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ ...

قال : وكُنْتُ زَوَّاراً لِيَعْقُوبَ ، وكُنْتُ مِنْ يُوسُفَ بِالْمَكَانِ الأَمِينِ ، وكُنْتُ أُلْقَى إِلْيَاسَ فِي الأَوْدِيَةِ ، وَأَنَا أَلْقَاهُ الآنَ ، وَإِنِّي لَقِيتُ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ فَعَلَّمَنِي مِنَ التَّوْرَاةِ وَقَالَ :" إِنْ أَنْتَ لَقِيتَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلاَمَ " ، وَإِنِّي لَقِيتُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ فَأَقْرَأْتُهُ مِنْهُ السَّلاَمَ ، وَإِنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ قَالَ لِي : إِنْ أَنْتَ لَقِيتَ مُحَمَّداً فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلاَمَ ..

فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَيْنَيْهِ فَبَكَى ، ثُمَّ قَالَ ﴿ وَعَلَى عِيسَى السَّلاَمُ مَا دَامَتِ الدُّنْيَا ، وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ -

ولاَ مانِعَ مِنْ أنَّ الأسْتاذَ كانَ يَرَاهُمْ ؛ إذْ قَدْ ثَبَتَتْ رؤيَتُهُمْ لِكَثيرٍ مِنَ الصَّحابَةِ فَمَنْ بَعْدَهُمْ (١) ؛ ففي " الشِّفَا " أنَّ عَبْدَ اللهِ بنَ مَسعودٍ (٢) رآهُمْ لَيلَةَ الجِنِّ وسَمِعَ

= يَا هَامَةُ بِأَدَائِكِ الْأَمَانَةَ ﴾ ، قَالَ :" يَا رَسُولَ اللَّهِ .. افْعَلْ بِي مَا فَعَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ ؛ إِنَّهُ عَلَّمَنِي مِنَ التَّوْرَاةِ " فَعَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةَ ﴾ وَالْمُرْسَلَاتِ و﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ و﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ و﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ ، وقَال ﴿ ارْفَعْ إِلَيْنَا حَاجَتَكَ يَا هَامَةُ وَلَا تَدَعْ زِيَارَتَنَا ﴾ ، فَقُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ وَلَمْ يَنْعِهِ إِلَيْنَا ، فَلَسْتُ أَدْرِي أَحَيٌّ هُوَ أَمْ مَيِّت .

قال السّيوطيّ : أخْرَجه العقيليّ في الضّعفاء وأبو نُعَيم والبَيْهَقيّ عن عُمَر ، وعبد الله بن أحمد في زوائد الزُّهْد وأبو نُعَيْم وابن مردويه عن أنَس ، والعقيليّ والشّيرازيّ في الألقاب وأبو نُعَيم عن ابن عبّاس ، والفاكهيّ في أخبار مكّة ، وله عدّة طُرُق يَبْلُغ بها درجة الحَسَن ..

انظر : الخصائص الكبرى ٢٣٤/١ ولقط المَرْجان /٦٧

وقال ابن حَجَر: أخْرَجه عبد الله بن أحمد في زيادات الزُّهْد والعقيليّ في الضّعفاء وابن مردويه في التّفْسير وأبو عَليّ بن الأشعث في السُّنَن عن أنس ، والبَيْهَقيّ في الشّعب وأبو جعفر المُسْتَغْفِريّ وإسحاق بن إبراهيم المَنْجَنِيقيّ وأبو عَليّ بن الأشعث عن عُمَر ، وقد أخْرَج أبو موسى في الذّيْل طُرُقا أخرى ، وأخْرَجه الفاكهيّ في كتاب مكة عن ابن عباس .. انظر الإصابة ٥١٨/٦

وقال المُتّقي الهنديّ : أخْرَجه العقيليّ في الضّعفاء وأبو العباس اليشكريّ في اليشكريّات وأبو نُعَيم والبَيْهَقيّ معاً في الدّلائل والمُسْتَغْفِريّ في الصّحابة وإسحاق بن إبراهيم المَنْجَنِيقيّ من طُرُق ، وطريق البَيْهَقيّ أقواها ، وطريق العقيليّ أوْهَاهَا ، وأوْرَده ابن الجَوْزيّ في الموضوعات من طريق العقيليّ فلمْ يُصِبْ ، وله شواهد من حديث أنَس وابن عباس وغيْرهما تأتي في محالّها ..

انظر كنْز العمّال (١٥٢٢٩)

أقول : وأخْرَجه ابن أبي الدُّنْيَا في الهواتف (/٧٧) وابن ماكولا عن سيّدنا عُمَر ﷺ (انظر نسيم الرّياض للخفاجيّ ٢٥٤/٣) ، وابن عساكر في تاريخه (انظر تفسير القرطبيّ ٢١٥/١٦) .

(١) أيْ ثَبَتَتْ رؤية الصّحابة وغيْرهم للجنّ .

(٢) هو أبو عبد الرّحْمن سيّدنا عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذليّ المدنيّ ﷺ ، أوّل مَن جَهَر بالقرآن في مكة ، شَهِد المَشاهد كلّها مع النّبيّ ﷺ ، وكان ﷺ صاحب سِرّ رسول الله ﷺ ووسادِه وسواكِه ونَعْلَيْه وطهوره في السّفَر ، وكان من أجْوَد النّاس ثوباً ومِن أطْيَب النّاس ريحاً تعظيماً لِنَعْل النّبيّ ﷺ إذا حَمَله ، وكان إذا أتى النّبيّ ﷺ مجلسَه نَزَع نَعْلَيْه فأدْخَلهما في ذراعَيْه .

قال ﷺ ﴿ لَرَجُلُ عَبْدِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُد ﴾ .

قال عنْه سيّدنا أبو موسى الأشْعَريّ ﷺ : لاَ تَسْأَلُوني عَنْ شَيْءٍ مَا دَامَ هَذَا الْحَبْرُ فِيكُم .

وروى ابن سَعْد عنْ عمرو بن ميمون قال : اخْتَلَفْتُ إلى عبد الله بن مسعود سَنَةً ما سَمِعْتُه يُحَدِّث =

- فيها عنْ رسول الله ﷺ ولا يقول فيهـا :" قَـالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ " ، إلا أنَّـه حَدَّث ذات يَوْم بحديث فجَرَى على لسانه :" قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " ، فعَلاَه الكرب حتّى رَأَيْتُ العَرَق يَتَحَدَّر عنْ جبْهتـه ، ثُمّ قال : إنْ شَاءَ اللَّهُ إمَّا فَوقَ ذَلِكَ ، وَإمَّا قَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ ، وَإمَّا دُونَ ذَلِك .

وشَكَا سيِّدنا جرير بن عبد الله البجليّ ﷺ إلى سيِّدنا عُمَر بن الخطاب ما يَلْقَى من النِّساء ، فقال : " لاَ عَلَيْكَ ، فَإنَّ الَّتِي عِنْدِي رُبَّمَا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهَا فَتَقُولُ : إنَّمَا تُرِيدُ أَنْ تَتَصَنَّعَ لِقِيَانِ بَنِي عَدِيّ ! " ، فسَمِع كلامَهما سيِّدنا عبد الله بن مسعود ﷺ فقال :" لاَ عَلَيْكُمَا ؛ فَإنَّ إبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ شَكَا إلَـى رَبِّهِ رَدَاءَةَ فِي خُلُقِ سَارَةَ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إلَيْهِ أَن :(الْبَسْهَا عَلَى لِيَاسِهَا مَا لَمْ تَرَ فِـي دِينِهَا وَصَمْتَـة) " ، فقال سيِّدنا عُمَر : إنَّ بَيْنَ جَوَانِحِكَ لَعِلْما .

وخَرَج ﷺ مرّةً ومعه ناس يُشَيِّعونه ، فقال لهم :" أَلَكُمْ حَاجَة ؟ " فقالوا :" لا " ، فقال : ارْجِعُـوا ؛ فَإنَّهُ ذِلَّةٌ لِلتَّابِعِ وَفِتْنَةٌ لِلْمَتْبُوع .

وكان ﷺ يقول لإخوانه : أَنْتُمْ جِلاَءُ قَلْبِي .

من أقواله ﷺ :

- مَا أَصْبَحْتُ قَطُّ عَلَى حَالَةٍ فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ عَلَى سِوَاهَا .
- وَاللَّهِ الَّذِي لاَ إلَهَ إلاَّ هُوَ مَا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ شَيْءٌ أَحْوَجَ إلَى طُولِ سَجْنٍ مِنْ لِسَانِي .
- لَوْ أَنَّ رَجُلاً قَامَ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى سَبْعِينَ سَنَةً وَهُوَ يُحِبُّ ظَالِماً لَبَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَـوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ مَنْ يُحِبّ .
- إذَا أَرَدْتُمُ الْعِلْمَ فَانْثُرُوا الْقُرْآنَ ؛ فَإنَّ فِيهِ عِلْمَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِين .
- الْوَسْوَسَةُ بَرْزَخٌ بَيْنَ الشَّكِّ وَالْيَقِين .
- خَيْرُ مَا أُلْقِيَ فِي الْقَلْبِ الْيَقِينُ ، وَالرَّيْبُ مِنَ الْكُفْرِ ، وَشَرُّ الْعَمَى عَمَى الْقَلْب .
- إنَّ الرَّجُلَ لَيَدْخُلُ عَلَى السُّلْطَانِ وَمَعَهُ دِينُهُ فَيَخْرُجُ وَلاَ دِينَ مَعَهُ ؛ لأَنَّهُ تَعَرَّضَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ تَعَـالَى إمَّا بِفِعْلِهِ وَإمَّا بِسُكُوتِهِ وَإمَّا بِاعْتِقَادِه
- هَلَكَ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ قَلْبُهُ الْمَعْرُوفَ وَيُنْكِرْ قَلْبُهُ الْمُنْكَر .
- الْبَلاَءُ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ ؛ لَوْ سَخِرْتُ مِنْ كَلْبٍ لَخَشِيتُ أَنْ أُحَوَّلَ كَلْبا .
- يَقُولُ اللَّهُ فِي بَعْضِ كُتُبِه :(الْحَسُودُ عَدُوُّ نِعْمَتِي ، مُتَسَخِّطٌ لِقَضَائِي ، غَيْرُ رَاضٍ بِقِسْمَتِي) .
- السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّه .
- إنَّ الَّذِي يُفْتِي النَّاسَ فِي كُلِّ مَا يَسْتَفْتُونَهُ لَمَجْنُون .
- لاَ أَرَيَنَّ أَحَدَكُمْ فَارِغاً : إمَّا أَنْ يَكُونَ فِي عَمَلِ الدُّنْيَا ، وَإمَّا أَنْ يَكُونَ فِي عَمَلِ الآخِرَة .
- حُسْنُ الْهَدْيِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ الْعَمَل .
- نُهِينَا أَنْ نُجِيبَ دَعْوَةَ مَنْ يُبَاهِي بِطَعَامِه .

كلامَهُمْ وشَبَّهَهُمْ بِرِجالِ الزُّطِّ (١) .

- - أَنْتُمْ فِي زَمَانٍ خَيْرُكُمْ فِيهِ الْمُسَارِعُ فِي الْأُمُورِ ، وَسَيَأْتِي بَعْدَكُمْ زَمَانٌ يَكُونُ خَيْرُهُمْ فِيهِ الْمُتَثَبِّتَ الْمُتَوَقِّفَ ؛ لِكَثْرَةِ الشُّبُهَاتِ .

- مَا مِنْ يَوْمٍ إِلاَّ وَمَلَكٌ يُنَادِي : يَا ابْنَ آدَمَ .. قَلِيلٌ يَكْفِيكَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يُطْغِيكَ .

- مَا دُمْتَ فِي صَلاَةٍ فَأَنْتَ تَقْرَعُ بَابَ الْمَلِكِ ، وَمَنْ يَقْرَعْ بَابَ الْمَلِكِ يُفْتَحْ لَه .

- إِنِّي لأَحْسَبُ الرَّجُلَ يَنْسَى الْعِلْمَ كَانَ يَعْلَمُهُ بِالْخَطِيئَةِ يَعْمَلُهَا .

- إِنَّ الشَّيْطَانَ أَطَافَ بِأَهْلِ مَجْلِسِ ذِكْرٍ لِيَفْتِنَهُمْ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُمْ ، فَأَتَى عَلَى حَلْقَةٍ يَذْكُرُونَ الدُّنْيَا فَأَغْرَى بَيْنَهُمْ حَتَّى اقْتَتَلُوا ، فَقَامَ أَهْلُ الذِّكْرِ فَحَجَزُوا بَيْنَهُمْ فَتَفَرَّقُوا .

- وَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ مَا يَضُرُّ عَبْداً يُصْبِحُ عَلَى الإِسْلاَمِ وَيُمْسِي عَلَيْهِ مَا أَصَابَهُ مِنَ الدُّنْيَا .

- لاَ تُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً ، وَزُلْ مَعَ الْقُرْآنِ حَيْثُ زَالَ ، وَمَنْ جَاءَكَ بِالْحَقِّ فَاقْبَلْ مِنْهُ وَإِنْ كَانَ بَعِيداً بَغِيضاً وَمَنْ جَاءَكَ بِالْبَاطِلِ فَارْدُدْهُ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ حَبِيباً قَرِيبا .

- إِنَّ لِلَّهِ عِنْدَ كُلِّ بِدْعَةٍ كِيدَ بِهَا الإِسْلاَمُ وَلِيّاً مِنْ أَوْلِيَائِهِ يَذُبُّ عَنْهَا وَيَنْطِقُ بِعَلاَمَاتِهَا ، فَاغْتَنِمُوا حُضُورَ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّه .

- **ثَلاَثٌ أُحْلِفُ عَلَيْهِنَّ ، وَالرَّابِعَةُ لَوْ حَلَفْتُ عَلَيْهَا لَبَرَرْتُ : لاَ يَجْعَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ لَهُ سَهْمٌ فِي الإِسْلاَمِ كَمَنْ لاَ سَهْمَ لَهُ ، وَلاَ يَتَوَلَّى اللَّهَ عَبْدٌ فِي الدُّنْيَا إِلاَّ تَوَلاَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلاَ يُحِبُّ رَجُلٌ قَوْماً إِلاَّ جَاءَ مَعَهُمْ ..**

وَالرَّابِعَةُ الَّتِي لَوْ حَلَفْتُ عَلَيْهَا لَبَرَرْتُ : لاَ يَسْتُرُ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا إِلاَّ سَتَرَ عَلَيْهِ فِي الآخِرَةِ .

- مَنْ كَانَ مُتَأَسِّياً فَلْيَتَأَسَّ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ فَإِنَّهُمْ أَبَرُّ هَذِهِ الأُمَّةِ قُلُوباً وَأَعْمَقُهَا عِلْماً وَأَقَلُّهَا تَكَلُّفاً وَأَقْوَمُهَا هَدْياً وَأَحْسَنُهَا حَالاً ، اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَإِقَامَةِ دِينِهِ ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ .

- مَنْ رَاءَى فِي الدُّنْيَا رَاءَى اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَتَطَاوَلْ تَعَظُّماً يَضَعْهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَتَوَاضَعْ تَخَشُّعاً يَرْفَعْهُ اللَّه .

- اللَّهُمَّ وَسِّعْ عَلَيَّ فِي الدُّنْيَا وَزَهِّدْنِي فِيهَا ، وَلاَ تُزْوِهَا عَنِّي وَتُرَغِّبْنِي فِيهَا .

تُوُفِّيَ ﷺ بالمدينة سَنَةَ ٣٢ هـ ودُفِن بالبقيع .

(١) الشِّفَا /٢٦٨ وقد أخرج ذلك أيضاً : التِّرْمذيّ ١٤٥/٥ وابن إسحاق ٢٦٥/٥ وأحمد ٣٩٩/١ والبزار ٢٧١/٥ والخطيب البغداديّ ٥٥/٨ وفي مُوَضِّح أوهام الجَمْع والتَّفْريق ٢٧٩/٢ وأبو نُعَيم في الدّلائل /٦٦ وابن سَعْد ٢٠٣/٦ والبخاري في التاريخ ٢٠٠/٢ والبَيْهَقِيّ ٩/١ والدّارقطنيّ ٧٧/١ والطّبرانيّ ٦٦/١٠ والنّسائيّ في عمل اليوم واللّيلة /٥٣٠ وابن عبد البرّ ١١٢/٢٤ والطّحاويّ في شرح مَعاني الآثار ٩٥/١ والشّاشيّ في مُسْنَده ٢٥٤/٢ وابن سيد النّاس في عيون الأثر /٢٣٤ وعبد الكريم الرّافعيّ القزوينيّ في التّدوين في أخبار قزوين ٤١٢/٣ والعقيليّ في الضّعفاء ٢٥٣/٤ -

فإنْ قُلْتَ : كيفَ أقْرَأهُمُ القُرآنَ وعُمُرُهُ سَنَتَانِ وهذا السِّنُّ لاَ يَتَأتَّى فيهِ التَّعَلُّمُ فَضلاً عَنِ التَّعليم ؟!

قُلْتُ : تَعَلُّمُ هذا الأُستَاذِ كانَ لَدُنِّيّاً مِنْ رَبِّ العِبادِ ؛ إذْ قَدِ اشْتُهِرَ عَنْهُ أنَّهُ كانَ إذَا مَدَّ القَلَمَ وكَتَبَ افتَتَحَ بقَولِهِ :" هَذَا مَا فَتَحَ اللَّهُ بِهِ مِنْ فُتُوحِ الْغَيْبِ مِنْ رَوْضَةِ النَّفْسِ فِي حَظِيرَةِ الْقُدْسِ " (١) ، ولاَ يَزالُ يكتُبُ بتِلكَ المَدَّةِ الواحدةِ حتَّى يَنْقَطِعَ الكَلامُ سواءٌ قَلَّ أوْ كَثُر .

قالَ أبُو بكْرٍ الواسِطِيُّ (٢) :" الرَّاسِخُونَ في العِلْمِ الذينَ رَسَخُوا بأرواحِهِمْ في

= ونصّ الحديث كما عند الإمام أحمد أنّ سيّدنا عبد الله بن مسعود ﷺ قال : اسْتَبْعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْتُ مَكَانَ كَذَا وكَذَا ، فَخَطَّ لِي خِطَّةً فَقَالَ لِي ﴿ كُنْ بَيْنَ ظَهْرَيْ هَذِهِ لاَ تَخْرُجْ مِنْهَا ؛ فَإِنَّكَ إِنْ خَرَجْتَ هَلَكْتَ ﴾ فَكُنْتُ فِيهَا ، فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَذْفَةً أَوْ أَبْعَدَ شَيْئًا ..

ثُمَّ إِنَّه ذَكَر هَنِينا : كَأَنَّهُمُ الزُّطُّ لَيْسَ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ وَلاَ أَرَى سَوْآتِهِمْ طِوَالاً قَلِيلٌ لَحْمُهُمْ ، فَأَتَوْا فَجَعَلُوا يَرْكَبُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَجَعَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ عَلَيْهِمْ ، وَجَعَلُوا يَأْتُونِي فَيُخَيِّلُونَ أَوْ يَمِيلُونَ حَوْلِي وَيَعْتَرِضُونَ لِي ، فَأَرْعِبْتُ مِنْهُمْ رُعْباً شَدِيداً فَجَلَسْتُ ، فَلَمَّا انْشَقَّ عَمُودُ الصُّبْحِ جَعَلُوا يَذْهَبُون ... الحديث .. مُسْنَد الإمام أحمد ٣٩٩/١

وفي رواية أبي نُعَيم : ... وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُفَزِّعُهُمْ بِعَصَاهُ وَيَقُول ﴿ اجْلِسُوا ﴾ فَجَلَسُوا حَتَّى كَادَ يَنْشَقُّ عَمُودُ الصُّبْحِ ، ثُمَّ ثَارُوا وَذَهَبُوا ، فَأَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَال ﴿ أَنِمْتَ ﴾ فَقُلْتُ :" لاَ وَاللَّهِ ، وَلَقَدْ فَزِعْتُ الْفَزْعَةَ الأُولَى حَتَّى هَمَمْتُ أَنْ آتِيَ الْبُيُوتَ فَأَسْتَغِيثَ النَّاسَ ، حَتَّى سَمِعْتُكَ تُفَزِّعُهُمْ بِعَصَاكَ " فَقَال ﴿ لَوْ أَنَّكَ خَرَجْتَ مِنْ هَذِهِ الْحَلْقَةِ لَمْ آمَنْ أَنْ تُخْطَفَ .. فَهَلْ رَأَيْتَ شَيْئاً مِنْهُم ﴾ قُلْتُ :" رَأَيْتُ رِجَالاً سُوداً مُسْتَفْزِّينَ بِثِيَابٍ بِيضٍ " قَال ﴿ أُولَئِكَ وَفْدُ جِنِّ نَصِيبِين ﴾ ... الحديث .. دلائل النُّبُوّة /٦٦

(١) انظر الجَوْهَرة المُضيئة /١٧ ، ٤٨ ، ٨٠ ، ٦٠ ، ٩٢ ، ١٠٣ ، ١١٣ ، ١٧٣ ، ٢٢٨ ، ٢٧١ ، ٢٨٣

(٢) هو أبو بَكْر محمد بن موسى الواسطيّ ﷺ ، يُعْرَف بـ" ابن الفرغاني " ، أخَذ عن الإمام الجنيد وأبي الحسين النّوريّ ، وأخَذ عنه محمد بن عبد الله الواعظ وأبو العباس السّيّاريّ وأبو أحمد الحسنونيّ .

من أقواله ﷺ :

- الحُبّ يوجِب شوقاً ، والشّوق يوجب أُنساً ، فمَن فَقَدَ الشّوق والأُنس فليَعلَم أنّه غيْر مُحِبّ .
- الكلمة التي بها كَمُلَتِ المحاسن : الاستقامة .
- احذروا لذّة العطاء ؛ فإنّها غطاء لأهل الصّفاء ، ولولا شهود نَفْسه مع الحقّ ما استَلَذّ . =

غَيْبِ الغَيْبِ وسرِّ السرِّ ، فعرَّفَهُمْ ما عَرَّفَهُمْ ، وأرادَ مِنْهُمْ مِنْ مُقْتَضَى الآياتِ ما لَمْ يُرِدْ مِنْ غَيْرِهِمْ ، وخاضُوا في بَحْرِ العِلْمِ بالفَهْمِ لِطَلَبِ الزِّياداتِ ، فانْكَشَفَ لَهُمْ مَدْخُورُ الخَزائنِ والمَخْزُونُ تَحْتَ كُلِّ حَرْفٍ وآيةٍ مِنَ الفَهْمِ وعجائبِ الخطابِ ، استَخْرَجُوا الدُّرَرَ والجواهِرَ ونَطَقُوا بالحِكْمَةِ " (١) .

وقالَ القُرَشيُّ (٢) :" هيَ أسرارُ اللهِ يُبْدِيهَا إلى أمناءِ أوليائِهِ وساداتِ النُّبَلاءِ مِنْ غيْرِ سماعٍ ولاَ دراسةٍ ، وهِيَ مِنَ الأسرارِ التي لم يَطَّلِعْ عليْهَا إلاَّ

= - أفضلُ الطّاعات حِفْظ الأوقات ، وهو : أنْ لا يطالِع العبدُ غيْر حدّه ، ولا يراقب غيْر ربّه ، ولا يقارِن غيْر وقْته .

- أفقرُ الفقراء مَن ستَرَ الحقّ حقيقة حقه عنه .

- كيف يَرَى لِلفضل فضلاً مَن لا يأمن أنْ يكون ذلك مكرا ؟!

- الخوف والرّجاء زمامان يَمْنَعَان العبد من سوء الأدب .

- أربعة أشياء لا تليق بالمعرفة : الزُّهد ، والصّبْر ، والتّوكُّل ، والرِّضا ؛ لأنّ كُلّ ذلك مِن صفة الأشباح .

- مطالَعة الأعواض على الطّاعات من نسيان الفضل .

- اختيار ما جرى لك في الأزل خيْر لك من معارَضة الوقْت .

- لا يَصِل إلى محلّ الأُنْس مَن لم يَسْتَوْحِش من الأكوان كُلّها .

- ابْتُلِينا بزمان ليس فيه آداب الإسلام ولا أخلاق الجاهليّة ولا أحلام ذوي المروءة .

تُوُفِّي ﷺ بمرو سنَة ٣٢٠ هـ .

(١) انظر عوارف المَعارف /٧٣

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم القرشيّ الهاشميّ الأندلسيّ ﷺ ، أخَذ عن الشّيْخ أبي الرّبيع المالقيّ وأبي إسحاق بن طريف وأبي زيْد القرطبيّ ، وأخَذ عنه أبو العباس بن القسطلاّنيّ وأبو عبد الله القرطبيّ وأبو الحجّاج الأقصريّ .

وسُئِل عن رؤيته الأشياء وإخباره بها مع كونه ضريراً فقال : كُلّي أعيُن ؛ بأيّ عضو أردْتُ أنْ أنْظُر به نَظَرْت .. نَفْح الطّيب ٢/٥٥

من أقواله ﷺ :

- سيروا إلى الله عُرْجاً ومكاسير ؛ فإنّ انتظار الصّحّة بطالة .

- علامة الصّادق أنْ يَفْتَقِر بإيمانه إلى كُلّ إيمان ، وبعقله إلى كُلّ عقْل ، وبعِلْمه إلى كُلّ عِلْم .

- مَن لمْ يَدْخُل في الأمور بلُطْف الأدب لم يُدْرِك مطلوبه منْها .

- العاقل يأخذ ما صفَا ويَدَع التّكلُّف ؛ فإنّه تعالى يقول ﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ .

الخوَاصّ " (١) .

وقالَ أبُو سعيدِ الخَرَّازُ (٢) :" لِلعارِفِينَ خَزائنُ أوْدَعُوها عُلوماً غريبةً وأنباءً عَجيبةً ، يَتَكلَّمُونَ فيها بِلِسانِ الأبَدِيَّةِ ، ويُخْبِرونَ عَنْهَا بِعِبارةِ الأزَلِيَّةِ ، وهوَ

= - مَن لم يراعِ حقوق الإخوان بتَرْك حقوقه حُرِم بَرَكة الصُحْبَة .

- الحاجة إذا تَحقَّقَت قُلِبَت الأعيان .

- حقيقة المحبّة أنْ تَهَب كُلَّك لِمَن أحْبَبْتَ ، فلا يَبْقَى لك منك شيء .

تُوُفِّي ﷺ ببيْت المقدس سَنَة ٥٩٩ هـ عن ٥٥ سَنَة .

(١) انظر عوارف المَعارف /٣٢٣

(٢) هو أبو سعيد أحمد بن عيسى البغداديّ الخرّاز ﷺ ، أخَذ عن ذي النّون المصريّ وإبراهيم ابن بشّار ومحمد بن منصور الطّوسيّ ، وأخَذ عنه يوسف بن الحسين وعمرو بن عثمان المكّيّ ومحمد ابن عليّ المصريّ .

قال الإمام الجنيد : لوْ طالَبَنا الله بحقيقة ما عليْه أبو سعيد الخراز لَهَلَكْنا .

يحكي ﷺ عنْ نَفْسه فيقول : تُهْتُ في البادية مرّةً فكُنْتُ أقول :

أتيــه فــلا أدري مِــن التِّيــه مَــن أنَــا ... سِوَى ما يقول النّاس فِيّ وفــي جِنْسِي

أتيــه علــى جِــنّ البــلاد وإنْسِــها ... فإنْ لم أجِدْ شخصاً أتيه على نَفْسِي

فسَمِعْتُ هاتفاً يهتف بي ويقول :

أيْ مَن يرى الأسبابَ أعلَى وجودِهِ ... ويَفْــرَح بالتِّيــه الدَّنِــيّ وبــالأنسِ

فلو كُنْتَ مِــن أهْــل الوجــود حقيقَــةً ... لَغِبْتَ عن الأكوان والعرش والكُرْسِي

وكُنْــتَ بِلا حــالٍ مــع اللــه واقــفــاً ... تُصان عــن التّذْكار لِلْجِــنّ والإنْــسِ

ويَحكي ﷺ فيقول : دَخَلْتُ المسجد الحرام فرأيْتُ فقيراً عليْه خرقتان يسأل شيئاً ، فقُلْتُ في نَفْسي : " مِثْل هذا كَلٌّ على النّاس ؟! " فنظر إليّ وقال :" ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ " فاسْتَغْفَرْتُ في سِرّي ، فناداني وقال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ .. الرّسالة القُشَيْرِيّة /١٨٦

من أقواله ﷺ :

- المعرفة تأتي القلوب من جهتَيْن : من عيْن الجود ، ومن بَذْل المجهود .

- مَن ظَنّ أنّه يَصِل بغيْر بَذْل المجهود فهو مُتَمَنٍّ ، ومَن ظَنّ أنّه يَصِل ببَذْل المجهود فهو مُتَعَنّ .

- إذا بكَتْ عيْن الخائفين فقَدْ كاتَبوا الله بدموعهم .

- رياء العارفين أفْضَلُ من إخلاص المريدين .

- إذا أراد الله تعالى أنْ يوالِي عبداً من عَبيده فتَح عليْه باب ذِكْره ، فإذا استَلَذّ الذِّكْرَ فتَح عليْه باب القُرْب ، ثُمّ رَفَعه إلى مجالس الأُنس ، ثُمّ أجْلَسَه على كُرْسيّ التّوْحيد ، ثُمّ رَفَع عنْه الحُجُبَ . =

مِنَ العِلْمِ المجهول " (١) ..

وقَولُهُ :" بِلِسانِ الأبَدِيَّةِ " و"عِبارةِ الأزَلِيَّةِ " إشارةٌ إلى أنَّهُمْ باللهِ يَنْطِقُونَ ، وفي الحَديثِ القُدسيّ ﴿ وَبي يَنْطِق ﴾ ، وهوَ العِلْمُ اللَّدُنِّيُّ الذي قالَ اللهُ تعالى فيه في حَقِّ الخَضِرِ (٢) ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْما ﴾ (٣) (٤) .

= - كُلّ باطن يخالِفه ظاهِر فهو باطل .

- أول علامة التَّوْحيد خروج العبد عنْ كُلّ شيء ، ورَدّ الأشياء جميعاً إلى مُتَوَلِّيها حتّى يكون المتولّى بالمتولِّي ناظراً إلى الأشياء قائماً بها مُتَمَكِّناً فيها ، ثُمّ يُخْفِيهم عنْ أنفُسهم في أنفُسهم ويُظْهِرهم لِنَفْسه .

- المَجْنُون مَن يَخْطُو خَطْوَةً ولمْ يَذْكُرْ فيها ربَّه .

- العافية سَتَرَت البَرّ والفاجرَ ، فإذا جاءَتِ البلوى يَتَبَيَّن عندها الرِّجال .

تُوُفِّي ﷺ سَنَة ٢٧٩ هـ .

(١) انظر : حِلْيَة الأوْلِياء ٤٢٨/١٠ وطبقات الصّوفيّة ١٨٦/١ وعوارف المَعارف /٣٢٣ وطبقات الشّعرانيّ /١٥٨

(٢) هو أبو العبّاس بليا بن مَلْكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ، سُمِّي بـ" الخَضِر " لأنّه ما وَطِئ أرضاً إلا اخْضَرَّتْ مِن تَحْتِه ، وقيل : لأنّه كان إذا صلّى اخْضَرّ ما حوله .

قال البغويّ : ولمْ يَكُن الخَضِر نبيّاً عند أكْثَر أهْل العِلْم .. تفسير البغويّ ١٧٢/٣

وهو واحد مِن أرْبَعة كُتِب لهم البقاء حتّى نهاية الدُّنْيا ..

والثّلاثة الآخَرون هُمْ : سيِّدنا إدريس عليه السلام ، وسيِّدنا إلياس عليه السلام ، وسيِّدنا عيسى عليه السلام .

وقدْ ذَهَب إلى حياة الخَضِر عليه السلام سائر أهْل البصائر مِن الصّوفيّة ، ولهمْ في ذلك حكايات تَخْرُج عن حدّ الحَصْر دَوَّنوها في كُتُبهم ، مِثْل : حِلْيَة الأوْلياء ، الرِّسالة القُشَيْرِيّة ، إحياء علوم الدِّين ، طبقات الأولياء ، طبقات الشّعْرانيّ ، الكواكب الدُّرِّيّة .

ومِن هؤلاء الذين ذَهبوا إلى حياة الخَضِر عليه السلام نَذْكُر : أبو نُعَيم الأصبهانيّ ، القُشَيْرِيّ ، الغزاليّ محيي الدِّين بن عربيّ ، صفيّ الدّين بن أبي المنصور ، السّهْرَوَرْديّ ، ابن الملقّن ، الشّعْرانيّ ، المناويّ ، النّوويّ ، ابن الصّلاح ، مُلاّ علي القاري ، ابن عجيبة .

(٣) سورة الكهف مِن الآية ٦٥

(٤) انظر عوارف المَعارف /٣٢٣

أقول : وإنّ من فضل الله على الحبيب ﷺ أنْ أوْجَد في أُمّته كثيراً مِن الأولياء هُمْ أعْلَى مقاماً وأقْوَى حالاً وأرْفَع عِلْماً وأسْمَى منزلةً مِن الخَضِر عليه السلام ، وإنّ سَيِّدي إبراهيم الدّسوقيّ ﷺ أحد هؤلاء السّادة الأفاضل الذين فاقوا الخَضِر عليه السلام بمَراحل ومراحل ..

ولا غرابة في ذلك ؛ فها هو الإمام فخر الدِّين السيِّد محمد عثمان عبده البرهانيّ ﷺ - مَن أحْيَا -

وقيلَ لِلْجُنَيْدِ :" مِمَّنِ استَفَدْتَ هذا العِلْمَ ؟ " فقالَ :" مِنْ جُلُوسِي بَيْنَ يَدَيِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ثلاثِينَ سَنَةً تَحْتَ تِلْكَ الدَّرَجَةِ " وأَوْمَأَ إلى دَرَجَةٍ في دارِه (١) .

ومِنْ ثَمَّ .. قالَ أُستاذُنا في جَوْهَرَتِهِ وحقائقِهِ :" لاَ بُدَّ لِكُلِّ عِلْمٍ مِنْ مُعَلِّمٍ ، ونَحنُ نَسْطُرُ مِنْ فَيْضِ ما أفاءَ اللهُ عَلَيْنَا ، ولَسْنَا نَعْرِفُ غَيْرَ طريقِ رَبِّنَا .. ثَمَّ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ مَكْسُوبٌ وعِلْمٌ مَوْهُوبٌ مِنْ فَضْلِ عَلاَّمِ الغُيوب " (٢) .

وقالَ الشّاذُليُّ :" واللهِ لَقَدْ يَسْأَلُونِي عَنِ المَسْأَلَةِ لا يَكُونُ عِندي لَها جَوابٌ فأرى الجَوابَ مُسطَّراً في الدَّواةِ والحَصيرِ والحائط " (٣) .

= الله به طريقة سيّدي إبراهيم الدّسوقيّ ﷺ - يقول في تائيّته عن طريقته :

لِذَا فَهِيَ خَضْرَاءُ غَدَا الْخِضْرُ عِنْدَهَا كَطَالِبِ عِلْمٍ مِنْ أُصَيْحَابِ نَهْلَتِي

ديوان شراب الوصل /١٥

ويَرْوِي الإمام القُشَيْرِيّ فيقول : رأى بعضهم الخضر عليه السلام فقال له :" هل رأيتَ فوقك أحداً ؟ " فقال : نَعَمْ .. كان عبد الرزاق بن همّام يروي الأحاديث بالمدينة والناس حوله يَستَمِعون ، فرأيتُ شاباً بالبُعْد منهم رأسه على رُكْبَتَيْه ، فقُلْتُ له :" هذا عبد الرزاق بن همّام يروي أحاديث رسول الله ﷺ ؛ فلِمَ لا تَسْمَع منه ؟! " فقال :" إنّه يروي عن مَيِّت ، وأنا لَسْتُ بغائب عن الله عَزّ وجَلّ " فقُلْتُ له :" إنْ كُنْتَ كما تقول فمَن أنا ؟ " فرَفَع رأسه وقال :" أنت أخي أبو العبّاس الخضر " ، فعَلِمتُ أنّ لله عباداً لم أعْرِفهم .. الرّسالة القُشَيْرِيّة /٢٨٧

أمّا إبراهيمُ الخوّاص ﷺ فيقول : لقِيَني الخَضِر عليه السلام في بادية فسألني الصُّحْبة فخَشِيتُ أنْ يُفْسِد عَلَيّ تَوَكُّلِي بالسكون إليْه ففارقْتُه .. الرّسالة القُشَيْرِيّة /١٣١ وصفة الصّفْوَة ١٠٢/٤

أقول : ولا يُفْهَمُ مِنْ هذا الذي ذَكَرْناه أنّ الخَضِر أو أحداً مِن السّادة الأولياء الذين ذَكَرْناهم أفْضَل من سيّدنا موسى عليه السلام ؛ إذ أنّه من المُجْمَع عليه بَيْن أهل الحقّ أنّ سيّدنا موسى عليه السلام أفْضَل مِن الخَضِر وغيْره من أكابر الأولياء ؛ لأنّه عليه السلام نبيّ مُرْسَلٌ بَلْ ومِن أولي العزم مِن الرُّسُل ، وقد ذَكَرْنَا قَبْل ذلك أنّ أقَلّ الأنبياء منزلةً أفْضَل مِن أعْلَى الأولياء ..

ولكنْ لا بُدّ من تقرير أنّه قدْ يُوجَد في المفضول ما لا يوجَد في الفاضل ..

وفي هذا يقول القرطبيّ : ولا يُظَنّ أنّه في تَعَلُّم موسى مِن الخَضِر ما يَدُلّ على أنّ الخَضِر كان أفْضَل منه ؛ فقدْ يَشِذّ عن الفاضل ما يَعْلَمه المفضول ، والفضل لِمَن فَضّله الله ..

تفسير القرطبيّ ١٧/١١

(١) انظر : الرّسالة القُشَيْرِيّة /٣٢ وروْض الرّياحين /٢٤

(٢) الجَوْهَرة المُضيئة /٣١٨ وانظر طبقات الشّعرانيّ /٣٠١

(٣) انظر لطائف المِنَن /٥٢

والتَّعْلِيمُ بالمَهْدِ يَتَضَمَّنُ النُّطْقَ بِهِ ، وقَدْ تكلَّمَ بِـالمَهْدِ جَمْـعٌ مِـنَ الصِّبْيَـانِ كمـا يَعْرِفُ ذلكَ مَنْ لهُ إلمامٌ بالسُّنَّةِ والعِرْفان (١) .

كما وَرَدَ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِصَبِيٍّ لَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ فقال ﴿ مَنْ أنَا ﴾ قالَ :" رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " قال ﴿ صَدَقْتَ ﴾ ، ولَمْ يَتَكَلَّمْ بَعْدَها حتَّى شَبَّ (٢) ..

قالَ القاضي عِياضٌ (٣) :" وكانَتْ هذهِ القِصَّةُ بِمكَّةَ في حَجَّةِ الوَداعِ " (٤) .

---

(١) **ومِن الذين تَكَلَّموا في المَهْدِ من الأنبياء** : سَيِّدنا مُحَمَّد ﷺ ، وسَيِّدنا عيسى عليه السلام ، وسَيِّدنا يحيى عليه السلام ، وسَيِّدنا موسى عليه السلام ، وسَيِّدنا إبراهيم عليه السلام ..

ومِن غيْرِهم : السَّيِّدة مريم ، وصاحِب جريـج ، وشـاهِد سَيِّدنا يوسف ، وابـن ماشطة فِرْعَوْن ، وابن صاحبة الأخدود ..

لِلاستزادة في هذا الأمر انظر : فيْض القدير ٢٩٤/٥ وفتْح الباري ٤٨٠/٦

أقول : إذا جاز أنْ يَدْعُو رضيع عندما يَرَى أمَه تَتَمَنَّى أنْ يكون مِثْل أحد الأغنياء الذي رأتْه راكباً فَرَسه ـ فيتْرُك ثدي أمِّه ويقول :" اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْني مِثْله " ويَدْعُو حين يَرَى أمَه تَدْعُو أنْ لا يكون مِثْل جارية اتُّهِمَت بالسَّرقة والزِّنـا فيقول :" اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَها " (البخـاريّ ١٢٦٨/٣ وابـن حبّـان ٤١٠/١٤ وأبو يَعْلَى ١٧٨/١١ والبَيْهَقِيّ في الشّعب ١٩٤/٦ وأحمد ٣٩٥/٢ والدَّيْلَمِيّ ١٧/٢عن سَيِّدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، والحاكم ٦٥٠/٢ ومحمد بن عبد الواحد المَقْدِسِيّ ٢٧٦/١٠ عن سَيِّدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما) وإذا ثَبَتَ أن ابن ماشطة فِرْعَون وابن صاحبة الأخدود قدْ نَصَح كُلٌّ منْهما أمَّه فقال :" اصبِري يا أُمِّي ؛ فإنَّا علـى الحـقّ " (مُسْلِم ٢٢٩٩/٤ وابـن حبّـان ١٥٤/٣ وأحمد ١٧/٦ وأبو يَعْلَى ٣٩٥/٤ والبَيْهَقِيّ ٥١١/٦ وفي الشّعب ٢٤٢/٢ والبزار ٢٠/٦ وأبو بَكْر الشّيْبانيّ ٢١٩/١ عن سَيِّدنا صُهَيْب رضي الله عنه) ألاَ يجوز أنْ يُكْرِم الله أولياء أُمّـة حبيبـه ﷺ ـ التـي هـي أفْضَـل الأُمَـم علـى الإطلاق ـ بأمثال هذه الكرامات بلْ بما هو أقْوَى وأعْظَم منها ؟!!

(٢) أخْرَجه القاضي عياض في الشِّفَا /٢٣٦ وهناد بن السَّرِيّ في الزُّهْد ٦٢٢/٢ وابن إسحاق ٢٥٨/٥ والبَيْهَقِيّ وابن عساكر (الخصائص ٦٤/٢) وابن النَّجّار (البيان والتعريف ٨١/٢)

(٣) هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عِياض اليحصبيّ الأندلسيّ السبتيّ المـالكيّ رضي الله عنه ، وُلِد سَنَة ٤٧٦ هـ ، أجاز له نَحْو مائة شَيْخ ، أخَذ عن أبي عَلِيّ الغسّانيّ وأبي الوليد بن رشْد وأبي بكْر ابن العربيّ ، وأخَذ عنه ابنه القاضي محمد وابن بشكوال ومحمد بن الحَسَن الجابريّ .

مِن مؤلَّفاته : إكمال المعلم في شَرْح مُسْلِم ، الشِّفَا في تعريف حقوق المصطفى ، مشارق الأنـوار الإعلام بحدود قواعد الإسلام ، تَقْرِيب السّالك لِمعرفة أعلام مَذْهَب مالك .

تُوُفِّي رضي الله عنه بمراكش سَنَة ٥٤٤ هـ .

(٤) الشِّفَا /٢٣٦

فذلِكَ مِنْ فَيْضِ بَرَكَةِ الحَضْرَةِ النَّبَوِيَّـةِ ، وقَدْ أشـارَ إلَيهـا أسْتَاذُنَا بقَولِـهِ فـي " الحقائقِ " :" اعْلَمُوا ـ وفَّقَكُمُ اللهُ ـ أنَّ الفقيرَ (يَعْنِي نَفْسَـهُ) كـانَ بِقَرْيَـةٍ لاَ بِهَـا فقيهٌ ولاَ مُعَلِّمٌ ، ولكـنَّ ذلـكَ بِمَّـا فَتَـحَ اللـهُ بـهِ مِنْ فتـوحِ الغَيْـبِ مِنْ بَرَكَـةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ والأنبياءِ خَيْرِ الأنامِ ومِصْبَاحِ الظَّـلامِ رسـولِ المَلِـكِ العَـلاَّمِ علـى قَلْـبِ عَبْدِهِ إبراهيمَ الدُّسُوقيِّ القُرَشِيِّ الصُّوفِيِّ المُقْتَدِي بالقُرْآن " .

الكَنْزُ الرّابِعُ

نظيرُ قِصّةِ أستاذِنا معَ مُؤَدِّبِ الأطفالِ

ما وقَعَ لِمَعْرُوفٍ الكَرْخِيِّ ﷺ (١) لَمّا سلَّمَهُ أبَوَاهُ ـ وكانَا نصْرَانِيَّيْنِ ـ إلى

(١) هو أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخيّ ﷺ ، وُلِد في الكرخ ببغداد ، من موالي الإمام عليّ الرِّضا بن الإمام موسى الكاظم ﷺ ، أخَذ عن الإمام عليّ الرضا وداود الطّائيّ ، وأخَذ عنه السّريّ السّقطيّ وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين .

قال ابن شيرويه : قُلْتُ لِمعروف :" بَلَغني أنّك تمشي على الماء ؟ " قال : ما وقَع هذا ، ولكنْ إذا هَمَمْتُ بالعبور جُمِع لي طَرَفَا النّهْر فأتخطّاه ..

تاريخ بغداد ٢٠٠/١٣ وصفة الصّفْوَة ٣٢٢/٢ والمُنْتَظِم ٨٩/١٠ وسِيَر أعلام النُّبَلاء ٣٤٢/٩

وقال إبراهيم الأطرش : كُنّا قعوداً ببغداد مع معروف الكرخيّ على الدِّجْلة إذ مَرّ بنا قوم أحداث في زورق يَضْرِبون بالدُّفّ ويَشْرَبون ويَلْعَبون ، فقُلْنا لِمعروف :" أمَا تراهم كيف يعصون الله تعالى مجاهِرين ؟! ادْعُ الله تعالى عليْهم " فرَفَع يده وقال :" إلهي .. كما فَرّحْتَهم في الدُّنْيا فَرِّحْهم في الآخرة " فقُلْنا :" إنّما سألْناك أنْ تَدْعُو عليْهم ؟! " فقال : إذا رَحِم في الآخرة تاب عليْهم ولم يضركم بشيء .

ويُحكَى أنّه ﷺ مَرّ بِسقّاء يقول :" رَحِم الله مَن يَشْرَب " وكان صائماً ، فتَقدّم فشَرِب ، فقيل له : " ألَمْ تكنْ صائماً ؟! " فقال : بلى .. ولكنّي رَجَوْتُ دعاءه ..

أقول : وقدْ قال ﷺ ﴿ الصّائِمُ الْمُتَطَوِّعُ أمِيرُ نَفْسِهِ : إنْ شَاءَ صَامَ ، وَإنْ شَاءَ أفْطَرَ ﴾ أخْرَجه التِّرْمذيّ ١٠٩/٣ والنّسائيّ ٢٢٤٩ والبَيْهَقيّ ٢٧٦/٤ وأحمد ٣٤١/٦ والحاكم ٦٠٤/١ وأبو داود الطّيالسيّ /٢٢٥ والدّارقطنيّ ١٧٤/٢ والدَّيْلَميّ ٤١٢/٢ وإسحاق بن راهويه ٣٠/١ عن السَّيِّدة أمّ هانئ رضي الله عنها .

وقال ﷺ لِلسّريّ السّقطيّ ﷺ : إذا كانت لك حاجة إلى الله فأقْسِمْ عليْه بي .

من أقواله ﷺ :

- إذا أراد الله بعبد خيْراً فتَح عليه باب العمل وأغْلق عنْه باب الجدل ، وإذا أراد بعبدٍ شرّاً أغْلق عليْه باب العمل وفتَح له باب الجدل .
- إذا عَمِل العالِم بالعِلْم استَوَتْ له قلوب المؤمنين وكَرِهه كُلّ مَن في قَلْبه مرض .
- تَوَكّلْ على الله حتّى يكون جليسك وموضعَ شكواك ، وأكْثِرْ ذِكْر الموت حتّى لا يكون لك جليس غيْره ، واعْلَمْ أنّ الشّفاء لِمَا نزل بك كتمانه ، وأنّ النّاس لا يَنْفَعُونك ولا يَضُرّونك ولا يُعْطُونك ولا يَمْنَعونك .
- مَن سَرّ أخاه المؤمن خَلَق الله من ذلك السُّرور يَوْم القيامة خَلْقاً فيأخذ بيده حتّى يُدْخِله الجَنّة .
- التّصَوُّف : الأخذ بالحقائق ، واليأس مِمّا في أيدي الخلائق .

مُؤَدِّبِهِمْ وهوَ صَبِيٌّ ، فقالَ لهُ :" قُلْ : ثالِثُ ثلاثةٍ " فصاحَتْ بهِ فصاحَةُ الغَيْرةِ : " إيَّاكَ أنْ تَذْكُرَ غيْرَهُ فتَهْوِيَ في مَهاوي الحَيْرةِ ، واحْذَرْ أنْ تَتَجاوَزَ مِنَ الأحدِ إلى أحدٍ فتُضْرَبَ بِسَوْطِ البُعْدِ والكَمَدِ " ..

قالَ معروفٌ :" فطابَ لي سماعُ هذا الخِطابِ ، ثُمَّ رُفِعَ لِيَ الحِجابُ وزالَ الاحْتِجابُ ، فرأيْتُ كأساً مِنَ المَحَبَّةِ والإخلاصِ مكتوبٌ عَلَيْهَا بِقَلَمِ القَبولِ والاخْتِصاص عَلَى الجانِبِ الواحد ﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ (١) ، وعَلَى الثّاني ﴿ لَا تَتَّخِذُوا إِلَـٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ (٢) ، وعلى الثّالث ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ (٣) ، وعلى الرّابع ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ (٤) " ..

فلَمّا شَرِبَ الكأسَ وعلِمَ أنَّهُ إلهٌ واحدٌ فقالَ :" بَلْ هَوَ الواحِدُ " ، فضَرَبَهُ المُعَلِّمُ

= – مَن كابَرَ الله صرَعَه ، ومَن نازَعه قَمَعه ، ومَن ماكَره خَدَعه ، ومَن تَوكّل عليه مَنَعه ، ومَن تَواضَع له رَفَعه .

– بَلَغَني أنّه مَن لَعَن إماماً حُرِم عَدْله .

– لولا خروج حُبّ الدُّنْيا من قلوب العارفين ما قدروا على فِعْل الطّاعات ، ولو كان مِن حُبّ الدُّنْيا ذَرّة في قلوبهم لَمَا صَحّت لهم سجدة واحدة .

– كلام العبد فيما لا يعنيه خذلان من الله تعالى .

– مَن أدام النّظَر في المُصْحَف متّعه الله ببصره وخَفّف عن والديْه العذاب ولو كانا كافريْن .

– قال الله تعالى :(أحَبُّ عِبَادِي إِلَيَّ الْمَسَاكِينُ الَّذِينَ سَمِعُوا قَوْلِي وَأَطَاعُوا أَمْرِي ، وَمِنْ كَرَامَتِهِمْ عَلَيَّ أَنْ لاَ أُعَذِّبَهُمْ دُنْيَا فَيُقْبِلُوا عَنْ طَاعَتِي) .

– اللّهُمّ لا تُرِنَا وجْه مَن لا تُحِبّ النّظَر إليْهم .

تُوُفّي ﷺ ببغداد سَنَة ٢٠٠ هـ ..

عن الحسين الأنصاريّ قال : رأيْتُ في النّوْم كأنّ القيامة قدْ قامَت ، وشَخْص قائم تَحْت العَرْش ، فيقول الحقّ سبحانه :(يَا مَلاَئِكَتِي .. مَنْ هَذَا) فقالوا :" اللّهُ أعلَم " فقال :(هَذَا مَعْرُوفٌ الْكَرْخِيُّ سَكِرَ مِنْ حُبِّي فَلاَ يُفِيقُ إِلاَّ بِلِقَائِي) .. الرّسالة القُشَيْرِيّة /١٦ ووفيات الأعيان ٢٣٢/٥

(١) سورة البقرة من الآية ١٦٣

(٢) سورة النّحل من الآية ٥١

(٣) سورة المائدة من الآية ٧٣

(٤) سورة طه من الآية ١٤

ضَرْباً شديداً وأَمَرَ أَبَوَيْهِ بِحَبْسِهِ ، فحَبَسَاهُ بخِزانَةٍ ثلاثةَ أيّامٍ ، كُلَّ يَوْمٍ يَرْمِيَانِ لهُ رَغيفاً وشَرْبَةَ ماءٍ ، فَبَعْدَ الثّلاثةِ فَتَحَا فوَجَدَا الأَرْغِفةَ باقِيةً ، فأَمَرَاهُ بالخُروجِ فأَبَى ، وقالَ :" إنَّ الحبيبَ الذي حَبَسْتُمَاني مِنْ أجْلِهِ وَجَدْتُهُ عِندِي فآنَسَني ، ولِسانُ الحالِ يُبْدِي المَقالَ :

واحَدٌ لاَ شَيْءَ يُشْبِهُهُ ... أَبَداً قَلْبِي يُوَحِّدُهُ

لَوْ راهُ الجاحِدُونَ لَهُ ... لَرَأَوْا لاَ شَيْءَ يُشْبِهَهُ

فَهوَ فَرْدٌ والفُؤادُ لَهُ ... عَنْ جميعِ الخَلْقِ أُفْرِدُهُ

فلَمَّا أَلَحَّا عَلَيْهِ في الخُرُوجِ خَرَجَ وساحَ أيّاماً لاَ يأكُلُ ولاَ يَشْرَبُ ولاَ يَسْتَظِلُّ وطَفِقَ أَبَوَاهُ يَبْكِيَانِ عَلَيْهِ قائِلِينَ :" لَيْتَهُ يَرْجِعُ عَلَى أيِّ دِينٍ شاءَ فنُوَافِقَهُ " ..

قالَ القُشَيْرِيُّ :" ثُمَّ إنَّهُ أَسْلَمَ عَلَى يَدِ عَلِيِّ بنِ موسَى الرِّضا (١) ، ورَجَعَ إلى

(١) هو أبو الحَسَن عَلِيّ الرِّضَا بن موسى الكاظم بن جعفر الصّادق بن محمد الباقر ﷺ ، وُلِد في المدينة سَنَة ١٥٣ هـ ، أَخَذ عن أبيه موسى الكاظم ، وأَخَذ عنه معروف الكرخيّ .

عَهِد إليه الخليفة المأمون بولاية العهد من بَعْده ، لكنّه مات أو سُمّ قَبْل موْت المأمون .

قال فيه أبو نواس :

قيل لي : أنت أَحْسَن النّاس طُرّاً ... في فنون مِن الكلام النَّبِيهِ

لك مِن جَيِّد القريض مديحٌ ... يُثْمِر الدُّرّ في يَدَيْ مُجْتَنِيهِ

فعلامَ تَرَكْتَ مَدْحَ ابن موسى ... والخصال التي تَجَمَّعْنَ فيهِ

قُلْتُ : لا أستطيع مَدْح إمامٍ ... كان جبريلُ خادماً لأبيهِ

وكان سبب قوله هذه الأبيات أنّ بعض أصحابه قال له :" ما رأيْتُ أوقَح منْك ! ما تَرَكْتَ خمراً ولا طرداً ولا معنىً إلا قُلْتَ فيه شيئاً ، وهذا عَلِيّ بن موسى الرِّضَا في عصرك لم تَقُلْ فيه شيئاً ؟! " فقال :" واللهِ ما تَرَكْتُ ذلك إلا إعظاماً له ، وليس قَدْر مِثْلِي أنْ يقول في مِثْلِه " ، ثُمّ أنْشَد بَعْد ساعة هذه الأبيات .. انظر وفيات الأعيان ٣/٢٧٠

وفيه يقول أيضاً :

مُطَهَّرون نَقِيّاتٌ جيوبُهُمُ ... تجري الصّلاة عَلَيْهِمْ أيْنَمَا ذُكِرُوا

مَن لم يكنْ عَلَوِيّاً حين تَنْسِبُهُ ... فما له في قديم الدّهْر مُفْتَخَرُ

اللهُ لَمّا بَرَا خَلْقاً فأَتْقَنَهُ ... صفّاكمُ واصْطَفَاكُمْ أيّها البَشَرُ

فأنتمُ المَلأُ الأعلى وعندكمُ ... عِلْمُ الكتاب وما جاءت به السُّوَرُ

انظر وفيات الأعيان ٣/٢٧١ =

مَنْزِلِهِ فدَقَّ البابَ ، فقيلَ :" مَنْ بالبابِ ؟ " فقالَ :" مَعروفٌ " فقالَ أبَواهُ :" علَى أيِّ دِينٍ ؟ " قالَ :" علَى الدِّينِ الحَنِيفِيِّ " ، فاعْتَنَقَاهُ وأَقْبَلاَ عَلَيْهِ وأَسْلَمَا علَى يَدَيْه (١) .

- وروى الحاكم عن أبي حبيب قال : رأيْتُ المُصْطَفَى عليْه الصّلاة والسّلام في النّوْم في المَنْزِل الّذي يَنْزِله الحاجّ ببلدنا ، فوجدْتُ عنده طبقاً من خوص فيه تَمْر صيحانيّ ، فناولني ثماني عشرة تمرة وبَعْد عشرين يوماً قَدِم عَلِيّ الرِّضَا مِن المدينة ونَزَل ذلك المَنْزِل ، وفَزِع النّاس لِلسّلام عليْه ، ومَضَيْتُ نَحْوه فإذا هو جالس بالموضع الذي رأيْتُ المُصْطَفَى ﷺ جالساً فيه وبيْن يَدَيْه طبق فيهِ تَمْر صيحانيّ ، فناولني قبضةً فإذا عِدّتُها بِعَدَد ما ناولني المُصْطَفَى ﷺ ، فقُلْتُ :" زِدْني " فقال : لوْ زادك رسول اللّه ﷺ لَزِدْناك .. انْظُرْ نور الأبصار /٢٧٥

تُوُفِّي ﷺ بطوس سَنَة ٢٠٣ هـ .

(١) انظر : الرِّسالة القُشَيْرِيّة /١٥ وصفة الصّفْوَة ٣١٨/٢ والمنتظم ٨٨/١٠ ووفيّات الأعيان ٢٣١/٥ وسِيَر أعلام النُّبَلاء ٣٣٩/٩ وطبقات الأولياء /٢١٤ وشذرات الذّهَب ٣٦٠/١

الكَنْزُ الخامِسُ

يُستَفادُ مِنْ قَولِ الأستاذِ :" وأفْنَاتِي عَنْ فَنَايَ "

أنَّهُ صارَ وهوَ ابنُ ثلاثِ سنينَ مِنْ عِبادِ اللهِ الذينَ مَحَقَ اللهُ سُبْحانَهُ أفْعَالَهُمْ بأفْعَالِهِ وأوْصَافَهُمْ بأوْصَافِهِ ، وذاتَهُمْ بذاتِهِ ، وحَمَّلَهُمْ مِنْ أسرارِهِ ما يَعْجَزُ عامَّةُ الأولِياءِ عَنْ سَماعِهِ ، فارْتَقَوْا بَفَنائِهِمْ عَنْ رؤيَةِ فَنَائِهِمْ ، وهُمُ الذينَ غَرِقُوا في بَحْرِ الذَّاتِ وتيّارِ الصِّفات (١) ..

فَهُوَ إذَنْ فناءاتٌ ثلاثٌ : أنْ يُفْنِيَكَ اللهُ عَنْ أفْعالِكَ بأفْعالِهِ ، وعَنْ أوْصافِكَ بأوْصافِهِ ، وعَنْ ذاتِكَ بذاتِه (٢) .. وإلى هذا أشارَ قائلُهُمْ :

وقَوْمٌ تائهُونَ بأرْضِ قَفْرٍ ... وقَوْمٌ تاهُوا في مَيْدانِ حُبِّهِ

فأفْنَوْا ثُمَّ أُفْنَوْا ثُمَّ أُفْنَوْا ... وأُبْقَوْا بالبَقاءِ مِنْ قُرْبِ قُرْبِهِ (٣)

فالأوّلُ فَنَاؤُهُ عَنْ نَفْسِهِ وصِفَاتِهِ بِبَقَائِهِ بِصِفَاتِ الحَقِّ ، ثُمَّ الثّاني فَنَاؤُهُ عَنْ صِفاتِ الحَقِّ بِشُهودِ الحَقِّ ، ثُمَّ الثّالِثُ فَنَاؤُهُ عَنْ شُهودِ فَنَائِهِ باسْتِهْلاكِهِ في وجودِ الحَقِّ (٤) ، وهذا مَقامُ الخاصَّةِ ؛ إذِ العامَّةُ نَظَرُهُمْ إلى الخَلْقِ ، والخاصَّةُ نظرُهُمْ إلى الحَقِّ ، فلاَ تَجْبِيرَ لهُمْ ولاَ اختيارَ ، فهُمْ مَحْجُوبُونَ بالحقِّ عنِ الخَلْق ..

وأمّا خاصَّةُ الخاصَّةِ فيَشْهَدُونَهُمَا (٥) لاَ يَحْتَجِبُونَ بأحدِهِمَا عنِ الآخَرَ ؛ لِوصولِهِمْ إلى مَقامِ البَقاءِ ، ومَنْ وَصَلَ إلى هذا المَقامِ مَلَكَ أنْ يَختارَ ، فيَكونُ اخْتِيَارُهُ مِن اخْتِيَارِ اللهِ ؛ لِزوالِ هَوَاهُ ووُفورِ عِلْمِهِ وانْقِطاعِ مادَّةِ الجَهْلِ عنْ باطِنِهِ .. وبالجُمْلَةِ فصاحِبُ البَقاءِ يقومُ عَنِ الله .

(١) مِن كلام سَيِّدي أبي العبّاس المُرْسيّ ﷺ .. انظر لطائف المِنَن /٢٦

(٢) مِن كلام سَيِّدي أبي العبّاس المُرْسيّ ﷺ .. انظر لطائف المِنَن /٢٦

(٣) انظر : الرِّسالة القُشَيْرِيّة /٦٢ ولطائف المِنَن /٢٦ ..

أقول : وقدْ وَهِمَ ابن الصبّاغ حين نَسَبَ هذيْن البَيْتَيْن إلى سَيِّدي أبي العبّاس المُرْسيّ ﷺ (دُرّة الأسرار /١٦٥) ؛ إذ أنّ الإمام القُشَيْرِيّ قدْ ذَكَرهما دُون أنْ يَنْسِبهما إلى أحد ، فلا يَصِحّ نِسْبتهما إلى المُرْسيّ ﷺ ؛ إذ أنّ الإمام القُشَيْرِيّ تُوُفِّي سَنَة ٤٦٥ هـ أيْ قَبْل ولادة المُرْسيّ ﷺ بنَحْو ١٥١ سَنَة .

(٤) مِن كلام الإمام القُشَيْرِيّ ﷺ .. انظر الرِّسالة القُشَيْرِيّة /٦٢

(٥) أيْ يَشْهَدون الحقّ والخَلْق ، وهي مرحلة البقاء بَعْد الفَناء ، وصاحِب هذا المقام أكْمَل مِن الفاني الذي احتَجَب بالحقّ عن رؤية الخَلْق ؛ لأنّه مقام الأنبياء وكُمّل الأولياء المَنُوطين بإرشاد الخَلْق .

الكَنْزُ السّادسُ

قَوْلُ الأستاذِ :" وناجَيتُهُ لاَ بإصغايْ "

يَعْنِي : لَمْ أَسْمَعْ مُناجاتَهُ لِي وَقْتَ مُنَاجَاتِي لَهُ بإصْغَاءِ السَّمْعِ ، بلْ بالقَلْبِ والسِّرِّ ..

كَمَا قالَ بـ" الحقائقِ " :" إنَّنِي ذاتَ يَوْمٍ جالِسٌ في مكانِي فأَخَذَتْنِي سِنَةٌ مِنَ النَّوْمِ ، فنُودِيتُ في سِرِّي :(يَا إِبْرَاهِيمُ .. نِمْتَ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْنَا وَالْمُشَاهَدَةِ فِي هذِهِ السَّاعَةِ ! أَتَرْضَى بِأَنْ تَكُونَ مِنَ الْغَافِلِينَ) فقُمتُ مرعوباً " ، فعِنْدَ ذلكَ قالَ :

كُلِّي بِكُلِّكَ مَشْغولٌ عَنِ البَشَرِ ... فكَيْفَ أَنْساكَ يا سَمْعِي ويا بَصَرِي

ولَوْ أنَّ عَيْنِي إلَيْكَ الدَّهْرَ ناظِرةٌ ... دَنَتْ وفاتِي ولَمْ أَشْبَعْ مِنَ النَّظَرِ

والمُرادُ بالمُشَاهَدةِ والنَّظَرِ في كلامِهِمْ : أنْ يَحْصُلَ ذلكَ بالقَلْبِ والرُّوحِ ؛ إذِ الرَّاجِحُ أنَّهُ لاَ يُجَوِّزُ القَوْمُ رؤيةَ اللهِ بالبَصَرِ كَمَا قالَ القُشَيْرِيُّ في رِسالتِهِ أنَّهُ الأَقْوَى ؛ لِحُصولِ الإجْمَاعِ عَلَيْه (١) ..

لكِنْ قالَ عَقِبَ ذلكَ :" سَمِعْتُ الإمامَ أبا بَكْرِ بْنَ فورك ﷺ (٢) يَحْكِي عَنْ أبِي

(١) انظر الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٧٧

(٢) هو أبو بكْر محمد بن الحَسَن بن فُورك الأنصاريّ الأصبهانيّ ﷺ ، مِن كبار الصّوفيّة وفقهاء الشّافعيّة ومُتَكلّمي الأشْعَرِيّة ، أخذ عن أبي الحَسَن الأشْعَرِيّ ، وأخذ عنه القُشَيْرِيّ والبَيْهَقِيّ .

كان ﷺ لاينام في بيْت فيه مُصْحَف قَطّ ؛ إعظاماً لِكتاب الله عَزّ وجَلّ .

دَعَا أبو عَلِيّ الدّقّاق لِطائفة ، فقيل :" ألاَ دَعَوْتَ لابن فورك ؟ " قال : كيف أدْعو له وكُنْتُ البارحة أُقْسِم على الله بإيمانه أنْ يَسْقِيني .. سيَر أعلام النُبَلاء ٢١٦/١٧ وطبقات الشّافعيّة الكبرى ١٢٨/٤

قال ﷺ في قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ : قياماً بحقّ الذِّكْر ، وقعوداً عن الدَّعْوَى فيه .

قال التّاج السّبكيّ : كان الأستاذ أبو بكْر بن فورك ـ كما عَرَفْناك ـ شديداً في الله قائماً في نصرة الدِّين ، ومِن ذلك : أنّه فَوّق نحْو المُشَبِّهَة الكراميّة سهاماً لا قِبَل لهم بها ، فتَحَزّبُوا عليه ونَمّوا غيْر مرّة وهو يَنْتَصِر عليهم ، وآخِر الأمر أنّهم أنْهَوْا إلى السُّلْطان محمود بن سبكتكين أنّ " هذا الذي يؤلّب علينا عندك أعْظَم مِنّا بدعةً وكفراً ؛ وذلك أنّه يَعْتَقِد أنّ نَبِيّنا محمّداً ليس نَبِيّاً اليوم وأنّ رسالته انْقَطَعَتْ بموتِه ، فاسألْه عن ذلك " ، فعَظُم على السُّلْطان هذا الأمر وقال :" إنْ صَحّ هذا عنه لأَقْتُلَنّه " وأمَر بطلبه ، والذي لاح لنا مِن كلام المُحَرِّرين لِمَا يَنْقِلون الواعين لِمَا يَحفظون الذين يَتّقون الله فيما يَحكون =

الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ (١) أَنَّهُ قالَ في ذلكَ قَوْلَيْنِ في كِتابِ " الرُّؤيةِ الكبير " (٢) .

= أنّه لَمّا حضر بيْن يَدَيْه وسأله عن ذلك كَـذَّب النّـاقلَ وقـال مـا هو مُعْتَقَد الأشـاعرة علـى الإطـلاق أنّ نَبِيّنَا في قبْره رسول الله أبد الآباد على الحقيقة لا المَجاز ، وأنّـه كـان نبيّـاً وآدم بيْن المـاء والطّيـن ، ولم تَبْرَح نُبُوّته باقيةً ولا تزال ، وعند ذلك وضح لِلسُّلْطانِ الأمرُ وأمَر بـإعزازه وإكرامـه ورجوعـه إلى وطنه ، فلَمّا أيسَت الكراميّة وعلِمَت أنّ ما وَشَتْ به لم يَتِـمّ وأنّ حِيَلها ومكايدها قـدْ وَهَـتْ عَدَلَـتْ إلى السّعْي في مَوْته والرّاحة مِن تعبه فسَلّطوا عليه مَن سَمّه ، فمضى حميداً شهيدا ..

طبقات الشّافعيّة الكبرى ١٣١/٤

مِن مؤلّفاته : مُشْكِل الحديث وغريبه ، الحدود في الأصول ، دقائق الأسرار ، مُشْكِل الآثار .

تُوُفّي ﷺ بالقُرْب مِنْ نيسابور سَنَة ٤٠٦ هـ ودُفِن بالحيرة .

(١) هو الإمام أبو الحسن عَلِيّ بن إسماعيل بن إسحاق الأَشْـعَرِيّ ﷺ ، مِن ذُرِّيّـة سَيِّدنا أبـي موسـى الأَشْعَرِيّ ﷺ ، إليْه تُنْسَب الأَشْعَرِيّة ، وُلِد بالبصرة سَنَة ٢٦٠ هـ ، أَخَذ عن أبـي إسـحاق المـروزيّ والشّافعيّ وأبي يحيى السّاجيّ ، وأَخَذ عنه القاضي الباقلاّني وأبو بكْر بن فورك وأبو عبد الله الطّائيّ .

قال ابن العماد : ومِمّا بيّض به وجوه الحقّ الأبلج ولِصدور أهْل الإيمـان والعرفـان أنّـج مناظرتُـه مع شيْخه الجبائيّ (المعتزليّ) التي بها قصم ظَهْر كُلّ مبتدع مرائـي ، وهـي كمـا قـال ابـن خِلِّكَـان : سأل أبو الحسن المذكور أستاذه أبا عَلِيّ الجبائيّ عن ثلاثة إخوة : كان أحدهم مؤمناً برّاً تقيّاً ، والثّـاني كان كافراً فاسقاً شقيّاً ، والثّالث كان صغيراً ، فماتوا فكيف حالهم ؟ فقـال الجبـائيّ :" أمّـا الزّاهـد ففـي الدّرجات ، وأمّا الكافر ففي الدّركات ، وأمّا الصّغير فمِن أهْل السّلامة " ، فقـال الأَشْـعَرِيّ :" إنْ أراد الصّغير أنْ يَذْهَب إلى درجات الزّاهد هلْ يُؤْذَن له ؟ " فقال الجبائيّ :" لا ؛ لأنّه يقال له : أخـوك إنّمـا وصَل إلى هذه الدّرجات بسبب طاعته الكثيرة ، وليس لك تلك الطّاعات " فقـال الأَشْـعَرِيّ :" فـإنْ قـال ذلك الصّغير : التّقْصير ليس منّي ؛ فإنّك ما أَبْقَيْتَني ولا أَقْدَرْتَني على الطّاعة ؟ " فقال الجبائيّ :" يقول الباري جَلّ وعلا : كُنْتُ أعْلَم لو بَقِيتَ لَعَصَيْتَ وصِرْتَ مُسْتَحِقّاً لِلعذاب الأليم ، فرَاعَيْتُ مَصْلَحَتَك " ، فقال الأَشْعَرِيّ :" فلو قال الأخ الكافر : يـا إلـه العـالَمين .. كمـا عَلِمْتَ حالـه فقـدْ عَلِمْتَ حـالي ، فلِمَ راعيْتَ مصلحته دوني ؟! " فقال الجبائيّ لِلأَشْعَرِيّ :" إنّك مجنون " فقال :" لا ، بل وقف حمار الشّـيْخ في العقبة " فانْقَطَع الجبائي .. شذرات الذّهَب ٣٠٣/١

مِن مؤلّفاته : اللّمع في الرّدّ على أهْل الزّيْـغ والبِـدَع ، إمامـة الصّدِّيـق ، الـرّدّ علـى المُجَسِّمَة ، مقالات الإسْلاميّين ، الإبانة عن أصول الدّيانة ، الموجز ، إيضاح الأصول .

وذَكَر السّيوطيّ أنّ له تفسيراً في ستّمائة مُجَلّد في خزانة النّظاميّة ببغداد ..

انظر لِطائف المِنَن لِلشّعرانيّ /٢٦٨

تُوُفّي ﷺ بكَرْخ بغداد سَنَة ٣٢٤ هـ .

(٢) الرّسالة القُشَيْرِيّة /٢٧٧

ومِنْ شاهِدِ ما قُلْناهُ عَنِ المُشَاهَدةِ بالرُّوحِ : قَوْلُ أُسْتَاذِنَا بـ" الحقائقِ " في مَوْعِظَةٍ لهُ :" فاعْمَلْ لَعَلَّ أنْ تَكونَ مِنْ أهْلِ الصّلاحِ والفَلاَحِ والنّجاحِ والأرباحِ الذينَ عادَتْ أرواحُهُمْ رُوحانيَّةً لطيفةً نُورانيَّةً خفيفةً جوّالَةً ؛ تَجُولُ في المَلَكوتِ وتُشاهِدُ الحَيَّ القيّومَ الذي لاَ يَمُوتُ ، والحُبُّ لهَا في جميعِ الأشياءِ قوتٌ ، وهيَ تَنْظُرُ عَجائبَ غَرائبِ ما يَكونُ مِنَ الأمرِ المَكنون " (١) .

وقالَ عَبْدُ القادِرِ النَّقّادُ (٢) لِلشَّيْخِ المُرْسِيِّ :" أُطْلِعْتُ على مَقامِ الشَّيْخِ أبي الحَسَنِ الشّاذُليِّ " فقالَ لهُ الشَّيْخُ المُرْسِيُّ :" وأينَ مقامُ الشَّيْخِ ؟ " فقالَ :" عِنْدَ العَرْشِ " فقالَ :" ذاكَ مَقامُكَ تَنَزَّلَ الشَّيخُ فيهِ حتَّى رَأَيْتَه " ..

قالَ الشَّيْخُ المُرْسِيُّ :" ثُمَّ دخلْتُ أنا وهوَ على الشَّيخِ فقالَ لَنا :" رأيْتُ البارِحَةَ عَبدَ القادِرِ في مَقامٍ فقالَ لِي :" أعَرْشِيٌّ أنتَ أمْ كُرْسِيٌّ ؟ " فقُلْتُ لَهُ :" دَعْ عَنْكَ ذَا الطِّينةُ أَرْضِيَّةٌ ، والنَّفْسُ سَمَاوِيَّةٌ ، والقَلْبُ عَرْشِيٌّ ، والرُّوحُ كُرْسِيٌّ ، والسِّرُّ مَعَ اللهِ بِلاَ أَيْنَ ، والأمْرُ يتَنَزَّلُ فيما بَيْنَ ذلكَ ويَتْلُوهُ الشَّاهِدُ مِنْه " (٣) .

وعَنِ المُرْسِيِّ أنَّهُ قالَ :" ليَ الآنَ أَرْبَعُونَ سَنَةً مَا حُجِبْتُ عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْن " (٤) .

وكانَ يُنْشِدُ مِنْ قصيدةٍ لابنِ العطَّارِ (٥) :

رفَعَتْ مقاماتُ الوصولِ حِجابِي ... حتَّى احْتَجَبْتُ بِكُمْ عَنِ الحُجّابِ

ولَزِمْتُ مِحْرابِي لُزُومَ مُجَمِّعٍ ... فرأيْتُ وَجْهَ الحقِّ في المِحْرابِ

---

(١) انظر الجَوْهَرة المُضيَّة /٣١٩

(٢) هو الشَّيْخ عبد القادر النَّقّاد الشّاذليّ ، أخَذ عن الشَّيْخ ابن أبي شامة وأبي العباس المُرْسِيّ ، وأخَذ عنه صفيّ الدين بن أبي المنصور ..

قال عنْه أبو العبّاس المُرْسِيّ ﷺ : هذا عبْدٌ قادِر .. رسالة الصفيّ بن أبي المنصور /١١٢

تُوُفِّي ﷺ بالإسكندريّة في مُنْتَصَف القَرْن السّابع الهِجْرِيّ .

(٣) انظر : لطائف المِنَن /٥٣ وروض الرَّياحين /٤١٥

(٤) انظر : لطائف المِنَن /٦٦ وطبقات الشّعرانيّ /٣٨٠ وجامع كرامات الأولياء ١/٥٢٠

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بـ" ابن العطّار الأندلسيّ ﷺ ، وُلِد سَنَة ٣٣٠ هـ .

تُوُفِّي ﷺ سَنَة ٣٩٩ هـ .

وقَتَلْتُ مِنْ نَفْسِي غُلاماً قَتْلُهُ ... سَبَبُ النَّجاةِ وأَعْظَمُ الأسبابِ
وخَرَقْتُ لَوْحَ سَفِينَتِي لأَعِيبَها ... فنَجَوْتُ مِنْ مَلِكٍ لها غَصَّابِ
وكَشَفْتُ عَنْ قَلْبِي جِدارَ حِجابِهِ ... عَنْ كَنْزِهِ الباقي بغَيْرِ ذِهابِ
ورَقِيتُ في السَّبْعِ السَّماواتِ العُلَى ... حتَّى دَنَوْتُ فَكُنْتُ مِثْلَ القابِ (١)

وفي قصيدةٍ لابنِ عَروس (٢) :

مَنْ لَمْ يشاهِدْ بالبصيرةِ ذاتَهُ ... فلَقَدْ أحاطَ بهِ حِجَابُ عَمَاهُ

ومِنْ شاهِدِ ما قُلْنَاهُ مِنْ سماعِهِمْ بالسِّرِّ : ما حكاهُ القُشَيْرِيُّ عَنْ أبي الحارثِ الأولاسيِّ (٣) أنَّهُ قالَ :" مكَثْتُ ثلاثِينَ سَنَةً لاَ يَسْمَعُ لِساني إلاَّ مِنْ سِرِّي ، ثُمَّ

(١) انظر لطائف المِنَن /١٥٧

(٢) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد السلام بن أبي بكْر بن عروس التّيميّ الهرويّ الشّاذليّ ﷺ شَيْخ الطَّريقة العروسيّة : إحدى فروع الشّاذليّة ، أخَذ عن فتْح الله العجميّ الخراسانيّ وأبي عبد الله التّجيبيّ ، وأخَذ عنه أبو راوي الفحل وغيْره .

كانت الطيور الوحشيّة تَنْزِل وتأكل مِن يديْه ، وكان عنده جَمْع وافِر من الفقراء فكان يمدّ يَدَيْه ويُحْضِر لهم ما يكفيهم من القوت .

تُوُفِّي ﷺ سنَة ٨٦٨ هـ عن ١١٥ عاماً ، ودُفِن بتونس بالقُرْب من جامعة الزّيْتونة .

(٣) هو أبو الحارث فيْض بن الخضر بن أحمد التّميميّ الأولاسيّ ﷺ ، أخَذ عن إبراهيم بن سعْد العلويّ ، وأخَذ عنه أبو عبد الله الفرغانيّ وغيْره .

يَحكي ﷺ عن بدايته فيقول : كُنْتُ شابّاً صبيحاً وضيئاً ، فبَيْنَا أنا في غفلتي رَأَيْتُ عليلاً مطروحاً على قارعة الطريق ، فدَنَوْتُ منه فقُلْتُ :" هلْ تَشْتَهِي شيئاً ؟ " قال :" نَعَمْ .. رُمّان " ، فجِئْتُه برُمّان ، فلَمّا وضَعْتُه بيْن يَدَيْه رَفَع بَصَره إليّ وقال :" تاب الله عليك " ، فما أمْسَيْتُ حتّى تَغَيَّر قَلْبي عن كُلّ ما كُنْتُ فيه مِن اللّهْو ولَزِمني خوْف الموت ، فخَرَجْتُ عن جميع ما أمْلِك .

ويَحكي ﷺ فيقول : رَأَيْتُ إبليس له جمّة شَعْر ، فأَقْبَلْتُ أتَمَلّقه وأقول :" ويْحك ! ما أنا في هذا الخَلْق ؟! خَلّني وربّي " فقال :" هيهات هيهات .. كيف أُخَلّيك وفيك وفي أبيك هَلَكْتُ ؟! لا لَوْ تَهْلِكوا معي " ، فأَخَذْتُ برأسه فجَعَلْتُه على حَجَرٍ وأَخَذْتُ بحلْقه أخْنُقه ، ثُمّ قُلْتُ :" كيف أقْدِر على قتْله وقدْ أخّرَه الله عَزّ وجَلّ إلى يوْم القيامة ؟! ولكنْ أرْفُق به " ، فجَعَلْتُ أتَمَلّقه وهو يأبى ، فقُلْتُ له :" دُلّني على ما يَنْفَعني " فقال :" أدلّك على السُّكْر و الحملان والجوذابات والدّنانير والدّراهم لَنْ تُكْثِر منها " فقُلْتُ له :" يا ملعون .. أنا أسألك أنْ تدلّني على شيء يَنْفَعني في أمْر آخرتي تدلّني على الدُّنْيَا ؟! وما أصْنَع أنا بهذا ؟! وما حاجتي إليه ؟! " فقال :" من هَهُنَا صار رأسي وحلْقي في يدك تُقَلِّبه كيف شِئْتَ -

تَغَيَّرَتِ الحالُ فمكَثْتُ ثلاثِينَ سَنَةً لاَ يَسْمَعُ سِرِّي إلاَّ مِنْ رَبِّي " (١) .

والظّاهِرُ أنَّ أُستَاذَنَا تَرَقَّى بَعْدَ ذلكَ عَنْ مقامِ السَّمْعِ بالسِّرِّ إلى مقامِ السَّمْعِ بالإصغاءِ بحاسَّةِ السَّمْعِ وسائرِ الحواسّ (٢) ..

= وتَلْعَب به " ، قُلْتُ :" أفدتني عِلْماً ، لا جرم أنّي لأرجو أنْ لا أنال منها شيئاً إلا ما لا غِنَى بي عنه " فقال : إنْ تَرَكتُك فاصعد العقبة ، وسأستعين عليك بولد جنْسك الذين زَيَّنْتُ في أعيُنهم ما قَبُح في عينك فأجابوني إليه ، فبهم استعين عليك فيأتوك من مأمنك .

تُوُفِّي ﷺ بطرسوس سَنَة ٢٩٧ هـ .

(١) الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٨٦

(٢) قُلْتُ : إنّما يَلْزَم مِثْل هذا التَّرَقِّي لِلذي ما زال في مراحل السَّيْر والسّلوك ، أمّا أمثال سَيِّدي إبراهيم الدّسوقيّ ﷺ فإنّهم أكابر وكُمّل الأولياء ، وقدْ مُنِحوا كمالهم هذا من قَبْل وجودهم في الدُّنْيا ، لِذا فلا غرابة حين يخاطِب الإمام فخر الدّين البرهانيّ شَيْخَه سَيِّدي إبراهيم الدّسوقيّ قائلاً :

أَيُّهَا الْمَوْلُودُ شَيْخاً وَاصِلاً يَأْبَى رَقِيًا

ديوان شراب الوصل /٨٢

والأدلّة على مِثْل هذا من الكتاب والسُّنّة كثيرة نَتْرُك ذِكْرها خشية الإطالة ، ولكنّا نَكْتَفي منها بقوله ﷺ عن سَيِّدنا الحَسَن بن عَلِيّ رضي الله عنهما ﴿ إِنَّ ابْنِي هَـذَا سَيِّدٌ ، وَسَيُصْلِحُ اللَّـهُ بِـهِ بَيْـنَ فِئَتَيْـنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِين ﴾ (أخْرَجه البخاريّ ٩٦٢/٢ والنّسائيّ ٥٣١/١ وفي المُجْتَبَى ١٠٧/٣ وفي عمل اليَوْم واللَّيْلَة /٢٥١ وفي فضائل الصّحابة /٢٠ وأحمد ٤٤/٥ وفي فضائل الصّحابة ٧٦٨/٢ والحاكم ١٩١/٣ والبَيْهَقِيّ ١٦٥/٦ وفي الاعتقاد /٣٧٧ والحميديّ ٣٤٨/٢ والطّبرانيّ ٣٣/٣ وفي الأوسط ٢٤٥/٣ والأصبهانيّ في الدّلائل /١١٢عن سَيِّدنا أبي بكرة ﷺ ، والخطيب البغداديّ ٢١٥/٣ عن سَيِّدنا جابر ﷺ ، ونُعَيْم بن حَمّاد في الفِتَن ١٦٥/١ وابن أبي شيبة ٣٧٨/٦ عن الحَسَن) ؛ وقدْ كان سَيِّدنا الحَسَن ﷺ وقْتها لا يَتجاوز عُمْره بضع سنوات ، ولَمْ يَقُل النَّبِيّ الأَعْظَم ﷺ بأنّه ﷺ سَيَصير سَيِّداً في المُسْتَقْبَل ، وإنّما وصَفَه ﷺ بأنّه سَيِّد في الحال قَبْل المآل ، بدليل أنّه ﷺ لَمّا أراد أنْ يَتَكَلَّم عن المُسْتَقْبَل أخْبَر بأنّ الله سَيُصْلِح به بيْن فئتيْن عظيمتيْن من المُسْلِمين ، وقِسْ على هذا قوله ﷺ ﴿ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ﴾ (أخْرَجه التِّرْمذيّ ٦٥٦/٥ والنّسائيّ ٥٠/٥ وفي فضائل الصّحابة /٢٠ وابن حبّان ٤١٢/١٥ والحاكم ١٨٢/٣ وأحمد ٣/٣ وفي فضائل الصّحابة ٧٧١/٢ والخطيب البغداديّ ٢٠٧/٤ وابن أبي شيبة ٣٧٨/٦ ومحمد بن عبد الواحد المقدسيّ ٩٩/١ وأبو الحَسَن الهَيْثَميّ /٥٥١ وأبو يعلى ٣٩٥/٢ وأبو نُعَيم ٧١/٥ والدَّيْلَميّ ١٥٨/٢ والطّبرانيّ ٣٨/٣ وفي الأوسط ٣٤٧/٢ عن سَيِّدنا أبي سعيد الخدريّ ﷺ ، والتِّرْمذيّ ٦٦٠/٥ والنّسائيّ ٨٠/٥ وفي فضائل الصّحابة /٥٨ وابن حبّان ٤١٣/١٥ والحاكم ٤٢٩/٣ وأبو الحَسَن الهَيْثَميّ /٥٥١ وأحمد ٣٩١/٥ =

قالَ في " الحقائقِ " في بَعضِ مَناجاتِهِ :" اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ خَلَقْتَنِي مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلَكَ الْحَمْدُ ، وَإِنْ كُنْتَ خَلَقْتَنِي مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَضَخِّمِ اللَّهُمَّ بَدَنِي " قيلَ لي :(يَا إِبْرَاهِيمُ .. وَمَا مُرَادُكَ بِتَضْخِيمِ الْبَدَنِ) قُلْتُ :" يارِبِّ .. حتَّى لاَ يَدْخُلَ أحدٌ جهنَّمَ غَيْرِي ، فأكونَ فيها وَحْدِي فِداءَ جميعِ خَلْقِكَ " فقيلَ لي :(يَا إِبْرَاهِيمُ .. عَلَى مِثْلِي تَتَكَرَّمُ ! وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لَأُشَفِّعَنَّكَ فِي سَبْعِينَ أَلْفاً كُلٌّ مِنْهُمْ يَشْفَعُ فِي سَبْعِينَ أَلْفاً ، كُلٌّ مِنْهُمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ النَّار) (١) .

= والحارث بن أبي أسامة ٩٠٨/٢ وابن أبي شيبة ٣٧٨/٦ وأبو نُعَيم ١٩٠/٤ والخطيب البغداديّ ٣٧٢/٦ والطّبرانيّ ٣٧/٣ وفي الأوسط ٢٣٨/٦ وابن عديّ ٣٦٧/٥ عن سَيِّدنا حذيفة ﷺ ، والطّبريّ في التّاريخ ٣١٩/٣ عن سَيِّدنا الحُسَيْن ﷺ ، وابن ماجة ٤٤/١ والحاكم ١٨٢/٣ وابن عديّ عن سَيِّدنا عبد الله بن عُمَر رضي الله عنهما ، والحاكم ١٨٢/٣ وأبو نُعَيم ٥٨/٥ وابن عديّ ٣٢٢/٥ عن سَيِّدنا عبد الله بن مسعود ﷺ ، والنّسائيّ ١٤٦/٥ والطّبرانيّ ٣٦/٣ عن سَيِّدنا أبي هريرة ﷺ ، وابن أبي شيبة ٣٧٨/٦ والطّبرانيّ ٣٥/٣ والخطيب البغداديّ ١٤٠/١ وابن عديّ ٣٥٧/٢ عن سَيِّدنا عَلِيّ كَرَّم الله وجْهه ، وأبو نُعَيم ١٣٩/٤ والطّبرانيّ ٣٥/٣ وابن عديّ ٢٢٠/٢ عن سَيِّدنا عُمَر ﷺ ، والدَّيْلَميّ ٣٤٣/٤ وابن عديّ ٤١٣/٢ عن سَيِّدنا أنَس ﷺ ، والطّبرانيّ ٣٦/٣ عن سَيِّدنا جابر ﷺ ، والطّبرانيّ ٣٦/٣ عن سَيِّدنا الحارث ﷺ ، والطّبرانيّ ٢٩٢/١٩ وأبو القاسم الجرجانيّ /٣٩٤ عن سَيِّدنا مالك بن الحويرث ﷺ ، والطّبرانيّ ٣٩/٣ وفي الأوسط ٢٤٣/٥ عن سَيِّدنا أسامة بن زَيْد رضي الله عنهما ، والطّبرانيّ ٣٩/٣ عن سَيِّدنا معاوية بن قُرَّة ﷺ ، وابن عديّ ٤٣٤/٣ عن سَيِّدنا عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما ، وأبو الحسين بن قانع ١٤٣/١ عن سَيِّدنا جهم ﷺ) .

وعلى هذا .. فإنّ قول سَيِّدي إبراهيم ﷺ " وناجَيْتُه لا بإصغاي " إنّما يُؤْخَذ منه تَنْبيهه ﷺ على أنّ كلامه تعالى أزليّ قديم قائم بذاته لا يُشْبِه كلام الخَلْق ؛ فليس بصوتٍ يَحْدُث مِن انسلال هواء أو اصطكاك أجرام ، ولا بحَرْف يَنْقَطِع بإطباق شفة أو تحريك لسان (انظر في ذلك قواعد العقائد لِحُجّة الإسلام الغزاليّ) ، وبالتّالي فإنّ آلة السَّمْع في الإنسان لا تَصْلُح لِسماع كلامه تعالى ، وإنّما يوجِد الله تعالى في عبْده تلك المَلَكة والخاصّيّة إذا أراد أنْ يُسْمِعه كلامه ..

ولله دَرّ سبْط ابن الفارض إذ يقول :

إذا ما بدت ليلى فكُلِّي أعْيُنٌ ... وإنْ هي ناجَتْني فكُلِّي مَسامِعُ

انظر ديوان ابن الفارض /١٢١

(١) هذه الرِّواية ناقصة ، ولَعَلّ سبب نَقْصها سَهْو النُّسّاخ ، أمّا الرِّواية الكاملة فتقول :(يَا إِبْرَاهِيمُ .. عَلَى مِثْلِي تَتَكَرَّمُ ! وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لَأُشَفِّعَنَّكَ فِي سَبْعِينَ أَلْفاً كُلٌّ مِنْهُمْ يَشْفَعُ فِي سَبْعِينَ أَلْفاً ، كُلٌّ مِنْهُمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ النَّارُ ، كُلُّ هَذَا غَيْرُ مَنْ أَخَذَ طَرِيقَتَكَ ، وَغَيْرُ مَنْ دَخَلَ مَقَامَكَ وَزَارَكَ) .. =

- وفي هذا يقول أحد مريديه :

مُتَشَفِّعاً يَوْمَ الجِزَا في سائر الـ أتبـاع مـع زُوّارِه مِـن غيْر حَدّ
وكذاك في سَبْعين ألْفاً قدْ عَصَوْا كُـلٌّ لـه سَـبْعـون ألْفاً بالـعَـدّ

انظر تبرئة الذِّمّة /٣١٤

أقول : ولا حَرَج على فضل الله تعالى ، ومَن نَفَى ذلك أو قَيّده أو خَصّصه فليَأْتِنَا بأثارةٍ من عِلْم ، ولا يُستَكثَر على أحد أكابر أولياء أُمّة الحبيب ﷺ مِثْل هذا العطاء ؛ فإنّ الله تعالى قدْ أعْطَى الحبيب وأُمّته من الهبات والمِنَح ما يَخْرُج عن حَدّ الحَصْر وما لا تطيقه العقول ، ولو أنّا أرَدْنَا استِقْصَاء تلك المِنَح والهِبَات لأنْفَقْنَا أعمارنا دون الوصول إلى بُغْيَتنا ، ولكنّا نَكْتَفي بإحدى هذه المِنَح التي وَهَبها الله تعالى لِنَبيّه وصحابته ؛ حيث يقول المُصْطَفَى ﷺ ﴿ لَأَشْفَعَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَكْثَرَ مِمَّا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرٍ وَحَجَرٍ ﴾ (أخْرَجه القاضي عياض في الشِّفَا /١٣٧ والنّسائيّ (تفسير الثّعالبيّ ٣٧٤/١) والبزار (مجمع الزّوائد ١٧٠/٩) وأبو الحسين بن قانع ٦٧/١ عن سَيِّدنا أنَيس ﷺ ، وأحمد ٣٤٧/٥ عن سَيِّدنا بُرَيْدَة ﷺ) ، ويقول ﴿ إِنَّ مِنْ أُمَّتِي لَمَنْ يَشْفَعُ لِأَكْثَرَ مِنْ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ ﴾ (أخْرَجه أحمد ٢١٢/٤ عن سَيِّدنا أبي برزة ﷺ ، والطّبرانيّ ٢٧٥/٨ والدّيْلَميّ ٥١٣/٥ عن سَيِّدنا أبي أمامة ﷺ ، والبخاريّ في التّاريخ ٢٦١/٢ عن سَيِّدنا الحارث بن وقيش ﷺ ، والطّبريّ ١٦٧/٢٩ واللاّلكائيّ /١٠٧ والحاكم ٤٥٧/٣ عن الحَسَن) ويقول ﴿ لاَ تَمَسُّ النَّارُ مُسْلِماً رَآنِي أَوْ رَأَى مَنْ رَآنِي ﴾ (أخْرَجه التِّرْمذيّ ٩٦٤/٥ عن سَيِّدنا جابر ﷺ) ؛ ففي هذا الحديث دليل على أنّ كُلّ مَن رَأى النّبيّ ﷺ لن تَمَسّه النّار ، ولم يَقِف الأمر عند هذا الحدّ بلْ تَجاوَزه إلى كُلّ مَن رَأى مَن رَأى النّبيّ ﷺ ..

فإذا جاز أنْ لا تَمَسّ النّار مُسْلِماً لأنّه رَأى مَن رَأى النّبيّ جاز أنْ لا تَمَسّ النّار - أيضاً - مَن زار أو انْتَسَب أو أحَبّ واحداً من أهْل بيْت المُصْطَفَى ﷺ وأكابر أولياء أُمّته .

ومِن هذا القبيل مَا ذَكَره سَيِّدي أبو مَدْيَن ﷺ حين قال : أوْقَفني ربّي عَزّ وجَلّ بيْن يَدَيْه وقال لي : (يَا شُعَيْبُ .. مَاذَا عَنْ يَمِينِك) فقُلْتُ :" يا ربّ عطاؤك " ، قال :(وَمَاذَا عَنْ شِمَالِك) قُلْتُ :" يـا ربّ قضاؤك " ، قال :(يَا شُعَيْبُ .. قَدْ ضَاعَفْتُ لَكَ هَذَا ، وَغَفَرْتُ لَكَ هَذَا ، فَطُوبَى لِمَنْ رَآكَ أوْ رَأى مَـنْ رَآك) .. نَفْح الطّيب ١٣٩/٧

وأمّا طلبه ﷺ أنْ يكون فداءً لأُمّة المُصْطَفَى ﷺ من النّار : فلا يُستَغْرَب مِمّن وَرِث عن جدّه ﷺ الرّحْمَة والشّفقة على الخَلْق أجْمَعين فضلاً عمّنْ آمَن بالله ربّاً وبسَيِّدنا محمّد ﷺ نَبيّاً ورسولا ..

على أنّ هناك كثيراً من الأولياء قدْ تَمَنّوْا أو طلبوا أنْ يكونوا فداءً لأُمّة الحبيب ﷺ ؛ محبّةً فيه ﷺ ورحمةً وشفقةً بأُمّته ، **ومِن هؤلاء نَذْكُر :**

• **الإمام أحمد** ؛ حيث كان ﷺ يَدْعُو فيقول : اللّهُمّ إنْ قَبِلْتَ عن عصاة أُمّة ﷺ فداء فاجْعَلْني فداءً -

ودَخَلَ ابنَ عطاء (١) على المُرْسيِّ يَوماً فوَجَدَهُ مغموساً في واردٍ وَرَد عليْهِ ،

- لهم .. البداية والنهاية ٣٢٩/١٠

• سفيان بن عيينة ؛ حيث قال ﷺ : لوْ هَبَط عَلَيَّ مَلَك من السَّماء فأخْبَرني أنّ النّاس كُلّهُمْ يَدْخُلون الجَنّة وأنا وحْدي أدْخل النّار لَكُنْتُ بذلك راضيا .. حِلْيَة الأولياء ٢٩٤/٧

• الإمام الشّعْرانيّ ؛ حيث ذَكَر الشّعْرانيّ أنّه ﷺ قال : أتمنّى على الله أنْ تَكْبُر جُثّتي في النار حتى تملأ طِبَاق النّار كُلّها ولا يَدْخُل أحد من هذه الأُمّة النّار ؛ محبّةً في رسولها سيّدنا محمّد ﷺ .

(١) هو تاج الدّين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الجذاميّ السكندريّ المالكيّ ﷺ ، أحد أفذاذ تلامذة أبي العباس المُرْسيّ وياقوت العرشيّ ، أخَذ عنه داود بن عُمَر المالكيّ وغيْره .

من مؤلّفاته : التّنوير في إسقاط التّدْبير ، تاج العروس ، مفتاح الفلاح ، الحِكَم العطائيّة .

من أقواله ﷺ :

- من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرّجاء عند وجود الزّلَل .
- أرِحْ نَفْسَك من التّدْبير ؛ فما قام به غيْرُكَ عنْك لا تَقُمْ به أنت لِنَفْسك .
- إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النّفْس .
- ما أرادت همّة السّالك أنْ تقف عند ما كُشِف لها إلا ونادته هواتف الحقيقة (الّذي تَطْلُب أمامك) ، ولا تَبَرْجَتْ ظواهر المكوّنات إلا ونادته حقائقها (إنّما نحْن فِتْنة فلا تَكْفُر) .
- طلبُك منْه اتّهام له ، وطلبُك له غيبة منْك عنْه ، وطلبُك لِغيْره لِقلّة حيائك منْه ، وطلبُك من غيْره لِوجود بُعْدك منْه .
- ما من نَفَس تُبْدِيه إلا وله قَدَرٌ فيك يُمْضيه .
- تَشَوُّفك إلى ما بَطَن فيك من العيوب خيْر من تَشَوُّفك إلى ما حجب عنْك من الغيوب .
- أصْل كُلّ معصية وغفلة وشهوة الرِّضَا عن النّفْس ، ولأنْ تَصْحَب جاهلاً لا يَرْضَى عنْ نَفْسه خيْر من أنْ تَصْحَب عالِماً يرضى عنْ نَفْسه ، فأيّ عِلْم لِعالِم يَرْضَى عنْ نَفْسه ؟! وأيّ جَهْل لِجاهل لا يَرْضَى عنْ نَفْسه ؟!
- العَجَب كُلّ العَجَب مِمّن يَهْرُب مِمّا لا انفكاك له عنْه ويَطْلُب ما لا بقاء له معه ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ .
- لا تَصْحبْ مَن لا يُنْهِضك حالُه ولا يَدُلّك على الله مقالُه .
- لا يَعْظُم الذّنْب عندك عظمةً تَصُدّك عنْ حُسْن الظّنّ بالله ؛ فإنّ مَن عَرَف ربّه اسْتَصْغَر في جَنْب كرمِه ذَنْبَه .
- لا صغيرة إذا قابَلك عَدْلُه ، ولا كبيرة إذا واجَهك فضْلُه .
- مَن لم يُقْبِلْ على الله بملاطفات الإحسان قِيد إليه بسلاسل الامتحان .
- قَلّ ما تأتي الواردات الإلهيّة إلا بَغْتَةً ؛ صيانةً لها ؛ لئلاّ يَدّعيَها العُبّاد بوجود الاستعداد . -

= – إذا رَأَيْتَ عبداً أقامه الله بوجود الأوراد وأدامه عليها مع طول الإمداد فلا تَسْتَحْقِرَنَ ما مَنَحه مولاه لأنَّك لم تَرَ عليْه سيمَا العارفين ولا بهجة المُحِبِّين ؛ فلولا وارد ما كان وِرْد .

– خيْر ما تَطْلُبه منْه ما هو طالِبُه منْك .

– رُبَّما أعطاك فمَنَعك ، ورُبَّما مَنَعك فأعطاك .

– متى أعطاك أشْهَدك بِرّه ، ومتى مَنَعك أشْهَدك قَهْره ، فهو في كُلّ ذلك مُتَعَرِّف إليْك ومُقْبل بوجود لُطْفه عليْك .

– رُبَّما فتح لك باب الطّاعة وما فتح لك باب القبول ، ورُبَّما قضى عليْك بالذَّنْب فكان سبباً في الوصول .

– معصية أَوْرَثَتْ ذلاً وافتقاراً خيْر من طاعة أَوْرَثَتْ عِزّاً واستكبارا .

– الغافل إذا أصبَح نظر ماذا يَفْعَل ، والعاقل يَنْظُر ماذا يَفْعَل الله به .

– يكفي من الجزاء لك على العمل أنْ كان له قابلا .

– لا نهاية لِمذامّك إنْ أَرْجَعك إليْك ، ولا تفرغ مدائحك إنْ أَظْهَر جوده عليْك .

– كيف تُخْرَق لك العوائد وأنت لم تَخْرق من نَفْسك العوائد ؟!

– لو كُنْتَ لا تَصِل إليه إلا بَعْد فَنَاء مَساويك ومَحْو دعاويك لم تَصِل إليه أبداً ، ولكنْ إذا أراد أنْ يوصلك إليه سَتَر وصفَك بوصفه وغطّى نَعْتَك بنَعْته ، فوصَلك إليْه بما منْه إليْك لا بما منْك إليْه .

– أنت حُرّ مِمَّا أنت عنه آيِس ، وعبْد لِمَا أنت فيه طامع .

– من علامة اتِّباع الهوى المسارعةُ إلى نوافل الخَيْرَات والتَّكَاسُلُ عن القيام بالواجبات .

– مَن اطَّلع على أسرار العباد ولم يَتَخَلَّق بالرَّحْمة الإلهيّة كان اطِّلاعه فِتْنَةً عليْه وسبباً لِجَرّ الوبال إليه .

– كما لا يحبّ العمل المُشْتَرَك لا يُحِبّ القَلْب المُشْتَرَك ؛ العمل المُشْتَرَك لا يَقْبَلُه ، والقَلْب المُشْتَرَك لا يُقْبِل عليه .

– لا تَسْتَبْطِئ النَّوال ؛ ولكن استَبْطِئْ من نَفْسك وجود الإقبال .

– ما أَحْبَبْتَ شيْئاً إلا كُنْتَ له عبْداً ، وهو لا يحب أنْ تَكون لِغيْره عبْدا .

– لا تَنْفَعه طاعتك ، ولا تَضُرّه معصيتك ، وإنّما أَمَرك بهذا ونَهَاك عنْ هذا لِمَا يَعُود إليك ، لا يزيد في عِزّه إقبال مَن أَقْبَل عليْه ، ولا يُنْقِص من قَدْره إدبار مَن أَدْبَر عنْه .

– متى وردَت الواردات الإلهيّة إليْك هَدَمَت العوائد عليْك ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾ .

– تَطَلُّعك إلى بقاء غيْره دليل على عدم وجدانك له ، واستيحاشك بفقدان ما سِوَاه دليل على عدم وصلتك به .

– إذا فُتِح لك وَجْه من التَّعَرُّف فلا تُبَالِ معها إنْ قَلّ عَمَلك ؛ فإنّه ما فَتَحها لك إلا وهو يريد أنْ يَتَعَرَّف إليك ؛ ألمْ تَعْلَم أنّ التَّعَرُّف هو مُورِده عليك ، والأعمال أنت مُهْدِيها إليْه ، وأين ما تُهْدِيه إليه مِمّا هو مُورِده عليك ؟! =

فقالَ :" سَمِعْتُ البارِحةَ يُقَالُ لي :(السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ يَا عِبَادِي) ، ثُمَّ قالَ :" وهَذَا قَدْ أَسْمَعُهُ في السَّنَةِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْن " (١) .

وهَذَا مِنَ الحديثِ الذي قالَ فيهِ أَبُو العبَّاسِ بْنُ العريفِ (٢) :

بَدَا لَكَ سِرٌّ طَالَ عَنْكَ اكْتِتَامُهُ ولاحَ صباحٌ كُنْتَ أنتَ ظلامَهُ

= – مِن تمام النِّعَم عليكَ أنْ يَرزُقَك ما يَكفيك ويَمنَعك ما يُطْغيك .

– العِلْم النَّافع هو الذي يَنْبَسِط في الصَّدْر شعاعُه ويَنْكَشِف به عن القَلْب قِنَاعُه .

– ليس المُتَواضِع الذي إذا تَوَاضَع رَأى أنَّه فوق ما صَنَع ، ولكنّ المُتَوَاضِع الذي إذا تَوَاضَع رَأى أنَّه دُون ما صَنَع .

– أنت مع الأكوان ما لم تَشْهَد المُكَوِّن ، فإذا شَهِدتَه كانت الأكوان معك .

– إنْ كانت عَيْن القَلْب تَنْظُر أنّ الله واحد في مِنَّته فالشَّرِيعة تَقْتَضِي أنْ لا بُدّ مِن شُكْر خليقته .

– إذا أَحَبّ الله عبداً ابْتَلاه ، فإنْ صَبَر اجْتَبَاه ، فإنْ رَضِي اصْطَفَاه .

– مَن تَوَجَّهَتْ هِمَّته إلى رعاية عبوديَّته شَغَلَه ذلك عن التَّدْبير .

– التَّدْبير المَصْحوب بالتَّفْويض لِلعليم الخبير نِصْف المعيشة .

– إلهي .. ماذا وَجَد مَن فَقَدك ؟! وما الذي فَقَد مَن وَجَدك ؟

– إلهي .. إنّ رجائي لا يَنْقَطِع عنْك وإنْ عَصَيْتُك ، وإنّ خوفي لا يُزَايِلني وإنْ أَطَعْتُك .

تُوُفِّي ﷺ بالقاهرة سَنَة ٧٠٩ هـ .

(١) انظر لطائف المِنَن /٧٢

(٢) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصَّنْهَاجيّ الأَنْدَلُسِيّ ﷺ ، وُلِد سَنَة ٤٨١ هـ ، أَخَذ عن أبي بكر عبد الباقي بن محمد بن بريال وأبي عَلِيّ بن سكرة الصَّدفيّ وأبي الحَسَن البرجيّ ، وأَخَذ عنه أبو العباس الأندرشي وأبو بكر الرزق الحافظ وأبو محمد بن ذي النون .

مِن مؤلَّفاته : مَحاسن المَجالس .

مِن نظْمه ﷺ :

يا عاذلي في طِلاَبي ... دَعْنِي مِن العذل دَعْنِي

سأَعْمِلُ العيس شوقاً ... بالعزم دُون التَّأَنِّي

إلى ضريح رسولٍ ... مصدّق حُسْن ظنِّي

أَشْدُو على كُلّ فجٍّ ... حيّن الحَمَام يُغَنِّي

يا أَطْهَر الخَلْق إنِّي ... بِذِلَّتي عبْد قَنّ

فأنت أنت مَلاذي ... إيّاك إيّاك أعْنِي

إنْ غِبْتَ عن عيْن جِسْمي ... ما غِبْتَ عن عيْن ذِهْنِي =

فأنْتَ حِجَابُ القَلْبِ عَنْ سِرِّ غَيْبِهِ ... ولَولاكَ لَمْ يُطْبَعْ عَلَيْهِ خِتامُهُ
فإنْ غِبْتَ عَنْهُ حَلَّ فيهِ وطنّبَتْ ... على مَوْكِبِ الكَشْفِ المَصُونِ خِيامُهُ
وجاءَ حديثٌ لاَ يُمَلُّ سَمَاعُهُ ... شَهِيٌّ إلَيْنَا نَشْرُهُ ونِظَامُهُ (١)

لولاك كُنّا أناساً ... أشَرٌّ مِن كُلّ جِنّ
فإذا بُعِثْتَ رسولاً ... فخَيْرُ فضْلٍ ومَنّ
للّه خالِص شُكْري ... عساه يَصْفَح عَنّي
فإنّني عبد سوءٍ ... قَلّبْتُ ظَهْر المِجَنّ

وقال :

شَدُّوا الرِّحال وقدْ نالوا المُنَى بمِنَى ... وكُلّهم بأليم الشوق قد باحَا
راحت ركائبهم تندى روائحها ... طِيباً بما طاب ذاك الوفد أشباحَا
نسيم قبْر النّبِيّ المصطفى ... لهم راح إذا شَرِبوا مِن ذِكْرِهِ فاحَا
يا راحلين إلى المختار مِن مُضَرٍ ... زُرْتُمْ جسوماً وزُرْنَا نحن أرواحَا
إنّا أقَمْنَا على شوقٍ وعنْ قَدَرٍ ... ومَن أقام على عذْرٍ كمَن راحَا

وقال :

فاح النّدَى بمَنْطِقي فتَنَازَعوا ... أبِإسحلٍ أسْتَاكُ أم بأراكِ
هَيْهَات عَهْدي بالسِّواك وإنّما ... شفة الحبيب جَعَلْتُها مِسْوَاكي
ويظنّ مَن سَمِع الحديث بأنّهُ ... حقٌّ بَلَى ومُدَبِّرِ الأفلاكِ
رؤيا رأيْتُ وإنّ مَن أبْصَرْتُهُ ... لَمُنَزّهٌ عن مهنة الإدراكِ

وقال :

لَسْتُ أدري أطال لَيْلِي أم لا ... كيف يدري بذاك مَن يَتَقَلّى
لو تَفَرّغْتُ لاستطالة لَيْلِي ... ولِرَعْي النُّجُوم كُنْتُ مُخِلاً
إنّ لِلعاشقين عن قِصَر اللّيـ ... ـل وعن طُولِه مِن الفِكْر شُغْلاَ

وقال :

سلوا عن الشّوق مَن أهوى فإنّهُمُ ... أدْنَى إلى النّفْس مِن وهْمي ومِن نَفْسي
فمَن رسولي إلى قَلْبي لِيَسْألهمْ ... عن مُشْكِلٍ مِن سؤال الصّبّ مُلْتَبِسِ
حَلّوا فؤادي فما يَنْدَى ولو وَطِئوا ... صخراً لَجاد بماء منه مُنْبَجِسِ
وفي الحشا نزلوا والوهم يجرحهمْ ... فكيف قرّوا على أزكَى مِن القَبَسِ
لأنْهَضَنّ إلى حشْري بحُبّهمُ ... لا بارك الله فيمَن خانهم ونَسِي

(١) انظر لطائف المِنَن /٧٣

ويُؤيِّدُهُ : أنَّ الفقيهَ مكينَ الدِّينِ الأسْمَرَ (١) سَمِعَ مُخَاطَبَةَ الحقّ .

وإنَّما قُلْنَا " وسائرِ الحَوَاسِّ " لأنَّ سَمَاعَ كلامِ اللهِ يَحْصُلُ بجميعِ الحواسِّ مِنْ جَمِيعِ الجِهَاتِ كَمَا سَمِعَهُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاةُ السَّلاَم (٢) .

وقَوْلُ أُسْتَاذِنَا في مُنَاجَاتِهِ :" فأكونَ في النَّارِ فِداءَ جميعِ خَلْقِكَ " ـ يَعْنِي المُوَحِّدِينَ ـ فيهِ مَنْقَبَةٌ عَظيمةٌ لِلأستاذِ بأنَّهُ صارَ إلى اللهِ مِنْ أَحَبِّ العِبادِ ، وهَذَا بابٌ واسِعٌ جِدّاً لَسْنَا بِصَدَدِه ..

ويَكْفِي فيهِ ما رَوَاهُ الطَّبَرانيُّ (٣) في مُعْجَمِهِ عَنْ أَنَسٍ (٤) أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال

(١) هو مكين الدِّين أبو محمد عبد الله بن منصور بن علي السّكندريّ اللّخميّ ﷺ ، شَيْخ قُرَّاء الإسكندريّة ، وُلِد بالإسكندريّة سَنَة ٦١٠ هـ ، أخَذ عن الشَّيْخ أبي الحَسَن الشّاذليّ وأبي القاسم ابن الصّقراويّ ، وأخَذ عنه تاج الدِّين الفاكهانيّ وشَمْس الدِّين بن السَّرّاج .

وهو أحد الذين شَهِد لهم الإمام الشّاذليّ بالولاية الكُبْرَى والمكاشَفَة العُظْمَى ، وقال عنه : ما سَلَكْتُ غيباً مِن غيوب الله تعالى إلا وَجَدْتُه معي .

تُوُفِّي ﷺ بالإسكندريّة سَنَة ٦٩٢ هـ .

(٢) هو سَيِّدنا موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، مِن أولي العَزْم مِن الرُّسُل .

(٣) هو الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيّوب بن مُطَير اللّخميّ الطّبرانيّ ﷺ ، وُلِد بطبريّة سَنَة ٢٦٠ هـ ، أخَذ عن أبي زرعة البصريّ وإبراهيم بن مؤيّد الشّيبانيّ وإدريس بن جعفر الطّيّار ، وأخَذ عنه أبو العباس بن عقدة وأبو نُعَيم وأبو الفضل بن أبي عمران الهرويّ .

مِن مؤلّفاته : المُعْجَم الكبير ، الأوائل ، عِشْرة النِّسَاء ، السُّنَّة ، مُسْتَد الشّاميّين ، دلائل النُّبُوَّة .

تُوُفِّي ﷺ بأصبهان سَنَة ٣٦٠ هـ .

(٤) هوَ أبو حَمْزَة سَيِّدنا أَنَس بن مالك بن النَّضْر بن ضمضم الأنصاريّ ﷺ ، خادم رسول الله ﷺ .

يقول ﷺ :" مَا مِنْ لَيْلَةٍ إلاَّ وَأَنَا أَرَى فِيهَا حَبِيبِي " ويبكي .. الطّبقات الكُبْرَى ٧/٢٠

مِن أقواله ﷺ :

- قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابَة .
- مَنْ أَسْرَجَ فِي الْمَسْجِدِ سِرَاجاً لَمْ تَزَلِ الْمَلاَئِكَةُ وَحَمَلَةُ الْعَرْشِ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ مَا دَامَ فِي ذَلِكَ الْمَسْجِدِ ضَوْءُه .
- رُبَّ تَالٍ لِلْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ يَلْعَنُه .
- الأَدَبُ فِي الْعَمَلِ عَلاَمَةُ قَبُولِ الْعَمَل .

تُوُفِّي ﷺ بالبصرة سَنَة ٩٢ هـ عن ١٠٧ سَنَة ..

﴿ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللَّهِ ، وَأَحَبُّ خَلْقِهِ إِلَيْهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِه ﴾ (١) ، ومَعْنَى ﴿ عِيَالُ اللَّه ﴾ : فُقَراءُ اللهِ ؛ إذْ هوَ الذي يَعُولُهُمْ (٢) .

وفي مُسْنَدِ الشِّهابِ (٣) عَنِ ابْنِ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قال ﴿ خَيْرُ النَّاس أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاس ﴾ (٤) .

وما رَواهُ ابنُ حِبَّانَ (٥) في غَيْرِ صحيحِهِ عَنْهُ ﷺ ﴿ إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاس ، آلَى عَلَى نَفْسِهِ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمْ بِالنَّار ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وُضِعَتْ لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُور ؛ يُحَدِّثُونَ اللَّهَ تَعَالَى وَالنَّاسُ فِي الْحِسَاب ﴾ .

وستأتي أحاديثُ في هذا المَعْنَى .

= عن ثابت البنانيّ قال : قال لي أنَس بن مالك :" هَذِهِ شَعْرَةٌ مِنْ شَعْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَعْهَا تَحْتَ لِسَانِي " قال : فوَضَعْتُها تَحْت لسانه ، فدُفِن وهي تحْت لسانه .. الإصابة ١٢٧/١

(١) المُعْجَم الكبير ٨٦/١٠

قُلْتُ : رواية الطّبرانيّ عن سَيِّدنا عبد الله بن مسعود ﷺ ، أمّا رواية سَيِّدنا أنَس ﷺ فقدْ رواها البَيْهَقِيّ في الشّعب ٤٣/٦ والحارث بن أبي أسامة ٨٥٧/٢ وأبو يعلى ٦٥/٦ والقضاعيّ في مُسْنَد الشّهاب ٢٥٥/٢ وابن أبي الدُّنْيَا في قضاء الحوائج /٨٧

وقال السّيوطيّ في " الجامع الصغير " (٤١٣٥) : وأخْرَجه البزار عن سَيِّدنا أنس ﷺ ، والطّبرانيّ وابن عديّ والدَّيْلَمِيّ عن سَيِّدنا عبد الله بن مسعود ﷺ .

(٢) ذَكَر ذلك أبو عبد الله محمد السَّلَميّ .. انظر كشف الخفاء لِلعجلوني ٤٥٨/١

(٣) وهو لِلقاضي أبي عبد الله القُضَاعيّ ، وسوف تأتي تَرْجمته فيما سيأتي من حواشي الكتاب .

(٤) مُسْنَد الشّهاب ١٠٨/١ ، ٢٢٣/٢

قُلْتُ : رواية القُضَاعيّ في مسنَد الشّهاب عن سَيِّدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، لا عن سَيِّدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ..

وقد أخْرَج هذا الحديث ـ أيضاً ـ الطّبرانيّ في الأوسط ٥٨/٦ والدَّيْلَمِيّ ١٧٧/٤ عن سَيِّدنا جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما .

(٥) هو الحافظ القاضي أبو حاتم محمد بن حبّان بن أحمد بن حبّان التّميميّ البُسْتيّ ﷺ ، أخَذ عن أحمد بن الحَسَن بن عبد الجبّار الصُّوفِيّ والنّسائيّ وأبي يعلى الموصليّ ، وأخَذ عنه الحاكم وأبو القاسم ابن شَنبك وأبو عبد الله بن منده .

من مؤلّفاته : المُسْنَد الصّحيح ، الضّعفاء ، التّاريخ .

تُوُفِّي ﷺ ببُسْت سنَة ٣٥٤ هـ .

قالَ السَّريُّ :" مُنْذُ ثلاثِينَ سَنَةً وأنَا فـي الاسْتِغْفَارِ مِنْ قَوْلِي :" الحَمْدُ للهِ " مَرَّةً " قيلَ لهُ :" وكَيْفَ ذلكَ ؟! " قالَ :" وَقَعَ بِبغدادَ حريقٌ ، فاسْتَقْبَلَنِي واحدٌ فقالَ لِي :" نَجَا حانوتُكَ " ، فقُلْتُ :" الحَمْدُ للهِ " ، فمُنْذُ ثلاثِينَ سَنَةً وأنَا نـادِمٌ علـى مَا قُلْتُ ؛ حيثُ أَرَدْتُ لِنَفْسي خَيْراً دونَ المُسْلِمِين " (١) .

وأمَّا تَشْقِيعُ أسْتَاذِنَا في هذا الجَمْعِ الغَفِيرِ : فهُوَ عَلَى أمْثَالِهِ لَيْسَ بكثيرٍ ؛ فَقَدْ قالَ أبُو يزيدٍ لِبَعْضِ أصْحَابِهِ :" قُومُوا نَسْتَقْبِلْ وليّاً مِنْ أولياءِ اللهِ " ، فقامُوا مَعَـهُ فلَمَّا بَلَغَ الدَّرْبَ فإذَا إبراهيمُ بْنُ بستنبةَ الهرويُّ (٢) ، فقالَ لهُ أبُو يزيدٍ :" وَقَعَ فـي خاطِرِي أنْ أسْتَقْبِلَكَ وأشْفَعَ لَكَ إلى رَبِّي " ، فقالَ إبراهيمُ بنُ بستنبةَ :" لَوْ شَـفَّعَكَ في جميعِ الخَلْقِ لَمْ يكُنْ بكثـيرٍ ؛ إنَّمَـا هُمْ قِطْعَـةُ طِينٍ " ، فتَحَيَّرَ أبُـو يزيـدٍ مِـنْ جوابِه (٣) ..

قالَ الإمامُ القُشَيْرِيُّ :" كرامةُ إبراهيمَ في استِصْغَارِ ذلكَ أتَمُّ مِـنْ كَرامـةِ أبِـي يزيدٍ فيما حَصَلَ لهُ مِنَ الفِراسةِ وصَدَقَ لهُ مِنَ الحالِ في بابِ الشَّفَاعة " (٤) .

(١) انظر : تـاريخ بغداد ١٨٨/٩ والرِّسـالة القُشَيْرِيَّة /١٧ وصفـة الصَّفْـوَة ٣٨١/٢ وسِيَر أعـلام النُّبَلاء ١٨٥/١٢ ووفيات الأعيان ٣٥٧/٢ والبداية والنِّهاية ١٣/١١ وبغية الطَّلَب ٤٢١٧/٩

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن عَلِيّ الخراسانيّ الْهَرَوِيّ ﷺ ، أصلـه مِن " هراة " ، يُعْرَف بـ" ابن بستنبة " ، أخَذ عن إبراهيم بن أدهم ، وأخَذ عنه أبو يزيد البسطاميّ وغيْره .

قال إبراهيم الخوّاص ﷺ : نَزَلْتُ إلى مشرعة السّاج مِن بغداد وكـان المـاء مدّاً والرِّيـح تَلْعَـب بالمَوْج ، فرَأيْتُ رَجُلاً بيْن المَوْج يَمْشِي على الماء ، فسَجَدْتُ وجَعَلْتُ بيْتي وبيْن الله تعالى أنْ لا أرْفَع رأسي حتّى أعْلَم مَن الرَّجُل ، فلم أطِل في السُّجُود حتّى حَرَّكني وقال لي : قُمْ ولا تُعاوِد ؛ فأنا إبراهيم بن عَلِيّ الخراسانيّ .. تاريخ بغداد ٧/٦ وصـفة الصَّفْوَة ١٣٣/٤

مِن أقواله ﷺ : مَن أراد ألاّ يُحْجَب دعاؤه مِن السَّمَاء فلْيتعاهد مِن نَفْسه خمسـة أشياء : أنْ يكـون أكْله غلبةً ؛ لا يأكل إلا ما لا بُدّ منه ، ولباسه غلبةً ؛ لا يلبس إلا ما لا بُدّ منه ، ونوْمه غلبـةً ؛ لا ينـام إلا ما لا بُدّ منه ، وكلامه غلبةً ؛ لا يَتَكَلَّم إلا مـا لا بُدّ منـه ، والخـامس : أنْ يكـون مُتَضَرِّعـاً حافظـاً لإرادته دائماً حافظاً لأعضائه كُلّها .

تُوُفِّي ﷺ بقزوين سَنَة ٢٤٤ هـ .

(٣) انظر : الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٩٩ والتَّدْوين في أخبار قزوين ١٣٣/٢ وطبقـات الشّـعرانيّ /١٣٣ وجامع كرامات الأولياء ١٣٤/٢

(٤) الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٣٠٠

وإنْ أَرَدْتَ الوُقُوفَ عَلَى مَأْخَذِ شفاعةِ المُسْلِمِينَ مِنَ السُّنَّةِ وما اخْتُصَّ بهِ نبيُّنا ﷺ مِنَ الشَّفَاعَاتِ وأَصْلِ مَأْخَذِهَا اشْتِقَاقاً وأَنَّها عَلَى التَّحْقِيقِ إِظْهَارٌ لِمَنْزِلَةِ الشَّفِيعِ عِنْدَ المُشَفَّعِ وإِيصالِ مَنْفَعَةٍ إِلَى المَشْفُوعِ لهُ ومَعْرِفَةِ أَوَّلَ شافِعٍ وأَوَّلاهُ فَعَلَيْكَ بالشَّرْحِ الذي مَنَّ اللهُ بهِ لِقَوْلِهِ في " بَدْءِ الأمالي " (١) :

ونَرْجُو شَفَاعَةَ أَهْلِ خَيْرٍ لأَصْحَابِ الكَبائرِ كالجِبالِ

---

(١) وهي مَنْظُومة في أصول الدِّين عِدَّتها سِتَّة وستّون بيتاً ، نَظَمها سراج الدِّين أبو الحَسَن عَلِيّ ابن عثمان الأُوشيّ الحَنَفيّ .

الكَنْزُ السّابِعُ

قَوْلُ الأُسْتَاذِ :" وسَقَانِي بِكأسِ الوَفَا "

ومِنْ جُمْلَةِ قصيدَةٍ لهُ :

شَرِبْتُ دِنَانَ الصِّرْفِ في حَضْرَةِ الرِّضَا وكانَ دليلِي لِلْهُدَى سَيِّدُ العُرْبِ

لاَ شَكَّ أنَّ صفاءَ مُعامَلاتِهِمْ تُوجِبُ لَهُمْ ذَوْقَ المَعَانِي ، والذَّوْقُ عِنْدَ ساداتِنَا الصُّوفِيَّةِ أوّلُ دَرَجاتِ شهودِ الحَقِّ بالحَقِّ في إثباتِ البَوَارِقِ المُتَوَالِيَةِ عِنْدَ أدْنَى لُبْثٍ مِنَ التَّجَلِّي البَرْقِيِّ (١) ، فإذَا زادَ وبَلَغَ أوْسَطَ مَقامِ الشُّهودِ سُمِّي " شُرْباً " ، فإذا بلغَ النِّهايةَ سُمِّي " رِيّاً " ، وذلكَ بِحَسَبِ صفاءِ السِّرِّ عَنْ مُلاحَظَةِ غَيْرِه (٢) ..

فالمُرادُ بالشُّرْبِ في كلامِهِمْ : النُّورُ السَّاطِعُ عَنْ جَمالِ المَحْبُوب (٢) .

والمُرادُ بالكأسِ : اللُّطْفُ المُوصِلُ ذلكَ إلَى أفواهِ القلوب (٢) .

وبالسَّاقي : المُتَوَلِّي لِلْمَخْصُوص الأكْبَرِ والصَّالِحِينَ مِنْ عِبادِهِ ، وهُوَ اللهُ العالِمُ بالمَقادِيرِ ومَصالِحِ أحبابِه (٢) .

فَمَنْ كُشِفَ لهُ عَنْ ذلكَ الجَمَالِ وحَظِيَ بنَفَسٍ أوْ نَفَسَيْنِ ثُمَّ أُرْخِيَ عَلَيْهِ الحِجَابَ فهُوَ الذَّائِقُ المُشْتاق ، ومَنْ دامَ لهُ ذلكَ ساعَةً أو ساعَتَيْنِ فهُوَ الشَّارِبُ حَقّاً ، ومَنْ تَوَالَى عليْهِ الأمرُ ودامَ عَلَيْهِ الشُّرْبُ حتَّى امتَلأَتْ عُرُوقُهُ ومَفاصِلُهُ مِنْ أنْوارِ اللهِ المَخْزُونَةِ فذاكَ هوَ الرِّيُّ ، ورُبَّما غابَ عَنِ المَحْسُوسِ والمَعْقُولِ فلاَ يَدْرِي مَا يُقالُ ولاَ مَا يَقُولُ فذاكَ هوَ السُّكْرُ ، وقَدْ تَدُورُ عَلَيْهِمُ الكاساتُ وتَخْتَلِفُ لدَيْهِمُ الحالاتُ ويُرَدُّونَ إلَى الذِّكْرِ والطّاعاتِ ولاَ يُحْجَبُونَ عَنِ الصِّفَاتِ معَ تَزَاحُمِ المَقْدُوراتِ ؛ فذاكَ وَقْتُ صَحْوِهِمْ واتِّساعِ نَظَرِهِمْ ومَزِيدِ عِلْمِهِمْ (٢) .

والقَوْمُ تَخْتَلِفُ مَرَاتِبُهُمْ في الشُّربِ ؛ فيُسْقَى كُلٌّ بالتَّدْرِيبِ بَعْدَ التَّذْوِيبِ والتَّهْذِيبِ عَلَى قَدْرِهِ ، فمِنْهُمْ مَنْ يُسْقَى بِغَيْرِ واسِطَةٍ ، والحَقُّ سُبْحَانَهُ يَتَوَلَّى ذلكَ

(١) **البارِقَة** : لائح يَرِد من الجَنَاب الأقدس ويَنْطَفِي سريعاً ، وهي من أوائل الكَشْف ومَباديه ..

والبَرْق : أول ما يَبْدُو لِلعَبْد من اللاّئح النُّوريّ فيَدْعُوه إلى الدّخول في حَضْرَة القُرْب من الرَّبّ لِلسَّيْر في الله .. انظر اصطلاحات الصُّوفِيّة لِلكاشانيّ /٥٧ ، ٥٨

(٢) من كلام سَيِّدي أبي الحَسَن الشّاذليّ ﷺ .. انظر : لطائف المِنَن /٣٩ وذُرّة الأسرار /١٥٤ والمَفاخر العَلِيّة /٨٩

مِنْهُ لَهُمْ ، ومِنْهُمْ مَنْ يُسقَى مِنْ جِهَةِ الوَسائطِ : كالمَلائكةِ والعُلَماءِ والأكابرِ مِنَ المُقَرَّبِينَ ، فمِنْهُمْ مَنْ يَسكَرُ بشهودِ الكأسِ ولَمْ يَذُقْ بَعْدُ شيئاً ، فما ظَنُّكَ بَعْدُ بالذَّوقِ ؟! وبَعْدُ بالشُّرْبِ ؟! وبَعْدُ بالرِّيِّ ؟! وبَعدُ بالسُّكْرِ بالمَشْرُوب ؟! (١) .

ثُمَّ الصَّحْوُ بَعْدَ ذلكَ عَلَى مَقَاديرَ شَتَّى كَمَا السُّكْرُ - أيضاً - كذلكَ ، والكأسُ مَعْرِفةُ الحقِّ يَغْرِفُ بها مِنْ ذلكَ الشَّرَابِ الطَّهُورِ المَحْضِ الصَّافي لِمَنْ شاءَ مِنْ عِبادِهِ المَخْصُوصِينَ مِنْ خَلْقِهِ ، فتارَةً يَشْهَدُ الشَّارِبُ تِلْكَ الكأسَ صورةً ، وتارةً يَشْهَدُها مَعْنَوِيَّةً ، وتارَةً يَشْهَدُهَا عِلْمِيَّةً : فالصُّورةُ حَظُّ الأبدانِ والأنْفُسِ ، والمَعْنَوِيَّةُ حظُّ القُلوبِ والعقولِ ، والعِلْمِيَّةُ حظُّ الأرواحِ والأسرارِ .. فيَا لَهُ مِنْ شَرابٍ مَا أعْذَبَهُ ! فطُوبَى لِمَنْ شَرِبَ مِنْهُ وداوَمَ ولَمْ يُقْطَعْ عَنْهُ ، نَسْأَلُ اللهَ مِنْ فَضْلِهِ ذلكَ ، وذلكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يشاءُ ، واللهُ واسِعٌ عَلِيم (٢) ، وقَدْ يَجْتَمِعُ جماعةٌ مِنَ المُحِبِّينَ فيُسقَوْنَ مِنْ كأسٍ واحِدةٍ ، وقَدْ يُسْقَوْنَ مِنْ كؤوسٍ كثيرةٍ ، وقَدْ يُسقَى الواحدُ بكأسٍ وبكؤوسٍ ، وقَدْ يَخْتَلِفُ الأمرُ حَسبَ تَعَدُّدِ الكؤوسِ ، وقَدْ يَخْتَلِفُ الشَّرابُ مِنْ كأسٍ واحِدةٍ وإنْ شَرِبَ مِنْهُ الجَمُّ الغَفِيرُ مِنَ الأحِبَّة (٢) .

ولأستاذِنَا في الشُّرْبِ وغَيْرِهِ بحقائقِهِ وجَوْهَرَتِهِ إشاراتٌ رائقَةٌ لَهَا وَقْعٌ بالقلوب ، مِنْها : " إذَا أَدَّى العَبْدُ حقوقَ ما يَجِبُ عليْهِ أَقْبَلَ اللهُ تعالى عليْهِ ، وإذَا شَرِبَ كأسَ المُدامِ وصَفَّ الأقْدامَ في اللَّيْلِ والظَّلامِ بَيْنَ يَدَيِ المَلِكِ العَلاَّمِ ذِي الجلالِ والإكرامِ رَفَلَ في حُلَلِ الوَقارِ بالذِّكْرِ والتَّذْكارِ ، وكُشِفَ لهُ عَنِ المُغَيَّبَاتِ وهوَ في هذهِ الدَّارِ ، ولاحَتْ عَلَيْهِ لوائحُ الوِلايةِ ، وخُلِعَتْ عَلَيْهِ خِلَعُ العِنَايَةِ ، وقُلِّدَ بسَيْفِ الكِفَايَةِ ، ورُزِقَ مِنْ سَيِّدِهِ ومَوْلاهُ الهِدَايَةَ ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ مِنْ هَذَا المَقَامِ - وهوَ عالَمُ الذِّكْرِ الجَلِيِّ - إلَى الذِّكْرِ الخَفِيِّ إلَى السُّكُونِ الوَفِيِّ ؛ سُكُونِ القَلْبِ تَحْتَ القُدْرَةِ ، فلاَ تَسْمَعُ عِنْدَ ذلكَ لِلقَلْبِ إلاَّ هَمْساً لاَ حَرَكةً ولاَ حِسّا " (٣) .

(١) مِن كلام سَيِّدي أبي الحَسَن الشَّاذليّ ﷺ .. انظر : لطائف المِنَن /٣٩ ودُرّة الأسرار /١٥٤ والمَفَاخر العَلِيّة /٨٩

(٢) مِن كلام سَيِّدي أبي الحَسَن الشَّاذليّ ﷺ .. انظر : لطائف المِنَن /٤٠ ودُرّة الأسرار /١٥٦ والمَفَاخر العَلِيّة /٩٠

(٣) الجَوْهَرة المُضِيئة /٣١٦

الكَنْزُ الثَّامِنُ

قولُ الأستاذِ :" فاستَعْذَبْتُ فيهِ أليمَ العذابِ والبَلاَ ، ورَضِيتُ مِنْهُ بقديمِ القَضَا "

يُفِيدُنَا ـ كَمَا لاَ يَخْفَى عَلَيْكَ ، اللَّهُمَّ وصَلِّنَا بِهِ إِلَيْكَ ـ أَنَّهُ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ جَاوَزَ مَقَامَ المَحَبَّةِ وارْتَقَى إلى مَقَامِ الرِّضَا ؛ إِذْ هُوَ أَتَمُّ مِنْ مَقَامِهَا على الرَّاجِحِ ؛ لأَنَّ المَحَبَّةَ رُبَّمَا حَكَمَ سُلْطَانُهَا على المُحِبِّ وقَوِيَ عَلَيْهِ وجودُ الشَّغَفِ فأدَّاهُ ذلك إلى طَلَبِ مَا لاَ يَلِيقُ بمقَامِهِ ؛ ألاَ تَرَى أنَّ المُحِبَّ يريدُ دوامَ شُهُودِ الحبيبِ ، والرَّاضي عنِ اللهِ راضٍ عَنْهُ أَشْهَدَهُ أَمْ حَجَبَهُ ، والمُحِبُّ يريدُ دوامَ الوَصْلَةِ ، والرَّاضي عنِ اللهِ راضٍ عَنْهُ أَوْصَلَهُ أَمْ قَطَعَهُ ؛ إِذْ لَيْسَ هوَ معَ مَا يريدُ لِنَفْسِهِ ، بلْ إِنَّمَا هوَ معَ ما يريدُ اللهُ له .

ومِنْ ثَمَّ .. لَمَّا ارْتَقَى بعضُ المشايخِ إلى مَقَامِ الرِّضَا أَنْشَدَ :

وكُنْتُ قَدِيماً أَطْلُبُ الوَصْلَ مِنْهُمُ ... فلَمَّا أَتَانِي العِلْمُ وارْتَفَعَ الجَهْلُ

تَيَقَّنْتُ أَنَّ العَبْدَ لاَ اخْتِيَارَ لَهُ ... فإِنْ قَرَّبُوا فضْلٌ وإِنْ أَبْعَدُوا عَدْلُ

وإِنْ أَظْهَرُوا لَمْ يُظْهِرُوا غيْرَ وَصْفِهِمْ ... وإِنْ سَتَرُوا فالسَّتْرُ مِنْ أَجْلِهِمْ يَحْلُو (١)

فلَمَّا وَصَلَ هذا المَقَامَ استَعْذَبَ فيهِ ـ كَمَا قالَ الأستَاذُ ـ العذابَ والآلامَ ، لَكِنَّ الحقَّ سُبْحَانَهُ لاَ يُعذِّبُ قلوباً تَرَكَتْ شهواتِهَا لِرِضَائِهِ ، كَيْفَ وهُمْ مِنْ خاصَّتِهِ وأَحِبَّائِهِ ؟!

ويُستَفَادُ مِنْ رِضَا العَبْدِ عنِ اللهِ أَنَّ اللهَ رَضِيَ عنْ ذلكَ العَبْدِ ، كَمَا نَقَلَ الدَّقَّاقُ (٢) أَنَّ تِلْمِيذاً قالَ لأُسْتَاذِهِ :" هَلْ يَعْرِفُ العَبْدُ أَنَّ اللهَ راضٍ عنْهُ ؟ " فقَالَ :

---

(١) مِن نَظْمِ سَيِّدي ابن عطاء الله السَّكَنْدَرِيّ .. انظر لطائف المِنَن /٣٨

(٢) هو أبو بكْر مُحَمَّد بن عبد الله الدَّقَّاق ﷺ ، مِن كبار مشايخ مِصْر ، أَخَذ عن الإمام الجنيد وأبي بكْر الفرغانيّ ، وأَخَذ عنه يحيى بن المؤمّل وأبو بكْر الدَّقّيّ .

مِن أقواله ﷺ :

- لا يَصلُح هذا الأمر إلا لأقوام كَنَسوا بأرواحهم المزابل على رضاً مِنْهم واخْتيار .
- لا يكون المريد مريداً حتّى لا يَكْتُب عليْه صاحب الشّمال عِشْرين سَنَة .
- مَن أكثَر مِن ذِكْر المَوْت أُكْرِم بثلاثة أشياء : تَعْجِيل التَّوْبَة ، وقناعة القلوب ، ونشاط العبادة .
- مَن لم يَصْحَبْه التُّقَى في فَقْره أَكَل الحرامَ المَحْض . =

" لاَ ؛ كَيْفَ يَعْلَمُ ذلكَ وهوَ غَيْبٌ ؟! " ، فقالَ التِّلْمِيذُ :" يَعْلَمُ ذلكَ " فقالَ :"كَيْفَ ؟ " قالَ :" إذا وَجَدْتُ قَلْبِي راضِياً عن اللهِ عَلِمْتُ أنَّهُ راضٍ عَنِّي " قالَ :" أَحْسَنْتَ يا غُلاَمُ ؛ فالعَبْدُ لاَ يَكادُ يَرْضَى عنِ الحقِّ إلاَّ بَعْدَما يَرْضَى عَنْهُ الحقّ " (١) .

كَمَا قالَهُ القُشَيْرِيُّ ؛ قالَ :" لأنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ قال ﴿ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** ﴾ (٢) " (٣) .

وقيلَ : قالَ موسَى عليه السلام :" إلَهِي .. دُلَّنِي علَى عَمَلٍ إذَا عَمِلْتُهُ رَضِيتَ عَنِّي " فقَال :(إنَّكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِك) ، فخرَّ مُوسَى مُتَضَرِّعاً ، فأَوْحَى اللهُ إليْه :(يَا ابْنَ عِمْرَانَ .. إنَّ رِضَائِي رِضَاكَ بِقَضَائِي) (٤) .

وهَهُنَا مُهِمَّةٌ يَجِبُ اعْتِقَادُهَا ، هِيَ : أنَّ الواجِبَ علَى العَبْدِ أنْ يَرْضَى بالقَضَاءِ الذي أَمَرَهُ الحقُّ سُبْحَانَهُ بالرِّضَا بِهِ ؛ إذْ لَيْسَ كُلُّ مَا هوَ بقضائِهِ واجبٌ على العَبْدِ أوْ يَجُوزُ لهُ الرِّضَا بِهِ : كالمَعاصي وفتونِ مِحَنِ المُسْلِمِين (٥) .

وإنْ أَرَدْتَ أَصْلَ القَضَاءِ ومَعَانِيَهُ لُغَةً وهلْ هوَ والحُكْمُ بِمَعْنىً واحدٍ أمْ لاَ ؟ وهَلْ هوَ مِنَ الصِّفَاتِ الفِعْلِيَّةِ أو الذَّاتِيَّةِ ؟ فعَلَيْكَ بِـ" شَرْحِ بَدْءِ الأمالي " ومَا كَتَبْنَاهُ مِنَ " الْمُسْعِدَةِ شَرْحِ المُرْشِدةِ " .

ثُمَّ إنَّ المَشَايِخَ رحمهم الله اخْتَلَفُوا فِي الرِّضَا : هلْ هوَ مِنَ المَقَامَاتِ أوْ مِنَ الأحْوَال ؟

= – نقصان كُلّ مُخْلِص في إخلاصه رؤية إخلاصه ، فإذا أراد الله تعالى أنْ يُخَلِّص إخلاصَه سَقَط عنْ إخلاصه رؤيتُه لإخلاصه ، فيكونُ مُخْلَصاً لا مُخْلِصا .

– كُلّ حقيقية لا تَتْبَع الشَّرِيعة فهي كُفْر .

تُوُفِّي رحمه الله سنَة ٢٩٠ هـ .

(١) انظر الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /١٥٢

(٢) سورة المُجادلة من الآية ٢٢

(٣) الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /١٥١

(٤) انظر الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /١٥٢ وقدْ أَخْرَجه بلفظ قريب من ذلك أبو نُعَيم ٤٥/٥ والدَّيْلَمِيّ ١٤٣/١ وابن ماكولا في تَهْذِيب مُسْتَمِرّ الأوهام /١٠٣ وأبو الطَّيِّب المَكِّيّ في ذيْل التَّقْيِيد /١٠٣ عن سَيِّدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٥) انظر الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /١٥١

فأهْلُ خُرَاسَانَ قالُوا : مِنَ المَقَامَاتِ ، وهوَ نِهايةُ التَّوكُّلِ ، ومَعْنَاهُ يَؤُولُ إلى أنَّهُ مِمَّا يَتَوَصَّلُ إليْهِ العَبْدُ باكْتِسَابِه (١) .

وأهْلُ العِرَاقِ قالُوا : الرِّضَا مِنْ جُمْلَةِ الأحوالِ ، ولَيْسَ ذلكَ كَسْباً لِلعَبْدِ ، بلْ هوَ نازِلةٌ تَحِلُّ بالقَلْبِ كسائرِ الأحوال (٢) .

وجَمَعَ الإمامُ القُشَيْرِيُّ بَيْنَهُمَا : بأنَّ بِدايةَ الرِّضَا مُكْتَسَبةٌ لِلعَبْدِ ، وهيَ مِنَ المَقَامَاتِ ، ونِهَايَتُهُ مِنْ جُمْلَةِ الأحوالِ ، ولَيْسَتْ بِمُكْتَسَبة .

وبالجُمْلَةِ .. فقَدْ تَكَلَّمَ القَوْمُ في الرِّضَا ، فكُلٌّ عَبَّرَ عَنْ حالِهِ وشُرْبِهِ ، فهُمْ في العِبَارةِ عَنْهُ مُخْتَلِفُونَ كَمَا أنَّهُمْ في الشُّرْبِ والنَّصيبِ مِنْ ذلكَ مُتفاوِتُون (٣) .

ومِنْ شاهِدِ قَوْلِ الأُسْتَاذِ " فاسْتَعْذَبْتُ فيهِ أليمَ العذابِ والبَلاَ ، ولَوْ عَذَّبْتِنِي بفنونِ الرِّزِيَّةِ لاَسْتَعْذَبْتُهَا ، ولَوْ أوْرَدْتِنِي مَوَارِدَ الهَلَكَةِ لَوَرَدْتُهَا " :

قَولُ رابِعةَ (٤) لَمَّا سُئِلَتْ :" مَتَى يكُونُ العَبْدُ راضِياً ؟ " قالَتْ :" إذَا سَرَّتْهُ

(١) انظر الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /١٥١

(٢) انظر الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /١٥١

(٣) الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /١٥١

(٤) هي أُمّ الخيْر السَّيِّدة رابعة بنت إسماعيل العَدَوِيَّة البَصْرِيَّة رضيَ الله عنْها ، أخَذ عنْها سفيان الثَّوْريّ وشُعْبَة وصالح المُرِّيّ .

دَخَل عليْها جماعة فتَذَاكَروا الدُّنْيَا فأقْبَلوا يذمّونها ، فقالت :" إنّي لأرى الدُّنْيَا بترابيعها في قلوبكم " قالوا : ومِن أين تَوَهَّمْتِ عليْنَا ؟! " قالت : إنّكم نَظَرْتُم إلى أقْرَب الأشياء مِن قلوبكم فتَكَلَّمْتُم فيه .

ولَقِيَها سفيان الثَّوْريّ ـ وكانت زريّة الحال ـ فقال لها :" يا أُمّ عمرو .. أرَى حالاً رثَّةً ، فلو أتَيْتِ جارَكِ فلاناً لَغَيَّر بعض ما أرَى ؟ " فقالت له :" يا سفيان .. وما تَرَى مِن سوء حالي ؟! ألَسْتُ على الإسلام ؟! فهو العزّ الذي لا ذلّ معه والغِنَى الذي لا فَقْر معه والأُنس الذي لا وَحْشَة معه .. واللهِ إنّي لأسْتَحْيِي أنْ أسأل الدُّنْيَا مَن يَمْلِكها ، فكيف أسألها مَن لا يَمْلِكها ؟! " فقام سفيان وهو يقول : ما سَمِعْتُ مِثْل هذا الكلام .

و سُئِلَتْ رضي الله عنْها :" هلْ عَمِلْتِ عملاً تَرِين أنّهُ يُقْبَل منْكِ ؟ " فقالت : إنْ كان فمخافتي أنْ يُرَدّ عَلَيّ .

وقال صالح المرّيّ ﷺ :" مَن أدمَن قَرْع الباب يوشِك أنْ يُفْتَح له " فقالت : إلى متى تقول هذا ؟! متى أُغْلِقَ هذا الباب حتّى يُسْتَفْتَح ؟!!

وسَمِعَتْه يَذْكُر الدُّنْيَا في قصصه فنادته : يا صالح .. مَن أحَبّ شيئاً أكْثَر مِن ذِكْره .

المُصيبةُ كَمَا سَرَّتْهُ النِّعْمَة " (١) .

وقَولُ رُوَيْم (٢) في الرِّضَا :" لَوْ جُعِلَتْ جَهَنَّمُ عَلَى يمينِهِ مَا سألَ أنْ يُحوِّلَها

- وروى القُشَيْرِيّ أنّها قالت في مناجاتها :" إلهي .. أتُحرِق بالنّار قَلْباً يحبّك ؟ " فهتف بها هاتف : (مَا كُنَّا نَفْعَلُ هَكَذَا ، فَلاَ تَظُنِّي بِنَا ظَنَّ السُّوء) .. الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٥٤

وقال لها رجُل :" إنّي قدْ أكثَرْتُ من الذُّنوب والمعاصي ، فلو تُبْتُ هلْ يتوب الله عليّ ؟ " فقالت : لا ؛ بلْ لو تاب عليك لَتُبْت .

مِن أقوالها رضي الله عنها :

- مُحِبّ الله لا يَسكُن أنينه وحنينه حتّى يَسكُن مع محبوبه .
- استِغْفَارنا يَحتَاج إلى استِغْفَار .
- لِكُلّ شيء ثمرة ، وثمرة المعرفة الإقبال .
- أقْرَب ما تَقَرَّب العبد به إلى الله تعالى أنْ يَعلَم أنّه لا يُحِبّ من الدُّنْيَا والآخرة غيْره .
- الزُّهْد في الدُّنْيَا راحة القَلْب والبَدَن ، والرَّغْبَة فيها تُورث الهَمّ والحَزَن .
- إنّما أنت أيّام معدودة ، فإذا ذهب يَوْم ذهب بَعْضك ، ويوشك إذا ذهب البعض أنْ يذهب الكُلّ ، وأنت تَعلَم ؛ فاعمل .
- اللّهُمّ قدْ وَهَبْتُ لك مَن ظَلَمني ، فاستَوْهِبْني مِمّن ظَلَمْتُه

تُوفِّيَت رضي الله عنْها بالبصرة سَنَة ١٨٠ هـ .

(١) انظر الرِّسالة القُشَيْرِيّة /١٥٢ وطبقات الشّافعيّة الكُبْرَى ٢٧٨/٨

(٢) هو أبو محمد رويم بن أحمد ﷺ ، وُلِد ببغداد ، أخَذ عنه عبد الله بن محمد الرّازيّ الشّعرانيّ وأبو بكْر بن أبرويه .

سُئِل ﷺ عن المشايخ الذين لَقِيَهُمْ في السّمَاع فقال : كالقطيع إذا وقَع فيه الذِّئْب ..

الرِّسالة القُشَيْرِيّة /٢٧٠

وسُئِل ﷺ عن مواجيد الصُّوفِيّة عند السّماع فقال : يَشْهَدون المَعاني التي تَغْرُب عن غيرهم فتشير :" إليّ إليّ " فيَتَنَعّمون بذلك الفرح ، ثُمّ يقع الحِجَاب فيَعُود ذلك الفرح بكاءً ، فمنهم مَن يَخرق ثيابه ، ومنهم مَن يصيح ، ومنهم مَن يبكي ؛ كُلّ إنسان على قَدْره .

وسُئِل ﷺ عنْ أدب السّفَر فقال : أنْ لا يجاوز همّه قَدَمه ، وحَيْثُما وَقَف قَلْبه يكون مَنْزِله .

وسُئِل ﷺ عن المحبّة فقال :" هي المُوافَقة في جميع الأحوال " ثُمّ قال :

ولوْ قيل لي مُتْ قُلْتُ سمعاً وطاعةً وقُلْتُ لِداعي المَوْت أهْلاً ومَرْحَبَا

مِن أقواله ﷺ :

- منذ عشرين سَنَةً لا يَخْطُر بقَلْبي ذِكْر الطّعام حتّى يَحْضُر .

عَلَى يَسَارِه " (١) .

وقَوْلُ أَبِـي بَكْـرِ بْـنِ طـاهرٍ (٢) :" الرِّضَـا إِخْـراجُ الكراهِيَـةِ مِـنَ القَلْـبِ حتَّـى

= – السُّكُون إلى الأحوال اغترار .

– لا يُنَال هذا الأمر إلا ببَذْل الرُّوح ، فإنْ أَمْكَنك الدُّخول فيه على هذا ؛ وإلا فلا تَشْتَغِلْ بزخارف الكلام .

– التَّصَوُّف مَبْنِيّ على ثلاث خصـال : التَّمَسُّك بـالفقر والافتقـار ، والتَّحَقُّق بـالبَذْل والإيثـار ، وتَـرْك التَّعَرُّض والاختيار .

– التَّصَوُّف استِرْسال النَّفْس مع الله تعالى على ما يريد .

– الإخلاص في العمل هو أنْ لا يريد صاحبه عليه عوضاً في الدَّارَيْن .

– المحبّة هي الموافَقة في جميع الأحوال .

– الصَّبْر تَرْك الشَّكْوى ، والرِّضا استِلْذاذ البَلْوَى ، والتَّوَكُّل إسقاط رؤية الوسائط .

– قِفْ على البساط وإيّاك والانْبِساط ، واصْبِرْ على ضَرْب السِّيَاط حتّى تَجُوز الصِّرَاط .

– مَن قَعَد مع القوم وخالَفهم في شيء مِمَّا يَتَحَقَّقون به نَزَع الله نور الإيمان من قَلْبه .

– لا تزال الصُّوفِيَّة بخيْر ما تَنَافَروا ، فإذا اصْطَلَحوا فلا خيْر فيهم .

– إذا رَزَقك الله المقال والفِعال فأَخَذ منْك المقال وأَبْقَى عليْك الفِعال فلا تُبالِ ؛ فإنَّها نِعْمَة ، وإذا أَخَذ منْك الفِعال وأَبْقَى عليْك المقال فإنَّها مصيبة ، وإذا أَخَذ منْك كِلَيْهما فهي نِقْمَة وعقوبة .

تُوُفِّي ﷺ ببغداد سَنَة ٣٠٣ هـ .

(١) انظر الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /١٥٢

(٢) هو أبو بكْر عبد الله بن طاهر بن حاتم الطَّائيّ الأَبْهَريّ ﷺ ، أَخَذ عن الإمام الجُنَيْد ويوسف ابن الحُسَيْن ومظفر القرميسينيّ ، وأَخَذ عنه مهلّب بن أحمد المصريّ ويعقوب بن يوسف الأبهريّ ومنصور بن عبد الله .

من أقواله ﷺ :

– هِمّة الصّالحين الطّاعة بِلا معصية ، وهِمّة العلماء المزيد من الصَّوَاب ، وهِمّة العارفين إعظام الله تَبارك وتعالى في قلوبهم ، وهِمّة أهل الشَّوْق سُرْعَة المَوْت ، وهِمّة المُقَرَّبين سكون القَلْب إلى الله تَبارك وتعالى .

– في المِحَن ثلاثة أشياء : تَطْهِير وتَكْثِير وتَذْكِير : فالتَّطْهِير مِن الكبائر ، والتَّكْثِير مِن الصَّغائر ، والتَّذْكِير لأهل الصَّفَاء .

– ما قَدْر طاعة نقابِل بها نِعَمَه ؟ وما قَدْر ذنوب نقابِل بها كَرَمَه ؟ إنِّي لأرجو أنْ تَكون ذنوبنا في كَرَمه أَقَلّ من طاعتنا في نِعَمه . =

لاَ يكونَ فيهِ إلاَّ فَرَحٌ وسُرور " (١) .

وقَولُ ذِي النُّونِ (٢) :" ثلاثةٌ مِنْ علاماتِ الرِّضَا : تَرْكُ الاخْتِيَارِ قَبْلَ القَضَـاء

= - مَن خاف على نَفْسه شَقّ عليْه ركوب الأهوال ، ومَن شَقّ عليْه ركوب الأهوال لا يرتقي إلى سُمُوّ المَعالي في الأحوال .

- مِن حُكْم الفقير ألاّ يكون له رَعبه ، فإنْ كان ولا بُدّ فلا تُجاوِز رَغْبَته كفايته .

- رَفَع الله عن العالِمين به حُجُب الأستار ، وأطْلَعَهم على طويّات مخزونات الأسرار ، وأمَدّهم بمـوادّ المعارف والأنوار ، فَهُمْ بما ألْبَسَهم مِن نوره إلى أسراره مُتَطَلِّعون وبما كاشَفَهم مِن شواهد حقيقة معرفته على سائر الأمور مُشْرِفون ، لا يَقْدَح في قلوبهم ريب ، بلْ كُلّ ما أطْلَعَهـم عليْه أثْبَتُ عندهم مِن العيان ؛ لأنّ بصائر الحقيقة لهم لامعة ، وأعلام الحـقّ لهم مرفوعة لائحـة ، انْتَمَنهم الحـقّ على معرفته إلهاماً وتَفَضُّلاً وإكراماً ، أجْزَلَ لهم عطاياه ، وجَعَل قلوبهم مطاياه ، فدنا منْها بِلا مسافة ، ونزل أسرارهم بلا ممازَجة ، فَحَمَاهم مِن الغفلة والفتور ، فَفَنِيَت صفاتهم بوجـود شـهوده ، فليس لهم عنْه مَغيب ، وعليْهم في كُلّ أحوالهم منْه رقيب .

- قوْم سألوا الله بألسنة الأعمال ، وقوْم سألوه بألسنة الرَّحْمَة ، فكم بيْن مَن سأل ربّه بربّـه وبيْن مَن رَجَا ربّه بعمله ، وليس مَن رَجَا ربّه بجوده كمَن رَجَا ربّه بنَفْسه .

- إنّ الله أطْلَع نَبيّه على ما يكون في أمّته مِن بَعْده مِن الخلاف وما يصيبهم فيه ، فكان إذا ذَكَـر ذلك وجد إغانةً في قَلْبه منه فاستَغْفَر لأمّته .

- احتياج الأشرار إلى الأخيار صلاح الطّائفتيْن ، واحتياج الأخيار إلى الأشرار فتنة الطّائفتيْن .

- ما أحْبَبْتَ أنْ تَنْجُو منْه بعملك فإلى حُبّك له تشير .

تُوُفِّي ﷺ سَنَة ٣٣٠ هـ .

(١) انظر الرّسالة القُشَيْرِيّة /١٥٢

(٢) هو أبو الفيض ذو النون ثوبان بن إبراهيم ﷺ ، وُلِد بأخميم ، أخَذ عن شقران العابد والليث ابن سعْد والفُضَيْل بن عياض ، وأخَذ عنْه الجُنَيْد وسَهْل التّستَريّ وزرقان بن محمد .

عن أبي عبد الله بن الجلاء قال : خَرَجْتُ إلى شَطّ نيل مِصْر ، فرَأيْتُ امرأةً تَبْكِي وتَصْرُخ ، فأدْرَكها ذو النُّون فقال لها :" ما لكِ تَبْكِين ؟ " فقالت :" كان ولدي وقُرّة عَيْني علـى صـدري ، فخـرج تمساح فاستَلَب منّي ولدي " فأقْبَل ذو النُّون على صَلاته وصلّى رَكْعَتَيْن ودَعَا بدعوات ، فإذا التِّمْسـاح خَرَج مِن النِّيل والولد معه ودَفَعَه إلى أمّه فأخذَتْه وأنا كنْت أرى .

حِلْيَة الأولياء ٣٦٦/٩

أقول : وقدْ حَدَثَت مِثْل هذه الكَرامة لِسَيِّدي إبراهيم الدّسوقيّ ﷺ ؛ حيث ذَكَر المنـاويّ أنّ تمسـاحاً خَطَف صبيّاً ، فأتَتْه أمّه مذعورةً ، فأرْسَل نقيبه فنَادَى بشاطئ البَحْر :" مَعاشِرَ التَّماسيح .. مَن ابْتَلَع =

- صبيّاً فليَطْلع به " فطلَع ومشى معه إلى الشّيْخ ، فأمَره أنْ يَلْفظه فلَفَظه حيّاً ، وقال لِلتِّمْساح :" مُتْ بإذْن الله " فمات .. انظر نور الأبصار لِلشّبْلَنْجِيّ /٣٩٩

أقول : ولا زال جزء من عَظْم هذا التِّمْساح مُعلّقاً بضريحه ﷺ يَرَاه كُلّ مَن زاره ﷺ .

سُئِل ﷺ عن التّوكُّل فقال :" خَلْع الأرباب وقَطْع الأسباب " ، فقال السّائل :" زِدْنِي " فقال : إلقاء النّفْس في العُبُوديّة ، وإخْراجُها من الرُّبُوبيّة .

من مؤلّفاته : الرُّكْن الأكْبَر ، الثِّقَة في الصَّنْعة .

من أقواله ﷺ :

- يا مَعْشَرَ المُرِيدين .. مَن أراد منكم الطّريق فَلْيَلْقَ العلماء بإظْهار الجَهْل ، والزُّهّادَ بإظْهار الرَّغْبة ، والعارفين بالصَّمْت .

- قَرَأْتُ في باب مصر بالسّرْيانيّة فتَبَرْتُه فإذا فيه : يُقَدِّر المُقَدِّرُون والقضاء يَضْحَك .

- مَن ذَبَح حَنْجَرة الطَّمَع بسَيْف اليأس ورَدَم خَنْدَق الحِرْص ظَفِر بكيمياء الخِدْمة ، ومَن اسْتَقَى بحبْل الزُّهْد على دلْو المَعْرِفة استَقَى من جُبّ الحِكْمَة ، ومَن سَلَك أودية الكَمَد جَنَى حياة الأبد ، ومَن حَصَد عُشْب الذُّنُوب بمِنْجَل الوَرَع أضاءت لـه رَوْضَة الاستقامة ، ومَن قَطَع لسانَه بشفرة الصَّمْت وَجَد عذوبة الرّاحة ، ومَن تَدَرَّع بِدِرْع الصِّدْق قَوِي على مُجَاهدَة عَسكَر الباطل ، ومَن فَرِح بمِنْحَة الجاهل أَلْبَسَه الشّيْطان ثوْب الحماقة .

- من علامة سخط الله على العبد خوفه من الفقر .

- مَن لم يُفَتِّش على الرَّغِيفَيْن من الحلال لا يفلح في طريق الله تعالى .

- لَحَنًا في العمل وأعْرَبْتَا في الكلام ؛ فكيف نفلح ؟

- مَن نظر في عيوب النّاس عَمِي عن عيوب نَفْسه .

- لا تَشْغَلَنَّك عيوب النّاس عن عيب نَفْسك ، لَسْتَ عليْهم برقيب .

- مَن طَلَب مع الخُبْز مِلْحاً لم يُفْلِح في طريق القَوْم .

- لا تَسْكُن الخِدْمَة معدةً مُلِئَت طعاما .

- ثلاثة من علامات مَوْت القَلْب : الأُنْس مع الخَلْق ، والوَحْشَة في الخَلْوَة مع الله ، وافْتِقَاد حلاوة الذِّكْر المقسوم ..

وثلاثة من أعلام الوله إلى الله : اضطراب الرُّوح في البَدَن عند الذِّكْر تَشَوُّقاً ، وارتياح العقل عند النَّجْوَى تَعَلُّقاً ، وولوج الهمّة في الغيوب نحْو الله تَخَلُّقا .

- الأُنْس بالله نور ساطع ، والأُنْس بالنّاس سمّ قاطع .

- العُبُوديّة : أنْ تَكون عَبْدَه في كُلّ حال كما هو ربّك في كُلّ حال .

- تَوْبَة العوامّ تَكون من الذُّنُوب ، وتَوْبَة الخواصّ تَكون من الغفلة .

وفَقْدانُ المرارةِ بَعْدَ القَضَاءِ ، وهَيَجانُ الحُبِّ في حَشْوِ البَلاَءِ " (١) .

وقَوْلُ أبي سُلَيْمَانَ (٢) :" أَرْجُو أَنْ أَكُونَ عَرَفْتُ طَرَفاً مِنَ الرِّضَا ؛ لَوْ أَنَّهُ

= - صدور الأحرار قبور الأسرار .

- إنّ القلوب إذا بَعُدَت عن الله مَقَتَت القائمين بأمْر الله .

- مدار الكلام على أربَع : حُبّ الجليل ، وبُغْض القليل ، واتّباع التّنْزِيل ، وخَوْف التّحْوِيل .

- العارف كُلّ يوم أخْشَع ؛ لأنّه في كُلّ ساعة أقْرَب .

- بصُحْبَة الصّالحين تَطِيب الحياة ، والخيْر مَجْمُوع في القرين الصّالح ؛ إنْ نَسِيتَ ذَكّرك ، وإنْ ذَكَرْتَ أعانك .

- دوام الفقر إلى الله تعالى مع التّخْليط أحَبّ إليّ من دوام الصّفَاء مع العُجْب .

- مَهْمَا تصوّر في وهْمك فالله بخلاف ذلك .

- قُل لِمَن أظْهَر حُبّ الله : احْذَرْ أنْ تَذِلّ لِغيْر الله .

- النّاس على الطّريق ما لم يَزُل عنْهم الخَوْف ، فإذا زال عنْهم الخَوْف ضَلّوا عن الطّريق .

- من المُحال أنْ يَحْسُن منْك الظّنّ ولا يَحْسُن منْه المَنّ .

- عليْك بصحبة مَن تُذَكّرك بالله عَزّ وجَلّ رؤيته وتقع هيْبته على باطنك ويزيد في عملِك مَنْطِقه ويُزَهّدك في الدُّنْيا عملُه ولا تعصي الله ما دُمْتَ في قُرْبه ، يعظك بلسان فِعْله ولا يعظك بلسان قوله .

تُوُفّي ﷺ بالجيزة سَنَة ٢٤٥ هـ ، وحُمِل في مَرْكِب بالنّيل إلى الفسطاط ودُفِن في مقابر أهْل المعافر ..

روى الهَجْوِيريّ في " كشْف المَحْجُوب " أنّه في اللّيْلَة التي رُفِع فيها رأى سَبْعون شخصاً النّبيّ ﷺ في منامهم يقول :(أَتَيْتُ أَلْقَى ذَا النُّون حَبِيبَ اللّه) ، وبَعْد أنْ مات وُجِدَت هذه العبارة منقوشةً على جَبْهته : هذا حبيب الله ، مات في حُبّ الله ، قتيل الله .

(١) انظر : حِلْيَة الأوْلِياء ٣٤١/٩ والرّسالة القُشَيْرِيّة /١٥٢

(٢) هو أبو سُلَيْمَان عبد الرّحْمَن بن أحمد بن عطيّة الدّارانِيّ ﷺ ، وُلِد في داريا مِنْ قُرَى دمشق سَنَة ١٤٠ هـ ، أخَذ عن سُفْيَان الثّوْرِيّ وعبد الواحد بن زيْد وأبي الأشْهب العطارديّ ، وأخَذ عنه أحمد بن أبي الحواريّ وهاشم بن خالد وحميد بن هشام .

من أقواله ﷺ :

- ما يَسُرّني أنّ لي من أوّل الدُّنْيا إلى آخرها أُنْفِقه في وجوه البِرّ وأنّي أغْفل عن الله طَرْفة عيْن .

- إذا سَكَنَت الدُّنْيا القَلْب تَرَحّلَت منْه الآخرة .

- إنّما تُنَال مَعْرِفته بطاعته ، وتُنَال طاعته به .

- إنّ الله تعالى يَفْتَح لِلعارف وهو على فِراشه ما لا يَفْتَح لِغيْره وهو قائم يُصَلّي .

= – لا تجيء الوساوس إلا إلى كُلّ قَلْب عامِر ؛ أرَأيْتَ لِصّاً يأتي الخرابة يَنْقُبها وهو يدخل مِن أيّ الأبواب شاء ؟!

– إنّما يجيء الوسواس وكثرة الرُّؤيا إلى كُلّ ضعيف ، فإذا أخْلَص انْقَطَع عنْه الرُّؤيا وكَثْرَة الوسْواس .

– بَلَغَنا أنّ تَنَفُّس الفقير دون شَهْوَة يَعْدِل عبادة الغَنِيّ أَلْف سَنَة .

– مَن وَثَق بالله في رِزْقه زاد في حُسْن خُلُقه وأعقَبَه الحِلْم وسَخَتْ نَفْسه في نفقته وقَلّتْ وساوسه في الصّلاة .

– لوْ أراد الصّادق أنْ يَصِف ما في قَلْبه ما نَطَق به لسانه .

– الصّوْت الحَسَن لا يُدْخِل في القَلْب شيئاً ، إنّما يُحَرِّك مِن القَلْب ما فيه .

– الدُّنْيا تَهْرُب مِن الطّالب لها وتَطْلُب الهارب منْها ، فإنْ أدْرَكَت الهارب منْها جَرَحَتْه ، وإنْ أدْرَكها الطّالب لها قَتَلَتْه .

– أقْرَب ما تَتَقَرَّب به إلى الله عَزّ وجَلّ أنْ يَطّلِع الله على قَلْبك وأنت لا تريد في الدّارَيْن غيْره .

– ربّما يَقَع في قَلْبي النُّكْتَة مِن نُكَت القَوْم أيّاماً فلا أقْبَل منْه إلا بشاهدَيْن عَدْلَيْن ، الكتاب والسُّنّة .

– إذا غَلَب الرَّجاء على الخَوْف فَسَدَ الوقْت .

– إذا وصلوا إليه لمْ يَرْجِعوا عنْه أبداً ، إنّما رَجَع مَن رَجَع مِن الطّريق .

– ليس العَجَب مِمّن لم يَجِدْ لذّة الطّاعة ؛ إنّما العَجَب مِمّن وَجَد لَذّتها ثُمّ تَركها كيف صَبَر عنْها ؟!

– إنّما الأخ الذي تَعِظك رؤيته قَبْل أنْ يعظك كلامه ، كُنْتُ أنْظُر إلى الأخ مِن إخواني بالعراق فأعْمَل على رؤيته شَهْرا .

– تَرْك شَهْوَة مِن الشّهَوات أنْفَع لِلْقَلْب مِن صيام سَنَة وقيامها .

– اجْعَل الصّدْق مَطِيّتك ، والحقّ سَبيلك ، والله تعالى غاية طَلَبَتك .

– ليس العبادة عندنا أنْ تَصُفّ قَدَمَيْك وغيْرك يفتّ لك ؛ ولكن ابْدأ برغيفيك فأحْرِزْهُمَا ثُمّ تَعَبَّد .

– الهالك مَن هَلَك في آخِر سفره وقدْ قارَب المَنْزِل ، والخاسر مَن أبْدَى إلى الناس صالح عمله وبارَز بالقبيح مَن هو أقْرَب إليه مِن حَبْل الوريد .

– إنّ لإبليس شيطاناً يُقال له " المتقاضي " يَتَقاضَى ابنَ آدم عشرين سَنَةً لِيُخْبِر بعمل قدْ عَمِله سرّاً ؛ لِيُظْهِره فيَرْبَح عليْه ما بيْن أجْر السِّرّ والعلانية .

– كُلّ مَن كان في شيء مِن التّطَوُّع يلذّ به فجاء وقْت فريضة فلمْ يَقْطَع وقْتها لذّة التّطَوُّع فهو في تَطَوُّعه مخدوع .

– يُوحي اللهُ عَزّ وجَلّ إلى جبريل عليه السلام :(اسْلُبْ عَبْدي مَا رَزَقْتُهُ مِنْ لَذّةِ طَاعَتِي ؛ فَإِنِ افْتَقَدَهَا فَرُدَّهَا عَلَيْهِ ، وَإِنْ لَمْ يَفْتَقِدْهَا فَلاَ تَرُدَّهَا عَلَيْهِ أَبَدا) .

– إنّ النَّفْس إذا جاعت وعَطِشَت صَفَا القَلْب ورَقّ ، وإذا شَبِعَت ورَوِيَت عمي القَلْب . =

أَدْخَلَنِي النَّارَ كُنْتُ بذلكَ راضيا " (١) .

وقَولُ النُّوريِّ :" هوَ سُرورُ القَلبِ بِمُرِّ القضاء " (٢) .

وقَولُ عُتْبَةَ الغُلامُ (٣) في لَيْلَةٍ إلى الصَّباحِ :" إنْ تُعذِّبْني فأنَا لكَ مُحِبٌّ ، وإنْ

= – إنَّما عصى اللهَ مَن عَصاه لِهوانهم عليه ، ولو كرموا عليه لَحَجَزَهم عنْ معاصيه .

– إنّ الله عَزّ وجَلّ اطَّلَع على قلوب الآدميّين فلمْ يَجِدْ قلباً أشَدّ تواضعاً مِن قَلْب موسى عليه السلام فخَصّه من بيْنهم بالكلام .

– مَن عَمِل شيئاً مِن أنواع الخَيْر بِلا نِيَّة أجْرَأَته النِّيَّة الأولى حين اختار الإسلام على الأديان كُلّها ؛ لأنّ هذا العمل مِن سُنَن الإسلام ومِن شعائر الإسلام .

– يا ربّ .. إنَّك إنْ طَلَبْتَني بِشَرّي طالَبْتُك بكرَمِك ، وإنْ آخَذْتَني بذنوبي أتَيْتُك بتَوْحيدك ، وإنْ أسْكَنْتَني النّار بيْن أعدائك لأُخْبِرَنَّهُم بِحُبّي لك .

تُوُفِّي رحمه الله بداريا سنَة ٢١٥ هـ .

(١) انظر : حِلْيَة الأوْلياء ٢٣٦/٩ والرِّسالة القُشَيْرِيَّة /١٥٣ وصفة الصَّفْوَة ٢٢٦/٤

(٢) انظر الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /١٥٣

(٣) هو عتبة بن أبان بن صمعة الأنصاريّ رضي الله عنه ، من تابعي التابعين ، سُمِّي بـ" الغلام " لأنَّه كان في العبادة كأنَّه غلام رهان ، أخَذ عنه يحيى الواسطيّ وعثمان بن عمارة والحَسَن بن أبي جعفر .

يقول ابن كثير : كان يأكل مِن عمل يده في الخوص ، ويصوم الدَّهْر ويُفْطِر على الخُبْز والمِلْح .

نازعَتْه نَفْسه أنْ يأكل لحماً فقال لها :" اقْنَعِي عنّي إلى قابِل " : فما زال يدافعها سَبْع سنين ، حتّى إذا كان في السّابعة أخَذ دانقاً ونِصف أفلاس فأتَى بها صَديقاً له مِن أصحاب عبد الواحد بن زيد خبّازاً فقال :" يا أخي .. إنّ نَفْسي تنازعني لحماً منذ سَبْع سنين ، وقد استَحْيَيْتُ منها كم أعِدها وأُخْلِفها ، فَخُذْ لي رغيفيْن وقطعةً مِن لحْم بهذا الدّانق والنِّصف " ، فلَمّا أتاه به إذا هو بصبيّ قال :" يا فلان .. ألَسْتَ أنت ابن فلان وقد مات أبوك ؟ " قال :" بلى " ، فجَعَل يَبْكي ويَمْسَح رأسه وقال :" قُرّة عيني مِن الدُّنْيا أنْ تصير شهْوتي في بَطْن هذا اليتيم " ، فناوَله ما كان معه ، ثُمّ قرأ ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ .

وغُشِي عليه رحمه الله فأفاق وهو يقول :" ارْحَمْ مَن تَجَرَّأ عليْك وأكَل بالدَّيْن " فنظروا في دَيْنه فإذا عليْه فِلْسان .

ورُؤِي رحمه الله بمكان يَتَصَبَّب عَرَقاً في يوْمٍ شاتٍ شديد البَرْد ، فقيل له في ذلك فقال :" إنّه مكان عَصَيْتُ الله فيه " ، فسُئِل عنْه فقال : كَشَطْتُ من هذا الجدار قطعة طيْن غَسَل بها ضَيْف لي يده ولم أسْتَحِلّ من صاحبه .

وقال له الأمير سليمان بن عَليّ :" يا عتبة .. قد أمَرْتُ لك بألْفَيْ درهم " فقال :" أقْبَلها منك أيّها =

تَرْحَمْنِي فأنَا لكَ مُحِبٌ " (١) .

وهُنَا دقيقةٌ : هلْ مَحَلُّ الرِّضَا قَبْلَ القَضَاء بمَا يَقْضِي أمْ بَعْدَ القَضَاء بمَا قَضَى ؟

فالجوابُ : إنَّ قَوْلَهُ ﷺ ﴿ أَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاء ﴾ (٢) ظاهِرُهُ الثّاني ، وقدْ نَبَّهَ أبُو عُثْمَانَ (٣) لَمَّا سُئِل عنِ الحديثِ فقالَ :" لأنَّ الرِّضَا قَبْلَ القَضاءِ عَزْمٌ عَلَى

= الأمير على أنْ تَقْضِي لي معها حاجة " فسُرّ سليمان وقال :" نَعَمْ .. وما حاجتك ؟ " فقال :" تُعْفِيني منْها " قال :" قد فعلتُ " ، ثُمّ ولّى عنه مُنْصَرِفاً وهو يَبْكي ويقول : قَصّر إلَيْنا عتبة ما نحن فيه .

من أقواله ﷺ :

- كابَدْتُ الصّلاة عشرين سَنَةً ، وتَنَعَّمْتُ بها عشرين .
- مَن عرَف الله أحَبّه ، ومَن أحَبّ اللـه أطاعه ، ومَن أطاع اللـه أكْرَمه ، ومَن أكْرَمه أسْكَنه في جِواره ، ومَن أسكَنه في جواره فطوباه وطوباه وطوباه وطوباه وطوباه .
- قَطْع ذِكْر يوْم العَرْض على الله أوصال المُحِبّين .
- لا يعجبني رجُل لا يكون في يده حرفة .
- سبحان جبّار السّمَاء .. إنّ المُحِبّ لَفِي عناء .

استُشْهِد ﷺ في قتال الرّوم سَنَة ١٦٧ هـ .

(١) انظر : حِلْيَة الأوْلِياء ٦/٢٣٥ والرّسالة القُشَيْرِيّة /١٥٣ وصفة الصّفْوَة ٣/٣٧١

(٢) أخرَجه النّسائيّ ١/٣٨٧ وأبو يعلى ٣/١٩٥ وابن حبّان ٥/٣٠٥ والحاكم ١/٧٠٥ والبزار ٤/٢٢٩ وابن أبي شيبة ٦/٤٤ وابن أبي عاصم ١/٥٨ واللاّلكائيّ ٣/٤٨٩ عن سيّدنا عمّار بن ياسر رضي الله عنهما ، والحاكم ١/٦٧٩ والطّبرانيّ ٥/١١٩ وفي مسنَد الشّاميّين ٢/٣٥١ واللاّلكائيّ ٣/٤٩٠ وابن أبي عاصم ١/١٨٥ والدّيْلَميّ ١/٤٥٧ عن سيّدنا زيْد بن ثابت ﷺ ، والطّبرانيّ في الأوسط ٦/١٦٥ والكبير ١٨/٣١٩ واللاّلكائيّ ٣/٤٩١ وابن أبي عاصم ١/١٨٦ عن سيّدنا فضالة بن عبيد ﷺ .

(٣) هو أبو عُثْمَان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور النّيسابوريّ الحيريّ ﷺ ، وُلِد بالرّيّ سَنَة ٢٣٠ هـ ، أخَذ عنْ أبي حفْص الحدّاد وشاه الكرمانيّ ويحيى بن معاذ الرّازيّ ، وأخَذ عنه محمد ابن عليان النّسويّ وعبد الله بن محمد الشّعرانيّ وأبو الحسين الورّاق .

يحكي ﷺ عنْ بدايته فيقول : صَحِبْتُ أبا حفص مدّةً وأنا شابّ ، فطردني مرّةً وقال :" لا تجلس عندي " فقُمْتُ ولم أُولِّه ظَهْري ، وانْصَرَفْتُ إلى ورائي ووجْهي إلى وجْهه حتّى غِبْتُ عنْ عَيْنَيْه ، وجَعَلْتُ على نَفْسي أنْ أحفر على بابه حفرةً لا أخرج منْها إلا بأمْره ، فلَمّا رأى ذلك أدْناني وجَعَلني من خواصّ أصحابه .

وقالت زَوْجَته : صادَفْتُ من أبي عثمان خلوةً فاغْتَنَمْتُهَا فقُلْتُ :" يا أبا عثمان .. أيّ عملٍ أرْجَى =

الرِّضَا ، والرِّضَا بَعْدَ القَضَاءِ هوَ الرِّضَا " (١) .

دقيقةٌ أُخْرَى : هل الرِّضَا أَفْضَلُ مِنَ الزُّهْدِ في الدُّنْيَا ؟

الجوابُ : نَعَمْ .. كَمَا قَالَ الفُضَيْلُ (٢) لِبِشْرٍ (٣) :" الرَّاضِي لاَ يَتَمَنَّى فَوْقَ مَنْزِلَتِه " (٤) .

= عندك ؟ " فقال : يا مريم .. لَمَّا تَرَعْرَعْتُ وأنا بالرِّيِّ - وكانوا يريدونني على التَّزْوِيج فأمْتَنِع - جاءتني امرأة فقالت :" يا أبا عثمان .. قدْ أَحْبَبْتُك حُبّاً ذهب بنومي وقراري ، وأنا أسألك بمُقَلِّب القلوب وأتوسل به إليك أنْ تَتَزَوَّج بي " قُلْتُ :" ألكِ والد ؟ " قالت :" نَعَمْ : فلان الخيّاط في موضع كذا وكذا " فراسَلْتُ أباها أنْ يُزَوِّجها منّي ففرح بذلك ، وأحْضَرْتُ الشُّهود فتزَوَّجْتُ بها ، فلَمّا دَخَلْتُ بها وَجَدْتُها عَوْراء عَرْجاء مُشَوَّهة الخَلْق ، فقلتُ :" اللهم لك الحمد على ما قَدَّرْتَه لي " ، وكان أهْل بيتي يلوموننى على ذلك فأزيدها براً وإكراماً ، إلى أنْ صارت بحيث لا تَدَعنى أخْرُج مِن عندها ، فتَرَكْتُ حضور المَجالس إيثاراً لِرِضاها وحِفْظاً لِقَلْبها ، ثُمّ بقيتُ معها على هذه الحال خَمْس عشرة سَنَةً وكأنّي في بعض أوقاتي على الجمر وأنا لا أُبْدِي لها شيئاً مِن ذلك إلى أنْ ماتت ، فما شيء أَرْجَى عندي مِن حِفْظي عليها ما كان في قَلْبها مِن جهتي .. تاريخ بغداد ١٠١/٩

مِن أقواله ﷺ :

- منذ أربعين سَنَةً ما أقامني الله في حال فكَرِهْتُه ، ولا نَقَلني إلى غيْره فسَخِطْتُه .
- مَنْ صَحِب أولياء الله تعالى وُفِّق لِلوصول إلى الطَّريق إلى الله تعالى .
- أنت في سجْن ما اتَّبَعْتَ مرادك ، فإذا فَوَّضْتَ وسَلَّمْتَ استَرَحْت .
- حَقّ على مَن أعَره الله بالطّاعة أنْ لا يُذِلّ نَفْسه بالمعصية .
- لا يَرَى أحد عَيْب نَفْسه وهو يَستَحْسِن مِن نَفْسه شيئاً ، وإنّما يَرَى عيوب نَفْسه مَن يَتَّهِمها في جميع الأحوال .
- **لا يَكْمُل إيمان الرَّجُل حتّى يَستَوِي في قَلْبه أربعة أشياء :** المَنْع والإعطاء ، والعزّ والذُّلّ .
- مَن أمَرّ السُّنَّة على نَفْسه قولاً وفعلاً نَطَق بالحكمة ، ومَن أمَرّ الهوى على نَفْسه قولاً وفعلاً نَطَق بالبدعة ؛ قال تعالى ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ .
- علامة السَّعَادة أنْ تطيع الله وتخاف أنْ تكون مردوداً ، وعلامة الشَّقَاوة أنْ تَعْصيه وتَرْجو أنْ تكون مقبولا .
- الخَوْف مِن الله يُوصلك إليْه ، والعُجْب يَقْطَعك عنْه ، واحتقار النّاس في نَفْسك مَرَض لا يُداوَى .
- تَعَزَّزوا بِعِزّ الله كيْ لا تَذِلُّوا .

تُوُفِّي ﷺ سَنَة ٢٩٨ هـ ودُفِن بمقبرة الحيرة عند قبْر أستاذه أبي حفص الحداد ﷺ .

(١) انظر : الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /١٥٣ وشعب الإيمان ٢١٧/١

= (٢) هو أبو عَلِيّ الفُضَيْل بن عياض بن مسعود بن بِشْر التّميميّ اليربُوعيّ ﷺ ، وُلِد بسَمَرْقَنْد سَنَة ١٠٥ هـ ، أخَذ عن الإمام جَعْفَر الصّادق والأعْمَش ويَحْيَى الأنصاريّ ، وأخَذ عنه السّريّ السّقطيّ والشّافعيّ وعبد الله بن المبارك .

قال عنه إبراهيم بن الأشعث : ما رَأيْتُ أحداً كان الله في صَدْره أعْظَم من الفضيل .

نظر ﷺ إلى رَجُل يَشْكُو الى رَجُل فقال : تَشْكُو مَن يَرْحَمك إلى مَن لا يَرْحَمك !

من أقواله ﷺ :

- لو قيل لي :" إنّ هارون الرّشيد داخِل عليك " فسَوَّيْتُ لِحْيَتي بيدي لِقُدُومه لَخَشِيتُ أنْ أُكْتَب في جريدة المنافِقين .

- إنّي لأعصي الله فأعْرِف ذلك في خُلُق حماري وخادمي .

- وعِزّتِه لو أدْخَلَني النّار فَصِرْتُ فيها ما أيِسْت .

- لَئِن أطْلُب الدُّنْيَا بطَبْل ومزمار أحَبّ إليّ من أنْ أطْلُبها بالعبادة .

- لو أنّ الدُّنْيَا بحذافيرها عُرِضَت عَلَيّ حلالاً لا أُحاسَب بها في الآخرة لَكُنْتُ أتَقَذّرها كما يَتَقَذّر أحدكم الجيفة إذا مَرّ بها أنْ تصيب ثوْبه .

- مَنْ عَرَف ما يَدْخُل جَوْفه كان عند الله صِدِّيقاً ، فانظر من أين يكون مَطْعَمك يا مسكين .

- حسناتك من عدوك أكْثَر منها من صديقك ؛ إنّ صَديقك إذا ذُكِرْتَ بيْن يديْه قال :" عافاه الله " ، وعدوك إذا ذُكِرْتَ بيْن يديْه يغتابك اللّيْل والنّهار ، وإنّما يَنْفَع المسكين حسناته إليك ، فلا تَرْضَ إذا ذُكِر بيْن يديْك أنْ تقول :" اللّهُمّ أهْلِكْه " لا ؛ بل ادْعُ الله :" اللّهُمّ أصْلِحْه .. اللّهُمّ راجِعْ به " ويكون الله يعطيك أجْر ما دَعَوْتَ بـه " فإنّه مَن قال لِرَجُل :" اللّهُمّ أهْلِكْه " فقدْ أعْطَى الشّيْطان سؤاله ؛ لأنّ الشّيْطان إنّما يَثُور على هلاك الخَلْق .

- ما أطال عبْدٌ الأمل إلا أساء العمل .

- إنّ المؤمن إذا مات بكَتْ عليْه الأرض أربعين صباحا .

- مَن أحَبّ أنْ يُسْمَع كلامه إذا تَكَلّم فلَيْس بزاهد .

- مَن طَلَبَ أخاً بِلا عيْب صار بِلا أخ ، لا تؤاخِ مَن إذا غضب منْك كذب عليْك ، ليس بأخيك مَن إذا مَنَعْتَه شيئاً طلَبَه غضب منْك .

- بَطلَت الأخوّة اليوم ؛ كان الرّجُل يَحْفَظ أولاد أخيه من بَعْده ويَعُولهم حتّى يَبْلُغوا رُشْدهم كأنّهم أولاده .

- لا يَسْلَم لك قَلْبك حتّى لا تبالي من كُلّ الدُّنْيَا .

- أوْحَى الله تعالى إلى الجبال :(إنّي مُكَلّمٌ عَلَى وَاحِدٍ مِنْكُمْ نَبِيّا) فتَطاوَلَت الجبال وتَواضَع طور سيناء ، فكَلّم الله تعالى عليْه موسى عليْه الصّلاة والسّلام . =

- إذا وقَعَت الغيبة ارتَفَعَتِ الأُخُوّة .
- أهل الفَضل هُمْ أهل الفَضل ما لمْ يَرَوْا فَضلَهم .
- جَمَع اللهُ الشرَّ كلَّه في بيْت واحد وجَعَل مفتاحه الدُّنْيا ، وجَمَع الخَيْر كلَّه في بيْت واحد وجَعَل مفتاحه الزُّهد في الدُّنْيا .
- نظرُ المؤمن إلى المؤمن جلاء القَلْب ، ونظرُ الرَّجُل إلى صاحب البِدْعَة يُورِث العمى .
- لمْ يُدْرِك عندنا مَن أدرَك بكثرة صيام ولا صلاة ، وإنَّما أدرَك عندنا بسخاء الأنْفُس وسلامة الصدور والنُّصْح لِلأُمَّة .
- ما بكَتْ عَيْن عَبْدٍ قَطّ حتّى يَضَع الربّ عَزّ وجَلّ يده على قَلْبه ، ولا بكَتْ عَيْن عَبْدٍ قَطّ إلا مِن فَضل رحمة الله .
- مَن أحَبّ صاحب بدعة أحْبَط الله عمله وأخْرَج نور الإسلام مِن قَلْبه .
- لوْ أنّ أهل العِلْم زهدوا في الدُّنْيا لَخَضَعَتْ لهم رقاب الجبابرة وانْقَادَت النّاس لهم ، ولكنْ بذلوا عِلْمهم لأبناء الدُّنْيا ليصيبوا مِمّا في أيديهم ، فذَلُّوا وهانوا على النّاس .
- مِن علامة الزُّهّاد أنْ يفرحوا إذا وُصِفوا بالجهل عند الأمراء ومَن داناهم .
- واللهِ لئِنْ عَلِم الله منْك إخراج الآدميّين مِن قَلْبك حتّى لا يكون في قَلْبك مكان لِغيْره لمْ تسأله شيئاً إلا أعطاك .
- أبَى الله إلا أنْ يَجْعَل أرزاق المُتّقين مِن حيث لا يَحْتَسِبون .
- في الإنجيل مكتوب :(ابْنَ آدَمَ .. أطِعْنِي فِيمَا أمَرْتُكَ ، وَلاَ تُعَلِّمْنِي بِمَا يُصْلِحُك) .
- قال الله عَزّ وجَلّ :(إذَا عَصَانِي مَنْ يَعْرِفُنِي سَلَّطْتُ عَلَيْهِ مَنْ لاَ يَعْرِفُنِي) .
- ما يُؤمِّنك أنْ تَكون بارزْتَ الله تعالى بعمل مَقَتك عليه فأغْلَق دُونَك أبواب المغفرة وأنت تَضْحَك كيف ترى أنْ يكون حالك ؟!
- تَكَلَّمْتَ فيما لا يَعْنِيك فشَغَلَك عمّا يَعْنِيك ، ولوْ شَغَلك ما يَعْنِيك تَرَكْتَ ما لا يَعْنِيك .
- إنّما جُعِلَت العِلَل لِيُؤَدَّب بها العباد ، ليس كُلّ مَن مرض مات .
- أمْران لوْ لمْ نُعَذَّب إلا بهما لَكُنّا مُسْتَحِقّين بهما لِعذاب الله : أحدنا يُزاد الشّيْء مِن الدُّنْيا فيَفْرَح بها فرحاً ما عَلِم الله أنّه فَرِح بشيءٍ زاده قَطّ في دينه ، ويُنْقَص الشّيْء مِن الدُّنْيا فيَحْزَن ما عَلِم الله أنّه حَزِن على شيءٍ قَطّ نَقَصه في دينه .
- تَرْك العمل لأجْل النّاس هو الرِّياء ، والعمل لأجْل النّاس هو الشِّرْك ، والإخلاص أنْ يعافيك الله منْهما .
- بقَدْر ما يَصْغُر الذّنْب عندك يَعْظُم عند الله ، وبقَدْر ما يَعْظُم عندك يَصْغُر عند الله .
- إذا لمْ تَقْدِرْ على قيام اللّيْل وصيام النّهار فاعْلَمْ أنّك محرومٌ مُكَبَّلٌ ؛ كبَّلَتْك خطيئتك .

- - مَن عَظَّم صاحِب بِدْعَة فقدْ أعان على هدْم الإسلام ، ومَن تَبَسَّم في وجْه مُبْتَدِع فقد اسْتَخَفَّ بما أنْزَل الله عَزّ وجَلّ على محمد ﷺ ، ومَن زَوَّج كريمته من مُبْتَدِع فقدْ قَطَع رَحِمها ، ومَن تَبِع جنازة مُبْتَدِع لم يَزَلْ في سخط الله حتّى يَرْجع .

- إنّما الفقيه الذي أنْطَقَتْه الخشية وأسْكَتَتْه الخشية ، إنْ قال قال بالكتاب والسُّنّة ، وإنْ سَكَت سَكَت بالكتاب والسُّنّة ، وإن اشْتَبَه عليه شيء وقف عنده ورَدَّه إلى عالِمه .

- **خصلتان تُقَسِّيان القَلْب** : كَثْرَة الكلام ، وكَثْرَة الأكل .

- إذا عَلِمْتُمْ أنّ حاجة النّاس إليكم نعمة من الله عليكم فاحذروا أنْ تَمَلّوا النِّعَم فتصير نِقَما .

- العلماء كثير والحكماء قليل ، وإنّما يراد من العِلْم الحكمةَ ، فمَن أوتي الحكمة فقد أوتي خيْراً كثيرا .

- الْزَمْ طريق الهدى ولا يضرّك قلّة السّالكين ، وإيّاك وطريق البِدْعَة ولا يضرّك كثرة الهالكين .

- ما من لَيْلَة اخْتَلَط ظلامها وأرْخَى اللّيْل سِرْبال سترها إلا نادى الجليل جل جلاله :(مَنْ أعْظَمُ مِنّي جُوداً وَالْخَلائِقُ لي عَاصُونَ وَأنَا لَهُمْ مُرَاقِبٌ ! أكْلَؤُهُمْ فِي مَضَاجِعِهِمْ كَأنَّهُمْ لَمْ يَعْصُونِي ، وَأتَوَلّى حِفْظَهُمْ كَأنَّهُمْ لَمْ يُذْنِبُوا ، أجُودُ بِالْفَضْلِ عَلَى الْعَاصِي ، وَأتَفَضّلُ عَلَى الْمُسِيءِ .. مَنْ ذَا الّذِي دَعَانِي فَلَمْ أسْمَعْ إلَيْهِ ، أوْ مَنْ ذَا الّذِي سَألَنِي فَلَمْ أعْطِهِ ، أمْ مَنْ ذَا الّذِي أنَاخَ بِبَابِي وَنَحَّيْتُهُ .. أنَا الْفَضْلُ وَمِنّي الْفَضْلُ .. أنَا الْجَوَادُ وَمِنّي الْجُودُ .. أنَا الْكَرِيمُ وَمِنّي الْكَرَمُ ، وَمِنْ كَرَمِي أنْ أغْفِرَ لِلْعَاصِي بَعْدَ الْمَعَاصِي ، وَمِنْ كَرَمِي أنْ أعْطِيَ التّائِبَ كَأنَّهُ لَمْ يَعْصِنِي ، فَأيْنَ عَنّي تَهْرُبُ الْخَلائِقُ ! وَأيْنَ عَنْ بَابِي يَتَنَحّى الْعَاصُون !

- احفظ لسانك وأقْبِلْ على شانك واعرف زمانك وأخْفِ مكانك .

- مَن استَوْحَش من الوحْدة واستأنس بالنّاس لم يَسْلَم من الرِّيَاء .

- إذا أبْغَض الله عبداً وَسّع عليه دُنْيَاه وشَغَله بها عنه .

- لو كانَت الدُّنْيَا من ذهبٍ يَفْنَى والآخرة من خزفٍ يَبْقَى لَكان يَنْبَغِي لنا أنْ نختار خزفاً يَبْقَى على ذهبٍ يَفْنَى ، فكيف وقدِ اخْتَرْنَا خزفاً يَفْنَى على ذهبٍ يَبْقَى .

تُوُفِّي ﷺ بالحَرَم الشريف سَنَة ١٨٧ هـ .

(٣) هو أبو نصر بِشْر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء الحافي المروزيّ البغداديّ ﷺ ، وُلِد بمرْو سَنَة ١٥٢ هـ ، أخَذ عن ابن المبارك ومالك والفُضَيْل بن عياض ، وأخَذ عنه السّريّ السّقطيّ وأبو عبد الله بن الجلاّء ومحمد بن المثنّى السّمسار .

قال عنه الخَضِر ﷺ : لم يُخْلَق بَعْده مِثْله .. انظر الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /١٩

من أقواله ﷺ :

- إنّي أُجِلّ الله تعالى أنْ أذْكُرَه عند مَن لا يَعْرِفه ولا يَتَعَرّفه .

- سيأتي على النّاس زمان تَكون الدَّوْلَة فيه لِلحَمْقَى والأراذل على أهْل العقول الأكابر . -

- لا يَحْمِل الحلال السَّرَف .
- مَن سأل الله الدُّنْيَا فقدْ سأله طول الوقوف .
- صُحْبَة الأشرار تورث سوء الظَّنّ بالأخيار ، وصُحْبَة الأخيار تُورِث حُسْن الظَّنّ بالأشرار .
- ما خَلَّف رَجُل في بيته أفْضَل من رَكْعَتَيْن يُصَلِّيهما .
- إذا اهْتَمَمْتَ لِغلاء السِّعْر فاذكر الموت ؛ فإنّه يُذهِب عنك هَمّ الغلاء .
- لا يَجِد حلاوة الآخرة رَجُل يُحِبّ أنْ يَعْرِفه النّاس .
- أمْس قدْ مات ، واليوم في السِّياق ، وغداً لم يولَد .
- إذا أعْجَبَك الكلام فاصمُتْ ، وإذا أعْجَبَك الصَّمْت فتَكَلَّم .
- لا يفلح مَن أَلِف أفخاذ النِّساء .
- الصَّبْر الجميل : الذي لا شكوى فيه لِلنّاس .
- التَّكَبُّر على المُتَكَبِّر من التَّوَاضُع .

تُوُفِّي ﷺ ببغداد سنَة ٢٢٧ هـ .

(٤) انظر الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /١٥٣

الكَنْزُ التَّاسِعُ

قَوْلُ أُسْتَاذِنَا :" فَلَوْ جَرَّعْتَنِي كُؤُوسَ المَنِيَّةِ لَشَرِبْتُهَا "

دليلٌ علـى إثبـاتِ ولايتِـهِ ؛ إذْ مَنْ ثَبَتَتْ ولايَتُـهُ لاَ يكْرَهُ المَوْتَ (١) ، وهَذَا ميزانٌ أعْطَاهُ اللهُ لِلْمُرِيدِ لِيَزِنَ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ إذَا ادَّعَى فيهِ أوِ ادَّعَى ولايـةَ اللـهِ ؛ فإنَّ مِنْ شأنِ النَّفْسِ وجودَ الدَّعْوَى والتَّوَثُّبَ إلـى المراتِبِ العَلِيَّةِ مِنْ غَيْرِ أنْ تَسْلُكَ السَّبِيلَ المُوصِلـةَ إليْهَـا ، ولِهَذَا قـالَ سُبْحَانَه ﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَـوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِين ﴾ (٢) وقال ﴿ قُـلْ هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِين ﴾ (٣) ، ولاَ يُحبُّ المَوْتَ مَنْ فيهِ البَقَايَا ولاَ مَنْ هُوَ مُصِرٌّ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الخَطَايَا .

وجَعَلَ اللهُ تَمَنِّي المَوْتِ شاهِداً لِلْوَلِيِّ بولايَتِهِ وعَدَمَ تَمَنِّيهِ شاهِداً لِلْغَـوِيِّ عَلَـى غِوايَتِهِ ؛ قالَ سُبْحَانَه ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ ﴾ (٤) ..

والمَوْتُ ميزانٌ في دائرةِ الرُّتَبِ وعلى الأفعالِ والأحوالِ ..

أمَّا الرُّتَبُ : فلأنَّ الوَلِيَّ عَلَى الحقيقةِ لاَ يكْرَهُ المَوْتَ إنْ عُرِضَ عليهِ ؛ لأنَّـهُ ذاقَ أُنْسَ مَـوْلاَهُ فـأحَبَّ لِقـاءَهُ ؛ قـالَ تَبَـارَكَ وتعـالى ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّـٰهُمُ الْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِين ﴾ (٥) (٦) ..

قـالَ القُشَيْرِيُّ فـي بـابِ أحوالِهِمْ عِنْدَ الخُـروجِ مِـنَ الدُّنْيَـا :" يَعْنِـي : طَيِّبَـةً نُفُوسُهُمْ بِبَذْلِهِمْ مُهَجَهُمْ ، لاَ يَثْقُلُ عَلَيْهِمْ رُجوعُهُمْ إلى مَوْلاَهُمْ " (٧) .

قالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ الله وَجْهَه (٨) :" لاَ أُبَالِي سَقَطْتُ عَلَى المَـوْتِ أوْ سَـقَطَ المَـوْتُ

---

(١) من أقوال سيّدي أبي الحَسَن الشّاذليّ ﷺ .. انظر : دُرّة الأسرار /٢١٢ وطبقات الشّعرانيّ /٣٧٨

(٢) سورة البقرة من الآية ٩٤ ، سورة الجمعة من الآية ٦

(٣) سورة النّمل من الآية ٦٤

(٤) سورة الرّحمَن من الآية ٩

(٥) سورة النّحل من الآية ٣٢

(٦) انظر لطائف المِنَن /٣٧

(٧) الرّسالة القُشَيْرِيّة /٢٣٥

(٨) هو أبو الحَسَن سيّدنا عَلِيّ بن أبي طالب بن عبد المطّلب الهاشميّ القُرَشيّ كَرّم الله وجهه ، ابن عمّ النّبيّ ﷺ وأوّل مَن آمَن به بَعْد السّيّدة خديجة رضي الله عنها ، ورابع الخلفاء الرّاشدين ، كَنّاه النّبيّ ﷺ " أبا تراب " فكانت أحَبّ الكُنَى إليه .

- قال له ﷺ ﴿ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى غَيْرَ أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي ﴾ ، وقال ﴿ مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَه ﴾ ، وقال ﴿ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ .. أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدا ﴾ قالوا :" بَلَى يَا رَسُولَ اللَّه " قال ﴿ هَذَا عَلِيٌّ ، فَأَحِبُّوهُ بِحُبِّي ، وَأَكْرِمُوهُ بِكَرَامَتِي ؛ فَإِنَّ جِبْرِيلَ أَمَرَنِي بِالَّذِي قُلْتُ لَكُمْ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴾ (أخرجه أبو نُعَيم ٦٣/١ والطبراني ٨٨/٣ عن سيِّدنا الحَسَن بن عَلِيّ رضي الله عنهما) ، وقال ﷺ ﴿ يَا أَبَا بَرْزَةَ .. إِنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ عَهِدَ إِلَيَّ عَهْداً فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ :(إِنَّهُ رَايَةُ الْهُدَى وَمَنَارُ الإِيمَانِ وَإِمَامُ أَوْلِيَائِي وَنُورُ جَمِيعِ مَنْ أَطَاعَنِي) ، يَا أَبَا بَرْزَةَ .. عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِينِي غداً فِي الْقِيَامَةِ وَصَاحِبُ رَايَتِي فِي الْقِيَامَةِ عَلَى مَفَاتِيحِ خَزَائِنِ رَحْمَةِ رَبِّي ﴾ (أخرجه أبو نُعَيم ٦٦/١ عن سيِّدنا أنس ﷺ ، والدَّيْلَمِيّ ٣٦٧/٥ عن سيِّدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما) وقال ﷺ ﴿ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَهِدَ إِلَيَّ عَهْداً فِي عَلِيٍّ ، فَقُلْتُ :" يَا رَبِّ .. بَيِّنْهُ لِي " فَقَالَ :(اسْمَع) فَقُلْتُ :" سَمِعْتُ " فَقَالَ :(إِنَّ عَلِيّاً رَايَةُ الْهُدَى وَإِمَامُ أَوْلِيَائِي وَنُورُ مَنْ أَطَاعَنِي ، وَهُوَ الْكَلِمَةُ الَّتِي أَلْزَمْتُهَا الْمُتَّقِينَ ، مَنْ أَحَبَّهُ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَبْغَضَهُ أَبْغَضَنِي ، فَبَشِّرْهُ بِذَلِكَ) ﴾ (أخرجه أبو نُعَيم ٦٦/١ عن سيِّدنا أبي برزة ﷺ) .

ضرب ﷺ بيده زانياً فأوْجَعه إيجاعاً شديداً ، فقال له عَمّ المضروب :" بعضَ هذا الضَّرْب ؛ فقدْ قَتَلْتَه ! " فقال : إِنَّهُ وَتَرَ مَنْ وَلَدَهَا مِنْ قِبَلِ أَبِيهَا وَأُمِّهَا مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّالِحِينَ إِلَى آدَم ..

قال الرِّيَاشِيُّ : فكُنْتُ أعْجَب من شِنْعة حدّ الرَّجْم ، فلَمّا سَمِعْتُ شِنْعة الذَّنْب هان عَلَيّ الحدّ .

دَعَا كَرَّم الله وَجْهه غلاماً فلمْ يُجِبْه ، فدَعَاه ثانياً وثالثاً فلمْ يُجِبْه ، فقام إليْه فرآه مُضْجِعاً فقال :" أَمَا تَسْمَعُ يَا غُلاَم ؟! " فقال :" نَعَمْ " قال :" فَمَا حَمَلَكَ عَلَى تَرْكِ جَوَابِي ؟! " فقال :" أَمِنْتُ عقوبتَكَ فتكاسلْتُ " فقال ﷺ : امْضِ فَأَنْتَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى .. الرِّسالة القُشَيْرِيّة /١٩٠

وبكى ﷺ يوماً فسُئِل عنْ ذلك فقال : لَمْ يَأْتِنِي ضَيْفٌ مُنْذُ سَبْعَةِ أَيَّامٍ ، وَأَخَافُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَهَانَنِي .. الرِّسالة القُشَيْرِيّة /١٩٦

وسَمِع كَرَّم الله وَجْهه صَوْت ناقوس فقال لأصحابه :" أَتَدْرُونَ مَا يَقُولُ هَذَا ؟ " قالوا :" لا " قال : إِنَّهُ يَقُولُ : سُبْحَانَ اللَّهِ حَقّاً حَقّا .. إِنَّ الْمَوْلَى صَمَدٌ يَبْقَى .. الرِّسالة القُشَيْرِيّة /٢٧١

وقيل له :" مَالَكَ أَكْثَرُ أصحاب رسول الله ﷺ حديثاً ؟ " فقال ﷺ : إِنِّي كُنْتُ إِذَا سَأَلْتُهُ أَنْبَأَنِي ، وَإِذَا سكَتُّ ابْتَدَأَنِي .

وقال رجل له :" ما تقول في القَدَر ؟ " فقال ﷺ :" وَيْحَكَ ! أَخْبِرْنِي عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ أَكَانَتْ قَبْلَ طَاعَةِ الْعِبَادِ ؟ " قال :" نَعَمْ " قال ﷺ :" أَسْلَمَ صَاحِبُكُمْ وَقَدْ كَانَ كَافِرا " فقال الرَّجُل له :" أَلَيْس بالمشيئة الأولى التي أنْشأني بها أقُوم وأقْعُد وأقْبِض وأبْسُط ؟ " قال له ﷺ :" إِنَّكَ بَعْدُ فِي الْمَشِيئَةِ .. -

- أَمَا إِنِّي أَسْأَلُكَ عَنْ ثَلاَثٍ ، فَإِنْ قُلْتَ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ :" لاَ " كَفَرْتَ ، وَإِنْ قُلْتَ :" نَعَمْ " فَأَنْتَ أَنْتَ " فَمَدَّ الْقَوْمُ أَعْنَاقَهُمْ لِيَسْمَعُوا ، فقال ﷺ :" أَخْبِرْنِي عَنْكَ ؛ أَخَلَقَكَ اللَّهُ كَمَا شِئْتَ أَوْ كَمَا شَاء ؟ " قال : " بلْ كما شاء " قال :" فَخَلَقَكَ اللَّهُ لِمَا شِئْتَ أَوْ لِمَا شَاء ؟ " قال :" بلْ لِمَا شاء " قال :" فَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَأْتِيهِ بِمَا شِئْتَ أَوْ بِمَا شَاء ؟ " قالَ :" بلْ بما شاءَ " قالَ ﷺ : قُمْ فَلاَ مَشِيئَةَ لَك .

وسُئِل ﷺ :" أينَ د[illegible]بُنا قبلَ أنْ يخلقَ السَّمَاءَ و الأرضَ ؟ " فقال : " أَيْنَ " تُوجِبُ الْمَكَان ، وكَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلاَ مكَان .

وسُئِل ﷺ :" كَمْ بَيْن المَشْرِق والمَغْرِب ؟ " فقال :" مَسِيرَةُ يَوْمِ الشَّمْس " فقيل :" فكَمْ بَيْن السَّمَاء والأرض ؟ " فقال كَرَّم الله وَجْهَه : مَسِيرَةُ سَاعَةٍ لِدَعْوَةٍ مُسْتَجَابَة .

كان ﷺ يَوْم بَدْر مُعْلَماً بِصُوفَة بيضاء .. طبقات ابن سعد ٢٢/٣

من أقواله ﷺ :

- لَوْ شِئْتُ لَأَوْقَرْتُ لَكُمْ ثَمَانِينَ بَعِيراً مِنْ مَعَانِي الْبَاء .

- إِنَّ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ ، وَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا ، هَاهْ هَاهْ .. إِنَّ هَاهُنَا (وأشارَ بيدِهِ إلى صدرِه) عِلْماً لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَة .

- وَاللَّهِ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ إِلاَّ وَقَدْ عَلِمْتُ فِيمَا نَزَلَتْ وَأَيْنَ نَزَلَتْ وَعَلَى مَنْ نَزَلَتْ ، إِنَّ رَبِّي وَهَبَ لِي قَلْباً عَقُولاً وَلِسَاناً طَلِقا .

- مَا أَنَا وَنَفْسِي إِلاَّ كَرَاعِي غَنَمٍ ؛ كُلَّمَا ضَمَّهَا مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ ، وَمَنْ أَمَاتَ نَفْسَهُ يُلَفُّ فِي كَفَنِ الرَّحْمَةِ وَيُدْفَنُ فِي أَرْضِ الْكَرَامَةِ ، وَمَنْ أَمَاتَ قَلْبَهُ يَمُوتُ فِي كَفَنِ اللَّعْنَةِ وَيُدْفَنُ فِي أَرْضِ الْعُقُوبَة .

- سَيِّئَةٌ تَسُوءُكَ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ حَسَنَةٍ تُعْجِبُك .

- النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا .

- إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيماً فَتَحَلَّمْ ؛ فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إِلاَّ أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُم .

- أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَهَانَ بِهِ صَاحِبُه .

- مَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّه .

- مَا أَحْسَنَ تَوَاضُعَ الأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ طَلَباً لِمَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَأَحْسَنُ مِنْهُ تِيهُ الْفُقَرَاءِ عَلَى الأَغْنِيَاءِ اتِّكَالاً عَلَى اللَّه .

- إِنَّ الْمَرْءَ يَسُرُّهُ إِدْرَاكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ ، وَيَسُوءُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ ، فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ أَمْرِ آخِرَتِكَ ، وَلْيَكُنْ أَسَفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا ، وَمَا نِلْتَ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكَ فَلاَ تَكُنْ بِهِ فَرِحاً ، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلاَ تَأْسَ عَلَيْهِ جَزِعاً ، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ مَا بَعْدَ الْمَوْت .

- إِذَا أَقْبَلَتْ عَلَيْكَ الدُّنْيَا فَأَنْفِقْ مِنْهَا ؛ فَإِنَّهَا لاَ تَفْنَى ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْكَ فَأَنْفِقْ مِنْهَا ؛ فَإِنَّهَا لاَ تَبْقَى . -

- أَعْلَمُ النَّاسِ بِاللَّهِ أَشَدُّهُمْ حُبّاً وَتَعْظِيماً لِأَهْلِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّه .
- لَيْسَ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ ، وَلَكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَيَعْظُمَ حِلْمُكَ ، وَأَنْ لاَ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ ، وَإِذَا أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ اللَّهَ تَعَالَى ، وَإِذَا أَسَأْتَ اسْتَغْفَرْتَ اللَّهَ تَعَالَى .
- أَنْعِمْ عَلَى مَنْ شِئْتَ تَكُنْ أَمِيرَهُ ، وَاسْتَغْنِ عَمَّنْ شِئْتَ تَكُنْ نَظِيرَهُ ، وَاحْتَجْ إِلَى مَنْ شِئْتَ تَكُنْ أَسِيرَه .
- لاَ مَالَ أَعْوَدُ مِنْ عَقْلٍ ، وَلاَ فَقْرَ أَضَرُّ مِنْ جَهْلٍ .
- لاَ تَخْلُو الأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ بِحُجَّةِ اللَّهِ ، إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً أَوْ خَائِفاً مَغْمُوراً ؛ لِئَلاَّ تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ ، وَكَمْ ذَا وَأَيْنَ ؟ أُولَئِكَ وَاللَّهِ الأَقَلُّونَ عَدَداً وَالأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْراً ، بِهِمْ يَحْفَظُ اللَّهُ حُجَجَهُ حَتَّى يُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الإِيمَانِ حَتَّى بَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ ، فَاسْتَلاَنُوا مَا اسْتَخْشَنَ الْمُتْرَفُونَ ، وَأَنِسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ ، وَصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالرَّفِيقِ الأَعْلَى .. أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَالدُّعَاةُ إِلَى دِينِه .
- مَنْ رَجَا شَيْئاً طَلَبَهُ ، وَمَنْ خَافَ شَيْئاً هَرَبَ مِنْه .
- اعْلَمْ يَا وَلَدِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْفَى رِضَاهُ فِي طَاعَتِهِ ، وَأَخْفَى سَخَطَهُ فِي مَعْصِيَتِهِ ، وَأَخْفَى أَوْلِيَاءَهُ فِي عِبَادِهِ ، فَلاَ تَسْتَصْغِرَنَّ مِنَ الطَّاعَةِ شَيْئاً ؛ فَرُبَّمَا كَانَ رِضَا الْحَقِّ فِي ذَلِكَ ، وَلاَ تَسْتَصْغِرَنَّ مِنَ الْمَعْصِيَةِ شَيْئاً ؛ فَرُبَّمَا كَانَ سَخَطُ الْحَقِّ فِي ذَلِكَ ، وَلاَ تَحْتَقِرَنَّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَحَداً ؛ فَرُبَّمَا كَانَ وَلِيّاً لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .
- مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ ؛ لَيِّنٌ مَسُّهَا ، وَقَتَّالٌ بِسُمِّهَا .
- قِيمَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ مَا يُحْسِن .
- مَنْ فَهِمَ الْقُرْآنَ فَسَّرَ بِهِ جُمَلَ الْعِلْم .
- الرِّزْقُ رِزْقَانِ : فَرِزْقٌ تَطْلُبُهُ ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ ، فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاك .
- لاَ ظَفَرَ مَعَ الْبَغْيِ .. لاَ ثَنَاءَ مَعَ الْكِبْرِ .. لاَ بِرَّ مَعَ الشُّحِّ .. لاَ صِحَّةَ مَعَ الْهَمِّ .. لاَ شَرَفَ مَعَ سُوءِ الأَدَبِ .. لاَ اجْتِنَابَ لِمُحَرَّمٍ مَعَ الْحِرْصِ .. لاَ رَاحَةَ مَعَ الْحَسَدِ .. لاَ سُؤْدَدَ مَعَ الانْتِقَامِ .. لاَ مَحَبَّةَ مَعَ الْمِرَاءِ .. لاَ صَوَابَ مَعَ تَرْكِ الْمَشُورَةِ .. لاَ مُرُوءَةَ لِكَذُوبٍ .. لاَ شَرَفَ أَعْلَى مِنَ الإِسْلاَمِ .. لاَ دَاءَ أَعْيَى مِنَ الْجَهْلِ .. لاَ مَرَضَ أَضْنَى مِنْ قِلَّةِ الْعَقْل .
- كَثْرَةُ الْوِفَاقِ نِفَاقٌ ، وَكَثْرَةُ الْخِلاَفِ شِقَاق .
- أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الأَطْمَاع .
- مَنْ لاَنَ عُودُهُ كَثُرَتْ أَغْصَانُه .
- إِذَا قَدَرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ فَاجْعَلِ الْعَفْوَ شُكْرَ الْقُدْرَةِ عَلَيْه .
- رَوِّحُوا الْقُلُوبَ ؛ فَإِنَّهَا إِذَا أُكْرِهَتْ عَمِيَت .
- مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً فِي قَلْبِهِ إِلاَّ ظَهَرَ عَلَيْهِ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ وَصَفَحَاتِ وَجْهِه .

- لاَ تَهتَمُّوا لِقِلَّةِ الْعَمَلِ ، وَاهتَمُّوا لِلْقَبُولِ .

- عَلَيكُمْ بِالإِخْوَانِ ؛ فَإِنَّهُمْ عُدَّةٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، أَلاَ تَسْمَعُ إِلَى قَولِ أَهلِ النَّارِ ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ .

- النَّاسُ نِيَامٌ ، فَإِذَا مَاتُوا انتَبَهُوا .

- النَّاسُ أَشْبَهُ بِزَمَانِهِمْ مِنْهُمْ بِآبَائِهِم .

- مَنْ عَذُبَ لِسَانُهُ كَثُرَ إِخْوَانُه .

- بَشِّرْ مَالَ الْبَخِيلِ بِحَادِثٍ أَوْ وَارِث .

- لاَ تَنْظُرْ إِلَى مَنْ قَالَ ، وَانْظُرْ إِلَى مَا قَال .

- لَأَنْ أَصِلَ أَخاً مِنْ إِخْوَانِي بِدِرْهَمٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِعِشْرِينَ دِرْهَم ، وَلَأَنْ أَصِلَهُ بِعِشْرِينَ دِرْهَماً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِمِائَةِ دِرْهَم .

- ثَلاَثٌ يُزِدْنَ فِي الْحِفْظِ وَيُذْهِبْنَ الْبَلْغَمَ : السِّوَاكُ ، وَالصِّيَامُ ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآن .

- مَنْ لاَنَتْ كَلِمَتُهُ وَجَبَتْ مَحَبَّتُه .

- حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ ؛ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُه ؟!

- الْفَقِيهُ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى ، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُمْ فِي مَعَاصِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

- أَوَّلُ عِوَضِ الْحَلِيمِ عَنْ حِلْمِهِ أَنَّ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَى الْجَاهِل .

- النَّاسُ ثَلاَثَةٌ : عَالِمٌ رَبَّانِيٌّ ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ ، وَهَمَجٌ رِعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَـاعِقٍ ، مَـعَ كُـلِّ رِيـحٍ يَمِيلُونَ ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ ، وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيق .

- الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ ؛ الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ ، وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ ، وَالْمَالُ تُنْقِصُهُ النَّفَقَةُ ، وَالْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الإِنْفَاقِ ، وَمَنْفَعَةُ الْمَالِ تَزُولُ بِزَوَالِه .

- مَنْ تَرَكَ اللَّحْمَ أَرْبَعِينَ يَوْماً سَاءَ خُلُقُهُ ، وَمَنْ دَاوَمَ عَلَيْهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً قَسَا قَلْبُه .

- لاَ تَقْطَعْ أَخَاكَ عَلَى ارْتِيَابٍ ، وَلاَ تَهْجُرْهُ دُونَ اسْتِعْتَاب .

- مَنْ حَلُمَ سَادَ ، وَمَنْ سَادَ اسْتَفَادَ ، وَمَنِ اسْتَحْيَا حُرِمَ ، وَمَنْ هَابَ خَابَ ، وَمَنْ طَلَبَ الرِّيَاسَةَ صَبَرَ عَلَى السِّيَاسَةِ ، وَمَنْ أَبْصَرَ عَيْبَ نَفْسِهِ عَمِيَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ ، وَمَنْ سَـلَّ سَيْفَ الْبَغْـيِ قُتِلَ بِـهِ ، وَمَنِ احْتَفَرَ لِأَخِيهِ بِئْراً وَقَعَ فِيهَا ، وَمَنْ نَسِيَ زَلَّتَهُ اسْتَعْظَمَ زَلَّـةَ غَيْرِهِ ، وَمَنْ هَتَكَ حِجَابَ غَيْرِهِ انْهَتَكَتْ عَوْرَاتُ بَيْتِهِ ، وَمَنْ كَابَرَ فِي الأُمُورِ عَطِبَ ، وَمَنِ اقْتَحَمَ اللُّجَجَ غَرِقَ ، وَمَنْ أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ ، وَمَنِ اسْتَغْنَى بِعَقْلِهِ زَلَّ ، وَمَنْ تَجَبَّرَ عَلَى النَّاسِ ذَلَّ ، وَمَنْ تَعَمَّقَ فِي الْعَمَلِ مَلَّ ، وَمَنْ صَاحَبَ الأَنْذَالَ حُقِّرَ وَمَنْ جَالَسَ الْعُلَمَاءَ وُقِّرَ ، وَمَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ اتُّهِمَ ، وَمَـنْ حَسُنَ خُلُقُـهُ سَهُلَتْ لَـهُ طُرُقُـهُ ، وَمَنْ حَسُنَ كَلاَمُهُ كَانَتِ الْهَيْبَةُ أَمَامَهُ ، وَمَنْ خَشِيَ اللهَ فَازَ ، وَمَنِ اسْتَقَادَ الْجَهْلَ تَرَكَ طَرِيقَ الْعَدْلِ ، وَمَنْ عَرَفَ أَجَلَهُ قَصُرَ أَمَلُه ..

عَلَيّ " (١) .

وقالَ عَمَّارُ بْنُ ياسرٍ رضيَ اللهُ عنْهُمَا (٢) بِصِفِّين :" الْآنَ أَلْقَى الْأَحِبَّةَ :

- ثُمَّ أَنْشَأَ يقول :

الْبَسْ أَخَاكَ عَلَى عُيُوبِهْ وَاسْتُرْ وَغَطِّ عَلَى ذُنُوبِهْ
وَاصْبِرْ عَلَى بُهَتِ السَّفِيـ ـهِ وَلِلزَّمَانِ عَلَى خُطُوبِهْ
وَدَعِ الْجَوَابَ تَفَضُّلاً وَكِلِ الظَّلُومَ إِلَى حَسِيبِهْ

- الدُّنْيَا جِيفَةٌ ، فَمَنْ أَرَادَ مِنْهَا شَيْئاً فَلْيَصْبِرْ عَلَى مُخَالَطَةِ الْكِلاَب .

- أُوصِيكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ ضُرِبَتْ عَلَيْهَا آبَاطُ الْإِبِلِ لَكَانَ قَلِيلاً : لاَ يَرْجُوَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ رَبَّهُ ، وَلاَ يَخَافَنَّ إِلاَّ ذَنْبَهُ ، وَلاَ يَسْتَحِي إِذَا سُئِلَ عَمَّا لاَ يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ " لاَ أَعْلَمُ " ، وَإِذَا لَمْ يَعْلَمِ الشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الصَّبْرَ مِنَ الإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّوْحِ مِنَ الْجَسَدِ ، فَإِذَا قُطِعَ الرَّأْسُ ذَهَبَ الْجَسَد .

- مَنْ أَرَادَ الْغِنَى بِغَيْرِ مَالٍ وَالْكَثْرَةَ بِلاَ عَشِيرَةٍ فَلْيَتَحَوَّلْ مِنْ ذُلِّ الْمَعْصِيَةِ إِلَى عِزِّ الطَّاعَةِ ؛ أَبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاه .

- لَوْ حَنَنْتُمْ حَنِينَ الْوَالِهِ الثَّكْلاَنِ وجَأَرْتُمْ جُؤَارَ مُبْتَلَى الرُّهْبَانِ ثُمَّ خَرَجْتُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلاَدِكُمْ فِي طَلَبِ الْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وابْتِغَاءِ رِضْوَانِهِ وَارْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ أَوْ غُفْرَانِ سَيِّئَةٍ كَانَ ذَلِكَ قَلِيلاً فِيمَا تَطْلُبُون .

- أَشَدُّ الْأَعْمَالِ ثَلاَثَةٌ : إِعْطَاءُ الْحَقِّ مِنْ نَفْسِكَ ، وَذِكْرُكَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَمُوَاسَاةُ الْأَخِ فِي الْمَال .

- الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عُرَاقِ الْخِنْزِيرِ بِيَدِ أَجْزَم .

قُتِل ﷺ بالكوفة سنَة ٤٠ هـ عنْ ٦٣ سنة ..

يروي صاحب " العقد الفريد " أنَّ سيِّدنا الحسَن بْن عَلِيّ رضي الله عنْهما لَمّا قُتِل أبوه قال : أيُّها النَّاسُ .. إنَّهُ قُبِضَ فِيكُمُ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ لَمْ يَسْبِقْهُ الأَوَّلُونَ وَلَمْ يُدْرِكْهُ الْآخِرُونَ ، قَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبْعَثُهُ فَيَكْتَنِفُهُ جِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِهِ وَمِيكَائِيلُ عَنْ شِمَالِهِ ، لاَ يَنْثَنِي حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لَهُ ، مَا تَرَكَ صَفْرَاءَ وَلاَ بَيْضَاءَ إِلاَّ سَبْعَمِائَةَ دِرْهَمٍ أَعَدَّهَا لِخَادِمٍ لَه .

(١) انظر فيْض القدير ٤/٤٧٤

(٢) هو أبو اليقظان سيِّدنا عمّار بن ياسر بن عمّار بن مالك رضي الله عنْهما ..

قال النَّبِيّ ﷺ ﴿ إِنَّ عَمَّاراً مُلِئَ إِيمَاناً إِلَى مُشَاشَتِهِ ﴾ ، وقال له ﴿ مَرْحَباً بِالطَّيِّبِ الْمُطَيَّب ﴾ ..

روى ابن عساكر أنّ المُشْرِكِين أحْرَقوه ﷺ بالنّار ، وكان النَّبِيّ ﷺ يمرّ به ويُمِرّ يدَه الشّريفة على رأسه ويقول ﴿ يَا نَارُ .. كُونِي بَرْداً وَسَلاَماً عَلَى عَمَّارٍ كَمَا كُنْتِ عَلَى إِبْرَاهِيم ﴾ .

ويَحكي ﷺ فيقول :" قَدْ قَاتَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الإِنْسَ وَالْجِنَّ " فقيل له : ما هذا ؟! قاتَلْتَ الإنس فكيف قاتَلْتَ الجنّ ؟! " قال : نَزَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنْزِلاً ، فَأَخَذْتُ قِرْبَتِي وَدَلْوِي لِأَسْتَقِيَ فَقَالَ لِي -

مُحَمَّداً وَحِزْبَه " (١) .

وقالَ حُذَيْفَةُ بْنُ اليمانِ رضيَ اللهُ عنْهُمَا (٢) حينَ احْتُضِر :" حَبِيبٌ جَاءَ عَلَى

= رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿ أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ آتٍ يَمْنَعُكَ مِنَ الْمَاء ﴾ ، فَلَمَّا كُنْتُ عَلَى رَأْسِ الْبِئْرِ إِذَا رَجُلٌ أَسْوَدُ كَأَنَّهُ مَرَسٌ فَقَالَ :" لاَ وَاللَّهِ لاَ تَسْتَقِي الْيَوْمَ مِنْهَا ذَنُوباً وَاحِداً " فَأَخَذْتُهُ وَأَخَذَنِي فَصَرَعْتُهُ ثُمَّ أَخَذْتُ حَجَراً فَكَسَرْتُ بِهِ أَنْفَهُ وَوَجْهَهُ ، ثُمَّ مَلأْتُ قِرْبَتِي فَأَتَيْتُ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَال ﴿ هَلْ أَتَاكَ عَلَى الْمَاء مِنْ أَحَد ﴾ فَقُلْتُ :" عَبْدٌ أَسْوَد " فَقَال ﴿ مَا صَنَعْتَ به ﴾ فَأَخْبَرْتُهُ ، قَال ﴿ أَتَدْرِي مَنْ هُو ﴾ قُلْتُ :" لاَ " قَال ﴿ ذَاكَ الشَّيْطَانُ جَاءَ يَمْنَعُكَ مِنَ الْمَاء ﴾ .. الطبقات الكبرى ٢٥١/٣ وسير أعلام النبلاء ٤١٢/١

ولَمّا بَنَى سَيِّدنا عبد الله بن مسعود ﷺ دارَه قال له ﷺ :" هَلُمَّ انْظُرْ إِلَى مَا بَنَيْت " فانْطَلَق معه فنظر إليه فقال : بَنَيْتَ شَدِيداً وَأَمَّلْتَ بَعِيداً وَتَمُوتُ قَرِيبا .

قُتِل ﷺ بصفّينَ سَنَة ٣٧ هـ عنْ ٩٣ سَنَة .

(١) انظر : الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٣٦ وحِلْيَة الأَوْلِياء ١٤٢/١ والمُنْتَظِم ١٤٨/٥ وصفة الصَّفْوَة ٤٤٦/١ والبداية والنِّهاية ٢٦٩/٧ وسِيَر أعلام النُّبَلاء ٤٢٥/١ وطبقات ابن سَعْد ٢٥٧/٣ وبغية الطَّلَب ٤٥٤٩/١٠

(٢) هو الصّحابيّ الجليل أبو عبد الله سَيِّدنا حذيفة بن اليمان حسيل بن جابر العبسيّ رضي الله عنهما صاحِب سِرّ رسول الله ﷺ ، وصاحِب السِّرّ المكنون في تمييز المنافقين ، وأعلَم الصّحابة بالفِتَن وحوادث آخر الزمان .

مِن أقواله ﷺ :

- لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يَنْجُو فِيهِ إِلاَّ مَنْ دَعَا بِدُعَاءِ كَدُعَاءِ الْغَرِيقِ .
- إِنَّ فِي الْقَبْرِ حِسَاباً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ حِسَاباً ، فَمَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّب .
- إِنَّ الْفِتْنَةَ تُعْرَضُ عَلَى الْقُلُوبِ ، فَأَيُّ قَلْبٍ أُنِسَ بِهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، فَإِنْ أَنْكَرَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاء .
- يَأْتِي زَمَانٌ عَلَى النَّاسِ لَأَنْ تَكُونَ فِيهِمْ جِيفَةُ حِمَارٍ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ مُؤْمِنٍ يَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ .
- سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُقَالُ لِلرَّجُلِ فِيهِ :" مَا أَظْرَفَهُ ! مَا أَعْقَلَهُ ! " وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَان .
- بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَخْشَى اللَّهَ ، وَبِحَسْبِهِ مِنَ الْكَذِبِ أَنْ يَقُولَ " أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ " ثُمَّ يَعُود .
- إِنَّ الرَّجُلَ لَيَدْخُلُ الْمُدْخَلَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِيهِ لِلَّهِ وَلاَ يَتَكَلَّمُ فَلاَ يَعُودُ قَلْبُهُ إِلَى مَا كَانَ أَبَدا .
- إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ أَنْ يُؤْثِرُوا مَا يَرَوْنَ عَلَى مَا يَعْلَمُونَ ، وَأَنْ يَضِلُّوا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُون .
- مَا مِنْ صَبَاحٍ وَلاَ مَسَاءٍ إِلاَّ وَمُنَادٍ يُنَادِي : يَا أَيُّهَا النَّاسُ .. الرَّحِيلَ الرَّحِيل .

فَاقَةٍ ، لاَ أَفْلَحَ مَنْ قَدْ نَدِم " (١) أيْ عَلَى المَوْت .

وآثارُ القَوْمِ في ذلكَ كثيرة .

وأمّا الأفْعَالُ والأحْوَالُ : فإذَا الْتَبَسَ عَلَيْكَ أمْرٌ أنتَ فيهِ لاَ تَدْرِي هَلْ قُمْتَ فيهِ بِحقٍّ أو بِهوىً ؟ فأوْرِدْ ذلكَ عَلَى مَا أنتَ فيهِ مِنْ أفْعَالٍ وأحْوَالٍ : فَكُلُّ عَمَلٍ وكُلُّ حالةٍ تَثْبُتُ مَعَ تَقْدِيرِ وُرُودِ المَوْتِ عَلَيْهَا ولَمْ تَنْهَزِمْ فهِيَ حقٌّ ، وكُلُّ عَمَلٍ وحالةٍ هَزَمَها المَوْتُ فهِي باطِلٌ ؛ إذِ المَوْتُ حقٌّ ، والحَقُّ يَهْزِمُ الباطِلَ ويَدْمَغُه ؛ قالَ عَزَّ وجَلَّ ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ (٢) ، ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (٣) ، ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٤) ، فَمَا كُنْتَ قائماً فيهِ بحقٍّ لَمْ يَهْزِمْهُ المَوْتُ ؛ إذْ هوَ حقٌّ ، والمَوْتُ حقٌّ ، والحَقُّ لا يَهزِمُ الحَقَّ (٥) .

ومِنْ ثَمَّ قيلَ : الذي يَقْرَأُ العِلْمَ للهِ هوَ الذي إذا قُلْتَ لهُ :" غَداً تَموتُ " لَمْ يَضعِ الكِتَابَ مِنْ يَدِه (٦) .

فإنْ قُلْتَ : صَحَّ في الخَبَرِ عنْ سَيِّدِ البَشَرِ ﷺ أنَّهُ قال ﴿ لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِه ﴾ (٧) ؟

= - أوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْخُشُوعُ ، وآخِرُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الصَّلاَة .

تُوُفِّي ﷺ بالمدائن سَنَة ٣٦ هـ .

(١) انظر : حِلْيَة الأوْلِيَاء ٢٨٢/١ وصفة الصَّفْوَة ٦١٠/١ والمُنْتَظِم ١٠٦/٥ وسِيَر أعلام النُبَلاء ٣٦٨/٢ ووصايا العلماء /٥٣ وبغية الطلب ٢١٧٣/٥

(٢) سورة الأنبياء من الآية ١٨

(٣) سورة سبأ الآية ٤٨

(٤) سورة الإسراء الآية ٨١

(٥) انظر لطائف المِنَن /٣٧

(٦) من كلام سَيِّدي ابن عطاء الله السكندريّ ﷺ .. انظر لطائف المِنَن /٣٨

(٧) أخْرَجه البخاريّ ٢٣٣٧/٥ ومُسْلِم ٢٠٦٤/٤ والتِّرْمذيّ ٣٠١/٣ والنَّسائيّ ٦٠٠/١ وفي عمل اليَوْم والليلة /٥٧٣ وابن ماجة ١٤٢٥/٢ وابن حبّان ٢٤٨/٣ وأحمد ١٠١/٣ وابن أبي شيبة ٤٤/٦ والبَيْهَقيّ في الشّعب ٢٣٨/٧ وأبو داود الطّيالسيّ /٢٦٨ وعبْد بن حميد /٤١١ والدَّيْلَميّ ١٢٧/٥ وابن عبد البرّ في التَّمْهيد ٢٧/١٨ والخطيب البغداديّ ٢٣٥/٥ وأبو يَعْلَى ٤٢٧/٥ وابن الجَعْد في مُسْنَده /٢١٦ والقضاعيّ في مُسْنَد الشّهاب ٨٦/٢ عن سَيِّدنا أنس ﷺ .

أُجيبُ : بأنَّ المُرادَ بالضُّرِّ في الحديثِ هُوَ الضُّرُّ الدُّنيويُّ ، أمَّا إذَا نَزَلَ بالمَرْءِ أمْرٌ دينيٌّ فيَجوزُ لهُ تَمَنِّيهِ ؛ خَوْفاً مِنْ تَطرُّقِ الخَلَلِ في الدِّينِ (١) ، على أنَّ ذلكَ لاَ يُنافِي ما نَقَلْنَاهُ مِنْ كلامِ القَوْمِ ، فلاَ ملامَ علَيْهِمْ ولاَ لَوْمَ .

---

(١) أقول : النَّهْي الوارد في الحديث عن تَمَنِّي الموت إنّما يَختَصّ بمَن نَزَلَتْ به مصيبة أو حَلّ به بلاء ففَزِع منْه حتّى تَمَنَّى المَوْت ضجراً أو يأساً أو طلباً لِلخلاص والفكاك مِمّا يعانيه ، أمّا مَن يَتَمَنَّى الموت شوقاً إلى لقاء الله أو إيثاراً لِمَا عنده على دُنْيَاه فإنّ هذا مِمَّا يُحِبّه الله ورسوله ويُقِرّه الشَّرْع الحنيف ، وقدْ ذَكَر الجلال الكركيّ نماذج لِمِثْل هؤلاء السّادة الذين كانت أرواحهم تَتُوق إلى الخروج من الدُّنْيَا لِلقاء الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ ..

وعلى هذا يُفَسَّر تَمَنِّي الحلاّج ﷺ لِلمَوْت كما ذَكَرْنَا من قَبْل .

وعلى هذا يُفَسَّر أيضاً ـ مع فَرْقٍ في في المُبْتَغَى من التَّمَنِّي بَيْنَه وبيْن الحلاّج ﷺ ـ قول الإمام فخر الدّين ﷺ :

أَقُولُ أُجِبْتُ وَمَا أَجَبْتُ لِطَالِبٍ أَقُولُ مُنَايَ وَلاَ أَقُولُ مَنِيَّتِي

الكَنْزُ العَاشِرُ

قَوْلُ أَسْتَاذِنَا " فَهُوَ المُرَادُ ، وأَنَا المُرِيدُ "

يَعْنِي : فهوَ مُرادِي ومَطْلُوبِي ، وأَنَا المُرِيدُ لَهُ ، لاَ يُفْهَمُ مِنْ كَلامِ الأُسْتَاذِ غيْرَ هذا بَعْدَ وُصولِهِ إلى المَقاماتِ التي تَضَمَّنَهَا كلامُهُ وهوَ ابْنُ ثلاثَةِ أعوامٍ ، فلاَ يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ المُرادَ بالمُرِيدِ في كلامِهِ المُرِيدُ (١) الذي فَرَّقَ الصُّوفِيَّةَ بَيْنَهُ وبَيْنَ المُرادِ ؛ حيثُ قالوا : المُرِيدُ هُوَ المُبْتَدِيءُ ، والمُرادُ هُوَ المُنْتَهِي (٢) ، وقَدْ نَقَلْنَا قِسْطاً مِنْ عِباراتِهِمْ في " نورِ الحَدَقِ في لبْسِ الخِرَقِ " .

(١) أقول : يَقْصِدِ الجلال الكركيّ التَّنْبيه على الفَرْق بيْن مريدين :

أولهما : الكامل من الأولياء المريد لِلحقّ تعالى الذي انتفت عنده كُلّ إرادة أو هوىً أو مَيْل أو شهوة أو رغبة فيما سِوَى الحقّ جَلّ وعَلاَ ، ولله درّ ابن الفارض إذ يقول في تائيّته :

ولوْ خَطَرَتْ لي في سِوَاك إرادةٌ على خاطِري سَهْواً قَضَيْتُ بِرِدَّتِي

ديوان ابن الفارض /٣٠

و سَيِّدي إبراهيم الدّسوقيّ ﷺ أحد هؤلاء السّادة الأكابر .

وثانيهما : السّائر إلى الله تعالى ، الذي أَسْلَم قِياده لِشيْخ يُرَبِّيه ويتعاهده ويُسَلِّكه في مَنازل السالكين ويَكُون مُعيناً ومُرْشِداً وظهيراً له في سَيْره وقاطعاً عنه عوائق وعلائق وعقبات الطّريق حتّى يَجْمَعه على رسول الله ﷺ .

(٢) وفي الفَرْق بيْن المُبْتَدِي والمُنْتَهِي يقول سَيِّدي إبراهيم الدّسوقيّ ﷺ : المُبْتَدِي يَكون مُجاهداً ، والمُنْتَهِي يَكون مشاهداً .. المُبْتَدِي خائف ، والمُنْتَهِي طائف .. المُبْتَدِي تائب دائب ، والمُنْتَهِي غائب المُبْتَدِي عَمّال بجسده ، والمُنْتَهِي جَمّال عمله بقَلْبه .. المُبْتَدِي محزون ، والمُنْتَهِي مسرور .. المُبْتَدِي باكٍ حيْران ، والمُنْتَهِي ضَحُوك مقرور العيْنَيْن .. المُبْتَدِي صائم قائم ، والمُنْتَهِي في بِحار القُرْب عائم المُبْتَدِي محجوب بأعماله ، والمُنْتَهِي مشغول بالنّظر إلى مشاهَدات جلاله .. هذا بالظّاهر يَجْرِي ، وهذا بالباطن يَسْرِي .. هذا محجوب ، وهذا محبوب .. المُبْتَدِي سكران ، والمُنْتَهِي صحوان .. المُبْتَدِي يَلْبس الخروق والدّلوق ، والمُنْتَهِي يَلْبس الخلوق .. المُبْتَدِي يَلْبس الصّوف ، والمُنْتَهِي يَلْبس ثَوْب الصّفَا .. هذا جهيد ، وهذا شهيد .. هذا مُمَزّق أثوابه ، وهذا مَزّق قَلْبه حُبّ أحبابه .. هذا أَنْحَل من السّقْم ، وهذا عَبْل من لطائف الكَرَم وواسع النِّعَم .. هذا بالظّاهر كَدُود ، وهذا بالباطن مُقَرَّب غيْر مبعود .. المُبْتَدِي يحاسِب نَفْسه على الذّرّ ، والمُنْتَهِي يحاسِب نَفْسَه في سِرّ السِّرّ .. المُبْتَدِي بالرِّياضة يَغْتَدِي ، والمُنْتَهِي بالإفاضة يَقْتَفِي ويَغْتَنِي .. المُبْتَدِي في الأحوال والأقوال ، والمُنْتَهِي تَعَدّى الأحوال والمقال وليس له مطلوب إلا ذو الجلال .. المُبْتَدِي تَرَقّى في الحَال إلى المقام ، والمُنْتَهِي طَوَى -

- المقامات والمَحَالّ ورأى كُلّ عارِض في الطّريق عاطِل (ألاَ كُلّ شيءٍ ما خَلاَ الله باطِل) .. هذا يَلْبس الخَشِن ويَحْمِله ، وهذا رقيق الثِّياب لا يَسْتَطيع حَمْله ؛ لأنّ المُبْتَدِي عذابه بجسده ، والمُنْتَهِي حالُه في قَلْبه ولُبّه ، فَقَلْبه أحْرَقَتْه نيران حُبّه وتجلِّيات استِنْزَالات موادّ أمداد مَدَد ربّه ، كيفا يَحْمِل مَن لا حِمْل حَمْله في قَلْبه ، ومَن حَمَل في قَلْبه فهو مُطَشّىً مُغَشّىً بالحرق والأرَق لا يَحْمِل مذاق ولا مارق ، وكيف واماء يزيد لهباً ، والنّسيم كُلّمَا هَبّ زاد تأجُّجاً وعجباً ..

وأرَقّ وأدَقّ مِن هذه الدّقيقة مَن اصْطَفَاه الله بحُبّه ؛ لِقوله تعالى ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ فحينئذٍ يخْرج مِن الحريق والشّهيق إلى درجة المُشاهَدة ، وأنْ يكون صِدِّيقاً ويَعُود مع مُقَلِّبه لا مع قَلْبه ، ومع محبوبه .. هذه درجة الواصلين الأقوياء مِن أُمّة مُحَمّد صلى الله عليْه وسلّم ورضي الله عن أصحابه أجمعين ..

هذا له أعمال ، وهذا له أحوال .. هذا مِن المُقَرّبين ، وهذا مِن المُخْتَصّين .. هذا في خَلْوته ، وهذا في جَلْوته .. هذا في عُزْلته ، وهذا في بَدَلِيّته وقُطْبِيّته .. هذا فريد ، وهذا وتيد .. هذا في الجَمْع مُخْتَلِي ، وهذا في الجمهور مُجْتَلِي وهو جليس وهو شهيد .. هذا فَرْد فريد وهو بيْن النّاس ، وهذا عنْهم بائِن وفي مَوْطِن القُرْب ساكِن .. المُبْتَدِي مُمْتَلِئ بيْن الجُلاّس ، والمُنْتَهِي يَفِرّ مِن المُخالَطة لِلنّاس لأنّه يُحِب العمارة والأساس .

الجَوْهَرَة المُضيّة /٢٧ ، ٢٨

الكَنْزُ الحادي عَشَرَ

لاَ يَسُوغُ إنْكَارُ مَا قِيلَ " إنَّ الأُسْتَاذَ - رحمةُ اللهِ عليْهِ - رَأَى مِنَ المَشْرِقِ إلى المَغْرِبِ وشاهَدَ مَا في العُلاَ وجُعِلَتِ الدُّنْيَا في يَدِهِ كأكرةِ الخاتمِ يُقَلِّبُها كَيْفَ يَشَاءُ بإذْنِ اللهِ (١) ؛ لأنَّ مشايخَ هذه الطَّريقةِ قالُوا : العارفُ يَرَى المَوْجُودَاتِ كُلَّها في كَفِّهِ كالخَرْدَلَةِ ، ومَا يَعْسُرُ عَلَيْهِ شيءٌ سِوَى مَقَامٍ أعْلَى مِنْ مَقَامِهِ .

ومِنْ ثَمَّ .. قالَ الأُسْتَاذُ :" فَكَمْ نَالَ أهْلُ الغَرامِ مِنَ الكَرامَاتِ الخَارِقَاتِ ،

(١) **أقول** : لا عَجَب ولا استِغْراب في أنْ تَكُونَ الدُّنْيَا كأكرة الخاتم في يد سَيِّدي إبراهيم ﷺ ..

فهذا مَلَك الموت عزرائيل عليه السلام يقول عنه مجاهد : حُوِيَتْ له الأرْض فجُعِلَت مِثْل الطِّسْت يَتناول منْها حيث يشاء .. انظر : تفسير الطَّبريّ ٩٨/٢١ والعظمة لأبي الشَّيْخ ٨٩٤/٣ وتفسير ابن كثير ٤٥٩/٣ والدرّ المنثور ٥٤٣/٦

قال ابن كثير : رواه زهير بن مُحَمَّد عن النَّبيّ ﷺ بنَحْوه مُرْسَلاً ، وقاله ابن عبّاس رضي الله عنهما .

وفي حديث الإسراء عن النَّبيّ ﷺ قال ﴿ مَرَرْتُ عَلَى مَلَكٍ آخَرَ جَالِسٍ عَلَى كُرْسِيٍّ ، إذَا جَمِيعُ الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ ، وَبِيَدِهِ لَوْحٌ مَكْتُوبٌ يَنْظُرُ فِيهِ ، لاَ يَلْتَفِتُ يَمِيناً وَلاَ شِمَالاً ، فَقُلْتُ :" يَا جِبْرِيلُ .. مَنْ هَذَا " قَالَ :" هَذَا مَلَكُ الْمَوْتِ " فَقُلْتُ :" يَا مَلَكَ الْمَوْتِ .. كَيْفَ تَقْدِرُ عَلَى قَبْضِ جَمِيعِ أَرْوَاحِ مَنْ فِي الْأَرْضِ بَرِّهَا وَبَحْرِهَا " قَالَ : أَلاَ تَرَى أَنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا بَيْنَ رُكْبَتَيَّ ، وَجَمِيعُ الْخَلاَئِقِ بَيْنَ عَيْنَيَّ ، وَيَدَايَ تَبْلُغَانِ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ ، فَإِذَا نَفِدَ أَجَلُ عَبْدٍ نَظَرْتُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَرَفَ أَعْوَانِي مِنَ الْمَلاَئِكَةِ أَنَّهُ مَقْبُوضٌ ، غَدَوْا فَبَطَشُوا يُعَالِجُونَ نَزْعَ رُوحِهِ ، فَإِذَا بَلَغُوا بِالرُّوحِ الْحُلْقُومَ عَلِمْتُ ذَلِكَ فَلَمْ يَخْفَ عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ مَدَدْتُ يَدِي فَأَنْزِعُهُ مِنْ جَسَدِهِ وَأَلِي قَبْضَه ﴾ ..

التَّذْكِرة لِلقُرْطُبِيّ /٦٢ وانظر العظمة لأبي الشَّيْخ ٩١٠/٣

وذَكَر عكرمة عن كَعْب أنّه قرأ في بعض صُحُف شيث أنّ سَيِّدنا آدم عليه السلام رَأى عزرائيل عليه السلام ووَصَفه بقوله : ... وَإِذَا بَيْنَ يَدَيْهِ الأَرْضُ بِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجِبَالِ وَالسُّهُولِ وَالْغِيَاضِ وَالْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالدَّوَابِّ وَمَا أَحَاطَ بِهَا مِنَ الْبِحَارِ وَمَا عَلاَهَا مِنَ الأَجْوَاءِ فِي ثَغْرَةِ نَحْرِهِ كَالْخَرْدَلَةِ فِي فَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ .. تَذْكِرة القُرْطبِيّ /٦٤ والنّصائح لابن ظفر الواعظ /٥٤ وانظر العظمة لأبي الشَّيْخ ٩٤٣/٣

فإذا جاز أنْ يُعْطِي الله مَلَك المَوْت ذلك لِقَبْض الأرواح جاز من باب أوْلى أنْ يُعْطيه – بلْ وأكْثر منه - بعض أوليائه الذين يَمُنّ عليهم بذلك لِيَقوموا بتنفيذ إرادته في خَلْقه ؛ شأنهم في ذلك شأن عزرائيل وميكائيل وغيرهم من الملائكة الذين أوكل الله إليهم القيام بأعمال تَقْتَضي أنْ تَكون الدُّنْيَا في أيديهم كالحلقة أو كالكُرّة يُقَلِّبونها كيف يشاءون .

وأهْلُ الصفَا وَالصِّدْقِ نَالُوا الحَظَواتِ ، ثُمَّ إنَّ أهْلَ التَّمكينِ والقُرْبِ الدُّنْيَا كَحلقةٍ بَيْنَ أعْيُنِهِمْ : فقَوْمٌ يَمْشُونَ إلى الأقطارِ والدِّيارِ ، وقَوْمٌ تأتي إلَيْهِمُ الأقطارُ والدِّيَار " (١) .

وقالَ ﷺ :

ألاَ إنَّنَا مِنْ مَعْشَرٍ سَبقَتْ لَهُمْ ... أيادٍ مِنَ الحُسْنَى فَعُوفُوا مِنَ الجَهْلِ
ولَمْ يَنْظُرُوا يَوْماً إلَى شَيْءٍ مُحَرَّمٍ ... ولَمْ يَعْمَلُوا غَيْرَ التُّقَى في الفِعْلِ
نُعايِنُ مَا فَوْقَ السَّماواتِ كُلِّهَا ... مُعَايَنَةَ الأشْخَاصِ لِلْحَوْهَرِ المَجْلِي
ونَعْلَمُ مَا كُنَّا ومِنْ أيْنَ بَدْأُنَا ... وما نَحْنُ بالتَّصْويرِ في عالَمِ الشَّكْلِ
وإنَّا وإنْ كُنَّا عَلَى عالَمِ الثَّرَى ... فَأرْوَاحُنَا في عالَمِ الغَيْبِ تَسْتَعْلِي
ومَا صَعَدَتْ كَيْ تَخْتَبِرَهُ وإنَّمَا ... رَأتْ ذاتَهَا في النُّورِ فِي العالَمِ العُلْوِي
فلَمْ تَرْضَ بالدُّنْيَا مقاماً وآثَرَتْ ... حقيقةَ مَمْثُولٍ وجَلَّتْ عنِ المِثْلِ
وفينَا مِنَ التَّوْحِيدِ والعَقْلُ شاهِدٌ ... عَرَفْنَاهُ والتَّوْحِيدُ يُشْهَدُ بالعَقْلِ (٢)

قالَ أبُو العبّاس المُرْسِيُّ :" استَنَارَ قَلْبِي يَوْماً فكُنْتُ أشْهَدُ مَلَكُوتَ السَّمَاواتِ والأرضِينَ السَّبْعِ ، فَوَقَعَتْ مِنِّي هَفْوَةٌ فَحُجِبْتُ عَنْ شُهُودِ ذلكَ ، فعَجِبْتُ كَيْفَ حَجَبَنِي هَذَا الأمْرُ الصَّغِيرُ عنْ هَذَا الأمْرِ الكَبِيرِ ، فإذَا بِهاتِفٍ عَلِيٍّ يقولُ لِي : (البَصِيرةُ كَالْبَصَرِ ؛ أدْنَى شَيْءٍ يَحِلُّ فِيهَا يُعَطِّلُ النَّظَر) (٣) .

وقالَ المُرْسِيُّ :" جُلْتُ في مَلَكُوتِ اللهِ فرَأيْتُ أبَا مَدْيَنَ (٤) مُتَعلِّقاً بِساقِ

(١) الجَوْهَرة المُضيَّة /٢٨٩

(٢) وَرَدَتْ هذه الأبيات في الجَوْهَرة المُضيَّة /٥٣ وجَوْهَرة التّسوتيّ /٣٤ على أنّها مِن نَظْم بعض المُتَقَدِّمين ، لا على أنّها مِن نَظْم سَيِّدي إبراهيم ﷺ .

(٣) انظر لطائف المِنَن /٦٢

(٤) هو أبو مَدْيَن شُعَيْب بن الحُسَيْن الأندلسيّ المالكيّ ، لَقَّبه الشَّيْخ مُحْيِي الدِّين بْن عربيّ بـ" شَيْخ الشُّيُوخ " ، وُلِد بقطينانة بالقُرْب من أشبيليّة ، تَتَلْمَذ على يَدَيْه ألْف شَيْخٍ من الأولياء ، أخَذ عن الشَّيْخ عبد القادر الجيلانيّ وعبد الرحمن بن حجون المغربيّ وأبي يعزى ، وأخَذ عنه أبو عبْد الله القرشيّ ومُحْيِي الدِّين بن عربيّ وعبد السلام بن بشيش .

يَحكِي ﷺ عن بدايته مع شَيْخه أبي يعزى ﷺ فيقول : قَصَدْتُه مع جماعة الفقراء ، فلمّا وَصَلْنَا إليه أقْبَل على الجماعة دوني ، وإذا حضر الطَّعام مَنَعَني من الأكل معهم ، وبقيتُ كذلك ثلاثة أيّام =

- فأجْهَدني الجوع وتَحيَّرْتُ من خواطر تَرِد عليّ ، ثُمّ قُلْتُ في نَفْسي : إذا قام الشّيْخ من مكانه أُمَرِّغ وجْهي في المكان ، فقام ومَرَّغْتُ وَجْهي فقُمْتُ وأنا لا أُبْصِر شيئاً ، وبقيتُ طول لَيْلَتي باكياً ، فلمّا أصبَح دعاني وقَرَّبَني فقُلْتُ له :" يا سَيِّدي .. قدْ عَمِيتُ ولا أُبْصِر شيئاً " فمَسَح بيده على عَيْني فعاد بصري ، ثُمّ مَسَح على صدري فزالت عنّي تلك الخواطر وفَقَدْتُ ألم الجوع ، وشاهدْتُ في الوقْت عجائب من بركاته .

جاءه رَجُل لِيَعْتَرِض عليه فجلس في الحلقة ، فقال له أبو مَدْيَن ﷺ :" لِمَ جِئْتَ ؟ " قال :" لأقْتَبِس من نورك " فقال له :" ما الذي في كُمّك ؟ " فقال له :" مصحف " فقال له :" افتحه واقرأ أول سطْر يخْرج لك " ففَعَل فخرج له قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴾ فقال له أبو مَدْيَن : " أمَا يكفيك هذا ؟! " ، فاعْتَرَف الرَّجُل وتاب .

ومَرّ ﷺ في بعض بلاد المَغْرِب فرَأى أسَداً افْتَرَس حماراً وهو يأكله ، وصاحبه جالِس بالبُعْد على غاية الحاجة والفاقة ، فجاء ﷺ وأخَذ بناصية الأسد وقال لِصاحِب الحمار :" أمْسِك الأسد واسْتَعْمِلْه في الخدمة مَوْضِع حمارك " فقال له :" يا سَيِّدي .. أخاف منه " فقال :" لا تَخَفْ ؛ لا يَسْتَطيع أنْ يُؤْذيك " ، فمَرّ الرجل يقوده والنّاس يَنْظُرون إليه ، فلَمّا كان آخِر النّهار جاء الرَّجُل ومعه الأسد لِلشّيْخ ﷺ وقال له :" يا سَيِّدي .. هذا الأسَد يَتْبَعني حيث ذَهَبْتُ ، وأنا شديد الخَوْف منه لا طاقة لي بعِشْرته " فقال الشّيْخ لِلأسد : اذْهَبْ ولا تَعُدْ ، ومتى آذَيْتُمْ بني آدم سَلَّطْتُهُمْ عليكم .

وكان ﷺ ماشياً يَوْماً على ساحِل البَحْر فأسَره العَدُوّ وجَعَلوه في سفينة فيها جماعة من أسْرَى المُسْلِمين ، فلَمّا استقَرّ في السّفينة تَوَقَّفَتْ عن السَّيْر ولم تَتَحَرَّك من مكانها مع قوّة الرِّيح ومساعَدتها ، وأيْقَن الرّوم أنّهم لا يَقْدِرون على السَّيْر ، فقال بعضهم :" أنْزِلوا هذا المُسْلِم ؛ فإنّه قسّيس ، ولَعَلّه من أصحاب السَّرائر عند الله تعالى " وأشاروا له بالنُّزول فقال :" لا أفْعَل إلا إنْ أطْلَقْتُمْ جميع مَن في السّفينة من الأسارى " فعَلِموا أنْ لا بُدّ لهم من ذلك ، فأنْزَلوهم كلّهم وسارت السّفينة في الحال .

من أقواله ﷺ :

- مَن رُزِق حلاوة المناجاة زال عنه النّوْم ، ومَن اشْتَغَل بطلب الدُّنْيَا ابْتُلِي فيها بالذُّلّ ، ومَن لم يَجِدْ من قَلْبه زاجراً فهو خراب .
- إذا دَخَلْتَ في عبادة فلا تُحَدِّث نَفْسك بالخروج منها ، وقُلْ : يا لَيْتَهَا كانت القاضية .
- كرامات الأولياء نتائج مُعْجِزات نَبِيِّنا ﷺ .
- الشّيْخ مَن هَدَاك بأخلاقه وأيّدك بإطراقه وأنار باطنك بإشراقه .
- ليس لِلقَلْب إلا وجهة واحدة ؛ متى تَوَجَّه إليها حُجِب عن غيْرها .
- بفساد العامّة تَظْهَر ولاة الجور ، وبفساد الخاصّة تَظْهَر دجاجلة الدِّين الفتّانون .
- مَن تَحَقَّق بعيْن العبوديّة نظر أفعاله بعيْن الرِّياء وأحوالَه بعيْن الدَّعْوَى وأقوالَه بعيْن الافتراء .

العَرْشِ ، وهُوَ رَجُلٌ أَشْقَرُ أَزْرَقُ العَيْنَيْنِ ، فقُلْتُ لهُ :" مَا عُلومُكَ ومَا مَقامُكَ ؟ " فقالَ :" أمَّا عُلومِي فواحدٌ وسَبْعُونَ عِلْماً ، وأمَّا مَقامِي فرابِعُ الخُلَفاءِ ورَأْسُ السَّبْعَةِ الأبْدَالِ " ، فقُلْتُ :" فَمَا تَقولُ في شَيْخِي أبِي الحَسَنِ الشَّاذُلِيِّ ؟ " فقالَ : " زادَ عَلَيَّ بأرْبَعِينَ عِلْماً ، هُوَ البَحْرُ الذي لاَ يُحَاطُ به " (١) .

= - انكسار العاصي خيْر من صَوْلة المطيع .

- من علامات صِدْق المريد في بدايته انقطاعه عن الخَلْق وفراره عنْهم ، ومن علامات صِدْق فراره عنْهم وجوده لِلحقّ ، ومن علامات صِدْق وجوده لِلحقّ رجوعه إلى الخَلْق .

- كُلّ مَن رَأيْتَه يَدَّعِي مع الله حالاً لا يكون على ظاهِره منه شاهِد فاحْذَرْه .

- الخالي من الأُنس والشَّوْق فاقِد المحبّة .

- لِلفقر نور ما دُمْتَ تَسْتُره ، فإذا أظْهَرْتَه ذهب نوره .

- مَن عرَف نَفْسه لم يَغْتَرّ بثناء النّاس عليه ، ومَن خَدَم الصّالحين ارتَفَع ، ومَن حَرَمه الله تعالى احترامهم ابتلاه الله بالمَقْت من خَلْقه .

- أعلِنوا بالطّاعة ؛ حتّى تَكون كلمة الله هي العُلْيَا كما يُعلِن هؤلاء بالمَعاصي ولا يَسْتَحْيُون من الله .

ومِن نَظْمه ﷺ :

بَكَتِ السّحاب فأضْحَكَتْ لِبُكائها ... زَهْرَ الرِّياض وفاضَتِ الأنْهارُ

وقدْ أقْبَلَتْ شَمْس النّهار بحُلَّةٍ ... خَضْرَا وفي أسْرارها أسْرارُ

وأتَى الرَّبيع بخيْلِه وجنودِهِ ... فتَمَتَّعَتْ في حُسْنِه الأبصارُ

والوَرْد نادَى بالورود إلى الجَنَى ... فتَسَابَق الأطيارُ والأشْجارُ

والكأس تَرْقُص والعقارُ تَشَعْشَعَتْ ... والجوّ يَضْحَك والحبيب يُزَارُ

والعُود لِلْغِيد الْحِسَان مُجَاوِبٌ ... والطّار أخْفَى صَوْتَه المِزْمَارُ

لا تَحْسَبُوا الزَّمْرَ الحرامَ مرادَنا ... مزمارُنا التَّسْبِيحُ والأذْكارُ

وشرابُنَا مِن لُطْفِه وغناؤنا ... نعم الحبيب الواحد القَهّارُ

والعُود عاداتُ الجميل وكأسُنا ... كأسُ الكياسةِ والعقارُ وقارُ

فتألّفوا وتَطَيَّبُوا واسْتَغْنِمُوا ... قَبْل الممات فذَهْرُكُمْ غَدّارُ

واللهُ أرْحَم بالفقير إذا أتَى ... مِن والديْه فإنّه غَفّارُ

ثُمّ الصّلاة على الشّفِيع المُصْطَفَى ... ما رَنّمَتْ بِلُغاتها الأطْيارُ

تُوُفِّي ﷺ بتلمسان سَنَة ٥٩٤ هـ .

(١) انظر : لطائف المِنَن /٥٤ ونَفْح الطِّيب ١٣٩/٧ ونور الأبصار /٤٠٢ والمَفاخر العَلِيَّة /٢٠ وجامع كرامات الأولياء ٣٤٣/٢

ونَقَلَ أُسْتَاذُنَا بحقائقِهِ أنَّ " مَنْ عقِلَ علِمَ ، ومَنْ علِمَ حلُمَ ، ومَنْ حلُمَ حكَمَ ، ومَنْ حكَمَ أبْصرَ بنُورِ قلْبِهِ ، ومَنْ أبْصرَ بنُورِ قلْبِهِ غلَبتْ حِكْمتُهُ علَى جهْلِهِ فرُقِّى إلى العالَمِ العُلْوِيِّ وقُرِّبَ إلى المَنْزِلِ السَّنِيِّ ، وسُطِّرَ لهُ مَنْشُورِ مَعْنَى كَرَاماتِ بَيَانٍ وخيرات :(إنَّكَ وَلِيّ) ، ويكونُ اللهُ لهُ حافظاً وناصراً ومُعِيناً ، ويَفْتَحُ لهُ فَتْحاً مُبِينا " (١) .

ونَقَلَ فيهِ ـ أيضاً ـ أنَّ " الأرواحَ تَعُودُ رُوحانِيَّةً لَطِيفةً نُورَانِيَّةً ، تَجُولُ جَوَلانِ السِّرِّ والقَلْبِ والمَعْنَى " (٢) ..

قالَ :" وهَذَا إذَا كانَ علَى نَسَقِ الاتِّباعِ الشَّرْعيِّ " (٣) .

وفيهِ أيضاً :" اعلَمْ بُنَيَّ لَوْ كانَ أحَدُكُمْ بالمَشْرِقِ وأنَا بالمَغْرِبِ وضاقَتْ عَلَيْهِ الأرْضُ برَحْبِهَا وطَلَبَنِي لاَ تَحْجُبُنِي عَنْهُ قَبْضَةُ التُّرَابِ التي بَيْنِي وبَيْنَهُ ، فهَا أنَا واقِفٌ بَيْنَ يَدَيْه " (٤) .

---

(١) الجَوْهَرة المُضيَّة /٣٠٧ ، ٣٣٧

(٢) الجَوْهَرة المُضيَّة /٣٠٧ وانظر طبقات الشعرانيّ /٣٠٠

(٣) الجَوْهَرة المُضيَّة /٣٠٧ وانظر طبقات الشعرانيّ /٣٠٠

(٤) أقول : قال الشعرانيّ في مِنَنه : وقدْ صرَّحوا بأنّ من شرْط الشيْخ أنْ يَسْمَع نداء مريده ولو كان بيْنهما مَسيرَة ألْف عام .

الكَنْزُ الثّاني عَشَرَ

ما نُقِلَ عنِ الأُستَاذِ مِنْ مُخاطبتِهِ لِجبْرِيلَ عليه السلام لا يُحيلُهُ عقلٌ ولاَ يَمْنَعُهُ عِنْدَنَا نَقْلٌ ولَوْ كانَ برُؤيَةٍ لهُ (١) ؛ إذْ قَدْ ثَبَتَتْ رؤيَةُ الصَّحابةِ لِجبْرِيلَ بِحَضْرَتِهِ

(١) أقول : قال الإمام الشعرانيّ في مِنَنه : ... ثُمّ صُحْبتي لِجماعة من الأولياء يَجْتَمِعون بملَك المَوْت وبجبْرِيل في هذه الأيّام ، ولَوْلاَ أنهم أمَروني بالكتمان لَذَكَرْتُ أسماءهم لِلإخوان ، وفي كتمانهم - أيضاً - مصلحة لِبعض المُنْكِرين ؛ فرُبّما أنْكَر بعضهم ذلك عليْهم فمَقِت ، ونسأل الله العافية ..

وقدْ نَقَل الشّيْخ عبْد الغفّار القوصيّ - رحمه الله تعالى - في كتابه المُسَمّى بـ" الوحيد في عِلْم التّوْحيد : أنّ الشّيْخ تاج الدّين بن شعبان - كان من أقْران الشّيْخ عبد الرحيم القناويّ رضي الله تعالى عنْهما - كان يقول لِمَن يسأله في حاجة : اصْبِرْ حتّى يجيء جبْرِيل عليه السلام فأوصيه عليْك ..

وجاء مَرّةً شَخْص يأخذ بخاطِره وولدُه مُحْتَضِر ، فقال : اصْبِرْ حتّى أُوصي عزرائيل على ولدك .

وكان عند الشّيْخ حِدّة عظيمة ، فقيل له مَرّةً :" مِمّن اكْتَسَبْتَ هذه الحِدّة ؟ " فقال : من صُحْبَتي لِجبْرِيل .

وكان كثيراً ما يخاطِب مَلَك المَوْت إذا حَضَر ويقول له :" مُرّ في طُرُقاتك ؛ فقدْ بَقِي مِن أجَله كيت وكيت " ، فيعيش كما قال ، ثُمّ يموت .

قال الشّيْخ عبد الغفّار : وقَول بعضهم " قال لي جبريل " و" قُلْتُ لِجبريل " ليس بمستحيل ولا مُمْتَنِع ، وإنّما يُنْكِر ذلك مَن بَعُد قَلْبه عن المَلَكوت ، وأمّا الأولياء فقلوبهم جَوّالة في المَلَكوت ، ولها أُنْس بمَعالمه ومخاطَبات لِملائكته ؛ لاجتماع أرواحهم بأرواح الملائكة في عالَم المَلَكوت ، بلْ رُبّما سَرَتْ أرواحهم فيما وراء ذلك ...

قال : وفي قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ وفي قوله تعالى ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ إشارة لِمَا قُلْناه ، مع عدم استحالة ذلك ووجد جواره ..

ولا يعارِض ذلك قوله ﷺ ﴿ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي ﴾ ؛ لأنّ ما ذَكَرْناه مِن محادثة جبريل ليس بنُبُوّة ولا وَحْي ولا إرسال ؛ فرُبّما عَرَف الوليُّ جِبْرِيلَ حين يصافحه من طريق كَشْفه ، وفي الحديث ﴿ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ ﴾ ؛ فكيف بمَن يَطْلُب الله ، وورَد أيضا ﴿ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ وَجِبْرِيلَ يُصَافِحُونَ مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ وَيُؤَمِّنُونَ عَلَى دُعَائِهِمْ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ ﴾ (انظر أخبار مكّة للفاكهيّ ٣١٦/٢ وتفسير القُرْطُبيّ ١٣٣/٢٠ عن سيّدنا عبد الله بن عبّاس رضي الله عنْهما ، وقال في الدُّرّ المنثور ٤٥١/١ : رواه أبو الشّيْخ في الثّواب والبَيْهَقيّ (الشّعَب ٣٣٦/٣) والأصْبَهانيّ عن ابن عبّاس رضي الله عنهما) .

وقدْ يقول الوليّ ذلك في غَيْبَة أو أخْذَة أو سِنَة ، فلا يَحْتاج ذلك إلى تأويل . -

- وكان الشَّيْخ بهاء الدِّين الأخميميّ ـ رَحِمه الله تعالى ـ كُلَّمَا مَرِض يقول :" لَسْتُ أَمُوت في هذه الضَّعْفَة " فقالوا له :" مِن أَيْن عَلِمْتَ ذلك ؟! " فيقول :" مِن مَلَك المَوْت ؛ فإنّه قال لي : عُمُرُكَ خَمْسٌ وثَمَانُونَ سَنَة " ، فكان الأمر كما قال .

وكان يقول : نَزَلْتُ قَبْر بعض الإخوان فوَصَّيْتُ عليه مُنْكراً ونكيراً .

فلَمّا مات سَمِعوه وهو يُكَلِّمهم ويسألهم هو عن الإسْلام والإيمان .

والكلام مع مَلَك المَوْت كالكلام مع جبريل سواء ، ثُمَّ إنّ قوله لِمَلَك المَوْت :" ارجع ؛ فقدْ بَقِي مِن أَجَل فلان كذا " صحيح ، وإنّما جاء مَلَك المَوْت قَبْل قَبْض رُوح ذلك المَيِّت لإظهار كرامة لِذلك الوليّ لا غيْر ؛ لِقوله تعالى ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ .

وكرامات الأولياء مِن وراء أستار العقول ومِن دائرة المَحْو والإثبات ، وكُتُب الرّقائق مشحونة بحديث الأولياء مع الملائكة : كَمَا وَقَع لِثابت البنانيّ وغيْره مِمَّن كان يُسَلِّم على المَلَكَيْن الواردَيْن عليْه والصّاعدَيْن عنه ويَرُدّان عليْه السَّلامَ ، ومعلوم أنّ الأولياء عُدُول ثقات ، وقدْ نَقَلوا ذلك عن بعضهم بعضاً ، لا سيَّمَا عَمَّن لا يقع فيه التّهمة ، ولا يَتَوَقَّف في ذلك إلا مَن له غَرَض في عداوة بعض الأولياء .

لطائف المِنَن لِلشّعْرانيّ /٤٩٩ - ٥٠١

وقال السُّيُوطيّ : أَخْرَج أحمد في مُسْنَده (٣٢/٥) والخرائطيّ في مكارم الأخلاق مِن طريق أبي العالية (والبخاريّ في الأدب المُفْرَد /٣٧٥) عن رَجُل مِن الأنصار قال : خَرَجْتُ مِنْ أَهْلِي أُرِيدُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَإِذَا بِهِ قَائِمٌ وَرَجُلٌ مَعَهُ مُقْبِلٌ عَلَيْهِ ، فَظَنَنْتُ أَنَّ لَهُمَا حَاجَة ..

قال الأنصاريّ : لَقَدْ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى جَعَلْتُ أُرَثِّي لَهُ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ : " يَا رَسُولَ اللَّهِ .. لَقَدْ قَامَ بِكَ هَذَا الرَّجُلُ حَتَّى جَعَلْتُ أُرَثِّي لَكَ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ " قَال ﴿ وَلَقَدْ رَأَيْتَـه ﴾ قُلْتُ :" نَعَمْ " ، قَال ﴿ أَتَدْرِي مَنْ هُو ﴾ قُلْتُ :" لاَ " قَال ﴿ ذَاكَ جِـبْرِيلُ مَـا زَالَ يُوصِينِـي بِالْجَـارِ حَتَّـى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُه ﴾ ، ثُمّ قال ﴿ أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَلَّمْتَ رَدّ عَلَيْكَ السَّلاَم ﴾ .

وأَخْرَج أبو موسى المدينيّ في المعرفة عن تميم بن سلمة قال : بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِـيِّ ﷺ إِذِ انْصَرَفَ مِنْ عِنْدِهِ رَجُلٌ ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ مُوَلِّياً مُعْتَمّاً بِعِمَامَةٍ قَدْ أَرْسَلَهَا مِنْ وَرَائِهِ ، قُلْتُ :" يَا رَسُـولَ اللَّـهِ .. مَـنْ هَذَا ؟ " قَال ﴿ هَذَا جِبْرِيل ﴾ .

وأَخْرَج أحمد (٤٣٣/٥ وفـي مُعْجَم الصّحابـة ٨٢٧/٢) والطّبرانيّ (٢٢٧/٣) والبَيْهَقِيّ فـي الدّلائل (ومُعَمَّر بن راشد ٢٨٢/١١ وأبو بَكْـر الشّيبانيّ ١٦/٤ وعبْد بن حميد /١٦٥ وأبو الحُسَيْن ابن قانع ١٦٥/١) عن حارثة بن النُّعْمَان قال : مَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ جِبْرِيلُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَمَرَرْتُ ، فَلَمَّا رَجَعْتُ وَانْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ جِبْرِيلُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَمَرَرْتُ ، فَلَمَّا رَجَعْتُ وَانْصَرَفَ -

- النَّبِيُّ ﷺ قَال ﴿ هَلْ رَأَيْتَ الَّذِي كَانَ مَعِي ﴾ قُلْتُ :" نَعَمْ " قَال ﴿ فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ ، وَقَدْ رَدَّ عَلَيْكَ السَّلاَمَ ﴾ .

وأَخْرَج ابن سَعْد (٤٨٨/٣) (والذَّهبيّ ٣٧٨/٢ وابن الجوزيّ ٤٧٠/١) عن حارثة قال : رَأَيْتُ جِبْرِيلَ مِنَ الدَّهْرِ مَرَّتَيْن .

وأَخْرَج أحمد (٢٩٣/١ وفي فضائل الصّحابة ٩٥٥/٢) والبَيْهَقِيّ (٥٣/٧) (وأبو داود الطَّيالسيّ /٢٥٣ والطّبرانيّ ٢٣٦/١٠ وعبْد بن حميد /٢٣٥ وابن أبي شيبة ٣٨٣/٦) عن ابن عبّاس قال : كُنْتُ مَعَ أَبِي عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ يُنَاجِيهِ ، فَكَانَ كَالْمُعْرِضِ عَنْ أَبِي ، فَخَرَجْنَا فَقَالَ لِي أَبِي :" يَا بُنَيَّ .. أَلَمْ تَرَ إِلَى ابْنِ عَمِّكَ كَالْمُعْرِضِ عَنِّي ؟ " قُلْتُ :" يَا أَبَتِ .. إِنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ رَجُلٌ يُنَاجِيهِ " ، فَرَجَعَ فَقَالَ :" يَا رَسُولَ اللَّهِ .. قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ كَذَا وَكَذَا فَقَال إِنَّهُ كَانَ عِنْدَكَ رَجُلٌ يُنَاجِيكَ ؛ فَهَلْ كَانَ عِنْدَكَ أَحَدٌ ؟! " قَال ﴿ وَهَلْ رَأَيْتَهُ يَا عَبْدَ اللَّه ﴾ قُلْتُ :" نَعَمْ " قَال ﴿ ذَاكَ جِبْرِيلُ هُوَ الَّذِي يَشْغَلُنِي عَنْك ﴾ .

وأَخْرَج ابن سَعْد (٣٧٠/٢) (وأحمد في فضائل الصّحابة ٩٧٢/٢ والطّبرانيّ ٢٦٤/١٠ وأبو بَكْر الشّيبانيّ ٢٨٦/١ وابن الجوزيّ ٧٤٧/١) عن ابن عبّاس قال : رَأَيْتُ جِبْرِيلَ مَرَّتَيْن .

وأَخْرَج البَيْهَقِيّ (والطّبرانيّ ١١/١٢ وفي الأوسط ١٦٣/٣ ومحمّد بن عبد الواحد المَقْدِسيّ ١٠٦/١٠) عن ابن عبّاس قال : عَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْ مَنْزِلِهِ سَمِعَهُ يَتَكَلَّمُ فِي الدَّاخِلِ ، فَلَمَّا دَخَلَ لَمْ يَرَ أَحَداً ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿ مَنْ كُنْتَ تُكَلِّم ﴾ قَالَ :" يَا رَسُولَ اللَّهِ .. دَخَلَ عَلَيَّ دَاخِلٌ مَا رَأَيْتُ رَجُلاً قَطُّ بَعْدَكَ أَكْرَمَ مَجْلِساً وَلاَ أَحْسَنَ حَدِيثاً مِنْهُ " قَال ﴿ ذَاكَ جِبْرِيلُ ، وَإِنَّ مِنْكُمْ لَرِجَالاً لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ يُقْسِمُ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ ﴾ .

وأَخْرَج أبو بَكْر بن أبي داود في كتاب المَصاحف عن أبي جَعْفَر قال : كَانَ أَبُو بَكْرٍ يَسْمَعُ مُنَاجَاةَ جِبْرِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ...

قال السّيوطيّ : وأَخْرَج ابن أبي الدُّنْيَا في كتاب الذِّكْر عن أَنَس بن مالك قال : قَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ : " لاَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ فَلأُصَلِّيَنَّ وَلأَحْمِدَنَّ اللَّهَ بِمَحَامِدَ لَمْ يَحْمَدْهُ بِهَا أَحَدٌ " ، فَلَمَّا صَلَّى وَسَ لِيَحْمَدَ اللَّهَ وَيُثْنِيَ عَلَيْهِ إِذَا هُوَ بِصَوْتٍ عَالٍ مِنْ خَلْفٍ يَقُولُ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ ، وَلَكَ الْمُلْكُ كُلُّهُ ، وَبِيَدِكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ ، وَإِلَيْكَ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ عَلاَنِيَتُهُ وَسِرُّهُ .. لَكَ الْحَمْدُ .. إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، اغْفِرْ لِي مَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِي ، وَاعْصِمْنِي فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمُرِي ، وَارْزُقْنِي أَعْمَالاً زَاكِيَةً تَرْضَى بِهَا عَنِّي ، وَتُبْ عَلَيَّ " ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَصَّ عَلَيْهِ ، فَقَال ﴿ ذَاكَ جِبْرِيل ﴾ .

وأَخْرَج الطّبرانيّ (٢٣٤/١٩) والبَيْهَقِيّ عن محمّد بن مسلمة قال : مَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاضِعاً خَدَّهُ عَلَى خَدِّ رَجُلٍ فَلَمْ أُسَلِّمْ ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَقَالَ لِي ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تُسَلِّم ﴾ قُلْتُ :" يَا رَسُولَ اللَّهِ -

الشَّرِيفةِ ﷺ لَمَّا سَأَلَ عنِ الإسْلامِ والإيمانِ والإحْسَانِ ، ثُمَّ انْطَلَقَ ـ أي السَّائلُ ـ فقالَ النَّبيُّ الكَرِيمُ ﷺ ﴿ يَا عُمَرُ .. أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ ﴾ قال :" اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَم " ـ رَأَيْتُكَ فَعَلْتَ بِهَذَا الرَّجُلِ شَيْئاً مَا فَعَلْتَهُ بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَقْطَعَ عَلَيْكَ حَدِيثَكَ .. فَمَنْ كَانَ يَا رَسُولَ اللَّه ؟ " قَال ﴿ جِبْرِيل ﴾ .

وأَخْرَج الحاكم (٨/٤) (وابن سَعْد ٦٧/٨ والحميديّ ١٣٣/١ وأحمد ٧٤/٦ وفي فضائل الصّحابة ٨٧١/٢ وابن أبي شيبة ٣٨٩/٦ وأبو بكْر الشّيبانيّ ٣٩٢/٥ والطّبرانيّ ٣٤/٢٣ والخطيب البغداديّ ١٣٨/٧ والدّارقطنيّ في سؤالات حمزة /٢١٠) عن السَّيِّدة عائشة قالت : رَأَيْتُ جِبْرِيلَ وَاقِفاً فِي حُجْرَتِي هَذِهِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُنَاجِيهِ ، فَقُلْتُ :" يَا رَسُولَ اللَّهِ .. مَنْ هَذَا ؟ " قَال ﴿ بِمَنْ شَبَّهْتَه ﴾ قُلْتُ :" بِدِحْيَة " قَال ﴿ لَقَدْ رَأَيْتِ جِبْرِيل ﴾ ...

قال السّيوطيّ : وأَخْرَج ابن سَعْد (١٢/٣) والبَيْهَقيّ عن عَمّار بن أبي عَمّار أنّ حَمْزَة بن عبد المُطّلب قال :" يَا رَسُولَ اللَّهِ .. أَرِنِي جِبْرِيلَ فِي صُورَتِه " قال ﴿ اقْعُد ﴾ فقَعَد ، فنَزَل جِبْرِيل على خشبة كانت في الكعبة ، فقال النَّبيّ ﷺ ﴿ ارْفَعْ طَرْفَك ﴾ فرَأى قَدَمَيْه مِثْل الزَّبَرْجَد الأخْضَر .

قال السّيوطيّ : وفي الحديث : الذي نادى بالأذان فسَمِعه عُمَر وبلال : جِبْرِيل .. أَخْرَجه الحارث ابن أبي أسامة في مُسْنَده (٢٥٤/١) .

ويُشْبِه هذا ما أَخْرَجه ابن عساكر في تاريخه عن مُحَمَّد بن المُنْكَدر قال : دَخَل رسول الله ﷺ على أبي بكْر فرآه ثَقيلاً ، فخَرَج مِن عِنْده فدَخَل على عائشة ليُخْبِرها بوجع أبي بكْر ؛ إذْ دَخَل أبو بكْر يَسْتَأْذِن فدَخَل ، فجَعَل النَّبيّ ﷺ يَتَعَجَّب لِمَا عَجَّل الله له مِن العافية ، فقال :" مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ خَرَجْتَ مِنْ عِنْدِي فَغَفَوْتُ فَأَتَانِي جِبْرِيلُ عليه السلام فَسَطَعَنِي سَطْعَةً فَقُمْتُ وَقَدْ بَرِئْتُ " ، فلَعَلّ هذه حال لا غَفْوَة نوم .

تَنْوير الحَلَك (ضِمْن الحاوي لِلْفتاوى) ٤٨٧/٢ - ٤٩٢

أقول : وأَخْرَج البخاريّ ٢٣١٢/٥ وفي الأدب المُفْرَد /٢٧٩ ومُسْلِم ٦٨٧/٢ وابن حبّان ١١٨/٨ وأبو نُعَيم بلفظه ٣١٠/٨ وفي المُسْنَد المُسْتَخْرَج ٧٢/٣ وأحمد ١٥٢/٥ وأبو الحَسَن الهيثميّ /٣٣ والبزار ٣٩٠/٩ عن سَيِّدنا أبي ذَرّ رضي الله عنه أنّه سَمِع النَّبيّ ﷺ كأنّه يناجي رجلاً .. قال : ... ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ وَحْدَهُ ، فَقُلْتُ :" يَا رَسُولَ اللَّهِ .. مَنِ الرَّجُلُ الَّذِي كُنْتَ تُنَاجِي ؟! " فَقَال ﴿ أَوَ سَمِعْتَه ﴾ قُلْتُ :" نَعَمْ " قَال ﴿ فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَانِي فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّة ﴾ الحديث .

فإذا توافرَت كُلّ تلك النُّصوص التي ذَكَرها الشّعراويّ والسّيوطيّ والجلال الكركيّ وغيْرهم مِن العلماء الذين ذَكروا غيضاً مِن فيْضٍ مِمّا هو موجود في دواوين السُّنّة وكُتُب التّراجم والصُّوفيّة ؛ أفادنا ذلك كُلّه أنّ مخاطَبة سَيِّدي إبراهيم الدّسوقيّ رضي الله عنه لِجِبْرِيل عليه السلام ليس بشيء مُسْتَغْرَب ولا مُسْتَنْكَر بل إنّه أمْر جاءت به السُّنّة ورواه أكابر العلماء وفحول الأولياء على مَرّ الزّمان إلى وقْتنا هذا .

قال ﴿ فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُم ﴾ .. رَوَاهُ الشَّيْخَان (١) (٢) ..

وقَدْ تَكَلَّمْتُ عَلَى هَذَا الحديثِ بما فيهِ مِنْ مَعْنىً لَطِيفٍ ومَنْهَجٍ منيفٍ بـ" طرازِ القاري يَوْمَ خَتْمِ البُخَارِي " .

وفي مُسْتَدْرَكِ الحاكِمِ (٣) في كتابِ اللِّبَاسِ عَنِ السَّيِّدةِ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا (٤)

(١) وهُمَا الإمامان البخاريّ ومُسلِم رضي الله عنهما ..

أمّا الإمام البخاريّ فهو : أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفيّ البخاريّ ﷺ، وُلِد ببخارَى سَنَة ١٩٤ هـ ، صاحب أصحِّ كتاب بَعْد كتاب اللـه عزّ وجلّ ؛ ألاَ وهو " الجامع الصَّحِيح " ، ما وضَع حديثاً فيه إلاّ وصلّى عقِبَه رَكْعَتَيْن شُكْراً لله عَزّ وجَلّ ، أخَذ عن الإمام أحمد وابن راهويه ويحيى بن يحيى ، وأخَذ عنه إبراهيم بن معقل ومُسلِم والتِّرْمِذِيّ .

قال له الإمام مسلِم : لا يُبْغِضك إلا حاسِد ، وأشْهَد أنْ ليس في الدُّنْيا مِثْلك .

مِن مؤلَّفاته : الجامع الصَّحيح ، التّاريخ الكبير ، الأدب المُفْرَد ، الضُّعَفَاء .

تُوُفِّي ﷺ بخرتنك مِن قُرَى سَمَرْقَنْد سَنَة ٢٥٦ هـ .

وأمّا الإمام مُسلِم فهو : أبو الحُسَيْن مُسلِم بن الحَجّاج بن ورد القُشَيْرِيّ النّيسابوريّ ﷺ ، وُلِد سَنَة ٢٠٤ هـ ، أخَذ عن يحيى بن يحيى النّيسابوريّ وقتيبة بن سعيد وإسحاق بن راهويه ، وأخَذ عنه التِّرْمذيّ وابن خُزَيْمَة وأبو حامد الشّرقيّ .

مِن مؤلَّفاته : الجامع الصَّحيح ، الأسماء والكُنَى ، التّاريخ ، الطَّبَقات .

تُوُفِّي ﷺ سَنَة ٢٦١ هـ ، ودُفِن بنصرآباذ بنيسابور .

(٢) صحيح البخاريّ ٢٧/١ وصحيح مُسلِم ٢٧/١ كما أخْرَجه أبو داود ٢٢٣/٤ وابن حبّان ٣٩١/١ وأحمد ٢٧/١ والبَيْهَقِيّ ٣٢٤/٤ وفي السُّنَن الصُّغْرَى /٢٤ والاعتقاد /١٣٢ والدّارقطنيّ ٢٨٢/٢ وأبو نُعَيم ٢٠٢/٨ وأبو يَعْلَى ٢٠٨/١ وابن أبي شيبة ١٧٠/٦ والطّبرانيّ في الأوسط ٢٣٨/٥ وابن منده ١١٩/١ واللاّلكائيّ ٥٨٧/٤ عن سيّدنا عُمَر ﷺ .

(٣) هو الحافظ أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن حمدويه الضبّيّ الطّهمانيّ النّيسابوريّ الشّافعيّ ﷺ ، يُعْرَف بـ" ابن البيع " ، وُلِد بنيسابور سَنَة ٣٢١ هـ ، أخَذ عن أبي عثمان المَغْرِبيّ وجَعْفَر الخلدي وابن أبي هريرة ، وأخَذ عنه أبو القاسم القُشَيْرِيّ وأبو بَكْر البَيْهَقِيّ والدّارقطنيّ .

مِن مؤلَّفاته : المُسْتَدْرَك على الصَّحِيحَيْن ، معرفة علوم الحديث ، فضائل الشّافعيّ

تُوُفِّي ﷺ بنيسابور سَنَة ٤٠٤ هـ .

(٤) هي أمّ المؤمنين السَّيِّدة عائشة بنت سَيِّدنا أبي بَكْر الصِّدِّيق رضي اللـه عنهما ، وُلِدَت في السَّنَة الرّابعة من النُّبُوّة ، تَزَوَّجها النَّبِيّ ﷺ بَعْد الهجرة - على الأرجح - وهي ابنة سَبْع سنين .

روى الشَّيْخان أنّ النَّبِيّ ﷺ قال ﴿ فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى الطَّعَام ﴾ .

قالتْ :" أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى بِرْذَوْنٍ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ قَدْ أَرْخَى طَرَفَهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ ﴿ هَلْ رَأَيْتِهِ ﴾ قُلْتُ :" نَعَمْ " ، قَالَ ﴿ ذَاكَ جِبْرِيلُ يَأْمُرُنِي أَنْ أَمْضِيَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ ﴾ (١) رَوَيْنَاهُ عَنْ شَيْخِنَا الكمالِ

- وروى البخاريُّ أنَّ السَّيِّدَةَ عائشة رضي الله عنها قالت : إنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي وَفِي يَوْمِي وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي ، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ ؛ دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ فَقُلْتُ :" آخُذُهُ لَكَ ؟ " فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ ، فَتَنَاوَلْتُهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ وَقُلْتُ :" أَلَيِّنُهُ لَكَ ؟ " فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ ، فَلَيَّنْتُهُ فَأَمَرَّهُ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ يَشُكُّ عُمَرُ فِيهَا مَاءٌ فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ ﴿ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ .. إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ ﴾ ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ ﴿ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى ﴾ حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُه ..

وقالت رضي الله عنها : فُضِّلْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ بِعَشْرٍ : لَمْ يَنْكِحْ بِكْراً قَطُّ غَيْرِي ، وَلَمْ يَنْكِحِ امْرَأَةٌ أَبَوَاهَا مُهَاجِرَانِ غَيْرِي ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ بَرَاءَتِي مِنَ السَّمَاءِ ، وَجَاءَهُ جِبْرِيلُ بِصُورَتِي مِنَ السَّمَاءِ فِي حَرِيرَةٍ وَقَالَ :" تَزَوَّجْهَا ؛ فَإِنَّهَا امْرَأَتُكَ " ، وَكُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَهُوَ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ ، وَلَمْ يَكُنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِأَحَدٍ مِنْ نِسَائِهِ غَيْرِي ، وَكَانَ يُصَلِّي وَأَنَا مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِأَحَدٍ مِنْ نِسَائِهِ غَيْرِي ، وَكَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ وَهُوَ مَعِي ، وَلَمْ يَكُنْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ وَهُوَ مَعَ أَحَدٍ مِنْ نِسَائِهِ غَيْرِي ، وَقَبَضَ اللَّهُ رُوحَهُ وَهُوَ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي ، وَمَاتَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي كَانَ يَدُورُ عَلَيَّ فِيهَا ، وَدُفِنَ فِي بَيْتِي ..

من أقوالها رضي الله عنها :

- إِنَّكُمْ لَنْ تَلْقَوُا اللَّهَ بِشَيْءٍ خَيْرٍ لَكُمْ مِنْ قِلَّةِ الذُّنُوبِ ، فَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْبِقَ الدَّائِبَ الْمُجْتَهِدَ فَلْيَكُفَّ نَفْسَهُ عَنْ كَثْرَةِ الذُّنُوب .
- إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَمِلَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَادَ حَامِدُهُ مِنَ النَّاسِ ذَامّاً لَقَى اللَّهُ تَعَالَى بُغْضَهُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُر .
- مَنْ لَيْسَ لَهُ وِرْدٌ لَيْسَ لَهُ وَارِد .
- رَوُّوا أَوْلاَدَكُمْ بِالشِّعْرِ تَعْذُبْ أَلْسِنَتُهُمْ .
- الْمُسِيءُ هُوَ الْمُحْسِنُ إِذَا أَعْجَبَ بِعَمَلِه .
- أَوَّلُ بِدْعَةٍ حَدَثَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الشِّبَع .
- جُبِلَتِ النُّفُوسُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا .

تُوُفِّيَت رضي الله عنها سَنَةَ ٥٨ هـ ودُفِنَت بالبقيع .

(١) المُستَدرَك ٣/٣٧ وأخرجه أحمد ٦/١٤٨ والطَّبرانيّ ٢٣/٣٥ وفي الأوسط ٨/٣٤٣

ابنِ أبِي شَرِيفٍ (١) لاَ زالَتْ رُوحُهُ راقِيةً مَنَازِلَ التَّكْرِيمِ والتَّشْرِيفِ فِي كتَابِ " صَوْبِ الغَمَامةِ فِي إرْسَالِ طَرَفِ العِمَامَةِ " ، ومِمَّا قَرَأْتُهُ عَلَيْهِ مِنْ مُؤَلَّفَاتِهِ كِتَابُهُ المَذْكُورُ ، وأَجَازَنِي بروايتِهِ وسائرِ مَا يجوزُ لهُ وعَنْهُ رِوايَتُهُ ، وكَتَبَ لِي خَطَّهُ بذلكَ قريبَ سَفَرِهِ مِنَ القَاهِرَةِ إلى المَقْدِسِ الشَّرِيفِ الثَّالثَ والعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الأُولَى سَنَةَ تِسْعِينَ وثمانِمائةٍ هـ .

وقَدْ ثَبَتَتْ رؤيةُ الصَّحابةِ لِغيرِ جِبْرِيلَ مِنَ الملائكةِ (٢) ـ أيضاً ـ فِي بَعْضِ الغَزَوَاتِ : فَفِي صحيحِ مُسْلِمٍ أنَّ سَعْدَ بنَ أبِي وقَّاصٍ (٣) رَأَى جِبْرِيلَ وميكائِيلَ

(١) هو كمال الدِّين أبو المعالي مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أبي بكْر بن عَلِيّ المَقْدِسِيّ الشَّافعيّ ﷺ ، وُلِد سَنَة ٨٢٢ هـ ، أَخَذ عن الحافظ ابن حَجَر العسقلانيّ وابن الهمام والنَّوَيريّ ، وأَخَذ عنه شهاب الدِّين المحامليّ وأبو سعيد الجعبريّ وابن النَّقِيب .

مِن مؤلَّفاته : مُخْتَصَر الشِّفَا ، حاشية على شَرْح جَمْع الجوامع ، حاشية على تَفْسير البَيْضاويّ .

تُوُفِّي ﷺ بالقُدْس سَنَةَ ٩٠٥ هـ .

(٢) **أقول :** إذا ثَبَتَتْ رؤية جِبْرِيل عليه السلام ثَبَت من باب أَوْلَى رؤية غيْره مِن الملائكة ، فلا حاجة بنا إلى إثبات إمكانيّة رؤية غيْر جِبْرِيل ؛ إذ أنّ هذا باب واسع لا تَدْخُل مروياته تَحْت الحَصْر كَثْرَة .

(٣) هو أبو إسحاق سيِّدنا سَعْد بن أبي وقّاص مالك بن وهيب بن عَبْد مناف ﷺ ، خال رسول الله ﷺ أحد العشرة المُبَشَّرين بالجَنَّة ، من أوائل الذين بادَروا إلى الدّخول في الإسلام ، رَمَى يَوْم أُحُد أَلْف سَهْم ، وهو قائد المُسْلِمين في معركة القادسيّة التي انْتَصَر فيها المُسْلِمون على الفُرْس .

روى التِّرْمِذِيّ وأبو نُعَيم أنّ النَّبِيّ ﷺ قال ﴿ هَذَا خَالِي ، فَلْيُرِنِي امْرُؤٌ خَالَه ﴾ .

وروى البخاريّ ومُسْلِم وأحمد وأبو نُعَيم عن سيِّدنا عَلِيّ كَرَّم الله وجْهَه قال : مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُفَدِّي رَجُلاً بَعْدَ سَعْدٍ ؛ سَمِعْتُهُ يَقُول ﴿ ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ﴾ .

دَعَا له النَّبِيّ ﷺ فقال ﴿ اللَّهُمَّ سَدِّدْ رَمْيَتَهُ وَأَجِبْ دَعْوَتَه ﴾ ..

مِن أقواله ﷺ :

- أَنَا أَوَّلُ مَنْ رَمَى فِي الإِسْلاَمِ بِسَهْم .
- بِرُّ الإِخْوَانِ حِصْنٌ مِنْ عَدَاوَتِهِم .
- يَا بُنَيَّ .. إِيَّاكَ وَالكِبْرَ ، وَلْيَكُنْ فِيمَا تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى تَرْكِهِ عِلْمُكَ بِالَّذِي مِنْهُ كُنْتَ وَالَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ ، وكَيْفَ الكِبْرُ مَعَ النُّطْفَةِ الَّتِي مِنْهَا خُلِقْتَ وَالرَّحِمِ الَّتِي مِنْهَا قُذِفْتَ وَالغِذَاءِ الَّذِي بِهِ غُذِّيت .

تُوُفِّي ﷺ بالعقيق سَنَة ٥٥ هـ ودُفِن بالمدينة ، وكان ﷺ قد أَوْصَى أنْ يُكَفَّن في جُبَّته التي كانت عليه يَوْم بَدْر ، فكَفَّنُوه فيها .

يَوْمَ أُحُدٍ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وعَنْ شِمَالِهِ وعَلَيْهِمَا ثِيابُ بياضٍ ، فقالَ :" مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلاَ بَعْدُ " (١) .

قالَ الشَّيْخُ مَكِينٌ الأَسْمَرُ لِلتَّاجِ بْنِ عَطاءِ اللهِ وهُمَا بالجامِعِ الغَرْبِيِّ مِنَ الإسكندريَّةِ لَيْلَةَ سَبْعٍ وعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ :" أَنَا السَّاعةَ أَرَى ملائكةً مَعَهَا أَطْبَاقٌ مِنْ نُورٍ ، المَلَكُ يُوازِي مِئْذَنَةَ الجامِعِ وفَوْقَ ذلكَ ودُونَ ذلكَ (٢) ، وهَذِهِ هيَ لَيْلَةُ القَدرِ " (٣) (٤) .

ولَوْ لَمْ يَكُنْ شاهِداً لِرُؤْيَةِ جِبْرِيلَ إلاَّ رؤيةُ مُوسَى بنِ ظفرِ السَّامِرِيِّ (٥)

(١) صحيح مُسلِم ١٨٠٢/٤ كما أخرَجه البخاريّ ٢١٩٢/٥ وابن حبّان ٤٤٦/١٥ وأبو نُعَيم ١٧١/٣ وابن أبي شيبة ٣٧٦/٦ وأحمد ١٧١/١ وابن أبي عاصم ٦١٥/٢

(٢) أيْ أنّ طُول المَلَك يوازِي طُول مئذنة الجامع الغربيّ ، ومِنْهم مَن طُولـه أكْبَر مِن ذلك ، ومِنْهم مَن طُوله أقَلّ مِن ذلك .

(٣) انظر لطائف المِنَن /٩٨

(٤) قال التّاج بن عطاء الله ﷺ : ولقدْ كُنْتُ مع الشّيْخ مكين الدّين هذا بالجامع الغَرْبِيّ مِن الإسكندريّة في العَشْر الأخيرة مِن رمضان لَيْلَة ستّ وعِشْرِين ، فقال الشّيْخ مكين الدّين : أنَا السّاعةَ أرَى ملائكةً صاعدةً وهابطةً في تهيئة وتعبئة ، أرأيْتَ يأهب العُرْس له قَبْله بليلة ؛ كذلك رَأيْتُهم .. لطائف المِنَن /٩٨

(٥) هو موسى بن ظفر السّامريّ ، مِن قبيلة إسرائيليّة تُدْعَى " السّامرة " ، كان مِن قَوْم يَعْبُدون البقر جيران لِبني إسرائيل ، ولمْ يَكُنْ مِن بني إسرائيل ، فاحتُمِل مع سيّدنا موسى عليه السلام وبني إسرائيل حين احتُمِلوا ، فقُضِي له أنْ رأى جِبْرِيل عليه السلام وقَبَض قبضةً مِن أثر حافِر فَرَسه ، فمَرّ بسَيِّدنا هارون عليه السلام فقال له :" يَا سَامِرِيُّ .. أَلاَ تُلْقِي مَا فِي يَدَيْك " وهو قابِض عليْه لا يراه أحد طوال ذلك ، فقال : " هذه قبضة مِن أثر الرّسُول الذي جاوَز بكم البحر ، ولا ألقيها لِشيء إلا أنْ تَدْعُو الله إذا أَلْقَيْتُها أنْ يَكون ما أريد " فألقاها ودَعَا له سيّدنا هارون عليه السلام ، فقال :" أريد أنْ تَكون عجلاً " ، فاجْتَمَع ما كان في الحفرة مِن متاع أو حِلْيَة أو نحاس أو حديد فصار عِجْلاً أجْوَف ليس فيه رُوح وله خوار ، فتَفَرّق بنو إسرائيل فِرَقاً : فقالت فِرقة :" يا سامريّ .. ما هذا ؟! " فقال :" هذا ربّكم ، ولكنّ موسى أضَلّ الطّريق " ، وقالت فِرقة : لا نُكَذِّب بهذا حتّى يَرْجع إلينا موسى : فإنْ كان ربّنا لم نَكُنْ ضَيَّعْنَاه وعَكَفْنَا عليْه حين رأيْناه ، وإنْ لم يَكُنْ ربّنا فإنّا نَتّبِع قَوْل موسى " ، وقالت فِرقة :" هذا مِن عمل الشّيْطان ، وليس بربّنا ، ولا نُؤْمِن به ولا نُصَدِّق " ، وأُشْرِب فِرقة في قلوبهم التّصْديق بما قال السّامريّ في العِجْل ، وأعْلَنوا عدم التّكْذيب به .

لهُ (١) كَمَا قال ﴿ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِه ﴾ (٢) (٣) لَكَانَ كافياً ؛ فإذَا كـانَ المُنَـافِقُ قَدْ رَآهُ وهُوَ مِنْ أهْلِ الجُحُودِ فَكَيْفَ لاَ يَرَاهُ أهْلُ الشُّهُود ؟!

---

(١) أيْ لِجبْرِيل عليه السلام .

(٢) سورة طه من الآية ٩٦

(٣) انظر : تَفْسير الطَّبريّ ٢٠٤/١٦ وتَفْسير النَّسَفيّ ٦٦/٣ وتَفْسير البغويّ ٢٢٩/٣ وتَفْسير أبي السّعود ٣٨/٦ وتَفْسير الواحديّ ٧٠٤/٢ وتَفْسير الشّوكانيّ ٣٨٣/٣ وتَفْسير الألوسيّ ٢٥٤/١٦ وتَفْسير ابن الجَوْزيّ ٣١٨/٥ وتَفْسير القُرْطُبيّ ٢٣٩/١١ وتفسير ابن كثير ١٦٤/٣ وتَفْسير البيضاويّ ٦٧/٤ وتَفْسير الدُّرّ المَنْثور ٩٦/٥ وتَفْسير الجلالين /٤١٥

الكَنْزُ الثَّالِثُ عَشَرَ

فَكُّ الأستاذِ لِطَلْسَمِ السماءِ ..

جَمْعُ " الطِّلْسَمِ " : " الطَّلاَسِمُ " : كـ" ثَعْلَبٍ " و" ثَعَالِب " .

والظَّاهِرُ أنَّ المُرَادَ بِفَكِّ طَلْسَمِهَا مَعْرِفَتُهُ لِجَوَاهِرِهَا وأجْنَاسِهَا بالدِّرَايَةِ عنْ مُعَايَنَةٍ لاَ بالرِّوَايَةِ مَعَ مُبَايَنَة (١) .

وقَدِ اخْتَلَفُوا في أجْنَاسِهَا ، فقيلَ عنِ الرَّبيعِ بْنِ أنَسٍ (٢) : إنَّ سَمَاءَ الدُّنْيَا مَوْجٌ مَكْفُوفٌ ، وَالثَّانِيَةُ مِنْ زَبَرْجَدَ ، وَالثَّالِثَةُ مِنْ حَدِيدٍ ، وَالرَّابِعَةُ مِنْ نُحَاسٍ ، وَالْخَامِسَةُ مِنْ فِضَّةٍ ، وَالسَّادِسَةُ مِنْ ذَهَبٍ ، وَالسَّابِعَةُ مِنْ يَاقُوتٍ أبْيَضَ ، وَالْمَوْجُ الْمَكْفُوفُ مَاءٌ قَائِمٌ لاَ اضْطِرَابَ لَهُ كَمَا يُؤْثَر (٣) .

وبالجُمْلَةِ .. فلاَ يَفُكُّ طَلْسَمَ السَّمَاوَاتِ إلاَّ مَنْ بَلَغَ الأحْوالَ والمَقَامَاتِ ، فهيَ طُرُقُ السَّمَاواتِ ومُسْتَنْزِلَةٌ لِلْبَرَكَاتِ ، وهيَ لاَ يَتَحَقَّقُ بِهَا إلاَّ ذُو قَلْبٍ سَلِيم .

وقَدْ أشَارَ إلى مَا قُلْنَاهُ عَلِيٌّ ﷺ بقَوْلِه :" سَلُونِي عَنْ طُرُقِ السَّمَاوَاتِ ؛ فَإنِّي أعْرَفُ بِهَا مِنَ الأرْض " (٤) .

---

(١) **قُلْتُ** : أحْسَبُ أنَّ طَلْسَمَ السَّمَاءِ هذا أعْمَقُ غَوْراً وأعْلَى شأواً مِن قَصْرِه أو تَقْيِيده في معرفة أو رؤية هيئاتها وتكويناتها ، وأرَى أنَّ هذا الطِّلْسَم مُتَعَلِّق بحضرات أو مشاهَدات أو مُنازَلات أو علوم أو غيْر ذلك مِمَّا عَجَزَ غيْرِه مِن الأولياء عن معرفة كُنْهه ، والله تعالى أعْلَم .

(٢) هو الرَّبيع بن أنَس البَصْرِيّ ﷺ ، أخَذَ عن سَيِّدنا أنَس وسَيِّدنا عَبْد الله بن عُمَر وسَيِّدنا جابر ابن عبد الله ﷺ ، وأخَذَ عنه عبد الله بن المبارك وأبو جَعْفَر الرَّازِيّ وسليمان بن عامر المروزيّ .

تُوُفِّي ﷺ ببرز (قرية في مرْو) سَنَة ١٣٦ هـ .

(٣) أخْرَجه الطَّبرانيّ في الأوسط ١٥/٦ وأبو الشَّيْخ في العظمة ١٠٤٤/٣ وابن الجَوْزِيّ في المُنْتَظم ١٨٣/١

(٤) انظر تاريخ اليَعْقُوبيّ ١٩٣/٢

الكَنْزُ الرّابعُ عَشَرَ

مَا رآهُ الأُسْتَاذُ في المَثَانِي - يَعْنِي القُرْآنَ - مِنَ الحَرْفِ المُعْجَمِ الذي فَهِمَهُ

الظّاهرُ أنَّ المُرادَ بهِ اسْمُ اللهِ الأَعْظَمُ (١) ، والتَّعْبِيرُ عنْهُ بـ" الحَرْفِ " مِنْ بابِ تَسْمِيَةِ الكُلِّ باسْمِ الجُزْءِ .

وقَدِ اخْتَلَفَ فيهِ العُلَمَاءُ ﷺ :

فنَقَلَ البندنيجيُّ عنِ الجُلَّةِ (٢) أنَّهُ الجلالة (٣) .

وقالَ بَعْضٌ : هُوَ " الرَّبُّ " ، ومِنْ ثَـمَّ قـالَ جَعْفَرٌ الصّـادقُ (٤) :" مَـنْ حَزَبَـهُ أمْرٌ فلْيَقُلْ خَمْسَ مَرَّاتٍ " رَبَّنَا " ؛ فإنَّهُ يُنْجيهِ مِمَّا يَخَافُ ويُعْطِيهِ مَا يُرِيد " .

(١) قُلْتُ : أحْسَبُ أنّ ذلك الحَرْف لا علاقة له بالاسم الأعْظَم ؛ إذ أنّ الكثير مِن الأولياء مِمَّن هُمْ دُون رُتْبَة سَيِّدي إبراهيم ﷺ يَعْرِفـون الاسم الأعْظَـم ، كمـا أنّ سَيِّدي إبراهيـم ﷺ قدْ أشـار إلـى أنّ ذلـك الحَرْف الذي فَهِمه قدْ حار فيه الثَّقَلان ؛ مِمَّا يَدُلّ على اخْتصاصه ﷺ بفَهْم فيه لم يدانيه فيه أحد ..

وقوله هذا يُشْبِه إلى حدٍّ كبيرٍ قوله ﷺ : أنا فَكَكْتُ طلاسم سورة الأنعام التـي لـم يَقْدِر علـى فكّهـا الشّاذليّ خالي .

(٢) أيْ أكْثَر العلماء وغالبيّتهم .

(٣) أيْ لفْظ الجلالة " الله " .

(٤) هو الإمام أبو عَبْد الله جَعْفَر الصّادق بن مُحَمَّد الباقر بن زيْن العابدين عليّ بن الحُسَيْن ﷺ ، أُمّـه السَّيِّدة أُمّ فروة بنت القاسم بن مُحَمَّد بن أبي بَكْر الصِّدِّيق ، وُلِد بالمدينـة سَنَة ٨٠ هـ ، أخَذ عن أبيـه مُحَمَّد الباقر ، وأخَذ عنه الإمام موسى الكاظم وأبو حنيفة والفُضَيْل بن عياض .

قال الإمام أبو حنيفة : ما رَأيْتُ أحداً أفْقَه مِن جَعْفَر بن مُحَمَّد .

ذَكَر القُشَيْرِيّ أنّ رجلاً نام بالمدينة مِن الحـاجّ فتَوَهَّم أنّ هميانـه (كيسـه) سُرِق ، فخَـرَج فـرأى جَعْفَر الصّادق فتَعَلَّق به وقال :" أخَذْتَ هميـاني " فقـال :" إيـش كـان فيـه ؟ " فقـال :" ألْـف دينـار " ، فأدْخَلَه داره ووَزَن له ألْف دينار ، فرَجَع الرَّجُل إلى مَنْزِله ودَخَل بَيْته فرأى هميانَه في بَيْته - وقدْ كان تَوَهَّم أنّه سُرِق - فخَرَج إلى جَعْفَر مُعْتَذِراً ، وردّ عليْه الدّنانير فأبَى أنْ يَقْبَلها وقـال :" شـيء أخْرَجْتُـه من يدي لا أسْتَرِدّه " فقال الرجل :" مَن هذا ؟! " فقيل : جَعْفَر الصّادق .

سأل ﷺ أبا حنيفة عن مُحْرِم كَسَر رباعيّة ظَبْي فقـال :" لا أعْرِف جوابهـا " فقـال : أمَـا تَعْلَـم أنّ الظَّبْي لا يكون له رباعيّة ؟! .. شذرات الذّهَب ٢٢٠/١

سُئِل ﷺ :" ما بالنا نَدْعو فلا يُسْتَجاب لنا ؟ " فقال : لأنّكم تَدْعُون مَن لا تَعْرِفونه .

وسُئِل :" لِمَ حَرَّم الله الرِّبَا ؟ " قال : لِئلاّ يَتَمَانَع النّاس المَعْرُوف .

- **من أقواله ﷺ :**

- سلوني قَبْل أنْ تَفْقِدوني ؛ فإنّه لا يُحَدّثكم أحد بَعْدي بمِثْل حديثي .

- إذا بَلَغَك عنْ أخيك مَا تَكْرَهه فاطلب له من عُذْرٍ واحدٍ إلى سبعين عذراً ، فإنْ لم تَجِدْ له عـذراً فَقُلْ لعلّ له عذراً لا أعْرِفه .

- إذا سَمِعْتُمْ عن مُسْلِمٍ كلمةً فاحملوها على أحْسَن ما تجدون حتّى لا تجدوا لها مَحْمَلاً فلوموا أنْفُسكم .

- **لا يَتِمّ المعروف إلا بثلاث خصال :** أنْ تُصَغِّره إذا صَنَعْتَه وتَستُره وتُعَجِّله ، وذلك لأنّك إذا صَغَّرْتَـه عَظُم ، وإذا سَتَرْتَه أتْمَمْتَه ، وإذا عَجَّلْتَه هَنَّيْتَه .

- قال موسى عليه السلام :" يَا رَبِّ .. أسْأَلُكَ ألاّ يَذْكُرَنِي أحَدٌ إلاّ بِخَيْر " قال :(مَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِنَفْسِي) .

- ما كُلّ مَن رأى شيئاً قَدَر عليْه ، ولا كُلّ مَن قَدَر على شيء وُفِّق له ، ولا كُلّ مَـن وُفِّق أصـاب لـه موضعاً ، فإذا اجْتَمَعَت النِّيّة والمقدرة والتّوفيق والإصابة فهناك السّعادة .

- **أربعة أشياء القليل منها كثير :** النّار ، والعداوة ، والفقر ، والمرض .

- إنّ الله خَلَق خَلْقاً من رَحْمته برَحْمته لِرَحْمته ، وهم الذين يَقْضُون الحوائج لِلنّاس ، فمَن استطاع منْكم أنْ يكون منْهم فلْيكُن .

- الصّلاة قُرْبَان كُـلّ تَقِـيّ ، والحـجّ جهـاد كُـلّ ضعيـف ، وزكـاة البَـدَن الصِّيَـام ، والدّاعـي بِـلا عمـلٍ كالرّامي بِلا وتر ، واستَنْزِلوا الرِّزْق بالصّدَقَة ، وحَصِّنُوا أموالكم بالزّكـاة ، ومـا عـال مَـن اقْتَصَـد ، والتّقْدير نِصْف العيش ، وقلّة العيال أحد اليسارين ، ومَن أحْزَن والديْه فقدْ عَقّهما ، ومَـن ضَـرَب بيده على فَخِذه عند مصيبة فقدْ حَبِط أجْره ، والصّنيعة لا تكون صنيعةً إلا عند ذي حسب أو دِين ، واللـه يُنْزِل الصّبْر على قَدْر المصيبة ويُنْزِل الرِّزْق على قَدْر المؤنة ، ومَن قَدّر معيشـته رَزَقـه اللـه ، ومَـن بَذّر معيشته حَرَمه الله .

- مَن قَنِع بما قُسِم له اسْتَغْنَى ، ومَن مَدّ عَيْنَيْه إلى ما في يد غيْره مات فقيراً ، ومَن لم يَرْضَ بما قُسِم له اتّهَم الله في قضائه ، ومَـن اسْتَصْغَر زلّـة غيْره اسْتَعْظَم زلّـة نَفْسـه ، ومَـن كَشَـف حِجَـاب غيْره انْكَشَفَتْ عوْرته ، ومَن سَلّ سَيْف البغي قُتِل به ، ومَن احْتَفَر بئراً لأخيه أوْقَعه اللـه فيـه ، ومَـن داخَـل السُّفَهَاء حُقِّر ، ومَن خالَط العلماء وُقِّر ، ومَن دَخَل مَداخل السُّوء اتُّهِم .

- إيّاك أنْ تَزْرِي بالرِّجال فيُزْرَى بك ، وإيّاك والدُّخول فيما لا يعنيك فتَذِلّ لِذلك .

- قُلِ الحقّ لك وعليك تستشار من بيْن أقربائك ، كُنْ لِلقرآن تالياً ، ولِلإسلام فاشياً ، ولِلمعروف آمراً وعن المُنْكَر ناهياً ، ولِمَن قَطَعَك واصلاً ، ولِمَن سَكَت عنْك مُبْتَدِئاً ، ولِمَن سألك مُعْطِياً ، وإيّاك والنّميمة ؛ فإنّها تَزْرَع الشّحْنَاء في القلوب ، وإيّاك والتّعَرُّض لِعيوب النّاس ؛ فمنزلة المُتَعَرِّض لِعيوب النّاس كمنزلة الهدف .

- إذا أقْبَلَت الدُّنْيَا على الإنسان أعْطَتْه مَحاسن غيْره ، وإذا أدبَرَت عنْه سَلَبَتْه مَحاسن نَفْسه . =

ونَقَلَ ابْنُ العَرَبِيِّ (١) قَوْلاً بأَنَّهُ " الرَّحْمَن " .

= - إذا طَلَبْتَ الجود فعليك بمَعادنه ؛ فإنّ لِلجود مَعادن ، ولِلمَعادن أصولاً ، ولِلأصول فروعاً ، ولِلفروع ثمراً ، ولا يَطيب ثمرٌ إلا بفَرْع ، ولا فَرْع إلا بأصل ، ولا أصل إلا بمَعْدِن طَيِّب .

- إذا زُرْتَ فَزُر الأخيار ، ولا تَزُر الفُجّار ؛ فإنّهم صَخْرَة لا يَتَفَجَّر ماؤها ، وشَجَرَة لا يَخْضَرّ وَرَقها وأرْض لا يَظْهَر عُشْبها .

- إيّاكم والخصومة في الدِّين ؛ فإنّها تَشْغَل القَلْب وتُورِث النِّفاق .

- الفقهاء أمناء الرُّسُل ما لم يأتوا أبواب السُّلاطين .

- مودة يَوْم صلة ، ومودة شَهْر قرابة ، ومودة سَنَة رَحِمٌ مائيّة مَن قَطَعها قَطَعه الله .

- مَن زَعَم أنّ الله في شيء أو مِن شيء أو على شيء فقدْ أشْرَك ؛ إذ لو كان على شيء لَكان محمولاً ، ولو كان في شيء لَكان محصوراً ، ولو كان من شيء لَكان مُحْدَثا .

- مَن صَلّى على مُحَمَّد ﷺ وعلى أهْل بَيْته مائة مرّة قضى الله له مائة حاجة .

- مَن أراد عِزّاً بِلا عشيرة وهيْبةً بِلا سلطان فلْيَخْرُج مِن ذُلّ معصية الله تعالى إلى عِزّ طاعته ؛ فإنّ الله قَرَنَ عِزّه بطاعته وذلّه بمعصيته ، يا سبحان الله أتعصيه ويُعِزّك ؟! لا يكون ذلك ، بلْ تقع في مهامِه المَهالك .

- أوْحَى الله إلى الدُّنْيَا أن :(اخْدِمِي مَنْ خَدَمَنِي ، وأتْعِبِي مَنْ خَدَمَك) .

- لا زاد أفْضَل مِن التَّقْوَى ، ولا شيء أحْسَن مِن الصَّمْت ، ولا عَدُوّ أضَرّ مِن الجَهْل ، ولا داء أدْوَى مِن الكذب .

- إذا أذْنَبْتَ فاسْتَغْفِرْ ؛ فإنّما هي خطايا مُطَوّقة في أعناق الرِّجال قَبْل أنْ يُخْلَقُوا ، وإنّ الهلاك كُلّ الهلاكِ الإصرارُ عليْها .

- لا تأكلوا مِن يدٍ جاعت ثُمّ شَبِعَت .

- إذا كَثُرَتْ همومكَ فأكْثِرْ مِن " لا حولَ ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم " ، وإذا تَدَاركَتْ عليْك النِّعَم فأكْثِرْ مِن " الحمد لله " ، وإذا أبْطأ عنْك الرِّزْق فأكْثِرْ مِن الاستغفار .

تُوُفِّي ﷺ بالمدينة سَنَة ١٤٨ هـ ودُفِن بالبقيع .

(١) هو سلطان العارفين مُحْيِي الدِّين أبو بَكْر مُحَمَّد بن عليّ بن مُحَمَّد بن عبد الله بن عربيّ الحاتميّ ﷺ ، وُلِد في مرسيّة سَنَة ٥٦٠ هـ ، أخَذ عن أبي مَدْيَن الغَوْث وعبد العزيز المهدويّ وعبْد الحقّ الإشبيليّ ، وأخَذ عنه صفيّ الدِّين بن أبي المَنْصُور وصدْر الدِّين القونويّ ..

مِمَّن أثْنَى عليه مِن العلماء والأكابر : أبو مَدْيَن الغوث ، والمَجْد الفيروزآباديّ ، والعِزّ بن عبد السّلام ، والشّهاب السُّهْرورْديّ ، ومُصْطَفَى البَكْريّ ، وكمال الدِّين بن الزَّمْلكانيّ ، واليافعيّ ، وسَعْد الدِّين الحَمَويّ ، والفَخْر الرّازيّ ، والجلال السّيوطيّ ، وزكريّا الأنصاريّ ، والشّعرانيّ ، والمقريّ ، وصلاح الدِّين الصَّفَدِيُّ ، وابن العماد الحَنْبَلِيّ ، وعبد الغنيّ النّابلسيّ ، وابن حَجَر الهيتميّ ، وإسماعيل =

- حقّيّ ، وعبد القادر العيدروس ، وابن كمال باشا وصلاح الدّين العشّاقيّ ، ومؤيّد الدّين الجنديّ ، وسَعْد الدّين الفرغانيّ ، وداود القَيْصريّ ، والقاشانيّ ، وعبد الله بوسنويّ ، وبالي أفندي ، وقرّة باش ولي ، وصَدْر الدّين بَركة ، وركْن الدّين الشّيرازيّ ، وعفيف الدّين التّلمسانيّ ، وبير عَلِيّ الهنديّ ، وبايزيد الرّوميّ ، ومظفر الدّين الشّيرازيّ ، ومحمود ودادي ، وخواجة يارسا ، والسّيّد عَلِيّ الهندانيّ ومُحَمّد بن عَلِيّ القاضي ، ومُصْطَفَى معنوي أفندي ، وأمير عَلِيّ ، ومُحَمّد أفندي يازجي ، ومُحَمّد وزير غياث الدّين ، وباب نعمة الله ، والشّريف ناصر الدّين الحُسَيْنِيّ الجيلانيّ ، وفيّاض اللاّهيجيّ ، وضياء الدّين الأصفهانيّ ، ومُحَمّد بن مُصلِح التّبْريزيّ ، ومُحَمّد قطْب الدّين الزّنبيقيّ ، ويعقوب خان كشغري ، وعُمَر أفندي ، ومُلاّ كاتب جلبيّ ، وصاوي عبد الله أفندي ، ومُلاّ عبد الرحمن الجاميّ ، ومُحَمّد بن مُحَمّد القاضي ، وجركس زاده توفيق أفندي ، وغيْرهم كثير .

قال ابن أبي المَنْصُور : هو الشّيْخ الإمام المُحقّق ، رأس أجِلاّء العارفين والمُقَرّبين ، صاحِب الإشارات الملكوتيّة والنّفَحات القدسيّة والأنفاس الرّوحانيّة ، والفَتْح المُوَفّق والكَشْف المُشْرِق ، والبصائر الخارقة والسّرائر الصّادقة ، والمَعارف الباهرة والحقائق الزّاهرة ، له المَحَلّ الأرْفَع مِن مراتب القُرْب في منازل الأُنْس ، والمَوْرِد العَذْب في مَنَاهل الوَصْل ، والطّوْل الأعلى مِن معارج الدُّنُوّ ، والقَدَم الرّاسخ في التّمكين مِن أحوال النّهاية ، والباع الطّوِيل في التّصَرُّف في أحكام الآية ، وهو أحد أركان هذه الطريق ﷺ .

يَحكِي ﷺ فيقول : كُنْتُ في سفينة بالبحر المحيط ، فهاجت الأمواج فقُلْتُ :" اسكُنْ يا بَحْر ؛ فإنّ عليْك بَحْراً مِن العِلْم " فطَلَعَتْ لي هائشة مِن البَحْر وقالت :" قدْ سَمِعْنَا قَوْلك ، فما تقول فيما إذا مُسِخ زَوْجُ المرأة : هلْ تَعْتَدّ عِدّة الأحياء أم الأموات ؟ " فما دَرِيتُ ما أقول ، ونضح العَرَق مِن كُلّ جِسْمي فقالت الهائشة :" تَجْعَلني شَيْخاً لك وأنا أُعلّمك الجواب ؟ " فقُلْتُ :" نَعَمْ " ، قالت :" إنْ مُسِخ حيواناً اعْتَدّت عِدّة الأحياء ، وإنْ مُسِخ جماداً اعْتَدّت عِدّة الأموات " ، فما سُمِع منّي بَعْد ذلك رائحة دَعْوى العِلْم أبدا .

وجاءه تلميذ يَشْكُو له إنكار النّاس عليْهم علومَهم ويطالبونهم بالدّليل عليها ، فقال له : إذا طالَبَكَ أحد بالدّليل والبُرْهَان على علوم الأسرار الإلهيّة فقُلْ له :" ما الدّليل على حلاوة العسل ؟! " فلا بُدّ أنْ يقول لك :" هذا عِلْم لا يَحْصُل إلاّ بالذّوق " فقُلْ له : هذا مِثْل ذاك .

وكان رَجُل مِن دمشق فَرَض على نَفْسه أنْ يَلْعنه ﷺ كُلّ يَوْم عَشْر مَرّات ، فمات وحَضَر ﷺ جنازته ، ثُمّ رَجَع فجَلَس بِبَيْته وتَوَجّه لِلقِبْلَة ، فلَمّا جاء وقْت الغداء أُحْضِر إليه فلم يأكل ، ولم يَزَلْ على حاله إلى بَعْد العِشاء ، فالْتَفَت مسروراً وطَلَب العَشَاء وأكَل ، فقيل له في ذلك فقال ﷺ : " الْتَزَمْتُ مع الله أنّي لا آكل ولا أشْرَب حتّى يَغْفِر لِهذا الذي يَلْعَنني ، وذَكَرْتُ له سَبْعين أَلْف " لا إله إلا الله " ، فغفر له .. انظر : شذرات الذهب ١٩٦/٣ ولطائف المِنَن لِلشّعرانيّ /٥٢٠ -

- من مؤلّفاته : الفتوحات المكّيّة ، الفتوحات المَكّيّة ، الإسرا إلى المقام الأسْرَى ، العابادلة ، فصوص الحِكَم .

من أقواله ﷺ :

- مَن طَلَب دليلاً على وحدانيّة الله تعالى كان الحمار أعْرَف بالله منْه .
- تَحَفَّظْ من لذّات الأحوال ؛ فإنّها سموم قاتلة وحُجُب مانعة .
- لا تُسْأل في الآخرة :" لِمَ حَسَّنْتَ ظنّك بالعباد ؟ " ، فعليك بحُسْن الظّنّ في ولاة الأمور وإنْ جاروا .
- كُلّ ذنب لم يَذْهَبْ من ذِهْن الإنسان فليُحْدِثْ له تَوْبَةً جديدةً ويُكْثِر من الاستغفار ؛ فإنّه لِلآن لم يُبَدّل .
- تعالى الله عن أنْ يكون في مُلْكه ما لا يريد ، ففي مخالَفة الأمر طاعة لِلإرادة .
- ما قال بالاتّحاد إلا أهْل الإلحاد ، وما قال بالحلول إلا مَن دِينُه معلول .
- لا يُنْقِص العارفَ قولُه لِتلميذه :" خُذْ هذا العِلْم الذي لا تجده عند غيْري " ونحوه ممّا فيه تزكية نَفْسه لأنّ قصده حثّ المُتَعَلِّم على القبول .
- إذا استَمَرّ تَوَجُّه القَلْب إلى المَوْلَى سُبْحَانه في كُلّ حركة وسكون من غيْر علّة فباب الفَتْح مَوْجُود .
- مَن صَدَق في شيء وتعلّقَتْ هِمّته بحصوله كان له عاجلاً أو آجلاً ، فإنْ لم يَصِل إليه في الدُّنْيا فهو له في الآخرة ، ومَن مات قَبْل الفَتْح رُفِع إلى محلّ هِمّته .
- مَن لم يُطْرِبْه سماع القرآن من غيْر ألحان فليس على شيء .
- ما تَعَوّد أحدٌ الكذبَ إلا استَدْرَجه ذلك لِلكذب على الله ورسوله .
- كُلّ مَن ثَقُل عليك الجواب عن كلامه فلا تُجِبْه ؛ فإنّ وعاءه ملآن لا يسع الجواب .
- لا تَسُبّ أحداً بسبب معصية ؛ فإنّك لا تَدْري بمَ يُخْتَم لك .
- من أعْظَم المكْر بالعَبْد أنْ يُرْزَق العِلْم ويُحْرَم العمل به ، أو يُرْزَق العمل ويُحْرَم الإخلاص فيه .
- ما ثَمّ شيء أبْرَزَه المَوْلَى سُبْحَانه وتعالى إلى الوجود إلا وفيه حكمة بالغة .
- مَن لم تَتَساوَ سريرته وعلانيته فهو مُنافِق .
- مَن صحّ له قَدَم في التّوْحيد انتَفَتْ عنه الدّعاوَى من نحْو رياء وإعجاب ؛ فإنّه يَجِد جميع الصّفات المحمودة لله لا له ، والعبد لا يُعْجَب بعمل غيْره ولا بمتاع غيْره .
- المُحِبُّ كإنسان العَيْن ؛ خيْر وجوده كثير شهوده .
- جمال صُورتك في الآخرة يكون على قَدْر خواطرك المحمودة في الشّرِيعة هُنَا .
- جميع ما يقع من المسيخ الدّجّال ليس حقيقةً ؛ فالدّجّل تَمْوِيه بإظهار الباطل في صورة الحقّ .

ومن نَظْمه ﷺ :

بيْـــن التّذلّـــل والتّدلّـــل نُقْطَـــةٌ ... فيهـــا يتيـــه العـــالِم النّحْريـــرُ

هي نُقْطَة الأكْوان إنْ جاوزتَـها ... كُنْتَ الحكيمَ وعِلْمُك الإكْسيرُ

وقالَ بَعْضُ الأئمَّةِ المُتَقَدِّمِينَ : هُوَ " الحَيُّ القيُّومُ " ؛ لِقَولِهِ ﷺ ﴿ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي ثَلَاثِ سُوَرٍ مِنَ الْقُرْآنِ : فِي الْبَقَرَةِ ، وآلِ عِمْرَانَ ، وَطَه ﴾ (١) .

وقالُوا : لأنَّهُ في البَقَرَةِ في آيةِ الكُرْسِيِّ وفي آلِ عِمْرَان ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوم ﴾ (٢) وفي طه ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّوم ﴾ (٣) ..

قالَ النَّوَوِيُّ في فتاواهُ :" وهذا استِنْبَاطٌ حَسَن " .

وقَدْ نقَلْنَا في " شَرْحِ الأمَالِي " لِهذا الاسمِ فوائد .

- يا حبَّذَا المَسْجِدِ مِن مَسْجِدِ ... وحبَّذَا الرَّوْضَةِ مِن مَشْهَدِ
وحبَّذَا طيبةِ مِن بلدةٍ ... فيها ضريحِ المُصْطَفَى أحمدِ
صلَّى عليه اللهِ مِن سَيِّدٍ ... لولاه لم نُفْلِح ولم نَهْتَدِ
قَدْ قَرَنَ اللهِ به ذِكْرَهُ ... في كُلِّ يومٍ فاعتَبِرْ تَرْشُدِ
عَشْرٌ خَفِيَّاتٌ وعَشْرٌ إذا ... أُعْلِنَ بالتأذين في المَسْجِدِ
فهذه عشرون مقرونةٌ ... بأفْضَلِ الذِّكْرِ إلى المَوْعِدِ

تُوُفِّي ﷺ بدمشق سَنَة ٦٣٨ هـ .

(١) أخرَجه الحاكم ٦٨٤/١ والطَّبرانيّ ١٨٣/٨ وفي الأوسط ١٩٢/٨عن سيِّدنا أبي أمامة ﷺ ، وابن ماجة ١٢٦٧/٢ مُرْسَلاً عن القاسم بن عبد الرحمن .

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٥٥ ، سورة آل عمران الآية ٢

(٣) سورة طه من الآية ١١١

الكَنْزُ الخَامِسُ عَشَرَ

نُزُولُ التُّفَّاحةِ في حِجْرِ الأُسْتَاذِ - يَعْنِي مِنَ الجَوِّ - لهُ شَوَاهِدُ كثيرة ..

مِنْها : سُئِلَ أَحْمَدُ الطَّبرانيُّ السَّرَخْسِيُّ (١) :" هَلْ ظَهَرَ لكَ شَيْءٌ مِنَ الكراماتِ ؟ " فقالَ :" في وَقْتِ إرادَتِي وابْتِدَاءِ أَمْرِي رُبَّمَا كُنْتُ أَطْلُبُ حَجَراً أَسْتَنْجِي بِهِ فَلَمْ أَجِدْهُ ، فتَنَاوَلْتُ شيئاً مِنَ الهواءِ فكانَ جَوْهَراً فاسْتَنْجَيْتُ بِهِ وطَرَحْتُه " ، ثُمَّ قالَ :" وأيُّ خَطَرٍ لِلكراماتِ ؟! إنَّمَا المَقْصُودُ مِنْها زِيادةُ اليقينِ في التَّوْحِيدِ ، فَمَنْ لاَ يَشْهَدُ غَيْرَهُ مَوْجُوداً في الكَوْنِ فسَوَاءٌ أَبْصَرَ فِعْلاً مُعْتَاداً أَوْ ناقِضاً لِلعادة " (٢) .

ومِنْ شواهِدِهِ : قَوْلُ ذِي النُّونِ :" رَأَيْتُ شَابّاً عِنْدَ الكَعْبَةِ يُكْثِرُ الرُّكُوعَ والسُّجُودَ ، فَنَوَيْتُ مِنْهُ وقُلْتُ :" إنَّكَ تُكْثِرُ الصَّلاةَ ؟! " فقالَ :" أَنْتَظِرُ الإذْنَ مِنْ رَبِّي في الانْصِرَافِ " قالَ :" فَرَأَيْتُ رُقْعَةً سَقَطَتْ عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ فيها :(مِنَ الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ إِلَى عَبْدِيَ الصَّادِقِ .. انْصَرِفْ مَغْفُوراً لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) " (٣) .

ومِنَ الشَّواهِدِ : أنَّ واصِلاً الأحدبَ (٤) قَرَأَ ﴿ **وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ** ﴾ (٥) فقالَ :" رِزْقِي في السَّمَاءِ وأَنَا أَطْلُبُهُ في الأَرْضِ ! واللهِ لاَ أَطْلُبُهُ أَبَداً " ، فَدَخَلَ خَرِبَةً فمَكَثَ يَوْمَيْنِ فلَمْ يَظْهَرْ لهُ شَيْءٌ ، فاشْتَدَّ عَلَيْهِ الجُوعُ ، فلَمَّا كانَ اليَوْمُ الثَّالِثُ وإذَا بِدوخَلَةٍ مِنْ رُطَبٍ ، وكانَ لهُ أَخٌ لهُ فصارَا دوخلَتَيْنِ ، فَلَمْ يَزَلْ ذلكَ حالُهُمَا حتَّى فَرَّقَ المَوْتُ بَيْنَهُمَا (٦) .

(١) السّائل هو الإمام القُشَيْرِيّ ﷺ .

(٢) انظر : الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٨٢ وجامع كرامات الأولياء ٤٨٦/١

(٣) انظر : رَوْض الرَّياحين /٩٣ وجامع كرامات الأولياء ٦٢٥/١

(٤) هو واصل بن حيان الأحدب الأسديّ ﷺ ، أَخَذ عن شقيق بن سلمة وعبد الله بن أبي الهذيل والمعرور بن سويد ، وأَخَذ عنه مَهْديّ بن ميمون وسفيان الثَّوْريّ وعبد الملك بن أبي سليمان .

تُوُفِّي ﷺ بالكوفة سَنَة ١٢٠ هـ .

(٥) سورة الذّاريات الآية ٢٢

(٦) انظر : الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٩٠ وطبقات المُحَدِّثين بأصفهان ١٠٨/٣ وجامع كرامات الأولياء لِلنَّبْهانيّ ٥١٥/٢

وقَدْ أَفْرَدْتُ لِهَذِهِ الآيةِ تأليفاً لَطِيفا .

ومِنَ الشَّواهِدِ : أنَّ أُناساً أَتَوْا عَبْدَ الواحدِ بْنَ زَيْدٍ (١) وقالُوا :" إنَّا نَخَافُ مِنَ الضَّيْعَةِ والْحَاجَةِ " ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ وقالَ :" اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الرَّفِيعِ الَّذِي تُكْرِمُ بِهِ مَنْ تَشَاءُ مِنْ أَوْلِيَائِكَ وَتُلْهِمُهُ الصَّفِيَّ مِنْ أَحِبَّائِكَ أَنْ تَأْتِيَنَا بِرِزْقٍ مِنْ لَدُنْكَ تَقْطَعُ بِهِ عَلاَئِقَ الشَّيْطَانِ مِنْ قُلُوبِنَا وَقُلُوبِ أَصْحَابِنَا هَؤُلاَءِ ؛ فَأَنْتَ الْحَنَّانُ الْمَنَّانُ الْقَدِيمُ الإِحْسَانِ .. اللَّهُمَّ السَّاعَةَ السَّاعَةَ ..

قَالَ سعيدُ بْنُ يَحْيَى (٢) :" فسَمِعْتُ قَعْقَعَةَ السَّقْفِ ثُمَّ تَنَاثَرَتْ عَلَيْنَا الدَّنَانيرُ والدَّراهِمُ ، فقالَ عَبْدُ الواحدِ :" اسْتَغْنُوا باللهِ عَنْ غَيْرِهِ " ، فأَخَذُوا ذلكَ ،

---

(١) هو أبو عُبَيْدة عبد الواحد بن زَيْد البَصْريّ ﷺ ، أخَذ عن الحَسَن البَصْريّ وأيّوب السَّخْتيانيّ وعطاء بن أبي رباح ، وأخَذ عنه أبو سليمان الدّارانيّ ووكيع وزيْد بن الحباب .

صلّى ﷺ الصُّبْح بوضوء العِشاء أربَعين سَنَة .

من أقواله ﷺ :

- الرِّضَا باب الله الأعْظَم وجَنّة الدُّنْيا ومُسْتَراح العابدين .
- أتراك تَصْبر لِمَحَبّته عن هواك فيُخَيِّب صبرك ؟! لقد أساء بسَيِّده الظَّنّ مَن ظَنّ به هذا وشَبَهه .
- عليكم بالخبز والملح ؛ فإنّه يذيب شَحْم الكُلَى ويزيد في اليقين .
- مَن قَوِي على بَطْنه قَوِي على دينه ، ومَن قَوِي على بَطْنه قَوِي على الأخلاق الصّالحة .
- ألاَ تَسْتَحْيون من طُول ما لا تَسْتَحْيون ؟!
- مَثَل المُؤْمن مَثَل الولَد في الرَّحِم لا يحبّ الخروج ، فإذا خَرَج لم يُحِبّ أنْ يَرْجِع ، فكذلك المُؤْمن إذا خَرَج من الدُّنْيا .
- جالِسوا أهْل الدِّين ، فإنْ لم تجدوهم فجالِسوا أهْل المروءات ؛ فإنّهم لا يرفثون في مَجَالِسهم .
- نِعَمه غادية ورائحة على أهْل معصيته ، فكيف ييأس من رحْمته أهْل محبّته ؟!
- ما من عبْد أعطي من الدُّنْيا شيئاً فابْتَغَى إليه شيئاً ثانياً إلا سَلَبه الله تعالى حُبّ الخَلْوَة معه وبَدّله بَعْد القُرْب بُعْداً وبَعْد الأُنْس وَحْشَة .

تُوُفِّي ﷺ سَنَة ١٧٧ هـ .

(٢) هو أبو سفيان سعيد بن يحيى بن سعيد بن أبَان الأمويّ ﷺ ، أخَذ عن أبيه وعبد الله بن المبارك وعيسى بن يونس ، وأخَذ عنه البخاريّ ومُسْلِم وأبو زرعة .

من مؤلّفاته : المَغازي .

تُوُفِّي ﷺ سَنَة ٢٤٩ هـ .

ولَمْ يأْخُذْ عَبْدُ الواحدِ مِنْهُ شيئا (١) .

وقَوْلُ هَذَا العارِفِ :" وتُلْهِمُهُ الصَّفِيَّ مِنْ أَحِبَّائِكَ " شاهِدٌ ؛ لأَنَّ مَعْرِفَةَ أُسْتَاذِنَا اسْمَ اللهِ الأَعْظَمَ بإلهامِهِ سُبْحَانَهُ عَلاَمَةٌ عَلَى أَنَّهُ اصْطَفَاهُ اللهُ بالوِلايةِ .

فإنْ قُلْتَ : مَا الإشارةُ في أَمْرِ الأُسْتَاذِ بإلقاءِ ما بَقِيَ مِنَ التُّفَّاحةِ بَعْدَ أَكْلِ بعضِها فرَمَاهَا ؟

قُلْتُ واللهُ أَعْلَمُ : إنَّ الإشارَةَ في ذلكَ إلى التَّقَلُّلِ مِنَ الدُّنْيَا بالزُّهْدِ فيهَا لِحَقَارَتِهَا ، ولِهَذَا كانَ الشَّيْخُ - رحمةُ اللهِ عَلَيْهِ - لهُ شأْنٌ عجيبٌ في الزُّهْدِ سيأْتي بيانُهُ ، كَيْفَ وقَدْ هَبَّتْ عَلَيْهِ النَّسَمَاتُ واخْتَطَفَتْهُ العِنَايَاتُ وأَلْقَتْهُ في بَحْرِ الفَنَاءِ بالتَّجَلِّيات !

قالَ أَبُو العبَّاس المُرْسِيُّ :" إذَا أَتَى مُرِيدٌ لهُ مِنَ الدُّنْيَا شيءٌ لاَ نَقُولُ لهُ " اخْرُجْ مِنْ دُنْيَاكَ وتَعَالَ " ، ولكنْ نَدَعُهُ حتَّى تَتَرَشَّحَ فيهِ أَنْوارُ المِنَّةِ ؛ فيكُونُ هُوَ الخَارِجَ مِنَ الدُّنْيَا بِنَفْسِه ، ومَثَلُ ذلكَ : قَوْمٌ ركِبُوا سَفِينةً فقالَ الرَّئِيسُ لَهُمْ : "تَهُبُّ ريحٌ شديدةٌ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْهَا إلاَّ أَنْ تَرْمُوا بَعْضَ أَمْتِعَتِكُمْ ، فارْمُوا بِهَا الآنَ " فلاَ يَسْمَعُ أحدٌ قَوْلَهُ ، فإذَا هَبَّتِ العَوَاصِفُ كانَ الكَيِّسُ مَنْ يَرْمِي متاعَه ؛ كذلكَ إذا هَبَّتْ عَوَاصِفُ اليقينِ يكونُ المُرِيدُ هُوَ الخارِجُ مِنَ الدُّنْيَا بنَفْسِه (٢) .

ومِنْ دُعاءِ شَيْخِهِ أَبِي الحَسَنِ الشَّاذُلِيِّ :" اللَّهُمَّ إنَّ الدُّنْيَا حقِيرَةٌ حقِيرٌ مَا فِيهَا ، وَإنَّ الآخِرَةَ كَرِيمَةٌ كَرِيمٌ مَا فِيهَا ، وَأَنْتَ الَّذِي حقَّرْتَ الْحَقِيرَ وكَرَّمْتَ الْكَرِيمَ ، فَأَنِّي يَكُونُ كَرِيماً مَنْ طَلَبَ غَيْرَكَ ! أَمْ كَيْفَ يَكُونُ زَاهِداً مَنِ اخْتَارَ الدُّنْيَا مَعَكَ ! فَحَقِّقْنِي بِحَقَائِقِ الزُّهْدِ حَتَّى أَسْتَغْنِيَ عَنْ طَلَبِ غَيْرِكَ ، وَبِمَعْرِفَتِكَ حَتَّى لاَ أَحْتَاجَ إِلَى طَلَبِكَ ، إِلَهِي .. كَيْفَ يَصِلُ إِلَيْكَ مَنْ طَلَبَكَ ؟! أَمْ كَيْفَ يَفُوتُكَ مَنْ هَرَبَ مِنْكَ ؟! فَاطْلُبْنِي بِرَحْمَتِكَ ، وَلاَ تَطْلُبْنِي بِنِقْمَتِكَ يَا عَزِيزُ يَا مُنْتَقِمُ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير " (٣) ، ولِهَذَا الدُّعَاءِ أَسْرارٌ أَوْدَعَنَاهَا " مُرْشِدَ الأُمَمِ لِشَرْحِ الحِكَمِ " .

(١) انظر : الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٩٤ ورَوْض الرَّياحين /٢١٨

(٢) انظر لطائف المِنَن /١٤٥

(٣) انظر : لطائف المِنَن /١٦٤ ودُرَّة الأسرار /٩٤ والمَفاخر العَلِيَّة /١٠٣

وقَدْ رُوِيَ في حديثِ الإسراء أنَّ امْرَأَةً كأنَّ وَجْهَهَا القَمَرُ في كدرٍ مِنْ زِينَةِ الثِّيَابِ ، عَلَيْهَا عِقْدٌ مِنْ لؤلؤٍ قدْ نُظِمَ مِنْ صَدْرِهَا إلَى مَا يَلِي تَرَاقِيَهَا ـ واقِفَةً وَسَطَ الطَّرِيقِ فقالَتْ :" يَا مُحَمَّدُ .. عَلَى رِسْلِكَ أَسْأَلُكَ " فَلَمْ يُجِبْهَا النَّبِيُّ ﷺ ، فقالَ لهُ جِبْرِيل :" تِلْكَ الدُّنْيَا قَدْ تَزَيَّنَتْ لَكَ ، فَلَوْ وَقَفْتَ إلَيْهَا (وفي رواية : لَوْ أَجَبْتَهَا) لاَخْتَرْتَهَا " (١) .

ومِنْ ثَمَّ قالَ المُرْسِيُّ :" الدُّنْيَا كالنَّارِ ، وهيَ قائلةٌ لِلْمُؤْمِنِ :" جُزْ يَا مُؤْمِنُ ؛ فَقَدْ أَطْفَأَ نُورُ قَنَاعَتِكَ لَهَبِي " .

ولَمَّا رَفَضَ القَوْمُ الدُّنْيَا خَدَمَتْهُمْ ، كَمَا قِيلَ : إنَّ سَرِيّاً لَمَّا تَرَكَ التِّجَارَةَ كانَتْ أُخْتُهُ تُنْفِقُ عَلَيْهِ مِنْ غَزْلِهَا ، فأَبْطَأَتْ يَوْماً واعْتَذَرَتْ لهُ بأنَّهُ لَمْ يُشْتَرَ ، فامْتَنَعَ عنْ طَعَامِهَا ، فدَخَلَتْ عَلَيْهِ يَوْماً فوَجَدَتْ عَجُوزاً تَكْنُسُ بيْتَهُ وتَحْمِلُ إلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ رغيفَيْن ، فَحَزِنَتْ أُخْتُهُ وشَكَتْهُ إلَى الإمام أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ (٢) ، فكَلَّمَهُ فقالَ :" لَمَّا

(١) أَخْرَجَهُ البَيْهَقِيّ في الدَّلائِل ٣٩٠/٢ والحارث بن أبي أسامة ١٧١/١ والطَّبريّ في التَّفْسير ١١/١٥ والقُرْطُبِيّ في التَّفْسير ٢٠٦/١٠ عن سَيِّدنا أبي سعيد الخدريّ ﷺ ، والطَّبرانيّ في الأوسط ١٦٦/٤ عن عبد الرحمن بن أبي لَيْلَى .

(٢) هو الإمام أبو عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حَنْبَل الشَّيبانيّ المرْوزيّ ﷺ ، أحد أئمَّة الفقه الأربعة ، وُلِد ببغداد سَنَة ١٦٤ هـ ، أَخَذ عن بِشْر الحافي وحاتم الأصمّ والشّافعيّ ، وأَخَذ عنه البخاريّ ومُسْلِم وأبو داود .

قال عنه ابن راهويه : هو حُجَّة بيْن الله وبيْن عباده في أرْضه .

وقال ابن مهديّ : لقد كاد هذا الغلام أنْ يكون إماماً في بَطْن أُمّه .

قال عبد الله بن أحمد : رَأَيْتُ أبي حَرَّج على النَّمْل أنْ يَخْرُجْن مِن داره ، ثُمّ رأيْتُ النَّمْل قدْ خَرَجْن بَعْد ذلك نملاً سوداء ، فلم أَرَهُمْ بَعْد ذلك ، ورَأَيْتُ أبي آخذاً شَعْرةً مِن شَعْر النَّبِيّ ﷺ فيَضَعها على فيه يُقَبِّلها ، وأَحْسَبُ أنّي رَأَيْتُه يضعها على عيْنَيْه ويَغْمسها في الماء ثُمّ يَشْرَبه ثُمّ يَسْتَشْفِي بها ، ورَأَيْتُه قدْ أَخَذ قصعةً لِلنَّبِيّ ﷺ فغَسلها في جُبّ الماء ثُمّ شَرِب فيها ، ورَأَيْتُه غَيْر مَرّة يَشْرَب ماء زَمْزَم يَسْتَشْفِي به ويَمْسَح به بيْن يديْه .. حِلْيَة الأوْلِياء ١٨٣/٩ وانظر سِيَر أعلام النُّبَلاء ٢١٨/١١ .

بَلَغ من تَحَرِّيه ﷺ لِلسُّنَّة أنّه اخْتَفَى أيّام مِحْنَة القَوْل بخَلْق القرآن ـ الذي تَبَنَّتْه المُعْتَزِلَة ـ وجَهْره بمُعارَضة ذلك القول ، ثُمّ خَرَج بَعْد اليَوْم الثّالث مِن اختفائه ، فقيل له :" إنّهم الآن يَطْلُبونك ؟! " فقال : لم يَبْلُغْني أنّ رسول الله ﷺ اخْتَفَى في الغار مِن الكفار أكْثر مِن ثلاثة ، ولو أنّه زاد لَزِدْت .

وقَبْل وفاته بأيّام وجيزة زاره قَوْم فسألوه : ماذا يقول فيمَن جَلَده ؟ ـ وكان قدْ جُلِد ألْف جَلْدةٍ عندما =

امْتَنَعْتُ عنْ طعامِهَا قَيَّضَ اللهُ لِيَ الدُّنْيَا لِتُنْفِقَ عَلَيَّ وتَخْدِمَنِي " (١) .

وقالَ عَبْدُ الواحدِ بْنُ زَيْدٍ لأبِي عاصِمٍ (٢) :" كَيْفَ صَنَعْتَ حِينَ طَلَبَكَ الحَجَّاجُ (٣) ؟ " قالَ :" كُنْتُ في غُرْفَتِي ، فدَقُّوا عَلَيَّ البابَ فدَخَلُوا ، فدُفِعَ بِي دَفْعَةً

= قُبِض عليه وحُبِس في تلك المحنة ـ فقال : ماذا أقول في قَوْم جَلَدوني في الله تعالى ظنّاً منهم أنّي كُنْتُ مُخْطِئاً وهُمْ مصيبون ؟! إنّي لا أُطالَب قصاصهم يَوْم الحشر الأكبر على ضُرَيْبات قليلة .

ويَذْكُر السيِّد مُحَمَّد عثمان عبده البرهانيّ أنّه كان إذا حَصَل مسّ مِن الجنّ لأحد مِن النّاس أتَوْا بحذاء الإمام أحمد ﷺ فيخاف الجنّ ويَتْرُك المَمْسُوسَ ويَهْرُب لِمُجَرَّد إرسال مَركوبه ﷺ .

كما يَذْكُر ﷺ أنّ الإمام أحمد ﷺ كان لا يَسْأل مِن الله إلا الله .

سُئِل ﷺ : بمَ تلين القلوب ؟ فقال : يا بُنَيّ .. بأكل الحلال .

مِن مؤلَّفاته : المُسْنَد ، الزُّهْد ، الفضائل ، النّاسخ والمَنْسُوخ ، طاعة الرَّسُول ، الرَّدّ على الجهميّة .

مِن أقواله ﷺ :

- التَّوَكُّل الثِّقة بالله أنْ يَرْزُقك .. الرِّضَا تَسْلِيم الأمور إلى الله .. الفُتُوَّة تَرْك ما تَهْوَى لِمَا تَخْشَى .
- الإخلاص هو الخلاص مِن آفات العمل ، فخَلِّصْ أعمالك مِن الغرور والشِّرْك ومِمَّا يلائم نَفْسك .
- العمل بضعيف الحديث ـ عندي ـ خيْر مِن العمل بقَوِيّ رَأْي الرِّجال .

تُوُفِّي ﷺ ببغداد سَنَة ٢٤١ هـ عنْ ٧٧ سَنَة ..

قال عبد الله بن أحمد : حَضَرْتُ وفاة أبي أحمد وبيدي الخرقة لأُشُدّ لِحْيَيْه ، فكان يغْرق ثُمّ يفيق ويقول بيده :" لا بَعْدُ .. لا بَعْدُ " ، فَعَل هذا مراراً ، فقُلْتُ له :" يا أبتِ .. أيّ شيء يبدو منْك ؟! " فقال : إنّ الشَّيْطان قائم بحذائي عاضّ على أنامله يقول :" يا أحمد .. فُتِّنِي " وأنا أقول : لا بَعْدُ .. لا بَعْدُ حتّى أموت .

ولَمّا ماتَت أُمّ القطيعيّ دَفَنها ابْنها في جوار أحمد بن حنبل ، فرآها بَعْد ليالٍ فقال :" ما فَعَل الله بكِ ؟ " فقالت :" يا بُنَيّ .. رضي الله عنْك ؛ فلقد دَفَنْتِني في جوار رَجُل تَنْزِل على قبْره في كُلّ ليلة رحمة تَعُمّ جميعَ أهْل المقبرة ، وأنا منْهم .. صفة الصَّفْوَة ٢/٣٥٩

(١) انظر الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٩١

(٢) هو أبو عاصم الضَّحّاك بن مخلد بن الضَّحّاك الشَّيبانيّ البَصْرِيّ ﷺ ، وُلِد سَنَة ١٢١ هـ ، لُقِّب بـ" النَّبيل " ، أخَذ عن سفيان الثَّوْريّ والأوزاعيّ وابن جريج ، وأخَذ عنه البخاريّ وأحمد وعبْد ابن حميد .

تُوُفِّي ﷺ بالبَصْرة سَنَة ٢١٢ هـ .

(٣) هو الحَجّاج بن يوسف بن أبي عقيل الثَّقفيّ ، كان أمير العراق لِعبد الملك بن مروان ، وهو أول مَن سكّ عملةً عربيّةً ، وأوّل مَن ضبَط القرآن بأمْره لِنَصْر بن عاصم بَعْد أنْ كَثُر الخَلْط في قراءته . =

- قال عُمَر بن عبد العزيز ﷺ : لو جاءت كُلّ أُمّة بمنافقيها وجِئْنَا بالحَجّاج لَفضَلْناهم .

وقال الذَّهَبيّ : وله حسنات مغمورة في بَحْر ذنوبه ، وأمْرُه إلى الله .. سيَر أعلام النُبَلاء ٣٤٣/٤

قال له عبد الملك بن مروان :" ما مِن أحد إلا وهو عارف بعيوب نَفْسه ، فَعِبْ نَفْسك ولا تُخَبِّئ منْها شيئاً " فقال الحَجّاج :" يا أمير المؤمنين .. أنا لَحُوح لَدُود حَقُود حَسُود " فقال له عبد الملك :" إذَنْ بيْنك وبيْن الشَيْطان نَسَب " فقال الحَجّاج : يا أمير المؤمنين .. إنّ الشَيْطان إذا رآني سالَمَني ..

وروى صاحِب " العقد الفريد " أنّه لَمّا اسْتَقَرّت البَيْعَة لِعَبْد الملك بن مروان أراد الخروج إلى مُصْعَب بن الزُبَيْر ، فجَعَل يَسْتَنْفِر أهْل الشّام فيُبطئون عليْه ، فقال له الحَجّاج :" سَلِّطْني عليْهم ؛ فوالله لأُخْرِجَنَّهُمْ معك " قال له :" قدْ سَلَّطْتُك عليْهم " ، فكان الحَجّاج لا يَمُرّ على باب رَجُل مِن أهْل الشّام قدْ تَخَلّف عن الخروج إلاّ أحْرَق عليْه دارَه ، فلَمّا رَأى ذلك أهْل الشّام خرجوا .

ويقول صاحِب " العقْد الفريد " : ومِمّا كَفّرَت به العلماءُ الحَجّاجَ قولُه ـ ورأى النّاس يطوفون بقبر رسول الله ﷺ ومنبره ـ : إنّما يَطُوفون بأعواد ورمّة .

أُتِي يوماً بامرأة مِن الخوارج ، فجَعَل يُكَلِّمها وهي لا تَنْظُر إلَيْه ، فقيل لها :" الأمير يُكَلِّمكِ وأنتِ لا تَنْظُرين إلَيْه ؟! " فقالت :" إنّي لأَسْتَحْيِي أنْ أنْظُر إلى مَن لا يَنْظُر الله إلَيْه " فأمَر بها فقُتِلَت .

وأراد الحَجّاج أن يَحُجّ فاسْتَخْلَف مُحَمّداً ولدَه على أهْل العراق ، ثُمّ خَطَب فقال : يا أهْل العراق يا أهْل الشّقاق والنِّفاق .. إنّي أرَدْتُ الحجّ ، وقد اسْتَخْلَفْتُ عليْكم مُحَمّداً ولدي وأوْصَيْتُه فيكم بخلاف ما أوْصَى به رسول الله ﷺ في الأنصار ؛ فإنّه أوْصَى فيهم أن يُقْبَل مِن مُحْسِنهم ويُتَجاوز عن مُسِيئهم ، وإنّي أوْصَيْتُه أنْ يَقْبَل مِن مُحْسِنكم وأنْ لا يَتَجاوز عن مُسِيئكم ، ألاَ وإنّكم قائلون بَعْدي مقالةً لا يَمْنَعكم مِن إظهارها إلا خَوْفي :" لا أحْسَن الله له الصّحابة " ، وأنا أُعَجّل لكم الجواب : فلا أحْسَن الله عليْكم الخلافة .

وقال طاووس : بَيْنَا أنا بمكّة إذْ دُفِعْتُ إلى الحَجّاج بن يوسف فتَنّى لي وِساداً فجَلَسْتُ ، فبَيْنَا نَحْن نَتَحَدّث إذ سَمِعْتُ صَوْت أعرابيّ في الوادي رافعاً صَوْتَه بالتّلْبِية ، فقال الحَجّاج :" عَلَيّ بالْمُلَبّي " فأُتِي به ، فقال :" مَن الرّجُل ؟ " قال :" مِن أفناء النّاس " قال :" ليس عن هذا سألْتُك " قال :" فَعَمّ سألْتَني ؟ " قال :" مِن أيّ البلدان أنت ؟ " قال :" مِن أهْل اليمن " ، قال له الحَجّاج :" فكَيْف خَلّفْتَ مُحَمّد ابن يوسف ؟ " (يعني أخاه ، وكان عامِلَه على اليمن) قال :" خَلّفْتُه عظيماً جسيماً خَرّاجاً ولاّجاً " قال :" ليس عن هذا سألْتُك " قال :" فَعَمّ سألْتَني ؟ " قال :" كَيْف خَلّفْتَ سِيرتَه في النّاس ؟ " قال : " خَلّفْتُه ظلوماً غشوماً عاصياً لِلخالق مُطِيعاً لِلْمَخْلُوق " فازْوَرّ مِن ذلك الحَجّاج وقال :" ما أقْدَمَك على هذا وقدْ تَعْلَم مكانته مِنّي ؟ " فقال له الأعرابيّ :" أفتراه بمكانته منْك أعَزّ مِنّي بمكانتي مِن الله تَبارَك وتعالى وأنا وافِد بيْته وقاضي دَيْنه ومُصَدّق نَبِيّه ﷺ ؟! " فوَجَم لها الحَجّاج ولم يَجِرْ له جواباً حتّى خَرَج الرّجُل بلا إذْن ، فتَبِعْتُه حتّى أتَى المُلْتَزَم فتَعَلّق بأسْتار الكَعْبَة فقال :" بك أعُوذ وإلَيْك ألُوذ ، -

فإذَا أنَا عَلَى جَبَلِ أبِي قبيسٍ بمكَّةَ " ، قالَ عَبْدُ الواحدِ :" مِنْ أيْنَ كُنْتَ تأكلُ ؟ " قالَ :" كانَتْ عَجُوزٌ تَصْنَعُ إلَيَّ في كُلِّ وَقْتٍ إفطاري بالرَّغِيفَيْنِ اللَّذَيْنِ كُنْتُ آكُلُهُمَا بالبَصْرَةِ " ، قالَ عَبْدُ الواحدِ :" تِلْكَ الدُّنْيَا أمَرَهَا اللهُ أنْ تَخْدِمَ أبا عاصِمٍ " (١) .

وأمَّا رَمْيُ أُسْتَاذِنَا التُّفَّاحَةَ قَبْلَ أكْلِهَا مَخَافَةَ كَوْنِهَا لُقَطَةً : فهَذَا كانَ شَأْنَ القَوْمِ ﷺ كَمَا قالَ أبُو بكْرٍ الكِتَّانيُّ (٢) :" كُنْتُ في طريقِ مكَّةَ فإذَا أنَا

= فاجْعَلْ لي في اللُّهف إلى جِوارك والرِّضَا بضمانك مَنْدُوحةً عن مَنْع الباخلين وغِنىً عمَّا في أيْدي المُسْتَأثِرين .. اللَّهُمَّ عُدْ بفَرَجك القريب ومَعْروفك القديم وعادتِك الحَسَنَة " ، ثُمَّ اخْتَفَى في النَّاس ، فألْفَيْتُه بعرفات قائماً على قَدَمَيْه وهو يقول : اللَّهُمَّ إنْ كُنْتَ لم تَقْبَل حَجِّي ونَصَبي وتعبي فلا تَحْرِمْني أجْرَ المصاب على مصيبته ، فلا أعْلَم مصيبةً أعْظَم مِمَّنْ وَرَدَ حوْضَك وانْصَرَفَ محروماً مِن وجْه رحْمتك .

وأُتِي الحَجَّاج بحرورية فقال لأصحابه :" ما تَقُولون في هذه ؟ " فقالوا :" اقْتُلْها - أصْلَح الله الأمير - ونَكِّلْ بها غيْرها " ، فتَبَسَّمَت الحروريّة ، فقال لها :" لِمَ تَبَسَّمْتِ ؟! " فقالت :" لقدْ كان وزراء أخيك فِرْعَوْن خيْر مِن وزرائك يا حَجَّاج ؛ استَشَارهم في قَتْل موسى فقالوا ﴿ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ ، وهؤلاء يأمرونك بتَعْجِيل قَتْلي " فضَحِك الحَجَّاج وأمَر بإطلاقها .

قال الأصمعيّ : عُرِضَت السُّجُون بَعْد هلاك الحَجَّاج فوجدوا فيها ثلاثةً وثلاثين ألْفاً لم يَجِب على واحد منْهم قَتْل ولا صَلْب .

وقال النَّضْر بن شُمَيل : سَمِعْتُ هشاماً يقول : أحْصَوْا مَن قَتَل الحَجَّاج صبراً فوجدوهم مائة ألْف وعشرين ألْفا .

تُوُفِّي سَنَة ٩٥ هـ ..

قال يزيد الرَّقاشيّ عند الحَسَن البَصْريّ ﷺ :" إنِّي لأرجو لِلحَجَّاج " فقال ﷺ : إنِّي لأرجو أن يُخْلِف الله رجاءك .

ويُرْوَى أنّ الحَجَّاج قال عند الموت :" اللهم اغْفِرْ لي ؛ فإنَّهم زعموا أنَّك لا تَفْعَل " ، ولَمَّا بَلَغ ذلك الحَسَنَ البَصْريّ قال :" أقالها ؟ " قالوا :" نَعَمْ " قال : عسى .. حُسْن الظَّنّ بالله لابن أبي الدُّنْيَا /١٠٧

(١) انظر : الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٨٩ ورَوْض الرَّياحين /١٢٢ وجامع كرامات الأولياء ٤٥٩/١

(٢) هو أبو بكر مُحَمَّد بن عَليّ بن جَعْفَر الكتَّانيّ ﷺ ، ولِد ببغداد وأقام بمكة وجاوَر بها إلى أنْ مات يُعْرَف بـ" سراج الحَرَم " ، أخَذ عن أبي القاسم الجُنَيْد وأبي الحُسَيْن النّوريّ وأبي سعيد الخرّاز ، وأخَذ عنه أحمد بن أبي الحواريّ وجَعْفَر الخلديّ وأبو القاسم البَصْريّ .

مِن أقواله ﷺ :

- لولا أنّ ذِكْره عَلَيّ فرْض ما ذَكَرْتُه إجلالاً له ؛ مِثْلي يَذْكُره ولم يغسل فمه بألْف توبة مُتَقَبَّلَة ؟! -

بهميانٍ (١) ملآنٍ دنانيرَ تَلْمَعُ ، هَمَمْتُ أنْ أحْمِلَهُ لأُفَرِّقَهُ عَلَى الفُقَرَاءِ ، فهَتَفَ بِي هاتِف :(إنْ أخَذْتَهُ سَلَبْنَاكَ فَقْرَك) (٢) .

= – إذا سألْتَ الله التَّوفيق فابْتَدِر العمل .

– روعةٌ عند انْتِبَاه من غفلة وانقطاع عنْ حظّ نَفْسٍ وارتعادٌ من خوف قطيعةٍ أعْوَد على المريد منْ عبادة الثَّقَلَيْن .

– مَن اطَّلَع على ذرّة من عِلْم التَّوْحيد حَمَل السَّماوات والأرضين على شَعْرة من جَفْن عَيْنَيْه .

– الشَّهْوَة زمام الشَّيْطان ، ومَن أخَذ بزمام الشَّيْطان كان عبْدَه .

– كُنْ كما تُرِي النَّاس وإلا فأرِ النَّاسَ ما تَكون .

– إنّ لله ريحاً تُسَمَّى " الصَّبِيحة " مخزونة تحْت العرش ، تهبّ عند الأسحار تَحْمِل الأنين والاستغفار إلى المَلِك الجبار .

– يقول الله عزّ وجلّ :(مَا مِنْ عَبْدٍ أصْبَحَ فِي الدُّنْيَا وَفِي قَلْبِه هَمَّانِ إلاَّ وَأنَا بَرِيءٌ مِنْهُ : هَمُّ الْمَعَاصِي وَهَمُّ الْمَال) .

– إذا صحّ الافْتِقَار إلى الله صحّت العناية ؛ لأنّهما حالان لا يَتِمّ أحدهما إلا بصاحبه .

– العِلْم بالله أعلَى وأوْلَى من العبادة له .

– مِنْ حُكْم المريد أنْ يكون فيه ثلاثة أشياء : نومه غَلَبَة ، وأكْله فاقة ، وكلامه ضرورة .

– التَّصَوُّف خُلُق ، فمَنْ زاد عليْك في الخُلُق زاد عليْك في التَّصَوُّف .

– إنّ الله لم يَحْتَجِبْ عنْ خَلْقه ، إنَّما الخَلْق احْتَجَبوا عنْه بحُبّ الدُّنْيَا .

– حِفْظ الأسرار صَوْنُها عنْ رؤية الأغيار .

– لمْ يَفْتَح الله لسان المُؤْمن بالمَعْذِرَة إلا لِفَتْح باب المَغْفِرَة .

– إنّ الله نظر إلى طائفة من عبيده فلم يَرَهم أهلاً لِمعرفته فشَغَلَهم بخدْمته .

– إذا عَرَض حاجة من أمْر العامّة ابْتَهَل فيها النُّقَبَاء ثُمّ النُّجَبَاء ثُمّ الأبدال ثُمّ الأخيار ثُمّ العُمَد ثُمّ الغَوْث فلا يُتِمّ مسألَته حتّى تُجاب دعْوته .

تُوُفِّي ﷺ بمكة سَنَة ٣٢٢ هـ .

(١) **الهميان** : كيس من الجِلْد .

(٢) انظر : الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٩٤ ورَوْض الرَّياحين /٢١٣ وجامع كرامات الأولياء ١/١٧٦

الكَنْزُ السّادسُ عَشَرَ

تَقَطُّبُ أُسْتَاذِنَا وهُوَ ابْنُ خَمْسِ سِنِينِ

قدْ نَقَلَهُ بجَوْهَرَتِهِ (١) ، لكنْ قالَ بحقائقِهِ :" ولِّيتُ القُطْبَانِيَّةَ وأنَا ابْنُ سَبْعٍ " ..

وقَدْ يُجْمَعُ بَيْنَ الكلامَيْنِ : بأنَّ الخَمْسَ ابْتِدَاؤُهَا ، والسَّبْعَ انْتِهَاؤُهَا (٢) ؛ إذْ مَفْهُومُ العَدَدِ لاَ يُحْتَجُّ به .

وبالجُمْلَةِ .. فقَدْ حازَ أُسْتَاذُنَا - رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ - كراماتِ القُطْبِ كَمَا يُنْتِجُهُ التَّأَمُّلُ في مُؤَلَّفَاتِه ..

ولِلْقُطْبِ - كَمَا قالَ الأُسْتَاذُ أبُو الحَسَنِ الشّاذُلِيُّ رحمةُ اللهِ عَلَيْهِ - خَمْسُ عَشْرَةَ كَرامَةً ، فَمَنِ ادَّعَاهَا أوْ شيئاً مِنْهَا فلْيبْرزْ بمَدَدِ الرَّحْمَةِ ، والعِصْمَةِ ، والخلافةِ ، والنِّيابةِ ، ومَدَدِ حَمَلَةِ العَرْشِ العَظِيمِ ، ويُكْشَفُ لهُ عَنْ حقيقةِ الذَّاتِ وإحاطةِ الصِّفَاتِ ، ويُكْرَمُ بكرامةِ الحُكْمِ ، والفَصْلِ بَيْنَ المَوْجُودِينَ ، وانْفِصَالِ الأوَّلِ عَنِ الأوَّلِ ، ومَا انْفَصَلَ عَنْهُ إلَى مُنْتَهَاهُ ، ومَا ثَبَتَ فيهِ ، وحُكْمِ مَا قَبْلُ ومَا بَعْدُ ، وحُكْمِ مَا لاَ قَبْلَ لهُ ولاَ بَعْدَ ، وعِلْمِ البَدْءِ وهُوَ العِلْمُ المُحِيطُ بكُلِّ عِلْمٍ وبكُلِّ مَعْلُومٍ بَدَا مِنَ السِّرِّ الأوَّلِ إلَى مُنْتَهَاهُ ثُمَّ يَعُودُ إلَيْه (٣) ..

فهَذَا مِعْيَارٌ أعْطَاهُ اللهُ هَذَا الأُسْتَاذَ يَخْتَبِرُ بهِ مَنِ ادَّعَى هَذِهِ الرُّتْبَةَ العظيمةَ القائمةَ بكَفَالةِ الأسْرَارِ والمُحِيطةَ بمَدَدِ الأنْوَارِ .

وهَذَا نَظِيرُ ما ذَكَرَهُ التِّرْمِذِيُّ الحكيمُ (٤) في كتابِهِ " خَتْمِ الأوْلِياءِ " أنَّ مَنِ

---

(١) انظر الجَوْهَرة المُضِيَّة /٤١١

(٢) أحْسَب أنّ هذا استِنْباط يجافي الحقيقة إلى حدّ كبير ، والذي أراه أقْرَب إلى الصّواب احتمال وجود تصحيف أو تحريف في إحدى الرِّوايتيْن سيّمَا رواية " الجَوْهَرة " ؛ لِمَا سَبَق وذَكَرْنَاه من وجود تصحيف وتَصَرُّف كبير فيها .

(٣) انظر : لطائف المِنَن /٦٢ ودُرَّة الأسرار /١٠٨ وطبقات الشّعرانيّ /٣٦٧ والمفاخر العليّة /٨١

(٤) هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن عَلِيّ بن الحَسَن بن بِشْر الحكيم التِّرْمذيّ ﷺ ، أخَذ عن أبي تراب النَّخْشَبيّ وشقيق البلخيّ ويحيى بن الجلاّء ، وأخَذ عنه يحيى بن منصور القاضي والحَسَن بن عَلِيّ وغيْرهما .

قال المناويّ : لَمّا قام عليه معاصِروه وكَفَّروه جَمَع كُتُبه كُلّها وألْقَاها في البحر فابْتَلَعَتْها سمكة ثُمّ لَفَظَتْها بَعْد سنين وانْتَفَع النّاس بها .. انظر جامع كرامات الأولياء ١٦٩/١ -

ادَّعَى الولايةَ يُقَالُ لهُ :" صِفْ لَنَا مَنَازِلَ الأَوْلِيَاءِ " ، فذَكَرَ مَسَائِلَ مِعْيَاراً عَلَى مَنِ ادَّعَى الولاية (١) .

ولَمَّا قَدِمَ الشَّيْخُ صَدْرُ الدِّينِ القُونَوِيُّ (٢) رسولاً إِلَى دِيارِ مِصْرَ تَكَلَّمَ بِحَضْرَةِ الشَّيْخِ الشَّاذُلِيِّ بعُلومٍ كثيرةٍ والشَّيْخُ مُطْرِقٌ ، فلَمَّا استَوْفَى كلامَهُ رَفَعَ الشَّاذُلِيُّ رأْسَهُ وقالَ :" أَخْبِرْنِي أَيْنَ قُطْبُ الزَّمانِ اليَوْمَ ؟ ومَنْ هُوَ صديقُهُ ؟ ومَا علومُهُ ؟ " فَلَمْ يَرُدَّ جوابا (٣) .

وقَدْ ذَكَرَ أُستَاذُنَا بحقائقِهِ نَسَبَ الشَّاذلِيِّ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالبٍ ﷺ ونَقَلَ عَنْهُ أَنَّهُ قالَ :" طريقتُنَا هذهِ لاَ تُنْسَبُ إِلَى المَشَارِقَةِ ولاَ إِلَى المَغَارِبَةِ ، بَلْ هُوَ واحدٌ

- من أقواله ﷺ :

- ما صَنَّفْتُ شيئاً عنْ تدبير ولا لأنْ يُنْسَب إليّ شيء منه ، ولكنْ كان إذا اشْتَدّ عَلَيّ وقْتي كُنْتُ أَتَسَلَّى بمُصَنَّفاتي .

- الخَلْق ضَعْف ظاهِر ودَعْوَى عريضة .

- لا يُنْكِر الكرامات إلا القلوب المحجوبة عن الله تَبارك وتعالى ؛ فإنّ الكرامة إنّما هي صُنْع الحقّ عَزّ وجَلّ .

- إنّ المؤمن وقّاف مُتَأَنٍّ ، يقِف عند همّه ، ليس كحاطب لَيْل .

- اجْعَلْ مراقبتك لِمَن لا تغيب عن نظره إليْك ، واجْعَلْ شُكْرك لِمَن لا تَنْقَطِع نِعَمه عنك ، واجْعَلْ طاعتك لِمَن لا تَسْتَغْني عنه ، واجْعَلْ خضوعك لِمَن لا تَخْرُج عن مُلْكه وسُلْطانه .

- ليس في الدُّنْيَا حِمْل أَثْقَل من البِرّ ؛ فمَن بَرَّك فقَدْ أَوْثَقَك ، ومَن جفاك فقَدْ أَطْلَقَك .

- مَن جَهِل أوصاف العبوديّة فهو بنعوت أوصاف الرّبّانيّة أَجْهَل .

- صلاح خمسة في خمسة : صلاح الصّبِيّ في المكتب ، وصلاح الفتى في العِلْم ، وصلاح الكهل في المَسْجِد ، وصلاح المرأة في البَيْت ، وصلاح المؤذي في السِّجْن .

تُوُفِّي ﷺ ببلْخ سَنَةَ ٢٥٥ هـ .

(١) خَتْم الأولياء /١٥٢

(٢) هو صدر الدِّين مُحَمَّد بن إسحاق الرُّوميّ الشّافعيّ ﷺ ، أَخَذ عن الشَّيْخ مُحْيِي الدِّين بْن عربيّ وشرف الدِّين الهنْبانيّ ، وأَخَذ عنه العفيف التِّلمسانيّ وسعيد الكاسانيّ والفرغانيّ .

من مؤلّفاته : مفتاح الغيب ، إعجاز البيان في كشْف بعض أسرار لَمّ القرآن ، كَشْف السِّرّ .

تُوُفِّي ﷺ بقونيّة سَنَة ٦٧٣ هـ .

(٣) انظر : لطائف المِنَن /٦٣ والمفاخر العليّة /٣٩

عَنْ واحدٍ إِلَى الحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالِب (١) " ..

(١) هو أبو مُحَمَّد سَيِّدنا الحَسَن بْن عَلِيّ بن أبي طالب ﷺ ، حفيد رسول الله ﷺ ، وابن سَيِّدة نساء العالَمين الزَّهْراء رضي الله عنها ، وخامس الخلفاء الرَّاشدين ، وُلِد سَنَة ٣ هـ وسَمَّاه النَّبِيّ ﷺ ، تَنَازَل ﷺ عن الخلافة حَقْناً لِدماء المُسْلِمين .

قال جدّه ﷺ ﴿ اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ ، فَأَحِبَّهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّه ﴾ ، وقال ﴿ إِنَّ ابْنِي هَـذَا سَيِّدٌ ، يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِين ﴾ ..

روى الهجويريّ في " كشْف المَحْجُوب " أنّ الحَسَن البَصْرِيّ ﷺ كَتَب إليْه يقول : بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم .. السّلام عليْك يا ابن رسول الله وقُرَّة عيْنه ورحمة الله وبركاته ، أمّا بَعْد .. فإنّكم مَعاشرَ بني هاشم كالفُلْك الجارية في اللّجج ، مصابيح الدُّجَى وأعلام الهُدَى ، والأئمّة القادة الذين مَن تَبِعهم نجا ، كسفينة نوح المشحونة التي يأوي إليْها المُؤْمِنون ويَنْجُو بها المُتَمَسِّكون .

وروى الذَّهَبِيّ أنّ سَيِّدنا عليّاً كرَّم الله وجْهه قال :" يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ .. لاَ تُزَوِّجُوا الْحَسَنَ ؛ فَإِنَّهُ رَجُلٌ مِطْلاَق " فقال رجل مِن همدان : واللهِ لَنُزَوِّجَنَّه ؛ إِنْ أَمْهَر أَمْهَر كثيراً ، وإِنْ أولَد أولَد شريفاً ، فما رضي أمْسَك ، وما كَرِه طلّق .. سِيَر أعلام النُّبَلاء ٢٦٧/٣

خَرَج ﷺ مِن ماله لله مرتَيْن ، وقاسَمه تعالى ثلاث مرّات حتّى إنّه كان يعطي نَعْلاً ويُمْسِك نَعْلا .

جَلَس رَجُل إليه فقال ﷺ له : إِنَّكَ جَلَسْتَ إِلَيْنَا ونَحْنُ نُرِيدُ الْقِيَامَ ؛ أَفَتَأْذَن ؟

ومَرّ ﷺ بصبيان معهم كِسَر خُبْز فاستضافوه فنَزَل عن فَرَسه وأكَل معهم ، ثُمّ حَمَلهم إلى مَنْزِله فأطْعَمهم وكَسَاهم وقال : الْبَدْءُ لَهُمْ ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ مَا أَطْعَمُونِي ، وَنَحْنُ نَجِدُ أَكْثَرَ مِنْه ..

شذرات الذَّهَب ٥٦/١

من أقواله ﷺ :

- قَدْ كَانَتْ جَمَاجِمُ الْعَرَبُ فِي يَدِي ؛ يُحَارِبُونَ مَنْ حَارَبْتُ ، وَيُسَالِمُونَ مَنْ سَالَمْتُ ، فَتَرَكْتُهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَحَقْنِ دِمَاءِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ .
- بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِين أَرْبَعُ أَصَابِع ؛ الإِيمَانُ كُلُّ مَا سَمِعَتْهُ أُذُنَاكَ وَصَدَّقَهُ قَلْبُكَ ، وَالْيَقِينُ مَا رَأَتْهُ عَيْنَاكَ فَأَيْقَنَ بِهِ قَلْبُكَ ؛ وَلَيْسَ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالأُذُنَيْنِ إِلاَّ أَرْبَعُ أَصَابِع .
- لاَ أَدَبَ لِمَنْ لاَ عَقْلَ لَهُ ، وَلاَ مَوَدَّةَ لِمَنْ لاَ هِمَّةَ لَهُ ، وَلاَ حَيَاءَ لِمَنْ لاَ دِينَ لَه .
- مَنْ بَدَأَ بِالْكَلاَمِ قَبْلَ السَّلاَمِ فَلاَ تُجِيبُوه .
- مَنْ أَكْثَرَ مِن مُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ أُطْلِقَ عِقَالُ لِسَانِهِ وَفَتَّقَ مَرَاتِقَ ذِهْنِهِ وَسَرَّهُ مَا وَجَدَ مِنَ الزِّيَادَةِ فِي نَفْسِهِ وَكَانَتْ لَهُ وِلاَيَةٌ لِمَا يَعْلَمُ وَإِفَادَةٌ لِمَا تَعَلَّم .
- الصَّمْتُ سَتْرُ الْعَيِّ وَزَيْنُ الْعِرْضِ ، وَقَاعِلُهُ فِي رَاحَةٍ ، وَجَلِيسُهُ فِي أَمْن .
- مَنِ اتَّكَلَ عَلَى حُسْنِ اخْتِيَارِ اللَّهِ لَمْ يَتَمَنَّ أَنَّهُ فِي غَيْرِ الْحَالَةِ الَّتِي اخْتَارَهَا اللَّهُ لَه .

ونَقَلَ التَّاجُ بْنُ عَطَاءِ اللهِ بـ" لَطَائِفِ المِنَنِ " هَذَا عَنِ أَبِي العبَّاس المُرْسِيِّ (١) ولاَ مُنَافَاة (٢) ، ثُمَّ قالَ (٣) بَعْدَ قَوْلِهِ " لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ " :" وهُوَ أَوَّلُ الأَقْطَابِ " (٤) ، والظَّاهِرُ أَنَّهُ يَعْنِي بِهِ الحَسَنَ (٥) .

قالَ :" وإنَّما يَلْزَمُ تَعْيِينُ المشايخِ الذينَ يَسْتَنِدُ إِلَيْهِمْ طَرِيقُ الأَنسابِ مَنْ كانَتْ طريقتُهُ بِلِبْسِ الخِرقَةِ ؛ فإنَّهَا روايةٌ ، والرِّوايةُ تَتَعَيَّنُ بتَعَيُّنُ رِجالِ سَنَدِهَا ، وهَذِهِ هِدايةٌ " (٦) .

وقدْ مَنَّ اللهُ بجَمْعِ مؤلَّفٍ مَوْسُومٍ بـ" نُورِ الحَدَقِ فِي لِبْسِ الخِرَقِ " مُذَيَّلٍ بسَبْعِينَ فائدة .

= – السَّدَادُ دَفْعُ الْمُنْكَرِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالشَّرَفُ اصْطِنَاعُ الْعَشِيرَةِ وَحَمْلُ الْجَرِيرَةِ ، وَالْمُرُوءَةُ الْعَفَافُ وَإِصْلاَحُ الْمَالِ ، وَالرَّأْفَةُ النَّظَرُ فِي الْيَسِيرِ وَمَنْعُ الْحَقِيرِ ، وَالسَّمَاحُ الْبَذْلُ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ ، وَالشُّحُّ أَنْ تَرَى مَا فِي يَدَيْكَ شَرَفاً وَمَا أَنْفَقْتَهُ تَلَفاً ، وَالإِخَاءُ الْمُوَاسَاةُ فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ ، وَالْجُبْنُ الْجُرْأَةُ عَلَى الصَّدِيقِ وَالنُّكُولُ عَنِ الْعَدُوِّ ، وَالْغَنِيمَةُ الرَّغْبَةُ فِي التَّقْوَى ، وَالزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا هِيَ الْغَنِيمَةُ الْبَارِدَةُ ، وَالْحِلْمُ كَظْمُ الْغَيْظِ وَمَلْكُ النَّفْسِ ، وَالْغِنَى رِضَا النَّفْسِ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا وَإِنْ قَلَّ ، وَإِنَّمَا الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ ، وَالْفَقْرُ شَرَهُ النَّفْسِ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، وَالْعَيُّ الْعَبَثُ بِاللِّحْيَةِ وَكَثْرَةُ الْبَرَقِ عِنْدَ الْمُخَاطَبَةِ ، وَالْمَجْدُ أَنْ تُعْطِيَ فِي الْغُرْمِ وَتَعْفُوَ عَنِ الْجُرْمِ ، وَالْعَقْلُ حِفْظُ الْقَلْبِ كُلَّ مَا اسْتَوْعَيْتَهُ ، وَالْخَرَقُ مُعَادَاتُكَ إِمَامَكَ وَرَفْعُكَ عَلَيْهِ كَلاَمَكَ ، وَالسَّنَاءُ إِتْيَانُ الْجَمِيلِ وَتَرْكُ الْقَبِيحِ ، وَالْحَزْمُ طُولُ الأَنَاةِ وَالرِّفْقُ بِالْوُلاَةِ ، وَالسَّفَهُ اتِّبَاعُ الدُّنَاةِ وَمُصَاحَبَةُ الْغُوَاةِ ، وَالْغَفْلَةُ تَرْكُكَ الْمُجِدَّ وَطَاعَتُكَ الْمُفْسِدَ ، وَالْحِرْمَانُ تَرْكُكَ حَظَّكَ وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْكَ .

– تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا حِفْظَهُ فَاكْتُبُوهُ وَضَعُوهُ فِي بُيُوتِكُم .

– حُسْنُ السُّؤَالِ نِصْفُ الْعِلْمِ .

تُوُفِّي ﷺ سَنَة ٥٠ هـ من أثر سُمّ دُسّ له ، ودُفن بالبقيع .

(١) لطائف المِنَن /٦٤ وانظر طبقات الشعرانيّ /٣٧٩

(٢) لأنّ سيّدي أبا العبّاس المُرْسيّ ﷺ إنّما قال هذا نقلاً عنْ شَيْخه سيّدي أبي الحَسَن الشّاذليّ ﷺ .

(٣) أي التّاج بن عطاء .

(٤) لطائف المِنَن /٦٤ وانظر طبقات الشعرانيّ /٣٧٩

(٥) أقول : المقصود من كَوْن سيّدنا الحَسَن ﷺ أوّل الأقطاب : أنّ الخلافة قَبْله كانت ظاهرةً وباطنةً متّصلةً في الخلفاء الرّاشدين الأربعة ﷺ ، ولمّا تنازل ﷺ عن الخلافة صارت خلافته باطنةً فقط .

(٦) لطائف المِنَن /٦٤ وانظر طبقات الشعرانيّ /٣٧٩

الكَنْزُ السّابِعُ عَشَرَ

مَا نَقَلَهُ الأُسْتَاذُ مِنْ " وَضْعِ قَدَمِهِ في الدُّنْيَا فَلَمْ تَسَعْهَا "

إذا كانَ المُرادُ بقَدَمِهِ العُضْوَ المَعْرُوفَ فهُوَ مِنْ بابِ التَّعْبِيرِ بالبَعْضِ عنِ الكُلّ ..

والمَعْنَى : أنَّ الوَلِيَّ قَدْ تَعْظُمُ جُثَّتُهُ بحَيْثُ يَمْلأُ الكَوْنَ ، فيُشَاهَدُ في كُلِّ مكانٍ كَمَا هوَ مُقَرَّرٌ في هَذَا الشَّأْنِ بالنِّسْبَةِ إلَى مَلَكِ المَوْتِ ومُنْكرٍ ونَكِيرٍ ؛ حَيْثُ يَقْبِضُ مَنْ ماتَ بالمَشْرِقِ وبالمَغْرِبِ في لَحْظَةٍ واحدةٍ ، ويَسْألاَنِ مَنْ قَبِرَ في لَحْظَةٍ واحدة (١) .

ولاَ يُنافِي ذلكَ رؤيةُ الوليِّ عَلَى صُورَتِهِ المُعْتَادةِ ؛ فإنَّ اللهَ يَحْجُبُ الزّائدَ عنِ الأبصارِ ، أوْ يَدْمِجُ بَعْضَهُ في بَعْضٍ ، كَمَا قيلَ بالأمْرَيْنِ في رؤيةِ جِبْرِيلَ عليه السلام في صُورةِ دِحْيَةَ (٢) (٣) ، وخِلْقَتُهُ الأصْلِيَّةُ أعْظَمُ مِنْ ذلكَ ؛ بحَيْثُ إنَّ جَنَاحَيْنِ مِنْ أجْنِحَتِهِ يَسُدَّانِ الأُفُقَ (٤) .

وكلامُ القَوْمِ في هَذَا المَعْنَى كثير : ففي " طبقاتِ الأوْلِياءِ " لابْنِ المُلَقِّنِ (٥) :

---

(١) مِن كلام الحافظ السّيوطيّ رضي الله عنه .. انظر المُنْجَلِي في تَطَوُّرِ الوليّ (ضِمْن كتابه القَيِّم الحاوي لِلفتاوى) ٢٨٩/١

(٢) هو الصّحابيّ الجليل سيِّدنا دِحْيَة بن خليفة بن فروة الكلبيّ القضاعيّ رضي الله عنه ، ومعنى " دِحْيَة " : أيّ الرَّئيس في لغة أهل اليمن ، أسْلَم رضي الله عنه قديماً وشَهِدَ المَشاهِدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ إلا بدراً ، كان مِن أجْمَلِ النّاسِ ، وكان رسولَ رسولِ الله ﷺ إلى هرقل .

تُوُفِّي رضي الله عنه بمِزّة بالشّام في خلافة سيِّدنا معاوية بن أبي سفيان .

(٣) انظر : صحيح البخاريّ ١٣٣٠/٣ وصحيح مُسْلِم ١٩٠٦/٤ وسُنَن النّسائيّ ١٠٢/٨ ومُسْنَد أحمد ١٠٧/٢ والمُسْتَدْرَك ٣٧/٣ وشعب الإيمان ١٧٥/٥ ومُصَنَّف ابن أبي شيبة ٣٧٤/٧ ومُسْنَد البزار ٥٥/٧ والمُعْجَم الكبير ١٧٠/١ والأوسط ٣٤٣/٨ ومُسْنَد إسحاق بن راهويه ٢١٠/١ ومُسْنَد أبي يَعْلَى ٣٦٤/١٢ وسِيَر أعلام النُّبَلاء ٥٥٣/٢ وتاريخ الطّبريّ ٩٨/٢ وتاريخ بغداد ١٣٩/٧ وطبقات ابن سَعْد ٤٢٢/٨ وصفة الصَّفْوَة ٤٧٠/١ والمُنْتَظِم ٢٤٤/٣ والبداية والنِّهاية ٤١/١ والتَّدْوين في أخبار قزوين ٢٦٥/٢ وفضائل الصّحابة لِلإمام أحمد ٨٧١/٢ والإصابة ٣٨٥/٢ وشذرات الذّهب ٧٠/١

(٤) مِن كلام الحافظ السّيوطيّ .. انظر المُنْجَلِي في تَطَوُّرِ الوليّ (ضِمْن الحاوي لِلفتاوى) ٢٨٩/١

(٥) هو سراج الدّين أبو حفص عُمَر بن نور الدّين عليّ بن أحمد بن مُحَمَّد الأنصاريّ الشّافعيّ رضي الله عنه ، =

الشَّيْخُ قَضيبُ البانِ المُوصِلِيُّ (١) ، ذُو الأحوالِ الباهِرةِ والكَرَاماتِ المُتَكاثِرَةِ ، سكَنَ المُوصِلَ واستَوْطَنَهَا إلَى أنْ ماتَ بها في تَمَامِ سَنَةِ سَبْعِينَ وخَمْسِمائةٍ هـ ، ذَكَرَهُ الكَمَالُ بْنُ يُونُسَ (٢) فوَقَعَ فيهِ مُوافَقَةً لِمَنْ عِنْدَهُ ، فبَيْنَمَا هُمْ كذلكَ إذْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ ، فبُهِتُوا ، وقالَ (يَعْنِي قَضيبَ البَانِ) :" يا ابْنَ يُونُسَ .. أنْتَ تَعْلَمُ كُلَّ مَا يَعْلَمُهُ اللهُ ؟! " قالَ :" لاَ " قالَ:" أنَا مِنَ العِلْمِ الذي لاَ تَعْلَمُهُ أنْتَ " فلَمْ يَدْرِ ابْنُ يُونُسَ مَا يَقُول (٣) .

وسُئِلَ عَنْهُ الشَّيْخُ عَبْدُ القادرِ الجيلانيُّ فقالَ :" هُوَ وَلِيٌّ مُقَرَّبٌ ذُو حالٍ مَعَ اللهِ وقَدَمِ صِدْقٍ عِنْدَهُ " فقيلَ لهُ :" مَا نَرَاهُ يُصَلِّي ؟! " فقالَ :" إنَّهُ يُصَلِّي مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُ (٤) ، وإنِّي أرَاهُ إذَا صَلَّى بالمُوصِلِ أوْ بغَيْرِها مِنْ آفاقِ الأرضِ

= وُلِد بالقاهرة سَنَة ٧٢٣ هـ ، أخَذ عن سَيِّدي موسى أبي العمران وقُطْب الدِّين الحلبيّ وابن سيد النّاس ، وأخَذ عنه ابن ناصر الدِّين الدِّمَشْقيّ وابن سلامة وأبو الفَتْح الشّرابيشيّ .

من مؤلّفاته ﷺ : الخصائص النَّبَويّة ، طبقات المُحَدِّثين ، الإشراف على الأطراف ، طبقات القُرّاء .

تُوُفِّي ﷺ بالقاهرة سَنَة ٨٠٤ هـ ودُفِن بحوش الصُّوفيّة خارج باب النَّصْر .

(١) هو أبو عبد الله الحُسَيْن بن عيسى الحَسَنيّ المُوصِليّ ﷺ ، وُلِد بالمُوصِل سَنَة ٤٧١ هـ .

تُوُفِّي ﷺ بالموصل سَنَة ٥٧٢ هـ .

(٢) هو كمال الدِّين أبو الفَتْح موسى بن يونس بن مُحَمَّد بن منعة بن مالك الموصليّ الشّافعيّ رحمه الله تعالى ، وُلِد سَنَة ٥٥١ هـ ، أخَذ عن أبيه والسّديد السّلماسيّ والكمال الأنباريّ ، وأخَذ عنه ابن خلّكان وغيْره .

كان مَرْجِعاً في كُلّ العلوم الدِّينيّة والدُّنْيَويّة ، حتّى إنّ اليهود والنّصارى كانوا يسألونه عن أشياء في التّوْراة والإنجيل ، إلا أنّ ابن خلّكان قال : كان ـ سامَحه الله ـ يُتَّهَم في دينه ؛ لِكوْن العلوم العَقْليّة غالبةً عليه ، فكانت تَعْتَريه غفلة في بَعْض الأحيان لاستيلاء الفكرة عليه بسبب هذه العلوم ..

وفيات الأعيان ٣١٦/٥

من مؤلّفاته : تَفْسير القُرْآن ، مُفْرَدات ألْفاظ القانون ، عيون المَنْطِق .

تُوُفِّي رحمه الله بالمُوصِل سَنَة ٦٣٩ هـ .

(٣) طبقات الأولياء /٢١٣ وانظر : رَوْض الرّياحين /٤٠٦ والمُنْجِلي في تَطوُّر الوليّ (ضِمْن الحاوي لِلفتاوى) ٢٩٣/١ وجامع كرامات الأولياء ٢٣/٢

(٤) أقول : وصف سَيِّدي عبد القادر الجيلانيّ ﷺ لِسَيِّدي قضيب البان ﷺ بأنّه " ذو حال " يُفَسَّر =

يَسْجُدُ عِنْدَ بابِ الكَعْبَة " (١) .

وقالَ أبُو الحُسَيْنِ القُرَشِيُّ (٢) :" رَأَيْتُهُ في بَيْتِهِ بالمُوصِلِ قَدْ مَلأَ ونَمَا جَسَدُهُ نَماءً خارِقاً لِلعادةِ ، فخَرَجْتُ وقَدْ هالَنِي مَنْظَرُهُ ، ثُمَّ عُدْتُ إِلَيْهِ فرَأَيْتُهُ في زاويةِ البَيْتِ وقَدْ تَضاءَلَ حتَّى صَارَ قَدْرَ العُصْفُورِ ، ثُمَّ عُدْتُ إِلَيْهِ فرَأَيْتُهُ كَحَالَتِهِ

= كَوْنه لا يُرَى يُصَلِّي مع النَّاس ، وإنْ كانت مِثْل هذه الأحوال لا نَرَاها في كُمَّل الأولياء الذين شأنهم دائماً حِفْظ حدود الشَّريعة ومراعاة ظاهِرها .

(١) طبقات الأولياء /٢١٣ وانظر : المُنْجِلي في تَطَوُّر الوَلِيّ (ضِمْن الحاوي لِلفتاوى) ٢٩٤/١ وجامع كرامات الأولياء ٢٤/٢

(٢) هو أبو الحُسَيْن عَلِيّ بن هِنْد القُرَشِيّ الفارسيّ ﷺ ، أَخَذ عن الإمام الجُنَيْد وجَعْفَر الحدّاد وعمرو ابن عثمان المكّيّ ، وأَخَذ عنه أبو الحُسَيْن الفارسيّ وأبو القاسم الهاشميّ .

مِن أقواله ﷺ :

- لَيس حُكْم ما وَصَفْنَا حُكْم ما نازَلْنَا .
- أصْل كُلّ خيْر مُلازَمة الأدب في جميع الأحوال والأفعال .
- **عمارة القَلْب في أربعة أشياء** : في العِلْم ، والتَّقْوَى ، والطّاعة ، وذِكْر الله ..

وخرابه مِن أربعة أشياء : مِن الجَهْل ، والمعصية ، والاغترار ، وطُول الغفلة .

- **أصْل الخَيْرات أربعة** : السَّخاء ، والتَّواضُع ، والنُّسُك ، وحُسْن الخُلُق
- مَن أكْرَمه الله تعالى بحُرْمة الأكابر أوْقَع حُرْمَته في قلوب الخَلْق ، ومَن حُرِم ذلك نَزَع الله حُرْمَته مِن قلوب الخَلْق .
- المُتَمَسِّك بكتاب الله هو المُلاحِظ لِلحقّ على دوام الأوقات ، والمُتَمَسِّك بكتاب الله لا يَخْفَى عليه شيء مِن أمْر دينه ودُنْيَاه على مَرّ أوقاته على المُشاهَدة والكشف لا على الغفلة والظّنّ ، ويأخذ الأشياء مِن مَعْدنها ويَضعها في مَعْدنها .
- **حُسْن الخُلُق على مَعَانٍ ثلاثة** : مع الله بتَرْك الشَّكْوَى ، ومع أوامره بالقيام إليها بنشاط وطيب نَفْس ومع الخَلْق بالبِرّ والحِلْم .
- دُمْ على الصَّفَاء إنْ كُنْتَ تَطْمَع في الوفاء .
- مَن عَظُم قَدْر الخَلْق كُلّهم عنده فذاك لِعِلْمه بتخصيص خَلْقهم مِن بيْن الحيوانات ، وذلك مِن تعظيم الله في أنْ يُعَظِّم ما خَصَّصه الله عَزّ وجَلّ .
- اجْتَهِدْ ألاّ تُفارِق باب سَيِّدك بحالٍ ؛ فإنّه ملجأ الكُلّ ، فمَن فارَق تلك السُّدّة لا يَرَى بَعْدها لِقَدَمَيْه قراراً ولا مقاما .

تُوُفِّي ﷺ في بدايات القَرْن الرّابع الهِجْرِيّ .

المُعْتَادَة " (١) .

وقالَ ابْنُ القَيِّم (٢) في كتابِ " الرُّوحِ " :" وهَذَا جِبْرِيلُ قَدْ رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ ولهُ سِتُّمائةُ جَنَاحٍ ، مِنْهَا جَنَاحَانِ قَدْ سدَّ بِهِمَا مَا بيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ ، وكانَ يَدْنو مِنَ النَّبِيِّ ﷺ حتَّى يَضعَ رُكْبَتَيْهِ بيْنَ رُكْبَتَيْهِ ويَدَيْهِ علَى فَخذَيْهِ ، ومَا أظُنُّكَ يَتَّسِعُ بِظَنِّكَ أنَّهُ كانَ حينَئذٍ في الملأِ الأعلَى فَوْقَ السَّمَاواتِ حَيْثُ هُوَ مُسْتَقَرُّهُ وقَدْ دَنَا مِنَ النَّبِيِّ هَذَا الدُّنُوَّ ؛ فإنَّ التَّصْدِيقَ بهَذَا لهُ قلوبٌ خُلِقَتْ لهُ وأُهِّلَتْ لِمَعْرِفَتِه " (٣) .

ونَقَلَ بَعْضُ تلاميذِ التَّاجِ بْنِ عَطَاءٍ في مَنَاقِبِهِ أنَّ رَجُلاً مِنْ جَمَاعَتِهِ حَجَّ فقالَ :" رَأَيْتُ الشَّيْخَ في المَطَافِ وخَلْفَ المَقَامِ وفِي المَسْعَى وفي عَرَفَةَ ، فلَمَّا رَجَعْتُ سَأَلْتُ عَنْهُ فقيلَ لِي :" هُوَ طَيِّبٌ " ، فقُلْتُ :" هَلْ سَافَرَ أوْ خَرَجَ مِنَ البَلَدِ ؟ " فقيلَ :" لاَ " ، فجِئْتُ إلَيْهِ وسَلَّمْتُ علَيْهِ ، فقالَ لِي :" مَنْ رَأَيْتَ في سفْرَتِكَ هَذِهِ مِنَ الرِّجالِ ؟ " فقُلْتُ :" يَا سَيِّدِي .. رَأَيْتُكَ ! " فتَبَسَّمَ وقالَ : " الرَّجُلُ الكبيرُ يَمْلأُ الكَوْنَ ، لَوْ دُعِيَ القُطْبُ مِنْ حَجَرٍ لأجاب " (٤) .

(١) طبقات الأولياء /٢١٤ وانظر المُنْجِلي في تَطَوُّر الوَلِيّ (ضِمْن الحاوي لِلفتاوى) ٢٩٤/١

(٢) هو شَمْس الدِّين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بَكْر بن أيّوب بن سَعْد الزَّرعيّ الدِّمشقيّ الحنبليّ رحمه الله ، سُمِّي بـ" ابن قَيِّم الجوزيّة " لأنّ والده كان قيِّماً على المَدْرَسَة الجوزيّة بدمشق ، وُلِد في دمشق سَنَة ٦٩١ هـ ، أخَذ عن ابن تيميّة ، وأخَذ عنه الصّفديّ وابن كثير وابن رجب .

كان رحمه الله عابداً ورعاً عالِماً ، إلا أنّه تَأثَّر بمُعْتَقَدات شَيْخه ابن تيمية فأثْبَت جهة الفوقيّة ، تعالى الله عن ذلك عُلُوّاً كبيراً ، كما أنّه تَأثَّر بإنكار ابن تيمية على الصُّوفيّة فتَبِعه في بعض ما ذهب إليه ، على الرَّغْم مِن أنّه شَرَح " مَنَازِل السّائرين " لِلشيخ الهروي في كتاب أسماه " مَدارج السّالكين " ! فلَعلّه رَجَع عن ترهات ابن تيمية في العقيدة والإنكار على أهْل الله .

مِن مؤلَّفاته : الطِّبّ النَّبويّ ، مَدارج السّالكين ، جلاء الأفهام في الصّلاة والسّلام على خيْر الأنام .

تُوُفِّي رحمه الله سَنَة ٧٥١ هـ .

(٣) الرُّوح /١٠٢ وانظر صحيح البخاريّ ١١٨١/٣ وصحيح مُسْلِم ١٥٨/١ وسُنَن التِّرمذيّ ٣٩٤/٥ ومُسنَد أحمد ٣٩٥/١ والمُسْنَد المُسْتَخْرَج على صحيح الإمام مُسْلِم ٢٤٠/١ وحِلْيَة الأوْلِياء ٨/٩ والاعتقاد لِلبيهقيّ /٣٠٤ ومُسْنَد أبي عوانة ١٣٤/١ ومُسْنَد الشّاشيّ ١٢٦/٢ ومُسْنَد الطّيالسيّ /٤٨ والإيمان لابن منده ٧٤٩/٢ واعتقاد أهْل السُّنَّة لِلّالكائيّ ٥٣٠/٣

(٤) انظر : المُنْجِلي في تَطَوُّر الوَلِيّ لِلسّيوطيّ (ضِمْن الحاوي لِلفتاوى) ٢٩٣/١ وجامع كرامات الأولياء ٥٢٦/١

والحاصِلُ .. أنَّ ذلكَ مِنْ بابِ عِظَمِ الجُثَّةِ كَمَا قُلْنَا ، أوْ هُوَ مِنْ بابِ تَعَدُّدِ الصُّوَرِ في الكَوْنِ ولَوْ مَلأَهَا بالتَّمْثِيلِ والتَّشَكُّلِ كَمَا يَقَعُ ذلكَ لِلْجانِّ ، أوْ هُوَ مِنْ بابِ طَيِّ المسافةِ وزَوْيِ الأرضِ مِنْ غَيْرِ تَعَدُّدٍ ، فيَرَاهُ كُلُّ مَنْ بالكَوْنِ ؛ لأنَّ اللهَ تَعَالَى طَوَى لهُ الأرْضَ ورَفَعَ الحُجُبَ المانعةَ مِنْ الاسْتِطْرَاقِ ، فيُظَنُّ أنَّهُ بالأمْكِنَةِ وإنْ كانَ بمكانٍ واحدٍ ، وهَذَا الأخيرُ أحْسَنُ مَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ حديثُ رَفْعِ بَيْتِ المَقْدِسِ حتَّى رآهُ المُصْطَفَى ﷺ حالَ وَصْفِهِ إيَّاهُ لِقُرَيْشٍ صَبِيحَةَ الإسْرَاء (١) (٢) .

وفي كلامِ القونَويِّ (٣) شارِحِ " الحاوي " (٤) في " كِفايةِ الأعلامِ " (٥)

(١) أخْرَجه البخاريّ ١٤٠٩/٣ ومُسْلِم ١٥٦/١ والتِّرْمِذيّ ٣٠١/٥ والنَّسائيّ ٣٧٧/٦ وأحمد ٣٧٧/٣ وابن حبان ٢٥٢/١ وأبو نُعَيم في المُسْتَد المُسْتَخْرَج على صحيح مُسْلِم ٢٣٨/١ وأبو عوانة ١١٢/١ وعبد الرزاق ٣٢٩/٥ وأبو يَعْلَى ٧٠/٤ وفي المُعْجَم /٤٤ وابن منده ٧٤٥/٢ والدَّيْلَمِيّ ٤٢٦/٣ ومُحَمَّد بن عبد الواحد المَقْدِسِيّ في فضائل بيْت المَقْدِس /٧٥ عن سَيِّدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ..

ونصّه كما عند الإمام أحمد : ﴿... فَذَهَبْتُ أنْعَتُ ، فَمَا زِلْتُ أنْعَتُ حَتَّى الْتَبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ ، فَجِيءَ بِالْمَسْجِدِ وَأَنَا أَنْظُرُ حَتَّى وُضِعَ دُونَ دَارِ عِقَال (أو : عُقَيْل) فَنَعَتُّهُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ مَعَ هَذَا نَعْتٌ لَمْ أَحْفَظْهُ ، فَقَالَ الْقَوْمُ : أَمَّا النَّعْتُ فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَصَاب﴾ .

(٢) مِن كلام الحافظ السّيوطيّ .. انظر المُنْجَلِي في تَطَوُّر الوَلِيّ (ضِمْن الحَاوي لِلفتاوى) ٢٨٩/١

(٣) هو القاضي علاء الدِّين أبو الحَسَن عَلِيّ بن مَجْد الدِّين إسماعيل بن يوسف القونويّ التِّبْرِيزيّ الشّافعيّ ﷺ ، وُلِد بمدينة قونية سَنَة ٦٦٨ هـ ، كان شيْخ الشُّيُوخ بالدِّيار المِصْرِيّة ، أخَذ عن الحافظ الدّمياطيّ وتقيّ الدِّين بن دقيق العيد وابن الصّوّاف ، وأخَذ عنه معين الدِّين القونويّ وتاج الدِّين المُرّاكشيّ وكمال الدين الإدفويّ

مِن مؤلَّفاته : التَّصَرُّف في شَرْح التَّعَرُّف في التَّصَوُّف ، مُخْتَصَر المعالم في الأصول ، مُخْتَصَر منهاج الحليميّ ، شَرْح الحاوي .

تُوُفِّي ﷺ بالشام سَنَة ٧٢٩ هـ ودُفِن بسفْح جبل قاسيون .

(٤) أيْ كتاب " الحاوي الصّغير " لأبي الحَسَن الماورديّ البَصْرِيّ الشّافعيّ المُتَوَفَّى سَنَة ٤٥٠ هـ ، وهو أحد أهَمّ كُتُب المذهب .

(٥) قال العلاّمة علاء الدين القونويّ في " كفاية الأعلام " : وفي المُمْكِن أنْ يَخُصّ الله تعالى بعض عباده في حال الحياة بخاصِّيَّة لِنَفْسه الملكيّة القدسيّة وقوّة لها يَقْدِر بها على التَّصَرُّف في بَدَن آخَر =

و" طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ الكُبْرَى " (١) لِلتَّاجِ بْنِ السُّبكيِّ ورسالةِ الصَّفِيِّ بْنِ أَبِي

= غيْر بَدَنها المعهود ، مع استِمْرَار تَصَرُّفها في الأوّل ، وقد قيل في الأبدال أنّهم إنّما سُمُّوا " أبدالاً " لأنّهم قدْ يَرْحَلون إلى مكان ويقيمون في مكانهم الأوّل شبحاً آخَر شبيهاً بشبحهم الأصليّ بدلاً عنه ، وإذا جاز في الجنّ أنْ يَتَشَكَّلوا في صُوَر مختلفة فالأنبياء والملائكة والأولياء أولَى بذلك ، وقدْ أثْبَت الصُّوفِيَّة عالَماً مُتَوَسِّطاً بيْن عالَم الأجساد وعالَم الأرواح سَمَّوْه " عالَم المثال " وقالوا : هو ألْطَف مِن عالَم الأجساد وأكْثَف مِن عالَم الأرواح ، وبَنَوْا على ذلك تَجَسُّد الأرواح وظهورها في صُوَر مختلفة مِن عالَم المثال ، وقدْ يُستَأْنَس لِذلك بقوله تعالى ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ فتكون الرُّوح الواحدة ـ كروح جِبْرِيل مَثَلاً ـ في وقْت واحد مُدَبِّرةً لِشَبَحه الأصليّ ولِهذا الشَّبَح المثاليّ ..

ويَنْحَلّ بهذا ما قد اشْتَهر نقْله عن بعض الأئمّة أنّه سأل بعض الأكابر عن جِسْم جِبْرِيل عليه السلام فقال :" أين كان يَذْهَب جِسْمه الأوّل الذي سَدّ الأُفُق بأجْنِحَته لَمّا تَرَاءَى لِلنَّبِيّ ﷺ في صُورتِه الأصليّة عند إتيانه إليه في صورة دِحْيَة ؟! " ..

وقدْ تَكَلَّف بعضهم الجواب عنه : بأنّه يجوز أنْ يقال : كان يَنْدَمِج بَعْضه في بَعْض إلى أنْ يَصْغُر حَجْمه فيصير بقَدْر صورة دِحْيَة ثُمّ يَعُود يَنْبَسِط إلى أنْ يصير كهيْئته الأولى .

وما ذَكَره الصُّوفِيَّة أحْسَن ، وهو : أنْ يكون جسْمه الأوّل بحاله لم يَتَغَيَّر وقدْ أقام الله له شبحاً آخَر ، ورُوحه تَنْصَرِّف فيهما جميعاً في وقْت واحد ، وكذلك الأنبياء ، ولا بُعْد في ذلك ؛ لأنّه إذا جاز إحياء المَوْتَى لهم وقَلْب العصا ثعباناً وأنْ يُقْدِرهم الله على خلاف المعتاد في قَطْع المسافة البعيدة كما بيْن السَّمَاء والأرْض في لَحْظَة واحدة إلى غيْر ذلك مِن الخوارق فلا يَمْتَنِع أنْ يَخُصّهم بالتَّصَرُّف في بَدَنَيْن وأكْثَر مِن ذلك .

وعلى هذا الأصل تخرج مسائل كثيرة وتَنْحَلّ به إشْكالات غيْر يسيرة : كقولهم : جَنّة عَرْضها السَّمَاوات والأرض وهي فَوْق السَّمَاوات والأرض وسَقْفها عَرْش الرَّحْمَن كيْف أُرِيَها النَّبِيّ ﷺ في عرْض الحائط حتّى تَقَدَّم إليها في صَلاته لِيَقْتَطِف منها عنقوداً على ما وَرَد به الحديث ؟! ..

وجوابه : أنّه بطريق التَّمْثِيل .

وكما يُحْكَى عن قضيب البان المُوصِلِيّ ـ وكان مِن الأبدال ـ أنّه اتّهَمه بعض مَن لم يره يُصَلِّي بتَرْك الصَّلاة وشَنَّد النَّكير عليْه في ذلك ، فتَمَثَّل له على الفَوْر في صُوَر مُخْتَلِفة وقال : في أيّ هذه الصُّوَر رَأيْتَني ما أُصَلِّي ؟

ولهم حكايات كثيرة مبنيّة على هذه القاعدة وهي من أُمَّهات القواعد عندهم والله أعْلَم ..

انظر المُنْجَلِي في تَطَوُّر الوَلِيّ (ضِمْن الحاوي لِلفتاوى) ١/٢٩٠ ، ٩١

(١) قال التّاج السُّبكيّ في ترجمة الشَّيْخ أبي العبّاس المُلَثَّم : كان مِن أصحاب الكرامات والأحوال ، ومِن أخَصّ النّاس بصُحْبَته تلميذه الشَّيْخ الصّالح عبد الغفّار بن نوح صاحب كتاب " الوحيد في عِلْم التَّوْحِيد " ، وقد حكَى في كتابه كثيراً من كراماته ... =

مَنْصُورٍ (١) (٢) و" كِفايةِ المُعْتَقِدِ " (٣) و" رَوْضِ الرَّياحينِ " (٤) كِلاَهُمَـا لِلْيَـافِعِيِّ (٥)

- مِن ذلك قال : كُنَّا عِنْده يَوْم الجمعة فاشْتَغَلْنَا بالحديث ، وكان حديثه يلـذّ لِلمَسـامع ، فبَيْنَمـا نَحْن في الحديث والغلام يتوضّأ فقال له الشَّيْخ :" إلى أين يا مُبارك ؟ " فقال :" إلى الجامع " فقال :" وحياتي صَلِّيْتُ " ، فخَرَج الغلام وجاء فوَجَد النّاس قدْ خَرَجُوا مِن الجـامع ، فخَرَجْتُ فسـألْتُ النّـاس فقـالوا : " كان الشَّيْخ أبو العبّاس في الجـامع والنّـاس تُسَلِّم عليـه " ، فرَجَعْتُ إليـه فسـألْتُه فقـال : أنـا أُعْطِيتُ التَّبَذُّل ..

قال : ولعلّ قوله " صَلِّيْت " مِن صفات البشريّة ؛ فإنّهم يكونون في مكان وشبهُهم في مكان آخَر .

قال : وقد تَكون تلك الصِّفَة الكشْف الصّوريّ الذي تَرْتَفِع فيه الجُدْرَان ويَبْقَـى الاسْتِطْرَاق فيُصَلِّـي كَيْفَ كان ولا يَحْجُبه الاسْتِطْرَاق .. طبقات الشّافعيّة الكُبْرَى ٣٦/٨ ، ٣٧ وانظر المُنْجِلِي فـي تَطَوُّر الوَلِيّ (ضِمْن الحاوي لِلفتاوى) ٢٩١/١

(١) هو صفيّ الدِّين الحُسَيْن بن عَلِيّ بن ظافر الأزديّ الأنصاري ﷺ ، أَخَذ عن الشَّيْخ أبـي العبّـاس الحرّار وشهاب الدِّين السُّهْرَوَرْدِيّ ومُحَمَّد الزّغبيّ ، وأَخَذ عنه ابنه جمال الدِّين وسراج الدِّين عُمَر بْن أبي بكْر اليمنيّ والجمال المطريّ .

تُوُفِّي ﷺ سَنَة ٦٥٧ هـ .

(٢) قال الصّفيّ بن أبي المَنْصُور في ترجمة الشَّيْخ مفرج القصبانيّ : سألْتُه عن قضيّة جَرَتْ لِبَعْض أصحابه ببلده : قال شَخْص منْهم كان قدْ حجّ لآخَر :" رَأَيْتُ الشَّيْخ مفرجاً بعرفة " فنازَعـه الآخَر بـأنّ الشَّيْخ ما فارَق " دمامين " ولا راح لِغيْرها ، وحلَف كُلٌّ منْهما بالطّلاق ثلاثاً مِن زَوْجته : أحدهمـا أنّـه رآه بعرفة ، والآخَر بأنه لم يَغِبْ عن " دمامين " في أيّام عرفة ، فاخْتَصَمَا إليه وذَكَر كُلٌّ منْهما يمينـه فأقَرّهما على حالتهما وأبْقَى كُلّ واحد على زوْجته ..

فسألْتُه عن حُكْمه فيهما ؛ فصِدْق أحدهما يوجِب حِنْث الآخَر ، وكان حين هذا الحديث معنا جماعـة مُعْتَبَرون ، قال الشَّيْخ لنا :" قولوا " وأَذِن لنا في أنْ نَتَحَدَّث في سِرّ هذا الحُكْم ، فتَحَدَّث كُلٌّ منْهم بوجْه لم يَكْفِ ..

وكانت المسألة قد اتَّضَحَتْ لي ، فأشار الشَّيْخ لي بالإيضـاح فقُلْتُ :" الوليّ إذا تَحقَّق فـي ولايتـه ومكّن بالتَّصَرُّف روحانيّته يُعْطَى مِن القدرة التَّصَوُّر في صُوَر عديدة في حين واحد في جهات مُتَعَدِّدة على حُكْم إرادته ، فالصُّورة التي رآها بعرفة حقّ ، والصُّورة التي رآها لم تفارق " دمـامين " حقّ ، وصَدَق كُلّ واحد منْهما في يمينـه " ، قـال الشَّيْخ :" هذا الصَّحيح " يشير إلـى موافقتـه علـى كُلّ مـا أوْضَحْتُه لِصورة ما حكَم به بيْن المتنازعَيْن .. رسالة الصّفيّ بن أبي المَنْصُـور /٧٨ وانظر المُنْجِلِي في تَطَوُّر الوَلِيّ (ضِمْن الحاوي لِلفتاوى) ٢٩١/١ ، ٢٩٢

(٣) قال اليافعيّ في " كفاية المُعْتَقِد : فإنْ قُلْتَ : هذا مُشْكِل ، ولا سبيل إلـى أنْ يُسَلِّم الفقيـه ذلـك -

- ولا يسوغ في عقْله أبداً ، ولا يَصِحّ الحُكْم عنده بعدم حِنْث الاثْنيْن أبداً ؛ إذ وجود شَخْص واحد في مكانيْن في وقْت واحد مُحال في العقل ..

فالجواب عن هذا : ما أجاب به الشَّيْخ صفيّ الدِّين المذكور ، وليس ذلك مُحَالاً ؛ لأنّه إثبات تَعَدُّد الصُّوَر الرُّوحانيّة ، وليس ذلك بصورة واحدة حتّى يَلْزَم منه المُحال ...

فإنْ قيل : الإشكال باقٍ في تَعَدُّد الصُّوَر من شَخْص واحد ..

فالجواب : أنّ ذلك قدْ وقَع وشُوهِد ولا يُمكن جَحْده وإنْ تَحيَّر فيه العقل ..

من ذلك : ما اشتهر عن كثير من الفقهاء وغيْرهم أنّ الكعبة المُعَظَّمة شُوهِدَتْ تَطُوف بجماعة من الأولياء في أوقات في غيْر مكانها ، ومعلوم أنّها في مكانها لم تفارقه في تلك الأوقات .

ومن ذلك : قصّة قضيب البان ، ورَوَيْنَا عن بَعْض الأكابر أنّه قال : ما الشأن في الطَّيَران ؛ إنّما الشأن في اثْنيْن أحدهما بالمَشْرِق والآخَر بالمَغْرِب يَشْتَاق كُلٌّ منْهما إلى زيارة الآخَر فيَجْتَمِعَان ويَتَحَدَّثان ويَعُود كُلّ واحد منْهما إلى مكانه والنّاس يشاهدون كُلّ واحد منْهما في مكانه لم يبرح عنه ..

انظر المُنْجَلِي في تَطَوُّر الوَلِيّ (ضِمْن الحاوي لِلفتاوى) ٢٩٢/١

(٤) قال اليافعيّ في " رَوْض الرَّياحين " في كرامات سَهْل بن عبد الله التُّسْتَرِيّ ﷺ : ذَكَر بعض أصحاب سهْل بن عبد الله قال : حَجّ رَجُل سَنَةً فلَمّا رَجَع قال لأخ له :" رَأَيْتُ سَهْل بن عبد الله في الموقف بعرفة " فقال له أخوه :" نحن كُنّا عنده يوم التَّرْوِيَة في رباطه بباب تُستَر " ، فحَلَف بالطّلاق أنّه رآه في الموقف ، فقال له أخوه :" قُمْ بنا حتّى نَسأله " ، فقامَا ودَخَلاَ عليه وذَكَرَا له ما جرى بيْنهما وسألاه عن حُكْم اليمين فقال سهل :" ما لكم بهذا من حاجة ! اشْتَغِلوا بالله " وقال لِلحالف : أمْسِك عليك زَوْجَك ، ولا تُخْبِرْ بهذا أحدا ..

روض الرَّياحين /١٧٣ وانظر المُنْجَلِي في تَطَوُّر الوَلِيّ (ضِمْن الحاوي لِلفتاوى) ٢٩٢/١

(٥) هو عفيف الدِّين أبو مُحَمَّد عبد الله بن أسْعَد بن عَلِيّ بن سليمان اليمنيّ المكّيّ الشّافعيّ ﷺ ، انتهت إليه الرئاسة في مذهب الشّافعيّة في عصْره ، أخَذ عن عَلِيّ بن عبد الله الطَواشيّ وأبي عبد الله البصّال وشرف الدِّين الحرازيّ ، وأخَذ عنه أبو الضِّياء الغيثيّ المقصريّ وشهاب الدِّين الفاسيّ وأحمد ابن إبراهيم المرشديّ .

من مؤلّفاته : الدُّرّ النّظيم في خواصّ القرآن العظيم ، مصباح الظّلام في المُستَغيثين بخيْر الأنام ، نَشْر المَحاسن الغالية في فضْل المشايخ أولي المقامات العالية ، نشْر الرَّوْض العَطِر في حياة سَيِّدنا أبي العبّاس الخَضِر .

ومن أقواله ﷺ : مَن أنِس بالله أنِس به كُلّ شيء ، ومَن هاب الله هابه كُلّ شيء .

تُوُفِّي ﷺ بمكّة سَنَة ٧٦٨ هـ .

و" مَنَاقِبِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ المَنُوفِيِّ (١) " (٢) لِتِلْمِيذِهِ الشَّيْخِ خليلِ المَالِكِيِّ (٣) صاحِبِ

(١) هو بدر الدّين أبو مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن سليمان المنوفيّ المَالِكِيّ ﷺ ، وُلِد بالمَغْرِب وقيل بالبحيرة سنَة ٦٨٦ هـ ، أَخَذ عن الشّيْخ سليمان المُنُوفيّ ، وأَخَذ عنه ابنه إبراهيم وخليل المالكيّ .

تُوُفِّي ﷺ بالقاهرة سنَة ٧٤٩ هـ .

(٢) قال الشّيْخ خليل المالكيّ في " مناقب الشّيْخ عبد الله المنوفيّ " : **الباب السّادس : في طيّ الأرض له مع عدم تَحَرُّكه ..**

مِن ذلك : أنّ رَجُلاً جاء من الحجاز وسأل عن الشّيْخ وذَكَر أنّه رآه واقفاً بعرفة ، فقال له النّاس : " الشّيْخ لم يَزُلْ من مكانه " فحَلَف على ذلك ، فطَلَع الشّيْخ وأراد أنْ يَتَكَلَّم (أيْ ذلك الرَّجُل) فأشار إليه بالسّكوت ...

قال : **فإنْ قُلْتَ** : كيف يُمكِن وجود الشخص الواحد بمكانيْن ؟!

قُلْتُ : الوَلِيّ إذا تَحقَّق في ولايته تَمكَّن من التّصوُّر في رُوحانيّته ، ويُعْطَى من القدرة التّصْوِيرَ في صُوَر عديدة ، وليس ذلك بمُحال ؛ لأنّ المُتَعَدِّد هو الصّورة الرُّوحانيّة ، وقد اشتهر ذلك عند العارفين بالله ..

كما حُكِي عن قضيب البان أنْكَر عليه بعض الفقهاء عدم الصّلاة في جماعة ، ثُمّ اجتَمَع ذلك الفقيه به فصلّى بحضرته ثماني ركعات في أرْبَع صُوَر ثُمّ قال له :" أيّ صورة لمْ تُصَلّ معكم ؟! " فقَبّل يد الشّيْخ وتاب .

وكما حُكِي عن الشّيْخ أبي العبّاس المُرْسِيّ أنّه طَلَبه إنسان لأمْر عنده يوْم الجمعة بَعْد الصّلاة فأنْعَم له (أيْ وَعَدَه بزيارته) ، ثُمّ جاء له أربعة كُلٌّ منهم طَلَب منه مِثْل ذلك فأنْعَمَ لِلجميع ، ثُمّ صلّى الشّيْخ مع الجماعة وجاء فقَعَد بيْن الفقهاء ولم يذهب لأحد منهم ، وإذا بكُلٍّ من الخمسة جاء يَشكُر الشّيْخ على حضوره عنده .

وقدْ حكَى جماعة أنّ الكعبة رُؤِيَت تَطُوف ببعض الأولياء ..

قال السّيوطيّ : هذا كلام الشّيْخ خليل ، وناهيك به إمامةً وجلالة ..

انظر المُنْجَلي في تَطَوُّر الوَلِيّ (ضِمْن الحاوي لِلفتاوى) ٢٩٣/١

(٣) هو ضياء الدّين أبو المودّة خليل بن إسحاق بن موسى المعروف بـ" الجنديّ " ﷺ ، أَخَذ عن الشّيْخ عبد الله المنوفيّ وابن الحاجّ والرّشيديّ ، وأَخَذ عنه مُحَمَّد بن إسماعيل النّقراويّ وابن سلامة وأبو الفَضْل بن ظهيرة .

مِن مؤلّفاته : شَرْح مُخْتَصَر ابن الحاجب ، المُخْتَصَر في فِقْه المالكيّة ، شَرْح المُدَوَّنة ، مناقب الشّيْخ عبد الله المنوفيّ .

تُوُفِّي ﷺ سنَة ٧٦٩ هـ .

" المُخْتَصَرِ " (١) وكتابِ " الوَحيدِ " (٢) لِعَبْدِ الغفّارِ بنِ نُوحٍ القُوصيِّ (٣) و" تَلْخِيصِ الكَوْكَبِ المُنِيرِ في مَنَاقِبِ أبي العبّاس البَصِيرِ (٤) " (٥) لِلْبُرْهَانِ الأَبْنَاسيِّ (٦) وغَيْرِهِمْ مِنَ الأئمَّةِ الأعلامِ مَا يَشْهَدُ لِهَذَا الكَلاَمِ ، ويَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مَا وَقَعَ الإفتاءُ بِهِ قديماً وحديثاً أنَّهُ لاَ حِنْثَ عَلَى حَلِفِ أحدِهِمَا أنَّهُ رَأَى فُلاَناً بمكَانِ كذا وحَلِفِ الثَّاني أنَّهُ رَآهُ بمكانٍ آخَرَ ؛ مُسْتَنِدِينَ إلَى كَوْنِهِ مُمْكِناً ، وقَرَّرُوا إمكانَهُ بِمَا أَشَرْنَا إلَيْه (٧) .

(١) أيْ مُخْتَصَر خليل في فقه المالكيّة .

(٢) قال الشّيْخ عبد الغفّار القوصيّ في " الوحيد في سلوك طريق أهل التّوْحيد " : الخصائص الإلهيّة لا يُحْجَر عليها ؛ فهذا عزرائيل يَقْبِض في كُلّ ساعة مِن الخلائق في جميع العوالم ما لا يَعْلَمه إلا الله وهو يَظْهَر لهم بصور أعمالهم في مرائى شَتّى ، وكُلّ واحد منْهم يَشْهَده ويُبْصِره في صُوَرٍ مختلفة ..

انظر المُنْجَلِي في تَطَوُّر الوَلِيّ (ضِمْن الحاوي لِلفتاوى) ٢٩٣/١

(٣) هو الشّيْخ عبد الغفّار بن أحمد بن عبد المجيد بن نوح القوصيّ ﷺ ، وُلِد سَنَة ٦٤٥ هـ ، أَخَذ عن أبي العبّاس المُلَثَّم وعبد العزيز المنوفيّ والحافظ الدّمياطيّ ، وأَخَذ عنه ابنه أحمد والقُطْب الحلبيّ وعلاء الدّين القونويّ .

كان ﷺ أمّاراً بالمعروف نَهّاءاً عن المُنْكَر ، صاحِب كرامات كثيرة وأحوال سَنِيّة .

قال الشّعْرانيّ : وحَكَى بعضهم أنّ الشيخ عبد الغفار القوصيّ صنّف في مَذْهَب الشّافعيّ بإخميم ألْف مُجَلَّد .. لطائف المِنَن لِلشّعرانيّ /٢٦٨

مِن أقواله ﷺ :

- كلام المُنْكِرين على أهْل الله تعالى كنفخة ناموسة على جبل ؛ فكما لا يُزِيل الجبلَ نفخةُ النّاموسة كذلك لا يَتَزَلْزَل الكامل بكلام النّاس فيه .

- كُلّ قَلْب ليس فيه ساكِن صبوة عُذْرِيّة ما ذاك قَلْب .

ومِن نظْمه :

أنا أُفْتِي أنّ تَرْك الحُبّ ذَنْبُ ... آثِمٌ في مَذْهَبي مَن لا يُحِبّ

ذُقْ على أمْري مرارات الهوى ... فهو عذْبٌ وعذاب الحُبّ عَذْبُ

تُوُفِّي ﷺ بالقاهرة سَنَة ٧٠٨ هـ .

(٤) هو أبو العبّاس أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الرحيم بن أبي بَكْر جزي الأندلسيّ الخزرجيّ المعروف بـ" البصير " ﷺ ، ويُعْرَف - أيضاً - بـ" ابن غزالة " ، كان أبوه مِن ملوك بلاد المَغْرِب ، مِن أقران الشّيْخ أبي السُّعُود بن أبي العشائر ﷺ وأبي الحَجّاج الأقصريّ ، أَخَذ عن الشّيْخ أبي أحمد جَعْفَر الأندلسيّ ، وأَخَذ عنه سَيِّدي حاتم .

- قال السّخاويّ : كانت طريقته ﷺ التّجْرِيد والأكل الخَشِن ، وعنده فقراء في الزّاوية أكْثَر أكْلهم القراقيش واللّيْمون المالح ، وكانت طريقة سيّدي أبي السّعود في مأكله وأصحابه الأطعمة المُفْتَخَرة والحَلْوَى ، فبَلَغ جماعة الشّيْخ أبي العبّاس طريقة الشّيْخ أبي السّعود فمالوا إلى الذهاب إليه لأجْل المآكل الحسنة ، فجاءوا إلى الشّيْخ أبي السّعود فمَدّ لهم سماطاً من القراقيش واللّيْمون المالح ، فقالوا في أنْفُسهم :" نَرْجِع إلى الشّيْخ ونَقْنَع بما قَسَم الله لنا " ، فلَمّا جاءوا إلى الشّيْخ أبي العبّاس نظر إليهم بعيْن قَلْبه وقال لِواحد منهم :" خذ هذه اللّبِنة وامض بها إلى الصّاغة " فنظر إليها فإذا هي ذهب أحْمَر فناولها لِلدّلاّل فباعها بألْف دينار وقَبَض الثّمَن وجاء به إلى الشّيْخ ، فقال الشّيْخ :" كم فقيراً أنتم ها هُنَا ؟ " قالوا :" عشرة " قال :" فليأخذ كُلٌّ منكم مائة دينار ويَخْرُج عن صُحْبتي ؛ لأنّ الفقراء لا يَصْحَبهم مَن يريد الدُّنْيا ، وأنتم مِلْتم إليها وإلى مالها الحَسَن " فقالوا :" يا سيّدي .. لا حاجة لنا به ، وليس لنا رغبة إلا في صُحْبتك " ، فقال :" رُدُّوا هذا المال إلى صاحبه وأتوني باللّبِنة " فجاءوا بها إليه وهي على حالتها الأولى فرماها الشّيْخ في جانِب الزّاوية .

تُوُفّي ﷺ بمِصْر سَنَة ٦٣٢ هـ ودُفِن بالقرافة الصغرى .

(٥) قال برهان الدّين الأبناسيّ في " تَلْخِيص الكَوْكَب المنير في مناقب الشّيْخ أبي العبّاس البصير " : مِن كراماته : أنّه لَمّا قَدِم مكة اجْتَمَع بالشّيْخ أبي الحَجّاج الأقصريّ فجَلَسَا في الحرم يتذاكران أحوال القوم ، فقال أبو الحَجّاج :" هل لك في طواف أسبوع ؟ " فقال أبو العبّاس :" إنّ لله رجالاً يَطُوف بيْته بهم " فنَظَر أبو الحَجّاج وإذا بالكعبة طائفة بهما ...

قال الأبناسيّ : ولا يُنْكَر ذلك ؛ فقَدْ تَضَافَرَت أخبار الصّالحين على نظير هذه الحكاية ..

انظر : المُنْجَلي في تَطَوُّر الوَلِيّ (ضِمْن الحاوي لِلفتاوى) ٢٩٤/١ وجامع كرامات الأولياء ٥٠١/١

(٦) هو برهان الدّين أبو مُحَمّد إبراهيم بن موسى بن أيوب الأبْناسيّ ﷺ ، وُلِد بأبناس سَنَة ٧٢٥ هـ أخَذ عن أبي الفتح الميدوميّ وجمال الدّين الإسنويّ ووليّ الدين المَنْفَلُوطيّ ، وأخَذ عنه تاج الدّين اليافعيّ وابن سلامة وشهاب الدّين عبد اللطيف بن أحمد الفاسي .

تُوُفّي ﷺ بعيون القصب بالقُرْب من عقبة أيلة سَنَة ٨٠١ هـ .

(٧) ومِن ذلك : ما ذَكَره الحافظ السّيوطيّ : رُفِع إليّ سؤال في رجل حَلَف بالطّلاق أنّ وليّ الله الشّيْخ عبد القادر الدّشْطُوطيّ بات عنده ليلة كذا فحَلَف آخَر بالطّلاق أنّه بات عنده في تلك اللّيْلَة بعيْنها فهلْ يقع الطّلاق على أحدهما أم لا ؟

فأرْسَلْتُ قاصِدي إلى الشّيْخ عبد القادر فسأله عن ذلك فقال :" ولو قال أربعة أنّي بِتُّ عندهم لَصَدَقُوا " ، فأفْتَيْتُ بأنّه لا يَحْنَث واحد منهما ..

فإنْ قُلْتَ : إذَا كانَ الوَلِيُّ يَمْلأُ الكَوْنَ فأيْنَ يَكُونُ غَيْرُهُ مِنَ الأَوْلِيَاء ؟!

فالجَوابُ : إنَّ اللَّطائفَ لاَ تَتَزَاحَمُ ، كسِرَاجٍ أَدْخَلْتَهُ بَيْتاً فمَلأَهُ نُوراً ؛ لَوْ جِئْتَ بَعْدَهُ بأَلْفِ سِرَاجٍ لَوَسِعَ ذلكَ البَيْتُ أنوارَهَا .

وإنْ كانَ المُرَادُ بالقَدَمِ السَّابِقَةَ والمَنْزِلَةَ العالِيَةَ كَمَا قِيلَ بِهِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تعالَى ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (١) سُمِّيَتْ " قَدَماً " لأجْلِ السَّبْقِ بِها ، كَمَا سُمِّيَتِ النِّعْمَةُ " يَداً " لأنَّها تُعْطَى بالْيَدِ ، وإضافَتُهَا إلَى الصِّدْقِ لِتَحَقُّقِهَا والتَّنْبِيهِ عَلَى أنَّهُمْ إنَّمَا يَنَالُونَ هذهِ المَنْزِلَةَ بصِدْقِ القَوْلِ والنِّيَّة ، ومِنهُ قَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ (٢) :

لَكُمْ قَدَمٌ لاَ يُنْكِرُ النَّاسُ أنَّها مَعَ الحَسَبِ العالِي طَمَّتْ عَلَى البَحْرِ (٣)

فالمَعْنَى : أنَّ أُسْتَاذَنَا ـ كَغَيْرِهِ مِنَ الأَوْلِيَاءِ ـ لَوْ وُضِعَتْ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ ربِّ العالَمِينَ بالدُّنْيَا ـ عَلَى تَقْدِيرِ تَجْسِيمِ تِلْكَ المَنْزِلَةِ ـ فلاَ تَسَعُهَا هذهِ الدُّنْيَا .

ومِنْ هَذَا : قَوْلُ الأُسْتَاذِ العارِفِ باللهِ تَعَالَى السَّيِّدِ عَبْدِ القادِرِ الكيلانيِّ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُمَا :" قَدَمِي عَلَى كُلِّ وَلِيٍّ " (٤) يَعْنِي بِهِ المَنْزِلَةَ .

ولَوْلاَ قَوْلُ الأُسْتَاذِ في قَصيدةٍ لهُ :

قَدَمِي هَذَا عَلَى كُلِّ وَلِي حتَّى عَلَى ابْنِ الرِّفاعي قَدْ عَلاَ (٥)

لأمْكَنَ حَمْلُهُ عَلَى أوْلِياءِ زَمَانِه .

---

(١) سورة يونس من الآية ٢

(٢) هو أبو الحارث غيلان بن عقبة بن بهيس ، أحد فحول الشُّعَراء ، والرُّمَّة هو الحَبْل البالي ، أَخَذ عن سَيِّدنا عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما ، وأخَذ عنه أبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عُمَر النَّحويّ .

تُوُفِّي رَحِمه الله بأصبهان سَنَة ١١٧ هـ ، وقال قَبْل وفاته :

يا رَبِّ قَدْ أَسْرَفَتْ نَفْسي وقَدْ عَلِمَتْ عِلْماً يقيناً لقَدْ أَحْصَيْتَ آثَارِي

يا قابِضَ الرُّوحِ عنْ نَفْسي إذا احْتَضَرَتْ وغافِرَ الذَّنْبِ زَحْزِحْنِي عن النَّارِ

(٣) انظر : تَفْسير القُرْطُبِيّ ٣٠٦/٨ وتَفْسير الطَّبريّ ٨٢/١١ وتَفْسير ابن الجَوْزِيّ ٦/٤ وتَفْسير ابن كثير ٤٠٧/٢ وتَفْسير الألوسيّ ٦٣/١١ وتَفْسير النَّسفيّ ١١٧/٢ وتَفْسير الشّوكانيّ ٤٢٢/٢

(٤) انظر : نور الأبصار /٣٩٠ وجامع كرامات الأولياء ١١٨/٢

(٥) الجَوْهَرة المُضيَّة /٣٨٦

وقدْ بَحَثَ بَعْضُهُمْ ضَبْطَ قَوْلِهِ " حَتَّى عَلَيَّ " بتَشْديدِ الياءِ ، وهَذَا أمْرٌ لاَ مَجَالَ لِلعَقْلِ فيهِ بغَيْرِ اطِّلاَعٍ علَى مَنَازِلِ القَوْمِ ، ولاَ يَقْتَضِيهِ التَّعْبِيرُ بِـ" حتَّى " المُسْتَعْمَلَةِ لانْتِهَاءِ الغايَةِ .

وقيلَ : القَدَمُ في الآيةِ هُوَ نَبِيُّنَا ﷺ (١) ؛ فإنَّهُ سَفِيعٌ مُطَاعٌ يُنْقِذُكُمْ كَمَا قالَ ﴿ أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ ﴾ (٢) ..

فإذَا أرادَ الأُسْتَاذَانِ المَذْكُورَانِ (٣) هَذَا المَعْنَى فهُوَ غَنِيٌّ عنِ البَيَانِ ؛ لِطُلُوعِ شَمْسِ العِرْفَانِ ؛ إذْ لاَ شَكَّ أنَّهُ ﷺ أعْلَى مَنْزِلَةً مِنْ كُلِّ وَلِيٍّ ، بَلْ أفْضَلُ الخَلِيقَةِ

(١) انظر : صحيح البخاريّ ١٧٢١/٤ ومَعاني القُرْآن لأبي جَعْفَر النّحّاس ٢٧٦/٣ والتِّبيَان في تَفْسير غريب القرآن لِشهاب الدِّين المصريّ ٢٣٠/١ وتَفْسير القُرْطُبيّ ٣٠٦/٨ وتَفْسير الطّبريّ ٨٢/١١ وتَفْسير ابن الجَوْزِيّ ٥/٤ وتَفْسير ابن كثير ٤٠٧/٢ وتَفْسير الثّعالبيّ ١٦٨/٢ وتَفْسير البغويّ ١٦٨/٢ وتَفْسير الألوسيّ ٦٣/١١ وتَفْسير الدُّرّ المنثور ٣٤١/٤ وتَفْسير الشّوكانيّ ٤٢٢/٢

(٢) أخْرَجه البخاريّ ٢٤٠٦/٥ ومُسْلِم ١٧٩٢/٤ وابن حبّان ٣٥٧/١٤ وأحمد ٣١٣/٤ والخطيب البغداديّ ٣٩٨/٤ وابن أبي شيبة ٣٠٦/٦ والرّويانيّ ١٣٨/٢ والحميديّ ٣٤٢/٢ وأبو يَعْلَى ٩٥/٣ والطّبرانيّ ١٦٨/٢ عن سَيِّدنا جندب بن سفيان البجليّ ﷺ ، والبخاريّ ٢٤٠٦/٥ ومُسْلِم ١٧٩٣/٤ وأحمد ٣٣٣/٥ وابن أبي شيبة ٣٠٦/٦ والرّويانيّ ١٩١/٢ والبَيْهَقِيّ في الشّعب ٣٢١/١ والطّبرانيّ ١٣٧/٦ عن سَيِّدنا سَهْل بن سَعْد ﷺ ، والبخاريّ ٢٤٠٤/٥ وابن ماجة ١٠١٦/٢ وأحمد ٣٨٤/١ والبزار ١٠٦/٥ والشّاشيّ ٤٠/٢ وأبو يَعْلَى ١٠٢/٩ والطّبرانيّ ١٨٥/١٠ والخطيب البغداديّ ٢٣٥/٤ عن سَيِّدنا عبد الله بن مسعود ﷺ ، وابن خزيمة ٦/١ وابن حبّان ٣٢١/٣ وابن ماجة ١٤٣٩/٢ وأحمد ٤٠٨/٢ والخطيب البغداديّ ٢١٩/٦ عن سَيِّدنا أبي هريرة ﷺ ، ومُسْلِم ١٧٩٦/٤ والرّويانيّ ١٥٢/١ والطّبرانيّ ٢٧٩/١٧ عن سَيِّدنا عقبة بن عامر ﷺ ، وابن ماجة ١٣٠٠/٢ وابن حبّان ٣٢٤/١٣ وأحمد ٣٤٩/٤ وابن أبي شيبة ٣٠٥/٦ والحميديّ ٣٤٣/٢ والطّبرانيّ ٧٨/٨ عن سَيِّدنا الصّنابح الأحمسيّ ﷺ ، وأحمد ٣٩٣/٥ وابن أبي شيبة ٤٥٥/٧ عن سَيِّدنا حذيفة ﷺ ، وأحمد ٢٥٧/١ والطّبرانيّ ٣٣/١١ وفي الأوسط ١٨٦/٣ عن سَيِّدنا عبد الله ابن عبّاس رضي الله عنهما ، والحاكم ٨٤/٤ وأبو داود الطّيالسيّ /٢٩٤ عن سَيِّدنا أبي سعيد الخدريّ ﷺ ، والطّبرانيّ في الأوسط ٣٧٨/٧ والصّغير ٢٠٢/٢ عن سَيِّدنا أنس ﷺ ، وأحمد ٨٦/٥ وأبو يَعْلَى ٤٥٧/٣ والطّبرانيّ ١٩٩/٢ عن سَيِّدنا جابر بن سمرة ﷺ ، وأحمد ٤١/٥ عن سَيِّدنا أبي بكرة ﷺ ، والحارث بن أبي أسامة ١٠٠٦/٢ عن سَيِّدنا عُمَر ﷺ ، والطّبرانيّ في مُسْنَد الشّاميّين ٣١١/٢ عن سَيِّدنا أبي الدّرْدَاء ﷺ ، وأبو يَعْلَى ٤٣٣/٧ عن السَّيِّدة عائشة رضي الله عنها .

(٣) أيْ سَيِّدي عبد القادر الجيلانيّ وسَيِّدي إبراهيم الدّسوقيّ رضي الله عنهما .

عَلَى الحَقِيقَةِ ، فمَنِ اعْتَقَدَ غيرَ ذلكَ مِمَّا نَحَا إِلَيْهِ بَعْضُ الكَرّامِيَّةِ (١) ـ ونُسِبَ لبَعْضِ الصُّوفِيَّةِ ـ مِنْ حَوْزِ الوَلِيِّ أَفْضَلَ مِنَ النَّبِيِّ فقدْ كَفَر .

وأمَّا قَوْلُ أبي يَزِيدٍ :" ـ ضْتُ بَحْراً وقَفَ الأَنْبِيَاءُ بسَاحِلِهِ " (٢) : فقَدْ بَيَّنْتُ مُرَادَهُ بهَذَا الكلامِ بـ" شَرْحِ بَدْءِ الأمالي " .

---

(١) الكرّاميّة : فِرقة تُنْسَب إلى مُحَمَّد بن كرّام السِّجستانيّ ..

من اعتقاداتهم : أنّ الإيمان قَوْل باللِّسان دُون اعتقاد القَلْب وعمل الجوارح ، فمَن أَقَرّ بلسانه فهو مُؤْمن حقاً وإن اعْتَقَد بقَلْبه ما شاء من الكُفْر والشِّرْك ..

كما أنّهم جَحَدوا العبادات وزعموا أنّ المنافقين كانوا مؤمنين ، وغيْر ذلك مِمَّا يخالف صحيح العقيدة عند أهل السُّنَّة والجماعة .

(٢) أقول : قال أبو العبّاس المُرْسيّ ﷺ : إنّما يَشْكو أبو يزيد بهذا الكلام ضَعْفه وعَجْزه عن اللّحاق بالأنبياء ، ومراده أنّ الأنبياء خاضوا بحار التَّوْحيد ووقفوا مِن الجانب الآخَر على ساحِل الفرق يَدْعون الخَلْق إلى الخَوْض ، أيْ : فلو كُنْتُ كاملاً لَوَقَفْتُ حيث وقفوا ..

قال التّاج بن عطاء الله ﷺ : وهذا الذي فَسَّر الشَّيْخ به كلام أبي يزيد هو اللاّئق بمقام أبي يزيد ، وقَدَّمْنَا عنه أنّه قال :" جميع ما أَخَذ الأولياء مِمَّا أَخَذ الأنبياء كزقّ مُلِئ عسلاً ثُمّ رَشَحَتْ منه رشاحة ؛ فما في بطْن الزقّ لِلأنبياء ، وتلك الرّشاحة هي لِلأولياء ..

لطائف المِنَن /١٢٥ وانظر : حلّ الرّموز /١٠١ وطبقات الشّعرانيّ /٣٨٤

الكَنْزُ الثّامنُ عَشَرَ

تَحْرِيكُ الأُسْتَاذِ مَا سَكَنَ فِي الكَوْنِ وتَسْكِينُهُ مَا تَحَرَّكَ فيهِ بإذنِ اللهِ

شاهِدُهُ مِنَ السُّنَّةِ : قَوْلُهُ ﷺ لِجَبَلِ أُحُدٍ لَمَّا كانَ عَلَيْهِ هُوَ وأَبُو بَكْرٍ (١)

(١) هو الصّحابيّ الجليل أبو بَكْر سَيِّدنا عبد الله بن أبي قحافة سَيِّدنا عثمان بن عامر بن عمرو القرشيّ التّميميّ رضي الله عنهما ، أوّل مَن أسلَم مِن الرِّجال ، صاحِب رسول الله ﷺ ورفيقه في الغار ، وأوّل مَن صلّى معه ، وأوّل الخلفاء الرّاشدين ..

كان ﷺ إذا سقط خطام ناقته ينيخها ويأخذه ، فيقال له :" هَلاّ أمَرْتَنا ؟! " فيقول : إنّ حِبّي رَسُولَ اللّهِ ﷺ أمَرَني ألاّ أسْأَلَ النّاسَ شَيْئا ..

ولَمّا أمَر رسولُ الله ﷺ بالتّصدّق أتَى سَيِّدنا أبو بَكْر ﷺ بكُلّ ما عنده ، فقال له ﷺ ﴿ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ ﴾ فقال ﷺ : أبْقَيْتُ لَهُمُ اللّهَ وَرَسُولَه .

ولَمّا جاء سَيِّدنا أبو بَكْر بصدقته إلى النّبيّ ﷺ أخفاها وقال :" يَا رَسُولَ اللّهِ .. هَذِهِ صَدَقَتِي ، وَلِلّهِ عَزّ وَجَلّ عِنْدِي مَعَاد " ، ولَمّا جاء سَيِّدنا عُمَر بن الخطّاب بصدقته إلى النّبيّ ﷺ أظْهَرها وقال :" يَا رَسُولَ اللّهِ .. هَذِهِ صَدَقَتِي ، ولِي عِنْدَ اللّهِ مَعَاد " فقال ﷺ ﴿ يَا عُمَرُ .. وَتَرْتَ قَوْسَكَ بِغَيْرِ وَتَرٍ ، مَا بَيْنَ صَدَقَتَيْكُمَا كَمَا بَيْنَ كَلِمَتَيْكُمَا ﴾ .. انظر : حِلْيَة الأولياء ٣٢/١ ومُسْنَد الدّيْلَميّ ٣١٠/٥

وكان ﷺ إذا مُدِح قال : اللّهُمّ أنْتَ أعْلَمُ مِنّي بِنَفْسِي ، وَأنَا أعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ ، اللّهُمّ اجْعَلْنِي خَيْراً مِمّا يَظُنُّونَ ، وَاغْفِرْ لِي مَا يَعْلَمُونَ ، وَلاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُون ..

قال له رَجُل يوماً :" واللهِ لأسُبَّنّك سَبّاً يَدْخُل القَبْرَ معك " فقال ﷺ : مَعَكَ يَدْخُلُ لاَ مَعِي .

مِن أقوالِه ﷺ :

- لَوَدِدْتُ أنّي شَعْرَةٌ فِي جَنْبِ عَبْدٍ مُؤْمِن .
- مَا رَأيْتُ شَيْئاً إلاّ رَأيْتُ اللّهَ قَبْلَه .
- كُنّا نَدَعُ سَبْعِينَ بَاباً مِنَ الْحَلاَلِ مَخَافَةَ أنْ نَقَعَ فِي بَابٍ مِنَ الْحَرَام .
- إنّي لأُبْغِضُ أهْلَ بَيْتٍ يُنْفِقُونَ نَفَقَةَ الأيّامِ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِد .
- إنّ لِلّهِ عَمَلاً بِاللّيْلِ لاَ يَقْبَلُهُ بِالنّهَارِ ، وَعَمَلاً بِالنّهَارِ لاَ يَقْبَلُهُ بِاللّيْلِ ، وَإنّهُ لاَ يَقْبَلُ نَافِلَةً حَتّى تُؤَدّى الْفَرَائِض .
- لاَ يَحْقِرَنّ أحَدٌ أحَداً مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؛ فَإنّ صَغِيرَ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ اللّهِ كَبِير .
- مَنْ ذَاقَ مِنْ خَالِصِ مَحَبّةِ اللّهِ شَغَلَهُ ذَلِكَ عَنْ طَلَبِ الدّنْيَا وَأوْحَشَهُ عَنْ جَمِيعِ الْبَشَر .
- ارْقُبُوا مُحَمّداً ﷺ فِي أهْلِ بَيْتِه .
- مَنِ اسْتَطَاعَ أنْ يَبْكِيَ فَلْيَبْكِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلْيَتَبَاك .
- اسْأَلُوا اللّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ ؛ فَإنّهُ مَا أُعْطِي أحَدٌ بَعْدَ الإسْلاَمِ أفْضَلَ مِنَ الْعَفْوِ وَالْعَافِيَة .

وعُمَرُ وعُثْمَانُ (١) فرجَف ﴿ اثْبُتْ ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وشَهِيدان ﴾ (٢) .

= - لاَ خَيْرَ فِي خَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ ، وَلاَ شَرَّ فِي شَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّة .

- فِرَّ مِنَ الشَّرَفِ يَتْبَعْكَ الشَّرَفُ ، وَاحْرِصْ عَلَى الْمَوْتِ تُوهَبْ لَكَ الْحَيَاة .

- دَارُنَا فَانِيَةٌ ، وَأَحْوَالُنَا عَارِيَةٌ ، وَأَنْفَاسُنَا مَعْدُودَةٌ ، وكَسَلُنَا مَوْجُود .

- إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا دَاخَلَهُ الْعُجْبُ بِشَيْءٍ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا مَقَتَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى يُفَارِقَ تِلْكَ الزِّينَة .

- يَا أَخِي .. إِنْ أَنْتَ حَفِظْتَ وَصِيَّتِي فَلاَ يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ وَهُوَ آتِيك .

تُوُفِّي ﷺ سَنَة ١٣ هـ عنْ ٦٣ سَنَةً ، ودُفِن بجوار المُصْطَفَى ﷺ ..

قال سيِّدنا عُمَر ﷺ : يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .. لَقَدْ كَلَّفْتَ الْقَوْمَ بَعْدَكَ تَعَباً وَوَلَّيْتَهُمْ نَصَباً ، فَهَيْهَاتَ مَنْ سَوَّغُبَارَكَ ؟ وكَيْفَ بِاللِّحَاقِ بِك ؟!

(١) هو الصَّحابيّ الجليل ذو النُّورَيْن أبو عبد الله سيِّدنا عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أميّة ﷺ ، ثالث الخلفاء الرّاشدين ، سُمِّي بـ" ذي النّورَيْن " لِزواجه من السَّيِّدة رقيّة ثُمّ السَّيِّدة أمّ كلثوم رضي الله عنْهما ابْنَتَيْ النَّبيّ ﷺ .

قال سيِّدنا أبو سعيد الخدريّ ﷺ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى أَنْ طَلَعَ الْفَجْرُ رَافِعاً يَدَيْهِ يَدْعُو لِعُثْمَان ﴿ اللَّهُمَّ عُثْمَانُ ؛ رَضِيتُ عَنْهُ فَارْضَ عَنْه ﴾ .. صفة الصَّفْوَة ٢٩٨/١

وروى أبو نُعَيم أنّ سيِّدنا أبا هريرة ﷺ قال : اشْتَرَى عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْجَنَّةَ مَرَّتَيْنِ: حِينَ حَفَرَ بِئْرَ رُومَةَ ، وَحِينَ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَة .. حِلْيَة الأولياء ٥٨/١

كان ﷺ يُطْعِم النّاس طعام الإمارة ويَدْخُل بيتَه فيأكل الخلّ والزّيْت .

قال ﷺ : مَا مَسَسْتُ ذَكَرِي بِيَمِينِي مُنْذُ بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ .

وروى أبو نُعَيم أنّه ﷺ عاد مريضاً فقال له :" قُلْ " لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّه " " فقالها فقال :" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ رَمَى بِهَا خَطَايَاهُ فَحَطَمَهَا حَطْما " فقيل :" أشيء تقول أوْ شيء سَمِعتَه من رسول الله ﷺ ؟ " فقال : بَلْ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا :" يَا رَسُولَ اللَّهِ .. هَذَا لِلْمَرِيضِ ، فَكَيْفَ هِيَ لِلصَّحِيحِ ؟ " فَقَال ﴿ هِيَ لِلصَّحِيحِ أَحْطَم ﴾ .. حِلْيَة الأولياء ٦١/١

وروى ابن سَعْد والشّاطبيّ أنّه ﷺ كان إذا صلّى العِشاء أوتَر بركعة يقرأ فيها القرآن كُلّه .

قُتِل ﷺ يَوْم الدّار سَنَة ٣٦ هـ عن ٧٥ سَنَة ، ودُفِن بالبقيع ..

قال سيِّدنا عبد الله بن عبّاس : لَوْ أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى قَتْلِ عُثْمَانَ لَرُمُوا بِالْحِجَارَةِ كَمَا رُمِيَ قَوْمُ لُوط .. انظر : البداية والنّهاية ١٩٣/٧ وفضائل الصّحابة لِلإمام أحمد ٤٦١/١ وتاريخ الخلفاء /١٦٢

(٢) أَخْرَجه البخاريّ ١٣٤٤/٣ والتِّرْمذيّ ٦٢٤/٥ وأبو داود ٢١٢/٤ والنّسائيّ ٤٣/٥ وأحمد ١١٢/٣ وابن حبّان ٢٨٠/١٥ والطّبرانيّ في الأوسط ٣٨٨/٦ وأبو يَعْلَى ٢٨٩/٥ وابن أبي عاصم ٦٢/٢ والخطيب البغداديّ ٣٦٥/٥ عن سيِّدنا أنس ﷺ ، وأحمد ٣٣١/٥ وابن حبّان ٤١٥/٤ ومُعَمَّر =

وحَديثُ الثَّلاثَةِ الذينَ أوَوْا إلَى مَغارةٍ فانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ فسَدَّتْهُ عَلَيْهِمْ ، فَدَعَوْا بصالِحِ أعمالِهِمْ فانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ وخَرَجُوا ، وهُوَ حديثٌ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ (١) .

= ابن راشد ٢٢٩/١١ والرّوياني ٢١٣/٢ وعبْد بن حميد ١٦٦/١ والطّبراني ٩١/١ عن سَيِّدنا سهل ابن سعْد ﷺ .

(١) أخْرَجه البخاري ٧٩٣/٢ ومُسلِم ٢٠٩٩/٤ وأحمد ١١٦/٢ والبَيْهقي ١١٧/٦ وفي الشّعب ٢١٤/٥ وأبو يَعلَى في المُعْجَم /١٣٦ والقُشَيْري /٢٧٩ وأبو عوانة ٤٢٣/٣ عن سَيِّدنا عبد الله بن عُمَر رضي الله عنهما ، والخطيب البغدادي ٢٠٨/٦ عن سَيِّدنا أنس ﷺ ، والطّبراني في الأوسط ٣٣/٥ عن أبي هريرة ﷺ ، والرّوياني ١٩٧/١ عن سَيِّدنا عقبة بن عامر ﷺ ..

ونصّ الحديث كما رواه البخاري عن سَيِّدنا عبد الله بن عُمَر رضي الله عنهما : ﴿ انْطَلَقَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوْا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ فَقَالُوا : إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلاَّ أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ " ..

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : " اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، وَكُنْتُ لاَ أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَلاَ مَالاً ، فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا ، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالاً ، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا .. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ " ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لاَ يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ .

وَقَالَ الآخَرُ : " اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي ، حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ : " لاَ أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلاَّ بِحَقِّهِ " فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا .. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ " ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا .

وَقَالَ الثَّالِثُ : " اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ : " يَا عَبْدَ اللَّهِ .. أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي " فَقُلْتُ لَهُ : " كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ " فَقَالَ : " يَا عَبْدَ اللَّهِ .. لاَ تَسْتَهْزِئْ بِي ! " فَقُلْتُ : " إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِئُ بِكَ " فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا .. اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ " ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ ﴾ .

وقَدْ قيلَ : إنَّ الفُضَيْلَ كانَ عَلَى جَبَلٍ مِنْ جِبَالِ مِنىً فقالَ :" لَوْ أنَّ وَلِيّاً مِنْ أولياءِ اللهِ أَمَرَ هَذَا الجَبَلَ أنْ يَمِيدَ لَمَاد " ، فتَحَرَّكَ الجَبَلُ ، فقالَ :" اسْكُنْ " فسَكَنَ الجَبَلُ (١) .

وعنْ أبي جَعْفَرٍ الأَعْوَرِ (٢) قالَ :" كُنَّا عِنْدَ ذِي النُّونِ فتَذَاكَرْنَا حديثَ طاعةِ الأشياءِ لِلأولياءِ ، فقالَ ذو النُّونِ :" مِنَ الطَّاعةِ أنْ أقولَ لِهَذَا السَّرِيرِ يَدُورُ في أَرْبَعِ زوايَا البَيْتِ ثُمَّ يَرْجِعُ إلَى مكانِهِ فيَفْعَلُ " ..

قالَ :" فَدَارَ السَّرِيرُ في أَرْبَعِ زوايَا البَيْتِ وعادَ إلَى مكانِهِ ، وكانَ هُنَاكَ شابٌّ فأَخَذَ يَبْكِي حتَّى ماتَ في الوَقْتِ " (٣) .

وحكَى أُستَاذُنَا بحقائقِهِ أنَّ مُجَاهِداً سَيَّرَ لأخٍ لهُ عابدٍ يَقُولُ :" لَوْ حَضَرْتَ الجِهادَ لَكَانَ خَيْراً لكَ مِنِ انْقِطَاعِكَ ؟ " ، فسَيَّرَ إلَيْهِ أنْ :" يَا أخِي .. لَوْ كانَ رَجُلٌ أوْ رِجالٌ يَنْقَطِعونَ انْقِطَاعِي وأشارُوا بأيديهِمْ إلَى سُورِ القُسْطَنْطِينِيَّةِ لانْهَدَم " (٤) .

ونَقَلَ أُستَاذُنَا ـ أيضاً ـ أنَّهُ يَكُونُ في زمنِ عيسى قَوْمٌ يُقَالُ لَهُمُ " الإسْحَاقِيُّونَ " قِتَالُهُمْ بـ" لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ " يَأْتُونَ ظَاهِرَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ العُظْمَى يَقولُونَ " لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ " فيَنْهَدِمُ ناحيةُ سُورِهَا ، ثُمَّ يقولُونَ ثانيةً فيَنْهَدِمُ جملةُ سُورِهَا فقالَ : هذا مِنْ صِدْقِهِمْ ، وقُوَّةِ الدِّينِ يُقَوِّي على الجهادِ والجِلاَد (٥) .

---

(١) انظر : الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٨٩ ورَوْض الرَّياحين /٢٥٥

أقول : قدْ ذَكَرَ أبو نُعَيم ٤/٨ وابن كثير في البداية والنِّهاية ١٠/١٤٠ والذَّهبيّ ٧/٢٩٣ هذه الكرامة عن إبراهيم بن أدهم ﷺ .

(٢) من تلامذة ذي النُّون المِصْريّ ﷺ .

(٣) انظر : الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٩٠ ورَوْض الرَّياحين /٢٥٥ وجامع كرامات الأولياء ١/٦٢٤

(٤) الجَوْهَرة المُضيئة /٢٩٢ وانظر عوارف المَعارف /١٠٧

(٥) الجَوْهَرة المُضيئة /٢٩٣

الكَنْزُ التّاسعُ عَشَرَ

نَظَرُ أُسْتَاذِنَا اللَّوْحَ المَحْفُوظَ ومَا يَخُطُّهُ القَلَمُ فيهِ

وهُوَ عَلَى الثَّرَى يَعني الأرضَ ؛ إذِ الثَّرَى هُوَ التُّرَابُ النَّدِيُّ ..

قَدْ قَدَّمْنا شَيئاً مِنْ آثارِ القَوْمِ في الكَشْفِ لهُمْ عنْ رؤيَتِهِ ، فأغْنَانَا ذلكَ عنْ إعادتِهِ ؛ إذْ مِنَ العاداتِ مُعَاداةُ العاداتِ ، وحاصِلُ اطِّلاعِهِمْ علَيْهِ أنَّ الحقَّ سُبْحَانَهُ كَشَفَ لهُمْ عنْ أسْرارِ مَلكوتِهِ ، فعايَنُوا مَا شاءَ الله .

وأمَّا ماهِيَّةُ اللَّوْحِ ومَعْنَى كَوْنِهِ مَحْفُوظاً : فقَدْ تَكَلَّمَ علَى ذلكَ الأئمَّةُ المُفَسِّرونَ في قَوْلِ ربِّ العالَمين ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ * فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظ ﴾ (١) عِنْدَ اللهِ ، حَفِظَهُ مِنْ وصولِ الشَّياطينِ إلَيْهِ ومِنَ التَّحْرِيف (٢) .

وعنْ حَبْرِ الأُمَّةِ عَبْدِ اللهِ بنِ عبّاس رضيَ اللهُ عَنْهُمَا :" اللَّوْحُ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ ، أعْلاهُ مَعْقُودٌ بالْعَرْشِ ، وأسْفَلُهُ في حِجْرِ مَلَكٍ يُقَالُ لَهُ " مَاطريونُ " ، كِتَابُهُ نُورٌ ، وقَلَمُهُ نُورٌ ، يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ ثَلاثَمِائَةً وسِتِّينَ نَظْرَةً لَيْسَ مِنْهَا نَظْرَةٌ إلاَّ وَهُوَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ : يَرْفَعُ وَضِيعاً ، ويَضَعُ رَفِيعاً ، ويُغْنِي فَقِيراً ، ويُفْقِرُ غَنِيّاً ، ويُحْيِي ويُمِيتُ ، ويَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، وطُولُ اللَّوْحِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ ، وعَرْضُهُ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ والْمَغْرِب " (٣) .

وعنْ أنَسٍ ومُجَاهِدٍ (٤) : أنَّهُ في جَبْهَةِ إسْرَافِيل (٥) .

---

(١) سورة البروج الآيتان ٢١ ، ٢٢

(٢) انظر : تَفْسير القُرْطُبيّ ١٩/٢٩٨ وتَفْسير الطّبريّ ٣٠/١٤٠ وتَفْسير البيضاويّ ٥/٤٧٥ وتَفْسير ابن الجَوْزي ٩/٧٩ وتَفْسير ابن كثير ٤/٤٩٨ وتَفْسير أبي السّعود ٩/١٣٩ وتَفْسير الواحديّ ٢/١١٩١ وتَفْسير البغويّ ٤/٤٧٢ وتَفْسير الثّعالبيّ ٤/٤٠١ وتَفْسير الشّوكانيّ ٥/٤١٤

(٣) انظر تَفْسير القرطبيّ ١٩/٢٩٨ وأخْرَجه عبد الرّزّاق والطّبريّ وابن المُنْذر والطّبرانيّ وأبو الشّيْخ في العظمة والحاكم وابن مردويه وأبو نُعَيم والبَيْهَقيّ في الأسماء والصّفات .. انظر الدُّرّ المنثور ٧/٦٩٩

(٤) هو أبو الحَجّاج مجاهد بن جبْر المكّيّ المخزرميّ ﷺ ، وُلِد سَنَة ٢١ هـ ، أخَذ عن سَيِّدنا عبد الله ابن عبّاس وسَيِّدنا عبد الله بن عُمَر وسَيِّدنا أبي هريرة ﷺ ، وأخَذ عنه أيّوب السّختيانيّ والأعمش وعبد الله بن أبي نجيح .

تُوُفِّي ﷺ بمكّة وهو ساجد سَنَة ١٠٣ هـ .

(٥) انظر : تَفْسير الطّبريّ ٣٠/١٤٠ وتفسير القُرْطُبيّ ١٩/٢٩٨ وتفسير ابن كثير ٤/٤٩٨ والدُّرّ =

وعنْ مُقاتِلٍ (١) : أنَّهُ عنْ يَمِينِ العَرْشِ (٢) .

وعنِ ابنِ عبّاس :" أوَّلُ شَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ فِيه :(إنِّي أنَا اللَّهُ لاَ إلَهَ إلاَّ أنَا ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، ومَنِ استَسْلَمَ لِقَضَائِي وَصَبَرَ عَلَى بَلاَئِي وَشَكَرَ نَعْمَائِي كَتَبْتُهُ صِدِّيقاً وَبَعَثْتُهُ مَعَ الصِّدِّيقِينَ ، ومَنْ لَمْ يَسْتَسْلِمْ لِقَضَائِي وَيَصْبِرْ عَلَى بَلاَئِي وَلَمْ يَشْكُرْ نَعْمَائِي فَلْيَتَّخِذْ إلَهاً سِوَايَ) (٣) .

وكَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ الحَنَفِيَّةَ (٤) إلَى الحَجَّاجِ :" بَلَغَنِي أنَّ اللهَ تَعَالَى يَنْظُرُ في كُلِّ

= المنثور ٤٧١/٨ وفتح القدير للشوكانيّ ٤١٧/٥

(١) هو أبو الحَسَن مقاتل بن سليمان بن بِشْر الأزديّ الخراسانيّ ﷺ ، أخَذ عن عطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار ومُحَمَّد بن سيرين ، وأخَذ عنه عبد الرَّزّاق بن همّام وسَعْد بن الصلت وعَلِيّ ابن الجعد .

قال عنه الإمام الشّافعيّ : النّاس عيال على مُقاتل بن سليمان في التّفسير .

رُوِي أنّ أبا جَعْفَر المَنْصُور ألَحّ عليه ذباب ، فطلب مقاتلَ بنَ سليمان فسأله :" لِمَ خَلَق الله تعالى الذُّباب ؟ " قال : لِيُذِلّ به الجبّارين .

تُوُفِّي ﷺ بالبَصْرَة سَنَة ١٥٠ هـ .

(٢) انظر : تَفْسير القُرْطُبِيّ ٢٩٨/١٩ وتَفْسير ابن الجَوْزِيّ ٦٩/٨ وتَفْسير ابن كثير ٤٩٨/٤ وتَفْسير البغويّ ٤٧٢/٤ وتَفْسير الألوسيّ ٩٤/٣٠ وتَفْسير النّسفيّ ٣٣٠/٤ وتَفْسير الشّوكانيّ ٤١٤/٥

(٣) ذكَره القُرْطُبِيّ في التّفْسير ٢٩٨/١٩ وأخْرَجه الطّبرانيّ ٣٢٠/٢٢ والدَّيْلَمِيّ ٦٩/٣ وابن عبد البرّ في الاستيعاب ١٨٧/١ عن سَيِّدنا أبي هند الدّاريّ ﷺ ، والبَيْهَقِيّ في الشّعَب ٢١٨/١ عن سَيِّدنا أنَس ابن مالك ﷺ .

قال في " كنز العمّال " (٨٦٥٩) : أخْرَجه ابن النّجّار مرفوعاً عن سَيِّدنا عليّ ﷺ .

ورواه الغزاليّ في الإحياء ٣٤٥/٤ ، وقال الحافظ العراقيّ : وأخْرَجه ابن حبّان في الضّعفاء من حديث أبي هند الدّاري .. تخريج أحاديث الإحياء هامش ٣٤٥/٤

(٤) هو أبو القاسم مُحَمَّد بن الحنفيّة ﷺ ، أبوه الإمام عَلي بن أبي طالب كَرَّم الله وجْهَه ، وأُمّه السَّيِّدة خولة بنت جعفر بن قيس الحنفيّة ، وُلِد بالمدينة سَنَة ٢١ هـ ، أخَذ عن أبيه وعن سَيِّدنا عُمَر وسَيِّدنا عثمان وسَيِّدنا أبي هريرة ﷺ ، وأخَذ عنه عَمْرُو بن دينار ومُنْذِر الثَّوْريّ وعبد الله بن مُحَمَّد بن عقيل .

روى التِّرْمِذِيّ وأحمد وأبو داود عن سَيِّدنا عَلِيّ قال :" يَا رَسُولَ اللَّهِ .. أرَأيْتَ إنْ وُلِدَ لِي بَعْدَكَ أسَمِّيهِ مُحَمَّدًا وأُكَنِّيهِ بِكُنْيَتِك ؟ " قَالَ ﷺ ﴿ نَعَم ﴾ ، فَكَانَتْ رُخْصَةً لِي .

ومن ناقلة القول أنْ نَذْكُر أنّ الإمام مُحَمَّد بن الحنفيّة ﷺ هو جدّ الإمام الشّعرانيّ ﷺ . =

يَوْمٍ ثلاثمائةٌ وستِّينَ نَظْرَةً في اللَّوْحِ المَحْفُوظِ : يُعِزُّ ويُذِلُّ ، ويَبْتَلِي ويُعافِي ، ويَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، فلَعَلَّ نَظْرَةً تَبْتَلِيكَ بنَفْسِكَ فتَشْتَغِلَ بِهَا ولاَ تَتَفَرَّغَ " (١) .

وقالَ بَعْضُهُمْ : في اللَّوْحِ شَيْءٌ يَلُوحُ لِلملائكةِ فيَقْرَأُونَهُ ، ومِنْهُ قِراءةُ " لُوح " بضَمِّ اللاّمِ أيْ أنَّهُ يَلُوح (٢) .

وقالَ الزَّمَخْشَرِيُّ (٣) :" اللَّوْحُ هُوَ الهَوَى (يَعْنِي مَا فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ)

- من أقواله ﷺ :

- مَن كَرُمَتْ عليْه نَفْسه لم يكنْ لِلدُّنْيَا عنده قَدْر .

- إنّ الله عَزّ وجَلّ جَعَل الجَنّةَ ثَمَناً لأنفُسكم ، فلا تبيعوها بغيْرِها .

- كُلّ ما لا يُبْتَغَى به وجْه الله يَضْمَحِلّ .

- ليس بحكيم مَن لم يعاشِر بالمعروف مَن لمْ يَجِدْ من معاشَرته بُدّاً حتّى يَجْعَل الله له مَخْرَجا .

- مَن حَلُم وقَى عِرْضَه ، ومَن جادت كَفّه حَسُن ثناؤه ، ومَن أصْلَح ماله اسْتَغْنَى ، ومَن احتَمَل المكروه كَثُرَتْ مَحاسِنه ، ومَن صَبَر حُمِد أمْره ، ومَن كَظَم غيْظَه فشا إحسانه ، ومَن عفا عن الذّنوب كَثُرَتْ أياديه ، ومَن اتّقَى اللهَ كفاه ما أهَمّه .

- مَن أحَبّ رَجُلاً لله لِعَدْلٍ ظَهَر منْه وهو في عِلْم الله من أهْل النّار آجَره الله على حُبّه إيّاه كما لو كان أحَبّ رَجُلاً من أهْل الجَنّة ، ومَن أبْغَض رَجُلاً لله لِجَوْرٍ ظَهَر منْه وهو في عِلْم الله من أهْل الجَنّة آجَره الله على بُغْضه إيّاه كما لو كان أبْغَض رَجُلاً من أهْل النّار .

- ما دَخَل قَلْب امرئ شيء من الكِبْر إلا نقص من عَقْله مِثْل ما دَخَله من ذلك قَلّ ذلك أو كَثُر .

- إيّاك والكسل والضّجَر ؛ فإنّهما مفتاح كُلّ شرّ : إنّكَ إنْ كسلْتَ لم تُؤَدِّ حقّاً ، وإنْ ضجرْتَ لم تَصْبِرْ على حقّ .

تُوُفِّي ﷺ بالمدينة سَنَة ٨١ هـ ، ودُفِن بالبقيع .

(١) انظر : حِلْيَة الأوْلِياء ١٧٦/٣ وطبقات ابن سَعْد ١١٠/٥ والمُنْتَظِم ٢٣٠/٦ وصفة الصّفْوَة ٧٨/٢ والبداية والنّهاية ٣٩/٩ وسِيَر أعلام النُّبَلاء ١٢٠/٤ وطبقات الشّعرانيّ /٥٤ ونور الأبصار /١٦٥

(٢) انظر : تَفْسير القُرْطُبِيّ ٢٩٩/١٩ وتَفْسير النّسفيّ ٣٣٠/٤

(٣) هو جار الله أبو القاسم محمود بن عُمَر بن مُحَمّد بن عُمَر الزّمخشريّ الخوارزميّ المُعْتَزِليّ ، وُلِد بزَمَخْشَر من أعمال خوارزم سَنَة ٤٦٧ هـ ، أخَذ عن أبي مضر منصور النّحويّ وعبد الله ابن طلحة اليابريّ وأبي الخطّاب بن البطر ، وأخَذ عنه أبو الفَتْح النّحويّ وأبو بكْر بن سعدون القُرْطُبِيّ وأبو طاهر السّلفيّ .

كان مُفَسِّراً فقيهاً أديباً لغويّاً ، جَمَع بَيْن الكثير من العلوم والمَعارف ، لكنّه ـ سامَحه الله ـ كان يُصَرِّح بكوْنه مُعْتَزِليّ العقيدة .

الذي فيهِ اللَّوْح " .

- مِن لطيف شِعْره قوله :

أقول لِظَبْيٍ مَرّ بي وهو راتِعُ أأنت أخو ليلى ؟ فقال : يقال
فقُلْتُ : وفي حُكْم الصَّبابة والهوى يقال أخو ليلى ؟ فقال : يقال
فقُلْتُ : وفي ظلّ الأراكة والحمى يقال ويُسْتَسْقَى ؟ فقال : يقال

مِن مؤلّفاته : الكشّاف في تَفْسير القرآن ، الفائق في غريب الحديث ، أساس البلاغة ، ربيع الأبرار .

تُوُفّي رحمه الله بجرجانيّة خوارزم سَنَة ٥٣٨ هـ .

الكَنْزُ العِشْرُونَ

مَا بَلَغَهُ الأُسْتَاذُ مِن مُجَاوَزَةِ سِدْرَةِ المُنْتَهَى

إنْ قُلْتَ : سِدْرَةُ المُنْتَهَى لاَ يُجَاوِزُها أحدٌ مِنَ الخلائقِ إلاَّ سَيِّدُ الخلائقِ النَّبِيُّ المُكَرَّمُ ﷺ ..

ولِهذا قيلَ : **إنَّ لهُ مَقامَيْنِ يَغبِطُهُما كُلُّ الخلائقِ :**

أحدُهما : في الدُّنْيَا لَيْلَةَ المِعْرَاجِ لَمَّا جَاوَزَ السِّدْرَةَ ، فتَأَخَّرَ جبْرِيلُ عليه السلام فقالَ النَّبِيُّ ﷺ ﴿ هَهُنَا تُفَارِقُنِي ﴾ فقال :" مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَقَدَّمَ عَنْ مَكَانِي " ، فنزَلَ عليه السلام عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُوم * وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ المُسَبِّحُون ﴾ (١) .

والمَقامُ الثَّاني : في الآخرةِ ، وهُوَ المَقَامُ المَحْمُودُ .

فالجَوابُ : أنَّ نَبِيَّنَا ﷺ كانَ لهُ كمالُ العبوديَّةِ ، فكانَ لهُ كمالُ الإسراءِ ؛ أُسْرِيَ برُوحِهِ وجَسَدِهِ وظاهِرِهِ وباطِنِهِ ، والأولياءُ لهُمْ قِسْطٌ مِنَ العبوديَّةِ ؛ فلَهُمْ قِسْطٌ مِنَ الإسراءِ بأَرْوَاحِهِمْ لاَ بأشباحِهِمْ ، وإلَيْهِ الإشارةُ بما قَدَّمْنَاه ..

ومِنْهُ قَوْلُ أستاذِنا :

وإنَّا وإنْ كُنَّا عَلَى عالَمِ الثَّرَى فأَرْوَاحُنَا في عالَمِ الغَيْبِ تَسْتَعْلِي

وقَولُهُ فيما مَرَّ أيضاً :" مِنهُمْ مَنْ عادَتْ أَرْوَاحُهُمْ رُوحانيَّةً لطيفةً نُورانيَّةً خفيفةً جوَّالَةً ؛ تَجُولُ في المَلَكُوتِ ، وتُشَاهِدُ الحَيَّ الذي لاَ يَمُوتُ ، والحُبُّ لهَا في جميعِ الأشياءِ قوتٌ ، وهيَ تَنْظُرُ عجائبَ غَرائبِ ما يَكونُ مِنَ الأمْرِ المَكْنُون " (٢) .

فإنْ قُلْتَ : قَدْ مَرَّتِ الإشارةُ إلى أنَّ مِنَ الأولياءِ مَنْ نَظَرَ في اللَّوْحِ المَحْفُوظِ وأنَّ أعْلاَهُ مَعْقُودٌ بالعَرْشِ ، وقَدْ رُوِيَ عنْ رسُولِ اللهِ ﷺ أنَّ سِدْرَةَ المُنْتَهَى في السَّمَاءِ السَّابِعَةِ (٣) ، وسُمِّيَتْ بذلكَ لأنَّ عِلْمَ الخلائقِ يَنْتَهي إلَيْهَا ، فلاَ يَعْلَمُ أحدٌ مَا

(١) سورة الصافات الآيات ١٦٤ - ١٦٦

(٢) الجَوْهَرة المُضيئة /٣١٩

(٣) أخرَج الإمام أحمد عن سيِّدنا أنَس رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال ﴿ رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ المُنْتَهَى فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، نَبْقُهَا مِثْلُ قِلاَلِ هَجَرَ ، وَوَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيَلَةِ ، يَخْرُجُ مِنْ سَاقِهَا نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ وَنَهْرَانِ -

وراءَهَا (١) ، ويَلْزَمُ مِنْ رؤيةِ اللَّوْحِ المَحْفُوظِ العِلْمُ بما وَراءَها ؛ إذْ هُوَ أعلَى مِنْهَا ؟!

قُلْتُ : يُحْتَمَلُ ـ واللهُ أعلَمُ ـ أنَّ أعاليَها يُسَامِتُ أسْفَلَ اللَّوْحِ ، وأنَّ نَظَرَ الوَلِيِّ إلى مَا في اللَّوْحِ نهايتُهُ إلى هَذَا الأسْفَلِ لِلسِّدْرَةِ ، فلاَ يُجَاوِزُهَا مُنْتَهَى نَظَرِ الوَلِيِّ

ـ بَاطِنَانِ ، فَقُلْتُ : " يَا جِبْرِيلُ .. مَا هَذَانِ " قَالَ : أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَفِي الْجَنَّةِ ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ ﴾ .. مُسْنَد الإمام أحمد ١٦٤/٣ وأخْرَجه الطَّبريّ في التَّفْسير ٥٥/٢٧ والحاكم ١٥٤/١

وقال القُرْطُبِيّ : أخْرَجه الدَّارقطنيّ عن سَيِّدنا أنَس ﷺ .. انظر تَفْسير القُرْطُبِيّ ٤٣/١٣

(١) هو قول لِسَيِّدنا كعْب ﷺ .. انظر : تَفْسير الطَّبريّ ٥٢/٢٧ وتَفْسير القُرْطُبِيّ ٩٥/١٧

قُلْتُ : هذا القول ليس هو القول الوحيد في سَبَب تسمية السِّدْرَة بذلك ؛ فإنّ الإمام القُرْطُبِيّ ذكَره ضِمْن تسعة أقوال لِسبب تسميتها بـ" سِدْرَة المُنْتَهَى " ، بل إنّ سَيِّدنا كعباً ﷺ له قَوْل آخَر في سَبَب تسْميتها ، وهو : أنّها سُمِّيَت بذلك لانتهاء الملائكة والأنبياء إليها ووقوفهم عندها ..

يقول القُرْطُبِيّ : واخْتُلِف لِمَ سُمِّيَت سِدْرَة المُنْتَهَى على أقوال تسعة :

الأول : ما تَقَدَّم عن ابن مسعود أنه يَنْتَهِي إليها كُلّ ما يَهْبِط من فَوْقها ويَصْعَد من تَحْتها .

الثَّاني : أنّه يَنْتَهِي عِلْم الأنبياء ويَغْرُب عِلْمهم عمّا وراءها .. قاله ابن عبّاس .

الثَّالث : أنّ الأعمال تَنْتَهِي وتُقْبَض منْها .. قاله الضَّحّاك .

الرَّابع : لانتهاء الملائكة والأنبياء إليها ووقوفهم عندها .. قاله كعب .

الخامس : سُمِّيَت " سِدْرَة المُنْتَهَى " لأنّها يَنْتَهِي إليها أرواح الشُّهداء .. قاله الرَّبيع بن أنَس .

السَّادس : لأنّه تَنْتَهِي إليها أرواح المُؤْمِنين .. قاله قتادة .

السَّابع : لأنّه يَنْتَهِي إليها كُلّ مَن كان على سُنَّة مُحَمَّد ﷺ ومنهاجه .. قاله عَلِيّ ﷺ والرَّبيع بن أنَس أيضا .

الثَّامن : هي شجرة على رءوس حَمَلَة العرش إليها يَنْتَهِي عِلْم الخلائق .. قاله كعب أيضا ..

قُلْتُ (أي القُرْطُبِيّ) : يريد ـ والله أعلَمَ ـ أنّ ارتفاعها وأعالي أغصانها قد جاوزَت رءوس حَمَلَة العرش ، ودليله ما تَقَدَّم من أنّ أصلها في السَّمَاء السَّادسة وأعلاها في السَّمَاء السَّابعة ثُمّ عَلَتْ فَوْق ذلك حتّى جاوزَتْ رءوس حَمَلَة العَرْش ، والله أعلَم .

التَّاسع : سُمِّيَت بذلك لأنّ مَن رُفِع إليها فقد انْتَهَى في الكرامة .

تَفْسير القُرْطُبِيّ ٩٥/١٧

أقول : فإذا كان في سبب التَّسْمِيَة تسعة أقوال ـ بل وأكْثَر من ذلك بكثير ـ فإنّ الأخذ بأحد هذه الأقوال دون غيْره تَحَكُّم لا دليل عليه ؛ لِتَعدُّد الاحتمالات والآراء ، وليس أحدها بأوْلى من الآخَر ، والقاعدة أنّ الدَّليل إذا تَطَرَّق إليه الاحتمال سَقَط به الاستدلال .

في اللَّوْحِ فلاَ يُجاوِزُها ، وحينئذٍ يَصْدُقُ قَوْلُهُمْ أنَّ أحداً لاَ يَعْلَمُ ما وَراءَها .

جوابٌ ثانٍ : الظَّاهِرُ تَخْصِيصُ قَوْلِهِمْ :" إلَيْهَا يَنْتَهِي عِلْمُ الْخَلاَئِقِ " بالعِلْمِ النَّاشِئِ عنِ السَّيْرِ بالأشْبَاحِ ، وخواصُّ أوليائِهِ سَيْرُهُمْ بالأرْوَاحِ ، وسَيَأتِي كلامُهُمْ - إنْ شاءَ اللهُ تَعَالَى - في سَفَرِ الرُّوحِ .

وبالجُمْلَةِ .. فالقَوْمُ لَمَّا نَزَلُوا إلَى أرْضِ العُبُودِيَّةِ رَفَعَهُمْ إلَى سماءِ الخصوصيَّةِ ، ولَمَّا وُلِدُوا مَرَّتَيْنِ ولَجُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ(١) ، فالإيلادُ الأوَّلُ مَعْرُوفٌ ، والثَّاني إيلادُ الرُّوحِ في سَمَاءِ المَعَارِفِ .

---

(١) إشارةٌ إلى قولِ سيِّدنا عيسى عليه السلام : لَنْ تَلِجُوا مَلَكُوتَ السَّمَاءِ حَتَّى تُولَدُوا مَرَّتَيْنِ .

وإذْ قدِ انْفَتَحَتْ بَصيرتُكَ وانجلَتْ مِرآتُكَ واعْتَقَدتْ سَريرَتُكَ بفَتْحِ أبوابِ كنوزِ هذا المَطْلَبِ المنيفِ لِلْوَلِيِّ الشَّريفِ ـ لاَ زالَتْ رُوحُهُ راقِيةً في مَنَازِلِ التَّكْريمِ والتَّشْريفِ ـ فلْنَذْكُر نُبْذاً مِنَ التَّعْريفِ بهِ ، وإنْ كانَ بَحْراً لاَ سَاحِلَ لهُ ..

فَنَقُولُ واللهُ المأمولُ :

لَمَّا تَمَّ لِلأُسْتَاذِ بخَلْوَتِهِ مِنَ السِّنِّ ثلاثٌ وعِشْرُونَ سَنَةً تُوُفِّيَ والِدُهُ ، فخَرَجَ مِنَ الخلْوَةِ وصلَّى عَلَيْهِ ، ثُمَّ أرادَ أنْ يَدْخُلَهَا فحَلَفَ عَلَيْهِ بَعْضُ الفُقَرَاءِ ألاَّ يَدْخُلَهَا فجَلَسَ تِجَاهَهَا ، فقَطَعَ النَّاسُ أسْبَابَهُمْ واشْتَغَلُوا بالنَّظَرِ إلَيْهِ ، وكَيْفَ لاَ وهُوَ مُفْلِحٌ وَمَنْ لاَ يَقَعُ عَلَيْهِ نَظَرُ مُفْلِحٍ لاَ يُفْلِحُ (١) ! فأرْخَى لَهُ بُرْقُعاً عَلَى وَجْهِهِ ..

ومِنْ ثَمَّ قالُوا : الوَلِيُّ إذَا أرادَ أغْنَى (٢) .

وقالَ بَعْضُ الأولياءِ :" واللهِ مَا بَيْنِي وبَيْنَ الرَّجُلِ إلاَّ أنْ أنْظُرَ إلَيْهِ نَظْرَةً وقَدْ أغْنَيْتُه " (٣) .

وقدْ بَدَا لأُسْتَاذِنَا كراماتٌ وبَرَاهِينُ خارِقاتٌ ، وصَنَّفَ في التَّصَوُّفِ والفِقْهِ (٤) واسْتَدَلَّ بأمورٍ قَطْعِيَّةٍ ، وأبْدَى أحْوالَ المُتَقَدِّمِينَ والمُتَأخِّرِينَ ، ووَصَفَ أماكِنَ بَعيدةً جِدّاً حتَّى كأنَّهُ شاهَدَهَا عنْ يَقين .

وقدْ قالَ :" إنِّي أشْرَحُ في نُقْطَةِ البَاءِ سَبْعَةَ أحمالِ بَعِيرٍ ، فتَتَقَطَّعُ قلوبُ العارِفِينَ وتَهْتَزُّ وتَمِيلُ عِنْدَ مَعْرِفَةِ نُقْطَةِ الباءِ ..

يَا أولادِي .. الفُقَرَاءُ لَهُمْ طَرَائِقُ عَدَدَ أنْفَاسِ الخَلاَئِقِ ، فكُلٌّ مِنْهُمْ تَكَلَّمَ عَلَى

(١) أقول : قال سَيِّدي أبو الحَسَن الشّاذليّ ﷺ : إذا كانت السّحفاة تُرَبِّي أولادها بالنّظر فنَحن أوْلَى بذلك .. انظر : لَطائف المِنَن لِلشّعْرانيّ /٤٨٦ والمَفاخر العَلِيّة /١٣١

وقال السُّهْرَوَرْدِيّ ﷺ : وماذا يُنْكِر المُنْكِر من قدرة الله ؟! إنّ الله سبحانه وتعالى كَمَا جَعَل في بعض الأفاعي من الخاصِّيّة أنّه إذا نَظَر إلى إنسان يُهْلِكه بنظره جَعَل في نظر بعض خواصّ عِبَاده أنّه إذا نَظَر إلى طالِب صادِق يُكْسِبه حالاً وحياةً ، وقدْ كان شَيْخنا ـ رَحِمه الله ـ يَطُوف في مسجد الخيف بمنى ويَتَصَفَّح وجوه النّاس ، فقيل له في ذلك فقال : لله عباد إذا نَظَروا إلى شَخْص أكْسَبوه سعادةً ، فأنا أتَطَلَّب ذلك .. عوارف المَعارف /١١٤

(٢) القائل هو سَيِّدي أبو العبّاس المُرْسيّ ﷺ .. انظر لطائف المِنَن /٦٦

(٣) القائل هو سَيِّدي أبو العبّاس المُرْسيّ ﷺ .. انظر لطائف المِنَن /٦٦

(٤) انظر كلامنا على التُّرَاث العِلْميّ لِسَيِّدي إبراهيم ﷺ في مُقَدِّمة هذا الكتاب من /٧ - ١٤

قَدْرِ دَرَجَتِهِ ؛ أَنَا البَحْرُ الَّذِي لاَ سَاحِلَ لهُ ، أَنَا نَارُ اللهِ المُوقَدَةُ ، أَنَا جَنَّتُهُ المُخَلَّدَةُ أَنَا سِهامُ اللهِ في أَرْضِهِ ، أَنَا بِي يَسْتَغِيثُ النَّاسُ فيُغَاثُونَ ، أَنَا عَدْلُ اللهِ في أَرْضِهِ ، أَنَا المُنْتَقِمُ للهِ ، أَنَا الحِجَابُ الأَعْظَمُ ، أَنَا صاحِبُ الاطِّلاعِ عَلَى مَا يَحْدُثُ في الكَوْنِ بإِذْنِ اللهِ ، أَنَا وقَّادُ الحَرْبِ ، أَنَا سَيْفُ اللهِ عَلَى أعدائِهِ ، أَنَا الشِّهابُ الثَّاقِبُ السَّاطِعُ ، أَنَا السَّيْفُ القاطِعُ ، أَنَا البَرْقُ اللاَّمِعُ ، أَنَا الدِّرْعُ المَانِعُ أَنَا القُطْبُ الفَرْدُ الغَوْثُ الجَامِعُ ، أَنَا صاعُ يُوسُفَ في حَضْرَةِ المَلِكِ ، لَوْلاَ حِجابُ الشَّرِيعةِ عَلَى فَمِي لَتَكَلَّمَ الصَّاعُ بِمَا فيه " .

وقالَ ﷺ :" حُكِّمْتُ في مَشَارِقِ الأَرْضِ ومَغَارِبِهَا ، وتَصَرَّفْتُ في الكَوْنِ بإِذْنِ اللهِ ، وأُعْطِيتُ رايَةَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ ، وخُضْتُ البِحَارَ ، ودَقَّتْ كاساتِي في الأَقطارِ ، وصِرْتُ إِمامَ قَوْمٍ أخيارٍ ، فكُلُّ ذلكَ مِنَ العَزِيزِ الجبَّار ..

فيَا جَمِيعَ الإِخوانِ .. مَنْ جَدَّ وَجَدَ ، ومَنْ حَصَلَتْ لهُ العِنايَاتُ الرَّبَّانِيَّةُ أَغْنَاهُ اللهُ مِنَ فَضْلِهِ الجَزِيل " .

إِنْ قُلْتَ : هَذِهِ الأُمورُ التي صَدرَتْ مِنَ الشَّيْخِ دَعَاوَى ، ولاَ يَخْفَى مَا وَرَدَ في كَلامِ القَوْمِ مِنْ ذَمِّهَا وإِنْ كانَتْ صادِقَةً ، وقَدْ تَضَمَّنَ ذَمُّهَا نَهْيُ الشَّيْخِ في رِسالَتِهِ عَنْ أُمورٍ مِنْهَا القَوْلُ بالمُشَاهَدَاتِ ؛ قالَ :" فإِنَّ كُلَّ هَذَا نُفُوسٌ وشَهَوات " (١) ؟!

قُلْتُ : كلامُ القَوْمِ وأُسْتَاذِنَا في ذلكَ إِنَّمَا هُوَ في حَقِّ المُرِيدِ عَلَى سَبِيلِ التَّرْبِيَةِ لهُ ، فأَشارُوا إِلَى أَنَّهُ لاَ يَتَفَوَّهُ بِمَا يُشاهِدُهُ ، وأَمَّا العارِفُ فلاَ مَلاَمَ عَلَيْهِ بِمَا يُبْدِيهِ الحَقُّ عَلَى لِسانِهِ مِنَ المَعَارِفِ ؛ إِذْ قَدْ عَرَفَ الحقَّ سُبْحَانَهُ بأَسمائِهِ وصِفاتِهِ ، ثُمَّ صَدَقَ اللهَ في مُعامَلاتِهِ ، ثُمَّ تَنَقَّى مِنْ أَخلاقِهِ الرَّدِيَّةِ ، فحَظِيَ مِنَ اللهِ بجَمِيلِ إِقبالِهِ ، وصَدَقَ اللهَ في جَمِيعِ أَقوالِهِ ، وانْقَطَعَ عَنْهُ هُوَ حُبُّ نَفْسِهِ ، ولَمْ يُصْغِ

(١) قال سيّدي إبراهيم ﷺ : إيّاكم والدّعوات الكاذبة ؛ فإنّها تُسَوِّد الوجه وتُعْمِي البصيرة ، وإيّاكم ومؤاخاة النّساء وإطلاق البصر في رؤيتهنّ والقول بالمشاهدة والمشي مع الأحداث في الطّرقات ؛ فإنّ هذا كلّه نفوس وشهوات ، ومَن أحْدَث في طريق القوم ما ليس فيها فليس هو منّا ولا فينا ؛ قال الله تعالى ﴿ وَمَا ءَاتَىٰكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ ..

الجَوْهَرة المُضِيَّة /٢٧٣ وانظر طبقات الشّعرانيّ /٢٨٣

بقَلْبِهِ إلَى خاطِرٍ يَدْعُوهُ إلَى غَيْرِهِ ، فصارَ مِنَ الخَلْقِ أجْنَبِيّاً ، ومِنْ آفَاتِ النَّفْسِ بَرِيّاً ، ومِنَ المُسَاكَنَاتِ والمُلاَحَظَاتِ نَقِيّاً ، ودامَ في السِّرِّ مَعَ اللهِ نَجِيّاً ، وحقَّ في كُلِّ لَحْظَةٍ إلَيْهِ رُجُوعُهُ ، وصارَ مُحَدَّثاً مِنْ قِبَلِ الحقِّ بتعريفِ أسرارِهِ فيمَا يُجْرِيهِ مِنْ تصاريفِ أقْدارِهِ ، فيُسَمَّى عِنْدَ ذلكَ " عارِفاً " ، وتُسَمَّى حالتُهُ " مَعْرِفَةً " ، وحينئذٍ يكونُ إخبارُهُ - أعْنِي العارِفَ - بِمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ الجِسَامِ وأنَّهُ قدْ بَلَغَ مِنَ الوُصُولِ إلَى اللهِ تَعَالَى لأفْضَلِ مَرَامٍ مِنْ بابِ التَّحَدُّثِ بالنِّعْمَةِ ..

وقَدْ أمَرَ سُبحانَهُ بذلكَ نبيَّهُ عليْهِ أفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ بقَوْلِهِ ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾ (١) ، قالَ المُفَسِّرونَ : الخِطابُ لهُ ، والحُكْمُ لهُ ولِغَيْرِهِ عامٌّ ، والتَّحَدُّثُ بنِعَمِ اللهِ والاعْتِرافِ بهَا عَلَى وَجْهِ الخُضُوعِ شُكْرٌ عَلَى الحقيقة ..

كَمَا قالَ أهْلُ الطَّرِيقةِ : **العُبُودِيَّةُ** : التَّبَرِّي مِنَ الحَوْلِ والمِنَّةِ ، والاعتِرافُ بِمَا يُعْطِيكَ ويُولِيكَ مِنْ الطَّوْلِ والمِنَّةِ .

ويُؤْثَرُ عنِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيّ :" إذَا أصَبْتَ خَيْراً أوْ عَمِلْتَ خَيْراً فَحَدِّثْ بِهِ الثِّقَةَ مِنْ إخْوَانِك " .

وعنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ (٢) كانَ إذَا لَقِيَ الرَّجُلُ مِنْ إخوانِهِ مَنْ يَثِقُ بِهِ يقولُ :

---

(١) سورة الضُحَى الآية ١١

(٢) هو أبو عبد الله عمرو بن مَيْمُون الأزديّ ﷺ ، أخَذ ﷺ عن سَيِّدنا عُمَر وسَيِّدِنا عَلِيّ وسَيِّدنا معاذ ﷺ ، وأخَذ عنه الشَعبيّ وسعيد بن جبير ومصين بن عبد الرحمن .

عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه قال : كان عمرو بن ميمون إذا رئي ذُكِر الله ..

انظر : طبقات ابن سَعْد ١١٧/٦ وصفة الصَفْوَة ٣٥/٣ وسِيَر أعلام النُبَلاء ١٦٠/٤

من أقواله ﷺ :

- ما يَسُرّني أنّ أمْري يوْم القيامة إلى أبوَيّ .
- المساجد بيوت الله ، وحقٌ على المزور أنْ يُكْرِم زائرَه .
- لَمّا تَعَجّل موسى عليه السلام إلى ربّه رأى رَجُلاً في ظِلّ العَرْش فغبطه بمكانه وقال :" إنّ هَذَا لَكَرِيمٌ عَلَى رَبِّهِ عَزّ وَجَلّ " فسأل ربّه أنْ يُخبره باسمه ، فأخْبَرَه فقال (لَكِنْ سَأُنَبِّئُكَ عَنْ عَمَلِهِ ؛ كَانَ لاَ يَحْسُدُ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَلاَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ، وَلاَ يَعُقُّ وَالِدَيْه) .

تُوُفِّي ﷺ سَنَة ٧٤ هـ .

" رَزَقَنِي اللهُ مِنَ الصَّلاَةِ البَارِحَةَ كَذَا وكَذَا " " (١) .

وكانَ أبُو فِرَاسٍ (٢) إذَا أَصبَحَ يقولُ :" لقدْ رَزَقَنِي اللهُ البارِحةَ كَذَا ، وصَلَّيْتُ كَذَا ، وذَكَرْتُ كَذَا ، وفَعَلْتُ كَذَا " ، ويُقَالُ لهُ :" يَا أَبَا فِرَاسٍ .. إنَّ مِثْلَكَ لاَ يَقولُ هَذَا ؟! قالَ :" يَقُولُ اللهُ تَعَالَى ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (٣) وتَقُولُونَ أَنْتُمْ : لاَ تُحَدِّثْ بنِعْمَةِ الله ؟! " (٤) .

ونَحْوُهُ عنْ أَيُّوبِ السَّختِيانيِّ (٥) وأبي رَجَاءٍ العطارِديِّ (٦) .

(١) انظر سيَر أعلام النُّبَلاء ١٥٨/٤

(٢) هو أبو فراس عبد الله بن غالب الحدانيّ البَصْرِيّ ﷺ ، أَخَذ عن سَيِّدنا عبد الله بن مسعود وسَيِّدنا أبي سعيد الخدريّ وسَيِّدنا حذيفة ﷺ ، وأَخَذ عنه مالك بن دينار وعطاء السّليميّ البَصْرِيّ وزيْد بن وهْب

قُتِل ﷺ سَنَة ٨٣ هـ يَوْم الزّاوية على يد الحَجّاج ، وكان يُشَمّ مِن قبْره ريح المسك .

(٣) سورة الضُّحَى الآية ١١

(٤) انظر : حِلْيَة الأَوْلِياء ٢٥٧/٢ ولطائف المِنَن /١٣٣

(٥) هو أبو بكْر أيُّوب بن أبي تميمة كيسان السّختيانيّ ﷺ ، وُلِد سَنَة ٦٨ هـ ، أَخَذ عن أَنَس بن مالك وعمرو بن سلمة وأبي رجاء العطارديّ ، وأَخَذ عنه حمّاد بن زيْد وأيوب بن موسى وسفيان الثَّوْرِيّ .

روى صاحِب " العقد الفريد " أنّ الإمام أبا حنيفة ﷺ ذَكَر أيوب السّختيانيّ ﷺ فقال : رحمه الله تعالى [ثلاثاً] .. لقد قَدِم المدينة مَرّةً وأنا بها ، فقُلْتُ :" لأَقْعُدَنّ إلَيْه لَعَلِّي أَتَعَلَّق منْه بسقطة " ، فقام بيْن يدَي القبر مقاماً ما ذَكَرْتُه إلا اقْشَعَرّ جِلْدي .

سُئِل ﷺ عنْ شيء فقال :" لمْ يَبْلُغْني فيه شيء " فقال السّائل :" قُلْ فيه برأيك " فقال : لمْ يَبْلُغْه رأيي ..

مِن أقواله ﷺ :

- إنّي لأَتْرُك لِبْس الثّوْب الجديد خَشْيَةَ أنْ يُحْدِث في جيراني حسدا .
- إنّ من أصحابي مَن أرتَجِي بَرَكة دعائه ولا أقْبَل حديثَه .
- إذا لم يَكُنْ ما تريد فأَرِدْ ما يكون .
- **لا يَسُود العبد حتّى يكون فيه خصلتان** : اليأس ممّا في أيدي النّاس ، والتّغافُل عَمّا يكون منْهم .
- أَدْرَكْتُ الشّيْخ ابن ثمانين سَنَةً يَتْبَع الغلامَ يَتَعَلَّم منْه .
- واللهِ ما صَدَقَ اللهَ عبْدٌ إلا أَحَبَّ أنْ لا يُشْعَر بمكانه .

تُوُفِّي ﷺ في الطّاعون بالبَصْرَة سَنَة ١٣١ هـ .

(٦) هو أبو رجاء عمران بن ملحان التّميميّ العطارديّ ﷺ ، أَخَذ عن سَيِّدنا عثمان وسَيِّدنا عَلِيّ =

وعنِ الشَّاذُلِيِّ :" واللهِ مَا وَلَّى اللهُ وليّاً إلاَّ وَضَعَ حُبَّهُ في قَلْبِي قَبْلَ أنْ يُوَلِّيَهُ ولاَ رَفَضَ عَبْداً إلاَّ وأَلْقَى بُغْضَهُ في قَلْبِي قَبْلَ أنْ يَرْفُضَه " .

وقالَ عِنْدَ مَوْتِهِ : " واللهِ لقَدْ جِئْتُ في هَذِهِ الطَّرِيقةِ بِمَا لَمْ يأتِ بِهِ أحد " (١) .

وعَنِ المُرْسِيِّ :" أنَا القُطْبُ ، أمَّا الذينَ يُقابِلونَ بطْنِي مِنْ تِلْكَ الدائرةِ مِنَ الرِّجالِ التي قَعَدْتُ بوَسَطِهَا فلَهُمُ المَدَدُ مِنْ باطِنِ حَقِيقَتِي ، والذينَ يُقَابِلُونَ ظَهْرِي فلَهُمُ المَدَدُ مِنْ ظاهِرِ عِلْمِي ، والذينَ يُقابِلُونَ جَنْبَيَّ فلَهُمُ المَدَدُ مِنَ العلومِ التي بَيْنَ جَنْبَيّ " (٢) .

وآثارُ الأَوْلِياءِ المَشْهُورِينَ في هَذَا شَهِيرة (٣) .

وفي كلامِ شَيْخِنَا مَا يَدُلُّ عَلَى الإذْنِ لهُ فيمَا أَبْدَاهُ : كقَوْلِهِ في تائِيَّةٍ لهُ :

ومَا قُلْتُ هَذَا القَوْلَ فَخْراً وإنَّمَا أُتِيَ الإذْنُ حتَّى يَعْرِفُونَ طَرِيقَتِي (٤)

وأمَّا مَا ذَكَرَهُ أُسْتَاذُنَا في نُقْطَةِ البَاءِ مِن نَظْرِهِ فِي دائرةِ مَعْنَاهَا : الظَّاهِرُ

= وسيِّدنا أبي موسى الأُشْنَرِيّ ﷺ ، وأخَذ عنه أبو الأشهب العطارديّ وصخر بن جويرية ومهديّ ابن ميمون ..

عن كثير بن عبد الرَّحْمَن قال : أتَيْنَا أبا رجاء العطارديّ فقُلْنا له :" أَلَك عِلْم بمَن بايَع النَّبِيَّ ﷺ من الجِنّ ؛ هلْ بقي منْهم أحد ؟ " قال : سأخبركمْ عن ذلك : نَزَلْنَا على قصْر فضرَبْنَا أخْبِيَتَنَا ، فإذا حيّة تضطرب فماتت فدَفَنْتُهَا ، فإذا أنا بأصوات كثيرة :" السّلام عليكم " ولا أرى شيئاً ، فقُلْتُ :" مَن أنتم ؟! " قالوا :" نَحْن الجِنّ .. جزاك الله عنَّا خيراً ؛ اتَّخَذْتَ عندنا يداً " قُلْتُ :" وما هي ؟! " قالوا : " الحيّة التي قَبَرْتَهَا كانت آخِر مَن بقيَ مِمَّن بايَع النَّبِيَّ ﷺ .. حِلْية الأولياء ٢/٣٠٥

تُوُفِّي ﷺ بالبَصْرَة سَنَة ١١٧ هـ .

(١) انظر : لطائف المِنَن /٥٤ والمفاخر العليّة /١٩

(٢) **سبب هذا القول** : أنّ رجلاً مِن أصحابه رَأى وهو بالمَغْرِب دائرةً مِن الرِّجال ورَجُل في وسطها وكُلّ مَن في تِلْك الدائرة مُتَوَجِّه إليه ، فقال في نَفْسه أنّه القُطْب وعَرَف ذلك الرَّجُل بصفته ، وبقي كُلّما ذُكِر له عن رَجُل يأتي إليه لعلّه يكون ذلك الرَّجُل ، حتّى قيل له عن الشَّيْخ أبي العبّاس المُرْسِيّ ﷺ فأتاه وإذا هو الرَّجُل الذي رآه في وسط تِلْك الدّائرة ، فأخبَره فقال الشَّيْخ ﷺ ما قال ..

انظر لطائف المِنَن /٧٦

(٣) **ومِن ذلك** : أنّ أحمد بن أبي الحواري قال لأبي سليمان الدّارنيّ :" أيجوز لِلرَّجُل أنْ يُخْبِر عن نَفْسه بالشَّيْء يكون منه " فقال : إذا كان في مَوْضع الأدب لِيُقْتَدَى به جاز ذلك .. طبقات الأولياء /٢٧٣

(٤) الجَوْهَرة المُضيَّة /٣٨٧ وانظر طبقات الشّعرانيّ /٣٠٧

ـ واللهُ أعلَمُ ـ أنَّهُ يُشيرُ بهَا إلَى الجَوْهَرِ الفَرْدِ الـذي يُثْبِتُـهُ المُتَكَلِّمُـونَ ، ومَذْهَبُهُمْ جَوْهَرِيَّةُ النُّقْطَةِ لاَ عَرَضِيَّتُهَا ؛ إذْ جَمِيعُ الكائناتِ السُّفْلِيّاتِ والعُلْوِيّاتِ مُرَكَّبَةٌ مِـنْ جَواهِرِ فَرْدِهِ ، فيَسْـتَدْعِي ذلـكَ الكَـلامَ عَلَـى تَفْصِيلِ الكائنـاتِ مِنْ حَيْثُ أجنـاسِ جَواهِرِهَا ، وأنواعِ تِلْكَ الأجناسِ وأصنافِهَا ومِنْ حَيْثُ أعراضِهَا ، والكـلامُ عَلَـى ذلكَ يَسْتَتْبِعُ الكلامَ عَلَى أحكامِ ذلكَ مِنَ القَوْلِ بحدوثِهَا بالدَّلائلِ العَقْلِيَّةِ والسَّمْعِيَّةِ ، والجَوابَ عَمَّا نَفَى بهِ الفلاسِفةُ إثباتَ الجَوْهَرِ الفَرْدِ ، وعَمَّا أَثْبَتُوا بـهِ الهُيُولَـى (١) والصُّورةَ ، وبيانَ ما يَتَرَتَّبُ عَلَى إثباتِ الجَوْهَرِ الفَرْدِ المُشَـارِ إلَيْـهِ بـ" النُّقْطَـةِ " مِنَ الثَّمَراتِ ..

إذْ مِنْ ثَمَراتِهِ : النَّجَاةُ مِـنْ كَثيرٍ مِـنْ ظُلُمـاتِ الفَلاسِفَةِ مِثْلِ إثبـاتِ الهَيُولَـى والصُّورةِ المُؤَدِّي إثباتُهَا إلَى قِدَمِ العالَمِ ، وقِدَمُهُ يُؤَدِّي إلَى تَكْذِيبِ مَـا جـاءَتْ بـهِ الشَّرائعُ مِنْ فَنَاءِ العالَمِ وتَخْرِيبِهِ وتَبْدِيلِ الأَرْضِ غَيْرَ الأَرْضِ والسَّمَاوَاتِ ، ونَفْيِ القِيامةِ ، فتَبْطُلُ فائدةُ الوَعْدِ والوَعِيدِ ، ويَلْزَمُ عَلَـى ذلـكَ تَكْذِيـبُ الرُّسُـلِ وإنكـارُ الشَّرائعِ ، وذلكَ مِنْ أَقْبَحِ الكُفْرِ ..

ومِنْ ثَمَراتِ ثُبُوتِ النُّقْطَةِ : إبطالُ كثيرٍ مِـنَ الهندسـةِ التـي بُنِيَـتْ عَلَـى تِلْـكَ الأصولِ مِنْ دَوامِ حَرَكةِ السَّمَاواتِ وامْتِنَـاعِ الخَـرْقِ والالتئـامِ ، وامْتِنـاعُ الخَـرْقِ مُنافٍ لِمَا وَرَدَ بهِ الشَّرْعُ المُطَهَّرُ مِنَ المِعْرَاجِ وغَيْرِ ذلكَ .

وشَرْحُ هَذِهِ الأمورِ بتفاصيلِهَا ودلائلِهَا وإثباتُ تِلْكَ الدَّلائلِ وسائرِ مَـا يَـتَرَتَّبُ عَلَى إثباتِ النُّقْطَةِ غَيْرِ مَا أَشَرْنَا إلَيْهِ يَسْتَدْعِي تَدْوِينُهُ بكُتُبٍ كَمِّيَّتُهَا سَـبْعَةُ أحمـالِ بَعيرٍ كَمَا أفادَهُ أُسْتَاذُنَا ؛ إذِ النُّقْطَةُ عَلَيْهَا مَدَارُ الكَوْنِ بأَسْرِه .

وأمَّا مَا أَشَارَ إلَيهِ أُسْتَاذُنَا مِنْ تَعَدُّدِ طُرُقِ القَـوْمِ : فهـيَ فـي الحقيقـةِ طريـقٌ واحدٌ باعتِبارِ مَا يُقْصَدُ بهِ مِنَ الوُصُولِ إلَى الحَقِّ بتَوَجُّهِ القَلْبِ إلَيْهِ كَمَا أَشَارَ إلَيْهِ أُسْتَاذُنَا في رِسالَتِهِ ؛ حَيْثُ قال :

الطُّرُقُ شَتَّى وطريقُ الحقِّ مُفْرَدَةٌ والسَّالِكونَ طَـريـقَ الحـقِّ أفـرادُ

---

(١) **الهَيُولَى** : اسم الشَّيْء بنِسْبَته إلى ما يَظْهَر فيه من الصُّوَر ، فكُلّ باطِن تَظْهَر فيه صورة يُسَـمُّونه " هَيُولَى " .. اصطلاحات الصُّوفيّة لِلكاشانيّ /٦٩

لاَ يُعْرَفُونَ ولاَ يسْلُكُ مَسَالِكَهُمْ إلاَّ رِجَالٌ لَهُمْ باللَّيْلِ أَوْرَادُ
النَّاسُ في غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِهِمْ كأَنَّهُمْ في سبيلِ الحقِّ رُقَّادُ

وأمَّا مَا مُنِحَهُ أُسْتَاذُنَا مِنْ إغاثَةِ اللهِ مَنِ اسْتَغَاثَ بِهِ في قضاءِ المآربِ والخَلاَصِ وَقْتَ الشَّدائدِ مِنَ المُلِمَّاتِ السَّواكِبِ : فهَذَا أَمْرٌ قَدْ جُرِّبَ فَصَحَّ ، وفَشَى عِنْدَ النَّاسِ واتَّضَحَ ..

فمِمَّا وقَعَ لِبَعْضِ مُحِبِّيهِ : أنَّ بَعْضَ الظَّلَمةِ رَمَى عَلَيْهِ قُطْناً يَحْلِجُهُ ، فتَضَرَّعَ إلَيْهِ وأَفْهَمَهُ أنَّهُ مِنْ تلامِذةِ الشَّيْخِ ، فرَمَى عَلَيْهِ قَدْراً زائداً وقالَ لهُ :" دَعْ شَيْخَكَ يُسَاعِدْكَ " ، فأَخَذَ الفقيرُ القُطْنَ وباتَ قلِقاً ، فرَأَى الشَّيْخَ في مَنامِهِ وهُوَ يَقُولُ لهُ :" لاَ تَحْزَنْ ؛ قَدْ حَمَلْنَا حَلْجَ القُطْنِ عَنْك " ، فلَمَّا أَفَاقَ وَجَدَهُ محلوجاً ، فانْظُرْ كَيْفَ أغاثَ هَذَا المَلْهُوفَ الخائفَ لَمَّا الْتَجَأَ إلَى اللهِ بهِ وهُوَ ببابِهِ واقِف !

قالَ بعضُهُمْ مِنْ جُمْلَةِ قصيدةٍ :

أَمَّا الدُّسوقي يُنْجِدُ المَلْهُوفْ وأَمَّا ابنُ أَدْهَمَ زُهْدُهُ مَوْصُوفْ

ومِصداقُهُ قَوْلُ الأُسْتَاذِ في تائِيَّتِهِ :

فنَحْنُ الذي نَحْمِي مِنْ قَدْ أَتَى لَنَا إذَا قَالَ غِثْنِي يَا دُسُوقِي بِنِيَّةِ
إذا كانَ في شَرْقٍ أوِ الغَرْبِ قالَ لِي أَغِثْنِي أُغِثْهُ مِنْ سيوفٍ صقيلَةِ (١)

وأَشْهَرُ مِنْ ذلكَ : مَا وَقَعَ لِخَلِيفَتِهِ السَّيِّدِ الجَلِيلِ العارِفِ باللهِ عَبْدِ اللهِ (٢) ابْنِ العارِفِ باللهِ سَيِّدي بَدْرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ سَيِّدنا ومَوْلاَنَا الدِّرْعِ المانِعِ والسَّيْفِ القاطِعِ عاطِرِ الأنفاسِ ومُوَلِّهِ النَّاسِ أَبِي العمرانِ شَرَفِ الدِّينِ مُوسَى أَخِي أُسْتَاذِنَا ـ نفَعَ اللهُ بَرَكَتِهِمُ المُسْلِمِينَ ـ في زَمَنِ السُّلْطانِ بَرْقُوقٍ (٣) مِنَ القِصَّةِ

(١) الجَوْهَرة المُضيَّة /٣٩٦

(٢) يُلَقَّب ﷺ بـ" جمال الدِّين ، ويُكَنَّى بـ" أبي الطَّيور " ، ويبدو أنّ لهذه القصّة علاقةً بِكُنْيته ، تُوُفِّي ﷺ بَعْدَ سَنَة ٨٠٠ هـ .

(٣) هو الملك الظاهر أبو سعيد بَرْقوق بن أَنَس بن عبد الله الجركسيّ العثمانيّ ، أول ملوك دولة المماليك الجراكسة ، تَوَلَّى حُكْم مِصْر ما بَيْن ٧٨٤ هـ إلى ٨٠١ هـ ، كان شَهْماً شجاعاً ذكيّاً غايةً في الدَّهاء والمكْر ، وكان مُعَظِّماً لِلصّالحين والأولياء ، أَلْغَى في ولايته الكثير من المكوس عن النّاس .
تُوُفِّي رحمه الله سَنَة ٨٠١ هـ .

المَشْهُورَةِ التي جاءُوهُ أولياءُ اللهِ في صفةِ الطُّيُورِ فقاتَلَتْ مَعَهُ ، وصارَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ مُتَمَثِّلاً بهذَا البَيْتِ المَشْهُورِ :

وإنْ جارَ المُلُوكُ عَلَيَّ يَوْماً لَيُخْزِيهِمْ إلَى يَوْمِ التَّنَادِ

وهذهِ القِصَّةُ أَشْهَرُ مِنْ أنْ تُذْكَر (١) .

وأمَّا مَا مُنِحَهُ أُسْتَاذُنَا مِنْ إطلاعِ اللهِ لهُ عَلَى بَعْضِ مَا يُحْدِثُهُ سُبْحَانَهُ في الكَوْنِ : فهذَا أمْرٌ لاَ يُحِيلُهُ عَقْلٌ ، وقَدْ وَرَدَ بهِ النَّقْلُ ..

قالَ أبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ لِلسَّيِّدةِ عائشَةَ - رضيَ اللهُ عَنْها - في مَرَضِ مَوْتِهِ وزَوْجَتُهُ حامِلٌ :" إنَّمَا هُمَا أَخَوَاكِ وأُخْتَاكِ ، ذُو بَطْنٍ بِنْتُ خَارِجَةَ أَرَاهَا جَارِيَةً " فأَخْبَرَ أنَّ في بَطْنِ امرأتِهِ أُنْثَى ، وكانَ كَمَا قال (٢) .

وقِصَّةُ عُمَرَ ﷺ معَ سارِية (٣) (٤) .

---

(١) سامَح اللهُ الشَّيْخَ جلال الدِّين الكركيّ ؛ فإنَّه لم يضع في حسبانه أنّ هذه القصّة وإنْ كانت أشْهَر مِن أنْ تُذْكَر في زمنه - لقُرْبه نسبيّاً مِن زمن القصّة - إلا أنّه مع تَقادُم العهد قد يطويها النِّسْيَان ، ولو أنّه ذَكَرها لنا لأفادنا كثيراً ، وقدْ أضنانا البحث عن هذه القِصّة في كُتُب التَّراجم والتاريخ إلا أنّا لم نَعْثُر عليها ، ولا حولَ ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم .

(٢) انظر : موطّأ الإمام مالك ٧٥٢/٢ وصفة الصَّفْوَة ٢٦٦/١ والمُنْتَظِم ١٢٨/٤ ولطائف المِنَن /٤٤ وطبقات الشّافعيّة الكُبْرَى ٣٢٢/١ والإصابة ٥٧٥/٧

(٣) هو الصّحابيّ الجليل سيّدنا سارية بن زنيم بن عبد الله بن جابر الدّوليّ ﷺ .

(٤) **ومُلَخَّص القصّة** : أنّ الفُرْس كانوا قدْ نَصَبوا كميناً لِجَيْش المُسْلِمين دون أنْ يَدْرُوا ، ولم يَكُنْ يُنجيهم مِن ذلك الكمين إلا الصُّعود على جبل خَلْفهم ، وفي ذات الوقْت كان سَيِّدنا عُمَر ﷺ يَخْطُب بالمدينة فقال :" يَا سَارِيَةُ .. الْجَبَلَ .. مَنِ اسْتَرْعَى الذِّئْبَ فَقَدْ ظَلَم " فقيل له :" تَذْكُر سارية وساريةُ بالعراق ؟! " ، فقال النّاس لِسَيِّدنا عَلِيّ كرّم الله وجْهه :" أمَا سمعْتَ عُمَرَ يقول " يَا سَارِيَة " وهو يَخْطُب على المنبر ؟! " فقال :" وَيْحَكُمْ ! دَعُوا عُمَرَ ؛ فَإِنَّهُ مَا دَخَلَ فِي شَيْءٍ إلاَّ خَرَجَ مِنْه " ، فلم يَلْبَثْ إلا يسيراً حتّى قَدِم سَيِّدنا سارية ﷺ فسألوه فقال : نَعَمْ .. سَمِعْنَا " يَا سَارِيَةُ .. الْجَبَل " وَقَدْ كِدْنَا نَهْلِكُ فَلَجَأْنَا إلَيْه (أيْ إلى الجبل) فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا ..

انظر : الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٧٥ وتاريخ الطّبريّ ٥٥٣/٢ والاعتقاد لِلْبَيْهَقِيّ /٣١٤ وكرامات الأولياء لِلّالكائيّ /١٢٠ والمُنْتَظِم ٣٢٤/٣ والبداية والنِّهاية ١٣٠/٧ ولطائف المِنَن /٤٤ ومقدمة ابن خلدون /١١٠ وعوارف المَعارف /١٦٤ ورَوْض الرِّياحين /٢٩ وطبقات الشّافعيّة الكُبْرَى ٣٢٣/١ والإصابة ٤/٣ ومُعْجَم البلدان ٩٩/٥ وتاريخ اليعقوبيّ ١٥٦/٢ وتاريخ الخلفاء /١٢٥ والنُّجوم =

وقَولُ عُثْمَانَ ﷺ لداخِلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ وكانَ قَدْ نَظَرَ إلَى مَحاسِنِ امْرَأَةٍ بالطَّرِيق :" يَدْخُلُ أَحَدُهُمْ وَآثَارُ الزِّنَا بَادِيَةٌ فِي وَجْهِه " (١) .

وأمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طالبٍ ﷺ فتَوَاتَرَ عَنْهُ فِي هَذَا البابِ العَجَبُ العُجَابُ ، مِنْ ذلكَ : لَمَّا أُرْجِفَ بالكوفةِ أنَّ مُعاوِيةَ (٢) قَدْ ماتَ فقالَ عَلِيٌّ :" وَاللَّهِ مَا مَاتَ ، وَلَنْ يَمُوتَ حَتَّى يَمْلِكَ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْن " ، فمِنْ يَوْمِئِذٍ كاتَبَهُ أَهْلُ الكوفَةِ وعَلِمُوا أنَّ الأمرَ صائرٌ إلَيْه (٣) .

- الزّاهرة ١/٧٧

قال العجلونيّ : وأخْرَجه البَيْهَقِيّ في الدّلائل وابن عساكر وابن ماكولا وابن الأعرابي في " كرامات الأولياء واللاّلكائيّ في " شرْح السُّنّة " والواقديّ وابن مردويه .. انظر كشْف الخفاء ٢/٥١٥

(١) انظر : الرّسالة القُشَيْرِيّة /١٨٦ وحلّ الرّموز /١٠٧ ولطائف المِنَن /٤٤ وطبقات الشّافعيّة الكُبْرَى ١/٢٧٧ وطبقات الشّعرانيّ /٣٧٩ وجامع كرامات الأولياء ١/١٥٠

(٢) هو الصّحابيّ الجليل سيّدنا معاوية بن أبي سفيان بن حرْب بن أميّة ﷺ ..

دَعَا له ﷺ فقال ﴿ اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ وَقِهِ الْعَذَاب ﴾ .

قالت أمّه السيّدة هند بنت عتبة تصف دهاءه وفِطْنته : وَاللَّهِ لَوْ جُمِعَتْ قُرَيْشٌ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ رُمِيَ بِهِ فِي وَسَطِهَا لَخَرَجَ مِنْ أَيِّ أَعْرَاضِهَا شَاء .

يروي صاحب " العِقْد الفريد " أنّه لمّا نقل معاوية ﷺ ويزيد غائب أقبلَ يزيد فوجد عثمان ابن مُحَمَّد بن سفيان جالساً ، فأخذ بيده ودخل على معاوية وهو يجود بنفْسه ، فكلّمَه يزيد فلم يُكَلِّمْه ، فبكى يزيد ، وتَصَوَّر معاوية ساعةً ثُمّ قال : أيْ بُنَيَّ .. إنْ أَعْظَمَ مَا أَخَافُ اللَّهَ فِيهِ مَا كُنْتُ أَصْنَعُ بِكَ يَا بُنَيَّ ، إنِّي خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَانَ إِذَا مَضَى لِحَاجَتِهِ وَتَوَضَّأَ أَصُبُّ الْمَاءَ عَلَى يَدَيْهِ ، فَنَظَرَ إِلَى قَمِيصٍ لِي قَدِ انْخَرَقَ مِنْ عَاتِقِي فَقَالَ لِي ﴿ يَا مُعَاوِيَةُ .. أَلاَ أَكْسُوكَ قَمِيصا ﴾ قُلْتُ :" بَلَى " فَكَسَانِي قَمِيصاً لَمْ أَلْبَسْهُ إِلاَّ لَبْسَةً وَاحِدَةً ، وَهُوَ عِنْدِي ، وَاجْتَزَّ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَخَذْتُ جُزَازَةَ شَعْرِهِ وَقُلاَمَةَ أَظْفَارِهِ فَجَعَلْتُ ذَلِكَ فِي قَارُورَةٍ ، فَإِذَا مِتُّ يَا بُنَيَّ فَاحْشُنِي ثُمَّ اجْعَلْ ذَاكَ الشَّعْرَ وَالأَظْفَارَ فِي عَيْنَيَّ وَمِنْخَرِي وَفَمِي ، ثُمَّ اجْعَلْ قَمِيصَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شِعَاراً مِنْ تَحْتِ كَفَنِي ؛ إِنْ نَفَعَ شَيْءٌ نَفَعَ هَذَا .

تُوُفِّي ﷺ بدمشق سَنَة ٦٠ هـ عن ٧٨ سَنَة .

روى ابن أبي الدُّنْيَا عن عُمَر بن عبد العزيز ﷺ قال : رَأَيْتُ رسول الله ﷺ وأبو بَكْر وعُمَر جالسان عنده ، فسلّمْتُ عليه وجلَسْتُ ، فبَيْنَا أنا جالس إذ أُتِي بعَلِيّ ومعاوية فأُدْخِلاَ بيتاً وأُجيف عليهما الباب وأنا أنظُر إليهما ، فما كان بأسْرَع أنْ خَرَج عَلِيّ وهو يقول :" قُضِيَ لِي وَرَبِّ الْكَعْبَة " ، وما كان بأسْرَع أنْ خَرَج معاوية على إثره وهو يقول : غُفِرَ لِي وَرَبِّ الْكَعْبَة .. المنامات /٧٤

(٣) انظر لطائف المِنَن /٤٤

قالَ التّاجُ بْنُ عَطَاءِ اللهِ :" وحكاياتُ الأولياءِ في كُلِّ زَمَنٍ وقُطْرٍ تَتَضَمَّنُ ثُبُوتَ ذلكَ بِمَا يَبْلُغُ حدَّ التَّوَاتُرِ ، فلاَ يُمْكِنُ جَحْدُهُ " (١) .

ويُسَهِّلُ عليْكَ التَّصْدِيقُ بذلكَ : قَوْلُ أُسْتَاذِنَا فيمَا مَرَّ ذِكْرُهُ عنِ الرُّوحِ أَنَّهَا " تَنْظُرُ عَجَائِبَ غَرَائِبِ مَا يَكونُ مِنَ الأمرِ المَكْنونِ " ؛ فهَذَا صريحٌ في اطِّلاعِ الوَلِيِّ عَلَى غَيْبٍ مِنْ غُيُوبِ اللهِ لَيْسَ بجسمانِيَّتِهِ ولاَ بوُجُودِ صُورتِهِ ، وإنَّما هُوَ بنُورِ الحقِّ فيه ..

دليلُ ذلكَ : قَوْلُهُ ﷺ ﴿ **اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ** ﴾ (٢) ، فكَيْفَ يُسْتَغْرَبُ أنْ يَطَّلِعَ مُؤْمِنٌ عَلَى ذلكَ بَعْدَ شَهَادَتِهِ ﷺ أَنَّهُ إنَّمَا يَنْظُرُ بنُورِ رَبِّهِ لاَ بوُجُودِ نَفْسِهِ ؟!

وقَوْلُهُ في حديثٍ آخَرَ ﴿ **فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ** ﴾ ، فَمَنْ كانَ الحقُّ بَصَرَهُ أَبْصَرَ مَا أَبْصَرَه (٣) .

فإنْ قُلْتَ : كَيْفَ يَطَّلِعُ الوَلِيُّ عَلَى الغَيْبِ وظاهِرُ القرآنِ يَنْفِيهِ ؟! قالَ سُبْحَانَه ﴿ **فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ** ﴾ (٤) فلَمْ يَسْتَثْنِ غَيْرَ الرَّسُولِ ..

فالجوابُ : أنَّ اللهَ استَثْنَى مَنِ ارْتَضَاهُ ، وهُوَ كَمَا يَصْدُقُ بالرَّسولِ يَصْدُقُ ـ أيضاً ـ بالنَّبِيِّ والصِّدِّيقِ والوَلِيِّ ، لَكِنْ خَصَّ الرَّسُولَ بالذِّكْرِ لأنَّهُ أَفْضَلُ ، فذِكْرُهُ أَوْلَى .

وأيضاً : إذَا قيلَ :" إنَّ السُّلْطانَ لَمْ يأذَنِ اليَوْمَ إلاَّ لِلْوَزِيرِ وَحْدَهُ " فربَّمَا دَخَلَ

---

(١) لطائف المِنَن /٤٥

(٢) أخْرَجَه التِّرْمِذِيّ ٢٩٨/٥ والبخاريّ في التّاريخ ٣٥٤/٧ وأبو نُعَيم ٢٨٢/١٠ والطّبرانيّ في الأوسط ٢٣/٨ والخطيب البغداديّ ١٩١/٣ عن سَيِّدنا أبي سعيد الخدريّ ﷺ ، والبَيْهَقِيّ في الزُّهْد الكبير ١٥٩/٢ والحكيم التِّرْمِذِيّ ٨٦/٣ وأبو نُعَيم ١١٨/٦ والطّبرانيّ ١٠٢/٨ وفي الأوسط ٣١٢/٣ والخطيب البغداديّ ٩٩/٥ عن سَيِّدنا أبي أمامة ﷺ ، وأبو نُعَيم ٩٤/٤ عن سَيِّدنا عبد الله بن عُمَر رضي الله عنهما .

(٣) مِن كلام التّاج بن عطاء الله ﷺ .. انظر لطائف المِنَن /٤٥

(٤) سورة الجنّ مِن الآيتَيْن ٢٦ ، ٢٧

مماليكُ الوَزِيرِ مَعَهُ وكانَ الإذْنُ لِمَتْبُوعِهِمْ إذناً لهُمْ في الدُّخُولِ ؛ كذلكَ الوَلِيُّ إذَا أَطْلَعَهُ اللهُ عَلَى غَيْبٍ مِنْ غُيُوبِهِ فإنَّما ذلكَ لانطِوائِهِ في جاهِ نَبِيِّهِ لِقِيامِهِ بصِدْقِ مُتابَعتِهِ ، فمَا رَأى ذلكَ بنَفْسِهِ ، بَلْ بنُورِ مَتْبُوعِهِ (١) (٢) .

وقَدْ دَخَلَ عَلَى أُسْتَاذِنَا بَعْضُ الأُمَراءِ لِزِيارَتِهِ فوَجَدَهُ مُتَبَرْقِعاً عَلَى عادَتِهِ ، فقامَ بنَفْسِهِ أنَّ الشَّيْخَ لاَ يَخْلُو مِنْ جُذَامٍ أوْ بَرَصٍ بوَجْهِهِ ، فكَشَفَ الشَّيْخُ النِّقَابَ عنْ وَجْهِهِ وقالَ :" يَا هَذَا .. لاَ أَجْذَمَ ولاَ أَبْرَصَ " ، فلَمَّا رَأى الأميرُ (٣) وَجْهَ الأُسْتَاذِ سَقَطَ إلَى الأرضِ وحَصَلَ لهُ خُشُوعٌ عَظِيمٌ ، وبَكَى حتَّى بَلَّ أثوابَه .

وأمَّا قَوْلُ أُسْتَاذِنَا " لَوْلاَ حِجَابُ الشَّرْعِ عَلَى فَمِي لَتَكَلَّمَ الصَّاعُ بما فيهِ " : نَظِيرُهُ قَوْلُ أبِي هُرَيْرَةَ ﷺ :" حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وِعَاءَيْنِ مِنَ العِلْمِ : أَحَدُهُمَا بَثَثْتُهُ ، وأَمَّا الاخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ مِنِّي هَذَا الْبُلْعُوم " (٤) (٥) ..

---

(١) من كلام التّاج بن عطاء الله ﷺ .. انظر : لطائف المِنَن /٤٥ وطبقات الشّعرانيّ /٣٧٨

(٢) أقول : قال ابن عطاء الله السكندريّ : وأيضاً .. أنّ الآية تشير إلى نفي اطّلاع العبد على غيب الله إلا مَن أطلَعه الله ، وبيّن سبحانه سبب إطلاعه على غيب من غيوبه ، وإنّما ذلك كان مُرتَضىً عنده بقوله ﴿ مَنِ ارْتَضَى ﴾ ، وقوله ﴿ مِن رَّسُولٍ ﴾ خصّ الرّسُول بالذّكْر ولم يَذْكُر النّبِيّ ولا الصّدّيق ولا الوليّ وإنْ كان كُلٌّ منهم مِمّن ارتَضَى لأنّ الرّسُول أولى بذلك ممّا سِواه .. لطائف المِنَن /٤٦

(٣) هو الأمير عزّ الدّين أيدمر العزّيّ ، تُنسَب إليه سويقة العزّيّ بالقاهرة ، تُوُفّي سنَة ٧٠٢ هـ .

(٤) أخرَجه البخاريّ ٥٦/١ وابن سَعْد ٢٦٣/٢ والذّهبيّ ٥٩٦/٢ وابن كثير ١٠٦/٨

أقول : وقال ﷺ : لَوْ أَنَّكُمْ بِكُلِّ مَا أَعْلَمُ لَرَمَانِي النَّاسُ بِالْخَرَقِ وَقَالُوا : أَبُو هُرَيْرَةَ مَجْنُون .. طبقات ابن سَعْد ٣٤٦/٢ و٣٣١/٤

وقال : لَوْ أَحَدَّثْتُكُمْ بِكُلِّ الَّذِي أَعْلَمُ لَقَطَعْتُمْ عُنُقِي مِنْ هَا هُنَا " وأشار إلى قفاه .. مصنّف ابن أبي شيبة ٤٦٣/٧

(٥) وقال سيّدنا عليّ كرّم الله وجهه : إنّ بَيْنَ جَنْبَيّ عِلْماً لَوْ قُلْتُهُ لَخَضْبْتُمْ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ .. انظر : حلّ الرّموز /٩١ ولطائف المِنَن لِلشّعرانيّ /٥٠٦

وقال سيّدنا عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما : إنّي لأَعْلَمُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ عِلْماً لَوْ بُحْتُ بِهِ لَكَفَّرْتُمُونِي .. حلّ الرّموز /٩١

وقال سيّدي إبراهيم الدّسوقيّ ﷺ : إذا كَمّل العارف في مقام العرفان أوْرَثه الله عِلْماً بِلا واسطة وأخَذ العلوم المكتوبة في ألواح المَعاني ، ففَهِم رموزها وعَرَف كنوزها ، وفَكّ طَلْسماتها وعَلِم اسْمَها ورَسْمها ، وأطْلَعَه الله تعالى على العلوم المُودَعة في النُّقَط ، ولولا خَوْف الإنكار لَنَطَقوا بما يُبْهِر -

قالَ الكرمَانيُّ (١) :" هَذَا الحديثُ هُوَ قُطْبُ مَدَارِ اسْتِدْلاَلاَتِ الصُّوفيَّةِ في

= العقول .. طبقات الشعرانيّ /٢٨٧

وقال الإمام فخر الدين السيّد مُحَمَّد عثمان عبده البرهانيّ ﷺ :

لَوْلاَ مَعَرَّةُ أنْ تَضيقَ عُقُولُكُمْ ويكُونَ مِنْكُمْ مُنْكِرٌ ونَكِيرُ

لَمَضَيْتُ في تِبْيَان عِلْمِ خَصَائِصِي لِيُرَدَّ طَرْفُ الخَاسِئِينَ حَسِيرُ

ديوان شراب الوصل /٤٥

وقال سيّدي مُحْيِي الدِّين بن عربيّ ﷺ : أصل منازعة النّاس في المعارف الإلهيّة والإشارات الربّانيّة كونها خارجةً عن طور العقول ، ومجيئها بغتةً من غيْر نَقْل ونظر ومن غيْر طريق العقل ، فتَنَكَّرَت على النّاس من حيْث طريقها فأنْكَروها وجَهِلوها ، ومَن أنْكَر طريقاً مِن الطُّرُق عادَى أهْلها ضرورةً ؛ لاعتقاده فسادها وفساد عقائد أهْلها .. انظر طبقات الشعرانيّ /١٨

وهذا سيّدي أبو عبد الله القرشيّ يَصْطَفي أربعة مريدين من أصل ستّمائة في مَجْلِس ثُمّ يقول : لو تَكَلّمْتُ عليكم في عِلْم الحقائق والأسرار لَكان أوّل مَن يُفْتي بكفري هؤلاء الأربعة ..

انظر طبقات الشعرانيّ /٢١

(١) هو أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرمانيّ ﷺ ، كان مِن أولاد الملوك ، أخَذ عن أبي تراب النّخشبيّ وأبي حفص وأبي عبيد البُسْريّ ، وأخَذ عنه أبو عثمان الحيريّ ..

قال عنه الإمام الشعرانيّ في " المِنَن " : كان يذهب إلى الغيضة فينام بيْن السباع إلى بكرة النّهار لِيَمْتَحِن نَفْسه في اليقين ، فكانت السّبَاع تَشُمّه وتَمْشي حَوْله ولا تضرّه ، وكان رضي الله تعالى عنه يقول : ما أمَلّ نَفْسيّ في اللّيْلَة التي أنام فيها بيْن السّبَاع إلا بليلة عُرْسي ونَوْمي مع العروس .

من أقواله ﷺ :

- لا يُعْجَب مُعْجَب بنَفْسه إلا وهو محجوب عن ربّه .
- ليس بعاقل مَن كَتَم الطّيبَ عِلّتَه .
- التّوكُّل : سكون القَلْب إلى الله تعالى في حالتَي الموجود والمفقود .
- اجْتَنِبوا الكذب والخيانة والغيبة ثُمّ اصْنَعوا ما بَدَا لَكم .
- مَن عرف ربّه نسي كُلّ ما دونه ، ومَن جَهِل ربّه تَعَلّق بكُلّ شيء دونه .
- اعملوا الطّاعات أنْزَه ما يكون وانظروا إليها أقْذَر ما يكون .
- ما تَعَبّدَ مُتَعَبّد بأكْثَر من التّحَبُّب إلى أولياء الله ؛ لأنّهُ إذا أحَبّهُمْ أحَبّ الله ، وإذا أحَبّوهُ أحَبّه الله .
- لأهل الفضل فضل ما لمْ يَرَوْه ، فإذا رَأَوْه فلا فَضْلَ لهم .
- مَن صَحِبَك على ما يُحِبّ وخالَفَك فيما يَكْرَه فإنّما يَصْحَب هواه ، ومَن صَحِب هواه فهو يطلب راحة الدُّنْيا .

تُوُفّي ﷺ بَعْد سَنَة ٢٧٠ هـ .

الشَّطَحَاتِ ؛ يَقُولُونَ : هَا هُوَ ذَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَرِيفُ أَهْلِ الصُّفَّةِ الذينَ هُمْ شيوخُ شُيُوخِنَا في الطَّرِيقَةِ عالِمٌ بذلكَ قائلٌ به " .

قالُوا : والمُرَادُ بالأوَّلِ يَعْنِي مِنَ الوِعَاءَيْنِ : عِلْمُ الأحكامِ والأخلاقِ ، وبالثَّاني : عِلْمُ الأسرارِ المَصُونُ عنِ الأغيارِ المُخْتَصُّ بالعُلماءِ باللهِ أهْلِ العِرفانِ .

وقالَ قائلُهُمْ :

يا رُبَّ جَوْهَرِ عِلْمٍ لوْ أَبُوحُ بهِ ... لَقِيلَ لِي أنتَ مِمَّنْ يَعْبُدُ الوَثَنَا

ولاَسْتَحَلَّ رِجالٌ مُسْلِمُونَ دَمِي ... يَرَوْنَ أَقْبَحَ مَا يأتُونَهُ حَسَنَا (١)

وقالَ بَعْضُهُمْ : العِلْمُ المَكْنُونُ والسِّرُّ المَصُونُ عِلْمُنَا ، وهُوَ نتيجَةُ الخِدْمَةِ وثَمَرَةُ الخِدْمَةِ ، لاَ يَظْفَرُ بهِ إلاَّ الغوَّاصُونَ في بِحارِ المُجَاهَداتِ ، ولاَ يَسْتَغْنِيهُ إلاَّ المُصْطَفَوْنَ بأنوارِ المُشَاهَداتِ ، وهيَ أسرارٌ كامِنَةٌ في القُلُوبِ لاَ تَظْهَرُ إلاَّ بالرِّياضةِ ، وأنوارٌ مَسْتُورَةٌ في الغُيُوبِ لاَ تَنْكَشِفُ إلاَّ لِلأَنْفُسِ المُرْتَاضَةِ .

وقالَ الأُسْتَاذُ بـ" الحقائقِ " : إنَّهُ أَنْكَرَ عَلَيْهِ جماعةٌ مِنْ عُلَمَاءِ مِصْرَ ، فأَرْسَلَ إلَيهِمْ فُتْيَا صُورتُهَا :" مَا جَوَابُكُمْ - رضِيَ اللهُ عَنْكُمْ - في رَجُلٍ مِنْ حَيْثُ يَشَاءُ النَّبَجَ فما نتَجَ ، فسَلَكَ التَّمتامَ فمَا استَقَامَ ، فواضبَ الغدقادَ فمَا استَفَادَ ، فانتحلَ لهُ أنَّ الجيعاصَ يقطعُ العقدانِ ، أنَّها وهوَ يُواصِلُ ليلَهُ وهو يمججُ ، ويَقْطَعُ نَهارَهُ وهو يسمجُ ، لاَ يبركنَّ في ذلك إلى المستفيدِ ، ولاَ يَركنُ إلى التَّمْديدِ ، بَلْ يُفْنِي عُمُرَهُ في مقامِ الاستطباقِ رَجَاءَ يَعْلُو مقامَ الاستبطاطِ ، فأيُّ الفَريقَيْنِ يهوي إلَى القَضَا ؟ وأيُّهما يَهْوِي في مَهَاوِي الهوَى إلَى الفضا ؟ أَفْتُونَا مَأجورِينَ " ، فمَا أجابَ أحدٌ مِنهُمْ عنْ ذلك ..

وقالَ :" جاءُوا إليَّ مُمْتَحِنِينَ فسُلِبُوا ببَرَكةِ اللهِ تَعَالَى ..

فيَا أولادِي .. كَمْ عالِمٍ عامِلٍ مَحْجُوبٍ مَزْكُومٍ ، لاَ شَمَّ ولاَ لَمَّ ولاَ فَهْمَ

(١) القائل هو الإمام عَلِيّ زيْن العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام عَلِيّ ﷺ ..

انظر : لطائف المِنَن لِلشّعرانيّ /٥٠٦ ونور الأبصار /٢٢٩

وقيل : الإمام عَلِيّ كَرَّم الله وجْهه .. انظر حلّ الرّموز /٩٢

وقيل : الإمام جَعْفَر الصّادق ﷺ .

ولاَ عِلْمَ ولاَ حَضَرَ ولاَ نَظَرَ ولاَ اطَّلَعَ عَلَى ما اطَّلَعْتُ عَلَيْه ..

يَا أولادِي .. اطَّلَعْتُ عَلَى اللَّوْحِ المَحْفُوظِ فرَأَيْتُ في المَثَاني حَرْفاً مُعْجَماً ... " إلَى آخِرِ مَا قَدَّمْنَاهُ .

ويُقَالُ : إنَّ الذينَ جاءُوا إلَيْهِ مِنْهُمُ العَلاَّمَةُ تَقِيُّ الدِّينِ بْنُ دَقِيقِ العِيدِ (١) ،

(١) هو شيخ الإسلام تقيّ الدّين أبو الفَتْح مُحَمَّد بن عَلِيّ بن وهب القُشَيْرِيّ المَنْفَلُوطيّ المِصْرِيّ المالكيّ الشّافعيّ المعروف بـ" ابن دقيق العيد " ﷺ ، وُلِد سَنَة ٦٢٥ هـ ، كان قاضي قضاة الدّيار المِصْرِيّة في وقته ، أخَذ عن أبيه مَجْد الدّين وعزّ الدّين بن عبد السّلام والمنذريّ ، وأخَذ عنه فتْح الدّين بن سيد النّاس وعلاء الدين القونويّ وعلَم الدّين الإخنائيّ .

قال عنه التّاج السّبكيّ : شيْخ الإسلام الحافظ الزّاهد الورِع النّاسك المُجتَهِد المُطْلَق ، ذو الخبرة التامة بعلوم الشّريعة ، الجامع بيْن العِلْم والدّين ، والسّالك سبيل السّادة الأقدمين ، أكْمَل المتأخّرين ، وبَحْر العِلْم الذي لا تُكَدِّره الدّلاء ، ومَعْدِن الفضل الذي لِقاصِدِه منه ما يشاء ، وإمام المتأخّرين كلمة لا يجحدونها وشهادة على أنْفُسهم يؤدّونها ، مع وقار عليه سِيما الجلال ، وهيْبة لا يقوم الضّرْغام عندها لِنِزَال .. طبقات الشّافعيّة الكُبْرَى ٢٠٧/٩

وقال : وأساء شَخْص عليه الأدب فقال له الشّيْخ :" نُعِيتَ لي في هذا المَجْلِس ثلاث مرّات " ، فمات بَعْد ثلاثة أيام .. طبقات الشافعية الكبرى ٢١١/٩

قال ابن العماد : وكان يقول : ما تَكَلَّمْتُ بكلمة ولا فَعَلْتُ فعلاً إلا أعْدَدْتُ له جواباً بيْن يَدَي الله تعالى .. شذرات الذّهَب ٥/٣

من مؤلّفاته : الإلمام بأحاديث الأحكام ، شَرْح مقدّمة المطرز ، الاقتراح في بيان الاصطلاح .

من نظمه ﷺ :

أحبابَ قلْبي والذين بذِكْرهمْ ... وترددهم طول الزمان تَعَلُّقِي

لئن غاب مِن عَيْني بديعُ جَمَالِكمْ ... وجار على الأبدان حُكْم التَّفَرُّقِ

فما ضَرَّنا بُعْد المسافة بَيْنَنا ... سرائرُنا تَسْري إليكم فتَلْتَقِي

وقال :

قالوا فلان عالِمٌ فاضِلٌ ... فأكرموه ما يرتضى

فقُلْتُ لَمّا لم يكُنْ ذا تُقىً ... تَعارَض المانع والمقتضى

وقال :

تَمَنَّيْتُ أنّ الشّيب عاجَل لمّتي ... وقَرَّب منّي في صِباي مزارَه

لآخُذ مِن عَصْر الشّباب نشاطَهُ ... وآخُذ مِن عَصْر المشيب وقارَه

تُوُفِّي ﷺ سَنَة ٧٠٢ هـ ودُفِن بالقرافة .

وأنَّهُمْ أخَذُوا عَنْهُ الطَّرِيقَ ، ولَعَلَّهُمُ المُشَارُ إلَيْهِمْ بقَوْلِهِ في التَّائِيَّةِ :

وكَمْ عالِمٍ قدْ جاءَنَا وهُوَ مُنْكِرٌ فَرُدَّ بفَضْلِ اللهِ مِنْ أهْلِ خِرقَتِي (١)

وأمَّا مَعْرِفَةُ الغَرِيبِ مِنَ اللِّسانِ : فهُوَ شأنُ أصحابِ هَذَا الشَّأن ..

قالَ أبُو العبَّاس المُرْسِيُّ لِلنَّجْمِ الأصفهانيِّ (٢) يَوْماً :" مَا اسْمُ كَذَا وكَذَا بالعَجَمِيَّةِ ؟ " فخَطَرَ لِي أنَّ الشَّيْخَ يُحِبُّ أنْ يَقِفَ عَلَى لُغَةِ العَجَمِ ، فأتَيْتُ إلَيْهِ بكتابِ التَّرْجُمَانِ ، فقالَ الشَّيْخُ :" مَا هَذَا الكِتَابُ ؟ " قُلْتُ :" كتابُ التَّرْجُمَانِ " فتَبَسَّمَ الشَّيْخُ وقالَ لِي :" اسْأَلْ مَا شِئْتَ بالأعْجَمِيَّةِ أُجِبْكَ بالعَرَبِيَّةِ ، واسْأَلْ مَا شِئْتَ بالعَرَبِيَّةِ أُجِبْكَ بالأعجَمِيَّةِ " فسألْتُهُ بالأعْجَمِيَّةِ فأجَابَنِي بالعربيَّةِ ، وسألْتُهُ بالعربيَّةِ فأجَابَنِي بالأعْجَمِيَّةِ ، وقالَ :" يا عَبْدَ اللهِ .. مَا أرَدْتُ بقَوْلِي :" مَا اسْمُ كَذَا بالأعْجَمِيَّةِ إلاَّ مُبَاسَطَتَكَ ؛ وإلاَّ فلاَ يَكُونُ صاحِبُ هَذَا الشَّأنِ ويَخْفَى عَلَيْهِ مِنَ الألْسِنَةِ شَيْء ! " (٣) .

---

(١) الجَوْهَرة المُضيَّة /٣٨٧ وانظر طبقات الشّعرانيّ /٣٠٧

أقول : لِلشَّيْخ تَقِيّ الدِّين بن دقيق العيد ﷺ حكاية أخرى شهيرة مع سَيِّدي أحمد البدويّ ﷺ مذكورة في كُتُب المَناقب ، فإذا صَحَّت لم يصحّ كَوْنه كان مِن العلماء السَّبْعَة المُنْكِرين على سَيِّدي إبراهيم ﷺ ، إلا أنْ يُجْمَع بيْن الحكايتيْن - وإنْ كان ذلك رأياً مرجوحاً - بأنّ ابن دقيق العيد كان مع هؤلاء العلماء ولكنّه لم يَكُنْ مُنْكِراً مِثْلهم ، شأنه في ذلك شأن سَيِّدي القَصَبِيّ الذي كان مع هؤلاء العلماء وأنْشَد قصيدته الشّهيرة في سَيِّدي إبراهيم ﷺ والتي مَطْلَعها :

يا شَمْس حُسْنٍ فَوْق غُصْنٍ أمْيَدِ أيميتني هَدَراً لِحاظُكِ أم يَدِي

(٢) هو نَجْم الدِّين عَبْد الله بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الأصبهانيّ الشّافعيّ ﷺ ، أخَذ عن الشَّيْخ أبي العبّاس المُرْسِيّ ، وأخَذ عنه يوسف العجميّ وحَسَن المَغْربيّ وأبو القاسم الكنانيّ التّونسيّ .

قال اليافعيّ : رُوِي أنّ الشَّيْخ نَجْم الدِّين الأصبهانيّ رضي الله تعالى عنه خَرَج مع جنازة بعض الصّالحين بمكّة ، فلَمّا دفنوه وجَلَس المُلَقِّن يُلَقِّنه ضَحِك الشَّيْخ نجْم الدِّين - وكان مِن عادته لا يَضْحَك - فسأله بعض أصحابه عن ضحكه فزَجَرَه ، فلَمّا كان بَعْد ذلك قال : ما ضَحِكْتُ إلا أنّه لَمّا جَلَس المُلَقِّن على القبر سَمِعْتُ صاحِب القبر يقول : ألاَ تَعْجَبُون مِن ميِّت يُلَقِّن حَيّا ؟! .. رَوْض الرَّياحين /١٠٢

مِن أقواله ﷺ : الشّريعة كالسّفينة ، والطّريقة كالبحر ، والحقيقة كالدُّرّ ، فمَن أراد الدُّرّ ركِب في السّفينة ثُمّ شَرَع في البَحْر ثُمّ وَصَل إلى الدُّرّ .

تُوُفِّي ﷺ بمكّة سَنَة ٧٢١ هـ عن ٧٨ سَنَة ، ودُفِن بالقُرْب مِن الفُضَيْل بن عياض ﷺ .

(٣) انظر لطائف المِنَن /٧٥

ومِنْ مَنَاقِبِ هَذَا الأُسْتَاذِ ـ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ ـ كَمَا حَكَى بـ" الحقائق " : أَنَّهُ سَافَرَ إِلَى دَمَنْهُورَ الوَحْشِ بالبُحَيْرَةِ ، فمَرَّ ببِئْرٍ فطَلَبَ مِنْها ماءً لِيَشْرَبَ ، فقيلَ لهُ :" إِنَّ ماءَها مالِحٌ " ، فتَفَلَ فيها فحَلَتْ ببَرَكَتِهِ ، فقالَ :

إذا وَرَدُوا الأطلالَ تاهَتْ بِهِمْ عُجْباً ... وإِنْ لَمَسُوا عُوداً زَهَا غُصْنُهُ رَطْبَا

وإِنْ وَطِئُوا يَوْماً عَلَى ظَهْرِ صَخْرَةٍ ... لأَنْبَتَتِ الصَّمَّاءُ مِنْ وَطْئِهِمْ عُشْبَا

وإِنْ وَرَدُوا البَحْرَ الأُجَاجَ شَوَارِباً ... لأَصْبَحَ ماءُ البَحْرِ مِنْ رِيقِهِمْ عَذْبَا (١)

اعْلَمُوا ـ سَلَكَ اللهُ بِنَا وبِكُمْ مَسَالِكَهُمْ ـ أَنَّهُمْ قَدِ اخْتَلَفَتْ طرائقُهُمْ :

فمِنهُمْ مَنْ سافَرَ في بِدايَتِهِ وأَقَامَ في نِهايَتِهِ (٢) ، مِثْلَ : أَبِي عُثْمَانَ الحيريِّ ، والشِّبْلِيِّ (٣) (٤) .

---

(١) انظر الجَوْهَرة المُضيئة /١٨٨

(٢) ذَكَر السُّهْرَوَرْدِيّ لِمَن سافَر في بدايته مقاصد ، منها :

• تَعَلُّم شيء من العِلْم .

• لقاء المشايخ والإخوان الصّادقين ؛ فللمريد بكُلّ صادق مَزِيد ، وقدْ يَنْفَعه لَحْظ الرِّجال كما يَنْفَعه لَفْظ الرِّجال .

• قَطْع المألوفات والانسلاخ من ركون النَّفْس إلى معهود ومعلوم والتّحامل على النَّفْس بتَجَرُّع مرارة فُرْقة الأُلاّف والخِلاّن والأهْل والأوطان .

• استِكْشاف دقائق النُّفُوس واستِخْراج رعونتها ودَعاويها ؛ لأنّها لا تَكاد تَتَبَيَّن حقائق ذلك بغير السَّفَر وسُمِّي السَّفَر " سفراً " لأنّه يُسفِر عن الأخلاق ، وإذا وقف على دائه يَتَشَمَّر لِدوائه .

• رؤية الآثار والعِبَر وتسريح النَّظَر في مَسارح الفِكَر ، ومطالَعة أجزاء الأرض والجبال ومَواطئ أقدام الرِّجال ، واستِماع التَّسْبيح من ذوات الجمادات ، والفَهْم من لسان حال القِطَع المتجاورات ؛ فقدْ تَتَجَدَّد اليقظة بتَجَدُّد مُستَوْدَع العِبَر والآيات ، وتَتَوَفَّر بمطالَعة المَشاهد والمَواقف الشّواهد والدّلالات .

• إيثار الخمول وإطراح حظّ القبول ؛ فصِدْق الصّادق يَنُمّ على أَحْسَن الحال ويرزق من الخَلْق حُسْن الإقبال ، فإذا ابتُلِي المريد بذلك لا يأمن نَفْسه أنْ تَدْخُل عليه بطريق الركون إلى الخَلْق .

• الحجّ والغَزْو وزيارة بَيْت المَقْدِس .

انظر عوارف المَعارف /١١٣ – ١١٥

(٣) انظر : الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٢٤ وعوارف المَعارف /١١٣

(٤) هو أبو بَكْر دُلَف بن جحدر الشِّبْلِيّ ﷺ ، وُلِد ونشأ ببغداد سَنَة ٢٤٧ هـ ، أَخَذ عن الإمام الجُنَيْد وبكير الدّينوريّ وخير النّسّاج ، وأَخَذ عنه مُحَمَّد بن عبد الله الرّازيّ وأبو الحَسَن الحصريّ والحُسَيْن –

- ابن مُحَمَّد بن موسى الأزديّ ..

لَمّا حضرَت الإمام الجُنَيْد الوفاة قال له الشّبْليّ :" يا سيّدي .. لا يَرَوْن بَعْدك مِثْلك " فقال الإمام الجُنَيْد : ولا أخلف عليهم بَعْدي مِثْلك .. طبقات الأولياء /١٣٦

كان ابن بشار يَنْهَى النّاسَ عن الاجتماع بالإمام الشّبْليّ ﷺ والاستماع لِكلامِهِ ، فجاءه ابن بشّار يوماً يمتحنه فقال له :" كمْ في خَمْس مِن الإبل ؟ " فسكت ﷺ ، فأكثَر عليه ابن بشّار فقال له ﷺ : " في واجب الشَّرْع شاة ، وفيما يلزم أمثالَنا كلّها " فقال له ابن بشّار :" هلْ لك في ذلك إمام ؟ " قال ﷺ :" نَعَمْ " قال :" مَن ؟ " قال :" أبو بكْر الصّدّيق ﷺ حيث أخْرَجَ مالَه كلّه فقال له النّبيّ ﷺ ﴿ مَا خَلَّفْتَ لِعِيَالِك ﴾ قال : اللّهَ ورَسُولَه " ، فرجع ابن بشّار ولمْ يَنْهَ بَعْد ذلك أحداً عن الاجتماع به ﷺ .

قال له أبو بكْر بن مجاهد :" يا أبا بكْر .. أُخبِرْتُ أنّك تَخرِق الثّياب والخبز والأطعمة وما ينتفع به النّاس مِن منافعهم ومصالحهم ، أين هذا مِن العِلْم والشّرْع ؟ " فقال له :" قول الله ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ أين هذا مِن العِلْم ؟! " فسكت أبو بكْر بن مجاهد وقال : كأنّي لم أقرأها قطّ .. حِلْيَة الأولياء ٣٧٤/١٠ وتاريخ بغداد ٣٩٢/١٤ وصفة الصّفْوَة ٢٩/١ ووفيات الأعيان ٢٧٤/٢ وسِيَر أعلام النُّبَلاء ٦٣٨/١٥ وطبقات الشّافعيّة ٨٥/٣ و١١٤/٧

وحكَى سيّدي إبراهيم التّسوقيّ ﷺ أنّ الإمام الشّبليّ ﷺ لمس جماعةً مِن المَرْضَى والزّمْنَى وغيْرهم فبَرِئوا ، فقال له رجل :" أشْتَهِي أنْ أصْحَبَك " فقال له : أمَا تَسْتَحْيي مِن مولاك أنْ يَرَاك مشْتَغِلاً بغيْره فتَسْقُط مِن عيْنه ؟! .. الجَوْهَرة المُضيئة /٣١٧

وجاءه ﷺ رجل فقال :" يا سيّدي .. كَثُرَت عيالي وقَلّتْ حيلتي " فقال له : ادْخل دارك ؛ فكُلّ مَن رَأيْتَ رِزقه عليك فأخرِجْه ، وكُلّ مَن رَأيْتَ رِزقه على الله تعالى فاتْرُكْه في الدّار .

وصلّى ﷺ مرّةً خلْف إمام فقرأ ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْك ﴾ فزعق زعقةً كادت برُوحه تَخْرُج ، وقال : هذا خطابه لأحبابه ، فكيف خطابه لأمثالنا ؟!

وسُئِل ﷺ عنْ حديث ﴿ إِذَا رَأَيْتُمْ أَهْلَ الْبَلاءِ فَاسْأَلُوا رَبَّكُمُ الْعَافِيَة ﴾ فقال : أهْل البلاء هُمْ أهْل الغفلة عن الله تعالى .

وسُئِل ﷺ عن حديث ﴿ خَيْرُ كَسْبِ الْمَرْءِ عَمَلُ يَمِينِه ﴾ فقال : إذا كان اللّيْل فخُذ الماء وتَهَيّأ لِلصّلاة وصَلّ ما شِئْتَ ومُدّ يدك وسل الله ؛ فذلك كسْب يمينك .

وحُبِس في المارستان فدَخَل عليه جماعة فقال :" مَن أنتم ؟ " فقالوا :" أحبّاؤك جاءوك زائرين " ، فأخَذ يرميهم بالحَجَر وأخَذوا يَهْرُبون ، فقال : يا كذّابون ! لو كنتم أحبّائي لَصَبَرْتُمْ على بلائي .

وحُكِي أنّ رجلاً صاح في مَجْلِسه فرمى به في دجلة وقال : إنْ كان صادقاً نجّاه الله تعالى كما نَجّى موسى ﷺ ، وإنْ كان كاذباً أغْرَقَه الله كما أغْرَقَ فرعون .

ومِنهُمْ مَنْ أقامَ في بِدايَتِهِ وسافَرَ في نِهايَتِهِ (١) ، مِثْلَ : الجُنَيْدِ ، وسَهْلِ

= وروى القُشَيْرِيّ أنّه ﷺ قال : نعسة في ألْف سَنَة فضيحة .

وسَمِع ﷺ بائعاً يقول :" الخيار عشرة بدرهم " فصاح وقال : فكيف الشرار ؟!

وسأله رَجُل :" أيّ الصَّبْر أشدّ ؟ " فقال :" الصَّبْر في الله " فقال الرَّجُل :" لا " قال ﷺ :" الصَّبْر مع الله " قال الرَّجُل :" لا " قال ﷺ :" الصَّبْر لله " قال الرَّجُل :" لا " قال ﷺ :" فأيّ شيء ؟ " قال الرَّجُل :" الصَّبْر عن الله " فصرخ الشبليّ وأنشد :

الصَّبْر يَجْمُل في المواطن كُلِّها إلا عليك فإنّه لا يَجْمُلُ

من أقواله ﷺ :

- اطّلع الحقّ عَلَيّ فقال :(مَنْ نَامَ غَفَلَ ، وَمَنْ غَفَلَ حُجِب) .
- الاستقامة أنْ تَشْهَد الوقْت قيامة .
- أدْنَى علامات الفقر أنْ لو كانَت الدُّنْيَا بأسْرها لأحد فأنْفَقَها في يَوْم ثُمّ خَطَر بباله أنْ لو أمْسَك منْها قُوت يَوْم ما صَدَق في فَقْره .
- الدُّنْيَا قِدْر يَغْلِي وكَنِيف يُمْلأ .
- أنتم قبور ؛ لأنّ كُلّ واحد منْكم مدفون في ثيابه .
- ليس لِمريد فترة ، ولا لِعارف علامة ، ولا لِمُحِبّ شكْوى ، ولا لِصادق دَعْوى ، ولا لِخائف قرار ، ولا لأحد مِن الله عَزّ وجَلّ فرار .
- سُمِّيَت الصُّوفِيَّة بهذا الاسم لِبقيّةٍ بقيَت عليْهم ، ولولا ذلك لَمَا تَعَلَّقَتْ بهم تسمية .
- التَّصَوُّف : الجلوس مع الله بِلا هَمّ .
- العارف لا يكون لِغيْره لاحظاً ، ولا بكلام غيْره لافظاً ، ولا يرى لِنَفْسه غيْر الله تعالى حافِظا .
- المحبّة أنْ تَغار على المحبوب أنْ يُحِبّه مِثْلك .
- ليس مَن احتَجَب بالخَلْق عن الحقّ كمَن احتَجَب بالحقّ عن الخَلْق .
- ليس مَن استَأنَس بالذِّكْر كمَن استَأنَس بالمذكور .
- مَن طَلَب الحقّ بالمجاهَدات فهو بَعيد عن وصوله إلى مطلوبه ، ومَن طَلَبه به تعالى وَصَل إلَيْه .
- مجاهَدة النَّفْس بالنَّفْس أفْضَلُ مِن مجاهدة الغيْر بالنَّفْس .

تُوُفِّي ﷺ ببغداد سَنَة ٣٣٤ هـ عنْ ٨٧ سَنَةً ، ودُفِن بمقبرة الخيزران .

قال القُرْطبي : وكان الشِّبْليّ يقول :" أنا أمان هذا الجانب " ، فلَمّا مات ودُفن عَبَر الدَّيْلَم دِجْلة ذلك اليَوْم واستَوْلَوْا على بغداد ، ويقول النّاس : مصيبتان : مَوْت الشِّبْليّ ، وعبور الدَّيْلَم ..

الجامع لأحكام القُرْآن ٢٩/١١

(١) يقول السُّهْرَوَرْدِيّ عن هؤلاء : يكون ذلك شخصاً يَسّر الله لـه في بداية أمْره صُحْبَةً صحيحةً وقَيَّض له شيخاً عالِماً يَسْلُك به الطَّرِيق ويُدْرِجه إلى مَنَازل التَّحقيق ، فيلازِم مَوْضع إرادته ويَلْتَزِم =

ابْنِ عَبْدِ اللهِ التُّسْتُرِيِّ (١) ، وأَبِي يَزِيدِ طيفورِ بْنِ عيسى البَسْطَامِيِّ ، وأَبِي حَفْصٍ

= بصُحْبَة مَن يَرُدّه عن عادته ...

قال : فمَن رُزِق مِثْل هذه الصُّحْبَة يَحْرُم عليْه السَّفَر ؛ فالصُّحْبَة خيْر له مِن كُلّ سفر وفضيلة يَقْصِدها .. عوارف المَعارف /١١٥

(١) هو أبو مُحَمَّد سَهْل بن عبد الله التُّسْتُرِيّ ﷺ ، أَخَذ عن خاله مُحَمَّد بن سوار وذي النُّونِ المِصْرِيّ ، وأَخَذ عنه عُمَر بن واصل وأبو مُحَمَّد الجريريّ وعبّاس بن عصام .

روى القُشَيْرِيّ أنّ عبد الرحمن بن أحمد كان يَصْحَب سهلاً ﷺ ، فقال له يوماً :" ربّما أتَوَضّأ لِلصَّلاة فيسيل الماء بيْن يدَيّ قضبان ذهب وفِضّة ؟ " فقال له : أمَا عَلِمْتَ أنّ الصِّبْيان إذا بكَوْا يُعْطَوْن خشخاشةً لِيَشْتَغِلوا بها ؟!

وقيل له ﷺ :" الرَّجُل يأكل في اليَوْم أكلةً ؟ " فقال :" أكْل الصِّدِّيقين " ، فقال الرَّجُل :" فأكْلَتَيْن ؟ " قال :" أكْل المُؤْمِنين " ، قال الرَّجُل :" فثلاثةً ؟ " فقال ﷺ : قُلْ لأهْلِك يَبْنون لك مَعْلَفا !

مِن مؤلفاته : دقائق المُحِبّين ، مواعظ العارفين ، جوابات أهْل اليقين .

مِن أقواله ﷺ :

- طوبى لِمَن تَعَرَّف بالأولياء ؛ فإنّه إذا عَرَفهم استَدْرَك ما فاته مِن الطّاعات ، وإنْ لمْ يَستَدْرِكْ شفعوا عند الله فيه ؛ لأنّهم أهْل الفُتُوّة .
- **خمسة أشياء مِن جوهر النَّفْس :** فقير يُظْهِر الغِنَى ، وجائع يُظْهِر الشِّبَع ، ومحزون يُظْهِر الفرح ، ورَجُل بيْنه وبيْن رَجُلٍ عداوةٌ يُظْهِر له المحبّة ، ورَجُل يصوم النّهار ويَقُوم اللّيْل ولا يُظْهِر ضَعْفا .
- الكامل لا يَرِد عليْه وارد إلا يَبْتَلِعه بقوّة حاله ، فلا يُغَيِّره الوارد .
- الخَوْف يوصلك إلى الله ، وهو أنْ لا تأمن وقوع البَطْش بك مع الأنفاس .
- ما أظْهَر عبْدٌ فَقْرَه إلى الله في وقْت الدُّعاء في شيء يَجِلّ به إلا قال الله لِملائكته :(لَوْلاَ أَنَّهُ لاَ يَحْتَمِلُ كَلاَمِي لأَجَبْتُهُ : لَبَّيْك) .
- مَن أكَل الحرام عَصَتْ جوارحه شاءَ أمْ أبَى عَلِم أوْ لمْ يَعْلَمْ ، ومَن كانت مَطْعَمَته حلالاً أطاعته جوارحه ووُفِّقَت لِلْخَيْرات .
- كُلّ وجْد لا يَشْهَد له الكتاب والسُّنَّة فهو باطل .
- حياة القلوب التي تموت بذِكْر الحيّ الذي لا يموت .
- **المعرفة غايتها شيئان :** الدّهش ، والحَيْرَة .
- ما أعْطِي أحد شيئاً أفْضَل مِن عِلْم يستزيد به افتقاراً إلى الله تعالى .
- ما عُبِدَ الله بشيء أفْضَل مِن مخالَفة الهوى .
- ليس بيْن العبد وبيْن الله حجاب أغْلَظ مِن الدّعْوى ، ولا طريق أقْرَب إليه مِن الافتقار .
- إذا قام العبد بما لله تعالى عليْه فحقيق على الله أنْ يقوم بما كان العبد قائماً به لِنَفْسه . =

= - إنّما حُجب الخَلْق عنْ مشاهَدة الملكوت وعن الوصول بسوء المَطْعَم وأذى الخَلْق .

- **لا يَفْتَح الله قَلْب عبْد فيه ثلاثةُ أشياء : حُبّ البقاء ، وحُبّ الغِنَى ، وهَمّ غد .**

- إذا جَنّك اللّيْل فلا تأمل النّهار ؛ حتّى تَسلّم ليْلتُك لك وتودّي حقّ الله فيها وتَنْصَح فيها نَفْسك ، فإذا أصبَحْتَ فكذلك .

- مَن طَعَن في التّوكّل فقدْ طَعَن في الإيمان ، ومَن طَعَن في التّكَسُّب فقدْ طَعَن في السُّنّة .

- تُرْبَة المعاصي الأمل ، وبذْرها الحِرْص ، وماؤها الجَهْل ، وصاحِبها الإصرار ، وتُرْبة الطّاعة المعرفة ، وبذْرها اليقين ، وماؤها العِلْم ، وصاحِبها السّعيد المُفَوّض أمورَه إلى الله تعالى .

- لا يَطّلِع على عثرات الخَلْق إلا جاهل ، ولا يَهتِك سِتْر ما اطّلَع عليه إلا ملعون .

- ما مِن يوم إلا والجليل سبحانه ينادي :(عَبْدي .. مَا أَنْصَفْتَنِي ؛ أَذْكُرُكَ وَتَنْسَانِي ، وَأَدْعُوكَ إِلَيَّ وَتَذْهَبُ إِلَى غَيْرِي ، وَأَذْهِبُ عَنْكَ الْبَلاَيَا وَأَنْتَ مُعْتَكِفٌ عَلَى الْخَطَايَا ، يَا ابْنَ آدَمَ .. مَا تَقُولُ غَداً إِذَا جِئْتَنِي) .

- قال الله تعالى :(كُلُّ نِعْمَةٍ مِنِّي عَلَيْكُمْ إِذَا عَرَفْتُمُوهَا صَيَّرْتُهَا لَكُمْ شُكْراً ، وَكُلُّ ذَنْبٍ كَانَ مِنْكُمْ إِذَا عَرَفْتُمُوهُ صَيَّرْتُهُ غُفْرَانا) .

- إنّ الذّاكر لله على الحقيقة لو هَمّ أنْ يُحْيِي المَوْتَى لَفَعَل .

- لِله في الخبز سِرّ ، وسألْتُ عنْه أكْثَر مِن عشرة آلاف عابد وعابد فما أحد منْهم أخْبَرَني بِسِرّ الخبز .

- إنّ الفَرَج كُلّه في تدبير الله لنا برضاه ، والشّقاء كُلّه في تدبيرنا ، ولا نَجِد السلامة حتّى نَكون في التّدْبير كأهْل القبور .

- **شيئان يُذْهِبان خوف الله مِن قَلْب العبد : أصل الدّعْوَى والمعصية ، وصاحِب المعصية إذا خَوّفْتَه واحتَجَجْتَ عليْه بالإيمان يَنْقَاد ويَخْضَع ويُقِرّ بالخَوْف ، وصاحِب الدّعْوَى لا يُقِرّ بالحقّ ولا يَنْقَاد لِلْخَوْف البتّة ، ولا يوجَد قَلْبٌ أخْلَى مِن الخَيْر ولا أقْسَى ولا أبْعَد مِن خوْف الله مِن قَلْب المُدّعِي .**

- المُؤمِن أكْرَمُ على الله مِن أنْ يَجْعَل رِزْقه مِن حَيْث يَحْتَسِب ، يَطْمَع المُؤْمِن في مَوْضِعٍ فيُمْنَع مِن ذلك ويأتيه مِن حَيْث لا يَحْتَسِب .

- ابتداء اليقين المكاشفةُ ؛ لِقوله :" لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ مَا ازْدَدْتُ يَقِينا " ، ثُمّ المعايَنة ، ثُمّ المشاهَدة .

تُوُفّي ﷺ سنَة ٢٨٣ هـ .

روى القُرْطُبيّ في تذكرته والقُشَيْرِيّ أنّه لَمّا مات سَهْل ﷺ انكَبّ النّاس على جنازته ، وحضرها مِن الخَلْق ما لا يَعْلَمه إلا الله تعالى ، وكانت في البلد ضَجّة ، فسَمِع بها يهوديّ شيْخ كبير فخَرَج ، فلَمّا رَأى الجنازة صاح وقال :" هلْ تَرَوْن ما أرى ؟! " قالوا :" وما ترى ؟! " قال :" أرَى قَوْماً يَنْزِلون مِن السّمَاء يَتَمَسّحون بالجنازة " ، ثُمّ أسْلَم وحَسُن إسلامه .

الحَدّاد (١) (٢) .

(١) هو أبو حَفْص عُمَر بن سلمة الحدّاد ﷺ ، من قرية " كورداباذ " بالقُرْب من نيسابور على طريق بُخَارَى ، أخَذ عن ابن خضرويه البَلْخِيّ وعبيد الله الأباورديّ ، وأخَذ عنه أبو عثمان النّيسابوريّ وشاه الكرمانيّ ومُحَمَّد بن عبد الوهاب الثّقفيّ .

قال المُرْتَعِش : دخَلْنَا مع أبي حَفْص على مريض نَعُوده ونَحْن جماعة ، فقال لِلمريض :" أتحبّ أنّ تَبْرَأ ؟ " قال :" نَعَمْ " فقال لأصحابه :" تَحَمّلوا عنه " ، فقام المريض وخرج معنا ، وأصْبَحْنَا كُلّنا أصحاب فُرُش نُعاد .. انظر : الرّسالة القُشَيْرِيّة /١٨٠ وطبقات الأولياء /١٩٥

من أقواله ﷺ :

- من هوان الدُّنْيَا عَلَيّ أنّي لا أبخل بها على أحد .
- حُسْن أدب الظّاهر عنوان حُسْن أدب الباطن .
- مَن لم يَزِنْ أفعاله وأحواله في كُلّ وقْت بالكتاب والسُّنّة ولمْ يَتّهِمْ خواطره فلا نَعُدّه في ديوان الرّجال .
- ما أسْرَع هلاك مَن لا يَعرف عيْبَه ؛ فإنّ المعاصي بريد الكفر .
- الخَوْف سراج القَلْب ؛ به يُبْصِر ما فيه من الخَيْر والشّرّ .
- **التّصَوُّف كُلّه آداب** : لِكُلّ وقْت أدب ، ولِكُلّ مقام أدب ، فمَن لَزِم آداب الأوقات بَلَغ مَبْلَغ الرجال ، ومَن ضَيّع الآداب فهو بعيد من حَيْث يظنّ القُرْبَ ومَرْدُودٌ من حَيْث يَرْجُو القبول .
- **آداب الفقير** : حِفْظ حرمات المشايخ ، وحُسْن العِشْرة مع الإخوان ، والنّصيحة لِلأصاغر ، وتَرْك الخصومات مع الأرفاق ، وملازمة الإيثار ، ومُجَانَبة الادّخار ، وتَرْك صُحْبَة مَن ليس على طريقهم ، ومعاوَنة الإخوان في أمْر دنياهم وآخرتهم ، فاعْرِضْ هذه الصّفات على نَفْسك فإنْ وَفّيْتَ بها فأنت فقير .
- إذا جَلَسْتَ لِلنّاس فكُنْ واعظاً لِقَلْبك ولِنَفْسك ، ولا يَغُرّنّك اجتماعهم عليك ؛ فإنّهم يراقبون ظاهِرك ، والله تعالى يراقب باطِنَك .
- أحْسَنُ ما يَتَوَسّل به العبد إلى مولاه : دوام الفقر إليه على جميع الأحوال ، ومُلازَمة السُّنّة في جميع الأفعال ، وطلبُ القوت من وجْهٍ حلال .
- مَن رَأى فضل الله عليه في كُلّ حال أرجو ألاّ يهلك .
- لا يصحّ لأحدٍ الفقر حتّى يكون العطاء أحَبّ إليْه من الأخذ ، وليس السّخاءُ أنْ يُعطي الواجدُ المُعْدمَ إنّما السّخاء أنْ يُعْطِي المُعْدمُ الواجد .

تُوُفّي ﷺ سنَة ٢٧٠ هـ .

(٢) انظر الرّسالة القُشَيْرِيّة /٢٢٤ ..

أقول : قال الإمام القشيريّ في هؤلاء : فمنْهم مَن آثَر الإقامة على السّفَر ولم يسافِر إلا لِفَرْض كحَجّة الإسلام ، والغالب عليْهم الإقامة .

ومِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسافِرْ (١) (٢) .

ومِنْهُمْ مَنِ اسْتَدَامَ السَّفَرَ إلَى أنْ خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا (٣) ، مِثْلَ : أبِي عَبْدِ اللهِ المَغْرِبِيِّ (٤) ، وإبراهيمَ بْنِ أدْهَم (٥) .

---

(١) انظر الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٢٤

(٢) **يقول السُّهْرَوَرْدِيّ** : يكون ذلك شَخْصاً ربّاه الحقّ سبحانه وتعالى وتَوَلاّه وفَتَح عليْه أبواب الخيْر وجَذَبه بعنايته ، وقدْ وَرَد :(جَذْبَةٌ مِنْ جَذَبَاتِ الْحَقِّ تُوَازِي عَمَلَ الثَّقَلَيْن) ، ثُمّ لمّا عَلِم منْه الصِّدْق ورأى حاجته إلى مَن يَنْتَفع به ساق إليْه بعض الصِّدِّيقين حتّى أيّده بلُطْفه ولَفْظه وتَدَاركه بلَحْظه ولَقّحه بقوّة حاله ، وكَفَاه يسير الصُّحْبة لِكمال الأهلِيّة في الصّاحب والمَصْحوب .. عوارف المَعارف /١١٦

(٣) **يقول السُّهْرَوَرْدِيّ** : وأمّا الذي أدَام السَّفَر : فرَأى صلاح قَلْبه وصِحّة حاله في ذلك .. عوارف المَعارف /١١٧

(٤) هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل المَغْرِبِيّ ﷺ ، وُلِد سَنَة ١٥٩ هـ ، أخَذ عن عليّ بن رزين الخراسانيّ ، وأخَذ عنه إبراهيم الخوّاص وأبو إسحاق القرميسينيّ وإبراهيم بن شيبان .

من أقواله ﷺ :

- أفْضَل الأعمال عمارة الأوقات بالموافقات .
- مَن ادّعَى العبوديّة وله مراد باقٍ فهو كاذب في دَعْوَاه ؛ إنّما تصحّ العبوديّة لِمَن أفْنَى مراداته وقام بمراد سيّده .
- أعْظَم النّاس ذلاً فقير داهَن غنيّاً وتَواضَع له ، وأعْظَم النّاسِ عِزّاً غَنِيٌّ تَذَلَّل لِلفقير أو حَفِظَ حرْمَتَه .
- مَن تَعَزَّز عن خدمة إخوانه أوْرَثه الله ذلاً لاَ يَنْفَكّ منْه أبدا .
- الفقير المُجَرَّد من الدُّنْيَا وإنْ لم يَعْمَلْ شيئاً من أعمال الفضائل ذرّة منه أفْضَل مِن هؤلاء المُتَعَبِّدين المُجْتَهدين ومعهم الدُّنْيَا ، بلْ ذرّة من عمل الفقير المُجَرَّد أفْضَل من الجبال من أعمال أهْل الدُّنْيَا .
- ما رَأيْتُ أنْصَف من الدُّنْيَا ؛ إنْ خَدَمْتَها خَدَمَتْك ، وإنْ تَرَكْتَها تَرَكَتْك .
- الفقير : الذي لا يرجع إلى مستند في الكَوْن غيْر الالتجاء إلى مَن إليه فقْره ؛ لِيُغْنِيه بالاستغناء به كما عَزّزه بالافتقار إليه .
- **أهْل الخصوص مع الله ثلاث منازل** : قوْم ضَنّ بهم عن البلاء لِكَيْلاَ يَسْتَغْرِق البلاء صَبْرهم فيَكْرَهون حُكْمَه ويكون في صدورهم حرج من قضائه ، وقوْم ضَنّ بهم عنْ مجاوَرة العصاة ؛ لِتَسْلَمَ صدورهم لِلعالَم فيَسْتَريحون ولا يغتمّون ، وقوْم صَبّ عليهم البلاء صبّاً فصَبَّرهم ورضّاهمْ فازدادوا بذلك له حُبّاً ورضاً بحُكْمه .

تُوُفِّي ﷺ سَنَة ٢٩٧ هـ ودُفِن على جبل الطّور بجانب شَيْخه عَلِيّ بن رزين .

(٥) انظر الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٢٤

وشَرْحُ حالِ كُلٍّ مِنْهُمْ ومَقْصِدِهِ فيمَا رَامَ يُخْرِجُنَا عنِ المُرَاد .

وبالجُمْلَةِ .. فالسَّفَرُ عَلَى ضَرْبَيْنِ (١) : سَفَرٌ بالأبدانِ ، وسَفَرٌ بالقُلوبِ ..

أمَّا الأوَّلُ : فبالانتقالِ مِنْ بُقْعَةٍ إلَى أُخْرَى .

وأمَّا الثَّاني : فهُوَ تَوَجُّهُ القَلْبِ إلَى الحَقِّ بالانْتِقالِ مِنْ صِفَةٍ إلَى صِفَةٍ **بأربَعَةِ أسفار** :

الأوَّلُ : بالسَّيْرِ إلَى الحقِّ في منازِلِ النَّفْسِ إلَى الوُصولِ إلَى الأُفُقِ المُبِينِ ومَبْدَأِ التَّجَلِّيَاتِ الأسمائيَّةِ .

الثَّاني : بالسَّيْرِ في الحقِّ بالتَّعَلُّقِ بأسمائِهِ وصِفاتِهِ إلَى الأُفُقِ الأعْلَى ونِهايَةِ الحَضْرَةِ الوَحْدانِيَّةِ .

الثَّالثُ : بالتَّرَقِّي إلَى حَضْرَةِ الجَمْعِ والحَضْرَةِ الأحَدِيَّةِ ، وهُوَ مَقَامُ (قَابَ قَوْسَيْنِ) مَا بَقِيَتِ الاثْنَيْنِيَّةُ ، وإلَيْهِ الإشارةُ بقَوْلِ الأُسْتَاذِ في التَّائِيَّةِ : (وفي قابِ قَوْسَيْنِ اجْتِمَاعُ الأحِبَّةِ) (٢) ، فإذَا ارْتَفَعَ عنْ ذلكَ فهوَ مَقَامُ (أوْ أدْنَى) .

الرَّابِعُ : بالسَّيْرِ بالحقِّ عنِ الحقِّ لِلتَّكْمِيلِ ، وهُوَ مَقَامُ البَقَاءِ بَعْدَ الفَنَاءِ ، والفَرْقِ بَعْدَ الجَمْعِ .

وإلَى هذهِ الأسفارِ بعضُهمْ بقَولِهِ أشَارَ :

لَيْسَ مَنْ لُوِّحَ بالوَصْلِ لَهُ ... مِثْلَ مَنْ سِيرَ بِهِ حتَّى وَصَلْ

لاَ ولاَ الواصِلِ عِنْدِي كالذي ... قَرَعَ البابَ وفي الدَّارِ حَصَلْ

لاَ ولاَ الحاصِلُ عِنْدِي كالذي ... سارَرُوهُ وهُوَ لِلسِّرِّ مَحَلّ

لاَ ولاَ مَنْ سارَرُوهُ عِنْدِي كالذي ... صارَ إيَّاهُمْ فدَعْ عَنْكَ الجَدَلْ (٣)

وبالجُمْلَةِ .. فإذَا تَحَقَّقَتِ الحقائقُ عَلِمَ العَبْدُ أنَّهُ بَعْدُ في أوَّلِ المَنْزِلِ ، فأيْنَ الوُصُولُ ؟! هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ! مَنازِلُ طريقِ الوُصُولِ لاَ تَنْقَطِعُ أبَدَ الآبادِ في عُمُرِ الآخِرَةِ الأبَدِيِّ ، فكَيْفَ في العُمُرِ القَصِيرِ الدُّنْيَوِيِّ ؟!

وحكاياتُ القَوْمِ في السَّفَرِ تَخْتَلِفُ عَلَى مَا ذَكَرْنَا مِنْ أقسامِهِمْ في أحوالِهِمْ ،

(١) انظر الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٢٤

(٢) الجَوْهَرة المُضِيَّة /٣٧٨ ، ٣٨٩

(٣) من نَظْم سيِّدي محيي الدِّين بن عربيّ ﷺ .

ولاَ حاجَةَ لِلإطالةِ بِذِكْرِهَا .

ومِنْ شاهِدِ عُذُوبَةِ الماءِ بِبَرَكَاتِهِمْ : أنَّ الشَّيْخَ أبَـا الحَسَنِ الشَّـاذُلِيَّ لَمَّـا دُفِنَ بِحُمَيْثِرَا وغُسِّلَ مِنْ مائِهَا عَذُبَ الماءُ بَعْدَ ذلكَ وكَثُرَ حتَّى صارَ يَكْفِي الرَّكْبَ إذَا نَزَلَ عَلَيْهِ ، ولَمْ يَكُنْ كذلكَ قَبْلَ ذلكَ (١) ..

وإلَى ذلكَ أشارَ أبُو عَبْدِ اللهِ بنُ النُّعْمَانِ بقَوْلِهِ في قصيدةٍ لهُ :

رَأَيْتُ لَـهُ بَعْدَ المَمَـاتِ عَجَائِباً تَدُلُّ عَلَى مَنْ كانَ لِلفَتْحِ يَجْحَدُ (٢)

ومَا أشَارَ إلَيْهِ أُسْتَاذُنَا بقَوْلِهِ : (إذَا وَرَدُوا الأَطْلاَلَ تاهَتْ بِهِمْ عُجْباً) إلَى آخِرِهِ **حاصِلُهُ** : أنَّ " مَنْ أحْكَمَ مِنْ هَذِهِ الطَّائفةِ أمْرَهُ في الابْتِـداءِ بلزومِ الصُّحْبَـةِ وحُسْنِ الاقْتِداءِ وارْتَوَى مِنَ الأحوالِ وبلَغَ مَبْلَغَ الرِّجالِ وانْبَجَسَتْ مِنْ قَلْبِهِ عُيُونُ ماءِ الحَياةِ وصارَتْ نَفْسُهُ مُكْتَسِيةً لِلسَّعاداتِ استَنْشَـقَ نَفَسَ الرَّحْمَنِ مِنْ صُدُورِ الصَّادِقِينَ مِنَ الإخوانِ في أقطارِ الأرضِ وشاسِعِ البُلْدانِ ، واشْـرَأَبَّ إلَـى التَّلاَقِ وانْبَعَثَ إلَى السَّيْرِ في الآفاقِ ، وسَيَّرَهُ مَوْلاَهُ في البِـلادِ لِفـائدةِ العِبـادِ ، يَسْتَخْرِجُ بِمِغْناطيسِ حالِهِ خبْءَ أهْلِ الصِّدْقِ والمُتَطَلِّعِينَ إلى مَنْ يُخْبِرُ عَنِ الحقِّ ، ويَبْذُرُ في أرْضِ القُلُوبِ بُذُورَ الفَـلاحِ ، فيَكْثُرُ بِبَرَكَـةِ نَفسِـهِ وصُحْبَتِـهِ أهْلُ الصَّـلاحِ ، وهذا مَثَلُ هذهِ الأمَّةِ الهادِيةِ فـي الإنجيـلِ ﴿ **كَزَرْعٍ أخْـرَجَ شَطْئَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ** ﴾ (٣) ، تَعُودُ بَرَكةُ البَعْضِ عَلَى البَعْضِ ، وتَسْرِي الأحْوالُ مِنَ البَعْضِ إلَى البَعْضِ ، ويَكونُ طريقُ الوِرَاثَةِ مَعْمُوراً ، وعَلَمُ الإفادةِ مَنْشُورا "(٤).

ومِنْ شَواهِدِ قَوْلِ الأُسْتَاذِ (وإنْ لَمَسُوا عُوداً زَهَا غُصْنُهُ رَطْبَا) : قَوْلُ أبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ (٥) :" كُنَّا مَعَ ذِي النُّونِ في البادِيةِ ، فنَزَلْنَا تحْتَ شَجرةٍ مِـنْ

---

(١) انظر : لطائف المِنَن /٥٥ ودرّة الأسرار /٢٢٢ ونـور الأبصـار /٤٠٦ والكواكب الزّاهرة لابن مغيزل /٧٨

(٢) انظر لطائف المِنَن /٥٥

(٣) سورة الفتح من الآية ٢٩

(٤) من كلام سيّدي أبي بكْر الزّقّاق ﷺ .. انظر عوارف المَعارف /١١٦

(٥) هو أبو بكْر بن عبد الرَّحْمَن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزوميّ القرشيّ ﷺ ، أحد الفقهاء السّبْعَة بالمدينة المُنوّرة ، وُلِد في خلافة سيّدنا عُمَر ﷺ ، كان يقال له " راهِب قريش " لِكثرة =

أُمِّ غيلانَ ، قُلْنَا :" مَا أَطْيَبَ هَذاَ المَوْضِعَ لَوْ كانَ فيهِ رُطَبٌ ! " ، فتَبَسَّمَ ذُو النُّونِ وقالَ :" تَشْتَهُونَ الرُّطَبَ ؟! " ، وحَرَّكَ الشَّجَرَةَ قائلاً :" أَقْسَمْتُ عَلَيْكِ بالذي ابْتَدَاكِ وخَلَقَكِ شَجَرَةً إلاَّ نَثَرْتِ عَلَيْنَا رُطَباً جَنِيّاً " فنَثَرَتْ رُطَباً جَنِيّاً ، فأكَلْنَا وشَبِعْنَا ، ثُمَّ حَرَّكْنَاهَا فنَثَرَتْ شَوْكا " (١) .

ولَو لَمْ يَكُنْ مِنْ شَواهِدِ ذلكَ إلاَّ قِصَّةُ مَرْيَمَ التي أَخْبَرَ اللهُ عَنْهَا بكِتابِهِ ـ حَيْثُ قال ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ (٢) ـ لَكَفَى ؛ إذْ قَدْ رُوِيَ أنَّها كانَتْ نَخْلَةً لاَ رأْسَ لَهَا ولاَ ثَمَرَ ، وكانَ الوَقْتُ شِتاءً ، فهَزَّتْهَا فجَعَلَ اللهُ لَهَا رأْساً وخُوصاً ورُطَبا ..

وفي أمْرِهَا بالهَزِّ إشارَةٌ إلَى أنَّ الأسبابَ وتَعاطِيَهَا لاَ يُنافِي التَّوَكُّلَ عَلَى ربِّ الأربابِ ، ولَوْ شاءَ الحقُّ سُبْحَانَهُ لأَوْجَدَ لَهَا الرُّطَبَ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ كَمَا قيلَ :

أَلَمْ تَرَ أنَّ اللهَ قالَ لِمَرْيَمَ ... إلَيْكِ فَهُزِّي الجِذْعَ يَسَّاقَطُ الرُّطَبْ

ولَوْ شاءَ أَدْنَى الجِذْعَ مِنْ غَيْرِ هَزِّهَا ... إلَيْهَا ولَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ سَبَبْ

ومِنْ مَنَاقِبِهِ : مَا قالَهُ بـ" الحَقَائِقِ " ـ أيضاً ـ مِنْ أنَّ قاضِياً كانَ بالإسكندَرِيَّةِ يَحُطُّ عَلَى الفُقَرَاءِ ويُؤْذِيهِمْ ، فأَرْسَلَ إلَيْهِ ورَقَةً كَتَبَ فيهَا :

سِهَامُ اللَّيْلِ صائبَةُ المَرَامِي ... إذَا وُتِرَتْ بأَوْتَارِ الخُشُوعِ

يُصَوِّبُهَا إلَى المَرْمَى رِجَالٌ ... يُطِيلُونَ السُّجُودَ مَعَ الرُّكُوعِ

بأَشْفَاهٍ تُهَمْهِمُ فِي دُعَاهَا ... بأَجْفَانٍ تَفِيضُ مِنَ الدُّمُوعِ

إذَا أَوْتَرْنَ ثُمَّ رَمَيْنَ سَهْماً ... فلاَ يُغْنِي التَّحَصُّنُ بالدُّرُوعِ

فلَمَّا قَرَأَهَا قَضَى نَحْبَهُ ؛ إذْ شَهَقَ شَهْقَةً فمَاتَ (٣) ..

= صَلاته ، أَخَذَ عن أبيه وسَيِّدنا عمّار بن ياسر وسَيِّدنا أبي هريرة ﷺ ، وأَخَذ عنه مجاهد وعُمَر ابن عبد العزيز والزّهريّ .

قال ابن سعْد : قال عبد الملك (ابن مروان) : إنّي لأهتمّ بالشيء أفْعَله بأهْل المدينة لِسوء أثرِهم عندنا فأَذْكُر أبا بَكْر بن عَبْد الرَّحْمَن فأَسْتَحْيِي منه فأَدَع ذلك الأمر .

تُوُفِّي ﷺ بالمدينة سَنَة ١٩٤ هـ .

(١) انظر : الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٩٠ ورَوْض الرَّياحين /٢١٢ وجامع كرامات الأولياء ٦٢٦/١

(٢) سورة مريم الآية ٢٥

(٣) انظر : طبقات الأبرار لِلبقاعي /١١٥ ونور الحدق /٦٣ ونور الأبصار /٣٩٩

وأخبَرَني بَعْضُ عُلَمَاءِ المالِكيَّةِ ـ نَفَعَ اللهُ بِهِ ـ أنَّهُ وَقَفَ عَلَى هَذِهِ القَضيَّةِ ، وأنَّ الذي كَتَبَهُ الأُسْتَاذُ هُوَ نُقْطَةُ الباءِ ، والْتَمَسَ مِنِّي ـ لَمَّا وَرَدْتُ عَلَى المَحَلَّةِ الكُبْرَى ـ وَجْهَ ذلِكَ ، فأخْبَرْتُهُ باطِّلاعي عَلَى " الحقائقِ " وأنَّ الذي بِهِ كِتابةُ الأبياتِ المَذْكُورَةِ ، فنَشَأ السُّؤَالُ عَنْ وَجْهِ الجَمْعِ بَيْنَ الكلامَيْنِ معَ السُّؤالِ الأوَّلِ فظَهَرَ الجَوابُ عَنْ ذلكَ واللهُ أعلمُ بذلكَ : أنَّ الكِتابَةَ وَقَعتْ مِنَ الشَّيْخِ مَرَّتَيْنِ :

الأُولَى : بالنُّقْطَةِ ؛ إشارةً إلَى أنَّ الفقراءِ وإنْ كانوا بالنِّسْبَةِ إلَى أبناءِ الدُّنْيَا في الدُّنْيَا أسْفَلَ مِنْهُمْ كنُقْطَةِ الباءِ أسْفَلَ مِنْهَا إلاَّ أنَّهُمْ في المَرْتَبَةِ أعْلَى مِنْهُمْ ؛ إذْ هُمْ مُوَصِّلُونَ لَهُمْ إلَى نَيْلِ المَقَاماتِ السَّنِيَّةِ في الدَّارِ الأُخْرَوِيَّةِ ، فعَلَى يَدِهِمْ يَكُونُ التَّعْرِيفُ بحالِ السَّعِيدِ المُحْسِنِ إلَيْهِمْ والشَّقِيِّ المُعْرِضِ عَنْهُمْ أوِ المُؤْذِي لَهُمْ كتَعْرِيفِ الباءِ بالنُّقْطَةِ ؛ إذْ لَوْلاَهَا لالْتَبَسَتْ بالتَّاءِ والثَّا ..

أوْ أنَّ الإشارَةَ بالنُّقْطَةِ إلَى أنَّ الفُقَراءَ مُلُوكُ الدُّنْيَا والآخِرةِ ، كالنُّقْطَةِ ؛ ركَّبَ الحقُّ مِنْهَا مَا خَلَقَ في الدُّنْيَا والآخِرة .

فلَمَّا لَمْ يَفْهَمِ القاضي الإشارةَ ولَمْ يَكُفَّ عَنْ أذِيَّتِهِمْ نَفْسَهُ الأمَّارةَ فحَذَّرَهُ الأُسْتَاذُ مِنْ تَفْوِيقِ السِّهَامَ بصَرِيحِ الكَلاَمِ لاجِئاً إلَى مَوْلاهُ ، فحَكَمَ عَلَيْهِ بِمَا أمْضَاهُ فرَشَقَتْهُ سِهامُ الرَّبِّ قائلة ﴿ مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ﴾ (١) ، كَيْفَ والوَقِيعةُ فيهِمْ أكْلٌ لِلُحومِهِمْ ولُحومُهُمْ مَسْمُومةٌ (٢) والآلامُ والكوائنُ لِمُتَنَاوِلِ السُّمِّ مَعْلُومَةٌ ؟! فلاَ يَبْعُدُ أنْ يَخِرَّ مَنْ هَذَا وَصْفُهُ مَيْتاً (٣) ، ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً ﴾ (٤) ، وكَفَى زاجِراً عَنِ الغِيبَةِ القُرْآنُ ، ومَا رَوَاهُ

(١) هذا الحديث القدسيّ بداية حديث ﴿ ... وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ ، وَلاَ زَالَ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ ... ﴾ الحديث ، وقد سبق تخريجه .. انظر هامش صفحة ١٠٤ من الكتاب .

(٢) من أقوال سيّدي أبي العبّاس المُرْسِيّ ﷺ .. انظر : لطائف المِنَن /٩٠ وطبقات الشّعرانيّ /٣٨٢

(٣) قال سهل بن عبد الله التّستريّ ﷺ : إيّاكم ومعاداة مَن شهره الله تعالى بالولاية ، وإنّه كان بالبصرة وليّ لله تعالى فعاداه قَوْم وآذوه فغَضِب الله عليهم فأهْلَكَهم أجمعين في ليلة ..

طبقات الشّعرانيّ /١٣٦

(٤) سورة الحجرات من الآية ١٢

أبُو داودَ (١) مِنْ قَوْلِهِ ﷺ ﴿ لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ ، فَقُلْتُ : " مَنْ هَؤُلاَءِ يَا جِبْرِيلُ " قَالَ : " هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِم " ﴾ (٢) .

فإنْ قُلْتَ : قَدْ ذَكَرَ الأُسْتَاذُ في رِسالَتِهِ ـ تَبَعاً لِلْقَوْمِ ـ أنَّ " الفقيرَ لاَ يَكُونُ فقيراً حتَّى لاَ يُؤْذِيَ مَنْ يُؤْذِيهِ ، إذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ ، وإذَا قَدَرَ عَفَى ، فهُوَ كالسُّلْطَانِ مَهَابَةً ، وكالعَبْدِ الذَّلِيلِ تواضعاً ومَهانَةً ... " (٣) إلَى آخرِ كَلامِهِ ..

ولِهَذَا قالَ أبُو العبَّاسِ المُرْسِيُّ :" كانَ إذَا آذَانِيَ إنسانٌ يَهْلِكُ لِوَقْتِهِ ، وأنَا الآنَ لَسْتُ كذلك " ..

قالَ ابنُ عَطَاءٍ :" فرَآنِي مُسْتَشْرِفاً لِسَبَبِ ذلكَ فقالَ :" اتَّسَعَتِ المَعْرِفَةُ " (٤) .

(١) هو الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزديّ السّجستانيّ ﷺ ، مِن أكابر أئمّة المُحَدّثين وعلمائهم بالنّقل والعِلَل ، وأحد أصحاب الصّحاح السّتّة ، وُلِد بسجستان سَنَة ٢٠٢ هـ ، أخَذ عن الإمام أحمد والقعنبيّ ومسلِم بن إبراهيم ، وأخَذ عنه التِّرْمذيّ وأبو عوانة وأبو بكْر الخلاّل .

قال عنْه إبراهيم الحربيّ : أُلِينَ الحديثُ لأبي داود كما أُلِينَ الحديدُ لِداود ، وجَمَع مع عِلْمِه الوَرَع والتَّقْوَى .

مِن مؤلّفاته : السُّنَن ، المراسيل ، النّاسخ والمَنْسُوخ .

تُوفِّي ﷺ بالبصرة سَنَة ٢٧٥ هـ .

(٢) سُنَن أبي داود ٢٦٩/٤ كما أخرَجه الإمام أحمد ٢٢٤/٣ والبَيْهَقيّ في الشّعب ٢٩٩/٥ والطّبريّ في صريح السُّنَّة /٢٨٨ والطّبرانيّ في الأوسط ٧/١ ومُسْنَد الشّاميّين ٦٨/٢ والدَّيْلَميّ ٤٣٠/٣ والخطيب البغداديّ ١١٦/٥ عن سَيِّدنا أنس ﷺ

(٣) نصّ ما قاله سَيِّدي إبراهيم ﷺ : لا يكون الفقير فقيراً حتّى يكون حَمّالاً لِلأذى مِن جميع الخلائق ، يَحْمِل ويَحتَمِل ؛ إكراماً لِمَن هُمْ عبيده سبحانه وتعالى ، فلا يؤذي مَن يؤذيه ، ولا يَتَحَدَّث فيما لا يَعْنِيه ، ولا يَشْمت بمصيبة ، ولا يَتْكُر أحداً بغيبة ، وَرِعاً عن المُحَرَّمات ، موقوفاً عن الشّبهات ، إذا بُلِي صَبَر ، وإذا قدر غَفَر ، لا بخيل ولا جبان ولا حقود ولا نَمّام ولا حسود ، يُحِبّ في الله ويُبْغِض في الله ، في الشّدائد صبور ، وفي الرّخاء شكور ، إذا قَدَر عَفَى ، وإذا وَعَد وَفَى ، قليل المؤنة كثير المعونة ، فهو كالسُّلْطان مَهابَةً ، وكالعبد الذّليل تواضعاً ومهانةً ، طريقه الغضّ والكظْم والبذْل والإيثار والعفو والصّفْح والاحتمال لِكُلّ مَن يَتَحَدَّث فيه بما لا يُرْضيه ، يَعْمُر الأرض بجسده ، ويَسكُن العُلا بقَلْبه .. الجَوْهَرة المُضيئة /٢٠٨ ، ٢٥١ ، ٢٨٤ وانظر طبقات الشّعرانيّ /٢٩٦ ، ٢٩٧

(٤) انظر لطائف المِنَن /٩٠

فالجَوابُ : أنَّ انتِصارَ الحَقِّ لأولِيائِهِ لَيْسَ لأنَّهُمْ طَلَبُوهُ مِنَ اللهِ ، بَلْ لَمَّا صَدَقُوا التَّوكُّلَ عَلَيْهِ وأَرْجَعُوا الأمْرَ إلَيْهِ انْتَصَرَ الحَقُّ لَهُمْ ؛ كَمَا قالَ سُبْحَانَه ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِين ﴾ (١) ، ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُه ﴾ (٢) ﴿ واللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِه ﴾ (٣) ، فهُوَ الغالِبُ الذي لاَ يُغْلَبُ ، والقادِرُ الذي لاَ يَعْجَزُ ، والقَهَّارُ الذي لاَ قِبَلَ لأهْلِ السَّمَاواتِ والأرضِ بِذَرَّةٍ مِنْ بَلائِهِ ، ولَوْ وَضَعَ ذَرَّةً مِنْ ذَرَّاتِ قَهْرِهِ عَلَى الجِبالِ لأذابَتْهَا (٤) ، فوَلِيُّ اللهِ مَعَ اللهِ كوَلَدِ اللَّبُؤَةِ في حِجْرِهَا ؛ أتَرَاهَا تاركةً وَلَدَهَا لِمَنْ أرادَ اغتِيالَه (٥) ؟!

ولَوْ سُلِّمَ أنَّ ذلكَ بِطَلَبِ الأُسْتَاذِ مِنَ اللهِ الانْتِصَارَ فهُوَ لَمْ يُرِدْهُ لِنَفْسِه .

عَلَى أنَّ أولياءَ اللهِ إذَا ظُلِمُوا عَلَى طَبَقاتٍ (٦) :

الأُولَى : يَدْعُونَ عَلَى ظالِمِهِمْ لِصَرْفِ أذاهُ عَنْهُمْ ونَزْعِ ضُرِّهِ مِنْهُمْ ..

فهَؤلاءِ لاَ يُرَدُّ دُعاؤُهُمْ ؛ لِلحديث ﴿ اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى حِجَاب ﴾ (٧) .

المَرْتَبَةُ الثَّانِيةُ : إذَا ظُلِمُوا لَجَأُوا إلَى اللهِ في طَلَبِ النُّصْرَةِ ، عالِمِينَ أنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وأَخْفَى ، فرَفَعُوا أمْرَهُمْ إلَيْهِ سِرّاً بِسِرّ ..

وهؤلاءِ أوْلَى بانْتِصَارِ الحقِّ لَهُمْ ؛ لِتَوكُّلِهِمْ عَلَيْهِ ، ولإرجاعِهِمُ الأمْرَ إلَيْهِ :

(١) سورة الرُّوم من الآية ٤٧

(٢) سورة الطَّلاق من الآية ٣

(٣) سورة يوسف من الآية ٢١

(٤) من كلام التَّاج بن عطاء الله ﷺ .. انظر لطائف المِنَن /٩١

(٥) من كلام سيِّدي أبي العبَّاس المُرْسِيّ ﷺ ..

انظر : لطائف المِنَن /٢٢ ولطائف المِنَن لِلشعرانيّ /٦٧٧ وطبقات الشعرانيّ /٣٧٨

(٦) هذا التَّصْنِيف ذَكَره التَّاج ابن عطاء الله ﷺ .. انظر ذلك في لطائف المِنَن /٩١ - ٩٦

(٧) أخْرَجه مُسْلِم ٥٠/١ وابن أبي شيبة ٣٥٣/٢ عن سيِّدنا معاذ بن جبل ﷺ ، والبخاريّ ٥٤٤/٢ والتِّرْمذيّ ٢١/٣ وأبو داود ١٠٤/٢ والنَّسائيّ ٣٠/٢ وابن ماجة ٥٦٨/١ وأحمد ٢٣٣/١ وابن حبّان ٤٧٥/١١ وابن خزيمة ٢٣/٤ والبَيْهَقيّ ٩٦/٤ والدَّارقطنيّ ١٣٥/٢ وابن منده ٢٥٣/١ وأبو نُعَيم في المُسْنَد المُسْتَخْرَج ١١٤/١ عن سيِّدنا عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما .

كَمَا وَقَعَ لِتِلْكَ المَرْأَةِ التي كانَتْ لَهَا دَجَاجَةٌ تَتَقَوَّتُ بِبَيْضِهَا ، فسَرَقَهَا لِصٌّ فلَمْ تَدْعُ عَلَيْهِ وأَرْجَعَتْ أَمْرَهَا إِلَى اللهِ ، فلَمَّا ذَبَحَهَا اللِّصُّ ونَتَفَ ريشَهَا أَنْبَتَهُ اللهُ بِوَجْهِهِ ولَمْ يَقْدِرْ أحدٌ عَلَى إِزَالَتِهِ ، حتَّى أَتَى حَبْراً مِنْ بَنِي إسرائيلَ فقالَ :" لاَ أَجِدُ لكَ دَواءً إلاَّ أَنْ تَدْعُوَ عَلَيْكَ المَرْأَةُ " ، فأَرْسَلَ إِلَيْهَا مَنْ رَاوَدَهَا حتَّى أَثَارَ الغَضَبَ مِنْهَا فدَعَتْ عَلَيْهِ فتَسَاقَطَ الرِّيشُ مِنْ وَجْهِهِ ، فقِيلَ لِذلِكَ الحَبْرِ :" مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ هَذَا ؟! " قالَ :" إِنَّها لَمَّا سُرِقَتْ دجاجَتُهَا فلَمْ تَدْعُ عَلَيْهِ ورَجَعَتْ إِلَى اللهِ في أَمْرِهِ فانْتَصَرَ اللهُ لَهَا ، فلَمَّا دَعَتْ عَلَيْهِ انْتَصَرَتْ لِنَفْسِهَا فسَقَطَ الرِّيشُ مِنْ وَجْهِ السَّارِقِ " (١) .

المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ : إِذَا ظُلِمُوا لَمْ يَدْعُوا ولَمْ يَلْجَأُوا في طَلَبِ الانْتِقَامِ ، بَلْ فَوَّضُوا الأمرَ إِلَيْهِ ، فكانَ هُوَ المُخْتَارَ لَهُمْ .

المَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ : إِذا ظُلِمُوا رَحِمُوا مَنْ ظَلَمَهُمْ (٢) ..

فمَا أَحْسَنَ حالَكَ إِذَا رُحِمَ بِكَ مَنْ ظَلَمَكَ (٣) !

ومِنْ هَذَا القَبِيلِ : أَنَّ جُنْدِيّاً قالَ لإبراهيمَ بْنِ أَدْهَمَ :" أَيْنَ العُمْرَانُ ؟ " فأَشَارَ إِلَى المَقَابِرِ ، فظَنَّ أَنَّهُ يَهْزَأُ بِهِ فضَرَبَهُ فشَجَّهُ ، فطَأْطَأَ رَأْسَهُ وقالَ :" اضْرِبْ رَأْساً طَالَمَا عَصَى اللهَ " ، فقِيلَ لِلْجُنْدِيِّ :" هَذَا ابْنُ أَدْهَمَ زاهِدُ خُراسانَ ! " ، فقَبَّلَ قَدَمَهُ واعْتَذَرَ إِلَيْهِ ، فقالَ ابْنُ أَدْهَمَ :" واللهِ مَا رَفَعْتَ يَدَكَ مِنْ ضَرْبِي إِلاَّ وأَنَا أَسأَلُ اللهَ لَكَ المَغْفِرَةَ ؛ لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّ اللهَ يُثِيبُنِي عَلَى مَا فَعَلْتَ بِي ويُؤَاخِذُكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ ، فاسْتَحْيَيْتُ أَنْ يَكونَ حَظِّيَ مِنْكَ الخَيْرَ وحَظُّكَ مِنِّي

(١) انظر لطائف المِنَن /٩١ ، ٩٢

(٢) قال التّاج ابن عطاء الله ﷺ : وهذا شأنهم في بداياتهم ؛ عِلْماً منهم بوجود البقايا فيهم ، فخافوا أنْ يَنتصروا فيَنتصروا لِنفوسهم فيَسقطون مِن عيْن الله ، فرجعوا إلى وجود الحِلْم ، كافّين أيديهم عن الانتصار لِعِلْمهم بآفات الانتصار لِلنَّفْس .. انظر لطائف المِنَن /٩٤

وقال سيِّدي أبو الحَسَن الشّاذليّ ﷺ : هَمَمْتُ أنْ أدْعُو على ظالِم فنوزِعْتُ في ذلك ، فرَأَيْتُ أستاذي ﷺ يقول : إن يشأ إهلاك ظالِم فلا تَستَعْجِلْ له ؛ فالاستعجال لِلإهلاك لِلأعداء وإرادة النَّصْر لِلأولياء مِن الشَّهْوة الخفيّة ، ومَن أَظْلَم مِمَّن ينازِع إرادة مولاه وتَبِع شهوة نَفْسه وهواه ؟!

(٣) مِن كلام سيِّدي أبي الحَسَن الشّاذليّ ﷺ .. انظر درّة الأسرار /١٢٧

الشَّرّ " (١) .

المَرْتَبَةُ الخامِسةُ : تَطَهَّرُوا مِنَ البَقَايَا وكَمُلَتْ فيهِمُ المَزَايَا فصارُوا مِن أُمَنَاءِ اللهِ ، نَفْسُ الواحِدِ مِنْهُمْ ونَفْسُ غَيْرِهِ سَواءٌ ، فرُبَّمَا يَدْعُو عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ لاَ لأَنَّهُ آذاهُ بَلْ لِكَوْنِهِ آذَى وَلِيّاً مِنْ أَولِيائِهِ ، فَلَمْ يَسْتَقْضِ الحَقَّ لِنَفْسِهِ بَلْ لِرَبِّه (٢) ..

ومِنْ هذهِ المَرْتَبَةِ وهِيَ أَكْمَلُ مِمَّا قَبْلَهَا : مَا فَعَلَهُ أَحَدُ العَشَرَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ الذينَ بَشَّرَهُمْ بالجَنَّةِ نَبِيُّ الرَّحمةِ ﷺ وهُوَ سَعْدٌ : ادَّعَتْ عَلَيْهِ امرَأَةٌ أَنَّهُ احتازَ شَيئاً مِنْ بُسْتَانِهَا فقالَ :" اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَأَعْمِهَا وَأَمِتْهَا فِي مَكَانِهَا " ، فعَمِيَتْ وجاءَتْ تَمْشِي في بُسْتَانِهَا فوقَعَتْ في بِئْرٍ فماتَتْ (٣) (٤) .

ولَمَّا دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى عُثْمَانَ الدَّارَ لَطَمَ أَسنانَ زَوْجَتِهِ ، فدَعَا عَلَيْهِ عُثْمَانُ ﷺ بِقَطْعِ يَدَيْهِ ورِجْلَيْهِ وإخلادِهِ في النَّارِ ، فرُؤِي ذلكَ الرَّجُلُ بالشَّامِ وقَدْ قُطِعَتْ يَدَاهُ ورِجْلاَهُ وهُوَ يَقولُ :" دَعْوَةُ عُثْمَانَ استُجِيبَتْ في اثْنَتَيْنِ ، وبَقِيَتِ الثَّالِثَةُ " (٥) .

ومِنْ هُنَا قَدْ تَلْتَبِسُ أحوالُ الرِّجالِ عَلَى عُمومِ الرِّجالِ فيُفَضِّلُون ولِيّاً ظُلِمَ وصَفَحَ عَلَى ولِيٍّ ظَلَمَ فانْتَصَرَ عَلَى الوَجْهِ المَذْكُورِ ، ولَيْسَ كذلكَ ، فلْيُنْتَبَهْ لِهَذِهِ الدَّقِيقَةِ ؛ فقَدْ يَكُونُ صَفْحُ مَنْ صَفَحَ لِعِلْمِهِ بالبقايَا في نَفْسِهِ ، ودُعَاءُ الدَّاعي لِعِلْمِهِ بِتَطْهِيرِهِ مِنَ البقايَا فدَعَى انْتِصاراً لِرَبِّه (٦) .

ومِنْ مَنَاقِبِهِ رَحمَةُ اللهِ عَلَيْهِ : أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ مُكاتَبَاتٌ يُرْسِلُها إِلَى الأُمَرَاءِ وغَيْرِهِمْ لِقَضاءِ حوائجِ النَّاسِ ، فيها مِنَ المَواعِظِ ما يُبْهِرُ الأَلبابَ مِنَ العُلُومِ والحَقائِقِ والأَسرارِ وحلاوَةِ اللَّفْظِ والهَيْبَةِ التي تَجِدُهَا عِنْدَ ذِكْرِكَ لِكَلامِهِ واستِمَاعِكَ إِيَّاه ..

---

(١) انظر لطائف المِنَن /٩٤

(٢) قال التّاج ابن عطاء الله ﷺ : فإذا تَمّتْ أنوارهم وتَطَهّرَتْ من البقايا أسرارهم حكّمهم في العباد وأدلّهم عليه ، فحينئذٍ يكون العبد المُجْتَبَى سَيْفاً من سيوف الله ؛ يَنْتَصِر الله به لِنَفْسه ..

لطائف المِنَن /٩٥

(٣) انظر لطائف المِنَن /٩٢

(٤) قال سيّدي أبو العبّاس المُرْسيّ ﷺ : ما فَعَله سَعْد هو عين الكمال .. انظر لطائف المِنَن /٩٢

(٥) انظر لطائف المِنَن /٩٥

(٦) انظر لطائف المِنَن /٩٥

وكانَ شَأنُهُ إذَا أرادَ أنْ يكْتُبَ افْتتَحَ الكِتَابَةَ بقَوْلِهِ :" هَذَا مِمَّا فَتَحَ اللهُ بهِ مِنْ فَواتِحِ الغَيْبِ مِنْ رَوْضَةِ النَّفْسِ في حَضْرَةِ القُدْسِ " (١) ، ولاَ يَزَالُ يكْتُبُ بتِلْكَ المدَّةِ الواحِدةِ حتَّى يَنْقَطِعَ الكلامُ سَواءٌ قَلَّ أوْ كَثُر .

فوقَعَ أنَّهُ أغْلَظَ القَوْلَ في مُرَاسَلَةٍ لِلسُّلْطانِ الأشْرَفِ خَليلِ بْنِ قلاوونَ (٢) ، فغَصَّ مِنْ كلامِ الشَّيْخِ ، وتَسَبَّبَ في قَتْلِهِ (٣) فأرْسَلَ إلَيْهِ بشَهْدٍ مَسْمُومٍ ، فقالَ الأُسْتَاذُ لِلْفُقَرَاءِ :" هَذَا شَهْدٌ إنْ شاءَ اللهُ ؛ كُلُوهُ ولاَ مُبالاةَ إنْ شاءَ اللهُ " فأكَلَهُ الفقراءُ فلَمْ يُؤثِّرْ فيهِمْ ، فبَعَثَ لهُ السُّلْطانُ بَعْضَ أُمَرَائِهِ ، فلَمَّا وَصَلَ إلَى دُسُوقٍ نَصَبَ خَيْمَتَهُ بشاطئِ نِيلِ مِصْرَ واستَدْعَى الشَّيْخَ ، فأرْسَلَ لهُ الشَّيْخُ أن " اجْلِسْ في خَيْمَتِكَ " فلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الحركَةِ ، فمَكَثَ فيهَا أيَّاماً ، وأبْطَأَ عَلَى السُّلْطانِ خَبَرُ قاصِدِهِ ، فأرْسَلَ إلَيْهِ سَبَّاعاً بِسَبْعٍ عَظيمٍ ، فلَمَّا قَدِمَ السَّبْعُ عَلَى المكانِ الذي فيهِ الشَّيْخُ انْقَطَعَ الطَّوْقُ مِنْ رَقَبَتِهِ ورُمِيَتِ السِّلْسِلةَ مِنْ يَدِ السَّبَّاعِ ، فأمَرَ الشَّيْخُ بتعليقِهَا في مِحْرابِهِ الذي يُصَلِّي فيه ..

قالَ القُطْبُ الحَلَبِيُّ (٤) :" وهيَ مُعَلَّقَةٌ عَلَى ضَريحِهِ إلَى يَوْمِنَا هَذَا " .

فخَشِيَ السَّبَّاعُ عَلَى الشَّيْخِ ومَا عَلِمَ الحالَ ، فقالَ لهُ الشَّيْخُ :" دَعْهُ ؛ فإنَّهُ لاَ يَفْتَرِسُ إلاَّ الغافِلَ " ، فلَمْ يُسَلْسِلْهُ بَعْدَ ذلك ..

---

(١) انظر الجَوْهَرة المُضيئة /١٧ ، ٤٨ ، ٨٠ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ١٠٣ ، ١١٣ ، ١٧٣ ، ٢٣٨ ، ٢٧١ ، ٢٨٣

(٢) هو المَلِكُ الأشرف صلاح الدِّين خليل بن المنصور قلاوون ، حكَم مِصْر ما بيْن سَنَتَيْ ٦٨٩ - ٦٩٣ هـ . كان بطلاً شجاعاً ذا هِمَّة عليّة وسياسة رضيّة .

قُتِل رحمه الله غدراً على يد نائبه الأمير بيدرا بالبحيرة سَنَة ٦٩٣ هـ ، ودُفِن بالقُرْب مِن مَشْهَد السَّيِّدة نفيسة رضي الله عنها .

(٣) أيْ : سَعَى خليل بن قلاوون في التَّدْبير لِقَتْل سَيِّدي إبراهيم ﷺ .

(٤) هو الحافظ قُطْب الدِّين عَبْد الكريم بن عَبْد النُّور بن منير الحَلَبِيّ المِصْرِيّ ﷺ ، وُلِد في سَنَة ٦٦٤ هـ ، أخَذ عن ابن البخاريّ وإسماعيل المليجيّ وإبراهيم المنقذيّ ، وأخَذ عنه سراج الدِّين ابن المُلَقِّن وأمّ عيسى مريم بنت أحمد الأذرعيّ والذّهبيّ

مِن مؤلَّفاته : تاريخ مِصْر ، شَرْح صحيح البخاريّ .

تُوُفِّي ﷺ سَنَة ٧٣٥ هـ .

وجَرَتْ أمورٌ غيْرُ ذلكَ ، فمَا وَسِعَ السُّلْطانَ إلاَّ أنْ حَضَرَ عِندَهُ مُعْتَذِراً ، وظَهَرَ لهُ مِنْهُ أحوالٌ مُخْرِقةٌ ، فسألَهُ أنْ يَطْلُبَ بِلاداً مِنْ بَيْتِ المالِ يُوقِفُها عَلَيْهِ فقالَ :" هَذِهِ الجَزِيرةُ إذَا دُبِّرَ أمْرُها كَفَتِ الفُقَرَاءَ " ، وبَشَّرَهُ بالنَّصْرِ عَلَى مَنْ قَصَدَهُمْ مِنَ الغُزَاةِ ، ففَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ عكَّا (١) ، فكانَ بَعْدَ ذلكِ يكْتُبُ لِلشَّيْخِ : " مَمْلُوكُكَ خَلِيل " .

وهَذِهِ المَنْقَبَةُ يَسْتَخْرِجُ مِنْهَا جواهِرَ ثَمِينةً مَنْ غاصَ في بَحْرِ الإشاراتِ وفَهِمَ العِباراتِ ؛ إذْ مَنْ لَمْ يُدْرِكِ الإشاراتِ لَمْ يَفْهَمِ العِبارات ..

فمِنْ تِلكَ الجَواهرَ الثَّمِينةِ : قَدْ مَرَّ ذِكْرُ حديثَيْنِ في فَضيلَةِ مَنْ أقامَهُ اللهُ لِقَضاءِ حوائجِ النَّاسِ عِنْدَ طَلَبِ الأستاذِ أنْ يكونَ فِداءً لِجَميعِهِمْ ..

ومِمَّا وَرَدَ في ذلكَ : قَوْلُهُ ﷺ **﴿ إنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَلْقاً خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ ، يَفْزَعُ إلَيْهِمُ النَّاسُ فِي حَوَائِجِهِمْ ، أُولَئِكَ هُمُ الْآمِنُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى ﴾** .. رواهُ أبُو نُعَيمٍ (٢) والقُضَاعيُّ (٣) في مُسْنَدِ الشِّهابِ عنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضيَ

(١) وكان فتح عكا سنَة ٦٩٠ هـ ، وهي آخِر حِصْن كان بيد الصليبيين في الشام ، وبفتحها انتهت الحروب الصليبية في الشام في العصر الوسيط .

(٢) هو الحافظ أبو نُعَيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصفهانيّ ﷺ ، ولِد سَنَة ٣٣٦ هـ ، أمْلَى كتابه " حِلْيَة الأوْلِياء " من صدْره وقدْ نَيَّف على الثَّمانين ، أخَذ عن أبي العبّاس الأصمّ وأبي بكْر بن السُّنِّيّ وأبي القاسم الطّبرانيّ ، وأخَذ عنه أبو سَعْد الماليني وأبو بكْر الخطيب وبندار الخلقانيّ .

قال حمزة بن العبّاس العلويّ : كان أصحاب الحديث يقولون :" بقي الحافظ أبو نُعَيم أربع عشرة سَنَةً لا نظير له شَرْقاً ولا غَرْباً أعْلَى إسناداً منْه ولا أحْفَظَ منْه .

مِن مؤلَّفاته : دلائل النُّبُوَّة ، حِلْيَة الأوْلِياء ، فضائل الصَّحَابة ، الطِّبّ ، تاريخ أصبهان .

تُوُفِّي ﷺ بأصفهان سَنَة ٤٠٣ هـ عنْ ٩٤ سنة .

(٣) هو القاضي أبو عبْد الله مُحَمَّد بن سلامة بن جَعْفَر بن عَلِيّ القُضَاعيّ المِصْريّ الشّافعيّ ﷺ ، أخَذ عن أبي مُسْلِم الكاتب وأحمد بن عُمَر الجيزيّ وأبي مُحَمَّد بن النّحّاس المالكيّ ، وأخَذ عنه أبو نَصْر بن ماكولا وأبو عبد الله الحميديّ والخطيب البغداديّ .

مِن مؤلَّفاته : مُسْنَد الشّهاب الثّاقب ، مناقب الإمام الشّافعيّ ، الإنباء عن الأنبياء وتواريخ الخلفاء .

تُوُفِّي ﷺ بمصر سَنَة ٤٥٤ هـ .

اللهُ عنْهُمَا (١) (٢) .

(١) حِلْيَة الأَوْلِياء ٢٢٥/٣ ومُسْنَد الشّهاب ١١٧/٢ ، كما أَخْرَجه الطّبرانيّ ٣٥٨/١٢ وابن عديّ في الكامل ١٩٠/٤

(٢) هو أبو عبد الرّحْمن سيّدنا عبد الله بن عُمَر بن الخطاب رضي الله عنهما ، كان مِن عُبّاد الصّحابة وزهّادهم ، وكان إذا قام له رجل مِن مجلسه لمْ يَجْلِسْ فيه .

قال عنْه سيّدنا جابر وسيّدنا أبو سعيد الخدريّ : مَا رَأَيْنَا أَحَداً إِلاَّ قَدْ مَالَتْ بِهِ الدُّنْيَا أَوْ مَـالَ بِهَا إِلاَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَر .

وروى ابن سَعْد قال : كان ابن عُمَر إذا رآه أحد كأنّ به شيئاً مِن اتّباعه آثار النّبيّ ﷺ .

خَطَب الحَجّاجُ النّاسَ حتّى أَمْسَى ، فناداه ابن عُمَر رضي الله عنهما :" أَيُّهَا الرَّجُلُ .. الصَّلاَةَ فَاقْعُد " ثُمّ ناداه الثّانية والثّالثة ، فنَهَض وقال :" الصَّلاَةَ .. فَإِنِّي لاَ أَرَى لَكَ فِيهَا حَاجَة " ، فنَزَل الحَجّاج فصلّى ثُمّ دعا به فقال :" ما حَمَلك على ما صَنَعْتَ ؟ " فقال : إِنَّمَا نَجِيءُ لِلصَّلاَةِ ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَصَلِّ بِالصَّلاَةِ لِوَقْتِهَا ثُمَّ بَقِيَ بَعْدَ ذَلِكَ مَا شِئْتَ مِنْ بَقْبَقَة .

وسَمِع ﷺ رجلاً يُنْشِد بيْت الحطيئة :

متى تأْتِهِ تعشو إلى ضوء نارِهِ تَجِدْ خيْرَ نارٍ عندَها خَيْرُ مُوقِدِ

فقال ﷺ :" ذَاكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ " إعجاباً بالبيت ، يعني أنّ مِثْل هذا المَدْح لا يَسْتَحِقّه إلا النّبيّ ﷺ .

وعن عبد الرحمن بن سعد قال : كُنْتُ عند ابن عُمَر فخدرَت رِجْلُه ، فقلْتُ :" يا أبا عبد الرّحْمَن ما لِرِجْلك ؟ " قال :" اجْتَمَعَ عَصَبُهَا مِنْ هَاهُنَا " قلتُ :" ادْعُ أَحَبّ النّاس إليك " قال :" يَا مُحَمَّد " فبَسَطها .. طبقات ابن سَعْد ١٥٤/٤

وسُئِل ﷺ عنْ شيء فقال :" لاَ عِلْمَ لِي بِه " فلَمّا أَدْبَر الرَّجُل قال لِنَفْسه : سُئِلَ ابْنُ عُمَرَ عَمَّا لاَ عِلْمَ لَهُ بِهِ فَقَالَ : لاَ عِلْمَ لِي بِه ..

وسُئِل ﷺ :" هلْ كان أصحاب رسول الله ﷺ يَضْحكون ؟ " فقال : نَعَمْ وَالإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ أَعْظَمُ مِنَ الْجِبَال .

مِن أقواله ﷺ :

- مَا آسَى مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ عَلَى ثَلاَثٍ : ظَمَإِ الْهَوَاجِرِ ، وَمُكَابَدَةِ اللَّيْلِ ، وَأَلاَّ أَكُونَ قَاتَلْتُ هَذِهِ الْفِئَةَ الْبَاغِيَةَ الَّتِي حَلَّتْ بِنَا .
- لَوْ وُضِعَتْ إِصْبَعِي فِي خَمْرٍ مَا أَحْبَبْتُ أَنْ تَتْبَعَنِي .
- الْبَسْ مِنَ الثِّيَابِ مَا لاَ يَزْدَرِيكَ فِيهِ السُّفَهَاءُ وَلاَ يَعِيبُكَ بِهِ الْحُلَمَاء .
- لاَ يَكُونُ الرَّجُلُ مِنَ الْعِلْمِ بِمَكَانٍ حَتَّى لاَ يَحْسُدَ مَنْ فَوْقَهُ وَلاَ يَحْقِرَ مَنْ تَحْتَهُ وَلاَ يَبْتَغِيَ بِالْعِلْمِ ثَمَنًا .
- إِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَسَاءِ ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِسُقْمِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ .

وقَولُهُ ﷺ ﴿ مَنْ قَضَى لِأَخِيهِ حَاجَةً كُنْتُ وَاقِفاً عِنْدَ مِيزَانِهِ : فَإِنْ رَجَحَ وَإِلاَّ شَفَعْتُ لَه ﴾ .. رَوَاهُ أَبُو نُعَيمٍ في " الحِلْيَةِ " عنِ ابْنِ عُمَرَ أيضاً (١) ، وهَذَا ثَوَابٌ عَظِيمٌ قَدْ تَفَضَّلَ اللهُ بِهِ لِمَنْ قَضَى لأَخِيهِ المُؤْمِنِ حاجةً .

وقَولُهُ ﷺ ﴿ مَنْ مَشَى فِي عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْفَعَتِهِ فَلَهُ ثَوَابُ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّه ﴾ .. رَوَاهُ الحارث بن أبي أسامة (٢) عن عَلِيٍّ ﷺ (٣) .

وقَولُهُ ﷺ ﴿ مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ سَبْعِينَ حَسَنَةً وَكَفَّرَ عَنْهُ سَبْعِينَ سَيِّئَةً ، فَإِنْ قُضِيَتْ حَاجَتُهُ عَلَى يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، فَإِنْ مَاتَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَاب ﴾ .. رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الخرائطيُّ (٤) في كتابِ " مَكارِمِ الأخلاقِ " عَنْ أَنَسٍ

= - مَنْ ذَكَرَ خَطِيئَةً أَلَمَّ بِهَا فَوَجَلَ مِنْهَا قَلْبُهُ مُحِيَتْ عَنْهُ فِي أُمِّ الْكِتَاب .

- لَوْ صَلَّيْتُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَالْحَنَايَا وَصُمْتُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَالأَوْتَارِ لَمْ يُقْبَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ بِوَرَعٍ حَاجِزٍ .

- مَنْ خَدَعَنَا بِاللَّهِ انْخَدَعْنَا لَه .

- أَحْيُوا الْحَيَاءَ بِمُجَالَسَةِ مَنْ يُسْتَحْيَا مِنْه .

- إِنَّ مَنْ جَمَعَ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِعَيٍّ ، وَمَنْ أَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ لَيْسَ بِبَخِيلٍ .

- الْحَيَاءُ وَالإِيمَانُ مَقْرُونَانِ جَمِيعاً ، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا ارْتَفَعَ الآخَرُ مَعَه .

- لاَ يُصِيبُ عَبْدٌ شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ نَقَصَ مِنْ دَرَجَاتِهِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ كَرِيما .

- أَحَقُّ مَا طَهَّرَ الْعَبْدُ لِسَانُه .

- يَا ابْنَ آدَمَ .. صَاحِبِ الدُّنْيَا بِبَدَنِكَ وَفَارِقْهَا بِقَلْبِكَ وَهِمَّتِك .

- اتَّقِ اللَّهَ .. لاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي بُطُونِهِمْ وَعَلَى ظُهُورِهِم .

تُوُفِّي ﷺ بمكّة سنَة ٧٤ هـ عنْ ٨٤ سنَة .

(١) حِلْيَة الأَوْلِياء ٦/٢٥٣

(٢) هو أبو مُحَمَّد الحارث بن أبي أسامة التَّميميّ البغداديّ ﷺ ، ولِد سَنَة ١٨٢ هـ ، أَخَذ عن عَلِيّ ابن عاصم ويزيد بن هارون والواقديّ ، وأَخَذ عنه أبو بَكْر بن أبي الدُّنْيَا ومُحَمَّد بن جرير الطَّبريّ وأبو بَكْر بن خلاد .

تُوُفِّي ﷺ سَنَة ٢٨٢ هـ .

(٣) مُسْنَد الحارث بن أبي أسامة ١/٣١٦

قال في كَنْز العمّال (١٦٤٦٦) : أَخْرَجه ابن النَّجّار عن عَلِيّ ﷺ .

(٤) هو أبو بَكْر مُحَمَّد بن جَعْفَر بن مُحَمَّد بن سَهْل بن شاكر السّامريّ الخرائطيّ ﷺ ، أَخَذ عن =

ابْنِ مالك (١) .

وقَوْلُهُ ﷺ ﴿ مَنْ كَانَ وَصْلَةً لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ فِي مَنْفَعَةِ بِرٍّ أَوْ تَيْسِيرِ عُسْرٍ أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى إِجَازَةِ الصِّرَاطِ يَوْمَ دَحْضِ الْأَقْدَامِ ﴾ ..

رواهُ أَبُو طاهِرٍ المَقْدِسِيُّ في أحاديثِ الشِّهابِ عنِ ابْنِ عُمَر (٢) .

وقَوْلُهُ ﷺ ﴿ مَنْ قَضَى لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ حَاجَةً كَانَ كَمَنْ خَدَمَ اللَّهَ عُمُرَه ﴾ ..

رَوَاهُ البُخارِيُّ في تاريخِهِ الكَبِيرِ عنْ أَنَس (٣) .

وقَوْلُهُ ﷺ ﴿ مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَتَهُ ، وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُؤْمِنٍ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ، وَلاَ يَزَالُ اللَّهُ فِي عَوْنِهِ مَا دَامَ فِي عَوْنِ أَخِيه ﴾ ..

= الحَسَن بن عرفة وعُمَر بن شبة وعَلِيّ بن حَرْب ، وأَخَذ عنه القاضي يوسف الميانجيّ وأحمد ابن موسى السّمسار وعبد الوهاب الكلابيّ .

مِن مؤلّفاته : مكارم الأخلاق ، مساوئ الأخلاق ، اعتلال القلوب ، هواتف الجانّ .

تُوُفِّي ﷺ بيافا سَنَة ٣٢٧ هـ .

(١) مكارم الأخلاق /٣٧ وأخْرَجه ابن أبي الدُّنْيا في اصطناع المعروف /٣٦ وابن عديّ ١٩٩/٣ والطّبرانيّ في الأوسط ٣٤٤/٣ والخطيب البغداديّ ٨٣/١١ وأبو يَعْلَى ١٧٥/٥

(٢) مُسْنَد الشّهاب ٣١٤/١ وأخْرَجه البَيْهَقِيّ /١٦٧ وفي الشّعب ١١٤/٦ وأبو الحُسَيْن الصّيداويّ في مُعْجَم الشُّيوخ /١٣١ عن سَيِّدنا عبد الله بن عُمَر رضي الله عنهما ، وابن حبّان ٢٨٧/٢ والقُضاعيّ ٣١٥/١ والطّبرانيّ في الأوسط ٤٨/٤ والصّغير ٢٧٤/١ ومُسْنَد الشّاميّين ٣٠٧/١ وأبو الحَسَن الهَيْثَميّ في مَوارد الظّمآن /٥٠٥ عن السَّيِّدة عائشة رضي الله عنها .

قال في " كنز العمّال " (١٦٤٦١ ، ١٦٤٦٢) : وأخْرَجه ابن عساكر عن ابن عُمَر رضي الله عنهما ، وابن عساكر والحَسَن بن سفيان والخرائطيّ في مكارم الأخلاق عن السَّيِّدة عائشة رضي الله عنها .

(٣) التّاريخ الكبير ٤٣/٨ وأخْرَجه أبو نُعَيم ٢٥٥/١٠ والخطيب البغداديّ ١١٤/٣ وابن أبي الدُّنْيا في قضاء الحوائج /٨٨ عن سَيِّدنا أَنَس ﷺ ، والدَّيْلَميّ ٥٤٥/٣ عن سَيِّدنا عبد الله بن عُمَر رضي الله عنهما .

قال الحافظ العراقيّ : وأخرَجه الطّبرانيّ والخرائطيّ كلاهما في " مكارم الأخلاق " مِن حديث أنس بسند ضعيف مرسلا .. تخريج أحاديث الإحياء هامش ٢٠٨/٢

أقول : وأخْرَجه أبو نُعَيم ٢٥٥/١٠ والخطيب البغداديّ ١١٤/٣ عن سَيِّدنا أَنَس بن مالك ﷺ ، والدَّيْلَميّ ٥٤٥/٣ عن سَيِّدنا عبد الله بن عُمَر رضي الله عنهما .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ وابْنُ أَبِي الدُّنْيَا (١) في " اصْطِنَاعِ المَعْرُوفِ " عنْ أَبِي هُرَيْرَة (٢) .

وقَوْلُهُ ﷺ ﴿ مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً جَعَلَ اللَّـهُ لَـهُ شُعْبَتَيْنِ مِنْ نُورٍ يَسْتَضِيءُ بِنُورِهِمَا عَالَمٌ لاَ يُحْصِيهِ إِلاَّ رَبُّ الْعِزَّة ﴾ ..

رَوَاهُ الطَّبَرانيُّ في الأوسَطِ عنْ أبي هُرَيرَةَ أيْضا (٣) .

وقَوْلُهُ ﷺ ﴿ مَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ فَنَاصَحَهُ فِيهَا جَعَلَ اللَّـهَ بَيْنَـهُ وَبَيْـنَ النَّارِ سَبْعَةَ خَنَادِقَ مَا بَينَ الْخَنْدَقِ وَالْخَنْدَقِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْض ﴾ ..

رَوَاهُ أَبُو نُعَيمٍ وابنُ أَبِي الدُّنْيَا عنِ ابْنِ عبّاس (٤) .

وقَوْلُهُ ﷺ ﴿ إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ ، يُقِرُّهَا فِيهِمْ مَـا بَذَلُـوا فَإِذَا مَنَعُوهَا حَوَّلَهَا مِنْهُمْ وَجَعَلَهَا فِي غَيْرِهِم ﴾ ..

رَوَاهُ أَبُو نعَيمٍ والطَّبرانيُّ في الأوسط عنِ ابْنِ عُمَر (٥) .

وقَوْلُهُ ﷺ ﴿ مَا مِنْ إِمَامٍ يُغْلِقُ بَابَهُ دُونَ ذَوِي الْحَاجَةِ والخَلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ إِلاَّ أَغْلَـقَ اللَّهُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَمَسْكَنَتِه ﴾ ..

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وأَحْمَدُ (٦) عنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّة (٧) .

---

(١) هو أبو بكْر عبيد الله بن مُحَمَّد بن عبيد ابن أبـي الدُّنْيَا القرشيّ ﷺ ، ولِد سَنَة ٢٠٨ هـ ، كان يُؤَدِّب المُكْتَفِي والمُعْتَضِد العبّاسيَّيْن ، أخَذ عن الزّبير بن بكّار والقاسم بن سلام وإبراهيم بن المنذر ، وأخَذ عنه ابن ماجة وابن أبي حاتم وأبو بكر النّجّاد .

مِن مؤلفاته ﷺ : العفو ، ذمّ الفُحْش ، أخبار قريش ، تزويج السَّيِّدة فاطمة ، مكارم الأخلاق . تُوُفِّي ﷺ ببغداد سَنَة ٢٨١ هـ .

(٢) صحيح مُسْلِم ٢٠٧٤/٤ واصطناع المعروف /٤٣ وأخْرَجه التِّرْمِذيّ ٣٤/٤ وأحمد ٢٥٢/٢ والبَيْهَقيّ في الشعب ٢٦١/٢ وابن أبي الدّنيا في قضاء الحوائج /٨٨

(٣) المُعْجَم الأوسط ٣٨٦/٤ وأخْرَجه الدَّيْلَميّ ٥٢٨/٣ والخطيب البغداديّ ٥٢/١٢

قال في " كَنْز العمّال " (١٦٤٧٢) : وأخْرَجه ابن عساكر عن أبي هريرة ﷺ .

(٤) حِلْيَة الأوْلِياء ٢٠٠/٨ وقضاء الحوائج لابن أبي الدُّنْيَا /٨٨

(٥) حِلْيَة الأوْلِياء ١١٥/٦ والمُعْجَم الأوسط ٢٢٨/٥ وأخْرَجه الخطيب البغداديّ ٤٥٩/٩ والبَيْهَقيّ في الشّعب ١١٧/٦ وابن أبي الدُّنْيَا في قضاء الحوائج /٨٤ وأبو نُعَيم ١١٥/٦

(٦) سُنَن التِّرْمِذيّ ٦١٩/٣ ومُسْنَد أحمد ٢٣١/٤ وأخْرَجه الحاكم ١٠٦/٤ وأبو يَعْلَى ١٣٥/٣ وعبْد ابن حميد ١١٩/١ والبَيْهَقيّ في الشّعب ٢٢/٦ والخلّال في السُّنَّة ٤٤٩/٢

(٧) هو الصّحابيّ الجليل أبو طلحة سيّدنا عمرو بن مُرّة بن عبس بن مالك الجهنيّ ﷺ ، أسْلَم قديماً =

والخَلَّةُ بالفَتْحِ : الحاجَةُ والفقر .

وقَولُهُ ﷺ ﴿ أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ صَدَقَةُ اللِّسَانِ ﴾ قيلَ :" يَا رَسُولَ اللهِ .. وَمَا صَدَقَةُ اللِّسَانِ ؟ " قال ﴿ الشَّفَاعَةُ تَفُكُّ بِهَا الأَسِيرَ وتَحْقِنُ بِهَا الدَّمَ وتَجُرُّ بِهَا الْمَعْرُوفَ إِلَى أَخِيكَ وَتَدْفَعُ عَنْهُ كَرِيهَةَ ﴾ ..

رَوَاهُ الطَّبرانيُّ في " المَكَارِمِ " عنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَب (١) (٢) .

وقَولُهُ ﷺ ﴿ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا اللَّهُ ، قَدَّرْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ؛ فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلْتُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلْتُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْه ﴾ ..

رَوَاهُ الطَّبَرانيُّ عنْ ابنِ عبّاس (٣) .

وقَولُهُ ﷺ ﴿ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ رَحْمَتِي فَارْحَمُوا خَلْقِي ﴾ ..

رواهُ ابنُ عدِيٍّ (٤) في كتابِ " الكامِلِ " عنْ أبي بكْر (٥) .

وفي مَعْنَى هَذَا الحَدِيثِ : مَا حَدَّثَنِي بِهِ الشَّيْخُ الحافِظُ فَخْرُ الدِّينِ أَبُو عُمَرَ

= وصَحِب النَّبيَّ ﷺ وشَهِد معه المشاهد ..

تُوُفِّي ﷺ بالشّام في خلافة عَبْد الملك بن مروان .

(١) هو الصّحابيّ الجليل أبو سليمان سيِّدنا سَمُرَة بن جُنْدَب بن هلال الفزاريّ ﷺ ، كان ﷺ شديداً على الخوارج ، يقيم عليهم الحُجّة ويَمْنَعهم من نَشْرِ عقائدهم الفاسدة ، وكان الحَسَن البصريّ وابن سيرين يثْنيان عليه ويُجِلاّنه لأجْل ذلك .

تُوُفِّي ﷺ بالبصرة سَنَة ٥٨ هـ .

(٢) قال أبُو عبد الله السّلَميّ في " تخريج أحاديث الأربعين " لِلحافظ عبد العظيم المُنْذِريّ : رواه الطّبرانيّ في " المكارم " عن سَمُرَة بن جُنْدَب رفعه .. انظر كشف الخفاء ١٧٣/١

أقول : وأخْرَجه الطّبرانيّ ــ أيضاً ــ في الكبير ٢٣٠/٧ والبَيْهَقيّ في الشّعب ١٢٤/٦ والدَّيْلَميّ ٣٤٥/١ والقضاعيّ ٢٤٣/٢

(٣) المُعْجَم الكبير ١٧٣/١٢ وأخْرَجه البَيْهَقيّ في الاعتقاد /١٤٥ عن سيِّدنا أبي أمامة الباهليّ ﷺ .

(٤) هو الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عديّ بن عبد الله بن مُحَمَّد بن مبارك الجرجانيّ ﷺ ، يُعرَف بـ" ابن القطّان " ، وُلِد سَنَة ٢٧٧ هـ ، أخَذ عن النّسائيّ وأبي يَعْلَى وأبي القاسم البغويّ ، وأخَذ عنه ابن عقدة والماليني وحمزة السّهميّ

من مؤلّفاته : الكامل في ضعفاء الرجال ، الأبصار في الفقه .

تُوُفِّي ﷺ بجرجان سَنَة ٣٦٥ هـ .

(٥) الكامل ٣٠/٣ وأخْرَجه الدَّيْلَميّ ٢٥٢/٥

عُثْمَانَ الدِّيَمِيُّ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - (١) يَوْمَ الثَّلاثَاءِ ثَالِثَ عَشَرَ رمضانَ سَنَةَ تِسْعِمائةٍ بسكَنِهِ بالقاهِرةِ المَحْرُوسةِ بخَطٍّ بَيْنَ العَوَامِيدِ مِنَ الحديثِ المُسَلْسَلِ (٢) ، وهُوَ أَوَّلُ حديثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ لَفْظِهِ وحِفْظِهِ كاملاً بسَنَدِهِ ، قالَ : حَدَّثَنَا بِهِ قاضِي القُضَاةِ شَيْخُ الإسلامِ حافِظُ العَصْرِ وفَرِيدُ الدَّهْرِ أَبُو الفَضْلِ شِهابُ الدِّينِ أَحْمَدُ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانيُّ الأصلِ ثُمَّ المِصْرِيُّ (٣) - وهُوَ أَوَّلُ حديثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ لَفْظِهِ وحِفْظِهِ - قالَ : حَدَّثَنَا بِهِ الشَّيْخُ الإمامُ الحافِظُ زَيْنُ الدِّينِ أَبُو الفَضْلِ عَبْدُ الرَّحِيمِ ابْنُ الحُسَيْنِ العِراقِيُّ (٤) - وهُوَ أَوَّلُ حديثٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ - قالَ : حَدَّثَنَا بِهِ الإمامُ المُسْنِدُ صَدْرُ الدِّينِ أَبُو الفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بنِ إبراهيمَ الميدُوميُّ (٥) - وهُوَ أَوَّلُ

(١) هو الحافظ فَخْر الدِّين أبو عَمْرو عثمان بن مُحَمَّد بن عثمان بن ناصر الدِّيَمِيّ الشَّافعيّ ﷺ ، نسبةً إلى " ديمة " بلد والده ، وُلِد في طبنا سَنَة ٨٢١ هـ ، أَخَذ عن ابن حَجَر الهيتميّ والمحبّ الطّبريّ وابن حَجَر العسقلانيّ ، وأَخَذ عنه بدْر الدِّين بن الشويخ ومُحَمَّد البسطاميّ وشهاب الدِّين بن السّراج ، كان يُدَرِّس الحديث في المَسْجِد الأحمديّ بطنطا .

تُوُفِّي ﷺ سَنَة ٩٠٨ هـ .

(٢) يُسَمَّى هذا الحديث " المُسَلْسَل بالأوليّة " ؛ لِقول كُلّ راوٍ : وهو أوّل حديث سَمِعْتُه مِنْه .

(٣) هو شهاب الدِّين أبو الفَضْل أحمد بن عَلِيّ بن مُحَمَّد ﷺ ، العسقلانيّ الأصل ، المِصْرِيّ الكنانيّ المولد ، الشّافعيّ المذهب ، وُلِدَ سَنَة ٧٧٣ هـ ، قاضي القضاة ، أَخَذ عن الفيروزآباديّ وابن المُلَقِّن وزَيْن الدِّين العراقيّ ، وأَخَذ عنْه الشَّمْس السّخاويّ وأبو زكريّا الأنصاريّ والبرهان البقاعيّ ..

قال عنْه الحافظ السّيوطيّ : وقدْ أُغْلِق بَعْده الباب وخُتِم به هذا الشّأن ..

مِن مؤلَّفاته : فتح الباري ، لسان الميزان ، الإصابة ، تهذيب التّهْذيب ، تعجيل المنفعة .

تُوُفِّي ﷺ سَنَة ٨٥٢ هـ ودُفِن بالقرافة الصُّغْرى قريباً مِن الإمام اللَّيْث .

(٤) هو الحافظ زيْن الدِّين أبو الفَضْل عبد الرَّحِيم بن الحُسَيْن بن عبد الرَّحْمَن بن أبي بَكْر العراقيّ الشّافعيّ ﷺ ، وُلِد بمنشأة المَهرانيّ (موضع بالقاهرة حالياً) سَنَة ٧٢٥ هـ ، سُمِّي بـ" عبد الرَّحِيم " تَيَمُّناً بسَيِّدي عبد الرَّحِيم القنائيّ ، وُلِّي قضاء المدينة المُنَوَّرة ، أَخَذ عن تقيّ الدِّين القنائيّ (حفيد سَيِّدي عبد الرحيم القنائيّ) والتّقيّ السّبكيّ وعلاء الدِّين التّركمانيّ وأبي الفتح الميدوميّ ، وأَخَذ عنه ابن حَجَر العسقلانيّ ونور الدِّين الهيتميّ وابنه وليّ الدِّين .

مِن مؤلَّفاته : الألفيّة في الحديث ، تخريج أحاديث الإحياء ، المراسيل ، نُكَت ابن الصلاح .

تُوُفِّي ﷺ بالقاهرة سَنَة ٨٠٦ هـ .

(٥) هو صَدْر الدِّين أبو الفَتْح مُحَمَّد بن شرف الدِّين مُحَمَّد بن إبراهيم بن أبي القاسم الميدوميّ ﷺ =

حديثٍ سَمِعتُهُ مِنْهُ ـ قالَ : حَدَّثَنَا بِهِ الإمامُ نَجيبُ الدِّينِ أَبُو الفَرَجِ عَبْدُ اللَّطيفِ بْنُ عَبْدِ المُنْعِمِ الـ عرَّانيُّ (١) ـ وهُوَ أَوَّلُ حديثٍ سَمِعتُهُ مِنْهُ ـ قالَ : حَدَّثَنَا بِهِ الشَّيْخُ الإمامُ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الجَوْزِيِّ (٢) ـ وهُوَ أَوَّلُ حديثٍ سَمِعتُهُ

= ولِد سنَة ٦٦٤ هـ ، أخَذ عن ابن علاق والنَّجيب أبي الفَرَج عبد اللطيف بن عبد المُنْعِم وأبي بَكْر ابن الأنماطيّ ، وأخَذ عنه الحافظ ابن رجب الحنبليّ وسراج الدّين بن المُلَقّن ونور الدّين بن البنّاء .

تُوُفّي ﷺ سنَة ٧٥٤ هـ ودُفِن بالقرافة .

(١) هو نجيب الدّين أبو الفَرَج عبد اللطيف بن عبد المُنْعِم بن عليّ بن نصْر الحرّانيّ الحنبليّ ﷺ ، ولِد بحرّان سنَة ٥٨٧ هـ ، أخَذ عن ابن كليب وابن المعطوش وابن الجَوْزِيّ ، وأخَذ عنه عثمان ابن أحمد الطّاهريّ وأبو العبّاس بن أبي الفتح الحلبيّ وابن غاليّ .

تُوُفّي ﷺ بالقاهرة سنَة ٦٧١ هـ .

(٢) هو جمال الدّين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحَسَن عَلِيّ بن مُحَمَّد بن الجَوْزِيّ البغداديّ الحنبليّ رَحِمه الله ، ولِد بواسط سنَة ٥١٠ هـ ، أخَذ عن الجيلانيّ وابن الحصين وأبي غالب بن البناء وأخَذ عنه أبو الفَرَج عبد اللطيف بن عبد المُنْعِم .

قال الإمام الموقانيّ (ت ٦٦٤ هـ) عنه : إنّه كان كثير الغلط فيما يُصنّفه ؛ فإنّه كان يَفْرُغ مِن الكتاب ولا يَعتَبِره .

وقال الذّهَبيّ : هكذا هو له أوهام وألوان مِن تركْ المراجعة وأخْذ العِلْم مِن الصُّحُف ، وصنّف أشياءَ لو عاش عُمُراً ثانياً لَمَا لَحِق أنْ يُحَرِّره ويُتْقِنه .. سيَر أعلام النُّبلاء ٣٧٨/٢١

مِن زلّاته التي انتَقَده عليها أكابر العلماء والصّالحين تأليفه لِكتاب ذاع وانتَشَر في هذه الأيّام وتلَقّفته أيادي الإنكار في سائر الأقطار ، ألاَ وهو كتاب " تلبيس إبليس " ..

ويَكْفي لِلرّدّ عليه أنْ نَنْقِل ما قاله إمامان جليلان فيه ، هُمَا : سلطان العلماء عِزّ الدّين بن عبد السّلام ، والإمام اليافعيّ ..

أمّا العزّ بن عبد السلام : فقدْ ألّف كتاباً في الرّدّ على كتاب ابن الجوزيّ أسماه " تلبيس إبليس " قال في مقدّمته : وبَعْدُ .. فإنّي لَمّا اطّلعْتُ على كتاب " تلبيس إبليس " رَأَيْتُه بئس الجليس ؛ فإنّه يَشْتَمِل على تنقيص أولياء الله ، والقَدْح في عُلُوّ مَراتبهم وزكيّ مَناصبهم ، وإيهام أنّ الشيطان يُسَلّط عليْهم إغواءً وإضلالاً ، والله تعالى يقول ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ ، فلَيْت الواقع فيهم والنّاقد عليْهم تأدّب بما تأدّب به إبليس معهم حَيْث قال ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ .

وأمّا اليافعيّ : فقال في " نَشْر المحاسن " : وقدْ بَلَغَني أنّ ابن الجَوْزِيّ ـ عفا الله تعالى عنّا وعنْه ـ صنّف كتاباً سمّاه " تلبيس إبليس " تكلّم فيه على شيوخ الصُّوفيّة وطريقتهم وزَعَم أنّ إبليس لَبّس عليْهم =

= ولمْ يَدْرِ أنّه هو الذي لُبِّس عليْه في كلامه هذا وهو لا يَشْعُر ، والعَجَب كُلّ العَجَبِ منْه في إنكاره على سادات ما بيْن أوتاد وأبدال وصِدِّيقين عارفين بالله تعالى مُحقّقين ، ملأوا الوجود كراماتٍ وأنواراً ومعارف وحِكَماً وأسراراً ، يَعُدّون إقبال النّاس عليْهم ليلاً وإدبارَهم عنْهم نهاراً ، يفرّون طولَ دهْرهم مِن نفوسهم ومِن الخَلْق والشّيْطان والدُّنيا إلى الله تعالى فراراً ، قدْ صفّوْا بواطنهم مِن شوائب الكدر ، واستَوَى عندهم الذّهَب والمدر والمدح والذّمّ والشّدائد والنّعَم ، بلْ يَعُدّون نعمة الدُّنيا منعاً وبلاءً ، والشّدّةَ عطاءً ورخاءً ، أعْرَضوا في بدايتهم عمّا سِوَى الله فحَصّلوا في نهايتهم مِن فَضْل الله ما لا يَعْلَمه إلا الله ، فما ظَنُّه بقَوْم ضَبَطوا أنفاسهم مع الله سبحانه وتعالى فشَغَلهم طُولَ دهْرهم مراقبتُه ، يقول الصّغير منْهم :" وقَفْتُ على باب قَلْبي عشرين سَنَةً ما جاز به شيء لِغيْر الله إلا رَدَدْتُه " ، فلو أنّه لاقَى واحداً مِن تلامذتهم الصّغار في ميدان حرْب الإنكار لَكان يدري إذا ما انْكَشَف الغبارُ أتَحتَه فَرَس أمْ حمار !! هذا وهوَ يُطَرِّز كلامَه بحكاياتهم ويُنَمِّق بضاعتَه بمَحاسن صفاتهم ، فهلاّ أخْلَى كُتُبَه مِن ذِكْرهم إخلاءً عامّاً ولا يكون مِمّنْ يُحِلّ ذلك عاماً ويُحَرِّمه عاماً ؟!! أمَا عَلِم أنّ أعلام العلماء الصّالحين الحلماء لمْ يزالوا قديماً وحديثاً يعتقدون طائفةَ الصُّوفيّة ويَزُورونهم ويَتَبَرّكون بمُجالَسَتهم ودعائهم وآثارهم ويحترمونهم ، ويَجْلِسون بيْن يَدَي الواحد منْهم كما يَجْلِس الصّبِيّ بيْن يَدَي المُعَلِّم ويتأدّبون معهم : كالإمام الشّافعيّ والإمام أحمد والإمام سُفْيان الثّوريّ والإمام ابن سريج والإمام ابن فورك وإمام الحَرَمَيْن والإمام حُجّة الإسلام أبي حامد الغزاليّ والإمام عزّ الدّين بن عبد السلام والإمام تقيّ الدّين بن دقيق العيد والإمام مُحْيِي الدّين النّوويّ رضي الله تعالى عنْهم وغيْرهم مِمّن لا يُحْصَى مِن المُتَقَدِّمين والمُتَأخّرين في حكايات مشهورات .. انتهى .

على أنّنا نُغَلِّب حُسْن الظّنّ فيه بأنّه قدْ رَجَع عنْ إنكاره وأحْسَن العقيدة في آخِر حياته بالصّوفيّة ومشايخهم ، وقدْ حَدَث مِثْل هذا لِسلطان العلماء العزّ بن عبد السلام ؛ حَيْث كان في مبتدأ أمْره يُنْكِر على الصّوفيّة ويقول :" وهلْ هناك عِلْم غيْر ما في أيدينا ؟! " وكان قدْ ألّف كتاباً قَبْل ذلك في البِدَع انْتَقَد فيه السُّوفيّة، فلَمّا التقى بسَيِّدي أبي الحَسَن الشّاذليّ وتَتَلْمَذ على يديْه رَجَع عمّا قال .

ومِمّا يُغَلِّب الظّنّ برجوع ابن الجَوْزيّ عن إنكاره : ما ذَكَره ابن الحاجّ في " شَرْح ابن باديس " قال : حَضَر يَوْماً مَجْلِسه (أيْ مَجْلِس سَيِّدي عبد القادر الجيلانيّ ﷺ) الشّيْخ أبو الفَرَج بن الجَوْزيّ ﷺ ، ففسّر الشّيْخ عبد القادر ﷺ آيةً وذَكَر فيها وجوهاً ، وإلى جانِب الشّيْخ أبي الفَرَج مَن يسأله : " أتَعْرِف هذا القول ؟ " فيقول :" نَعَمْ " ، إلى أنْ بَلَغ أحَد عَشَر وجهاً يَعْرِفها أبو الفَرَج ، ثُمّ زاد الشّيْخُ حتّى انْتَهَى إلى أربعين وجهاً وعَزَا كُلّ وجْه إلى قائله ، فاشْتَدّ تَعَجُّب الشّيْخ أبي الفَرَج مِن كَثْرَة عِلْم الشّيْخ ، ثُمّ قال :" نَتْرُك المقال ونَرْجِع لِلأحوال ، لا إله إلاّ الله مُحَمّد رسول الله " فاضْطَرَب النّاس اضطراباً شديداً ، ومَزّق أبو الفَرَج ثوْبه .

إلا أنّ هناك فارقاً جوهريّاً بيْن سلطان العلماء الذي لم يَكْتَفِ باعتقاد الصّوفيّة ، بل سَلَك طريقهم =

مِنْـهُ ـ قـالَ : حَدَّثَنَـا أَبُـو سَـعْدٍ إسماعيلُ بْنُ أَبِـي صـالِحٍ أَحْمَدَ بْنِ عَبْـدِ المَلِـكِ المُؤَذِّنُ (١) ـ وهُوَ أَوَّلُ حديثٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ ـ قالَ : حَدَّثَنَا بِهِ والِدُ أَبِـي صـالِحٍ أحمدُ ابنُ عَبْدِ المَلِكِ المُؤَذِّنُ (٢) ـ وهُوَ أَوَّلُ حديثٍ سَمِعْتُهُ مِنْـهُ ـ قـالَ : حَدَّثَنَـا بِـهِ أَبُـو طاهِرٍ مُحمَّدُ بنُ مُحمَّدِ بْنِ مَحْمِشٍ الزِّيادِيُّ (٣) ـ وهـوَ أَوَّلُ حديـثٍ سَمِعْتُهُ مِنْـهُ ـ قالَ : حَدَّثَنَا بِهِ أَبُـو حامِدٍ أَحْمَدُ بْـنُ مُحمَّدِ بْـنِ أَحْمَدَ بنِ يَحْيَى بْـنِ بِـلالٍ البزَّارُ (٤)

ـ حتّى صار من أكابر الأولياء ، أمّا ابن الجَـوزِيّ فإنّـا وإنْ كُنّـا نُرَجِّح رجوعه عن الإنكار إلا أنّه لم يَسْلُك طريقهم ولم يَذُقْ مَعارفهم .

من مؤلّفاته : صفة الصَّفْوَة ، زاد المسير ، المُنْتَظِم في تاريخ الملوك والأمم ، مناقب الإمام أحمد .

من أقواله رحمه الله :

- مَن قَنَع طاب عَيْشه ، ومَن طمع طال طَيْشه .
- اذْكُرْ عند القدرة عَدْل الله فيك ، وعند العقوبة قدرة الله عليك .
- الخَوْف هو النّار المُحْرِقة لِلشّهوات .
- عقارب المنايا تَلْسَع ، وخدران جِسْم الأمل يَمْنَع الإحساس ، وماء الحياة في إناء العُمُر يَرْشَح بالأنفاس .

تُوُفِّي رحمه الله ببغداد سَنَة ٥٩٧ هـ ودُفِن بمقبرة باب حرب .

(١) هو أبو سَعْد إسماعيل بن أبي صالح أحمد بن عبد الملك المؤذّن الكرمانيّ النّيسابوريّ الشّافعيّ ﷺ ، أَخَذ عن أبيه وعن القُشَيْرِيّ وإمام الحَرَمَيْن ، وأَخَذ عنه أخوه صالح وأبو الفَرَج بن الجَوْزِيّ وأبو الفَضْل مُحَمَّد بن طاهر المقدسيّ .

تُوُفِّي ﷺ بكرمان سَنَة ٥٣٢ هـ .

(٢) هو الحافظ أبو صالح أحمد بن عبد الملك بن عَلِيّ بن أحمد النّيسابوريّ ﷺ ، مُحَدِّث الوقْت بخراسان ، وُلِد سَنَة ٣٨٨ هـ ، أَخَذ عن الحاكم وأبي نُعَيم وأبي الحَسَن العلويّ ، وأَخَذ عنه ابنه أبو سَعْد وأبو عَلِيّ الطّوسيّ وأبو طاهر الزّياديّ .

قال أبو بكر مُحَمَّد بن يَحْيَى المزكي : ما يقدر أحد يكذب في الحديث هنا وأبو صالح حي .

تُوُفِّي ﷺ سَنَة ٤٧٠ هـ .

(٣) هو أبو طاهر مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مَحْمِش الزِّياديّ النّيسابوريّ الشّافعيّ ﷺ ، وُلِد سَنَة ٣٢٧ هـ ، أَخَذ عن أبي حامد بن بلال الميدانيّ ومُحَمَّد بن الحسين القطّان ومُحَمَّد بن عبد الله الصّفّار ، وأَخَذ عنه أبو بَكْر البَيْهَقيّ وأبو حامد الاسفراييني وأبو صالح المؤذّن .

تُوُفِّي ﷺ سَنَة ٤١٠ هـ .

(٤) هو أبو حامد أحمد بن مُحَمَّد بن أحمد بن يَحْيَى بن بلال الخشّاب البزّار النّيسابوريّ ﷺ ، وُلِد =

ـ وهُوَ أوَّلُ حديثٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ ـ قالَ : حَدَّثَنَا بهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بِشْرِ بْنِ الحَكَمِ العَبدِيُّ (١) ـ وهُوَ أوَّلُ حديثٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ ـ قالَ : حَدَّثَنَا بهِ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ (٢) ﷺ

= سَنَة ٢٤٠ هـ ، أخَذ عن مُحَمَّد بن يَحْيَى الذّهليّ وعبد الرَّحْمَن بن بِشْر العبديّ والحَسَن الزّعفرانيّ ، وأخَذ عنه أبو عَلِيّ النّيسابوريّ وأبو عبد الله بن منده وأبو طاهر الزّياديّ .

تُوُفِّي ﷺ سَنَة ٣٣٠ هـ .

(١) هو أبو مُحَمَّد عبد الرحمن بن بِشْر بن الحَكَم بن حبيب بن مهران العبديّ النّيسابوريّ ﷺ ، أخَذ عن سُفْيَان بن عُيَيْنَة وعبد الرَّزّاق بن همّام ويَحْيَى بن سعيد ، وأخَذ عنه البخاريّ ومُسْلِم وأبو حامد ابن بلال الخشّاب النّيسابوريّ .

تُوُفِّي ﷺ بنيسابور سَنَة ٢٦٠ هـ .

(٢) هو أبو مُحَمَّد سُفْيَان بن عيينة بن أبي عمران الهلاليّ الكوفيّ المكّيّ ﷺ ، مِن تابعي التّابعين ، وُلِد في الكوفة سَنَة ١٠٧ هـ ، أخَذ عن عمرو بن دينار والزّهريّ والأعمش ، وأخَذ عنه الإمام أحمد ومُحَمَّد بن يَحْيَى العدنيّ وعَلِيّ بن حرب الطّائيّ .

دَخَل ﷺ على الخليفة المَهْديّ وبيده درج أبيض ، فقال :" يا سُفْيَان .. أعطني الدواة حتّى أكتب " فقال : أخْبِرْني أيّ شيء تكتب ؛ فإنْ كان حقّاً أعْطَيْتُك .

مِن أقواله ﷺ :

- **الجهاد عشرة** : فجهاد العدوّ واحد ، وجهاد النّفس تسع .
- مَن تَزَيَّن لِلناس بشيء يَعلَم الله منه غيْر ذلك شانه الله .
- لا تَكُنْ مِثْل العبد السُّوء لا يأتي حتّى يُدْعَى ؛ ائت الصلاة قَبْل النِّدَاء .
- إنّما حُرِموا الوصول بتضييع الأصول .
- إذا وافقَت السَّرِيرةُ العلانيةَ فذلك العَدْل ، وإذا كانت السَّرِيرة أفْضَل مِن العلانية فذلك الفَضْل ، وإذا كانت العلانيةُ أفْضَل مِن السَّرِيرة فذلك الجَوْر .
- المَدْح لا يَغُرّ مَن عَرَف نَفْسه .
- اسلُكوا سُبُل الحقّ ولا تَستَوْحِشوا مِن قِلّة أهْلها .
- الغِيبة أشَدّ مِن الدَّيْن ؛ الدَّيْن يُقْضَى ، والغِيبة لا تُقْضَى .
- انْتَهَى حكيم إلى قَوْم يَتَحَدَّثون فوَقَف عليهم وسلَّم عليهم ، فقال : تَحَدَّثوا بكلام قَوْم يَعلَمون أنّ الله يَسْمَع كلامهم والملائكة يكتبون .
- لا يصيب رَجُلٌ حقيقةَ التقوى حتّى يُحِيل بَيْنَه وبيْن الحرام حاجزاً مِن الحلال ، وحتّى يَدَع الإثم وما تَشابَه منه .
- مَن أحَبّ مَن يحِبّ الله تعالى فإنّما أحَبّ الله ، ومَن أكْرَم مَن يُكْرِم الله تعالى فإنّما يُكْرِم الله . =

وهُوَ أوَّلُ حديثٍ سَمِعتُهُ مِنْ سُفْيَانَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دينارٍ (١) عنْ أبي قابوسٍ مَوْلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمرِو بْنِ العاصِ (٢) عنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العاصِ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا (٣) قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ﴿ الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ

= - لا يَمْتَعَنَّ أحدكم من الدُّعاء ما يَعلَم من نَفْسه ؛ فإنَّ الله عَزَّ وجَلَّ أجاب دعاءَ شرِّ الخَلْق إبليس - لعنَه الله - إذ قال ﴿ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾ .

- أوْحَى الله عَزَّ وجَلَّ إلى موسى عليه السلام :(أوَّلُ مَنْ مَاتَ إبْلِيسُ ؛ وَذَلِكَ أنَّهُ أوَّلُ مَنْ عَصَانِي ، وَأنَا أعُدُّ مَنْ عَصَانِي مِنَ الْمَوْتَى) .

- أمَا تَرَى النِّعَم كأنَّها مغضوب عليْها ؟! قدْ وُضِعَت في غيْر أهْلها .

- خُلِقَت النّار رَحْمَةً يُخَوِّف بها عباده لِيَنْتَهوا .

- لو أنّ محزوناً بكى في أُمّة لَرَحِم الله تعالى تلك الأُمّة ببكائه .

- مَن زِيد في عقْله نقص من رِزقه .

- ليس مِن حُبّ الدُّنْيا طلبُك ما لا بُدّ منْه .

- أرْفَعُ النّاس منزلةً مَن كان بيْن الله وبيْن عباده ، وهُم الأنبياء والعلماء .

- مَنْ رأى أنَّهُ خيْر من غيْره فقد استَكْبَر .

- إنّ لِلحكمة أهْلاً ، فإنْ وَضعتَها في غيْر أهْلها ضُيِّعَتْ ، وإنْ مَنَعتَها من أهْلها ضُيِّعَتْ ، كُنْ كالطّبيب يَضَع الدّواء حَيْث يَنْبَغي .

- قال عيسى عليه السلام : كُونُوا أوْعِيَةَ الْكِتَابِ وَيَنَابِيعَ الْحِكْمَةِ ، وَسَلُوا اللَّهَ رِزْقَ يَوْمٍ بِيَوْمٍ ، وَلاَ يَضُرُّكُمْ أَنْ لاَ يُكْثَرَ لَكُمْ .

- ما أخْلَصَ عبْد لله أربعين يوماً إلا أنْبَت اللهُ الحكمةَ من قَلْبه نباتاً وأنْطَق لسانَه بها وبَصّره عيوب الدُّنْيا داءها ودواءها .

تُوُفِّي رضي الله عنه في مكّة سَنَة ١٩٨ هـ عنْ ٩١ سَنَة .

(١) هو أبو مُحَمَّد عمرو بن دينار الجمحيّ رضي الله عنه ، وُلِد سَنَة ٤٦ هـ ، أخَذ عن ابن عبّاس وابن عُمَر وأنَس ابن مالك رضي الله عنهم ، وأخَذ عنه شعبة وحمّاد بن زيْد وأبو حنيفة رضي الله عنهم .

قال عنْه طاووس : إنّ ابن دينار هذا جُعِل أُذُنه قِمَعاً لِكُلّ عالِم .

تُوُفِّي رضي الله عنه بمكّة سَنَة ١٢٦ هـ .

(٢) هو أبو قابوس المخارق بن سليم الشّيبانيّ رضي الله عنه ، أخَذ عن سيّدنا عبد الله بن عمرو وسيّدنا عبد الله ابن مسعود وسيّدتنا أمّ الفَضْل بنت الحارث رضي الله عنهم ، وأخَذ عنه عمرو بن دينار وابناه قابوس وعبد الله .

تُوُفِّي رضي الله عنه بالكوفة .

(٣) هو أبو مُحَمَّد سيّدنا عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السّهميّ رضي الله عنهما .. =

تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاء ﴾ (١) ..

قالَ شَيْخُنَا الدِّيَمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : أَنْشَدَنَا شَيْخُ الإسلامِ ابْنُ حَجَرٍ في مَعْنَى الحديثِ المُسَلْسَلِ بالأوَّلِيَّةِ :

إنَّ مَنْ يَرْحَمُ أَهْلَ الأَرْضِ قَدْ ... آنَ أَنْ يَرْحَمَهُ مَنْ في السَّمَاء

فارْحَمُوا الخَلْقَ جَمِيعاً إنَّمَا ... يَرْحَمُ الرَّحْمَنُ مِنَّا الرُّحَمَاء

قالَ : وأَنْشَدَنَا ـ أيضاً ـ عَنْ شَيْخِهِ الحافِظِ زَيْنِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ الحُسَيْنِ العِراقيِّ رحِمَهُ اللهُ :

إنْ أَنتَ لَمْ تَرْحَمِ المِسكِينَ إنْ عَدِمَا ... ولاَ الفَقِيرَ إذْ يَشْكُو لَكَ العُدْمَا

فكَيْفَ تَرْجُو مِنَ الرَّحْمَنِ رَحْمَتَهُ ... وإنَّمَا يَرْحَمُ الرَّحْمَنُ مَنْ رَحِمَا

- مَرَّ ﷺ على رَجُلٍ بَعْدَ صلاةِ الصُّبْحِ وهو نائم ، فحَرَّكه برِجْلِه حتَّى استيقَظ فقال له : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَطَّلِعُ في هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَى خَلْقِهِ فَيُدْخِلُ ثُلَّةً مِنْهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ ؟!

من أقواله ﷺ :

- لَخَيْرٌ أَعْمَلُهُ الْيَوْمَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِثْلَيْهِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ لأَنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لاَ يَهُمُّنَا إِلاَّ الآخِرَةُ ، وَلاَ تَهُمُّنَا الدُّنْيَا ، وَإِنَّ الْيَوْمَ قَدْ مَالَتْ بِنَا الدُّنْيَا .

- دَعْ مَا لَسْتَ مِنْهُ فِي شَيْءٍ ، وَلاَ تَنْطِقْ فِيمَا لاَ يَعْنِيكَ ، وَاخْزُنْ لِسَانَكَ كَمَا تَخْزُنُ وَرِقَكَ .

- مَنْ سَقَى مُسْلِماً شَرْبَةَ مَاءٍ بَاعَدَهُ اللَّهُ مِنْ جَهَنَّمَ شَوْطَ فَرَسٍ .

- لأَنْ أَدْمَعَ دَمْعَةً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِأَلْفِ دِينَارٍ .

- لَوْ تَعْلَمُونَ حَقَّ الْعِلْمِ لَسَجَدْتُمْ حَتَّى تَتَقَصَّفَ ظُهُورُكُمْ وَلَصَرَخْتُمْ حَتَّى تَتَقَطَّعَ أَصْوَاتُكُمْ ، فَابْكُوا ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا الْبُكَاءَ فَتَبَاكُوا .

- الرُّكْنُ وَالْمَقَامُ يَاقُوتَتَانِ مِنْ يَوَاقِيتِ الْجَنَّةِ ، طَمَسَ اللَّهُ نُورَهُمَا ، وَلَوْلاَ ذَلِكَ لأَضَاءَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ .

- أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ كَالزَّرَازِيرِ ، يَتَعَارَفُونَ وَيُرْزَقُونَ مِنْ ثَمَرِ الْجَنَّةِ .

تُوُفِّيَ ﷺ بمِصْرَ سَنَةَ ٦٥ هـ عَنْ ٧٢ سنة .

(١) وقدْ أَخْرَجه ـ بنَفْس صيغة قَوْل الرُّوَاة " وهو أوَّل حديث سَمِعْتُه " ـ الذَّهَبيّ ١٧/٦٥٦ والقزوينيّ في التَّدْوين في أخبار قزوين ٣/٢٠٩ والخطيب البغداديّ ٣/٢٦٠ وكمال الدِّين بن أبي جرادة في بغية الطَّلب في تاريخ حلب ٢/١٠٠٣ وأحمد بن مُحَمَّد المقريّ التِّلمسانيّ في نَفْح الطِّيب ٥/٢٣٣ ، كما أَخْرَجه بدون ذِكْر هذه الصِّيغة التِّرْمِذِيّ ٤/٣٢٣ وأبو داود ٤/٢٨٥ وأحمد ٢/١٦٠ والبَيْهَقِيّ ٩/٤١ وفي الشُّعب ٧/٤٧٦ والدَّيْلَمِيّ ٢/٢٨٨ والخطيب البغداديّ ٣/٢٦٠

قالَ : وأنْشَدَنَا الشَّيْخُ شهابُ الدِّينِ الحجازيُّ في المَعْنَى أيضاً :

أيَا غادِياً مِنَ الذُّنُوبِ في وَجَلْ وخائفاً مِـنَ الخَطَـايَا والزَّلَـلْ
كُنْ راحِماً لِلخَلْقِ وارجُو رَحْمَةً فإنَّمَا الجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ لِلْعَمَلْ

وأجازَنِي شَيْخُنَا الدّيميُّ ـ سقَى اللهُ عَهْدَهُ ـ أنْ أرْوِيَ عَنْـهُ الحديثَ المَذْكُورَ والأشْعَارَ التي في مَعْنَاهُ ، لافِظاً بذلكَ بسؤالي لهُ وبالتَّاريخِ والمكانِ المَذْكُور .

وبالجُمْلَةِ .. فالآياتُ والأحاديثُ والآثارُ وأخبارُ القَوْمِ في فَضْلِ قَضاءِ حَوائجِ النَّاسِ كَثيرة .

ومِمَّنْ كانَ لهُ في ذلكَ قَدَمٌ راسِخٌ : أبُو الحَسَـنِ الشَّاذُليُّ ، حتَّـى قـالَ الإمـامُ تَقِيُّ الدِّينِ مُحمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ القُشَيْرِيُّ :" جَهِلَ وُلاةُ الأمورِ بقَدْرِ الشَّـيْخِ أبـي الحَسَـنِ الشَّاذُليِّ لِكَثْرَةِ تِرْدَادِهِ عَلَيْهِمْ في الشَّفَاعات " (١) .

ويُؤْثَرُ عَنْهُ أنَّهُ استَدْعَى يَهودِيّاً كَحّالاً لِيُداوِيَ بَعْضَ مَنْ عِندَهُ ، فقالَ اليَهُودِيُّ لِلشَّيْخِ :" لاَ أستَطِيعُ أنْ أُعالِجَ ؛ فإنَّهُ جاءَ مَرْسُومٌ مِـنَ القـاهِرةِ أنْ لاَ يُـداوِي أحدٌ مِنَ الأطبّاءِ إلاَّ بإذْنٍ مِنْ مُشارِفِ الطِّبِّ (٢) بالقاهِرةِ " ، فلَمَّا خَـرَجَ اليَهُـوديُّ قـالَ الشَّيْخُ أبُو الحَسَنِ لِخُدّامِهِ :" هَيِّئُوا آلةَ السَّفَرِ " وسَافَرَ لِوَقْتِهِ إلَى القاهِرةِ وأخَذَ لِهَذَا الطَّبِيبِ إذْناً ، وعادَ ولَمْ يَبِتْ بِهَا لَيْلَةً واحدةً ، ثُمَّ جاءَ إلَى الإسكندريَّةِ فأرْسَلَ إلَى ذلكَ الطَّبِيبِ فاعْتَذَرَ لهُ بِمَا اعْتَذَرَ لهُ بِهِ أوَّلاً ، فأخْرَجَ لهُ الشَّيْخُ مَكْتُوبـاً بـالإذْنِ ، فأكْثَرَ اليَهُوديُّ التَّعَجُّبَ مِنْ هَذَا الخُلُقِ الكَرِيمِ (٣) ..

وهَذَا الأمْرُ لاَ يَقْوَى عَلَيْهِ إلاَّ عَبْدٌ مُتَخَلِّقٌ بِخُلُقِ اللـهِ ، بَـذَلَ نَفْسَـهُ وأذَلَّهَـا فـي مَرْضَاةِ اللهِ ، وعَلِمَ وسْعَ رحمةِ اللَّـهِ فعَـامَلَ بالرَّحْمَـةِ عِبـادَ اللـهِ ؛ مُتَمَثِّـلاً لِقَـوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ في الحديثِ السَّابِق ﴿ **الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ تَبَـارَكَ وَتَعَـالَى ، ارْحَـمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاء** ﴾ (٤) .

ومِنْ جَواهِرِهَا : قَوْلُنَا " والهَيْبَةُ التي نَجِدُهَا عِنْـدَ ذِكْـرِ كَلامِـهِ ، وتَذَلُّلُ هَذَا

(١) انظر لطائف المِنَن /١٥٢

(٢) بمنزلة وزير الصِّحَّة في العصر الحالي .

(٣) انظر لطائف المِنَن /١٥٢ ، ١٥٣

(٤) سبق تخريجه .

المَلِكِ حتَّى تَوَجَّهَ إلَى أُستَاذِنَا " **أنَّ السِّرَّ في ذلكَ** : أنَّ مَنْ أرادَ اللهُ بهِ مِنْ أولِيائِهِ أنْ يَكُونَ داعِياً إلَيْهِ فلاَ بُدَّ مِنْ إظهارِهِ إلَى العِبادِ ويَكْسُوهُ كِسْوَتَيْنِ : البَهَاءَ ، والجَلاَلَة ..

أمَّا البَهَاءُ : فلِيَنْظُرُوا إلَيْهِ بَعَيْنِ المَحَبَّةِ ، فيَكونُ ذلكَ باعِثاً لهُمْ عَلَى الانْقِيَادِ قالَ تعالَى ﴿ **وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى** ﴾ (١) ، وقال ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا** ﴾ (٢) .

وأمَّا الجَلالَةُ : فلِيُعَظِّمَهُ العِبَادُ فيَقِفُوا عَلَى حُدودِ الأدبِ مَعَهُ ، ويَقَعُ لهُ في قُلُوبِ العِبَادِ هَيْبَةٌ يَنْصُرُهُ بِهَا ؛ لِيَكُونَ ذَا أمْرٍ ونَهْيٍ ، مَسْمُوعاً أمْرُهُ ونَهْيُهُ ، جَعَلَ هَذِهِ الهَيْبَةَ في قُلُوبِ العِبَادِ مِنْ تَمْكِينِ الحقِّ لهُمْ لِيُعِينَهُمْ عَلَى القِيَامِ لهُ بالنُّصْرَة ..

وهَذِهِ الهَيْبَةُ التي جَعَلَهَا الحقُّ في قُلُوبِ العِبَادِ لأوليائِهِ سَرَتْ إلَيهِمْ لانْبِسَاطِ جاهِ المَتْبُوعِ عَلَيْهِمْ ؛ أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَهُ ﷺ ﴿ **وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ** ﴾ (٣) ؟!

أَلْبَسَهُمُ الحقُّ مَلابِسَ هَيْبَتِهِ ، وأَظْهَرَ لهُمْ جَلاَلَ عَظَمَتِهِ ، فهُمُ المُلُوكُ وإنْ لَمْ تَخْفُقْ عَلَيْهِمُ البُنُودُ (٤) ، والقُوَّادُ وإنْ لَمْ تَسِرْ أمامَهُمُ الجُنُود ..

ولِلهِ درُّ القائلِ (٥) في مالِكِ بْنِ أَنَسٍ ﷺ (٦) :

يَأْتِي الجَوابَ فمَا يُراجِعُ هَيْبَةً والسَّائِلونَ نَوَاكِصُ الأذقَانِ

---

(١) سورة طه من الآية ٣٩

(٢) سورة مريم الآية ٩٦

(٣) أخْرَجه البخاريّ ١٢٨/١ ومُسلِم ٣٧١/١ وابن حبّان ٣٠٨/١٤ وأبو عوانة ٣٣٠/١ وأبو نُعَيم في المُسْتَدَ المُسْتَخْرَج ١٢٥/٢ والبَيْهَقيّ ٢١٢/١ والنسائيّ في المجتبى ٢١٠/١ وابن أبي شيبة ٣١٣/٦ والطّبرانيّ في الأوسط ٣٠/٥ وعبْد بن حميد /٣٤٩ واللالكائيّ ٧٨٢/٤ وأبو نُعَيم ٣١٦/٨ عن سَيِّدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وابن أبي شيبة ٣٠٤/٦ والرّويانيّ ٣٢١/١ عن سَيِّدنا أبي موسى الأشْعَرِيّ ﷺ ، وأحمد ٢٤٨/٥ والطّبرانيّ ٢٥٧/٨ عن أبي أمامة ﷺ ، والدّارميّ ٢٩٥/٢ وأحمد ١٦١/٥ والبزار ٤٦١/٩ عن سَيِّدنا أبي ذرّ ﷺ ، والطّبرانيّ في الأوسط ٢٦٩/٧ عن سَيِّدنا أبي هريرة ﷺ ، وأحمد ٣٠١/١ عن سَيِّدنا عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما .

(٤) أي الأعلام .

(٥) القائل هو مصعب بن عبد الله .

(٦) هو الإمام أبو عبد الله مالك بن أنَس بن مالك بن أبي عامر الأصبحيّ ﷺ ، وُلِد بالمدينة سَنَة =

- ٩٣ هـ ، أحد أصحاب المذاهب الفقهيّة الأربعة ، أخَذ عن تسعمائة شيخ منهم ثلاثمائة من التّابعين ، أخَذ عن نافع وجَعْفَر الصّادق ومُحَمّد بن المنكدر ، وأخَذ عنه الشّافعيّ ويَحْيَى بن يَحْيَى والأوزاعيّ .

روى التّرْمِذيّ وأحمد والنّسائيّ وعبد الرّزّاق وابن حبّان والحاكم أنّ رسول الله ﷺ قال ﴿ يُوشِكُ أَنْ يَضْرِبَ النَّاسُ أَكْبَادَ الْإِبِلِ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ فَلاَ يَجِدُونَ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ ﴾ ، وقد تأوّل العلماء هذا الحديث على الإمام مالك .

قال الإمام الشّافعيّ : إذا جاءك الحديث عنْ مالك فَشُدّ يَدَك عليْه .

وقال : ما نَظَرْتُ في موطأ مالك إلا ازْدَدْتُ فَهْما .

وقال : ما كتاب بَعْد كتاب الله تعالىٰ أنْفَع من كتاب مالك بن أنس .

وقال حمّاد بن سلمة : لو قيل :" اخْتَرْ لأُمّة مُحَمّد ﷺ إماماً يأخذون عنْه دينهم لا بُدّ من ذلك " لرأيْتُ مالكاً لِذلك مَوْضِعاً ورَأيْتُ ذلك صلاحاً لِلأُمّة .

كان ﷺ يَمْشِي في أزقّة المدينة حافياً ماشياً ويقول : أنا أسْتَحْيِي من الله تعالى أنْ أطأ تُرْبَةً فيها قبْر رسول الله ﷺ بحافر دابة .

يروي عنه أبو نُعَيم قوله : ما بِتُّ ليلةً إلاّ رَأيْتُ رسول الله ﷺ .. حِلْيَة الأوْلياء ٣١٧/٦

ويروي أنّ هارون الرشيد شاوَره في أنْ يَنْقُض مِنْبَر النّبيّ ﷺ ويَجْعَله من جَوْهَر وذهب وفِضّة فقال له : لا أرَى أنْ تَحْرِم النّاسَ أثَرَ النّبيّ ﷺ .. حِلْيَة الأوْلياء ٣٣٢/٦

وسأله رجل عن مسألة فقال :" لا أُحْسِنها " فقال الرّجُل :" إنّي ضَرَبْتُ لك من كذا وكذا لأسألك عنْها " فقال ﷺ : فإذا رَجَعْتَ إلى مكانك ومَوْضِعك فأخْبِرْهم أنّي قُلْتُ : لا أُحْسِنها .

من مؤلّفاته : الموطأ ، رسالة في القَدَر والرّدّ على القدريّة ، رسالة في الأقضية .

من أقواله ﷺ :

- قال موسى عليه السلام :" يَا رَبِّ .. أيْنَ أبْغِيك ؟ " قال (ابْغِنِي عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُم) .
- لو كان لي سلطان على مَن يُفَسِّر القرآن لَضَرَبْتُ رأسه .
- العِلْم نورٌ يَجْعَله الله حَيْث يشاء ، وليس بكثرة الرّواية .
- بَلَغَني أنّ لقمان قال لابنه : يا بُنَيّ .. ليس غناء كصحّة ، ولا نعيم كطِيب نَفْس .
- إذا تَرَك العالِم " لا أدري " أُصيبَتْ مَقاتِله .
- لو أحَبّ السّلَف أنْ يُعْرَفوا لَمَا عُرِفوا .
- إنّ لزوم الجماعة نجاة ، وإنّ قليل الباطل وكثيره هلكة .
- بَلَغَني أنّ العلماء يُسْألون يَوْم القيامة عَمّا يُسْأل عنْهُ الأنبياء .
- طلب العِلْم حَسَن جميل ، ولكن انْظُرْ إلى الذي يَلْزَمك من حين تُصْبِح إلى حين تُمْسِي فالْزَمْه . -

أَدَبُ الوَقارِ وعِزُّ سُلْطَانِ التُّقَى فهُوَ المُطاعُ ولَيْسَ ذا سُلْطانِ (١)

ومَنْ مَلَّكَهُ اللهُ أمْرَ نَفْسِهِ وهَوَاهُ فقَدْ آتاهُ اللهُ المُلْك ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَـٰلِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ ﴾ (٢) .

وأيضاً : فقَدْ أشَرْنَا فيمَا مَرَّ أنَّ الشَّاذُلِيَّ قالَ :" لِكُلِّ وَلِيٍّ حِجابٌ ، وحِجَابِيَ الأسباب " (٣) .

فمِنهُمْ مِنْ كانَ حِجَابُهُ ظُهُورَهُ بالسَّطْوَةِ والعِزَّة ..

سَبَبُ ظُهورِ ذلكَ الوَلِيِّ بذلكَ : تَجَلِّي الحقِّ عَلَيْهِ ، فإذَا تَجَلَّى عَلَيْهِ بصِفةٍ ظَهَرَ بِهَا ، فإذَا غَلَبَتْ عَلَيْهِ شُهوداً غَلَبَتْ عَلَيْهِ ظُهُوراً ، فلاَ يَقْدِرُ عَلَى صُحْبَتِهِ ويَثْبُتُ مَعَهُ إلاَّ مَنْ مَحَقَ اللهُ نَفْسَهُ وهَوَاه (٤) .

ومِنْ هَذَا الصِّنْفِ كانَ أُسْتَاذُنَا ـ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ ـ معَ مُلُوكِ الدُّنْيَا ورُؤسائِهَا لاَ يَجْلِسُ واحدٌ مِنهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ إلاَّ والرُّعْبُ قَدْ مـلأَ قَلْبَـهُ ، ومَنْ خَلَّصَـهُ اللـهُ مِنْ نَفْسِهِ ومِنْ هَواهُ فلاَ يُستَغْرَبُ ظُهُورُهُ بالعِزِّ ، فأيُّ مُلْكٍ أعْظَـمُ مِنْ هَذَا المُلْكِ ؟! هَذَا مُلْكٌ أعْوَزَ المُلوكَ وُجُودُهُ ؛ ألاَ تَرَى أنَّهُ لَمْ يَزَلْ في كُلِّ قُطْرٍ وعَصْرٍ أولياءُ تَذِلُّ لَهُمْ مُلُـوكُ الزَّمَـانِ ويُعامِلُونَهُمْ بالطَّـاعةِ والإذعانِ (٥) : كعارِفِ هَذَا الزَّمَـانِ

= ـ قَرَأْتُ في بعض الكتب : لا تَغُرَّنَّكُمُ اللِّحَى ؛ فإنَّ التِّيس له لِحْيَة .

ـ إذا لمْ يَكُنْ في الرَّجُل خيْر لِنَفْسه لمْ يَكُنْ فيه خيْر لِغيْره ، وإذا رَأَيْتَ الرَّجُل يَسْتَحِلّ مال عَدُوّه فلا تَأْمَنْه على مال صديقه .

ـ أميتوا سُنَّة العجم ، وأحْيُوا سُنَّة العرب .

ـ ليس كُلّ النَّاس يَقْدر أنْ يَتَكَلَّم في عُذْره .

ـ ليس شيء أشْبَه بثمار الجَنَّة من الموز ؛ لا تطلبه في شتاء ولا صيف إلا وَجَدْتَه ﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ ﴾ .

تُوُفِّي ﷺ بالمدينة سَنَة ١٧٩ هـ ودُفِن بالبقيع .

(١) انظر : حِلْيَة الأوْلِيـاء ٣١٨/٦ وسِيَر أعـلام النُّبَـلاء ١١٣/٨ ولطـائف المِنَـن /٣٥ والدِّيبـاج المُذْهَب ٢٤/١

(٢) سورة آل عمران من الآية ٢٦

(٣) انظر : لطائف المِنَن /١٥١ وطبقات الشعرانيّ /١٥

(٤) انظر : لطائف المِنَن /١٥١ وطبقات الشعرانيّ /١٥

(٥) انظر لطائف المِنَن /١٥٢

أبِي السُّعودِ (١) (٢) ـ أدامَ اللهُ النَّفْعَ بهِ فـي الوُجُودِ ـ وعَيْنِ الأبدالِ عَبْدِ القادِرِ الدَّشْطُوطِيِّ (٣) (٤) ؟!

قالَ بَعْضُ العارِفِينَ :

ويَا صاحِبِي قِفْ لِي معَ الحقِّ وَقْفَةً أمُوتُ بِهَا وَجْداً وأحْيَا بِهَا وَجْدَا
وقُلْ لِمُلُوكِ الأرْضِ تَجْهَدُ جَهْدَهَا فذا المُلْكُ مُلْكٌ لاَ يُبَاعُ ولاَ يُهْدَى

خصوصاً يَا ذَا العَقلِ المَتينِ ما قيلَ في شأنِ المُلُوكِ والسَّلاطينِ :

إنَّ المُلُوكَ بلاءٌ أيْنَمَا حَلُّوا فلاَ يَكُنْ لَكَ في أكنافِهِمْ ظِلُّ
ماذَا تُؤَمِّلُ مِنْ قَوْمٍ إذَا غَضِبُوا جارُوا عَلَيْكَ وإنْ أرْضَيْتَهُمْ مَلُّوا
وإنْ مَدَحْتَهُمْ ظَنُّوكَ تَخْدَعُهُمْ واسْتَثْقَلُوكَ كَمَا يُسْتَثْقَلُ الكَلُّ

(١) هو أبو السُّعود مُحَمَّد بن دغيم الجارَحيّ القاهريّ ﷺ ، أخَذ عن الشَّيْخ أحمد المرحوميّ ، وأخَذ عنه الشّعرانيّ .

كان يُصَلِّي بالقرآن كُلّه في ركْعَة أو ركْعَتَيْن ، وكان تكفيه اللُّوزة الواحدة في اليَوْم وربَّمَا تَرَكَها .

قال الشّعرانيّ : كان يَنْزِل في سِرْداب تَحْت الأرْض مِن أوّل ليلة مِن رمضان فـلا يَخْرُج إلاّ بَعْد العيد بستّة أيّام ، وذلك بوضوء واحد مِن غيْر أكْل ، وأمّا الماء فكان يَشْرَب مِنْه كُلّ ليلة قَدْر أوقيّة .. طبقات الشّعرانيّ /٥٧٣

مِن أقواله ﷺ :

– مِن حين جَلَسْتُ شيخاً في مِصْر لي سبْع وثلاثون سَنَةً ما جاء لي قَطّ أحد يَطْلُب الطَّريق إلى الله ؛ إنّما يجيء الذي يقول " امرأتي تتاكدني... جاريتي هربَت .. جاري يؤذيني .. شريكي خانني " !! ، وكلّت نَفْسي مِن ذلك وحَنّت إلى الوحدة ، ومـا كـان لـي خيرة إلا فيهـا .. فيـا ليْتَنـي لـم أعرِف أحداً ولم يَعْرِفْني أحد .

– لا يفلح الفقير القانع بالزِّيّ أبداً لِقصور هِمّته .

– متى تَكون هاء الفقيه راء ؟!

– يَنْبَغي لِلعارف أنْ يَجْعَل في بَيْته دائماً شيئاً مِن الدُّنْيَا ؛ خوفاً أنْ يقع في رائحة الاتّهام لله تعالى في أمْر الرِّزْق .

تُوُفِّي ﷺ سَنَة ٩٢٩ هـ ، ودُفِن بزاويته بكوم الجارح بالقُرْب مِن جامع عمرو .

(٢) كان الملوك والوزراء والأكابر يَحْضُرون بيْن يديْه خاشعين ، وكانوا يقفون بيْن يديْه فلا يأذن لهم في القعود ، وعَمِلوا بأيديهم في عمارة زاويته في حَمْل الطّوب والطّين ..

انظر : طبقات الشّعرانيّ /٥٧٣ وشذرات الذّهَب ١٦٧/٤ =

= (٣) هو عبد القادر بن مُحَمَّد الدَّشطوطيّ ﷺ ، نِسبَةً إلى " دشطوط " من قُرَى الصَّعِيد ، كان يُسَمَّى بين الأولياء بـ" صاحِب مِصر " ، أَخَذ عنه الشّعرانيّ والسّيوطيّ .

قال المناويّ : هو المعروف بالكرامات المشهورة بخوارق الآيات البيّنات ، والكَشْف العامّ والقبول التّامّ عند الملوك فمَن سِواهم من الأعلام ، ذو الصّفات التي اشتَهَرَت والعجائب التي بَهَرَت .

قال ابن العماد : تَوَقَّف النِّيل ثُمّ هبط أيّام الوفاء ثلاثة أذْرُع ، فخاض في البَحْر وقال :" اطّلَعْ بـإذْن الله " فطلع ثوراً ، فاتّتَل النّاس عليه يَتَبَرّكون به .. شذرات الذّهَب ١٣٠/٤

من أقواله ﷺ :

- يقول الله عَزّ وجَلّ :(يَا عَبْدِي .. لَوْ سُقْتُ إِلَيْكَ ذَخَائِرَ الْكَوْنَيْنِ فَمِلْتَ إِلَيْهَا طَرْفَةَ عَيْنٍ فَأَنْتَ مَشْغُولٌ عَنَّا لاَ بِنَا) .

- أوصيك بعدم الالتفات لِغيْر الله تعالى في شيء من أمْر الدّارَيْن ؛ فإنّ جميع الأمور لا تبرز إلا بأمْره ، فارْجِعْ فيها لِمَن قَدّرَها .

- لا يَنْبَغِي لِلْعَبْد أنْ يَفْرَح بما آتاه الله تعالى من العلوم والمَعارف والجاه إلا بَعْد مُجاوَزة الصِّراط ؛ وماذا يَنْفَع المدْح لِمَن يَسقُط يوْم القيامة من الصِّراط إلى النّار .

- ما دام العبد بعيداً من حضرة ربّه فمِن لازمه غالباً كَثْرَة الاعتراض على مقدور الحقّ تَبارك وتعالى ، فإذا قَرُب من الحضرة أطْلَعه الله تَبارك وتعالى على ما في أفعاله من الحكمة فلم يَطْلُب قَطّ تغيير شيء بَرَز في الكوْن إلا بوجه شَرْعِيّ حياءً من الله تَبارك وتعالى .

- ما ثَمّ وليّ حقّ له قَدَم الولاية المُحَمّدية إلا ويَخْرج عن التّقْليد لِلمُجْتَهدين ويأخذ العِلْم من حَيْث أخَذه المُجْتَهدون .

تُوُفّي ﷺ سَنَة ٩٣١ هـ ودُفن بالقُرْب من باب الشّعريّة بالقاهرة .

(٤) كان قايتباي إذا زاره يُمَرّغ وجْهه على قَدَمَيْه .. انظر طبقات الشّعرانيّ /٥٨٧

وقال الشّعرانيّ : لَمّا أراد السُّلْطان قايتباي أنْ يسافِر إلى بَحْر الفرات اسْتَأْذَن الشّيْخ عَبْدَ القادر السُّنْطُوطيّ في السّفَر فأذِن له .. طبقات الشّعرانيّ /٥٨٨

ونَقَل النّبْهانيّ عن الغزّيّ قوله : وكان السُّلْطان قايتباي له في سَيِّدي عبد القادر غاية الاعتقاد ، وكان سَيِّدي عبد القادر يَتولّى تربيته وإرشاده كُلّما مَرّ عليه ، وكان يَمْتَثِل أمْره ويَنْقاد ، بَلَغَني أنّه كان يَمُرّ وهو راكِب في مَوْكِبه على سَيِّدي عبد القادر فيَحْبِس فَرَسه عنده ويَطْلُب منه المَدَد والتّستور ، وربّمَا نَزَل إليه وقَبّل يديْه ، فقال له سَيِّدي عبد القادر يوماً والذُّبَاب مُنْعَكِف عليه وعلى ثيابه :" يا قايتباي .. قُلْ لِهذا الذُّبَاب يَذْهب عنّي " فحار قايتباي وقال :" يا سَيِّدي .. كيف يَسْمَع الذُّبَاب منّي ؟! " قال :" وكيف تكون سلطاناً ولا يَسْمَع الذُّبَاب منك ؟!! " ، ثُمّ قال سَيِّدي عبد القادر :" يا ذباب اذْهَبْ عنّي " فلم يَبْقَ عليه ذبابة .. انظر جامع كرامات الأولياء ٢١٠/٢

فاستَغْنِ باللهِ عَنْ أبْوَابِهِمْ أبداً إنَّ الوُقُوفَ عَلَى أبْوابِهِمْ ذُلُّ (١)

ومِنهُمْ مَنْ يكونُ حِجابُهُ كَثْرَةَ التَّرْدادِ إلَى المُلُوكِ والأمراءِ والأكابِرِ في حوائجِ العِبادِ ..

فيَقولُ القَصيرُ الإدراكِ : لوْ كانَ هذا وليّاً ما تَرَدَّدَ إلَى أبْناءِ الدُّنْيا ..

وهذا جورٌ مِنْ قائلِهِ ، بلِ انْظُرْ تَرَدُّدَهُ إلَيْهِمْ : إنْ كانَ لأجْلِ عِبَادِ اللهِ وكَشْفِ الضَّررِ عَنْهُمْ وتَوْصيلِ مَا لاَ يَسْتَطِيعُونَ تَوْصيلَهُ إلَيْهِمْ مَعَ الزُّهْدِ عَمَّا في أيْدِيهِمْ والتَّعَزُّزِ بعِزِّ الإيمانِ وقَتَ مُجَالَسَتِهِمْ وأمْرِهِمْ بالمَعْروفِ ونَهْيِهِمْ عنِ المُنْكَرِ فلاَ حَرَجَ عَلَى مَنْ هَذَا شَأنُهُ ؛ لأنَّهُ مِنَ المُحْسِنينَ ، وقَدْ قالَ سُبحانَه ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيل ﴾ (٢) ، ومِنْ هَذَا الصِّنْفِ كانَ الشَّاذُليُّ كَمَا مَرَّتِ الإشارةُ إلَيه (٣) .

ومِنهُمْ مَنْ حِجابُهُ بكَثْرَةِ الغِنَى وانْبِساطِ الدُّنْيا عَلَيْهِ : كَمَا قِيلَ : كانَ بالمَغْرِبِ رَجلٌ زاهِدٌ في الدُّنْيا ، عَيْشُهُ مِمَّا يَصيدُهُ مِنَ البَحْرِ ؛ يَأكُلُ البَعْضَ ، ويَتَصَدَّقُ بالبَعْضِ ، فأرادَ بَعْضُ أصحابِهِ السَّفَرَ ، فقالَ لهُ :" إذَا دَخَلْتَ بَلْدةَ كَذَا فأقْرِئْ أخِي فُلاناً مِنِّي السَّلامَ واطْلُبْ مِنْهُ الدُّعاءَ ؛ فإنَّهُ مِنَ الأولياءِ " ..

قالَ :" فسألْتُ عنْ ذلكَ الرَّجُلِ ، فدُلِلْتُ عَلَى دارٍ لاَ تَصْلُحُ إلاَّ لِلْمُلُوكِ ، فتَعَجَّبْتُ مِنْ ذلكَ ، وطَلَبْتُهُ فقيلَ :" هُوَ عِنْدَ السُّلْطانِ " فازْدَادَ تَعَجُّبِي ، فبَعْدَ ساعةٍ وإذَا هُوَ قدْ أتَى في أفْخَرِ مَلْبَسٍ ومَرْكَبٍ ، كأنَّمَا هُوَ مَلِكٌ في مَوْكِبِهِ ، فازْدَادَ تَعَجُّبِي أكْثَرَ مِنَ الأوَّلِ ، فهَمَمْتُ بالرُّجوعِ وعَدَمِ الاجْتِمَاعِ بِهِ ، ثُمَّ قُلْتُ : " لاَ يُمْكِنُني مُخَالَفَةُ الشَّيْخِ " ، فاسْتَأذَنْتُ فأُذِنَ لِي ، فلَمَّا دَخَلْتُ رَأيْتُ مَا هالَنِي مِنَ العَبيدِ والخَدَمِ والأشياءِ الحَسَنَةِ ، فقُلْتُ لهُ :" أخُوكَ فُلانٌ يُسَلِّمُ عَلَيْكَ " قالَ : " جِئْتَ مِنْ عِنْدِهِ ؟ " قُلْتُ :" نَعَمْ " ، قالَ :" إذا رَجَعْتَ إلَيْهِ قُلْ لهُ : إلَى كَمْ الاشْتِغَالُ بالدُّنْيا ؟! وإلَى كَمِ الإقبالُ عَلَيْهَا ؟! وإلَى مَتَى لاَ تَنْقَطِعُ رَغْبَتُكَ ؟! " ، فقُلْتُ :" هَذَا واللهِ أعْجَبُ !! " ، فلَمَّا رَجَعْتُ إلَى الشَّيْخِ قالَ :" اجْتَمَعْتَ بأخِي

(١) مِن أقوالِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بن حبيب .. انظر شعب الإيمان لِلبَيْهَقِيّ ٥٤/٧

(٢) سورة التَّوْبَة مِن الآية ٩١

(٣) انظر : لطائف المِنَن /١٥٢ وطبقات الشَّعرانيّ /١٥

فُلانٍ ؟ " قُلْتُ :" نَعَمْ " ، قالَ :" فمَا الذي قالَ لكَ ؟ " قُلْتُ :" لاَ شَيْءَ " قالَ : " لاَ بُدَّ أنْ تَقولَ " فأعَدْتُ عَلَيْهِ مَا قالَ ، فبكَى طويلاً وقالَ :" صَدَقَ أخِي فُلاَنٌ ؛ هُوَ واللهِ غَسَلَ اللهُ قَلْبَهُ مِنَ الدُّنيا وجَعَلَهَا في يَدِهِ وعَلَى ظاهِرِهِ ، وإنَّما أخَذَهَا مِنْ يَدِي وعِنْدِي إلَيْهَا بَقَايَا التَّطَلُّع " (١) .

وعَلاَمَةُ خُرُوجِ حُبِّ الدُّنْيَا مِنَ القَلْبِ : بَذْلُها عِنْدَ الوُجُودِ ، ووُجُودُ الرَّاحَةِ مِنْهَا عِنْدَ الفَقد (٢) .

ومِنْ هَذَا الصِّنْفِ كانَ مُحَمَّدُ بْنُ الحَسَنِ (٣) صاحِبُ أبِي حَنِيفةَ (٤) ؛ لَمَّا دَخَلَ

(١) انظر لطائف المِنَن /١٥٣

(٢) من كلام لِسَيِّدنا أبي بَكْر الصِّدِّيق ﷺ لِسَيِّدي أبي الحَسَن الشّاذليّ ﷺ في رؤيا منامِيّة ..

انظر : لطائف المِنَن /٨٤ ودرّة الأسرار /١٤٧ والمَفاخر العَلِيّة /١٠٥

(٣) هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن الحَسَن بن فرقد الشَّيبانيّ الكوفيُّ ﷺ ، أحد أفذاذ تلامذة الإمام الأعظم أبي حنيفة ﷺ ، وُلِد سَنَة ١٣٢ هـ في واسط بالعراق ونشأ بالكوفة ، أخَذ عن عبد الله بن المبارك وأبي حنيفة وأبي يوسف ، وأخَذ عنه الإمام الشّافعيّ وأبو طاهر الفراويّ وعَلِيّ بن معبد ..

قال عنه الإمام الشّافعيّ : كُنْتُ أظنّ إذا رَأيْتُه يقرأ القرآن كأنّ القرآن نزل بِلُغَته ..

مِن مؤلّفاته : الأصل في الفروع ، الجامع الكبير .

تُوُفِّي ﷺ بالرّيّ سَنَة ١٨٩ هـ .

(٤) هو الإمام الأعظم أبو حنيفة النّعمان بن ثابت بن كاوس ﷺ ، وُلِد سَنَة ٨٠ هـ ، وهو أحد أصحاب المذاهب الفقهيّة الأربعة ، أخَذ عن الإمام جَعْفَر الصّادق وقتادة وحمّاد بن سليمان ، وأخَذ عنه إبراهيم بن أدهم والفُضَيْل بن عياض ودواد الطّائيّ .

قال عنه الإمام الشّافعيّ : النّاس عيال على أبي حنيفة في الفقه ..

وسُئِل الإمام مالك عنه فقال : ماذا أقول في مذهب إمام عظيم لوْ ناظَرني في أنّ نِصف هذا العامود ذهبٌ ونِصفه فِضّة لَقام بحُجّته .

رأى ﷺ النّبيَّ ﷺ في منامه يقول له :(لَقَدْ خُلِقْتَ لإحْيَاءِ سُنَّتِي ، فَلاَ تَقْتَصِد) .

صلّى ﷺ الصُّبْح بوضوء العِشَاء أربعين سَنَة ، وخَتَم القرآن في المَوْضِع الذي مات فيه سبعة آلاف مرّة .

كان ﷺ عندما يأتي إلى المَسْجِد النَّبَويّ يضع خدّه على البلاطة المحيطة بالرَّوْضَة ويَبْكي ، ثُمّ يَرْفَع يدَيْه ويقول : يا ربّ .. هذا حبيبُك ، وأنا عَبْدُك ، والشّيْطان عدوُّك ، اللّهُمّ إنْ أنت أعتقْتَني فَرِح حبيبُك وغَضِب عدوُّك ونَجَا عَبْدُك ، وإنْ لمْ تعتقْني فَرِح عَدُوُّكَ وغَضِب حبيبُك وهَلَك عَبْدُك ، اللّهُمّ بِحَقّ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد إلا ما غَفَرْتَ لي .

الشَّافِعِيُّ (١) دارَهُ بالكُوفـةِ رَأَى أثوابـاً عِراقِيَّـةً ودهـاليزَ سُقُوفُهَا مَنْقُوشَـةٌ بـالذَّهَبِ

= يقول ابن خلّكان : دَفَن رَجُل مالاً في موضع ثُمّ نسي في أيّ موضع دَفَنه فلم يقع عليه ، فجاء إلى أبي حنيفة فشكَا إليه ، فقال له أبو حنيفة :" ما هذا فِقْه فأحتال لك ، ولكن اذْهَبْ فَصَلِّ اللَّيْلَة " ففَعَل الرَّجُل ولم يَقُمْ إلا أقَلّ مِن رُبْع اللَّيْل حتّى ذَكَر المَوْضع ، فجاء إلى أبي حنيفة فأخبَره ، فقال له : قدْ عَلِمْتُ أنّ الشَّيْطان لا يَدَعك تُصلّي حتّى يُذَكِّرك ، فهلاّ أتْمَمْتَ لَيْلَتك شُكْراً لله عَزّ وجَلّ ؟! ..

وفيات الأعيان ٤١١/٥

قيل له :" إنّ فلاناً يطير " فقال ﷺ :" إنّ الغراب يطير " ، فقيل له :" إنّه يَمْشِي على الماء " فقال : الضُّفْدَعة تَسْبَح على الماء .

مِن أقواله ﷺ :

- ما صلّيْتُ قَطّ إلاّ ودَعَوْتُ لِشَيْخي حمّاد ولِكُلّ مَن تَعَلّمْتُ منه عِلْماً أو عَلّمْتُه .
- لو أنّ عبداً عَبَد الله تعالى حتّى صار مِثْل هذه السّارية ثُمّ إنّه لا يَدْري ما يَدْخُل بَطْنَه حلال أو حرام ما تُقُبّل منه .
- لو لم تُبْغَض الدُّنْيَا إلا لأنّ المولى سبحانه وتعالى يُعْصَى فيها لَكانت جديرةً بأنْ تُبْغَض .
- إيّاكم والبِدَع والتَّبَدُّع والتَّنَطُّع ، وعليكم بالأمر الأوّل العتيق .
- لا ينبغي لأحد أنْ يقول قولاً حتّى يَعْلَم أنّ شريعة رسول الله ﷺ تَقْبَله .

تُوُفّي ﷺ ببغداد سنَة ١٥٠ هـ .

(١) هو الإمام أبو عبد الله مُحَمّد بن إدريس الشّافعيّ الهاشميّ القرشيّ ﷺ ، وُلِد بغزّة سنَة ١٥٠ هـ ، وهو أحد أصحاب المذاهب الفقهيّة الأربعة ، وأوّل مَن صنّف في أصول الفقه ؛ حَيْث صنّف كتابه " الرّسالة " ، أخَذ عن الإمام مالك وابن الزّنجانيّ ومُحَمّد بن الحَسَن ، وأخَذ عنه الإمام أحمد والرّبيع والمزنيّ .

قال عنه الإمام أحمد : كان الشّافعيّ كالشّمْس لِلدُّنْيَا وكالعافية لِلنّاس .

سُئِل ﷺ عنْ مسألة فسكت ، فقيل له :" ألاَ تجيب رَحِمَك الله ؟ " فقال : حتّى أدْرِي الفَضْل في سكوتي أو في جوابي .

ويَرْوِي صاحِب " الفهرست " أنّه ﷺ حَضَر ذات يَوْم مَجْلِساً فيه بعض الطّالبيّين فقال : لا أتَكَلّم في مَجْلِس بحضرة أحدهم ؛ هُمْ أحَقّ بالكلام ، ولهم الرِّياسة والفَضْل .

وسَبّه أحد النّاس عند خروجه لِصلاة الفجر قائلاً :" تَدّعي الدِّين وأنت فاسق وفاجر " فقال ﷺ : اللّهُمّ إنْ كان صادقاً فاغْفِرْ لي وتُبْ عَلَيّ وسامِحْني ، وإنْ كان غيْر ذلك فاغْفِرْ له وتُبْ عليْه وسامِحْه .

وقال أبو بيان الأصبهانيّ : رأيْتُ النّبِيّ ﷺ في النوم فقلْتُ :" يا رسول الله .. مُحَمّد بن إدريس الشّافعيّ ابن عمّك هلْ نَفَعْتَه بشيء أو خَصَصْتَه بشيء ؟ " قال :(نَعَمْ .. سَأَلْتُ اللّهَ ألاّ يُحَاسِبَه) فقُلْتُ :" بماذا يا رسول الله ؟ " قال (إنّهُ كَانَ يُصَلّي عَلَيّ صَلاَةً لَمْ يُصَلّ بِمِثْلِ تِلْكَ الصّلاَةِ أحَد) =

- فقُلْت :" وما تِلْك الصّلاة يا رسول الله ؟ " قال (كَانَ يُصَلِّي عَلَيَّ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كُلَّمَا ذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كُلَّمَا غَفَلَ عَنْهُ الْغَافِلُون) .. صفة الصّفْوَة ٢/٢٥٧ والمُنْتَظِم ١٠/١٣٨

من مؤلّفاته : المبسوط في الفقه ، الرّسالة ، اختلاف الحديث ، فضائل قريش ، صدقة الحيّ عن الميت ، إبطال الاستِحْسان ، عِشْرَة النِّسَاء .

من أقواله ﷺ :

- ما ناظرْتُ أحداً إلا ولم أُبَالِ بَيّن اللهُ الحقّ على لساني أو لسانه .
- لولا مذاكَرة الإخوان في العِلْم والتّهَجُّد في اللّيْل ما أَحْبَبْتُ البقاء في هذه الدار .
- ما جَلَسْتُ مَجْلِساً قَطّ أريد فيه أنْ أعلو القَوْم إلا واسْتَفْتَحْتُ وارتَجّ عَلَيّ في الكلام ، وما جَلَسْتُ مَجْلِساً قَطّ أريد فيه أنْ أستفيد من القَوْم إلا وقُمْتُ وهُمْ مُعْتَرِفون كُلّهم بفضلي .
- ما أَوْرَدْتُ الحقّ والحُجّة على أحد فقَبِلَهما مِنّي إلا هِيبَتُه واعْتَقَدْتُ مودّته ، ولا كابَرني على الحقّ أحد ودافَع الحُجّة إلا سَقَط من عَيْني .
- لم تُمْسِ بنا نعمة ظَهَرَت أو بَطَنَتْ نِلْنا بها حظّاً في دين أو دُنْيا أو دُفِع عنّا بها مكروه فيها إلا ورسول الله ﷺ سببُها .
- مَن شَبِع من الحلال كثيراً شَرِب كثيراً فنام كثيراً فنَدِم كثيراً ؛ لِفواته الخير الكثير .
- لا يُشاوِر مَن ليس في بيّنه دقيق .
- لوْ رَأَيْتُ صاحِب بدعة يمشي على الهواء ما قَبِلْتُه .
- ليس العِلْم ما حُفِظ ؛ إنّما العِلْم ما نَفَع .
- من علامة الصّادق في أخوّة أخيه أنْ يَقْبَل عِلّله ويَسُدّ خَلّله ويَغْفِر زَلّله .
- إذا صَحّ الحديث فهو مذهبي .
- نَزِّهْ سَمْعَك عن استماع الخَنَا كما تُنَزِّه لسانك عن القول به ؛ فإنّ المُسْتَمِع شريك القائل ، وإنّما نظر إلى شرّ ما في وعائه فأفْرَغها في وعائك ، ولو رُدّت كلمة سفيه في فيه لَسَعِد بها رادّها كما شقي بها قائلها .
- ليس سرور يَعْدِل صُحْبَة الإخوان ولا غَمّ يَعْدِل فراقهم .
- أَظْلَمُ الظّالمينَ لِنَفْسه مَن تَوَاضَع لِمَن لا يُكْرِمه ورَغِبَ في مودّة مَن لا يَنْفَعه وقَبِل مدْح مَن لا يَعْرِفه .
- مَن وَعَظ أخاه سرّاً فقدْ نصحه وزانَه ، ومَن وَعَظه علانيةً فقدْ فضحه وشانَه .
- مَن نَمّ لك نَمّ عليك ، ومَن إذا أَرْضَيْتَه قال فيك ما ليس فيك كذلك إذا أَغْضَبْتَه قال فيك ما ليس فيك .
- مَن كَتَم سِرّه مَلَك أمْره .
- مَن طلب العِلْم بِعِزّ النّفْس لَمْ يفلح ، ومَن طلبه بِذُلّ النّفْس وخدمة العلماء أفْلَح .

والفِضَّةِ ، فذَكَرَ ضيقَ مالِكٍ وأهلِ الحِجَازِ ؛ يَأكُلُونَ القَدِيدَ ويَمُصُّونَ النَّوَى ، فبكَى ، فقالَ لهُ مُحَمَّدٌ :" لاَ يَرُعْكَ مَا رَأَيْتَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ؛ فمَا هُوَ إلاَّ مالٌ مُكْتَسَبٌ مَا طالَبَنِي اللهُ فيهِ بفَرْضٍ ، وأنَا أُخْرِجُ زكاتَهُ كُلَّ عامٍ فأَسُرُّ بهِ الصَّدِيقَ وأَكْبِتُ بهِ العَدُوَّ " ، وقصَّةُ الشَّافِعِيِّ مَعَهُ شَهيرة (١) .

وكذا معَ مالِكٍ ﷺ لَمَّا رَجَعَ مِنَ العِراقِ واجْتَمَعَ بهِ في حالِ غنائِهِ وأُخْبِرَ بأنَّهُ صارَ لهُ ثلاثُمائةِ جاريةٍ يَبِيتُ عِنْدَ كُلِّ جاريةٍ لَيْلَةً ، فلَمَّا دَخَلَ دارَهُ رَأَى بِنَاءً غَيْرَ البِنَاءِ الذي رآهُ أوَّلاً ، فبكَى ، فقالَ مالِكٌ :" مِمَّ بُكاؤُكَ ؟! كأنَّكَ خِفْتَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ أنِّي بِعْتُ الآخِرةَ بالدُّنْيَا ؟ " فقالَ :" هُوَ واللهِ كذلكَ " قالَ :" طِبْ نَفْساً وقَرَّ عَيْناً ؛ فإنَّ هَذِهِ هَدايَا خُراسانَ ومِصْرَ وسائرِ الدُّنْيَا تَجِيئُنِي ، وقَدْ كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْبَلُ الهَدِيَّةَ ويَرُدُّ الصَّدَقَةَ ، وإنَّ لِي ثلاثمائةَ حُلَّةٍ مِنْ خُراسانَ وقَباطيَّ مِصْرَ ، وعِنْدِي عَبِيدٌ مِثْلُهَا ، وهيَ هَدِيَّةٌ مِنِّي إلَيْكَ ، وفي صناديقِي تِلْكَ خَمْسَةُ آلافِ دينارٍ أُخْرِجُ زكَاتَهَا كُلَّ حَوْلٍ ، فلَكَ نِصْفُهَا هَدِيَّة " ..

= – مَن رضي بالقنوع زال عنه الخضوع .

– الانبساط إلى النَّاس مَجْلَبَة لِقُرَنَاء السُّوء ، والانقباض عنهم مكسبة لِلعداوة ، فَكُنْ بيْن المُنْقَبِض والمُنْبَسِط .

– مَن ادعى أنَّه جَمَع بيْن حُبِّ الدُّنْيَا وحُبِّ خالِقِها في قَلْبه فقدْ كذَب .

– إذا رَأَيْتَ العالِم يَشْتَغِل بالرُّخَص فليس يجيء منْه شيء .

– ليس مِن المروءة أنْ يُخْبِر الرَّجُل بِسِنِّه ؛ لأنَّه إنْ كان صغيراً اسْتَحْقَروه ، وإنْ كان كبيراً اسْتَهْزَموه .

– مَن طاب ريحه زاد عقْله .

– استَعِينوا على الكلام بالصَّمْت ، وعلى الاسْتِنْبَاط بالفِكْر .

– رضا النَّاس غاية لا تُدْرَك ، فعليْك بما يُصْلِحك فالْزَمْه ؛ فإنَّه لا سبيل إلى رضاهم ، واعْلَمْ أنَّه مَن تَعَلَّم القرآن جَلَّ في عيون النَّاس ، ومَن تَعَلَّم الحديث قَوِيَت حُجَّتُه ، ومَن تَعَلَّم النَّحْو هِيب ، ومَن تَعَلَّم العربيَّة رَقَّ طَبْعه ، ومَن تَعَلَّم الحساب جزل رأيه ، ومَن تَعَلَّم الفقه نَبُلَ قَدْره ، ومَن لم يَصُنْ نَفْسَه لم يَنْفَعْه عِلْمُهُ ، ومِلاك ذلك كلِّه التَّقْوَى .

– السَّخَاء والكَرَم يُغَطِّيان عيوب الدُّنْيَا والآخرة بَعْد أنْ لا يَلْحَقهما بدعة .

تُوُفِّي ﷺ بمصر سنَة ٢٠٤ هـ .

(١) انظر نور الأبصار /٣٦٣ ، ٣٦٤

قالَ الشَّافعيُّ :" فقُلْتُ لهُ :" أنَا مَوْرُوثٌ ، وأنتَ مَوْرُوثٌ ؛ فلاَ يَبِيتُ جَمِيعُ مَا وَعَدْتَنِي بِهِ إلاَّ تَحْتَ خاتَمِي لِيَجْرِيَ مِلْكِي عَلَيْهِ ، فإنْ حَضَرَ أجَلِي كانَ لِوَرَثَتِي دُونَكَ ، وإنْ حَضَرَ أجَلُكَ كانَ لِي دُونَ وَرَثَتِكَ " فتَبَسَّمَ مالِكٌ وقالَ لِي : " أبَيْتَ إلاَّ العِلْمَ " فقُلْتُ لهُ :" لاَ يُسْتَعْمَلُ أحْسَنُ مِنْهُ " ، فمَا بِتُّ إلاَّ وجَمِيعُ ذلِكَ تَحْتَ خاتَمِي " (١) .

ومِنَ المَشْهُورِ أنَّ مالِكاً ﷺ أحدُ الأبدالِ الأرْبَعِينَ ، ومَنَاقِبُ الأئمَّةِ شَهِيرةٌ مَسْطُورةٌ .

ومِنهُمْ مَنْ يُحْجَبُ بالقَبُولِ مِنَ الخَلْقِ ، فإذَا قَبِلَ مَا يُعْطَى صَغُرَ في أعْيُنِهِمْ ؛ إذْ لاَ يَكْبُرُ عِندَهُمْ إلاَّ مَنْ لاَ يَعْبَأُ بدُنْيَاهُمْ ، وربَّمَا فَعَلَ ذلِكَ شَخْصٌ زندقةً واستِلافاً لِقُلوبِ العُبَّادِ عَلَيْهِ ولِيَتَوَجَّهُوا بالتَّعْظِيمِ إلَيْهِ ولِتَنْطَلِقَ الألْسُنُ بالثَّنَاءِ عَلَيْه (٢) ..

قالَ الشَّاذُليُّ :" مَنْ طَلَبَ الحَمْدَ مِنَ النَّاسِ بتَرْكِ الأخذِ مِنهُمْ فإنَّمَا يَعْبُدُ نَفْسَهُ وهَوَاهُ ، ولَيْسَ مِنَ اللهِ في شَيْءٍ " (٣) .

وقَدْ يكونُ مُرادُهمْ بأخْذِهِمْ مُخَالَفَةَ نفوسِهِمْ ..

ومِنْ ثَمَّ .. لَمَّا وَجَّهَ عِصامُ بْنُ يُوسُفَ البَلْخِيُّ (٤) شَيئاً إلَى حاتِمٍ الأصمِّ (٥)

(١) انظر نور الأبصار /٣٦٥ – ٣٦٧

(٢) انظر لطائف المِنَن /١٥٣

(٣) انظر لطائف المِنَن /١٥٣

(٤) هو أبو عصيمة عصام بن يوسف بن ميمون بن قدامة البلخيّ الحنفيّ ﷺ ، أخَذ عن عبد الله ابن المبارك وسُفْيَان الثَّوْرِيّ وشعبة بن الحَجّاج ، وأخَذ عنه أبو بكْر التّميميّ وأبو بكْر بن الرّمّاح وأبو عبد الله البَلْخِيّ

تُوُفِّي ﷺ سَنَة ٢١٥ هـ .

(٥) هو أبو عبد الرّحْمَن حاتم بن عنوان بن يوسف الأصمّ البلخيّ ﷺ ، كان يقال له " لقمان هذه الأُمّة " ، أخَذ عن شقيق البَلْخِيّ وسعيد بن عبد الله الماهيانيّ وشدّاد بن حكيم ، وأخَذ عنه أحمد ابن خضرويه وأبو تراب النَّخْشَبِيّ وأحمد بن حنبل .

سبب تسْميته بـ" الأصمّ " أنّه جاءته امرأة تسأله مسألةً فخَرَج منها ريح فخَجِلَت ، فقال حاتم : =

فقَبِلَهُ ، فقِيلَ لهُ :" لِمَ قَبِلْتَهُ ؟ " قالَ :" وَجَدْتُ في أَخْذِهِ ذُلِّي وعِزَّهُ ، وفي رَدِّي عِزِّي وذُلَّهُ ، فاخْتَرْتُ عِزَّهُ عَلَى عِزِّي ، وذُلِّي عَلَى ذُلِّه " (١) .

ومِنْهُمْ منْ يُحْجَبُ بشُهودِ المُمَاثَلَةِ ، وهُوَ أَشَدُّ الحُجُبِ عَنْ مَعْرِفَتِهِمْ ؛ لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ حَجَبَ بِهِ الأَوَّلِينَ ؛ قالَ تَعَالَى حِكايةً عَنْهُم ﴿ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ (٢) ، وقالَ مُخْبِراً عَنْهُم ﴿ أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ ﴾ (٣) ، وقالَ سُبْحَانَه ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ (٤) (٥) .

فإذَا أَرادَ اللهُ أنْ يُعَرِّفَكَ بوَلِيٍّ طَوَى عَنْكَ شُهُودَ بَشَرِيَّتِهِ وأَشْهَدَكَ وُجُودَ خصوصِيَّتِهِ كَمَا قَدَّمْنَاه (٦) (٧) .

= " ارْفَعِي صوتَك " وأَرَى مِن نَفْسه أنَّه أصمّ ، فسُرِّت بذلك ، فغَلَب عليه تلك الصِّفة .

سُئِل ﷺ :" مِن أين تأكل ؟ " فقال : ﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ .

مِن أقواله ﷺ :

- الزم خدمة مولاك تأتك الدُّنيَا راغمةً والأخرى راغبة .
- **تَعَهَّدْ نَفْسك في ثلاثة مَواضع** : إذا عَمِلْتَ فاذْكُرْ نظر الله إليك ، وإذا تَكَلَّمْتَ فاذْكُرْ سَمْع الله إليك ، وإذا سكَتَّ فاذْكُرْ عِلْم الله فيك .
- كان يقال : **العجلة من الشَّيْطان إلا في خَمْس** : إطعام الطَّعام إذا حَضَر الضَّيْف ، وتجهيز المَيِّت إذا مات ، وتزويج البِكْر إذا أَدْرَكَت ، وقضاء الدَّيْن إذا وجب ، والتَّوْبَة من الذَّنْب إذا أَذْنَب .
- **اطلب نَفْسك في أربعة أشياء** : العمل الصَّالح بغيْر رياء ، والأخذ بغيْر طمع ، والعطاء بغير منَّة والإمساك بغيْر بُخْل .
- مَثَل الدُّنْيَا كمَثَل ظِلِّك : إنْ طَلَبْتَه تَباعَد ، وإنْ تَرَكْتَه تَتَابَع .

تُوُفِّي ﷺ برباط رأس سروند سَنَة ٢٣٧ هـ .

(١) انظر طبقات الحنفيّة ١/١٨٢

(٢) سورة المؤمنون من الآية ٣٣

(٣) سورة القمر من الآية ٢٤

(٤) سورة الفرقان من الآية ٧

(٥) انظر لطائف المِنَن /١٥٤

(٦) انظر لطائف المِنَن /٤٨ ، ١٥٤

(٧) قال ابن عطاء الله السكندريّ ﷺ : الاقتداء لا يكون بوليّ مجهول العيْن في كوْن الله ، بَلْ إنَّما =

وبالجُمْلَةِ .. فالعارِفُ قَلَّ مَنْ يَعْرِفُهُ ، ومِنْ ثَمَّ جُهِلَتْ أحوالُ الأكابِرِ أربابِ المقاماتِ ، واشْتُهِرَ أهْلُ الأحوالِ ؛ لِظُهُورِ آثارِ المَواهِبِ عَلَيْهِمْ ؛ لِضَعْفِهِمْ عنْ كَتْمِهَا ، ولِضِيقِهِمْ عنْ وُسْعِهَا ، والعارِفُ لهُ وُسْعُ المَعْرِفَةِ ، فإذَا وَرَدَ الوارِدُ عَلَيْهِ غَرِقَ في وُسْعِ رَحْمَتِهِ ، وهَلْ رأيْتَ بَحْراً فاضَ مِنْ مَطَر ؟!

ولِذَا قيلَ لِلإمام الجُنَيْدِ :" مَا لَنَا نَرَى المَشايخَ يَتَحَرَّكُونَ في السَّماعِ وأنتَ لاَ تَتَحَرَّكُ ؟! " فقالَ :" ﴿ **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ** ﴾ (١) " (٢) .

فرُبَّما كانَ صاحِبُ الحالِ أحْظَى بإقبالِ الخَلْقِ مِنْ صاحِبِ المَقامِ وبَيْنَهُما كما بَيْنَ السَّماءِ والأرضِ ، فكُلَّما تَمَكَّنَ العارِفُ في العُلُومِ الإلَهيَّةِ والمَعارِفِ الرَّبَّانيَّةِ استُغْرِبَ في هذا العالَمِ ، فيَقِلُّ مَنْ يَعرِفُهُ ، ويُفْقَدُ مَنْ يُحِيطُ بِهِ فيَصِفُهُ .

ومِنْ جَواهِرِ ذلكَ : تَذَلُّلُ الأسَدِ لأسْتَاذِنَا وقَوْلُهُ في بَعْضِ الأسْفَارِ لِمُتَوَلِّي أمْرِهِ :" دَعهُ ؛ فإنَّهُ لاَ يَفترِسُ إلاَّ الغافِلَ " .

ومِنْ شَواهِدِ ذلكَ : أنَّ بُنانَ الحمَّالَ (٣) أُلْقِيَ بَيْنَ يَدَيْ سَبُعٍ ، فجَعَلَ السَّبُعُ

= يَكون الاقتداء بوليّ دلّك الله عليه وأطلعك على ما أودعه من الخصوصيّة لديه ، فطوى عنك شهود بشريّته في وجود خصوصيّته ، فألقيتَ إليه القياد فسلك بك سبيل الرّشاد ، يُعَرِّفك برعونات نفسك وكمائنها ودفائنها ، ويَدُلّك على الجَمْع على الله ويُعلّمك الفرار عمّا سوى الله ، ويسايرك في طريقك حتّى تَصِل إلى الله ويُوقِفك على إساءة نَفْسك ويُعَرِّفك بإحسان الله إليك ، فيفيدك معرفة إساءة نَفْسك الهرب منك وعدم الركون إليها ، ويفيدك العِلْم بإحسان الله إليك الإقبال عليه والقيام بالشكر إليه والدّوام على مَمَرّ الساعات بين يديه .

(١) سورة النّمل من الآية ٨٨

(٢) انظر : حِلْيَة الأوْلِياء ١٠/٢٧١ والرّسالة القُشَيْرِيَّة /٥٧ وحلّ الرّموز /٧٧ ولطائف المِنَن /١٣٩ ووفيات الأعيان ١/٣٧٣ وطبقات الأولياء /٧٦ ولطائف المِنَن لِلشّعرانيّ /٦١٨

أقول : وقد قال سيّدي إبراهيم التسوقيّ ﷺ : قيل لِلْجُنَيْد ﷺ :" إنّ قَوْماً يَتَواجدون ويَتَمَايلون ؟ " قال : دَعْهُمْ مع الله تعالى يَفْرَحون ، ولا تُنْكِر إلا على العصيان المُصَرَّح به في الشّريعة .

(٣) هو أبو الحَسَن بُنان بن مُحَمَّد بن حمدان الحمّال ﷺ ، أصله من واسط بالعراق ونشأ ببغداد وأقام بها وسمع الحديث وانتقل إلى مِصْر واستَقَرّ بها ، أخذ عن الجُنَيْد وابن الزّعفرانيّ ، وأخذ عنه النّوريّ وابن يونس وابن رشيق .

يَشُمُّهُ ولاَ يَضُرُّهُ (١) ، فلَمَّا خَرَجَ قيلَ لـهُ :" مَا الذي كانَ في قَلْبِكَ حينَ شَمَّكَ السَّبُعُ ؟ " قالَ :" كُنْتُ أَتَفَكَّرُ في اخْتِلافِ العُلَماءِ في سُؤرِ السِّبَاعِ (٢) " (٣) .

ومِنْهَا : أنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كانَ في بَعْضِ الأسفارِ ، فلَقِيَ جَمَاعَةً وَقَفُوا عَلَى الطَّرِيقِ مِنْ خَوْفِ السَّبُعِ ، فطَرَدَهُ مِنْ طريقِهِمْ ثُمَّ قالَ :" إنَّمَا سُلِّطَ عَلَى ابْنِ آدَمَ مَا يَخَافُهُ ، ولَوْ أنَّهُ لَمْ يَخَفْ غَيْرَ اللَّهِ لَمْ يُسَلَّطْ عَلَيْهِ شَيْء " (٤) .

= يَحكِي ﷺ عنْ نَفْسه فيقول : دخلْتُ البَرِّيَّة على طريق تبوك وحْدي فاستَوْحَشْتُ ، فإذا هاتف يهتف : يا بنان .. نقضْتَ العهد ؛ لِمَ تستوحش ؟! أليس حبيبك معك ؟!

جاءه ﷺ رَجُل كان له على رَجُل مائة دينار بوثيقة إلى أجَل ، فلَمّا جاء الأجَل طلب الوثيقة فلمْ يَجِدْها ، فجاء إلى بنان ﷺ فسأله الدُّعَاء ، فقال له :" أنا رَجُل قدْ كَبُرْتُ ، وأنا أحبّ الحلواء ؛ اذهبْ فاشْتَرِ لي رطْل معقود وجئْني به حتّى أدْعُو لك " ، فذهب الرَّجُل فاشْتَرَى له ما قال ثُمّ جاء به فقال ﷺ :" افتح القرطاس " ففَتَح الرَّجُلُ القرطاسَ فإذا هو بالوثيقة فقال :" هذه وثيقتي !" فقال ﷺ : " خُذْ وثيقتك وخذ المعقود أطْعِمْه صبيانك " فأخَذَهما ومضى .

من أقواله ﷺ :

- مَن أكَل بِشَرَه نَفْس أعْمَى الله عيْن قَلْبه .
- الحُرّ عبْد ما طمع ، والعبد حُرّ ما قَنِع .
- مَنْ كانَ يَسُرّه ما يَضُرّه متى يفلح ؟!
- رؤية الأسباب جملةً على الدَّوام قاطعة عن مُشاهَدة المُسَبِّب ، والإعراض عن الأسباب يُؤَدِّي بصاحبه إلى ركوب البواطل .

ومن نَظْمه ﷺ :

لَحَانِي العاذلون فقُلْتُ مَهْلاً ... فإنِّي لا أرى في الحُبّ عارَا
، قالوا قدْ خَلَعْتَ فقُلْتُ لَسْنَا ... بأوّل خالِعٍ خَلَع العِذَارَا

تُوُفِّي ﷺ سَنَة ٣١٦ هـ ودُفن بالقرافة بسفح المُقَطَّم .

(١) وكان الذي أمَر بإلقائه ﷺ لِلسَّبُع أحمد بن طولون لَمّا أغْلَظ ﷺ عليه في النُّصْح .

(٢) السُّؤر : بقيّة الماء الذي شَرِب منْه السَّبُع .

(٣) انظر : حِلْيَة الأوْلياء ٣٢٤/١٠ وتاريخ بغداد ١٠٠/٧ والرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٤١ والمُنْتَظِم ٢١٧/٦ وصفة الصَّفْوَة ٤٤٩/٢ وسِيَر أعلام النُّبَلاء ٤٨٩/١٤ والبداية والنِّهاية ١٥٨/١١ ورَوْض الرَّياحين /٢٢٢ وطبقات الأولياء /١٠٨ وشذرات الذَّهَب ٢٧١/١ وجامع كرامات الأولياء ٦١٢/١

(٤) انظر : الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٨٠ وحلّ الرّموز /٤٩ ورَوْض الرَّياحين /٣٠ وجامع كرامات الأولياء ١١٠/٢

وفَعَلَ إبراهيمُ بْنُ أَدْهمَ مِثْلَ ذلكَ (١) .

ومِنْهَا : أَنَّهُ كانَ في قَصْرِ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بتَسْتُرٍ بَيتٌ سمَّاهُ " بَيْتَ السَّبُعِ " لأنَّ السِّبَاعَ كانَتْ تأتي إلَيْهِ فيُدخِلُهُمْ هَذَا البَيْتَ ويُضيفُهُمْ ويُطْعِمُهمُ اللَّحْمَ ثُمَّ يُخَلِّيهِمْ (٢) .

ومِنْهَا : أَنَّ إبراهيمَ الرَّقِّيَّ (٣) قَصَدَ أَبَا الخَيْرِ التِّيناتيَّ (٤) مُسَلِّماً ، فصلَّى

(١) **أقول** : روى القُشَيْري واليافعيّ عن أحدهم قال : كُنَّا مع إبراهيم بن أدهم ﷺ فأتاه النَّاس فقالوا : " يا أبا إسحاق .. وقَفَ الأسد على طريقنا ؟ " فأتَى إبراهيم إلى الأسد فقال :" يا أبا الحارث .. إنْ كُنْتَ أُمِرْتَ فينَا بشيء فامْضِ لِمَا أُمِرْتَ به ، وإنْ لم تُؤْمَر بشيء فتَنَحَّ عن طريقنا " فأدْبَر الأسد وهو يُهَمْهِم .

(٢) انظر : الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٨١ ورَوْض الرَّياحين /٢٥٥

(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن داود القصّار الرَّقيّ ﷺ ، مِن كبار مشايخ الشّام ، أَخَذ عن الإمام الجُنَيْد وعبد الصَّمَد بن أحمد الخطيب .

مِن أقواله ﷺ :

- مَن اكْتَفَى بغيْر الكافي افْتَقَر مِن حَيْث استَغْنَى ، ومَن تَعَزَّز بشيء غيْر الله فقدْ ذلّ في عِزّه .
- نَفْسك سائرة بك ، وقَلْبك طائر بك ، فَكُنْ مع أَسْرَعهما .
- أَضْعَف الخَلْق مَن ضَعُف عنْ رَدّ شهواته ، وأَقْوَى الخَلْق مَن قَوِي على رَدّها .
- **حَسْبك مِن الدُّنْيَا ثَلاثَان** : خدمة وَلِيّ ، وصحبة فقير .
- علامة محبّة الله إيثار طاعته ومُتابَعة نبيّه ﷺ .
- المعرفة إثبات الحقّ على ما هو ، خارجاً عنْ كُلّ ما هو موهوم .
- الكفايات تَصِل إليْك بلا تعب ، والأشغال والتَّعَب في الفضول .
- قيمة كُلّ إنسان بقَدْر همّته ، فإنْ كانت همّته لِلدُّنْيَا فلا قيمة له ، وإنْ كانت همّته رضاء الله فلا يُمكِن استدراك غاية قيمته ولا الوقوف عليْها .

تُوُفِّي ﷺ سنَة ٣٢٦ هـ .

(٤) هو أبو الخَيْر حمّاد بن عبد الله الأقطع التِّيناتيّ ﷺ ، أصلُه مِن المَغْرِب وسَكَن " التِّينات " مِن أعمال حلب ، أَخَذ عن أبي عبد الله بن الجلاّء ، وأَخَذ عنه أبو عُثْمَان المَغْرِبيّ وأبو عليّ الأهوازيّ وأحمد بن الحَسَن .

دَخَل عليْه ﷺ جماعة مِن البغداديّين يَتَكَلَّمون بشَطْحهم بحضرته ، فضاق صدْره مِن كلامهم فخَرَج ، فجاء السَّبُع فدَخَل البَيْت ، فانْضَمّ بَعْضُهم إلى بَعْضٍ ساكتين وتَغَيَّرَت ألوانهم ، فدَخَل ﷺ فقال : يا ساداتي .. أيْن تلك الدّعاوَى ؟! .. انظر بغية الطّلب في تاريخ حلب ١٠/٤٤٤٠ -

المَغْرِبَ ولَمْ يَقْرَأِ الفاتِحةَ مُستَوِياً ..

قالَ :" فقُلْتُ في نَفْسِي :" ضَاعَتْ سفْرَتِي " ، فلَمَّا سَلَّمَ خَرَجْتُ لِلطَّهارةِ ، فقَصَدَنِي السَّبُعُ ، فعُدْتُ وقُلْتُ :" إنَّ الأسَدَ قَصَدَنِي " ، فخَرَجَ وصاحَ عَلَيْهِ قائلاً : " ألَمْ أقُلْ لكَ لاَ تَتَعَرَّضْ لِضيفَاني ؟! " ، فتَنَحَّى السَّبُعُ وتَطَهَّرْتُ ، فلَمَّا رَجَعْتُ قالَ :" اشْتَغَلْتُمْ بِتَقْوِيمِ الظَّاهِرِ فخِفْتُمُ الأسَدَ ، واشْتَغَلْنَا بتَقْوِيمِ الباطِنِ فخَافَنَا الأسَد (١) " .

= يَحكِي ﷺ فيقول : أتَيْتُ قَبْرَ رسول الله ﷺ وأنا جائع فقُلْتُ :" أنا ضَيْفُكَ يا رسول الله " وتَنَحَّيْتُ ونِمْتُ خَلْفَ المِنْبَرِ فرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فقَبَّلْتُ ما بيْن عَيْنَيْه فدَفَع لي رغيفاً فأكلْتُ نِصْفَه وانْتَبَهْتُ وبيدي النِّصْف الآخَر .. انظر : طبقات الصوفيّة /٢٨٨ وصفة الصَّفْوَة ٢٨٣/٤ وطبقات الأولياء /١٥٤ وجامع كرامات الأولياء ٤٥١/١

ويَحكِي ﷺ فيقول : بقِيتُ بمكّة سَنَةً فأصابني ضرّ وفاقة ، فكُلَّما أردْتُ أنْ أخرج إلى المسألة هَتَف بي هاتف يقول :(الْوَجْهُ الَّذِي يَسْجُدُ لِي تَبْتَذِلُهُ لِغَيْرِي) !

وروى القشيريّ عن حمزة بن عبد الله العلويّ قال : دَخَلْتُ على أبي الخَيْر التِّيناتيّ ، وكُنْتُ اعتَقَدْتُ في نَفْسي أنْ أُسَلِّم عليْه وأخْرُج ولا آكُل عنده طعاماً ، فلَمّا خَرَجْتُ مِن عنده ومشيْتُ قَدْراً فإذا به خَلْفي وقدْ حَمَل طبقاً عليْه طعام ، فقال : يا فتى .. كُلْ هذا ؛ فقدْ خَرَجْتَ السّاعةَ مِن اعتقادك .

مِن أقواله ﷺ :

- لَنْ يَصفُو قَلْبك إلا بتصحيح النِّيَّة لله تعالى ، ولَنْ يَصفُو بدنك إلا بخدمة أولياء الله تعالى .
- الدَّعْوَى رعونة لا يَحتَمِل القَلْب إمساكها ، يُلْقِيها إلى اللِّسان فتَنْطِق بها ألسنة الحَمْقَى .
- إيّاك وكثرة السَّفَر ؛ فإنَّه يُقَسِّي القَلْب ويَذْهَب بالدِّين .
- مَن أحَبَّ أنْ يَطَّلِع النّاس على عمله فهو مُرَائي .
- **القلوب ظروف** : فقَلْب مملوء ايماناً ، وعلامته الشَّفَقة على جميع المُسْلِمين والاهتمام بما يهمّهم ومعاوَنتهم على مَصالِحهم ، وقَلْب مملوء نفاقاً ، فعلامته الحقد والغِلّ والغِشّ والحسد .
- لا يجوز التَّصَدُّر لِلْمَشْيَخَة إلا لِمَن فَرَغ مِن تهذيب نَفْسه ، ومَن بقي عليْه بقيّة فهو مريد ، والمريد لا يكون له مريد .
- ما بَلَغ أحد إلى حالة شريفة إلا بمُلازَمة المُوافَقة ومُعانَقة الأدب وأداء الفرائض وصُحْبَة الصّالحين وخدمة الفقراء الصّادقين .

تُوُفِّي ﷺ بمِصْر سَنَة ٣٤٧ هـ ، ودُفِن بالقرافة الصُّغْرَى بالقُرْب مِن ذي النُّون المِصْرِيّ ﷺ .

(١) انظر : الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٨٢ وبغية الطَّلَب في تاريخ حلب ٤٤٤٠/١٠ وروْض =

ومِنْهَا : أنَّ جابِرَ الرَّحبيَّ (١) قالَ :" أكْثَرَ أهْلُ الرَّحبةِ عَلَيَّ إنكارَ الكراماتِ ، فركِبْتُ السَّبُعَ يَوْماً ودَخَلْتُ الرَّحبـةَ وقُلْتُ : أيْنَ الذينَ يُكَذِّبُونَ أولياءَ اللـهِ ؟! " فكَفُّوا بَعْدَ ذلكَ عَنِّي " (٢) .

ومِنْهَا : حَجَّ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ (٣) معَ شَيْبَانَ الرَّاعي (٤) ، فتَعَرَّضَ لَهُمَـا سَبُعٌ ،

= الرِّياحين /٢٢٢ وطبقات الأولياء /١٥٥ وطبقات الشعرانيّ /١٨٨ وجامع كرامات الأولياء نقلاً عن الشعرانيّ ٤٥٣/١

(١) هو جابر الرّحبيّ ﷺ ، كان ﷺ يمشي على الماء .

من أقواله ﷺ :

- ذِكْر الله تعالى باللِّسان يُورِث الدَّرجات ، وذِكْرُهُ عَزّ وجَلّ بالقَلْب يُورِث القربات .
- البريء جريء ، والخائن خائف ، ومَن أساء استَوْحَش .
- الجوع طعام الزّاهدين ، والذِّكْر طعام العارفين .

(٢) انظر : الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٨٧ وصفة الصَّفْوَة ٢٤١/٤ ورَوْض الرِّياحين /٢٥٥

(٣) هو أبو عبد الله سُفْيَان بن سعيد بن مسروق الثَّوْرِيّ الكوفيّ ﷺ ، وُلِد بالكوفة سَنَة ٩٧ هـ ، لُقِّب بـ" أمير المُؤْمِنين في الحديث " ، أخَذ عن أبيه وعن جَعْفَر الصّادق وابن أبي ليلى ، وأخَذ عنه عبد الله ابن المبارك ويَحْيَى بن القَطّان .

قال مُحَمَّد بن مُسْلِم الطّائفيّ : إذا رَأيْتَ سُفْيَان الثَّوْرِيّ فاسأل الله الجَنَّة .. حِلْيَة الأوْلِياء ٣٦/٧

وقال الخليفة أبو جَعْفَر المَنْصُور : أُلْقِيَ الحَبّ إلى العلماء فلَقَطوا ، إلا ما كـان مِن سُفْيَان ؛ فإنَّـه أعْيَانا فرارا .

كان ﷺ إذا جَلَس لِلْعِلْم وأعْجَبَه مَنْطِقه يَقْطَع كلامَه ويقوم ويقول : أُخِذْنَا ونحن لا نَشْعُر .

ونَصَح ﷺ إنساناً رآه في خدمة الـولاة ، فقـال :" فمـا أصنـع بعيـالي ؟ " فقـال ﷺ : ألاَ تَسْمَعون لهذا ؟! يقول إنَّه إذا عَصَى اللهَ رَزَق عيالَه ، وإذا أطاعه ضيَّعَهم !!

وسُئِل ﷺ عنْ رَجُل عليْه دَيْن : أيأكل اللَّحْم ؟ فقال : لا .

من مؤلَّفاته : الجامع الكبير ، الجامع الصغير ، الفرائض .

من أقواله ﷺ :

- إنِّي لأضَع يَدَيّ على رأسي من اللَّيْل إذا سَمِعْتُ صَيْحَةً فأقول : قَدْ جاءنا العذاب !
- لو أنّ السَّمَاء لم تُمْطِر والأرض لم تُنْبِت ثُمّ اهتَمَمْتُ بشيء من رِزْقي لَظَنَنْتُ أنِّي كافِر .
- واللهِ ما يَسُرُّني مِن إتيـان الأمـراء أنِّـي لا أرى لهم طاعـةً ، ولكنِّـي رَجُل أُحِبّ الطَّعَام الطَّيِّب ؛ فأخاف أنْ يُفْسِدوني .
- أصْبَحْتُ في دار حارَت فيها الأدِلاّء .

- مَنَعَتْنَا الشّيعة أنْ نَذْكُر فضائل عَلِيّ .
- إذا كُنْتَ في الشّام فاذْكُرْ مَنَاقب عَلِيّ ، وإذا كُنْتَ بالكوفة فاذْكُرْ مَنَاقب أبي بكْر وعُمَر .
- حُسْن الأدب يُطْفِئ غضب الرَّبّ عَزّ وجَلّ .
- النَّظَر إلى وجْه الظّالم خطيئة .
- الحلال لا يَحْتَمِل السَّرَف .
- يَهْتِف العِلْم بالعمل ، فإنْ أجابه وإلا ارْتَحَل .
- إذا رَأَيْتَ الرَّجُل يَعْمَل العمل الذي قد اخْتُلِف فيه وأنت تَرَى غيْره فلا تَنْهَه .
- لا تقولوا : " اخْتَلَف العلماء في كذا " ، وقولوا : تَوَسّع العلماء على الأُمّة في كذا .
- مَن تَصَدّر لِلعِلْم قَبْل أنْ يحتاج إليه أوْرَثَه ذلك الذُّلّ .
- قال الثَّعْلَب : تَعَلَّمْتُ لِلْكَلْب اثْنَيْن وسَبْعين دستاناً فلم أرَ مِن الدّستانات خَيْراً مِن أنْ لا أرَى الكَلْب ولا يراني .
- إنّ أقْبَح الرَّغْبَة أنْ تَطْلُب الدُّنْيَا بعمل الآخرة .
- ما وَجَدْنَا شيئاً أنْفَعَ في دِين ولا دُنْيَا مِن أخٍ مُوافِق .
- النّاس نيام ، فإذا ماتوا انْتَبَهوا .
- مَن كان في يده شيء فلْيُصلِحْه ؛ فإنّه في زمان إن احتاج فيه فأوّلُ ما يَبْذُله دِينُه .
- كُلْ ما شِئْتَ ولا تَشْرَبْ ؛ فإنّك إذا لم تَشْرَبْ لم يَجِئْك النوم .
- لا يَنْبَغِي لِلرَّجُل أنْ يَطْلُب العِلْم والحديث حتّى يَعْمَل في الأدب عشرين سَنَة .
- لا تَصْحَب في السَّفَر مَن يَتَكَرَّم عليْك ؛ فإنّك إنْ ساوَيْتَه في النَّفَقَة أضَرّ بك ، وإنْ تَفَضَّل عليْك استَعْبَدَك .
- إذا أُثْنِي على الرَّجُل جيرانُه أجْمَعون فهو رَجُل سُوء ؛ يراهم يَعْمَلون بالمعاصي فلا يغير عليْهم ويَلْقَاهم بوجْهٍ طلق .
- إنّي لأعْرِف حُبّ الرَّجُل لِلدُّنْيَا بتسليمه على أهْل الدُّنْيَا .
- بَلَغَني أنّه يأتي على النّاس زمان تمتلئ قلوبهم في ذلك الزّمان مِن حُبّ الدُّنْيَا فلا تَدْخُله الخشية ، وأنت تَعْرِف ذلك إذا مَلأْتَ جراباً مِن شيء حتّى يمتلئ فأرَدْتَ أنْ تُدْخِل فيه غيْرَه لَمْ تَجِدْ لِذلك مِن خلاء .
- يأتي على النّاس زمان لا تقرّ فيه عيْن حكيم .
- إنّ المَلَكَيْن لَيَجِدَان رِيح الحسنات والسَّيِّئات إذا عَقَد القَلْب على ذلك ، فكما لا يؤذونك لا تؤذِهم .
- الزُّهْد في الدُّنْيَا قِصَر الأمل ، ليس بأكل الغليظ ولا لِبْس العبا .
- انْظُرْ دِرْهَمك مِن أين هو وصَلّ في الصّفّ الأخير .

- لا تجيبوا دَعْوَةً إلا دَعْوَةَ مَن تَرَوْن أنّ قلوبكم تَصلُح على طعامه .
- إذا أرْضَيْتَ ربَّك أسْخَطْتَ النّاس ، وإذا أسْخَطْتَهم فتَهَيَّأْ لِلسِّهَام ، والتَّهَيُّؤ لِلسِّهَام أحَبّ مِن أنْ يَذْهَب دِين الرَّجُل .
- إنْ أرَدْتَ أنْ يَصِحّ جِسْمك ويَقِلّ نومك فأقْلِلْ من الأكل .
- ازْهَدْ في الدُّنْيَا ونَمْ .
- مَن أصْغَى سَمْعَه إلى صاحِب بدعة فقدْ خَرَج من عصمة الله تعالى .
- إذا قرأ الرَّجُل القرآن قَبَّل المَلَك بيْن عَيْنَيْه .
- بَلَغَني أنّ العبد يَعْمَل العمل سرّاً فلا يَزَال به الشَّيْطان حتّى يَغْلِيه فيُكَتَّب في العلانية ، ثُمّ لا يَزَال الشَّيْطان به حتّى يُحِبّ أنْ يُحْمَد عليْه فيُنْسَخ من العلانية فيُثْبَت في الرِّياء .
- إنّ هؤلاء الملوك قدْ تركوا لكم الآخرة ، فاتركوا لهم الدُّنْيَا .
- **ثلاثة من الصَّبْر** : لا تُحَدِّثْ بمصيبتك ، ولا بوجعك ، ولا تُزَكِّ نَفْسك .
- احْذَرْ حُبّ المَنْزِلة ؛ فإنّ الزَّهادة فيها أشَدّ من الزَّهادة في الدُّنْيَا .
- إذا زَهِد العبد في الدُّنْيَا أنْبَتَ اللهُ الحكمةَ في قَلْبه وأطْلَقَ بها لسانَه وبَصَّره عيوب الدُّنْيَا ودواءها ودواءها .
- ما رأيْتُ أسْهَل من الورع ؛ ما حاك في نَفْسك تَرَكْتَه .
- إنْ كُنْتَ ترجو الله فاقنع به ؛ فعنده الفضل الكثير البشير ، مَن ذا الذي تلزمه فاقة وذُخْره الله العَلِيّ الكبير ؟!
- مكتوب في التَّوْراة :(إذَا كَانَ فِي الْبَيْتِ بُرٌّ فَتَعَبَّدْ ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فَالتَّمِس) .
- إذا أرَدْتَ أنْ تَنْظُر قَدْر الدُّنْيَا فانْظُرْ عند مَن هي !
- لِكُلّ ذنب تَوْبَة ، وتَرْك الذَّنْب أيْسَر من طلب التَّوْبَة .
- ما كان الله لِيُنْعِم على عبْدٍ في الدُّنْيَا فيَفْضَحه في الآخرة ، ويحقّ على المُنْعِم أنْ يُتِمّ على مَن أنْعَم عليْه .
- لَنعمة الله فيما زَوَى عنّي من الدُّنْيَا أعْظَم من نعمته عَلَيّ فيما أعطاني .
- إنّما سُمِّيَت الدُّنْيَا لأنّها دَنِيّة ، وسُمِّي المال لأنّه يميل بأهْله .
- ما أُعْطِي رَجُل من الدُّنْيَا شيئاً إلا قيل له : خُذْه ومِثْله حُرْنًا .
- لو لم يَنْبَغِ لِلأشراف أنْ يَزْهَدوا في الدُّنْيَا إلا لأنّها تَضَعهم وتَرْفَع السَّفلة عليْهم كان يحقّ لهم أنْ يَزْهَدوا فيها .
- الفاجر الرّاجي لرحمة الله أقْرَب الى الله من العابد الذي يَرَى أنّه لا يَنال ما عند الله إلا بعمله .
- إذا زارك أخوك فلا تَقُلْ له :" أتأكل ؟ وأُقَدِّم إليْك ؟ " ، ولكنْ قَدِّمْ ، فإنْ أكَل وإلا فارْفَعْ .

= – إلهي .. البهائم يَزْجُرها الرّاعي فتَزْجَر عن هواها ، وأراني لا يَزْجُرني كتابك عمّا أهْواه ! فيا سَوْأتاه .

تُوُفّي ﷺ بالبَصْرَة سَنَة ١٦١ هـ .

روى أبو نُعَيم : قال عبد الرحمن بن مهديّ : لَمّا أنْ غسلْتُ سُفْيَان الثَّوْرِيّ وجدْتُ في جَسَده مكتوبا ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّه ﴾ حِلْيَة الأولياء ٣٧١/٦

وروى أيضاً : قال القاسم بن مُحَمَّد : لَمّا مات سُفْيَان الثَّوْرِيّ جاء شيْخ أبيض الرّأس واللّحْيَة حتّى قام على قبْره وهو يُدْفَن فقال :" يا سُفْيَان .. أمِنْتَ مِمَّن كُنْتَ تخاف ، وقَدِمْتَ على مَن كُنْتَ تَعْبُد ، ووالله ما يَسُرّنا أنْ يَلِي حسابَنا أحد غيْر الله تعالى " ثُمّ لمْ يُرَ ، فكانوا يَرَوْنَه الخضر ..

حِلْيَة الأولياء ٦٢/٧

وقال القُشَيْرِيّ : رُؤِي سُفْيَان الثَّوْرِيّ في المنام فقيل له :" ما فَعَل الله بك ؟ " قال : وَضَعَتْ قَدَمِي على الصِّرَاط والثّاني في الجَنّة .

(٤) هو أبو مُحَمَّد مُحَمَّد بن عبد الله شيبان الرّاعي ﷺ .

كان ﷺ إذا أجْنَب وليس عنده ماء دعا ربَّه فجاءت سحابة فأظَلّته فاغْتَسَل مِنْها ، وكان يَذْهَب إلى الجمعة فيَخُطّ على غنمِه فيجيء فيجدها على حالتها لمْ تَتَحَرّك .. انظر حِلْيَة الأولياء ٣١٧/٨

وروى القُشَيْرِيّ واليافعيّ والشّعرانيّ أنّه ﷺ مَرّ على الإمامَيْن الشّافعيّ وأحمد ، فقال الإمام أحمد :" أريد يا أبا عبد الله أنْ أُنَبِّه هذا على نقصان عليْه لِيَشْتَغِل بتحصيل بعض العلوم " فقال الإمام الشّافعيّ :" لا تَفْعَل " فلم يَقْنَع ، فقال لِشيبان :" ما تقول فيمَن نسي صلاةً مِن خَمْس صلوات في اليوم والليلة ولا يدري أيّ صلاة نَسِيها : ما الواجب عليْه يا شيبان ؟ " فقال شيبان :" يا أحمد .. هذا قَلْب غفل عن الله تعالى ، فالواجب أنْ يُؤَدَّب حتّى لا يَغْفل عنْ مولاه " ، فغشي على الإمام أحمد ، فلَمّا أفاق قال له الإمام الشّافعيّ : ألمْ أقُلْ لك لا تُحَرِّك هذا ؟!

ولَمّا حَجّ هارون الرّشيد قيل له : إنّ شيبان قدْ حَجّ هذا العام ، فقال :" اطلبوه لي " ، فطلبوه فأتَوْه به ، فقال :" يا شيبان .. عِظْني " فقال ﷺ :" يا أمير المؤمنين .. إنّ الذي يُخَوِّفك قَبْل أنْ تَبْلُغ المأمن أنْصَحُ لك مِن الذي يُؤَمِّنك قَبْل أنْ تَبْلُغ الخوف " ، فقال :" أيّ شيء تفسير هذا ؟ " قال ﷺ : الذي يقول لك :" يا هذا .. اتّقِ الله عَزّ وجَلّ ؛ فإنّك رَجُل مِن هذه الأُمّة ، استَرْعَاك الله عليْها وقَلّدك أمورها ، وأنت مسئول عنْها ، فاعْدِلْ في الرّعِيّة واقْسِمْ بالسّوِيّة وانفِرْ في السّرِيّة واتّقِ الله في نَفْسك " هذا الذي يخوّفك فإذا بَلَغْتَ المأمن أمِنْتَ هو أنْصَحُ لك مِمَّن يقول :" أنتم أهْل بَيْت مغفور لكم وأنتم قرابة نَبِيّكم وفي شفاعته " فلا يزال يُؤَمِّنك حتّى إذا بَلَغْتَ الخوف عطبْتَ " فبكى هارون حتّى رَحِمه مَن حوْله ، ثُمّ قال :" زِدْنِي " قال :" حَسْبُك " ثُمّ خرج .

تُوُفّي ﷺ بمِصْر ودُفِن بالقَرافة .

فأَخَذَ شَيْبَانُ أُذُنَهُ فعركَها ، فبَصْبَصَ وحَرَّكَ ذَنَبَهُ ، فقالَ سُفْيَانُ :" مَا هَذِهِ الشُّهْرَةُ ؟! " فقالَ :" لَوْلاَ مَخَافَةُ الشُّهْرَةِ لَمَا وَضَعْتُ زادِيَ إلاَّ عَلَى ظَهْرِهِ حتَّى آتِيَ مكَّةَ " (١) .

ومِنْهَا : كانَ حامِدٌ الأَسْوَدُ معَ إبراهيمَ الخَوَّاصِ (٢) في البَرِّيَّةِ ، قالَ :" بَيْنَمَا

(١) انظر : الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٩١ وحِلْيَة الأَوْلياء ٦٩/٧ وصفة الصَّفْوَة ٣٧٧/٤ والمُنْتَظِم ٢١٩/٨ وسِيَر أعلام النُّبَلاء ٢٦٨/٧ ورَوْض الرَّياحين /٢٢١ وجامع كرامات الأولياء ١٦٧/١

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل الخَوّاص ﷺ ، أخَذ عن أبي عبد الله المَغْرِبيّ وخَيْر النَّسّاج ، وأخَذ عنه حامد الأسود وغيْره .

كان ﷺ إذا دُعِي إلى دعوة فيها خبْز بائت أمْسَك يده وقال : هذا مُنِع حقّ الله فيه ؛ إذ بات ولم يُخْرَج من يوْمه .

يَحكِي ﷺ عنْ نَفْسه فيقول : كُنْتُ في جبل اللكام فرَأَيْتُ رُمّاناً فاشْتَهَيْتُه ، فدَنَوْتُ فأَخَذْتُ منْه واحدةً فشَقَقْتُها فوجدتُها حامضةً ، فمَضَيْتُ وتَرَكْتُ الرُّمّان ، فرَأَيْتُ رَجُلاً مطروحاً قد اجْتَمَع عليْه الزَّنابير ، فقُلْتُ :" السّلام عليْك " فقال :" وعليْك السّلام يا إبراهيم " فقُلْتُ :" كَيْف عَرَفْتَني ؟! " فقال : " مَن عَرَف اللهَ تعالى لا يَخْفَى عليْه شيء " ، فقُلْتُ :" أرى لك حالاً مع الله تعالى ؛ فلو سألْتَه أنْ يحميك ويقيك الأذى من هذه الزَّنابير ؟ " فقال :" وأنا أرى لك حالاً مع الله تعالى ، فلو سألْتَه أنْ يقيك شَهْوَةَ الرُّمّان ؛ فإنّ لَذْغ الرُّمّان يَجِد ألَمَه الإنسانُ في الآخرة ، ولَذْغ الزَّنابير يَجِد ألَمَه في الدُّنْيا " ، فتَرَكْتُه ومَضَيْت .

ويَحكِي ﷺ فيقول : كُنْتُ ببغداد في جامع المدينة وهناك جماعة من الفقراء ، فأَقْبَل شابّ ظريف طَيِّب الرّائحة حَسَن الحُرْمة حَسَن الوجه ، فقُلْتُ لأصحابنا :" يقع لي أنّه يهوديّ " ، فكَلّهم كَرِهوا ذلك فخَرَجْتُ ، وخرج الشّابّ ثُمّ رجع إليْهم وقال :" إيش قال الشَّيْخ فيّ ؟ " فاحتشَموه ، فألَحّ عليْهم فقالوا : " قال إنّك يهوديّ " ، فجاءني وأكَبّ على يدي وأسْلَم ، فقيل له :" ما السَّبَب ؟! " قال :" نَجِد في كُتُبنا أنّ الصِّدِّيق لا تُخْطِئ فِراسته ، فقُلْتُ : أمّتي المُسْلِمين ، فتَأَمَّلْتُهُمْ فقُلْتُ : إنْ كان فيهم صِدِّيق ففي هذه الطّائفة ؛ لأنّهم يقولون حديثَه سبحانه ، فلَبِسْتُ عليكم ، فلَمّا اطّلَع هذا الشَّيْخ عَلَيّ وتَفَرَّس فِيّ عَلِمْتُ أنّه صِدِّيق " ، وصار الشّابّ من كبار الصُّوفِيّة .

ويقول : كُنْتُ لَيْلَةً من اللَّيالي في البادية ، فنِمْتُ على حَجَر فإذا أنا بشَيْطان قدْ جاء وقال :" قُمْ مِن ها هُنَا " فقُلْتُ :" اذْهَبْ " فقال :" إنّي أُرَقِّصك فتَهْلِك " فقُلْتُ :" افْعَلْ ما شِئْتَ " فرَقّصني فوقَعْتُ رِجْلَه عَلَيّ كأنّها خِرقَة ، فقال :" أنت وَلِيّ الله .. مَن أنت ؟! " قُلْتُ : أنا إبراهيم الخَوّاص ..

انظر تاريخ بغداد ٢٨٥/٥

سُئِل ﷺ :" ما بال الإنسان يتواجد عند سماع الأشعار ولا يتواجد عند سماع القرآن ؟ " فقال : -

نَحْنُ عِنْدَ شَجَرَةٍ جاءَ السَّبُعُ ، فصَعَدْتُ الشَّجَرَةَ لاَ يأخُذُنِي نَومٌ إلَى الصَّبَاحِ ، ونامَ إبراهيمُ الخَوَّاصُ والسَّبُعُ يَشُمُّهُ مِنْ رأسِهِ إلَى قَدَمَيْهِ ، ثُمَّ مَضَى ، فلَمَّا كانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّانِيةُ بِتْنَا بِمَسْجِدٍ في قَرْيَةٍ ، فوَقَعَتْ بَقَّةٌ عَلَى وَجْهِهِ فأنَّ لَهَا أنَّـةً ، فقُلْتُ :" هَذَا عَجيبٌ !! البارِحةَ لَمْ تَجْزَعْ مِنَ الأسَدِ ، واللَّيْلَةَ تَصيحُ مِنَ البَقِّ ؟! " قالَ :" تِلْكَ حالةٌ كُنْتُ فيهَا باللَّهِ ، وهَذِهِ حالةٌ أنَا فيهَا مَعَ نَفْسِي " (١) .

ومِنْهَا : نَحْوُ ذلِكَ عنِ الشَّاذُلِيِّ قالَ :" نِمْتُ لَيْلَةً في سياحَتِي عَلَـى رابِيـةٍ مِنَ

- لأنّ سماع القرآن صدعة لا يُمكِن لأحد أنْ يَتَحَرّك فيها ؛ لِشِدّة غَلَبَتِه ، وسماع القول ترويح ؛ فيَتَحَرّك فيه .

من أقواله ﷺ :

- يجب على المريد الاجتماع بمَن يَكْشِف له عن عيوبه ويدلّه على مَواضع الزِّيادة ويكـون نَظَـرُه إليْـه قُوّةً له على تهييج حاله .

- **آفة المريد ثلاثة** : حُـبّ الدِّرْهَـم ، وحُبّ النِّسـاء ، وحُبّ الرِّئاسـةِ ؛ فيُدفَـع حُبّ الدِّرْهَـم باسْتِعْمَال الورع ، ويُدفَع حُبّ النِّساء بتَرْك الشَّهَوات وتَرْك الشِّبَع ، ويُدفَع حُبّ الرِّئاسة بإثبات الخمول .

- مَن شَرِب من كأس الرئاسة فقدْ خرج من إخلاص العبوديّة .

- **دواء القَلْب خمسة أشياء** : قراءة القـرآن بـالتَّدبُّر ، وخـلاء البَطْـن ، وقيـام اللَّيْل ، والتَّضَـرُّع عند السَّحَر ، ومجالَسة الصّالحين .

- مَن لم يَصبِرْ لم يَظفَرْ ، وإنّ لإبليس وثاقَيْن ما أُوثِقَ بنو آدم بأوثق منْهما : خَوْف الفَقْر ، والطَّمَع .

- مَن تَرَك شَهْوَةً فلم يَجِدْ عِوَضَها في قَلْبه فهو كاذب في تَرْكها .

- المُتاجِر برأس مال غيْره مُفْلِس .

- **العِلْم كُلّه في عبارتَيْن** : لا تَتَكَلَّفْ ما كُفِيتَ ، ولا تُضَيِّع ما استُكْفِيت .

- كُلّ مريد يَتَوَجّه إلى الله وهموم الأرزاق قائمة في قَلْبه فإنّه لا يفلح ولا ينفذ في تَوَجُّهه .

- **الحكمة تَنْزِل من السَّمَاء فلا تَسْكُن قلباً فيه أربعة** : الرُّكون إلى الدُّنْيَا ، وهَمّ غدٍ ، وحُـبّ الفضـول وحَسَد أخ .

- المحبّة مَحْو الإرادات واحتراق الصِّفات والحاجات .

- المراعاة تُورِث المراقَبة ، والمراقَبة تُورِث خلوص السِّرّ والعلانية لِلّه تعالى .

- الرِّزْق ليس فيه تَوَكُّل ، إنّما فيه صَبْر حتّى يأتي الله به فـي وقْتـه الـذي وَعَـد ، وإنّمـا يَقْوَى صَبْر العَبْد على قَدْر مَعْرِفَته بما صَبَر له أو لِمَن صَبَر .

تُوُفِّي ﷺ بالرِّيّ سَنَة ٢٩١ هـ .

(١) انظر : الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٩٢ وصفة الصَّفْوَة ٤/١٠٠ وجامع كرامات الأولياء ١/٣٨٩

الأرض ، فجاءَتِ السِّبَاعُ فأطَافَتْ بِـي وأقـامَتْ إلَـى الصَّبَـاحِ ، فمَـا وَجَدْتُ أُنْسـاً كأُنْسِ اللَّيْلَةِ ، فلَمَّا أصْبَحْتُ خَطَرَ لِي أنَّهُ حَصَلَ لي مِنْ مَقامِ الأُنْسِ باللهِ شَـيْءٌ ، فهَبَطْتُ وادِياً وكانَ هُنَاكَ طيورٌ حُجُلٌ لَمْ أرَها ، فلَمَّا أحَسَّتْ بِي طـارَتْ ، فخَفَقَ قَلْبِي رُعْباً ، فنُودِيت :(يَا مَنْ كَانَ الْبَارِحةَ يَأْنَسُ بِالسِّـبَاعِ .. مَـا لَـكَ تَوْجَلُ مِنْ خَفَقَانِ الْحُجُلِ ! ولَكِنَّكَ الْبَارِحَةَ كُنْتَ بِنَا ، وَالآنَ أَنْتَ بِنَفْسِك) " (١) .

ومِنْهَا : أنَّ عَمْرَو بْنَ عتبةَ (٢) كانَ يُصَلِّي والغَمَامُ فَوْقَ رَأْسِهِ والسَّبُعُ خَلْفَهُ يُحَرِّكُ ذَنَبَهُ (٣) .

ومِنْهَا : باتَ ابْنُ أدْهَمَ بِغَيضَةٍ فيها حَطَبٌ كثيرٌ بِقُرْبِ حِصْنٍ ومَعَهُ أصحابُهُ فأخَذَ أصْحَابُهُ ناراً مِنَ الحِصْنِ وأوقَدُوا مِنَ الحَطَبِ وأخْرَجُوا خُبْزاً مَعَهُمْ يَأكُلُونَهُ فقالَ بَعْضُهُمْ :" ما أحسَنَ هذا الجَمْرَ لوْ كانَ لَنَـا لَحْمٌ نَشْـوِيهِ عَلَيْـهِ " ، فقـالَ ابْنُ أدْهَمَ :" إنَّ اللهَ لَقادِرٌ عَلَـى أنْ يُطْعِمَكُمُوهُ " ، فبَيْنَمَـا هُـمْ كَذلِكَ إذَا بأسَدٍ يُطَـارِدُ غَزالاً ، فلَمَّا قَرُبَ مِنْهُمُ انْدَقَّ عُنُقُـهُ ، فقـالَ ابْـنُ أدْهَـمَ :" اذْبَحُـوهُ ؛ فقَـدْ أطْعَمَكُـمُ اللهُ " ، فذَبَحُوهُ وشَوَوْا مِنْ لَحْمِهِ والأسَدُ يَنْظُرُ إلَيْهِمْ (٤) .

(١) انظر : لطائف المِنَن /٦٠ ودرّة الأسرار /٢٥ ورَوْض الرَّياحين /٣٨٨ ونور الأبصار /٤٠٣ والمَفَاخر العَلِيّة /١٥ وجامع كرامات الأولياء ٣٤٢/٢

(٢) هو عمرو بن عتبة بن فرقد السلميّ ﷺ ، أخَذ عن أبيه الصحابيّ الجليل سَيِّدنا عتبة بن فرقد وسيِّدنا عبد الله بن مسعود والسيِّدة سُبَيْعَة بنت الحارث ﷺ ، وأخَذ عنه الشَّعبيّ والأعمش وأبو طيبة .

يَحكِي ﷺ عن نَفْسه فيقول : إنِّي لأستَحْيِي من الله أنْ أخاف شيئاً سِوَاه .

ويَحكِي - أيضاً - عنْ نَفْسه فيقول : سألْتُ الله ثلاثاً فأعطاني اثْنَتَيْن ، وأنا أنْتَظِر الثّالثة : سـألْتُه أنْ يُزَهِّدني في الدُّنيَا ؛ فما أبالي ما أقْبَلَ ومـا أدْبَرَ ، وسألْتُه أنْ يُقَوِّيَنـي علـى الصّـلاة ؛ فرزقَنـي منْهـا ، وسألْتُه الشّهادة ؛ فأنا أرجوها .

وكانَ ﷺ يَخْرُج على فَرَسه ليلاً فيقف على القبـور فيقول :" يـا أهْل القبـور .. طُوبَـى لِلصُّحُف ورُفِعَت الأعمال " ثُمّ يبكي ثُمّ يَصُفّ قدمَيْه حتّى يُصْبِح فيَرْجِع فيَشْهد صلاة الصُّبْح .

استُشْهِد في غزاة أذَرْبِيجَان التي كان أبوه ﷺ أمير جُنْدها سَنَة ٢٢ هـ .

(٣) انظر : الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٩٦ وحِلْيَـة الأوْلِيـاء ١٥٧/٤ وصفـة الصَّفْوَة ٦٩/٣ وجـامع كرامـات الأولياء ٤٢٤/٢

(٤) انظر : الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٩٦ ورَوْض الرَّياحين /٢١٦

ومِنْهَا : بَيْنَمَا الخَوَّاصُ بالباديةِ عِنْدَ شَجَرةٍ بِقُرْبِها ماءٌ إذَا بسَبُعٍ عَظيمٍ أَقْبَلَ ، قالَ :" فاستَسْلَمْتُ ، فقَرُبَ مِنِّي ، فإذَا هُوَ يَعْرُجُ ، فحَمْحَمَ وبَرَكَ بَيْنَ يَدَيَّ ووَضَعَ يَدَهُ في حِجْرِي ، فنَظَرْتُ فإذَا يَدُهُ مُنتفِخةٌ فيها دَمٌ وقيحٌ ، فأَخَذْتُ خَشَبَةً وشَقَقْتُ مَوْضِعَ القيحِ وشَدَدْتُ عَلَى يَدِهِ خِرقَةً ، فمَضَى ، فإذَا أنَا بِهِ بَعْدَ ساعةٍ ومَعَهُ شِبْلاَنِ يُبَصْبِصَانِ حَوْلِي ، وحَمَلاَ إلَيَّ رَغِيفَيْنِ " (١) .

وبَيْنَما هُوَ - أيضاً - بِخَرِبَةٍ باللَّيلِ في طريقِ مكَّةَ إذَا فيهَا سَبُعٌ عظيمٌ ، قالَ : " فخِفْتُ مِنْهُ ، فهَتَفَ بِي هاتِف :(اثْبُتْ ؛ فَإِنَّ حَوْلَكَ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَحْفَظُونَك) " (٢) .

وبالجُمْلَةِ .. فأهْلُ هَذَا الشَّأنِ لاَ يَرْكَنُونَ إلَى الكراماتِ باعْتِمَادٍ ، ولاَ يَمِيلُونَ إلَيْهَا باسْتِنَاد .

وقالَ أُسْتَاذُنَا :" خاصُّ الخاصِّ هُمْ أهْلُ الخُصُوصيَّةِ المُخْتَصُّونَ مِنَ الخَلْقِ ، جَعَلُوا زَوَايَاهُمْ قُلُوبَهُمْ ولِبَسَهُمْ تَقْوَاهُمْ ، وخَوْفَهُمْ مِمَّنْ خَلَقَهُمْ وصَوَّرَهُمْ وبَرَاهُمْ ، وهُمْ كَمَا قِيلَ :

مِنَ السَّعادةِ أَلاَّ تَبْعُدَ الدَّارُ ... وهَلْ يَبُلُّ غَلِيلَ الشَّوْقِ تِنْكَارُ ؟!

لَيْتَ المَنَازِلَ بالجَرْعَاءِ دانِيةٌ ... مِنَّا وذاكَ الذي نَهْوَى بِهَا جارُ

ونَسْمَةُ القُرْبِ إنْ مَرَّتْ بِهِمْ سَحَراً ... تَمَايَلُوا وبَدَتْ لِلسُّكْرِ آثارُ

هُمْ صَاحَبُوا لَيْلَهُمْ كَيْمَا يُعَرِّفَهُمْ ... قطعَ الطَّرِيقِ كأنَّ اللَّيْلَ عَيَّارُ

سَقَاهُمُ الوَجْدُ كاساتِ السُّرَى فغَدَوْا ... مِنْهُ سُكَارَى كأنَّ الوَجْدَ خَمَّارُ

مُقَلَّدِينَ سُيُوفاً مِنْ عزائمِهِمْ ... مُدَرَّعِينَ دُروعاً وهيَ أَسْتَارُ

نَامُوا قَعَدْتُ قَلِيلاً نِمْتُ فانْتَبِهُوا ... يَا لَيْتَهُمْ أيْقَظُونِي عِنْدَمَا سَارُوا

تَشْتَاقُهُمْ كُلُّ أرْضٍ يَنْزِلُونَ بِهَا ... كأنَّهُمْ في بِقَاعِ الأرضِ أمْطَارُ

قالَ :" وخواصُّ الخواصِّ رَفَضُوا الكراماتِ ولَمْ يَعبَأُوا بِهَا ولَمْ يَرْضَوْهَا وخَرَجُوا عَنْهَا ؛ لِعِلْمِهِمْ أنَّهَا مِنْ ثمرةِ أعمالِهِمْ ، فلَمْ يَطِيرُوا في الهواءِ ،

---

(١) انظر : الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٩٩ ورَوْض الرَّيَاحين /٢٢١

(٢) انظر : الرِّسالة القشيريّة /٣٠١ ورَوْض الرَّياحين /٢٢١

ولمْ يَمْشُوا على الماءِ ، ولمْ يَقْطَعُوا لُجّةَ الأرضِ في ساعةٍ أوْ دُونَ ساعةٍ ، ولمْ يَرْمُوا الذَّهَبَ مِنَ الهواءِ ، ولمْ يُسَخَّرْ لَهُمُ البَرُّ والبَحْرُ والدَّوابُّ والهوامُّ والحيوانُ ولمْ تُبَصْبِصْ لهمُ الأُسُودُ ، ولمْ يَضْرِبُوا رِجْلَهُمْ بالأرضِ فَانْفَجَرَ ماءً زلالاً فيُرْوَى مِنْهُ كُلُّ ظمآنٍ ، ولاَ مَسُّوا أَجْذَمَ ولاَ أَبْرَصَ فَبَرِئَ ، ولمْ يَضْرِبُوا الحَجَرَ فَنَبَعَ منْهُ الماءُ فَشَرِبَ مِنْهُ الظَّمْآنُ ماءً أَبْرَدَ مِنَ الثَّلْجِ وأَبْيَضَ مِنَ اللَّبَنِ وأَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ ولاَ غَيْرَ ذلكَ ، بَلْ طَلَبُوا مِنَ اللهِ حُسْنَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الكَرِيمِ (١) ؛ لأنَّ ذلكَ أَعْلَى مَقاماً عِنْدَ القَوْمِ كَمَا قالَ تَعَالَى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (٢) " (٣) .

ولَوْلاَ خَشْيَةَ الإطالةِ لأيَّدْنَا شواهِدَ ذلك ..

ويُؤَيِّدُ مَا قُلْنَاهُ مُقْتَصِرِينَ عَلَى الاسْتِشْهَادِ لهُ بكلامِ أُسْتَاذِنَا : أنَّ أَبَا العبّاس الرَّقِّيَّ (٤) قالَ :" كُنَّا مَعَ أَبِي تُرَابٍ النَّخْشَبِيِّ (٥) في طريقِ مكَّةَ ، فعَدَلَ عنِ

(١) إذا كان مقصود هؤلاء الأكابر هو حُسْن النَّظَر إلى وجْهه الكريم فإنّ أيّ شيء آخر مَهْمَا استَشْرَفَتْه النَّفْس أو تاقت إليْه لا يُمكن أنْ يَعْدِل - فضلاً عن أنْ يقارَن بلذّة النَّظَر إلى وجْهه الكريم ، ولِهذا فلا يُستَغْرَب أنّ أهْل الجَنَّة حينما يَمُنّ الله عليْهم بالنَّظَر إلى وجْه الكريم يَنْسَوْن كُلّ نَعيم الجَنَّة ومُتَعها التي وصَفَها النَّبيّ ﷺ بأنّ فيها ما لا عَيْن رأت ولا أُذُن سَمِعَت ولا خَطَر على قَلْب بَشَر ، وأيّ وَجْه لِلاستغراب والجَنَّة ذاتها ما هي إلا مَظْهَر مِن مَظاهر رضوان الله ونِعَمه ، ولكنّ النِّعْمَة الكُبْرَى أنْ يَمُنّ الله عليْهم بالرِّضا وأنْ يَمْنَحهم لذّة مشاهَدة وجْهه الكريم ..

ولِهذا فإنّ ساداتنا الأولياء لا يَطْلُبون مِن الله تعالى إلا الله ، لا يَطْلُبون جَنَّةً ولا ناراً ؛ فالله تعالى هو مقصودهم وهو معبودهم وهو مرادهم وهو مطلوبهم ؛ وهو المُسْتَحِقّ لِلعبادة حتّى ولو لم يَخْلُق جَنَّةً ولا ناراً ..

ولله درّ السَّيِّدة رابعة العدويّة رضي الله عنْها إذْ قالت : إلهي .. إنْ كُنْتُ أعبدك خوفاً مِن نارك فاحْرِقْني بها ، وإنْ كُنْتُ أعبدك طمعاً في جَنَّتك فاحرمني منْها .

(٢) سورة القيامة الآيتان ٢٢ ، ٢٣

(٣) الجَوْهَرة المُضيئة /٣٢١ ، ٣٢٢ وانظر طبقات الشّعرانيّ /٣٠٢

(٤) هو أبو العبّاس أحمد بن وهْب بن عمرو بن عثمان الرَّقّيّ المعيطيّ ﷺ ، أَخَذ عن أبي تراب النّخشبيّ وحكيم بن سَيْف الرَّقّيّ ، وأَخَذ عنه مخلد بن جَعْفَر الدّقّاق والحُسَيْن بن القاسم .

تُوُفّي ﷺ سَنَة ٢٩٩ هـ .

(٥) هو أبو تراب عَسْكَر بن حصين النَّخْشَبيّ ﷺ نِسْبَةً إلى قرية بالعراق ، أَخَذ عن شقيق البَلْخيّ =

الطَّريقِ إلَى ناحيةٍ ، فقالَ لهُ بَعْضُ أصْحَابِـهِ :" أنَـا عَطْشَـانُ " ، فضَـرَبَ برِجْلِـهِ فإذَا عَيْنُ ماءٍ كأنَّهَا الزَّلالُ ، فقالَ الفَتَى :" أُحِبُّ أنْ أشْرَبَهُ فـي قَـدَحٍ " ، فضَـرَبَ بِيَدَهِ الأرضَ فنَاولَهُ قَدَحاً مِنْ زُجاجٍ أبيضَ كأحْسَنَ مَا رَأيْتُ فشَرِبَ وسَقَانَا ، ومَـا زالَ القَدَحُ مَعَنَا إلَى مكَّةَ ، فقالَ لِي أبُـو تُرَابٍ يَوْماً :" مَا تَقُولُ أصحابُكَ في هَـذِهِ

= وحاتم الأصمّ ونُعَيم بن حمّاد ، وأخَذ عنه أبو حمزة الصّوفيّ وعبد الله بن الجلاّء ويوسف ابن الحُسَيْن .

يحكي ﷺ فيقول : ما تَمَنَّتْ نَفْسي عَلَيَّ شيئاً قَطّ إلا مرّةً واحدةً ؛ تَمَنَّتْ عَلَيَّ خُبْزاً وبَيْضاً وأنا فـي سفري ، فعَدَلْتُ عن الطَّريق إلى قريـة فوثب رَجُل وتَعَلَّق بي وقـال :" كـان هذا مـع اللُّصـوص " فبطحوني وضربوني سبعين خَشَبَةً ، فوَقَف عليّنـا رَجُل صوفيّ فصَرَخ وقـال :" وَيْحَكُم !! هذا أبو تراب النَّخْشَبيّ " فخلّوني واعتذَروا إليّ ، وأدْخَلَني الرَّجُل مَنْزِلَه وقَدَّم إليّ خُبْزاً وبَيْضاً ، فقُلْـتُ : كُلُّهـا بَعْد سبعين جَلْدَة .

مِن أقواله ﷺ :

- إنّ الله عزّ وجلّ يُنْطِق العلماء في كُلّ زمان بما يُشَاكِل أعمالَ ذلك الزّمان .
- إذا أجْمَعَ العبد على تَرْك الذُّنوب أتَتْه الإمدادت مِن كُلّ جانِب .
- التَّوَكُّلُ طَرْح البَدَن في العبوديّة ، وتَعَلُّقُ القَلْب بالرُّبُوبيّة ، والطّمأنينة إلى الكفاية ، فإنْ أُعْطِي شَـكَر وإنْ مُنِع صَبَر .
- مَن استَفْتَح أبواب المعاش بغيْر مفاتيح الأقدار وُكِل إلى حوْله وقوّته .
- حقيقة الغِنَى أنْ تَسْتَغْنِي عَمَّن هو مِثْلُك ، وحقيقة الفقر أنْ تَفْتَقِر إلى مَن هو مِثْلُك .
- الصّوفيّ هو الذي لا يُكَدِّره شيء ، ويَصْفُو به كُلّ شيء .
- إذا أُلِفَت القلوبُ الإعراضَ عن الله عَزّ وجَلّ صَحِبَتْها الوقيعة في الأولياء .
- **ثلاث مِن مَنَاقِب الإيمان** : الاستعداد لِلمَوْت ، والرِّضَا بالكفاف ، والتَّفْويض إلى الله .. **وثلاث مِن مَنَاقِب الكُفْر** : طول الغفلة عن الله ، والطّيرة ، والحسد .
- إذا تَوَاتَرَت على أحدكم النِّعَم فلْيَبْكِ على نَفْسه ؛ فقَدْ سُلِك به غيْر طريق الصّالحين .
- **النّاس يُحِبّون ثلاثةً وليست لهم** : النَّفْس والروح ؛ وهُمَا لله ، والمال ؛ وهو لِلْوَرَثَة .. **ويَطْلُبون اثْنَيْن ولا يَجِدونهما** : الفرح والراحة ؛ وهُمَا في الجَنَّة .
- ليس مِن العبادات شيء أنْفَع مِن إصلاح خواطر القلوب .
- **الفقير قُوتُه ما وَجَد ، ولباسه ما سَتَر ، ومَسْكَنه حَيْث نَزَل .**
- **مَن شَغَل مشغولاً بالله عن الله أدْرَكه المَقْت في الوقْت .**

تُوُفِّي ﷺ بالبادية بيْن مكة والمدينة سَنَة ٢٤٥ هـ .

الأمورِ التي يُكْرِمُ اللهُ بِهَا عِبادَهُ ؟ " فقُلْتُ :" مَا رَأَيْتُ أحداً إلاَّ وهُوَ يُؤْمِنُ بِهَا " ، فقالَ :" مَنْ لَمْ يُؤمِنْ بِهَا فقَدْ كَفَرَ ، إنَّمَا سألْتُكَ عَنْ طَرِيقِ الأحوالِ " فقُلْتُ :" مَا أعْرِفُ لَهُمْ قَولاً فيهَا " قالَ :" بَلَى قَدْ زَعَمَ أصحابُكَ أنَّهَا خِدَعٌ مِنَ الحَقِّ (١) ، ولَيْسَ الأمْرُ كذلِكَ ؛ إنَّمَا الخِدَعُ في حالِ السُّكونِ إلَيْهَا ، فأمَّا مَنْ لَمْ يَقْتَرِحْ ذلكَ ولَمْ يُسَاكِنْهَا فتِلْكَ مَرْتَبَةُ الرَّبَّانِيِّينَ " (٢) .

قالُوا : والكرامَةُ المَعْنَوِيَّةُ أفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنَ الحِسِّيَّةِ : كمَعْرِفَتِهِ ، والخَشْيَةِ لهُ ، ودَوَامِ مُراقَبَتِهِ ، والمُسَارَعَةِ لامْتِثالِ أمْرِهِ ونَهْيِهِ ، والرُّسُوخِ في اليَقِينِ ، ودوامِ المُتَابَعَةِ ، والاسْتِمَاعِ مِنَ اللهِ والفَهْمِ عَنْهُ ، ودَوَامِ الثِّقَةِ بِهِ ، وصِدْقِ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ ... إلَى غَيْرِ ذلكَ .

ومِنَ الجَوَاهِرِ : في سؤالِ هذا السُّلْطانِ أسْتَاذَنَا ببلادٍ يُوقِفُها عَلَيْهِ فلَمْ يَقْبَلْهَا دليلٌ عَلَى زُهْدِهِ في الدُّنْيَا ، ويُسْتَدَلُّ عَلَى زُهْدِهِ فيهَا - أيضاً - بزُهْدِهِ في الرِّيَاسَةِ ويُسْتَدَلُّ عَلَى زُهْدِهِ في الرِّيَاسَةِ بزُهْدِهِ في التَّوَجُّهِ إلَى السُّلْطانِ والاجْتِمَاعِ بأهْلِ الرِّيَاسَةِ ، ولَقَدْ مَكَثَ - رحمةُ اللهِ عَلَيْهِ - بِخَلْوَتِهِ عِشْرِينَ سَنَةً مَا رَأَى أحداً مِنْ أهْلِ الدُّنْيَا ولاَ أرْسَلَ - طُولَ حياتِهِ - يَلْتَمِسُ شَيْئاً مِنْ أبنائِهَا ، ولَمَّا أتَى إلَيْهِ هَذَا السُّلْطانُ في بَحْبُوحَةِ عِزِّهِ وتَمَكُّنِهِ مِنَ السَّلْطَنَةِ - مَعَ زِيادةِ شَهَامَتِهِ عَلَى المُلوكِ السَّابقةِ واللاَّحِقةِ - لَمْ يَلْوِ إلَيْهِ الشَّيْخُ عنانَ هِمَّتِهِ ولاَ فَوَّقَ إلَيْهِ سِهامَ عَزِيمَتِهِ .

ومِنْ زُهْدِهِ : أنَّهُ خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا مَا بَنَى لهُ لَبِنَةً ، ولاَ اتَّخَذَ بُسْتَاناً ، ولاَ اسْتَفْتَحَ شَبْراً مِنْ أسْبَابِ الدُّنْيَا ، ولاَ تَرَكَ وَرَاءَهُ غَيْرَ الجَزِيرَةِ التي أشَارَ إلَيْهَا بكَلامِهِ ..

ومِنْ ثَمَّ .. قالَ عُلَمَاؤُنَا : الأوْلَى تَرْكُ عِمَارَةِ مَا زادَ عَلَى الحاجةِ ..

ورُبَّما قيلَ : يُكْرَهُ .

قالَ ﷺ ﴿ **إنَّ الرَّجُلَ لَيُؤْجَرُ فِي نَفَقَتِهِ كُلِّهَا إلاَّ فِي هَذَا التُّرَابِ** ﴾ .. رَوَاهُ ابْنُ

(١) أيْ مَكْر واسْتِدْراج من الله تعالى .

(٢) انظر : الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /٢٩٤ وصفة الصَّفْوَة ١٧٣/٤ ، ١٧٤ ولطائف المِنَن /٩ ، ٤٩ ورَوْض الرِّياحين /٢١٣ وجامع كرامات الأولياء ٤٦/١

حِبّانَ في صَحِيحِه (١) (٢) .

وقالَ ﷺ ﴿ أَمَا إنَّ كُلَّ بِنَاءٍ وَبَالٌ عَلَى صَاحِبِهِ إلاَّ مَا لاَ إلاَّ مَا لاَ ﴾ أيْ : إلاَّ مَا لاَ بُدَّ مِنْهُ .. رَوَاهُ أبُو داوُد (٣) .

مَعَ أنَّ الزُّهْدَ وَصْفٌ مِنْ أوصافِ القُلُوبِ ـ كَمَا مَرَّتِ الإشارةُ إلَيْهِ ـ يَصِفُ اللهُ بِهِ قَلْبَ مَنْ أحَبَّهُ ، لَكِنْ لهُ علاماتٌ تَدُلُّ عَلَيْهِ ..

قالَ أبُو العبّاس المُرْسِيُّ :" رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الخطّابِ ﷺ في المَنَامِ ، فقُلْتُ : " يَا أميرَ المُؤمِنِينَ .. مَا عَلامَةُ حُبِّ الدُّنْيَا ؟ " قال :" خَوْفُ المَذَمَّةِ ، وَحُبُّ الثَّنَاء " (٤) ..

فإذَا كانَ عَلامَةُ حُبِّها ذلكَ فعَلامَةُ الزُّهْدِ فيهَا وبُغْضِها أنْ لاَ يَخَافَ المَذَمَّةَ ولاَ يُحِبَّ الثَّنَاء .

قالَ أُستَاذُنَا في حقائقِهِ أثْنَاءَ مَوْعِظَةٍ :" فإنْ كُنْتَ ولَدِي حقّاً ومُتَّبِعِي صِدْقاً فأَخْلِصْ لِلَّهِ رِقّاً ، واجْعَلْ وعْظَكَ مِنْ قَلْبِكَ ، وكُنْ عمّالاً ، ولاَ تَلْمِسَ لأحدٍ دِرْهَماً ؛ فإنَّ هَذِهِ طريقي ، ومَنْ أحبَّنِي سلَكَ تحقيقِي ، فالفقيرُ الصّادقُ يُطْعِمُ

(١) صحيح ابن حبّان ٣٤/٨ عن سَيِّدنا خبّاب بن الأرتّ ﷺ ، وأخْرَجه التِّرْمِذيّ ٦٥١/٤ وابن ماجة ١٣٩٤/٢ وأحمد ١١٠/٥ والقضاعيّ ١٥٣/٢ والبَيْهَقِيّ في الشّعب ٣٩٣/٧ والطّبرانيّ ٦١/٤ وهنّاد بن السّريّ ٣٧٤/٢ والشّاشيّ في مُسْنَده ٤٠٢/٢ والحكيم التِّرْمِذِيّ ٢٥٦/١ وأبو نُعَيم ١١٢/٧ ، وأخْرَجه البخاريّ ٢١٤٧/٥ وفي الأدب المُفْرَد /١٦١ والبَيْهَقِيّ ٣٧٧/٣ وفي الشّعب ٣٩٣/٧ والحميديّ ٣٨/١ والطّبرانيّ ٦٢/٤ بلفظ قريب منه .

(٢) قال المناويّ : قال القونويّ : اعلَمْ أنّ صُوَرَ الأعمال أعراض جواهرها مَقاصد العمّال وعلومهم واعتقاداتهم ومُتَعَلَّقات هِمَمهم ، وهذا الحديث وإنْ كان مِنْ حَيْث الصِّيغة مُطْلَقاً فالأحوال والقرائن تُخَصِّصه ؛ وذلك أنّ بناء المَسْجِد والرِّبْط ومَواضع التَّعَبُّد يُؤْجَر الباني عليْها اتِّفاقاً ، فالمراد هُنَا إنّما هو البِنَاء الذي لم يَقْصِد صاحبه إلا التَّنَزُّه والانفساح والاستراحة والرِّياء والسُّمعة ، وإذا كان كذلك فهِمَّة الباني وقصده لا يَتَجاوز هذا العالَم ، فلا يكون لِبنائه ثمرة ولا نتيجة في الآخرة ؛ لأنّه لم يَقْصِدْ بما فَعَله أمراً وراء هذه الدّار ، ففِعْله عَرَض زائل لا ثمرة له ولا أجْر .. فيْض القدير ٩٧/٦

(٣) سُنَن أبي داود ٣٦٠/٤ عن سَيِّدنا أنس ﷺ ، وأخْرَجه البخاريّ في التّاريخ ٨٧/١ والبَيْهَقِيّ في الشّعب ٣٩٠/٧ وأبو يَعْلَى ٣٠٩/٧ والدَّيْلَمِيّ ٢٥٧/٣ ومُحَمَّد بن عبد الواحد المقدسيّ ٢٩١/٧ وأبو المَحاسن الحنفيّ ٢٧٧/٢

(٤) انظر طبقات الشّعرانيّ /٣٨١

ولاَ يُطْعَمُ ، ويُعْطِي ولاَ يَأْخُذُ ، ولاَ يَلْتَمِسُ الدُّنْيَا ولاَ شَيْئاً مِنْ عرُوضِهَا ؛ فإنَّ الرِّشَا في الطَّرِيق حرام ..

يَا أولادِي .. إنَّ شَيْخَكُمْ قدْ بايَعَ اللهَ أنَّهُ لاَ يَأْخُذُ لأحدٍ فِلْساً ولاَ دِرْهَماً ، إنَّمَا أَمَرَكُمْ بأمْرِ باللهِ لاَ لِغَرَضٍ دُنيويٍّ ولاَ لأتَأَثَّمَ ، ولَيْسَ دَعْوَى ، إنَّمَا المُرَادُ سَلاَمَةُ الذِّمَّةِ مِنَ الخَلَلِ في نُصْحِ الإخوانِ ..

واعلَمُوا يَا جَمِيعَ أولاَدِي أنَّ مَنِ استَحْسَنَ في طريقِي أخْذَ شَيْءٍ حِينَ لَعِبَ بِهِ هَوَاهُ وسَوَّلَتْ لهُ نَفْسُهُ بزَهْوِهَا مُنَاهُ فقدْ خَرَجَ عنْ طريقِ شَيْخِهِ ..

يَا جميعَ أولادِي .. اعلَمُوا أنَّ أَوْسَاخَ النَّاسِ تُسَوِّدُ القَلْبَ وتُوقِفُ المَطْلُوبَ ويُكْتَبُ بِها الذُّنوبُ ويَمقُتُ العَبدَ بذلِكَ علاَّمُ الغُيُوبِ ، فإنِّي غَيْرُ راضٍ عمَّنْ أخذَ في إجازَةٍ (١) فِلساً واحِداً ؛ فإنَّ هؤلاءِ طالِبُونَ للدُّنيا بالتَّلبيسِ وعَمَلِ ما لَيسَ في طَرِيقَتِي ، ولوْ ذهبَ إلى أعمالِ الدُّنْيَا واحْتَرَفَ لِنَفْسِهِ وعيالِهِ لَكَانَ خَيْراً لهُ ، وإنَّما طريقَتِي التَّحقيقُ والتَّصْديقُ والتَّمْزيقُ والتَّدْقيقُ والتَّرْقيقُ في الطَّرِيقِ ..

اللَّهُمَّ إنْ كانَ أصحابُ طريقَتِي يَعْمَلُونَ خَلْفِي مَا لاَ أشْتَهِيهِ ويأخُذُونَ ويَتَلَبَّسُونَ ويَستَحْسِنُونَ ذلكَ فلاَ تُهْلِكْنِي بِذنوبِهِمْ ؛ فإنِّي أبْرأُ إلَيْكَ مِمَّنْ يَدَّعِي أوْ يَأخُذُ عَلَى الطَّرِيقِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا أوْ يُتْلِفُ طريقِيَ أوْ يُخالِفُ مَا كُنْتُ عَلَيْهِ أنَا وأصحابِي أوْ يأكلُ الدُّنْيَا بالدِّينِ (٢) .. نَعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم ..

يَا أولادِي .. عليكم بالسَّبَبِ الحلالِ ؛ فإنَّ كُلَّ درْهمٍ مِنَ الصَّدَقَةِ وأخْذَ مَا في أيْدِي النَّاسِ مِمَّا يُسَوِّدُ الصَّحيفةَ ويملأُ الأرضَ قساوةً ، والفَقيرُ ما لَهُ قِيامُ صُورتِهِ مِنْ مالِ صدقةٍ .

إنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ يَبيعُ سِرَّهُ أوْ يأكلُ علَيْهِ شَيئاً ، فالفُقَراءُ الصَّادِقُونَ قدْ

---

(١) **الإجازة** : شهادة تُعطَى من الشَّيْخ لِنجباء المريدين يُجيزه فيها بإعطاء العهود ورعاية المريدين .

(٢) يقول سيِّدي إبراهيم ﷺ : من شأن القَوْم أنْ لا يَتَكَلَّموا إلا بلِسان ذَوقهم ومحبَّتهم ؛ لِيُشَوِّقوا النَّاس إلى التَّرَقِّي في مقامات الطَّريق ، وأمَّا مَن حَفِظ كلام النَّاس وصار يُلْقِيه لِلمريدين من غيْر ذَوْق فحُكْمه حُكْم مَن جَمَع أزواج الحيوانات من الذِّئاب والثَّعالب والحيَّات والعقارب ونَحْوها في إناء واحد وطَلَب إخراجها عن طِبَاعها بمخاطَبتها ، فلا يكون يَنْتَظِم ساقِط كلام مع كلام ، وذلك لا فائدة فيه ..

انظر لطائف المنن لِلشعرانيّ /٦٤١

خَرَجُوا بالجُمْلَةِ عَنْهَا في باطِنِ الأمرِ وإنْ كانُوا على ظَهْرِهَا ، وكثيرٌ مِنْهُمْ يُنْفِقُ مِنَ الغَيْبِ فمَا رَضِيَ وخَرَجَ عنْ ذلِك ..

فيَا أولادِي .. إنْ كُنْتُمْ أولادِي وخالَفْتُمُونِي فأنتُمْ كاذِبون " (١) .

ثُمَّ حكَى أُسْتَاذُنَا عَنْ إبراهيمَ بْنِ أَدْهَمَ أنَّهُ تَصَدَّقَ عَلَى طِفْلَةٍ بصَدَقَةٍ فقالَتْ : " مَهْ يَا إبْراهيمُ ؛ إنَّنَا لاَ نُنْفِقُ شَيْئاً تَلْمسُهُ السَّماءُ والأرضُ ، فكَيْفَ نُنْفِقُ شَيْئاً دَخَلَ السُّوقَ ؟! " ، وضَرَبَتْ بيَدِهَا في الهَوَاءِ فرَمَتْ دِينارَيْن (٢) ..

وقدْ قَدَّمْنَا عَنْ عَبْدِ الواحدِ بْنِ زَيْدٍ نَظِيرَ ذلك (٣) .

ونَظِيرُ عَدَمِ قَبُولِ أُسْتَاذِنَا مِنَ السُّلْطانِ : مَا وَقَعَ لِبَعْضِ العارِفِينَ : قالَ لهُ مَلِكٌ مِنَ المُلوكِ :" تَمَنَّ عَلَيَّ " فقالَ لهُ العارِفُ :" أُلِي تَقُولُ ولِي عَبْدانِ قَدْ مَلَكْتُهُما ومَلَكَاكَ وقَهَرْتُهُمَا وقَهَرَاكَ ؟! " قالَ لهُ المَلِكُ :" ومَا هُمَا ؟! " قالَ لهُ : " هُمَا الشَّهْوَةُ والحِرْصُ ؛ فأنتَ عَبْدُ عَبْدَيَّ فكَيْفَ أَتَمَنَّى عَلَى عَبْدِ عَبْدَيَّ ؟! " (٤) .

ومِنْ مَحاسِنِ مَا وَقَعَ لِلتَّاجِ بْنِ عطاءِ اللهِ لَمَّا اجْتَمَعَ بالسُّلْطانِ المَلِكِ المَنْصُورِ لاجِينَ (٥) **ـ رحِمَهُ اللهُ ـ مِنَ الألفاظِ الجامِعةِ لِلْمَعَانِي** : أنَّهُ قالَ :" يَجِبُ عَلَيْكُمْ شُكْرُ اللهِ ؛ فإنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى قدْ قَرَنَ دَوْلَتَكُمْ بالرَّخَاءِ فانْشَرَحَتْ قُلُوبُ الرَّعَايَا بِكُمْ ، والرَّخَاءُ أَمْرٌ لاَ تَسْتَطِيعُ المُلُوكُ كَسْبَهُ ولاَ اسْتِجْلاَبَهُ كَمَا يَكْسِبُونَ العَدْلَ والجُودَ والعَطَاءَ " فقالَ :" ومَا هُوَ الشُّكْرُ ؟ " فقالَ :" **الشُّكْرُ عَلَى ثلاثَةِ أقسامٍ** : شُكْرُ اللِّسانِ ، وشُكْرُ الأركانِ ، وشُكْرُ الجَنَانِ .

فشُكْرُ اللِّسانِ : التَّحَدُّثُ بنِعَمِ اللهِ ؛ قالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ**

---

(١) الجَوْهَرة المُضيَّة /٣٠٠ ، ٣٠١ وانظر طبقات الشّعرانيّ /٢٩٩

(٢) الجَوْهَرة المُضيَّة /٣٠١

(٣) انظر صفحة ٢٦٦ من الكتاب .

(٤) حكَاها سيِّدي أبي العبّاس المُرْسيّ ﷺ انظر : لطائف المِنَن /٣٥ وطبقات الشّعرانيّ /٣٧٨

(٥) هو السُّلْطَان المَنْصُور حسام الدِّين أبو الفَتْح لاجين بن عبد الله المَنْصُوريّ ، تَوَلَّى حُكْم مِصْر ما بيْن ٦٩٦ – ٦٩٨ هـ ، كان رحمه الله دَيِّناً مُتَقَشِّفاً كثير الصَّوْم مُتَواضِعاً كريم الأخلاق مُعَظِّماً لِلعلماء والأولياء ، أَلْغَى كثيراً مِن المكوس وكان عازماً على أنْ يُلْغِيها جميعاً ، وكان حَسَن السِّيرة لولا إطلاقه يد مملوكه منكوتمر الذي كان ظالماً غشوما .

قُتِل رَحِمه الله سَنَة ٦٩٨ هـ .

رَبِّكَ فَحَدِّث ﴾ (١) .

وشُكْرُ الأركانِ : العملُ بطاعةِ اللهِ ؛ قالَ سُبْحَانَه ﴿ اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُودَ شُكْرًا ﴾ (٢) .

وشُكْرُ الجَنَانِ : الاعْتِرَافُ بأنَّ كُلَّ نِعْمَةٍ بِكَ أوْ بأحدٍ مِنَ العِبَادِ فهيَ مِنَ اللهِ قالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتعالَى ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ﴾ (٣) " (٤) .

فقالَ المَلِكُ :" ومَا الذي يَصيرُ بهِ الشَّاكِرُ شَاكِراً ؟ " فقالَ لهُ :" إنْ كانَ ذَا عِلْمٍ فبالتَّبْيِينِ والإرشادِ ، وإنْ كانَ ذَا غِنىً فبالبَذْلِ والإيثارِ لِلْعِبَادِ ، وإنْ كانَ ذَا جاهٍ فبإظهارِ العَدْلِ ودَفْعِ الأضرارِ والأنكاد " (٥) .

ولَقَدْ صدَقَ التَّاجُ بْنُ عَطاءِ اللهِ في ذلكَ ؛ إذْ مِنَ القِسْمِ الأوَّلِ قَولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ﴿ التَّحَدُّثُ بالنِّعَمِ شُكْر ﴾ (٦) ، ومِنَ الثَّاني أنَّهُ ﷺ قامَ حتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ فقِيلَ له :" أتَتَكَلَّفُ كُلَّ ذَلِكَ وقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّر ؟! " فقال ﴿ أَفَلاَ أَكُونُ عَبْداً شَكُورا ﴾ (٧) ، ومِنَ الثَّالثِ أنَّهُ كانَ ﷺ إذا

(١) سورة الضُّحَى الآية ١١

(٢) سورة سبأ من الآية ١٣

(٣) سورة النَّحل من الآية ٥٣

(٤) أقول : ذَكَر السَّريّ السَّقطيّ قريباً من هذا القول .. انظر طبقات الأولياء /١٣٣
كما ذَكَر القُشَيْريّ ـ أيضاً ـ قريباً من ذلك .. انظر الرِّسالة القُشَيْرِية /١٣٧

(٥) انظر لطائف المِنَن /١٤٨

(٦) أخرَجه القضاعيّ ٦١/١ والدَّيْلَميّ ٧٧/٢ عن سيِّدنا النُّعمان بن بشير رضي الله عنهما .

(٧) أخرَجه البخاريّ ١٨٣٠/١ ومُسلِم ٢١٧٢/٤ وابن حبّان ٣٨٦/٢ وأحمد ١١٥/٦ والبَيْهَقيّ ٤٩٧/٢ والطّبرانيّ في الصغير ١٢٨/١ وأبو نُعَيم ٢٨٩/٨ وابن عديّ ٣١٧/٥ عن السَّيِّدة عائشة رضي الله عنها ، والبخاريّ ٣٨٠/١ ومُسلِم ٢١٧١/٧ والتِّرْمِذيّ ٢٦٨/٢ والنَّسائيّ ٤١٨/١ وابن ماجة ٤٥٦/١ وابن خُزَيْمَة ٢٠٠/٢ وابن حبّان ٩/٢ وأحمد ٢٥١/٤ والبَيْهَقيّ في الشّعب ١٢٤/٤ وأبو داود الطّيالسيّ /٩٥ والحميديّ ٣٣٥/٢ وابن المبارك /٣٦ والطّبرانيّ ٤١٩/٢٠ وفي الأوسط ٣٣٦/٢ والخطيب البغداديّ ٣٠٦/١٤ عن سيِّدنا المغيرة بن شعبة ﷺ ، وأبو يَعْلَى ٢٨٠/٥ والطّبرانيّ في الأوسط ٣٥/٣ وابن عديّ ٣٦٨/٢ عن سَيِّدنا أنَس ﷺ ، والبَيْهَقيّ في الشّعب ١٨٥/٢ وأبو نُعَيم ٨٦/٧ عن سَيِّدنا أبي هريرة ﷺ ، والطّبرانيّ ١٣٢/٢٢ والخطيب البغداديّ ٢٦٥/٧ عن سيِّدنا أبي جحيفة ﷺ ، والبَيْهَقيّ في الشّعب ١٨٥/٢ عن سيِّدنا أبي سلمة ﷺ ، والطّبرانيّ في =

أَصْبَحَ قال ﴿ اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ ﴾ (١) (٢) .

إذَا تأمَّلْتَ مَا نَقَلْنَاهُ مِنْ كلامِ الأُستَاذِ قَرِيباً دَلَّكَ ذلِكَ - أيْضاً - عَلَى شِدَّةِ وَرَعِهِ وورَعُ الخَواصِّ مِنْ جُمْلَتِهِ .

فمِنْ وَرَعِهِمْ : ورَعُهُمْ عنْ أنْ يَسكُنوا لِغَيْرِهِ ، أوْ يَمِيلُوا بالحُبِّ لِسِوَاهُ ، أوْ تَمْتَدَّ أطْمَاعُهُمْ بالطَّمَعِ في غَيْرِ فَضْلِهِ وخَيْرِه .

ومِنْ وَرَعِهِمْ : وَرَعُهمْ عنِ الوُقُوفِ مَعَ الوَسائطِ والأسبابِ ، وخَلْعُ الأندادِ والأربابِ .

ومِنْهُ : وَرَعُهُمْ عنِ الوُقُوفِ معَ العاداتِ والاعْتِمادِ عَلَى الطَّاعاتِ والسُّكُونِ إلَى أنوارِ التَّجَلِّياتِ .

ومِنْهُ : وَرَعُهُمْ عنْ أنْ تَفْتِنَهُمُ الدُّنْيَا أوْ تُوقِفَهمُ الآخِرةُ ، تَوَرَّعُوا عنِ الدُّنْيَا وَفاءً ، وغابُوا عنِ الوُقوفِ مَعَ الآخِرةِ صفاءً (٣) .

قالَ الشَّيْخُ عُثْمَانُ بْنُ عاشوراءِ :" خَرَجْتُ مِنْ بَغدادَ أُرِيدُ المُوصِلَ ، فأنَا أَسِيرُ وإذَا بالدُّنْيَا قَدْ عُرِضَتْ عَلَيَّ بعِزِّهَا وجاهِهَا ورِفْعَتِهَا ومَراكِبِهَا ومَلابِسِهَا ومَلاهِيهَا ومُشْتَهَياتِهَا ، فأعْرَضْتُ عَنْهَا ، فعُرِضَتْ عَلَيَّ الجَنَّةُ بِحُورِهَا وقصورِهَا وأنهارِهَا وثمارِهَا ، فلَمْ أَشْتَغِلْ بهَا ، فقيلَ لي :(يَا عُثْمَانُ .. لَوْ وَقَفْتَ مَعَ الأُولَى لَحَجَبْنَاكَ عَنِ الثَّانِيَةِ ، ولَوْ وَقَفْتَ مَعَ الثَّانِيَةِ لَحَجَبْنَاكَ عَنَّا ، فَهَا نَحْنُ وَسِطُكَ مِنَ الدَّارَيْنِ يَأْتِيك) " (٤) .

ويدلُّكَ كلامُ الأُستَاذِ - أيْضاً - عَلَى رَفْعِ هِمَّتِهِ عنِ الخَلْقِ .

= الأوسط ١٧٤/٧ عن سيِّدنا النُّعمان بن بشير رضي الله عنهما .

(١) أخرَجه البخاريّ ٤٤٣/٨ وأبو داود ٣١٨/٤ والنّسائيّ ٥/٦ وفي عمل اليوم واللَّيْلَة /٣٧ والبَيْهَقيّ في الشّعب ٨٩/٤ عن سيِّدنا عبد الله بن غنّام البياضيّ ﷺ ، وابن حبّان ١٤٣/٣ والدَّيْلَميّ ٤٨١/١ عن سيِّدنا عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما .

(٢) انظر لطائف المِنَن /١٤٩

(٣) انظر لطائف المِنَن /٨٥

(٤) انظر لطائف المِنَن /٨٥

قالَ بَعْضُ العارِفِينَ (١) :" رَأَيْتُ كَلْباً في المَحَجَّةِ ومَعِي شَيْءٌ مِنَ الخُبْزِ ، فوَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فلَمْ يَلْتَفِتْ إلَيهِ ، فقَرَّبْتُهُ مِنْ فيهِ فلَمْ يَلْتَفِتْ إلَيْهِ ، فإذَا عَلَيَّ يُقَال : بُعْداً لِمَنْ يَكُونُ الكَلْبُ أَزْهَدَ مِنْه " (٢) .

ولاَ شَكَّ أنَّ السَّلامَةَ في الدِّينِ بتَرْكِ الطَّمَعِ في المَخْلُوقِينَ ؛ فرَفْعُ الهِمَّةِ عنِ الخَلْقِ شَأْنُ أهْلِ الطَّرِيقِ وصِفَةُ أهْلِ التَّحقِيقِ ، ورَفْعُ الهِمَّةِ إنَّمَا يَنْشأُ عنْ صِدْقِ الثِّقَةِ باللهِ ، وصِدْقُ الثِّقَةِ باللهِ إنَّمَا يَنْشَأُ عنِ الإيمانِ باللهِ عَلَى سَبيلِ المعايَنَةِ والمُواجَهَةِ ، فيُوجِبُ لَهمُ الإيمانُ الاعتِزازَ باللهِ ؛ قالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِين** ﴾ (٣) والنُّصْرَةَ مِنْ عِندِ اللهِ ؛ قالَ تعالَى ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِين** ﴾ (٤) والنَّجَاةَ مِنَ الأعراضِ الصَّادَّةِ عنِ اللهِ ؛ قالَ اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى ﴿ **كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِين** ﴾ (٥) ..

فعِزُّ المُؤْمِنِ بثِقَتِهِ بمَوْلاَهُ ونُصْرَتِهِ عَلَى نَفْسِهِ وهَوَاهُ ونَجَاتِهِ مِنَ العَوارِضِ التي تَقْطَعُهُ عَنْ سَبيلِ اللهِ ، وشِعارُ أهْلِ الإرادةِ وديثارُهُمُ الاكتِفاءُ باللهِ ورَفْعُ الهِمَّةِ عَمَّا سِوَاهُ ، وصيانةُ مَلابِسِ الإيمانِ مِنْ أنْ تُدَنَّسَ بالمَيْلِ إلَى الأكوانِ أوِ الطَّمعِ في غَيْرِ المَلِكِ الدَّيَّانِ ؛ ومَا أحْسَنَ مَا قيلَ مِنْ جُملةِ أبياتٍ :

اللهُ يَعْلَمُ أنَّنِي ذُو هِمَّةٍ ... تَأْبَى الدَّنَايَا عِفَّةً وتظَرُّفَا

لِمَ لاَ أصُونُ عنِ الوَرَى دِيباجَتِي ... وأُرِيهُمُ عِزَّ المُلُوكِ وأَشْرَفَا

وأُرِيهِمُ أنِّي الفقِيرُ إلَيْهِمُ ... وجَمِيعُهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُ تَصَرُّفَا

أمْ كَيْفَ أسْأَلُ رِزْقَهُ مِنْ خَلْقِهِ ... هَذَا لَعَمْرِي لوْ فَعَلْتُ هُوَ الجَفَا

وتَكَلَّمْنَا فيمَا جَمَعْنَاهُ في الكلامِ عَلَى قَوْلِه تَعَالَى ﴿ **وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُون** ﴾ (٦) بأَوْسَعَ مِنْ هَذَا .

---

(١) هو سَيِّدي أبو العبّاس المُرْسيّ ﷺ .

(٢) انظر : لطائف المِنَن /٨٧ وطبقات الشّعرانيّ /٣٨٣

(٣) سورة المنافقون من الآية ٨

(٤) سورة الرُّوم من الآية ٤٧

(٥) سورة يونس من الآية ١٠٣

(٦) سورة الذّاريات الآية ٢٢

ومِنْ مَنَاقِبِهِ : مَا قَالَهُ بحقائقِهِ :" إنَّ النَّبيَّ ﷺ أَخَذَ عَلَيَّ العَهْدَ بيَمِينِهِ ، وصارَ يَكْشِفُ لِي عنِ الأُمُورِ ويَفْتَحُ لِي أَقْفالَ الحُجُب " ..

ومِنْ هُنَا قِيلَ أَنَّهُ ـ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ ـ كانَ إذَا أَلْبَسَ أَصْحَابَهُ خِرقَةَ الفَقْرِ يَقُولُ :" تَلَقَّيْتُهَا عنْ سَيِّدِ الأَوَّلِينَ والآخِرِين " ..

اعْلَمُوا ـ أَلْبَسَنَا اللهُ وإيَّاكُمْ لِبَاسَ حُبِّهِ ، وأَلْحَقَنَا وأَنْتُمْ بوُجُوبِ قُرْبِهِ ـ أَنَّ العارِفَ قَدْ يَجْذِبُهُ اللهُ إلَيْهِ فلاَ يَجْعَلُ عَلَيْهِ مِنَّةً لأُسْتَاذٍ ، وقَدْ يَجْمَعُ شَمْلَهُ بالنَّبيِّ ﷺ ، فيَكُونُ آخِذاً عَنْهُ ، وكَفَى بِهَذَا مِنَّة (١) .

ومِنْ شَوَاهِدِ ذلِكَ : قَوْلُ الشَّيْخِ مكينِ الدِّينِ الأَسْمَر :" أَنَا مَا ربَّانِي إلاَّ رسُولُ اللهِ ﷺ " (٢) .

وقَوْلُ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحِيمِ القِنَاوِيّ (٣) :" أَنَا لاَ مِنَّةَ لأحدٍ عَلَيَّ إلاَّ رسولُ اللهِ

(١) انظر : لطائف المِنَن /٦٤ وطبقات الشعرانيّ /٣٧٩

(٢) انظر لطائف المِنَن /٦٤

(٣) هو أبو مُحَمَّد عبد الرَّحيم بن أحمد بن حجون السَّبْتِيّ القِنائيّ ﷺ ، يَنْتَهِي نسبه إلى النَّبِيّ ﷺ ، أَخَذ عن الشَّيْخ أبي يَعْزَى ، وأَخَذ عنه أبو الحَسَن بن الصَّبَّاغ وأبو العبَّاس بنْ الخديم ويَحْيَى بن موسى ابن عَلِيّ القناويّ .

يقول عنْه الإمام الشَّعرانيّ : هو مِن أجلاَّء مشايخ مِصْر المشهورين وعظماء العارفين ، صاحِب الكرامات الخارقة والأنفاس الصَّادقة ، له المحلّ الأرفع مِن مراتب القُرْب والمَنْهَلُ العَذْبُ مِن مَناهِل الوصل ، وهو أحد مَن جَمَع الله له بيْن عِلْمَي الشَّريعة والحقيقة ، وآتاه مفتاحاً مِن عِلْمِ السِّرّ المصون وكنزاً مِن معرفة الكتاب والحكمة .

كانَ ﷺ إذا سَمِع المؤذِّن يقول (أشْهد أنْ لا إله إلا الله) يقول : شهدْنا بما شاهَدْنا ، وويلٌ لِمَنْ كَذَب على الله تعالى .

مِن أقواله ﷺ :

- الرِّضا سكون القَلْب تَحْت مَجاري الأقدار بنَفْي التَّفْرِقَة حالاً وعِلْم التَّوْحيد جَمْعاً ، فيَشْهَد القدر بالقادر والأمر بالآمر ، وذلك يَلْزَمه في كُلّ حال مِن الأحوال .
- الحياة أنْ يَحْيَا القَلْب بنور الكَشْف ، فيُدْرِك سِرّ الحقّ الذي برزَت به الأكوان في اختلاف أطوارها .
- كُنْ مع الفقراء كتيْس الغَنَم مع الغَنَم .
- المتَكلِّمون كلّهم يُنَدْبِنون حوْل عَرْش الحقّ لا يَصِلون إليه .

تُوُفِّي ﷺ بقنا سنَة ٥٩٢ هـ عن ٧٧ سَنَة .

ﷺ ، وإذَا أرادَ اللهُ أنْ يَتَفَضَّلَ عَلَى عَبْدٍ يُغْنِيهِ عنِ الأُسْتَاذِين " (١) .

وقَوْلُ المُرْسِيّ :" واللهِ مَا صَافَحْتُ بهذِهِ اليَدِ إلاَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ " لَمَّا قالَ لهُ إنسانٌ بدَمَنْهُورَ :" صافِحْنِي ؛ فإنَّكَ قدْ لَقِيتَ بِلاداً وعِباداً " ، فلَمَّا خرَجَ قالَ الشَّيْخُ :" مَا الذي يَعْنِي ببلادٍ وعِبَادٍ ؟! " فقالَ شَخْصٌ :" يُرِيدُ أنَّكَ صافَحْتَ عِباداً وسلَكْتَ بِلاداً اكْتَسَبْتَ بَرَكاتِهَا ، فإذَا صافَحَكَ نالَتْهُ البَرَكةُ " ، فتَبَسَّمَ الشَّيْخُ وقالَ ذلك (٢) .

وأمَّا مأخَذُ لبْسِ خِرْقَةِ المَشَايِخِ مِنَ الكِتَابِ والسُّنَّةِ والإجماعِ : فقَدْ بَسَطْنَا الكلامَ عَلَى ذلِكَ بـ" نُورِ الحَدَقِ في لِبْسِ الخِرَقِ " .

وكانَ أُسْتَاذُنَا ـ رَحمةُ اللهِ عَلَيْهِ ـ يَأْمُرُ أصحابَهُ بقَول :" يَا دايِمُ " فِي ذِكْرِهِمْ حتَّى عقِبَ الصَّلاةِ ، فمَرَّ بَعْضُ المُنْكِرِينَ لِذَلِكَ عَلَى الأُسْتَاذِ وجماعتِهِ وهُمْ يَذْكُرُونَ بَعْدَ صلاةِ الظُّهْرِ " يَا دايِمُ " ، فسَمِعَ ضجَّةً في البَحْرِ فالْتَفَتَ فوَجَدَ السَّمَكَ يَذْكُرُ " يَا دايِمُ " ، فسقَطَ مُغْمِيّ عَلَيْه .

ولَمَّا عَمَّرَ أُسْتَاذُنَا مِنَ العُمُرِ ثلاثاً وأَرْبعِينَ سَنَةً زَكِيَّةً مُعْرِضاً عنِ الدُّنْيَا بالكُلِّيَّةِ وتَزَايَدَ عِنْدَهُ الشَّوْقُ لِلْحَبِيبِ وحَنَّتْ رُوحُهُ لِلْخُرُوجِ مِنْ وكْرِهَا لِمُسامَرَةِ الرَّقِيبِ المُجِيبِ أُلْقِيَ عَلَيْهِ مِنْ خِلَعِ الكراماتِ مَا يَلِيقُ بكَرَمِهِ ، ومَنَحَهُ مَا لاَ يُحِيطُ بِهِ عقْلٌ مِنْ هِبَاتِهِ وجلائلِ نِعَمِهِ ، ورأَى السَّفْرَةَ الرَّابِعَةَ قدْ دَنَا وقْتُهَا وجَاءَ أجَلُهَا ، وعَرَضَ المَرَضُ لِبَدَنِهِ الطَّاهِرِ مِنْ غَيْرِ خَلَلٍ في بُرْهَانِهِ الظَّاهِرِ مِنَ المَعَارِفِ والأنوارِ التي لاَ يَعْرِفُ قَدْرَهَا إلاَّ واهِبُهَا الغَفَّارُ ؛ أَرْسَلَ نَقِيبَهُ لأخيهِ السَّيِّدِ شَرَفِ الدِّينِ أبِي العمرانِ مُوسَى (٣) قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ وأَبْهَجَهُ وسَرَّهُ ـ وكانَ في حياةِ الأُسْتَاذِ قاطِناً بقَرَافةِ مِصْرَ بجامِعِ الفيلةِ ـ فأمَرَهُ أنْ يُبَلِّغَهُ السَّلامَ ويَسْأَلَهُ أنْ يُطَهِّرَ باطِنَهُ قَبْلَ ظاهِرِهِ ، فوَافَى النَّقِيبُ عِنْدَ الشَّيْخِ شَرَفِ الدِّينِ

= قال بعض العارفين : لو كُنْتُ حاضراً عند وفاة الشَّيْخ عبد الرَّحيم ما مكَّنْتُهُم من دفنِه ، بلْ كُنْتُ أتْرُكه فوقَ ظَهْرِ الأرض ؛ فكُلّ مَن نَظَر إليْه نَطَق بالحكمة .. انظر طبقات الشعرانيّ /٢٦٥

(١) انظر لطائف المِنَن /٦٤

(٢) انظر لطائف المِنَن /٦٦

(٣) وُلِد ﷺ سنَة ٦٥٩ هـ ، وتُوُفِّي سنَة ٧٢٩ هـ .

وطَلَبةُ العِلْمِ يَقْرَأُونَ عَلَيْهِ مِنْ كِتابِ الطَّهارَةِ - فإنَّهُ كانَ مِنَ العُلَماءِ العامِلِينَ - فسلَّمَ وقالَ لهُ : " سَيِّدي يُقْرِئُكَ السَّلامَ ويَقُولُ لكَ :" طَهِّرْ باطِنَكَ قَبْلَ الظّاهِرِ " ، فطَوَى الشَّيْخُ الدَّرْسَ وسافَرَ إلَى دُسُوقٍ ، فوَجَدَ أُستَاذَنَا قدِ استُشْهِدَ بسَيْفِ القُدْرَةِ وحِرَابِ المَحبَّةِ وهُوَ ساجِدٌ في سَنَةِ سِتٍّ وتِسْعِينَ وسِتِّمائة .

وغَسَّلَهُ رجُلٌ غَرِيبٌ لَمْ يُعْرَفْ ، ودُفِنَ بدُسوقٍ مَحَلِّ مَولِدِهِ ، وعَلَى ضريحِهِ مِنَ المَهَابَةِ والاحْتِرامِ مَا هُوَ لائِقٌ بمَنْصبِ ذلِكَ الإمامِ ، وظَهَرَ لهُ أَتْباعٌ ومُحِبُّونَ وفي كُلِّ وقْتٍ إلَى الأبَدِ الدّاخِلونَ في طَرِيقِهِ يَزِيدُونَ ، وحَدَثَ لهُ المَوْلِدُ الذي تَقْصِدُهُ فيهِ الزُّوَّارُ مِنْ غالِبِ الأقطارِ ، ولَمْ تَزَلْ كراماتُهُ مُسْتَمِرَّةً وشَجَرَةُ قاصِدِيهِ لِطَلَبِ الحاجاتِ والزِّياراتِ مُثْمِرَةً ، وقبْرُهُ مُجَرَّبٌ لِتَفْرِيجِ الأزمةِ وكَشْفِ الغُمَّة ..

قِفْ عَلَى البابِ خاضِعاً عِنْدَ ضِيقِ المَناهِجِ
فهُوَ بابٌ مُجَرَّبٌ لِقَضاءِ الحوائِجِ

والحِكْمةُ في نُمُوِّ الدّاخِلِ في طَرِيقِ العارِفِ بَعْدَ وَفاتِهِ أَكْثَرَ مِنَ التّابِعِ لهُ في حَياتِهِ : كَمَا قالَ أبُو العبّاس المُرْسيُّ :" يَكُونُ الرَّجُلُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ فلاَ يُلْقُونَ إلَيْهِ بالاً ، حتَّى إذَا ماتَ قالُوا :" كانَ فُلانٌ " ، وربَّما دَخَلَ في طَرِيقِ الرَّجُلِ بَعْدَ وَفاتِهِ أَكْثَرُ مِمَّا دَخَلَ فيهَا في حالِ حياتِه " .

ولْنَقْتَصِرْ عَلَى هَذَا القَدْرِ ؛ فإنَّهُ كافٍ في التَّعْرِيفِ بنُبْذَةٍ مِنْ قَدْرِ هَذَا الأُسْتَاذِ الشَّرِيفِ ..

ومَا الأمرُ إلاَّ كَمَا قيلَ :

وقدْ وَجَدْتَ مكانَ القَولِ ذَا سعَةً فإنْ وَجَدْتَ لِساناً قائِلاً فَقُلِ

وإنَّمَا مَزَجْتُ مَنَاقِبَ أُسْتَاذِنَا مِنْ مَنَاقِبِ الأولِياءِ لأمْرَيْنِ :

الأوَّلُ : لِيَكونَ الدّاخِلُ في طَرِيقِهِ عِنْدَ عِلْمِهِ بمَنَاقِبِهِ ثابِتَ الفُؤادِ لِنَيْلِ المُرادِ ..

فقَدْ سُئِلَ الجُنَيْدُ :" مَا لِلْمُرِيدِينَ في مُجَارَاةِ الحِكَايَاتِ ؟ " فقالَ :" الحِكَايَاتُ جُنْدٌ مِنْ جُنُودِ اللهِ تعالَى يُقَوِّي بِهَا قُلُوبَ المُرِيدِين " ، فقيلَ لهُ :" فهلْ لكَ في ذلكَ شاهِدٌ ؟ " فقالَ :" نَعَمْ .. قَوْلُهُ عَزَّ وجَلَّ ﴿ **وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا**

نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ (١) " (٢) .

الأمرُ الثَّاني : لِتَتَنَزَّلَ الرَّحمةُ ..

فقَدْ كانَ مَعروفُ كَثيراً مـا يَقولُ فـي مَجْلِسِـهِ :" عِنْـدَ ذِكْرِ الصَّـالِحِينَ تَـنْزِلُ الرَّحْمَةُ " (٣) فقيلَ لهُ :" إذَا كانَ عِنْدَ ذِكْرِهِمْ تَـنْزِلُ الرَّحْمَـةُ فعِنْـدَ ذِكْرِ اللـهِ مـاذَا يَنْزِلُ ؟! " فغُشِيَ عليهِ ساعةً ، فلَمَّا أفاقَ قالَ :" عِنْدَ ذِكْرِ اللـهِ تَنْزِلُ الطُّمَأنِينَـة ؛ ﴿ أَلَا بِذِكْـرِ اللَّـهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (٤) " .

فسُبْحانَ مَنْ أكْرَمَ أولِيـاءَهُ بـالعَقْلِ الكـامِلِ ، ورَفَعَهُمْ فـي الدَّارَيْنِ إلَـى أعْلَـى المَنَازِلِ ، وحَطَّنَا ـ معَ مُسَاوَاتِنَا لَهُمْ في الصُّورةِ البَشريَّةِ ـ إلَـى أرْذَلِ شَـيْءٍ مِـنَ الحَضيضِ السَّافِلِ ، كَمَا قيلَ :

يُقْضَى علَى المَرْءِ في أيَّامِ مِحْنَتِهِ حتَّى يَرَى حَسَناً مَا لَيْسَ بالحَسَنِ

إلَى اللهِ نَشْـكُو مَـا أُوتِينَـا مِـنَ التَّخَلُّـفِ عنْ رِفـاقٍ ذَوِي هِمَـمٍ أبطـالٍ كِـرامٍ ، وبقاءَنَـا عـاجِزِينَ مَطرُوحِيـنَ فـي سـاحَةِ الأحيـاءِ اللِّئـامِ ؛ تَتَجـاذَبُ مَعَهُمْ قُلُوبَنَـا وجَوَارِحَنـا شَـهَواتٌ وَهِينـةٌ لاَ جَدْوَى بِهَـا ولاَ طـائِلَ تحتَهـا عِنْـدَ سَبْرِهَا بمِسْـبَرِ التَّحقِيقِ التَّامِ ..

اللَّهُمَّ يا مُنْقِـذَ الغَرْقَـى بَعْـدَ أنْ يَئِسُـوا! .. أنْقِذْنَـا مِـنَ المَهَـالِكِ ، ولاَ تَسْلُكْ بِنَـا طَرِيقَ مَنْ يَئِسُوا ، واجْعَلْنَا مِنَ الذينَ في بَسَاتِينِ وَصْلِكَ يَرْتَعُونَ ، وفي رَوْضَاتِ أُنْسِكَ يَتَمَتَّعُونَ ، المُشَارِ إلَيْهِمْ بِقَولِهِ سُبْحَانَه ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّـهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٥) أعْنِـي مِنَ السُّعَداءِ المُسْتَرْشِدِينَ تَحْقِيقاً مَعَ الذينَ أنْـعَمَ اللهُ

(١) سورة هود من الآية ١٢٠

(٢) انظ : الرِّسالة القُشَيْرِيَّة /١٥٩ وروْض الرَّياحين /٦ وطبقات الحنفيَّة ١/٤٥٠

أقول : ذكَر ابن السُّبكيّ في طبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٦٥ أنّ المسئول هو الإمـام الشِّبْلي ﷺ ، وذكَر الخطيب البغدادي ٢/٢٦٥ وابن الملقّن /١٢٤ أنّ المسئول هو أبو بكر الكتّاني ﷺ ..

أقول : وقدْ قال سيِّدي إبراهيم الدَّسوقيّ ﷺ : ولَمّا حكايات الصّالحين وصفاتهم فمُطالَعتها للمريد جُنْد من أجناد الله تعالى ما لم يَقْنَع بها في الطَّريق .

(٣) ذكَر أبو نُعَيم ٧/٢٨٥ وابن الجَوْزيّ ١/٤٥ هذا القول عن سُفْيَان بن عيينة ﷺ .

(٤) سورة الرَّعْد من الآية ٢٨

(٥) سورة يونس الآية ٦٢

عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَداءِ والصَّالِحِينَ ، وحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً ، يَا ربَّ العَالَمِين .

قالَ الشَّيْخُ الصَّالِحُ جَلالُ الدِّينِ :" جَمَعَهُ الفَقِيرُ بمقامِ أُسْتَاذِهِ صاحِبِ هَذِهِ المَنَاقِبِ ـ أَعْلَى اللهُ لَهُ ببَرَكَةِ مَتْبُوعِهِ في الآخِرَةِ مَا يَشاءُ مِنَ المَنَاصِبِ ـ في أيَّامٍ آخِرُهَا سابِعُ عَشَرَ شَهْرِ شَعْبَانَ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وتِسْعِمائَةٍ ، أَحْسَنَ اللهُ عاقِبَتَهَا ومَا بَعْدَهَا ، وصَلَّى اللّهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ظاهِراً وباطِناً ، والحَمدُ للهِ أوَّلاً وآخِرا " .

وكانَ الفَرَاغُ مِنْ نَسْخِ هَذَا الكِتابِ في غُرَّةِ شَهْرِ ذِي الحِجَّةِ الذي هُوَ مِنْ شُهُورِ سَنَةِ ألْفٍ ومائةٍ واثْنَتَيْنِ ، وحَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ ، وصلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ وسلَّمَ .. آمينْ .

أهمّ مَراجع التَّحقِيق

* القرآن الكريم .
* الآحاد والمثاني لأبي بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني .. دار الراية الرياض ١٩٩١ م .
* إحياء علوم الدين لِلإمام الغزالي .. دار المعرفة – بيوت .
* أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه لِمحمد بن إسحاق الفاكهاني .. دار خضر – بيروت ١٤١٤ هـ .
* أخلاق النَّبِيّ وآدابه لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان الأصفهاني .. دار المسلم – الرياض ١٩٩٨ م .
* الأخلاق والسِّيَر لابن حزم .. دار الآفاق – بيروت ١٩٧٩ م .
* الإخوان لابن أبي الدنيا .. العلمية – بيروت ١٩٨٨ م .
* آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي .. دار الصحابة – طنطا ١٩٩٠ م .
* الأدب المفرد لِلبخاري .. دار البشائر – بيروت ١٩٨٩ م .
* الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر .. دار الجيل – بيروت ١٤١٢ هـ .
* الإصابة في تمييز الصحابة لابن حَجَر العسقلاني .. دار الجيل – بيروت ١٩٩٢ م .
* اصطلاحات الصّوفيّة لابن عربيّ .. عالَم الفكر – القاهرة .
* اصطلاحات الصّوفيّة لِلكاشانيّ .. دار المَعارف – القاهرة .
* الاعتبار لابن أبي الدنيا .. دار البشير – عمان ١٩٩٣ م .
* أعلام الإسكندريّة في العصر الإسلاميّ لِلدكتور جمال الدّين الشّيّال .. دار المعارف – القاهرة .

* اعلام النُبُوَّة لأبي الحَسَن عَلِيّ بن محمد الماوردي .. دار الكتاب العربي – بيروت ١٩٨٧ م .
* إعلام أهل الإسلام والإيمان بأنّ سيدنا محمداً موجود في كُلّ زمان ومكان للإمام نور الدين الحلبي .. مكتبة الرفاعي – القاهرة ١٩٩٤ م .
* إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم .. دار الكتاب العربي ١٩٧٣ م .
* الاكتفاء بما تَضَمَّنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي .. عالَم الكتب – بيروت ١٩٩٧ م .
* إكرام الضيف لأبي إسحاق الحربي .. دار الصحابة – طنطا ١٤٠٧ هـ .
* أمراض القلوب وشفاؤها لابن تيمية .. المكتبة السلفية – القاهرة ١٣٩٩ هـ .
* الأولياء لابن أبي الدنيا .. مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ١٩٩٣ م .
* البداية والنهاية لابن كثير .. مكتبة المعارف – بيروت ١٤١٢ هـ .
* البر والصلة للمروزي .. دار الوطن – الرياض ١٤١٩ هـ .
* بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث لِلحافظ نور الدين الهيثمي .. مركز خدمة السُنَّة والسيرة النبوية .. المدينة المنوَّرة ١٩٩٢ م .
* بهجة النفوس وتحلِّيها بمعرفة ما لها وما عليها لِلحافظ أبي محمد عبد الله ابن أبي جمرة الأزدي الأندلسي .. دار الجيل – بيروت ١٩٨٤ م .
* تبرئة الذِّمّة في نُصح الأُمّة لِلشيخ مُحَمَّد عثمان عبده البرهانيّ .
* التحرير المرسَّخ في أحوال البرزخ لمحمد بن طولون الصالحي .. ١٩٩١ م .
* التحفة العراقية لابن تيمية .. المطبعة السنية – القاهرة ١٣٩٩ هـ ١
* التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة لِشمس الدين السخاوي .. دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٣ م .
* التخويف من النار لابن رجب الحنبلي .. دار البيان – دمشق ١٣٩٩ هـ .
* التذكرة في الوعظ لابن الجوزي .. دار المعرفة – بيروت ١٩٨٦ م .
* التراتيب الإدارية لِعبد الحيّ الكتاني الإدريسي الحسني الفاسي .. دار الكتاب

العربي – بيروت ١٩٩٣ م .
* الترغيب والترهيب للمنذري .. العلمية – بيروت ١٤١٧ هـ .
* تعزية المسلم لابن عساكر .. مكتبة الصحابة – جدة ١٤١١ هـ .
* تفسير القرآن العظيم لابن كثير .. دار الفكر – بيروت ١٤٠١ هـ .
* تنوير الحلك في جواز رؤية النَّبِيّ والمَلَك لِلحافظ السيوطي .. دار جوامع الكلِم – القاهرة ١٩٨٦ م .
* التوابين لابن قدامة .. دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٣ م .
* التواضع والخمول لابن أبي الدنيا .. العلمية – بيروت ١٩٨٩ م .
* التوبة لعلي بن الحسن بن عساكر .. دائرة الأوقاف والشئون الدينية – دبي .
* التوقيف على مهمّات التعريف لِمحمد بن عبد الرءوف المناوي .. دار الفكر بيروت ١٤١٠ هـ .
* الثقات لأبي حاتم محمد بن حبان التميمي البستي .. دار الفكر – بيروت ١٩٧٥ م .
* جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) .. دار الفكر – بيروت ١٤٠٥ هـ .
* جامع كرامات الأولياء لِلنّبهانيّ .. المكتبة الثقافيّة – بيروت .
* الجواب الكافي لابن القيم الجوزية .. دار الكتب العلمية – بيروت م .
* جواهر البحار في فضائل النَّبِيّ المختار .. لِلنبهاني .. مكتبة مصطفى الحلبي القاهرة ١٩٦٠ م .
* الجواهر المضيّة في طبقات الحنفيّة لِعبد القادر بن أبي الوفا .. مكتبة مير كتب خانه – باكستان ١٤٠٣ هـ .
* الجوهر المنظَّم في زيارة القبر الشريف النّبويّ المكرَّم لابن حجر الهيتمي .. دار جوامع الكلم – القاهرة ١٩٩٢ م .
* جوهرة الدّسوقيّ .. مكتبة العِلْم والإيمان – القاهرة .

* الجَوْهَرة المُضيَّة في سلوك الطّالب إلى ربّ البريّة .. مكتبة الرّقاعيّ – القاهرة .
* الجيش الكفيل بأخذ الثار لِمحمد بن محمد الصغير الشنجيطي التشيتي .. مكتبة الحلبي – القاهرة ١٩٦١ م .
* الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة لِشيخ الإسلام زكريا الأنصار .. دار الفكر المعاصر – بيروت ١٤١١ هـ .
* حُسْن الظَّنّ بالله لابن أبي الدنيا .. دار طيبة – الرياض ١٩٨٨ م .
* حلّ الرّموز ومفاتيح الكنوز لِلعزّ بن عبد السّلام .. مكتبة العِلْم والإيمان – القاهرة .
* الحلم لابن أبي الدنيا .. مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ١٤١٣ هـ .
* دافعة الشقاق والخلاف في حياة الأحياء في قبورهم لابن حجر الهيتمي .. دار جوامع الكلم – القاهرة ١٩٩٢ م .
* الدرر في اختصار المغازي والسِّيَر لابن عبد البر .. دار المعارف – القاهرة ١٤٠٣ هـ .
* دلائل النُّبُوَّة لأبي بكر جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي .. دار حراء – مكة ١٤٠٦ هـ .
* دلائل النُّبُوَّة لإسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني .. دار ضيبة – الرياض ١٤٠٩ هـ .
* ديوان ابن الفارض .. مكتبة الثّقافة الدِّينيَّة – القاهرة .
* ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى لِمحبّ الدين الطبري .. دار الكتب المصرية – الرياض ١٤٠٩ هـ .
* رسائل ابن أبي الدّنيا .. مكتبة الكُلِّيّات الأزهريّة – القاهرة .
* الرِّسالة القُشَيْرِيَّة .. مكتبة مُحَمَّد عليّ صبيح – القاهرة .
* الرسالة المغنية لابن البناء .. دار العاصمة – الرياض ١٤٠٩ هـ .

* الروح لابن القيم الجوزية .. دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٧٥ م .
* الرَّوْض الأُنُف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام لِعبد الرحمن السهيلي .. دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٧ م .
* روض الرياحين في حكايات الصالحين لِلإمام اليافعي .. مكتبة زهران – القاهرة ١٩٩٨ م .
* روضة المحبين لابن القيم الجوزية .. دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٢ م .
* الرياض النضرة في مناقب العشرة لأبي جعفر أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري .. دار الغرب الإسلامي – بيروت ١٩٩٦ م .
* زاد المعاد من هدي خير العباد لابن القيم .. دار الرسالة – بيروت ١٩٨٦ م .
* زاد المهاجر لابن القيم الجوزية .. مكتبة المدني – جدة .
* الزهد لابن أبي عاصم .. دار الريان – القاهرة ١٤٠٨ هـ .
* الزهد لابن المبارك .. دار الكتب العلمية – بيروت .
* الزهد لهناد بن السري .. دار الخلفاء – الكويت ١٤٠٦ هـ .
* الزهد والورع والعبادة لابن تيمية .. مكتبة المنار – الأردن ١٤٠٧ هـ .
* الزهد وصفة الزاهدين لابن الأعرابي .. دار الصحابة – طنطا ١٤٠٨ هـ .
* السنن الواردة في الفتن لأبي عمرو الداني .. دار العاصمة ١٤١٦ هـ .
* سِيَر الأولياء في القَرْن السابع الهجريّ (رسالة الصفي ابن أبي المنصور) لِصفيّ الدين الحسين بن جمال الدين الأنصاريّ الخزرجيّ .. دار العالم – بيروت .
* السيرة النبوية لابن هشام .. دار الجيل – بيروت ١٤١١ هـ .
* شرْح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز .
* الشفا بتعريف حقوق المصطفى لِلقاضي عياض .. دار الكتب العلميّة – بيروت .
* الشكر لابن أبي الدنيا .. المكتب الإسلامي – الكويت ١٩٨٠ م .

* الشمائل المحمدية والخصائص المصطفوية لأبي عيسى الترمذي .. دار الكتب الثقافية – بيروت ١٤١٢ هـ .
* الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية .. دار ابن حزم – بيروت ١٤١٧ هـ .
* صفة الصفوة لابن الجوزي .. دار المعرفة – بيروت ١٩٧٩ م .
* صفة المنافق للفريابي .. دار الخلفاء – الكويت ١٤٠٥ هـ .
* الصمت لابن أبي الدنيا .. دار الكتاب العربي ١٤١٠ هـ .
* ضياء الصدور لِمنكر التوسل بأهْل القبور لِظاهر شاه ميان بن عبد العظيم .. مكتبة الحقيقة – تركيا ١٩٩٢ م .
* طبقات الشافعية لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر .. عالم الكتب – بيروت ١٤٠٧ هـ .
* طبقات الشافعية الكبرى لِعبد الوهاب السبكي .. دار هَجَر لِلطباعة والنشر – الجيزة ١٩٩٢ م .
* طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي .. دار الكتب العلمية ١٩٩٨ م .
* طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي .. دار القلم – بيروت ١٩٩٨ م .
* الطبقات الكبرى لابن سعد .. دار صادر – بيروت .
* الطبقات الكبرى (القِسْم المتمم لِتابعي أهْل المدينة ومَن بعدهم) لابن سعد .. مكتبة العلوم ء الحِكَم – المدينة ١٤٠٨ هـ .
* الطبقات الكبرى لِلشعرانيّ .. المكتبة التوفيقية – القاهرة .
* الطُّرُق الصّوفيّة في مِصْر نشأتها ونُظُمها ورواّدها لِلدكتور عامر النَّجّار .. دار المَعارف – القاهرة .
* طريق الهجرتين لابن القيم الجوزية .. دار ابن القيم – الدمام ١٩٩٤ م .
* فتْح وفيْض وفضْل مِن الله في شرْح كلمة " لا إله إلا الله محمد رسول الله " لِلشيخ صالح الجعفري .. دار الكتب الدينية ١٩٨٠ م .

* كشف النور عن أصحاب القبور لِلشيخ عبد الغني النابلسي .. مكتبة الحقيقة – تركيا ١٩٩٠ م .
* العاقبة في ذكْر الموت لِعبد الحقّ الأشبيلي .. دار الأقصى – الكويت .
* العَجَب العجاب فيما وَرَد مِن أحوال الموتى بَعْد دفْنهم تحْت التراب لِلشيخ صالح الجعفري ١٩٩٢ م .
* عدة الصابرين لابن القيم الجوزية .. دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٧٥ م .
* العمر والشيب لابن أبي الدنيا .. مكتبة الرشد – الرياض ١٤١٢ هـ .
* عوارف المَعارف لِلسُّهْرَوَرْديّ .. مُلْحَق بـ" إحياء علوم الدّين " .. مكتبة مصر – القاهرة .
* عيون الأثر لابن سيد الناس .
* غاية السول في خصائص الرسول لِسراج الدين أبي حفص عمر بن عليّ بن أحمد الأنصاري .. دار البشائر الإسلامية – بيروت ١٩٩٣ م .
* غاية السول في سيرة الرسول لِعبد الباسط خليل شاهين .. عالَم الكتب – بيروت ١٩٨٨ م .
* الغرباء للآجري .. دار الخلفاء – الكويت ١٤٠٣ هـ .
* الفائق في غريب الحديث لِمحمود بن عمر الزمخشري .. دار المعرفة – بيروت ١٤٠٨ هـ .
* الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي .. دار الفكر – بيروت
* الفتن لنعيم بن حماد .. مكتبة التوحيد – القاهرة ١٤١٢ هـ .
* الفصول في اختصار سيرة الرسول لابن كثير .. دار القلم – بيروت .
* فضائل الأوقات للبيهقي .. دار المنارة – مكة المكرمة ١٤١٠ هـ .
* فضائل الصحابة لِلإمام أحمد .. دار الرسالة – بيروت ١٩٨٣ م .
* فضل الدعاء للسيوطي .. دار المنار – الأردن ١٩٨٥ م .
* فضل الصلاة على النّبيّ لِلقاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي .. المكتب

الإسلامي – بيروت ١٣٩٧ هـ .
* فضيلة الشكر لأبي بكر الخرائطي .. دار الفكر – دمشق ١٤٠٢ هـ .
* الفهرست لابن النديم .. دار المعرفة – بيروت ١٩٧٨ م .
* القناعة للدينوري .. مكتبة الرشد – الرياض ١٤٠٩ هـ .
* الكبائر للذهبي .. دار الندوة – بيروت .
* الكرم والجود للبرجلاني .. دار ابن حزم – بيروت ١٤١٢ هـ .
* كشف المحجوب لِلهجويري .. دار التّراث – القاهرة .
* كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب لِلسيوطي (الخصائص الكبرى) دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٥ م .
* لطائف الإشارات (تفسير القشيري) .. المكتبة التوفيقية – القاهرة .
* لطائف المنن لِلشعرانيّ .. دار الكتب العلمية – بيروت .
* لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسيّ وشيخه الشّاذليّ أبي الحَسَن لِتاج الدين بن عطاء الله السكندري .. دار الكتب العلمية – بيروت .
* المبتدأ والمبعث والمغازي (سيرة ابن إسحاق) .. معهد الدراسات والأبحاث لِلتعريب – الكويت ١٩٨٦ م .
* كتاب " المتحابين في الله " لابن قدامة .. دار الطباع – دمشق ١٩٩١ م .
* مدارج السالكين لابن القيم .. دار الكتاب العربي – بيروت ١٩٧٣ م .
* المرض والكفارات لابن أبي الدنيا .. الدار السلفية – الهند ١٩٩١ م .
* مسائل الإمام أحمد لِلإمام أحمد .. الدار العلمية – دلهي ١٩٨٨ م .
* معارج القدس للإمام الغزالي .. دار الآفاق – بيروت ١٩٧٥ م .
* معجم البلدان لأبي القاسم بن عساكر .. دار الفكر – بيروت ١٤١٣ هـ .
* معجم الصحابة لأبي الحسين عبد الباقي بن قانع .. دار الغرباء الأثرية – المدينة ١٤١٨ هـ .
* معجم ما استعجم لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي .. عالَم

الكتب – بيروت ١٤٠٣ هـ .

* المفاخر العلية في المآثر الشاذلية لأحمد بن محمد بن عباد المحلِّيّ الشّافعيّ .. مكتبة الفجر الجديد – القاهرة ١٩٩٦ م .

* مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم .. دار الكتب العلمية – بيروت .

* مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا .. مكتبة القرآن – القاهرة ١٩٩٠ م .

* مكاشفة القلوب لِلإمام الغزالي .. مكتبة الإيمان – المنصورة ١٩٩٩ م .

* المنامات لابن أبي الدنيا .. مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ١٩٩٣ م .

* المِنَح الإلهيّة في مناقب السّادات الوفائيّة لابن فارس .

* المنحة الوهبية في رد الوهابية لداود بن سليمان البغدادي النقشبندي الخالدي مكتبة الحقيقة – تركيا ١٩٩٠ م .

* مَن عاش بعد الموت لابن أبي الدنيا .. مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ١٤١٣ هـ .

* المَواهب السَّنِيّة في المآثر الشّاذليّة لأحمد حامد عبد الكريم الأخميميّ الشّاذليّ مكتبة الجندي – القاهرة .

* النفحات الشاذلية والأسرار الأسمرية .. لأحمد حامد عبد الكريم العروسي الشاذلي .. مكتبة الفجر الجديد – القاهرة ٢٠٠٠ م .

* النقول الشرعية في الرد على الوهابية لِمصطفى بن أحمد بن حسن الشطي الحنبلي .. مكتبة الحقيقة – تركيا ١٩٩٢ م .

* النهاية في غريب الحديث لابن الأثير .. الفكر – بيروت ١٩٧٩ م .

* نور الأبصار في مناقب آل بيْت النَّبِيّ المختار لِلشبلنجيّ .. مكتبة الإيمان – المنصورة .

* نور العيون في سيرة الأمين المأمون (السيرة الحلبية) لِعَلِيّ بن برهان الدين الحلبي .. دار المعرفة – بيروت ١٤٠٠ هـ .

فهرس

الموضـــوع	ص
مقدمة المحقق :	٣
أهمية الكلام عن الأولياء وسيَرهم.....	٥
التراث العِلْميّ لِسيدي إبراهيم.....	٧
برهانية أم برهامية ؟.....	١٤
بيْن يَدَي الكتاب.....	١٥
الجلال الكركي مؤلِّف الكتاب.....	١٦
عملي في هذا الكتاب.....	١٧
مِن أقواله رضي الله عنه.....	٢١
بداية كتاب لسان التعريف :	٧٦
الكلام على الأولياء وصفاتهم وتفسير الآية.....	٧٧
الكنز الأول : صومه في المهد.....	١٧٤
الكنز الثاني : إمساكه الأولياء الطّيّارة.....	١٧٩
الكنز الثالث : إقراؤه لِلجان.....	١٨٤
الكنز الرابع : كلامه مع مؤدِّب الأطفال.....	١٩٥
الكنز الخامس : قوله " وأفناني عن فناي ".....	١٩٩
الكنز السادس : قوله " وناجيتُه لا بإصغاي ".....	٢٠٠
الكنز السابع " قوله " وسقاني بكأس الوفا ".....	٢١٥
الكنز الثامن : قوله " فاستعذبتُ فيه أليم العذاب والبَلاَ ".....	٢١٧
الكنز التاسع : قوله " فلو جَرَّعتَني كؤوس المنايا لَشربتها ".....	٢٣٣
الكنز العاشر : قوله " فهو المراد وأنا المريد ".....	٢٤٢

الموضـــوع	ص
الكنز الحادي عشر : رؤيته من المشرق إلى المغرب.....	٢٤٤
الكنز الثاني عشر : مخاطبته جبريل.....	٢٤٩
الكنز الثالث عشر : فكّه لِطلسم السماء.....	٢٥٨
الكنز الرابع عشر : فَهْمه لِحَرْف المُعْجَم في المثاني.....	٢٥٩
الكنز الخامس عشر : نزول التفاحة من الجوّ.....	٢٦٥
الكنز السادس عشر : تَقَطُّبه.....	٢٧٣
الكنز السابع عشر : وضْعه قَدَمه في الدنيا فلم تسعها.....	٢٧٧
الكنز الثامن عشر : تحريكه ما سكَن وتسكينه ما تَحَرَّك.....	٢٩١
الكنز التاسع عشر : نظره في اللوح المحفوظ.....	٢٩٥
الكنز العشرون : مجاوزته سدرة المنتهى.....	٢٩٩
وجوب التحدث بالنعمة.....	٣٠٣
الكلام على نقطة الباء.....	٣٠٦
إغاثته مَن استغاث به.....	٣٠٨
إطلاعه على الغيب.....	٣٠٩
معرفته الغريب من اللسان.....	٣١٦
تَفْله في بئر مالحة فصارت عذبة.....	٣١٧
الكلام على أصناف الأولياء وسفرهم.....	٣١٧
حكايته مع قاضي الإسكندرية.....	٣٢٦
طبقات الأولياء إذا ظُلِموا.....	٣٢٩
فضل قضاء الحوائج لِلناس.....	٣٣٣
هيبة الأولياء.....	٣٤٦
حُجُب الأولياء.....	٣٤٩

الموضـــوع	ص
طاعة الأسد له.....	٣٥٩
علامات الزهد.....	٣٧٤
أقسام الشكر.....	٣٧٦
أخذه العهد من النَّبيّ صلى الله عليه وسلَّم.....	٣٨٠
أهميّة ذِكْر المناقب.....	٣٨٢

مِنْ مَطْبُوعَاتِنَا

* الأَجْوِبَة التُّونُسِيَّة على الرِّسَالَة النَّحْدِيَّة لأبي حَفْص عُمَر بن أبي الْفَضْل الْمَحْجُوب الْمَالِكِيّ .
* كَشْف النُّور عَنْ أَصْحَاب الْقُبُور لِلشَّيْخ عَبْد الغَنِيّ النَّابلسيّ .
* ثُبوت الْقَدَمَيْن في سؤال الْمَلَكَيْن لِلشَّيْخ عَبْد الغَنِيّ النَّابلسيّ .
* اللُّؤْلُو الْمَكْنُون في حُكْم الإخبار عَمَّا سَيَكُون لِلشَّيْخ عَبْد الغَنِيّ النَّابلسيّ .
* الكَوْكَب الْمُتَلالِي شَرْح قَصِيدَة الغَزَالِي لِلشَّيْخ عَبْد الغَنِيّ النَّابلسيّ .
* الْمَوْلِد الشَّرِيف لِلشَّيْخ عَبْد الغَنِيّ النَّابلسيّ .
* الْخَيْر الكَثِير في الصَّلاَة والتَّسْلِيم على الْبَشِير النَّذِير ، يليه شفاء السَّقَام في نَوَادِر الصَّلاَة والسَّلاَم لِلآثاريّ .
* أربعون حديثاً في خصائصه ﷺ لِلنَّبهانيّ .
* أربعون حديثاً في وَصْف خَلْقه الشَّرِيف ﷺ ، يليه أربعون حديثاً في فَضْل الصَّلاَة عَلَيْه ﷺ لِلنَّبهانيّ .
* أربعون حديثاً في مُعْجِزَاتِه ﷺ ، يليه أربعون حديثاً في فضائله ﷺ لِلنَّبهانيّ .
* اللَّمَحَات الرَّافعات لِلتَّذْهِيش عَنْ مَعَاني صَلَوَات ابن مشيش لِلشَّيْخ مُصْطَفَى الْبَكْرِيّ ، يَلِيه شَرْح صلاة ابن بشيش لِلشَّيْخ أَحْمَد الصَّاويّ ، يَلِيهِمَا الوظيفة الشَّاذليَّة والوظيفة الصِّدِّيقِيَّة .
* الْكَوْكَب الدُّرِّيّ الرَّفِيع شَرْح الْحَمَال الْبَدِيع على ساكِن الْبَقِيع ، يَلِيه ريّ الظَّمْآن في الصَّلاَة على إنسان عَيْن كُلّ إنسان ، يَلِيه مِنْحَة الْمَنَّان الْمَرْضِيَّة في مَعْنَى أَسْمَاء وفُرُوع الطَّرِيقة الْخَلْوَتِيَّة لِلشَّيْخ مَنْصُور مُحَمَّد هيكل الشَّرْقَاويّ .
* الزَّهْر النَّدِيّ في خَصَائِص النَّبِيّ لأبي هاشم الشَّرِيف .
* سَيِّدُنَا مُحَمَّد ﷺ نَبِيّ الأنبياء وأَوَّل الْخَلْق لأبي هاشم الشَّرِيف (كُتَيِّب) .
* كَلِمَة في التَّوَسُّل بِسَيِّدِنَا رَسُول الله ﷺ لأبي هاشم الشَّرِيف (كُتَيِّب) .
* طهارة نَسَب الْمُصْطَفَى صَلَّى الله عَلَيْه وعلى آله ووَالِدَيْه وسَلَّم لأبي هاشم الشَّرِيف (كُتَيِّب) .
* في زيارة قَبْره الشَّرِيف ومَسْجِده الْمنيف ﷺ لأبي هاشم الشَّرِيف (كُتَيِّب) .
* حُسْن الْغَرْس في بَيَان أُصُول الْخُطْبَة والدَّرْس لأبي هاشم الشَّرِيف .
* ركائز التَّوْحِيد في مَدْرَسَة مُحَمَّد بن عَبْد الْوَهَّاب لأبي هاشم الشَّرِيف .
* ابن تيمية . ذَلِك الْوَهْم الْكَبِير لأبي هاشم الشَّرِيف .
* الْحِزْب الأعظم والوِرْد الأفخم لِلملاّ عَلِيّ القاري .
* فَرَح الأَسْمَاع بِرُخَص السَّمَاع لِلشَّيْخ أبي الْمَوَاهِب الشَّاذلِيّ التُّونُسِيّ .
* الفُتُوحَات الرَّبَّانِيَّة في تفضيل الطَّرِيقة الشَّاذلِيَّة لِلشَّيْخ مُحَمَّد الفاسيّ .
* إحياء الْمَيِّت بِفَضَائِل آل الْبَيْت لِلحَافِظ السُّيُوطِيّ ، يَلِيه مَعْرِفَة ما يَجِب لآل الْبَيْت النَّبَوِيّ مِنَ الْحَقّ على مَنْ عَدَاهُمْ لِتَقِيّ الدِّين الْمَقْرِيزِيّ .
* الْبَاهِر في حُكْم النَّبِيّ ﷺ بالْبَاطِن والظَّاهِر لِلْحَافِظ السُّيُوطِيّ .
* الْخَبَر الدَّالّ على وجود القطب والأوتاد والنُّجَبَاء والأبدال لِلْحَافِظ السُّيُوطِيّ .
* سِهَام الإصابة في الدَّعَوَات الْمُسْتَجَابَة لِلْحَافِظ السُّيُوطِيّ .

* الدُّرَّة الْفَاخِرَة في كَشْف عُلُوم الآخِرَة لِلإمام الْغَزَالِيّ .
* شَرْح ابن عَلاّن على قَصِيدَة ابن بِنْت الْمَيْلَق (مَنْ ذاق طَعْمَ شراب القوم يَدْرِيه) .
* شَرْح ابن عَلاّن على قَصِيدَة أبي مَدْيَن (مَا لَذَّةُ الْعَيْشِ إلاّ صُحْبَةُ الفُقَرَا) .
* مَفَاتِيح الْفَرَج .
* شَرْح الْحِكَم العطائيَّة لِشَيْخ الإسلام عَبْد اللّه الشَّرْقاوِيّ .
* شَرْح وِرْد الإشراق ، يَلِيه شَرْح وِرْد الضُّحَى لِشَيْخ الإسلام عَبْد اللّه الشَّرْقاوِيّ .
* أَوْرَاد وآداب الطَّرِيق إلى اللّه .. إعداد وتوجيه الشَّيْخ صلاح الدِّين الأَحْمَدِيّ منصور هيكل .
* فَوْح الْمِسْك الزَّكِيّ في مَنَاقِب الشَّيْخ منصور مُحَمَّد هيكل لِعَبْد الرَّحْمَن سالِم نَصْر الدِّين .
* الأَدْعِيَة والأَذْكَار الْمَأْثُورَات أَثْنَاء وبَعْد الصَّلَوَات لِلدُّكْتور إسْمَاعِيل عَبْد الرَّحْمَن .
* مُخْتَصَر أَحْكَام الْمِيراث لِلدُّكْتور إسْمَاعِيل عَبْد الرَّحْمَن .
* الأَجْوِبَة الْفِقْهِيَّة في مَنَاسِك الْحَجّ والعُمْرَة لِلدُّكْتور إسْمَاعِيل عَبْد الرَّحْمَن .
* سُنَن مَهْجُورَة مِنَ الصَّلَوَات الْمَأْثُورَة لِحَافِظ عَلِيّ شعيشع .
* طَرِيق الْوُصُول إلى مَعْرِفَة الرَّسُول لِحَافِظ عَلِيّ شعيشع .

كُتُب تَحْت الطَّبْع

* شَرْح شَيْخ الإسْلاَم الدُّسُوقِيّ على فِقْه الْعِبَادَات مِنْ مَتْن أبي شجاع .
* الْخَصَائص الصُّغْرَى لِلْحَافِظ السُّيُوطِيّ .
* الْخَصَائص الْكُبْرَى لِلْحَافِظ السُّيُوطِيّ .
* مَجْمُوع رَسَائل السُّيُوطِيّ في نَجَاة وَالِدَي الْمُصْطَفَى ﷺ .
* تَأْيِيد الْحَقِيقَة الْعَلِيَّة وتَشْيِيد الطَّرِيقَة الشّاذلِيَّة لِلْحَافِظ السُّيُوطِيّ .
* الْفَتَاوَى الْحَدِيثِيَّة لِلْحَافِظ ابن حَجَر الْهَيْتَمِيّ .
* بَهْجَة النُّفُوس (شَرْح مُخْتَصر الْبُخَارِيّ) لِلْحَافِظ ابن أبي جَمْرَة .
* الْفَتْح الْمُبِين في جُمْلَة مِنْ أَسْرَار الدِّين لِلشَّيْخ الشَّعْرَانِيّ .
* دُرَر الغَوّاص في فَتَاوَى الْخَوّاص لِلشَّيْخ الشَّعْرَانِيّ .
* شَرْح الأربعين النَّوَوِيَّة لِلإمام ابن دَقِيق الْعِيد .
* خَمْرَة الْحَان ورَنَّة الأَلْحَان لِلشَّيْخ عَبْد الغَنِيّ النّابلسيّ .
* نُخْبَة الْمَسْأَلَة شَرْح التُّحْفَة الْمُرْسَلَة لِلشَّيْخ عَبْد الغَنِيّ النّابلسيّ .
* تَنْبِيه مَنْ يَلْهُو إلى صِحَّة الذِّكْر بالاسْم " هُو " لِلشَّيْخ عَبْد الغَنِيّ النّابلسيّ .
* طَبَقَات الأَوْلِيَاء لابن الْمُلَقِّن .
* الْمَقْصِد الأَسْنَى في شَرْح الأَسْمَاء الْحُسْنَى لِلشَّيْخ عَبْد الْعَزِيز الدِّرِينِيّ .
* صَلَوَات الْمُحِبِّين على حَبِيب رَبّ الْعَالَمِين لِلشَّيْخ أَحْمَد عَبْد الْجَوّاد .
* الدُّعَاء الْمُسْتَجَاب لِلشَّيْخ أَحْمَد عَبْد الْجَوّاد .

مطبعة برهان - ت ٢٢٦٧١٧٦/٠٥٠